تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ

المُحَرَّرُ الوَجِيزُ

مختصر

في تَفْسِيرِ الكِتَابِ العَزِيزِ

للإمامِ أبي مُحَمَّدٍ عبدِ الحقِّ بن عَطِيَّةَ الأندلُسِيِّ

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa





تفسير ابن عطيّة

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطيّة الأندلسي

تحقيق

مجموعة من الباحثين

بإشراف

إدارة الشؤون الإسلاميّة

الجزء السابع

من أول تفسير سورة الحجّ حتى الآية ٢٩ من الأحزاب

إصدارات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة

إدارة الشؤون الإسلاميّة

بتمويل الإدارة العامّة للأوقاف

دولة قطر





تفسير سورة الحج

هذه السُّورة مكِّيَّة إِلَّا ثلاث آيات؛ قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ [الحج: ١٩] إِلى تمام ثلاث آيات، قاله ابن عباس(١) ومجاهد(٢)، ورُوي أيضاً عن ابن عباس: أَنهن أَربع آيات، إِلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ٩](٣).

وقال الضحاك: هي مدنية(٤).

[وقال قتادة: سورة الحج مدنية](٥) إِلَّا أَربع آيات، من قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٢٥]، إِلى قوله: ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥]، فهنَّ مكِّيَّات، وعدَّ النقاش ما نزل بالمدينة عشر آيات(٦).

---

(١) لم أقف عليه من قوله، لكن في البخاري (٣٧٥٠) ومسلم (٣٠٣٣) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: أنها نزلت في يوم بدر.
(٢) انظر قوله في: البيان في عد آي القرآن (ص: ١٨٩).
(٣) لم أجده، لكن وقفت عليه من قول قتادة، أخرجه ابن المنذر في تفسيره، كما في الدر المنثور (٩/ ٤٤٤).
(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ١).
(٥) ليس في لالاليه.
(٦) انظر قوله في: البيان في عد آي القرآن (ص: ١٨٩).

وقال الجمهور: السُّورة مختلطة، فيها مكِّي ومدني[(١)]، وهذا هو الأَصح، والله أَعلم؛ لأَن الآيات تقتضي ذلك.

ورُوي عن أَنس بن مالك أَنه قال: نزل أَول السُّورة في السفر على رسول الله ﷺ فنادى بها فاجتمع الناس إِليه، فقال: أَتدرون أَي يوم هذا؟ فبهتوا، فقال: «يوم يقول الله: يا آدم أَخرج[(٢)] بعث النار، فيخرج من كل أَلف تسع مئة وتسعة وتسعين»، قال: فاغتم الناسُ، فقال رسول الله ﷺ: «أَبشروا، فمنكم رجل ومن يأْجوج ومأْجوج أَلف رجل»[(٣)] الحديث.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

صَدْرُ الآية تحذير لجميع العالم، ثم أَوجب الخبر وأَكَّده بأَمر زَلْزَلَة القيامة، وهي إِحدى شرائطها، سمَّاها شيئاً لأَنها حاصلةٌ / مُتيَقَّن وقوعها، يُستسهل لذلك أَن تُسَمَّى شيئاً وهي معدومة؛ إِذ اليقين بها يشبه الموجودات، وإِمَّا على المآل، أَي هي إِذا وقعت شيءٌ عظيم، فكأَنه لم يُطلق الاسم الآن؛ بل المعنى: إِنها إِذا كانت فهي حينئذ شيءٌ عظيم. [٤/ ٥٧]

و«الزَّلْزَلَة»: التحريك العنيف[(٤)]، وذلك مع نفخة الفزع، ومع نفخة الصَّعْق

---

(١) في نجيبويه والمطبوع ولالاليه: «منها مكي ومنها مدني»، وسقط ذكر «مكي» من نور العثمانية.

(٢) في لالاليه والإماراتية والحمزوية ونور العثمانية: «ابعث».

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٢) والطبري (١٨/ ٥٦١) وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٧٣٥٤ ـ بلبان) من طريق معمر، عن قتادة، وأبان، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وأخرجه البخاري (٦٥٣٠) ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد مرفوعاً بنحوه.

(٤) في نجيبويه والمطبوع: «العظيم».

حسبما تضمن حديث أبي هريرة من ثلاث نفخات[١]، ومن لفظة الزلزلة قول الشاعر:

يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الدَّهْـ ـرَ فِيهِ النَّكْـرَاءُ وَالزَّلْـزَالُ[٢] [الخفيف]

فيحتمل أن تكون الزَّلْزلة في الآية عبارة عن أهوال يوم القيامة، كما قال: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٤]، وكما قال ﷺ: «اللهُمَّ اهزمهم وزلزلهم»[٣].

والجمهور على أَن زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ هي كالمعهودة في الدنيا إِلَّا أَنها في غاية الشِّدَّة.

واختلف المفسرون في الزلزلة المذكورة، هل هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة، أَم هي في يوم القيامة على جميع العالم؟

فقال الجمهور: هي في الدنيا، والضمير في ﴿تَرَوْنَهَا﴾ عائد على «الزَّلْزلة»، وقوَّى قولهم أَن الرضاع والحمْل إِنما هو في الدنيا، وقالت فرقة: الزَّلْزَلة في يوم القيامة، واحتجت بحديث أَنس المذكور آنفاً؛ إِذْ قرأَ رسول الله ﷺ الآية ثم قال: «إِنه اليوم الذي يقول الله تعالى فيه لآدم: أَخْرج بعث النار».

قال القاضي أَبو محمد: وهذا الحديث لا حُجَّة فيه؛ لأَنه يحتمل أَن النبي ﷺ قرأَ الآية المُتَضَمِّنَة ابتداءَ أَمر السَّاعة ثم قصد في تذكيره وتخويفه إِلى فصل من فصول يوم القيامة فنص ذكره، وهذا من الفصاحة، والضمير عند هذه الفرقة عائد على الساعة؛ أَي: يوم يرون ابتداءها في الدنيا، فيصح لهم بهذا التأْويل أَن لا يلزمهم وجود الرضاع والحمل

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ١٢٢) من طريق يزيد بن فلان، عن رجل من الأنصار، عن محمد ابن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به. وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويين فيه، والثابت عن أبي هريرة، رضي الله عنه، ورود نفختين اثنتين فقط، كما هو عند البخاري (٣٢٣٣) ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) البيت لأبي زبيد الطائي كما في الأغاني (٥/ ١٤٦)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٦٠٥)، ومعجم الأدباء (٣/ ٢٢١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٧٥) ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعاً به.

في يوم القيامة، ولو أَعادوه على الزَّلْزلة فسد قولهم بما يلزمهم، على أَن النَّـقَّاش ذكر أَن المراد بـ ﴿كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ من مات من الإِناث ولدُها في جوفها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف.

و«الذُّهُولُ»: الغفلة عن الشيءِ بطريان[١] ما يشغل عنه من همٍّ أَو وجع أَو غيره.

قال ابن زيد: المعنى: تترك ولدها للكرب الذي نزل بها[٢].

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (تُذْهِلُ) بضم التاءِ وكسر الهاءِ ونصب (كُلَّ) [٣].

وأَلحق الهاء في ﴿مُرْضِعَةٍ﴾؛ لأَنه أَراد فاعلات ذلك في ذلك اليوم فأَجراه على الفعل، وأَمَّا إِذا أَخبرتَ عن المرأَة بأَن لها طفلاً ترضعه فإِنما تقول: مُرْضِعٌ، مثل حَامِل.

قال عليُّ بن سليمان: هذه الهاءُ في ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ تردُّ على الكوفيِّين قولهم: إِن الهاءَ لا تكون فيما لا تلبُّس له بالرجال[٤]، وحكى الطبري أَن بعض نحويِّي الكوفة قال: أُمُّ الصبيِّ مرضعةٌ[٥]، والمُسْتأْجَرة له: مرضع.

و«الْحَمْلُ» بفتح الحاءِ: ما كان في بطنٍ أَو على رأْسِ شجرة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ تشبيه لهم، أَي: من الـهَمِّ، ثم نفى عنهم السُّكْر الحقيقي الذي هو من الخمر، قاله الحسن وغيره[٦].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ بضم السِّين وثبوت الأَلف، وكذلك في الثاني، وهذا هو الباب، فمرَّةً جعله سيبويه جمعاً، ومرَّةً جعله اسم جمع[٧].

---

(١) في المطبوع: «بطُروء»، وأشار في الحاشية للنسخة المثبتة.

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٤).

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٤).

(٤) هو الأخفش، انظر قوله في معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٥٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٣).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٥) وتفسير الثعلبي (٧/ ٦) ففيهما عن الحسن: من الخوف.

(٧) انظر كلامه عليه في الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٤٥)، وهذه قراءة الجمهور، والسبعة عدا الأخوين.

وقرأ أبو هريرة بفتح السِّين فيهما، وهذا أيضاً قد يجيء في هذه الجموع، قال أبو الفتح: هو تكسير[١]، وقال أبو حاتم: هي لغة تميم.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿سَكْرَى﴾ في الموضعين، ورواه عمران بن حُصين، وأبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ[٢]، وهي قراءة ابن مسعود، وحذيفة، وأصحاب عبد الله[٣].

قال سيبويه: وقوم يقولون: (سَكْرَى)، جعلوه مثل مَرْضَى لأنهما شيئان يدخلان على الإنسان، ثم جعلوا رَوْبَى مثل سَكْرَى وهم المستثقلون نوماً من شرب الرائب[٤].

وقال أبو علي: ويصح أن يكون (سكْرَى) جمع سَكِرٍ كَزَمِنٍ وَزَمْنَى[٥].

وقد حكى سيبويه: رجل سَكِرٌ بمعنى سكران، فيجيءُ (سَكْرَى) حينئذٍ لتأْنيث الجمع، كما العلامة في طائفة لتأْنيث الجمع[٦].

وقرأ سعيد بن جبير: (وَتَـرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) بالضم والألف[٧].

وحكى المهدوي عن الحسن أنه قرأ: (وَتَـرَى النَّاسَ سَكْرَى ومَا هُمْ بِسَكْرَى).

---

(١) المحتسب (٢/ ٧١)، وهي شاذة، عزاها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٠)، وقول أبي حاتم في البحر المحيط (٧/ ٤٨٢).

(٢) أولاً: حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ضعيف جدّاً، أخرجه البزار في مسنده (٥/ ٣٥٥٠) من طريق الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً به، قال البزار: وهذا الكلام لا نعلمه يروى إلا عن عمران بن حصين لا نعلمه رواه عن النبي ﷺ غيره، ولا نعلم له طريقاً عنه غير هذا الطريق، اختصره الحكم بن عبد الملك، وذكر القراءة فيه فصار حديثاً برأسه، والحكم ليس بالقوي إلا أنه قد حدث عنه غير واحد. وهذا إسناد ضعيف جداً، الحكم بن عبد الملك: متروك الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٧/ ١١٠)، ثانياً: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه البخاري (٦١٦٥) مرفوعاً، به.

(٣) وهي سبعية كالأولى انظر: التيسير (ص: ١٥٦)، وانظر للباقين: البحر المحيط (٧/ ٤٨٢).

(٤) الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٤٩).

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٦٧).

(٦) الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٤٦).

(٧) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٤).

وقرأَ الحسن، والأَعرج، وأَبو زُرْعة بن عمرو بن جرير في الموضعين: (سُكْرَى) بضم السين، قال أَبو الفتح: هو اسم مفرد كالبُشْرى، وبهذا أَفتاني أَبو علي وقد سأَلته عن هذا[١].

وقرأَ أَبو زُرْعَة بن عمرو بن جرير، وأَبو هريرة، وأَبو نُهَيْك: (وَتُـرَى) بضم التاء، (النَّاسَ) بالنصب، قال: وإِنَّما هي بحَسَبِه[٢].

ورويت هذه القراءة: (وتُرى الناسُ) بضم التاءِ والسين، أَي: تُرى جماعة الناس[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية؛ قال ابن جريج: نزلت في النضر بن الحارث، وأُبيِّ بن خلف، وقيل: في أَبي جهل بن هشام[٤]، ثم هي بَعْدُ تتناول كلَّ من يتصف بهذه الصفة.

و«المُجَادَلَةُ»: المُحَاجَّة، والمرادَّة[٥]، مأْخوذة من الْجَدْل وهو الفَتْل، والمعنى: يجادل[٦]

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهم مع التوجيه في: المحتسب (٢/ ٧١)، وانظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ٤٣٧).

(٢) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٧٣)، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٥).

(٣) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني، (ص: ٣٢٤) لحميد.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٦٦) من قول ابن جريج قال: النضر بن الحارث، وانظر: معاني القرآن النحاس (٤/ ٣٧٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٩)، وتفسير السمعاني (٤/ ٢٣٥).

(٥) المثبت من الأصل ونجيبويه والمطبوع، وفي غيرهما: «والمرادة».

(٦) من المطبوع.

في قدرة الله تعالى وصفاته، وكان سبب الآية كلامُ من ذُكر وغيرهم في أَن الله تعالى لا يبعث الموتى، ولا يقيم الأَجساد من القبور.

و«الشَّيْطَانُ» هنا: هو مُغْويهم من الجن، ويحتمل أَن يكون الشيطان من الإِنس، والإنحاءُ على مُتَّبعيه، والْمَرِيدُ: المتجرِّد من الخير إِلى الشَّرِّ، ومنه الأَمرد، وشجرةٌ مرداءُ: أَي عارية من الورق، وصَرْحٌ مُمَرَّد: أَي مُمَلَّسٌ من زجاج، وصخرةٌ مرداءُ: أَي ملساءُ.

والضمير في ﴿عَلَيۡهِ﴾ عائد على الشَّيْطَان، قاله قتادة[١]، ويحتمل أَن يعود على الُمجَادل.

و﴿أَنَّهُۥ﴾ في موضع رفع / على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، و﴿أَنَّهُۥ﴾ الثانية [٤/ ٥٨] عطف على الأُولى مؤكدة مثلها، وقيل: هي مكررة للتأْكيد فقط، وهذا[٢] معترض بأَن الشيءَ لا يؤكد إِلَّا بعد تمامه، وتمام «أن» الأُولى إِنما هو بصلتها في قوله: ﴿ٱلسَّعِيرِ﴾، وكذلك لا يُعطف عليه، ولسيبويه في مثل هذا أَنه بدلٌ.

وقيل: ﴿أَنَّهُۥ﴾ الثانية[٣] خبر ابتداء محذوف؛ تقديره: فشأْنه أَنه يضله.

وقدره أَبو علي: فَلَه أَن يُضِلَّه[٤].

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر لي أَن الضمير في ﴿أَنَّهُۥ﴾ الأُولى للشيطان، وفي الثانية لـ ﴿مَن﴾ الذي هو المتولي.

وقوله: ﴿وَيَهۡدِيهِ﴾ بمعنى: يدلُّه على طريق ذلك، وليست بمعنى الإِرشاد على الإِطلاق.

وقرأَ أَبو عمرو: (إِنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ) بالكسر فيهما[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٦).

(٢) في نجيبويه والمطبوع: «وهو».

(٣) من المطبوع ونور العثمانية ولالاليه.

(٤) انظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٣/ ٤٠٣).

(٥) وهي شاذة، وهي رواية الحسين وهارون عنه كما في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٤).

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ الآية؛ هذا احتجاجٌ على العالم بالبداءة الأُولى، وضرَبَ الله تعالى في هذه الآية مثلين، إذا اعتبرهما الناظر جوَّز في العقل البعثة من القبور، ثم ورد خبر الشرع بوجوب ذلك ووقوعه.

و«الرَّيْبُ»: الشَّك، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ شرط مضمنه التوقيف.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (البعَث) بفتح العين[١]، وهي لغة في البَعْث عند البصريين، وهي عند الكوفيين تخفيف بَعث[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يريد آدم، ثم سلَّط الفعل عليهم من حيث هم ذريته.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يريد المنيَّ الذي يكون من البشر، والنُّطفة تقع على قليل الماءِ وكثيره، وقال النَّـقَّاش: المراد نطفة آدم[٣].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ يريد من الدَّم الذي تعود النُّطفة إِليه في الرَّحِم، أَو المقارن للنطفة، والْعَلَقُ: الدَّم العبيط، وقيل: الْعَلَق: الشديد الحمرة، فسمي الدَّم لذلك، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ يريد بضعة[٤] لحم على قدر ما يُمضغ.

وقوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ معناه: مُتَمَّمَة الْبِنْيَة، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: غير مُتَمَّمة، أَي التي تسقط، قاله مجاهد، وقتادة، والشعبي، وأَبو العالية[٥]، فاللفظة بناءُ مبالغة من خَلَق، ولمَّا كان الإِنسان فيه أَعضاءٌ متباينة وكل واحد منها مختص بخَلْق؛ حَسُنَ في جملته تضعيف الفعل؛ لأَن فيه خَلْقاً كثيرا.

---

(١) وهي شاذة، نسبها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٤).

(٢) انظر القولين في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤١١).

(٣) نقله عنه في البحر المحيط (٧/ ٤٨٤).

(٤) في نجيبويه والإماراتية ونور العثمانية ولالاليه: «مضغة».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٧٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٧).

وقرأ ابن أَبي عبلة: (مُخَلَّـقَةً) بالنصب و(غَيْرَ) بالنصب في الراءِ[١].

ويتصل بهذا الموضع من الفقه: أَن العلماءَ اختلفوا في أُمِّ الولد إِذا أَسقطت بِضْعَة لم تُصَوَّر، هل تكون أُمَّ ولد بذلك؟

فقال مالك، والأَوزاعي، وغيرهما: هي أُمُّ ولد بالمضغة إِذا علم أَنها مضغة الولد[٢].

وقال الشافعي، وأَبو حنيفة: لا[٣] حتى يتبيَّن فيه خلق ولو عضو واحد[٤].

وقوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾، قالت فرقة: معناه: لنبين أَمر البعث، فهو اعتراض بين الكلامين.

وقرأَت هذه الفرقة بالرَّفع في ﴿وَنُقِرُّ﴾، والمعنى: ونحن نُقِرُّ، وهي قراءة الجمهور.

وقالت فرقة: ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾ معناه: تكون المضغة غير مُخَلَّـقَة، وطرح النِّساء إِيَّاها كذلك نُبَـيِّن للناس أَن المناقل في الرَّحِم هي هكذا، وقرأَت هذه الفرقة: (وَنُقِرَّ) بالنصب، وكذلك قرأَت: (نُخْرِجَكُمْ) بالنصب، وهي رواية المفضل عن عاصم.

وحكى أَبو عمرو الداني أَن رواية المفضل هذه هي بالياءِ في (يُقِرُّ)، وفي (يخرجكم)[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٥).

(٢) انظر قول مالك والأوزاعي في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٤٤٤).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) انظر قول أبي حنيفة في: بدائع الصنائع (٤/ ١٢٤)، وانظر قول الشافعي في: الحاوي للماوردي (١١/ ١٩٦-١٩٧، ١٢/ ٣٨٥).

(٥) وهما شاذتان، عزا الأولى له الداني في جامع البيان (٣/ ١٣٧٦)، ومثله في الكامل للهذلي (ص: ٦٠٣)، قال: وبالياء فيهما مع النصب أبو حاتم عن المفضل، ولم أجدها للداني.

والرفع على هذا التأْويل سائغ[١]، ولا يجوز النصب على التأْويل الأَول.

وقرأَ ابن وثاب: (مَا نِشَاءُ) بكسر النون[٢].

و«الأَجَلُ المُسَمَّى»: هو مختلف بحسب جنينٍ جنينٍ، فَثَمَّ من يسقط، وثَمَّ من يَكْمُل أَمْرُه ويخرج حيّاً.

[وقوله تعالى: ﴿طِفْلًا﴾ اسم الجنس؛ أي أطفالا][٣].

واختلف الناس في الأَشُدِّ: من ثمانية عشر، إِلى ثلاثين، إِلى اثنين وثلاثين، إِلى ستة وثلاثين، إِلى أَربعين، إِلى خمسة وأَربعين، واللَّفظة تُقال باشتراك، فأَشُدُّ الإِنسان على العموم غير أَشُدِّ اليتيم الذي هو الاحتلام. والأَشُدُّ في الآية يحتمل المعنيين.

و«الرَّدُّ إِلى أَرذل العمر»: هو حصول الإِنسان في زمانةٍ واختلال قوة حتى لا يقدر على إِقامة الطاعات، واختلال عقل حتى لا يقدر على إِقامة ما يلزمه من المعتقدات، وهذا أَبداً يلحق مع الكبر، وقد يكون أَرْذَل الْعُمُرِ في قليل من السن بحسب شخص ما لحقته زمانة.

وقد ذُكِرَ عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: أَن أَرذل العمر خمس وسبعون سنة[٤]، وهذا فيه نظر، وإِن صحَّ عن علي رضي الله عنه فلا يتوجه إِلَّا أَن يريد: على الأَكثر، فقد نرى كثيراً أَبناءَ ثمانين سنة ليسوا في أَرذل العمر.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلْعُمُرِ﴾ مشبعة، وقرأَ نافع: (الْعُمْرِ) مخففة الميم، واختلف عنه[٥].

---

(١) في المطبوع: «شائع».

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: **٣٢٥**).

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) ضعيف جدّاً، أخرجه الطبري (**١٧/ ٢٥١**) من طريق سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي رضي الله عنه، به، وهذا إسناد ضعيف جداً، سعد بن طريف، والأصبغ بن نباتة، متروكا الحديث، وقد اتهما بالكذب.

(٥) وهي شاذة، نسبها له الكرماني في الشواذ (ص: **٣٢٥**).

وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾ أَي: لينسى معارفه وعِلْمه الذي كان معه فلا يعلم من ذلك شيئاً، فهذا مثال واحد يقضي للمعتبر[١] به أَن القادر على هذه المناقل المُتْقِن لها قادرٌ على إِعادة تلك الأَجساد التي أَوجدها بهذه المناقل إِلى حالها الأُولى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾.

هذا هو المثال الثاني الذي يعطى للمعتبر فيه جواز بعث الأَجساد، وذلك أَن إِحياء الأَرض بعد موتها بَيِّن، وكذلك الأَجساد.

و﴿هَامِدَةً﴾ معناها: ساكنة ودارسة بالية، ومنه قيل: همد الثوبُ إِذا بلي، قال الأعشى:

[الكامل]

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِباً وَأَرَى ثِيَابَكَ بالياتٍ هُمَّدا[٢]

و«اهتِزاز الأَرض»: هو حركتها بالنبات وغير ذلك مما يعتريها بالماءِ.

و﴿وَرَبَتْ﴾ معناه: نشزت[٣] وارتفعت، ومنه الربوة؛ وهي المكان المرتفع.

وقرأَ أَبو جعفر بن القَعْقَاع: ﴿وَرَبَأَتْ﴾ بالهمز، ورويت عن أَبي عمرو، وقرأَها عبد الله بن جعفر، وخالد بن إِلياس[٤]، وهي غير وجيهة، وَوَجْهُها أَن تكون من: رَبَأْت القَوْم إِذا علوت شرفاً من الأَرض / طليعة، فكأَن الأَرض بالماءِ تتطاول وتعلو. [٤/ ٥٩]

(١) في المطبوع: «لِلْمُعْتَدِّ»، وفي لالاليه: «للمعنيين».

(٢) انظر نسبته له في الأمالي للقالي (١/ ٣٩)، وتفسير الطبري (١٨/ ٥٧٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٨).

(٣) في المطبوع: «نشرت».

(٤) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٢٥)، وانظر في عزوها لخالد بن إلياس: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٨١) وفي المحتسب (٢/ ٧٣): أنها رويت عن أبي عمرو. وأما عبد الله بن جعفر فلم نر من ذكره.

و«الزَّوْجُ»: النوع، و«الْبَهِيجُ»: فَعِيلٌ من البهجة وهي الحُسْن، قاله قتادة وغيره[١].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كون ما تقدم ذكره، فـ﴿ذَٰلِكَ﴾ ابتداءٌ، وخبره ﴿بِأَنَّ﴾، أَي: هو بأَن الله تعالى حقٌّ مُحيٍ قادرٌ، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ ليس بسبب لما ذُكِرَ، لكن المعنى أَن الأَمر مرتبط بعضه ببعض، أَو على تقدير: والأَمْرُ أَن الساعة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية الإِشارة بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إِلى القوم المتقدم ذكرهم.

وحكى النَّـقَّاش عن محمد بن كعب أَنه قال: نزلت هذه الآية في الأَخنس بن شُرَيق[٢].

وكرر هذه على جهة التوبيخ، فكأَنه يقول: فهذه الأَمثال في غاية الوضوح والبيان، ومن الناس مع ذلك مَنْ يُجادِلُ، فكأَن الواو واو الحالِ، والآية المتقدمة الواوُ فيها واو عطفت جملة الكلام على ما قبلها، والآية على معنى الإِخبار، وهي هاهنا مكررة للتوبيخ.

و﴿ثَانِيَ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿يُجَٰدِلُ﴾، ولا يجوز أَن يكون مِنْ ﴿مِن﴾ لأَنها ابتداءٌ، والابتداءُ عمله الرفع لا النصب، وإِضافة ﴿ثَانِيَ﴾ غير مُعْتَدٍّ بها؛ لأَنها في معنى الانفصال؛ إِذْ تقديرها: ثانياً عِطْفَهُ.

وقوله: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ عبارة عن المتكبر المُعْرِض، قاله ابن عباس وغيره[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وذلك أَن صاحب الكِبْر يُرُدُّ وجهه عما يتكبَّر عنه، فهو بِرَدِّ وجهه يصعِّر خدَّه، ويولي صفحته، ويلوي عنقه، ويثني عطفه، وهذه هي عبارات المفسرين، و«العِطْفُ»: الجانب.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٧١) ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٨١).

(٢) مثله في البحر المحيط (٧/ ٤٨٧)، دون ذكر النقاش.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٧٣) من طريق: علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

وقرأ الحسن: (عَطْفِهِ) بفتح العين[1].

و«العطف والعِطَافُ»: السيف؛ لأَن صاحبه يَتَعَطَّفُه، أَي يصله بجنبه.

وقرأ الجمهور: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياءِ.

وقرأ مجاهد وأَهل مكة: ﴿لِيَضِلَّ﴾ بفتح الياءِ، وكذلك قرأ أَبو عمرو[2].

والخِزْيُ الذي تُوُعِّدَ به النضرُ بن الحارث صدق في أَسره يوم بدر، وقَتْلِهِ بالصفراء[3].

و﴿ٱلْحَرِيقِ﴾: طبقة من طبقات جهنم.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ بمعنى: يقال له، ونسب التقديم إِلى اليدين إِذْ هُما آلة الاكتساب.

واختلف في الوقف على قوله: ﴿يَدَاكَ﴾:

فقيل: لا يجوز؛ لأَن التقدير: وبأَن الله، أَي وأَنَّ الله هو العدل فيك بجرائمك، وقيل: يجوز؛ بمعنى: والأَمْر أَن الله تعالى ليس بظَلَّامٍ.

و«الْعَبِيد»: ذُكر هنا في معنى مسكنتهم وقلَّة قدرتهم، فلذلك جاءَت هذه الصيغة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢٥).

(٢) وهما سبعيتان، كما تقدم في حرف سورة إبراهيم، انظر: التيسير (ص: ١٣٤).

(٣) رواه ابن إسحاق معضلًا، انظر: سيرة ابن هشام (ص ٦٤٤)، وفي المطبوع: «صبرا»، قال في الحاشية: وفي الأصول: وقتله بالصفراء.

وهذه الآيات نزلت في أَعراب وقوم لا يقين لهم، كان أَحدهم إِذا أَسلم فاتفقت له اتفاقات[١] حسان من نُمُوٍّ مالٍ وولد ذَكَرٍ يُرْزقه وغير ذلك قال: هذا دين جيِّدٌ، وتمسَّك به لهذه المعاني، وإِن كان الأَمر بخلافٍ تشاءم به وارتد كما صنع العُرَنِيُّون، وغيرهم، قال هذا المعنى ابن عباس[٢]، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرۡفٍۖ﴾ معناه: على انحراف منه عن العقيدة البيضاء، أَو على[٤] شَفَا منها، مُعَدٍّ للزهوق.

و«الفِتْنَةُ»: الاختبار.

وقوله تعالى: ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ عبارةٌ للمُوَلِّي عن الأُمور، وخَسَارَته الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ؛ أَما الدنيا فبالمقادير التي جرت عليه، وأَما الْآخِرَة فبارْتداده وسوءِ معتقده.

وقرأَ مجاهد، وحميد، والأَعرج: (خَاسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ) نصباً على الحال[٥].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ يريد الأَوثان، ومعنى ﴿يَدۡعُواْ﴾: يعبد، ويدعو أَيضاً في مُلِمَّاتِهِ.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾:

فقالت فرقة من الكوفيين: اللام مُقَدَّمة على موضعها، وإِنما التقدير: يدعو من لضره[٦].

---

(١) في المطبوع: «اتصافات».

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٧٥) من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٧٦)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٥٢).

(٤) سقط من الأصل.

(٥) وهي شاذة، عزاها لهما في المحتسب (٢/ ٧٤)، والنشر (٢/ ٣٦٥) قال: وانفرد بها ابن مهران عن روح، وفي نجيبويه والمطبوع: «حمزة»، بدل حميد، وهو خطأ.

(٦) في أحمد**٣** ونجيبويه: «لمن ضره»، وفي المطبوع: «من يضره».

ويؤيد هذا التأْويل أَن عبد الله بن مسعود قرأَ: (يَدْعُو مَنْ ضَرُّه)[١].

وقال الأَخفش: ﴿يَدۡعُواْ﴾ بمعنى يقول، ومَنْ مبتدأة، و﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ مبتدأ، و﴿أَقۡرَبُ﴾ خبره، والجملة صلة، وخبر مَنْ محذوف، والتقدير: يقول: لمن ضرُّه أَقرب من نفعه إِلهٌ[٢].

وشبه هذا بقول عنترة:

يَدْعُـونَ عَنْتَـرَ وَالرِّمَـاحُ كَأَنها[٣] .... [الكامل]

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول فيه نظر، فتأَمل إِفساده للمعنى إِذْ لم يعتقد الكافر قط أَن ضرر الأَوثان أَقرب من نفعها، واعتذار أَبي عليٍّ هنا مموه، وأَيضاً فهو لا يشبه البيت الذي استشهد به.

وقيل: المعنى في ﴿يَدۡعُواْ﴾ يُسَمِّي، وهذا كالقول الذي قبله إِلَّا أَن المحذوف آخراً مفعول تقديره: إِلهاً، وقال الزجاج: يجوز أَن يكون ﴿يَدۡعُواْ﴾ في موضع الحال[٤] وفيه هاءٌ محذوفة، والتقدير: ذلك هو الضلال البعيد يدعو أَي: يدعوه، فيوقف على هذا.

قال أَبو علي: ويحسن أَن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى الذي، أَي: الذي هو الضلال البعيد يدعو، أو يدعوه[٥]، فيكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ موصولًا بقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾، ويكون ﴿يَدۡعُواْ﴾ عاملاً في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: كون ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى الذي غير سهل، وشبهه المهدوي

---

(١) وهي شاذة، عزاها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٥٧٨).

(٢) انظر كلامه على الآية مختصراً في معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٥٠)، وفي المطبوع: «مبتدأ»، بدل مبتدأة.

(٣) عجزه: أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لِبَانِ الأَدْهَمِ، انظر نسبته له في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٨٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤١٦)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٢٤٥)، والأغاني (٩/ ٢٥٤)، والمحتسب لابن جني (١/ ١٠٨)، الأشطان: جمع شَطَن؛ وهو حبل البئر، واللَّبَان: الصدر.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤١٥).

(٥) «أو يدعوه»: ليست في المطبوع، وانظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٢١).

بقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧][(١)].

وقد يظهر في الآية أَن يكون قوله: ﴿يَدۡعُواْ﴾ متصلاً بما قبله، ويكون فيه معنى التوبيخ، كأَنه قال: يدعو من لا يضر ولا ينفع.

ثم كرَّر ﴿يَدۡعُواْ﴾ ـ على جهة التوبيخ ـ غَيْرَ مُعَدًّى؛ إِذْ قد عُدِّي في أَول الكلام.

ثم ابتدأَ الإِخبار بقوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ واللام مُؤذنة بمجيءِ القسم، والثانية التي في ﴿لَبِئۡسَ﴾ لام القسم، وإِن كان أَبو علي مال إِلى أَنها لام الابتداءِ والثانية لام اليمين.

ويظهر أَيضاً في الآية أَن يكون المراد: يَدْعُو من ضرُّه، ثم علَّق الفعل باللام، ويصحُّ أَن يقدَّر هذا الفعل من الأَفعال التي تعلَّق وهي أَفعال النفس كظننت وحسبت، وأَشار أَبو عليٍّ إِلى هذا وردَّ عليه[(٢)].

[٤/ ٦٠] و﴿ٱلۡعَشِيرُ﴾: القريب المعاشر في الأمور، وذهب / الطبري إِلى أَن المراد بـ﴿ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ و﴿ٱلۡعَشِيرُ﴾ هو [الإنسان الذي يعبد الله على حرف ويدعو الأصنام، والظاهر أن المراد بـ﴿ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ و﴿ٱلۡعَشِيرُ﴾ هو][(٣)] الوثن الذي ضرُّه أَقرب من نفعه[(٤)]، وهو قول مجاهد. والله أَعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) انظر: التحصيل للمهدوي (٤/ ٤٣٠-٤٣١).

(٢) لعله في بعض كتبه التي لم تطبع.

(٣) ليس في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع ولالاليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٧٨)، وانظر فيه (١٨/ ٥٧٩)، وفي الهداية لمكي (٧/ ٤٨٥٥) قول مجاهد.

لمَّا ذَكَر الله تبارك وتعالى من يعبد الله على حرف، وسفَّه رأْيهم، وتوعَّدهم بخسارة الآخرة؛ عقَّب ذلك بذكْر حالة[١] مخالفيهم من أَهل الإِيمان، وذِكْر ما وعدهم به من إِدخاله إِيَّاهم الجنة، ثم أَخذت الآية في توبيخ أُولئك الأَولين وإِسلامهم إِلى رأْيهم وإِحالتهم على ما فيه عنتهم وليس فيه راحتهم، كأَنه يقول: هؤلاءِ العابدون على حرف صحبهم القَلَق، وظنُّوا أَن الله تعالى لن ينصر محمداً وأَتباعه، ونحن إِنما أَمرناهم بالصبر وانتظار وعدنا، فمن ظنَّ غير ذلك فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ، وليختنق، وينظر هل يذهب بذلك غيظه؟ قال هذا المعنى قتادة[٢].

وهو على جهة المثل السائر، قولهم: دونك الحبل فاختنق، يقال ذلك للذي يريد من الأَمر ما لا يمكنه.

و«السَّبَبُ»: الحبل، والنَّصْرُ معروف، إِلَّا أَنَّ أَبا عبيدة ذهب به إِلى معنى الرِّزْق، كما قالوا: أَرْض منصورة أَي ممطورة[٣]، وكما قال الشاعر:

وَإِنَّـكَ لَا تُعْطِـي امْـرَءاً فَـوْقَ حَقِّـه ... وَلَا تَمْلِكُ الشِّقَّ الَّذِي الْغَيْثُ نَاصِرُه[٤] [الطويل]

وقال: وقف بنا سائل من بني أَبي بكر فقال: من ينصرني ينصره الله[٥].

و«السَّمَاءُ» على هذه الأَقوال: الهواءُ عُلُوّاً، فكأَنه أَراد: سقْفاً أَو شجرةً أَو نحوه.

وقال ابن زيد: السماءُ هي المعروفة[٦]. وذهب إِلى معنى آخر، كأَنه قيل[٧]

(١) ليست في الأصل.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٠) والهداية لمكي (٧/ ٤٨٥٧).

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٩١) ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٨٨).

(٤) عزاه في تفسير الطبري (١٨/ ٥٨١)، للْفَقْعَسي، وسماه في أمالي المرتضي (٣/ ١٠٢) ضرس ابن ربعي ابن أبي الفقعسي، وفي ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٩) لإبراهيم بن متمم بن نويرة، وفي معجم الشعراء (ص: ٤٩٧) لأبي عمران الضرير يحيى بن سعيد مولى آل طلحة.

(٥) تقدم ذكر ذلك في تفسير الآية ٥٠ من سورة يوسف.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٢)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٥٧)، وفي نور العثمانية والحمزوية: «المرفوعة».

(٧) في نجيبويه والمطبوع: «قال».

لمن يظن أَن الله لا ينصر محمداً: إِنْ كنتَ تظن ذلك فامدد سبباً إِلى السماء واقطعه إِن كنت تقدر على ذلك، فإِن عجزت فكذلك لا تقدر على قطع سبب محمد ﷺ [من السماء][(١)]؛ إِذْ نصرته من هنالك، والوحي الذي يأْتيه.

قال القاضي أَبو محمد: و«الْقَطْعُ» على هذا التأْويل ليس بالاختناق، بل هو جَزْم السبب.

وفي مصحف ابن مسعود: (ثُمَّ لْيَـقْطَعْهُ) بِهَاء[(٢)].

والجمهور على أَن القطع هنا هو الاختناق.

وقال الخليل: وَقَطَعَ الرَّجُلُ: إِذا اختنق بحبل أَو نحوه. ثم ذكر الآية[(٣)].

وتحتمل الآية معنى آخر؛ وهو أَن يراد به الكفار وكل من يغتاظ بأَن ينصره الله ويطمع أَن لَّا يُنْصَر، قيل له: من ظنَّ أَن هذا لا يُنْصر فليمت كمداً، هو منصور لا محالة، فليختنق هذا الظَّانُّ غيظاً وكمداً، ويؤيد هذا أَن الطبري والنقاش قالا: ويقال: نزلت في نفر من بني أَسد وغَطَفَان قالوا: نخاف أَن يُنصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع[(٤)].

والمعنى الأَول الذي قيل للعابدين على حرف ليس بهذا، ولكنه بمعنى: مَنْ قَلِقَ واستبطأَ النصر وظن أَن محمداً لا يُنصر فليختنق سفاهةً؛ إِذْ تعدَّى الأَمر الذي حُدَّ له في الصبر وانتظار صنع الله.

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢١٨)، وكتبت في المطبوع: (ثم ليقطع بها) على أن الهاء ضمير مؤنث من تمام القراءة، وهذا تصحيف غريب.

(٣) العين (١/ ١٣٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٣).

وقال مجاهد: الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ عائد على ﴿مَن﴾، والمعنى: من كان من القلقين من المؤمنين[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: والضمير في التأْويل الذي ذكرناه في أَن يُراد الكفار لا يعود إِلَّا على النبي ﷺ فقط.

وقالت فرقة: الضمير عائد على الدِّين والقرآن.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن عامر: ﴿لِيَقْطَعْ فَلِيَنْظُرْ﴾ بكسر اللام فيهما على الأَصل، وهي قراءة الجمهور، وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي بسكون اللام فيهما وفي لام الأَمر في كل القرآن مع الواو والفاءِ وثُمَّ، واختُلف عن نافع، وهي قراءة الحسن، وأَبي عمرو، وعيسى[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: أَما الواو والفاءُ إِذا دخلا[(٣)] على لام الأَمر فحكى سيبويه أَنهم يرونها كأَنها من الكلمة فسكون اللام تخفيف، وهو أَفصح من تحريكها، وأَمَّا ثُمَّ فهي كلمة مستقلَّة فالوجه تحريك اللام بعدها.

قال القاضي أَبو محمد: وقد رأَى بعض النحويين الميم من «ثُمَّ» بمنزلة الواو والفاء.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَغِيظُ﴾ يحتمل أَن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى الذي، وفي ﴿يَغِيظُ﴾ عائد عليها، ويحتمل أَن تكون مصدرية حرفاً فلا عائد عليها، والكَيْدُ: هو مده السبب.

وأَبْيَن وجوه هذه الآية أَن تكون مثلاً، ويكون النصر المعروف، والقطعُ الاختناقُ، والسماءُ الارتفاعُ في الهواءِ بسقف أَو شجر أَو نحوه فتأَمَّله.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ إِلى ﴿شَهِيدٌ﴾، المعنى: وكما وعدنا بالنصر وأَمَرْنَا بالصبر كذلك أَنزلنا القرآن آية بيِّنةً لمن نظر واهتدى، لا ليُقترح معها ويُستعجل

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٢).

(٢) وهما في (فليقطع) سبعيتان، والكسر لورش وأبي عمرو وابن عامر، كما في التيسير (ص: ١٥٦).

(٣) في أحمد٣: «دخلتا»، وفي نجيبويه والمطبوع ونور العثمانية: «دخلت».

القَدَر، وقال الطبري: المعنى: وكما بيَّنْتُ حُجَّتي على من جَحَدَ قُدرتي على إِحياء الموتى كذلك أَنزلناه[١]، والضمير في ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ عائد على القرآن، وجاءت هذه الضمائر هكذا وإِنْ لم يتقدَّم لها[٢] ذكر لشُهْرة المشار إِليه نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] وغيره.

وقوله: ﴿وَأَنَّ﴾ في موضع خبر الابتداء، والتقدير: والأَمر أَن الله يهدي من يريد، وهداية الله تعالى هي خلْقُه الرَّشاد والإِيمان في نفس الإِنسان.

ثم أَخبر الله تعالى عن فعله بالفِرَق المذكورين، وهم المؤمنون بمحمد عليه السلام وغيره، واليهود، والصابئون وهم قوم يعبدون الملائكة ويستقبلون القِبْلَة ويوحدون الله ويقرؤون الزبور، قاله قتادة[٣]، والنصارى، والمجوس وهُمْ عَبَدَةُ النار والشمس والقمر، والمشركون وهم عَبَدَة الأَوثان. قال قتادة: الأَديان ستَّة، خمسة للشيطان وواحد للرَّحمن[٤].

وخبر ﴿إِنَّ﴾: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ﴾، ثم دخلت ﴿إِنَّ﴾ على الخبر مؤكدة، وحَسُن ذلك لطول الكلام، فهي وما بعدها خبر ﴿إِنَّ﴾ الأُولى، [٤/ ٦١] / وقرن الزجاج هذه الآية بقول الشاعر:

[البسيط]
إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ ... سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الخَوَاتِيمُ[٥]

نقله الطبري[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٤).
(٢) من نجيبويه والمطبوع.
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٤)، إلا أن لفظة «يوحدون الله» ليست فيه.
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٥).
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤١٧ و٤١٨) والبيت لجرير، كما تقدم في تفسير الآية ١٨ من سورة الكهف.
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٥).

وليس هذا البيت كالآية؛ لأَن الخبر في البيت قوله: به تُرْجى الخواتيم، وإِن الثانية وجملتها معترضة بين الكلامين، ثُمَّ تمَّ الكلام في قوله تعالى: ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، واستأْنف الخبر عن أَن اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ عالم[١] به، وهذا خبر مناسب[٢] للفصل بين الفِرَق، وفَصلُ الله تعالى بين هذه الفِرَق هو بإِدخال المؤمنين الجنة والكافرين النار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنبيهٌ، من رؤْية القلب، وهذه آية إِعلام بتسليم المخلوقات جميعها لله وخضوعها، وذكر في الآية كلّ ما عَبَدَ الناس؛ إِذْ في المخلوقات أَعظمُ ممَّا ذكر كالرياح والبحار والهواءِ، فـ﴿مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: الملائكة، و﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من عُبِد من البشر.

﴿وَٱلشَّمْسُ﴾ كانت تعبدها حمير، وهم قوم بلقيس، ﴿وَٱلْقَمَرُ﴾ كانت كنانة تعبده، قاله[٣] ابن عباس[٤]، وكانت تميم تعبد الدَّبران، وكانت لَخْم تعبد المشتري، وكانت طيء تعبد الثُّريَّا، وكانت قريش تعبد الشِّعرى، وكانت أَسد تعبد عُطارد، وكانت ربيعة تعبد المِرْزَم[٥].

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «وعالم».
(٢) في الأصل: «مستأنف»، وفي لالاليه: «متناسب».
(٣) في المطبوع: «قال»، على أن محكي القول ما بعده لا ما قبله.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) المِرْزم: كوكب نيِّر، وهو الشعرى.

﴿وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ﴾ منها النار، وأَصنام الحجارة، والخشب. ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾ منها البقر، وغير ذلك ممَّا عُبد من الحيوان كالديك ونحوه.

و«السُّجُودُ» في هذه الآية: هو بالخضوع والانقياد للأَمر، وهذا كما قال الشاعر:

[الطويل] .... تَرَى الأُكْمَ فِيهَا سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ[١]

وهذا مما يتعذر فيه السجود المتعارف، قال مجاهد: سجود هذه الأَشياءِ هو بظلالها[٢].

وقال بعضهم: سجودها هو بظهور الصنعة فيها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا وهم، وإِنما خلط هذه الآية بآية التسبيح، وهنالك يحتمل أَن يقال: هي بآثار الصنعة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ يحتمل أَن يكون معطوفاً على ما تقدَّم، أَي: وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ يسجد[٣]، أَي كراهيةً وعلى رَغْمِه، إِمَّا بِظِلِّه وإِمَّا بخضوعه عند المكاره ونحو ذلك، قاله مجاهد[٤]، وقال: سجوده بظلِّه.

ويحتمل أَن يكون رفعاً بالابتداءِ مقطوعاً ممَّا قبله، وكأَن الجملة معادلةٌ لقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ لأَن المعنى: أَنهم مرحومون بسجودهم، ويؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ الآية.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مِن مُّكۡرِمٍ﴾ بكسر الراءِ.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: بفتح الراءِ، على معنى: من موضع، أَو على أَنه مصدر كمدخل[٥].

---

(١) صدره: بِجَمْعٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ فِي حَجَرَاتِهِ، وهو لزيد الخيل، وقد تقدم الاستشهاد به في تفسير الآية **٣٣** من سورة البقرة.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٦)، وفي المطبوع: «بطلانها»، ولعله تحريف.

(٣) في المطبوع: «سجد».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٦).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في الكامل للهذلي (ص: **٦٠٣**)، والشواذ للكرماني (ص: **٣٢٧**).

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾ مشدَّدة الباءِ، وقرأ الزهري وحده بتخفيف الباءِ[١]. وهي قليلة ضعيفة، وهي تخفيف على غير قياس، كما قالوا: ظَلْتُ وأَحَسْتُ، وكما قال علقمة:

كأَنَّ إِبْرِيْقَهُـمْ ظَبْـيٌ عَلَى شَـرَفٍ مُفَـدَّمٌ بِسَبَـا الْكَـتَّـانِ ملْـثُوم[٢] [البسيط]

أَراد: بِسَبَائِبِ الكتَّان، وأَنشد أَبو علي في مثله:

حَتَّـى إِذا مَـا لَمْ أَجِـدْ غَيْرَ الشَّـرِ كُنْتُ امْرَءاً مِنْ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ[٣] [الرجز]

وهذا بابٌ إِنما يستعمل في الشعر فلذلك ضعَّفت هذه القراءَة.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ الآية، اختلف الناسُ في المشار إِليه بقوله: ﴿هَٰذَانِ﴾: فقال قيس بن عُبادة، وهلال بن يساف: نزلت هذه الآية في المتبارزين يوم بدر، وهم ستَّة: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، برزوا لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة[٤].

وروي عن علي بن أَبي طالب أَنه قال: أَنا أَول من يجثو يوم القيامة للخصومة [بين يدي الله][٥][٦]، وأَقسم أَبو ذرٍّ على هذا القول[٧].

---

(١) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٧٥).

(٢) البيت لعَلْقمة كما في المحتسب لابن جني (٢/ ٧٦)، والأغاني (١٠/ ٢٠٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٣٢)، وسمط اللآلي (١/ ٤)، والروض الأنف (٣/ ٣٤٥)، والاختيارين للأخفش (ص/ ١٠٢)، والمحكم لابن سيده (٨/ ٤٢٣)، وسر الفصاحة (١/ ٢٥٣).

(٣) البيت في المحتسب لابن جني (٢/ ٧٦)، والأصول في النحو (٣/ ٤٤٨) وغيرهما بلا نسبة.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٧و٣/ ١٧) أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٠٧).

(٥) ليس في المطبوع ولالاليه.

(٦) أخرجه البخاري (٣٩٦٥).

(٧) أخرج البخاري (٣٩٦٩) (٤٧٤٣) ومسلم (٣٠٣٣) أن أبا ذر أقسم أن هذه الآية نزلت فيمن تبارزوا يوم بدر.

قال القاضي أَبو محمد: ووقع أَن الآية فيهم في «صحيح البخاري»[(١)].

وقال ابن عباس: الإِشارة إِلى المؤمنين وأَهل الكتاب[(٢)]، وذلك أَنه وقع بينهم تخاصم، فقالت اليهود: نحن أَقدم ديناً منكم ونحو هذا، فنزلت الآية. وقال عكرمة: المخاصمة بين الجنة والنار، وقال مجاهد، وعطاءُ بن أَبي رباح، والحسن بن أَبي الحسن، وعاصم، والكلبي: الإِشارة إِلى المؤمنين والكفار على العموم[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول تعضده الآية، وذلك أَنه تقدم قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، المعنى: هم مؤمنون ساجدون، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾، ثم أَشار إِلى هذين الصنفين بقوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾، والمعنى: أَن الإِيمان وأَهله والكفر وأَهله خصمان مذ كانا إِلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب.

وقوله تعالى: ﴿خَصْمَانِ﴾ يريد: طائفتين؛ لأَن لفظة خَصْمٍ هي مصدرٌ يوصف به الجمع والواحد، ويدل على أَنه أَراد الجمع قوله تعالى: ﴿ٱخْتَصَمُواْ﴾، فإِنها قراءة الجمهور.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (اخْتَصَمَا فِي رَبِّهِم)[(٤)].

وقوله: ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ معناه: في شأْن ربهم وصفاته وتوحيده، ويحتمل أَن يريد: في رضى ربهم، وفي ذاته.

ثم بيَّن حكم الفريقين، فتوعَّد تعالى الكفَّار بعذاب جهنم.

و﴿قُطِّعَتْ﴾ معناه: جُعلت لهم بتقدير كما يفصل الثَّوب، ورُوي أَنها من نحاس، وقيل: ليس شيءٌ من الحجارة والفلز[(٥)] أَحَرَّ منه إِذا حمي.

---

(١) هو في خبرعلي السابق، وكذا في خبر أبي ذر الذي سبقت الإحالةُ عليه.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٨٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٩) والنكت والعيون للماوردي (٤/ ١٣) والهداية لمكي (٧/ ٤٨٦٢).

(٤) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢٦)، وعزا لأبي البرهسم: «اختصما في ربهما».

(٥) سقطت من المطبوع، وهو المهل كما في العين (٤/ ٥٧).

ورُوي في صَبِّ الحميم ـ وهو الماءُ المغلي ـ أنه تُضرب رؤوسهم بالمقامع، فتنكشف أَدمغتهم، فيُصَبُّ الحميم حينئذ[١].

وقيل: بل يصب الحميم أَوَّلاً فيفعل ما وصف، ثم تُضرب بالمقامع بعد ذلك.

و«الْحَمِيمُ»: الماءُ المغلي.

و«يُصْهَرُ» معناه: يُذاب، وقيل: معناه: يُعصر، وهذه العبارة قلقة، وقيل: معناه: ينضج، ومنه قول الشاعر:

.... تَصْهَرُهُ الشَّـمْسُ وَلَا يَنْصَهِرْ[٢] [السريع]

وإنما يُشْبِه فيمن قال: يعصر / أنه أَراد أَن الحميم بحرارته يهبط ـ كُلَّما يُلْقَى ـ في الجوف ويكشطه ويَسْلِتُهُ. [٤/ ٦٢]

وقد روى أَبو هريرة نحوه عن النبي ﷺ: «أَنه يَسْلِتُهُ ويَبْلُغُ به قدميه ويديه ثم يعاد كما كان»[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿يُصْهَرُ﴾، وقرأَت فرقة: (يُصَهَّر) بفتح الصاد وشدِّ الهاءِ[٤].

و«المِقْمَعَةُ» بكسر الميم: مِقْرعة من حديد يُقْمَع بها المضروب.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٥٩٠-٥٩٢).

(٢) صدره: تَرْوِي لَقىً أُلْقِيَ في صَفْصَفٍ، وهو لابن أحمر كما في كتاب العين (٨/ ٣١٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٨)، وأساس البلاغة (١/ ٢٦٠)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٦٥)، والصحاح للجوهري (٢/ ٢٨٠).

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي (٢٧٦٢) والطبري (١٨/ ٥٩٢) كلاهما من طريق عبد الله بن المبارك، عن أبي السمح، عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به. وأبو السمح، دراج، متفق على ضعفه.

(٤) وهي شاذة، عزاها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٩٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٢٧).

وقوله تعالى: ﴿أَرَادُوٓاْ﴾ رُوي فيه أَن لهب النار إِذا ارتفع رفعهم فيصلون إِلى أَبواب النار فيريدون الخروج فيُضربون بالمقامع وتردُّهم الزبانية.

ومِنْ في قوله: ﴿مِنۡهَا﴾ لابتداءِ الغاية، وفي قوله: ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ يحتمل أَن تكون لبيان الجنس، ويحتمل أَن تكون لابتداءِ غاية أيضاً، وهي بدلٌ من الأُولى.

وقوله: ﴿وَذُوقُواْ﴾ هنا حذف تقديره: ويقال لهم: ذوقوا.

و﴿ٱلۡحَرِيقِ﴾ فَعِيلٌ بمعنى مُفْعل، أَي: محرق.

وقرأ الجمهور: ﴿هَٰذَانِ﴾ بتخفيف النون.

وقرأ ابن كثير وحده: ﴿هَذَانِّ﴾ بتشديد النون، وقرأها شبلٌ[١]، وهي لغة لبعض العرب في المبهمات كاللَّذان وهَذَانِ، وقد ذكر ذلك أَبو علي[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾.

هذه الآية معادلةٌ لقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

وقرأ الجمهور: ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ [بضم الياء وشد اللام من الحُلِي.

وقرأ ابن عباس: (يَحْلَوْن)][٣] بفتح الياءِ واللام وتخفيفها، يقال: حَلِيَ الرجلُ وحَلِيَت المرأَةُ إِذا صارت ذات حَلْي، وقيل: هي من قولهم: لم يَحْلُ فلانٌ بطائِلٍ[٤].

---

(١) هي قراءة ابن كثير كما في التيسير (ص: ٧٢) وانظر العزو لشبل في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٤).

(٢) انظر الحجة للفارسي (٣/ ١٤١-١٤٢).

(٣) ساقط من المطبوع، وهي شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ٧٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٢٧).

(٤) انظر هذا المثل وشرحه في الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣١٩).

و﴿مِنۡ﴾ في قوله: ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ هي لبيان الجنس، ويحتمل أَن تكون للتبعيض.

و«الأَسَاوِر»: جمع سِوَارٍ وإِسْوَارٍ بكسر الهمزة، وقيل: أَساور جمع أَسْوِرَة، وأَسْورة جمع سِوَار.

وقرأَ ابن عباس: (من أَسْوِرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ)[١].

و«اللُّؤْلُؤُ»: الجوهر، وقيل: صغاره، وقيل: كباره، والأَشهر أَنه اسمٌ للجوهر.

وقرأَ نافع، وعاصم ـ في رواية أَبي بكر ـ: ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ بالنصب عطفاً على موضع الأَسَاوِر؛ لأَن التقدير: يُحَلَّوْنَ فيها أَسَاوِرَ، وهي قراءَة الحسن، والجَحْدَري، وسلام، ويعقوب، والأعرج، وأَبي جعفر، وعيسى بن عمر، وحمل أَبو الفتح نصبه على إِضمار فِعْل.

وقرأَ الباقون من السبعة: ﴿ولُؤْلُؤٍ﴾ بالخفض عطفاً؛ إِمَّا على لفظ الأَسَاوِرِ، ويكون اللؤلؤ في غير الأَساور، وإِمَّا على الذَّهَب لأَن الأَساور أيضاً تكون من ذهب ولؤلؤ قد جُمِعَ بعضه إِلى بعض، ورُويت هذه القراءَة عن الحسن بن أَبي الحسن، وطلحة، وابن وثاب، والأَعمش، وأَهل مكة[٢].

وثبتت في «الإِمام» أَلف بعد الواو، قاله الجَحْدَري، وقال الأَصمعي: ليس فيها أَلف[٣].

ورَوى يحيى عن أَبي بكر، عن عاصم بهمز الواو الثانية دون الأُولى، وروى

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٧).

(٢) فهما سبعيتان، إلا أن النصب لحفص أيضا، انظر التيسير (ص: ١٥٦)، والسبعة (ص: ٤٣٥)، وانظر عزو الأولى لأكثر الباقين مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٧٧)، وفي المطبوع: «وابن عمر»، دون عيسى، وفي لالاليه: «وعمر».

(٣) انظر الخلاف في ذلك في: المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص: ٤٧)، وانظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٠).

المعلَّى ابن منصور[١]، عن أَبي بكر، عن عاصم ضِدَّ ذلك[٢].

قال أَبو عليٍّ: فهمزهما، وتخفيفهما، وهمز إِحداهما دون الأُخرى جائز كله[٣].

وقرأ ابن عباس: (لِئْلِئاً) بكسر اللامين[٤].

وأَخبر عنهم بلباس الحرير لأَنها من أَكمل حالات الآخرة، وقد رُوي عن النبي ﷺ أَنه قال: «مَنْ لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[٥]، وقال ابن عباس: لا تشبه أُمور الآخرة أُمورَ الدنيا إِلَّا في الأَسماءِ فقط، وأَما الصفات فمتباينة[٦].

و﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: لا إله إلا الله، وما جرى معها من ذكر الله تعالى وتسبيحه وتقديسه، وسائر كلام أَهل الجنة من محاورة وحديث طيب، فإِنها لا تسمع فيها لاغية.

و﴿صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾: هو طريق الله تعالى الذي دعا عباده إِليه، ويحتمل أَن يريد بـ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ نفس الطريق، فأَضاف إِليه على حدِّ إِضافته في قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ﴾[الأنعام: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ﴾ الآية؛ قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ تقديره: وهم يصدُّون، وبهذا حَسُن عطف المستقبل على الماضي.

---

(١) هو المعلى بن منصور أبو يعلى الرازي، نزيل بغداد، كان ثقة صاحب سنة من كبار علماء الرأي، روى عن مالك، والليث وخلق، وتفقه على أبي يوسف، وعنه: أبو ثور، وأبو خيثمة، والبخاري في غير الصحيح، توفي سنة ٢١١هـ، تاريخ الإسلام (١٥/ ٤١١).

(٢) إبدال الأولى في التيسير (ص: ١٥٧)، وانظر الرواية الأخرى في السبعة (ص: ٤٣٥)، وجامع البيان (٣/ ١٣٧٨).

(٣) انظر الحجة للفارسي (٥/ ٢٦٨).

(٤) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٢٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٤٩٤) ومسلم (٢٠٧٣) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٦) أخرجه ابن جرير (١/ ٣٩٢) وابن أبي حاتم (٢٦٠) من طريق أبي معاوية عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء. والإسناد لين.

وقالت طائفة: الواو زائدة، ويَصُدُّونَ خبر ﴿إِنَّ﴾، وهذا مفسد للمعنى المقصود، وإنما الخبر محذوف مقدرٌ عند قوله: ﴿وَٱلْبَادِ﴾، تقديره: خَسِرُوا أَوْ هَلكوا، وجاءَ ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ مستقبلاً إِذْ هو فعل يُديمونه، كما جاءَ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ [الرعد: ٢٨] ونحوه.

وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صُدَّ رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام. وذلك أَنه لم يُعلم لهم صدٌّ قبل ذلك الجمع، إِلَّا أَن يراد: صدهم الأَفراد من الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث.

وقالت فرقة: المسجد الحرام أَراد به مكة كلها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا صحيح؛ لكنه قصد بالذكر المهم المقصود من ذلك.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿سَوَاءٌ﴾ بالرفع، وهو على الابتداءِ، و﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ خبره، وقيل: الخبر ﴿سَوَاءٌ﴾ وهو مقدم، وهو قول أَبي علي[1]، والمعنى: الذي جعلناه للناس قِبْلَةً أَو مُتَعبَّداً.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب، وهي قراءَة الأَعمش[2]، وذلك يحتمل وجهين:

أحدهما: أَن يكون مفعولاً ثانياً لـ(جَعَلَ) ويرتفع ﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ به لأَنه مصدر في معنى مُسْتَوٍ أُعمل عمل اسم الفاعل.

والوجه الثاني: أَن يكون حالاً من الضمير في ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾.

وقرأَت فرقة: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب (العاكفِ) بالخفض عطفاً على (الناس)[3].

---

(١) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٧٠).

(٢) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٧)، والسبعة (ص: ٤٣٥)، وانظر قراءة الأعمش في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٦).

(٣) وهي شاذة، ذكرها بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٦)، وقول المؤلف عطف يعني به البيان، أو هو بدل.

و«العَاكِفُ»: المقيم في البلد، و«البَادِي»: القادم عليه من غيره.

وقرأ ابن كثير في الوصل والوقف: ﴿البادي﴾ بالياءِ، ووقف أَبو عمرو بغير ياءٍ وَوَصَلَ بالياءِ، وقرأ نافع: ﴿وَٱلْبَادِ﴾ بغير ياءٍ في الوصل والوقف في رواية المسيِّبي وأَبي بكر وإِسماعيل ابني أَبي أُويس[١]، وروى ورش الوصل بالياءِ، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بغير ياءٍ وصلاً ووقفاً، وهي في الإمام بغير ياءٍ[٢].

وأَجمع الناسُ على الاستواءِ في نفس المسجد الحرام، واختلفوا في مكة:

[٤/ ٦٣] فذهب عمر بن الخطاب، وابن عباس، ومجاهد، وجماعة معهم إِلى أَن الأَمر / كذلك في دُور مكة، وأَن القادم له النزول حيث وُجِدَ، وعلى رَبِّ المنزل أَن يُؤْويه شاءَ أَو أَبى[٣]، وقال ذلك سفيان الثوري وغيره[٤]، وكذلك كان الأَمر في الصدر الأَول.

قال ابن سابط: وكانت دورهم بغير أَبواب حتى كَثُرت السرقة، فاتخذ رجل باباً فأَنكر عليه عمر وقال: أَتغلق باباً في وجه حاج بيت الله؟ فقال: إِنما أَردت حفظ متاعهم من السرقة، فتركه فاتَّخذ الناس الأَبواب[٥].

وقال جمهور من الأُمة منهم مالك: ليست الدور كالمسجد، ولأَهلها الامتناع بها والاستبداد[٦]، وعلى هذا هو العمل اليوم.

---

(١) في المطبوع والحمزوية: «بن أبي أويس»، مع أنهما أخوان، وأبو بكر: هو عبد الحميد بن أبي أويس عبد الله الأصبحي، ابن أخت الإمام مالك، يعرف بالأعشى، ثقة، أخذ القراءة عن نافع، وعنه أخوه إسماعيل والحلواني، توفي سنة ٢٣٠هـ، غاية النهاية (١/ ٣٦٠).

(٢) والأوجه الثلاثة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٥٨)، وانظر رواية غير ورش في السبعة (ص: ٤٣٦).

(٣) انظر قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد في: تفسير الطبري (١٨/ ٥٩٥-٥٩٦).

(٤) انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٦٩).

(٥) ضعيف، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٩٥) عن محمد بن حميد، عن حكام، عن عمرو، عن يزيد بن أبي زياد، عن ابن سابط فذكره، ومحمد بن حميد الرازي، ويزيد بن أبي زياد كلاهما ضعيف، وعبد الرحمن بن سابط لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

(٦) وهو قول الشافعي وأحمد في رواية، انظر المدونة (٣/ ٥٣٣)، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٤٥٠) والإنصاف للمرداوي (٤/ ٢٨٩).

وهذا الاختلاف[١] متركب على الاختلاف في مكة، هل هي عَنْوَة[٢]، كما روي عن مالك والأَوزاعي؟ أَو صُلْح كما روي عن الشافعي[٣]؟

فمن رآها صلحاً فإِن الاستواءَ في المنازل عنده بعيد، ومن رآها عَنْوة أَمكنه أَن يقول: الاستواءُ فيها قرره[٤] الأئمة الذين لم يُقطعوها أَحداً، وإِنما سُكْنى من سكن من قِبَل نفسه.

قال القاضي أَبو محمد: وظاهر قول النبي ﷺ: «وهل ترك لنا عَقِيلُ منزلاً»[٥] يقتضي أن لا استواء[٦]، وأَنها مُتَمَلَّكَةٌ ممنوعة على التأْويلين في قوله ﷺ؛ لَأنه تُؤُوِّل بمعنى: أَنه وَرِث جميع منازل أَبي طالب وغيره، وتُؤُوِّل بمعنى: أَنه باع منازل بني هاشم حين هاجروا، ومن الحجة لتملُّك أَهلها دورهم أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى من صفوان بن أُمية داراً للسجن بأَربعة آلاف[٧]، ويصح مع ذلك أَن يكون الاستواءُ في وقت الموسم للضرورة والحاجة، فيخرج الأَمر حينئذ عن الاعتبار بالعَنْوة والصلح.

---

(١) في أحمد٣: «ويتركب هذا الاختلاف»، وفي نجيبويه والإماراتية: «وهذا الخلاف».

(٢) في أحمد٣: «هل فتحت عنوة... أو صلحاً».

(٣) انظر قول مالك في: البيان والتحصيل (٣/ ٤٠٦)، وانظر قول الأوزاعي والشافعي في: الحاوي للماوردي (١٤/ ٢٢٣).

(٤) في نجيبويه والمطبوع والإماراتية: «قدَّره».

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٨٩٣) ومسلم (١٣٥١) من حديث أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، مرفوعاً، به.

(٦) في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية: «يقتضي الاستواء»، وفي لالاليه والحمزوية: «يقتضي أن الاستواء».

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٠٦) عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبد الرحمن بن فروخ، عن صفوان بن أمية به. وعلقه البخاري في صحيحه (٢٢٩١) بصيغة الجزم، بلفظ: واشترى نافع بن عبد الحارث داراً للسجن بمكة من صفوان بن أمية على أن عمر إن رضي فالبيع بيعه وإن لم يرض عمر فلصفوان أربع مئة دينار.

وقوله تعالى: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾، قال أَبو عبيدة: الباءُ زائدة، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] بِـوَادٍ يَمَـانٍ يُنْبِتُ الشَّـثَّ صَدْرُهُ وَأَسْـفَلُهُ بِالْمَـرْخِ وَالشَّـبَهَانِ(١)

ومنه قول الأَعشى:

[الكامل] ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا(٢) ....

وهذا كثير، ويجوز أَن يكون التقدير: ومَنْ يُرِدْ فيهِ الناسَ بإِلْحاد.

و«الإِلْحَادُ»: المَيْلُ، وهذا الإِلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إِلى الصغائر، فَلِعِظَم حُرمة المكان توعد الله تعالى على نِيَّـة السيئة فيه، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك إِلَّا في مكة، هذا قول ابن مسعود(٣) وجماعة من الصحابة وغيرهم.

وقال ابن عباس: «الإِلْحادُ» في هذه الآية: الشِّرك(٤).

وقال أيضاً: [هو استحلال الحرام وحرمته(٥).

وقال مجاهد: هو العمل السيِّئ فيه](٦).

وقال عبد الله بن عمرو: قَوْلُ لا والله وبلى والله بمكة من الإِلْحاد(٧).

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٤٨)، والبيت للأحول اليشكري كما تقدم في تفسير الآية **٢٤** من سورة مريم.

(٢) انظر عزوه له في تفسير الثعلبي (٧/ ١٧)، وتفسير الطبري (١٨/ ٥٩٨)، وتمامه فيهما: بينَ المَرَاجِلِ والصَّرِيحِ الأَجْرَدِ، مجاز القرآن (٢/ ٤٩)، وتهذيب اللغة (٣/ ٤٧٤)، وتتمته فيهما: ملء المراجل والصريح الأجردا، وهو الصواب؛ لأن القصيدة في الديوان منصوبة.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠١) من طريق سفيان الثوري، عن السدي ـ هو الكبير ـ، عن مرة، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٨٠٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠١) من طريق: العوفي عن ابن عباس، وحجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، وهو منقطع.

(٦) ليس في المطبوع، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٠١) ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٩٤)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٦٩).

(٧) صحيح، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠٢) من طريق شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عمرو، =

وقال حبيب بن أَبي ثابت: الحكرة بمكة من الإِلْحاد بالظلم[١].

قال القاضي أَبو محمد: والعموم يأْتي على هذا كله.

وقرأَت فرقة: (ومن يَرِدْ) من الوُرُود، حكاه الفراءُ[٢]، والأَول أَبْين وأَعم وأَمدح للبقعة.

و﴿مَن﴾ شرط جازمة للفعل، وذلك منع من عطفها على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ والله المستعان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾.

المعنى: واذكر إِذْ بَوَّأْنا، وبَوَّأَ: هي تعدية باءِ[٣] بالتضعيف.

و«باءَ» معناه: رَجَع، فكأَن المُبَوِّئَ يردُّ المُبَوَّأَ إِلى المكان، واستعملت اللفظة بمعنى: سَكَنَ.

ومنه قوله تعالى: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]، وقال الشاعر:

[مجزوء الكامل]

كَـمْ صـاحـبٍ لِـيَ صَـالِـحٍ   بَـوَّأْتُـهُ بِـيَـدَيَّ لَـحْـدَا[٤]

= رضي الله عنه، به، وفي المطبوع «ابن عمر».

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٢) والهداية لمكي (٧/ ٤٨٧٠)، وفي المطبوع: «حبيب بن أبي وثاب».

(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٣)، بلا نسبة، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢٧) لطاوس.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) البيت لعَمْرو بن معديكرب الزَّبيدي كما في كتاب العين (١/ ١٠٧)، والكامل للمبرد (٤/ ١٤)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ٥١).

واللام في قوله تعالى: ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ قالت فرقة: هي زائدة، وقالت فرقة: ﴿بَوَّأْنَا﴾ نازلةٌ منزلة فعل يتعدَّى باللام نحو: جعلنا.

قال القاضي أَبو محمد: والأظهر أَن يكون المفعول الأَول بـ﴿بَوَّأْنَا﴾ محذوفاً تقديره: الناس أَو العالم[١].

ثم قال: ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾، بمعنى: له كانت هذه الكرامة وعلى يديه بُوِّئوا.

و﴿ٱلْبَيْتِ﴾: هو الكعبة، وكان ـ فيما رُوي ـ قد جعله الله تعالى مُتَعَبَّداً لآدم عليه السلام، ثم درس بالطُّوفان وغيره، فلمَّا جاءت مُدَّة إِبراهيم أَمره الله تعالى ببنائه، فجاءَ إِلى موضعه وجعل يطلب أَثراً، فبعث الله ريحاً فكشفت له عن أَسَاس آدم فرتب[٢] قواعده عليه.

وقوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ هي مخاطبة لإِبراهيم عليه السلام في قول الجمهور حُكِيَت لنا، بمعنى قيل له: ألا يُشْرِكَ بي شيئاً.

وقرأَ عكرمة: «أن لا يُشرك بي» بالياءِ[٣] على نقل معنى القول الذي قيل له.

قال أَبو حاتم: ولا بُدَّ مِنْ نصب الكاف على هذه القراءة، بمعنى: لِئَلَّا يشرك.

قال القاضي أَبو محمد: يحتمل أَن تكون ﴿أَن﴾ في قراءة الجمهور مفسِّرة، ويحتمل أَن تكون مُخَفَّفة من الثقيلة.

وفي الآية طعن على من أَشرك من قُطَّان البيت، أَي: هذا كان الشرط على أَبِيكُمْ فَمَنْ بَعده وأَنتم، فلم تفوا بل أَشركتم.

وقالت فرقة: الخطاب من قوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ لمحمد ﷺ، وأُمِر بتطهير البيت والأَذان بالحج.

---

(١) في الأصل والحمزوية: «أو العالمين».

(٢) في نجيبويه: «فرفع»، وكذا في الأصل مع الإشارة للنسخة الأخرى في الهامش.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ٩٧)، وزاد أبا نهيك، ومع قول أبي حاتم في تفسير القرطبي (١٢/ ٧٣).

قال القاضي أَبو محمد: والجمهور على أن ذلك لإبراهيم، وهو الأَصحُّ.

و«تَطْهِير البَيْت»: عامٌّ في الكفر والبِدَع وجميع الأَنجاس والدماءِ وغير ذلك، والقائمون: هم المصلُّون، وذَكَر الله تعالى من أَركان الصلاة أَعظمَها وهي: القيام والرُّكوع والسُّجود.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَأَذِّن﴾ بشد الذال.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، وابن مُحَيْصن: (وَآذِنْ) بمدَّة وتخفيف الذال، وتصحَّف هذا على ابن جني؛ فإِنه حكى عنهما: (وَأَذِنَ) على أَنه فعل ماض، وأَعرب على ذلك بأَن جعله عطفاً على ﴿بَوَّأْنَا﴾[(١)].

ورُوي أَن إِبراهيم عليه السلام لمَّا أُمر بالأَذان بالحج قال: يا رب وإِذا ناديت فمن يسمعني؟ قيل له: نادِ يا إِبراهيم، فعليك النداءُ وعلينا البلاغ، فصعد على أَبي قُبَيْس ـ وقيل: على حجر المقام ـ ونادى: أَيُّها الناس، / إِن الله قد أَمركم بحجِّ هذا البيت [٤/ ٦٤] فحجُّوا[(٢)]، واختلفت الروايات في أَلفاظه عليه السلام، واللازم أَن يكون فيها ذكر البيت والحج، ورُوي أَنه يوم نادى أَسمع كلَّ من يحج إِلى يوم القيامة في أَصلاب الرجال، وأَجابه كل شيءٍ في ذلك الوقت من جمادٍ وغيره: لبَّيك اللهم لبَّيك، فجرت التلبية على ذلك، قاله ابن عباس وابن جبير[(٣)].

(١) وهما شاذتان، انظر الوجه الثاني في المحتسب (٢/ ٧٧)، مختصر الشواذ (ص: ٩٧)، والوجهين في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠٦) من طريق ابن واقد، عن أبي الزبير، عن مجاهد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به. وأبو الزبير مدلس.

(٣) ضعيف، الأثر أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠٦) من طريق محمد بن فضيل بن غزوان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وعطاء بن السائب، كان قد اختلط، وسماع ابن غزوان منه بعد اختلاطه، نص عليه أبو حاتم الرازي، وقال: وما روى عنه ابن فضيل ففيه غلط واضطراب، الجرح والتعديل (٦/ ٣٣٤)، وانظر قول ابن جبير في تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٦).

وقرأ جمهور الناس: ﴿بِٱلْحَجِّ﴾ بفتح الحاءِ، وقرأ ابن أَبي إِسحاق في كل القرآن بكسرها[١].

و﴿رِجَالًا﴾ جمع راجلٍ كتاجرٍ وتِجار[٢].

وقرأ عكرمة، وابن عباس، وأَبو مجلز، وجعفر بن محمد: (رُجَّالاً) بضم الراءِ وشد الجيم، ككاتب وكُتَّاب.

وقرأ عكرمة أيضاً، وابن أَبي إِسحاق: (رُجَالاً) بضم الراءِ وتخفيف الجيم، وهو قليل في أَبنية الجمع، ورُوِيَتْ عن مجاهد[٣].

وقرأ مجاهد: (رُجَالَى) على وزن فُعَالَى[٤]، فهو مثل: كُسَالَى.

و«الضَّامِرُ»: قالت فرقة: أَراد بها الناقة.

قال القاضي أَبو محمد: وذلك أَنه يقال: ناقة ضامر، ومنه قول الأَعشى:

[السريع]
عَهْـدِي بِهَا فِي الْحَـيِّ قَدْ دُرِّعَتْ   هَيْفَـاءَ مِثْـلَ الْمُهْـرَةِ الضَّامِـرِ[٥]

فيجيءُ قوله: ﴿يَأْتِينَ﴾ مستقيماً على هذا التأْويل، وقالت فرقة: «الضَّامِرُ» كل ما اتصف بذلك من جملٍ وناقة وغير ذلك.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الأَظهر، لكنه يتضمَّن معنى الجماعات أَو الرفاق، فيحسن لذلك قوله: ﴿يَأْتِينَ﴾.

---

(١) وهي شاذة في غير حرف آل عمران، انظر عزوها له في تفسير الثعلبي (٢/ ٩٤).

(٢) زاد في المطبوع: «وصاحب وصحاب»، قال في الحاشية: زيادة من القرطبي الذي نقل كلام ابن عطية منسوباً إليه هكذا.

(٣) في نجيبويه والمطبوع: «ابن مجاهد».

(٤) ثلاث قراءات شاذة، انظر عزو الأولى والثانية لأهلهما في المحتسب (٢/ ٧٨)، والثالثة فيه وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٨) لعكرمة.

(٥) انظر نسبته له في تفسير الطبري (٥/ ٤٧٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٤٥)، والإنصاف في مسائل الخلاف (٢/ ٧٧٨)، والأغاني (١٦/ ٣٠٣)، والمخصص لابن سيده (٥/ ٦٦).

وقرأ أَصحاب ابن مسعود: (يأْتُونَ)، وهي قراءة ابن أَبي عَبْلة، والضَّحَّاك[١].

وفي تقديم ﴿رِجَالًا﴾ تفضيل للمُشاةِ في الحج، قال ابن عباس: ما آسى على شيءٍ فاتني إِلَّا أَن أَكون حَججْتُ مَاشياً، فإِني سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾[٢].

وقال ابن أَبي نجيح: حجَّ إِبراهيم وإِسماعيل مَاشِيَين[٣]، واستدل بعض العلماءِ بسقوط ذكر البحر في هذه الآية على أَن فرض الحج بالبحر ساقط.

قال القاضي أَبو محمد: قال مالك في المَوَّازِيَّة: لا أَسمع للبحر ذكراً[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تأَنُّس، لا أَنه يلزم من سقوط ذكر البحر سقوط الفرض، وذلك أَن مكَّة ليست في ضفة بحر فيأْتيها الناس في السُّفن، ولا بد لمن ركب البحر أَن يصير في إِتيان مكة إِمَّا راجلاً وإِمَّا على ضامر، فإِنَّما ذُكرت حالتا الوصول، وإِسقاط فرض الحج بمجرَّد[٥] البحر ليس بالكثير ولا با لقويِّ.

فأَما إِذا اقترن به عدوٌّ أَو خوف أَو هولٌ شديد أَو مرض يلحق شخصاً ما فمالك والشافعي وجمهور الناس على سقوط الوجوب في ذلك[٦] بهذه الأعذار، وأَنه ليس

---

(١) وهي شاذة، عزاها لابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ٩٧)، ولابن أبي عبلة في زاد المسير (٣/ ٣٣٣)، وللباقين في البحر المحيط (٧/ ٥٠٢)، ووردت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٠٧-٦٠٨) من طريق الحجاج بن أرطاة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، والحجاج متفق على تضعيفه، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣١) من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وعطاء: هو ابن أبي مسلم الخراساني، قال أحمد: لم يسمع من ابن عباس شيئاً، انظر: جامع التحصيل (٥٢٢) وابن جريج لم يسمع من عطاء إنما هو كتاب نظر فيه.

(٣) هو قول مجاهد رواه عنه ابن أبي نجيح. تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٨).

(٤) انظر قول مالك في الموازية في: النوادر (٢/ ٣٢٠).

(٥) في المطبوع زيادة: «عدم ذِكْر» قال في الحاشية زيادة للتوضيح وسلامة التعبير.

(٦) «في ذلك»: من نجيبويه وكذا المطبوع، وسقطت منه: «بهذه الأعذار».

بسبيل يُستطاع[١]، وذكر صاحب كتاب «الاستظهار» في هذا المعنى كلاماً ظاهره: أَن الوجوب لا يُسقطه شيءٌ من هذه الأَعذار[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيفٌ.

و«الفَجُّ»: الطريق الواسعة، و«العَمِيقُ» معناه: البعيد، وقال الشاعر:

[الطويل] إِذا الْخَيْلُ جاءَتْ مِنْ فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ   يَمُدُّ بِهَا فِي السَّيْرِ أَشْعَثُ شَاحِبُ[٣]

و«الْمَنَافِعُ» في هذه الآية: التجارة في قول أَكثر المتأَولين، ابن عباس[٤] وغيره، وقال أَبو جعفر محمد بن علي: أَراد الأَجر ومَنافِعَ الآخرة، وقال مجاهد بعموم الوجهين[٥].

وقوله تعالى: ﴿ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾، يصح أَن يريد بالاسم هاهنا المُسمَّى، بمعنى: ويَذْكُرُوا اللهَ، على تجوُّز في هذه العبارة، إِلَّا أَن يقصد ذكر القلوب، ويحتمل أَن يريد بالاسم التسميات.

وذكر الله تعالى إِنما هو بذكر أَسمائه، ثم يذكر القلب السلطان والصفات، وهذا كله على أَن يكون الذِّكْر بمعنى حمده وتقديسه شكراً على نعمته في الرِّزق، ويؤيده قوله ﷺ: «إِنها أَيام أَكل وشرب وذكر الله»[٦].

وذهب قوم إِلى أَن المراد: ذكْر اسم الله تعالى على النحر والذبح، وقالوا: إِن في

---

(١) للتوسع انظر: المعونة في مذهب مالك (١/ ٣١٥-٣١٧)، الحاوي للماوردي (٤/ ٦-١٤)، والإقناع (٧٦٠-٧٦١).

(٢) لم أَقف عليه فيه.

(٣) استشهد به في البحر المحيط (٧/ ٤٧٨)، والدر المصون (٨/ ٢٦٧)، وغيرهما بلا نسبة.

(٤) أَخرجه الطبري (١٨/ ٦٠٩) من طريق أَبي حمزة، عن جابر بن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهو تخليط، صوابه: جابر عن الحكم، وجابر، هو ابن يزيد الجعفي، والحكم هو ابن عتيبة، وأَبو حمزة هو السكري، وجابر متفق على ضعفه.

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٩) وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ١٨٩).

(٦) أَخرجه مسلم (١١٤١) من حديث نُبَيشَةَ الهُذَلي، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

ذكر الأَيام دليلاً على أَن الذبح في اللَّيل لا يجوز، وهو مذهب مالك وأَصحاب الرأْي[١].

وقال ابن عباس: الأَيام المعلومات هي أَيام العشر، ويوم النحر، وأَيام التشريق[٢].

وقال ابن سيرين: بل[٣] هي أَيام العشر فقط.

وقالت فرقة: بل أَيام التشريق، ذكره القتبي[٤].

وقالت فرقة فيها مالك وأَصحابه: بل الأَيام المعلومات يوم النحر، ويومان بعده، وأَيام التشريق الثلاثة، هي المعدودات، فيكون يوم النحر معلوماً لا معدوداً، واليومان بعده معلومان معدودان[٥]، والرابع معدود لا معلوم[٦].

قال القاضي أَبو محمد: وحمل هؤلاء على هذا التفصيل أَنهم أَخذوا ذكر اسم الله هنا على الذبح للأَضاحي والهَدْي وغيره، فاليوم الرابع لا يُضَحَّى فيه عند مالك وجماعة، وأَخذوا التَّعجل والتأَخُّر بالنَّفْر في الأَيام المعدودات[٧].

---

(١) انظر مذهب مالك في: الإشراف للقاضي عبد الوهاب (٢/ ٢٤٩)، أما الحنفية فما ذكره المؤلف عنهم من عدم الجواز لم أقف عليه، والذي وقفت عليه منسوباً لهم هو: القول بكراهة الذبح ليلاً مع إجزائه عندهم. انظر قولهم في: الهداية مع تكملة شرح فتح القدير (٩/ ٥١٣)، وقد قال أحمد في رواية بمثل قول مالك، انظر الرواية عن أحمد في: الإفصاح (١/ ٢٦٥).

(٢) صحيح: أخرجه ابن جرير الطبري وغيره (٤/ ٢٠٨) من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما مقتصراً على قوله «أيام التشريق».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) انظر غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٢٩٢)، والتمهيد لأبي عمر (١٢/ ١٣٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٧٨) ولم أقف على قول ابن سيرين.

(٥) في المطبوع: «معلومات ومعدودات».

(٦) انظر قول مالك في الإشراف للقاضي عبد الوهاب (٢/ ٢٤٩)، والتمهيد (٢٣/ ١٩٦)، وهو قول أبي حنيفة كمافي حلية العلماء (٣/ ٣٢٠)، وقول أحمد كما في المغني (١١/ ١١٣-١١٤).

(٧) وهي تطلق بإجماع العلماء على الأيام الثلاثة التي تلي يوم النحر، انظر نقل الإجماع على ذلك في: الإقناع (٢/ ٨٦٧-٨٦٨).

فتأَمل هذا يَبِن لك قصدهم، ويظهر أَن تكون المعدودات والمعلومات بمعنى، أَي تلك الأَيام الفاضلة كلها، ويبقى أَمر الذبح وأَمر الاستعجال لا يتعلق بمعدود ولا بمعلوم.

وتكون فائدة قوله: ﴿مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ و﴿مَّعۡدُودَٰتٍ﴾[١] التحريض على هذه الأيام وعلى اغتنام فضلها؛ أي: ليست كغيرها، فكأَنه قال: هي مخصوصات فَلْتُغْتَنَم.

وقوله: ﴿فَكُلُواْ﴾ نَدْبٌ، واستحبَّ أَهل العلم للرجل أَن يأْكل من هديه[٢] وأَضحيته وأن يتصدَّق[٣] بأَكثرها، مع تجويزهم الصدقة بالكلِّ، وأَكل الكل[٤].

و﴿ٱلۡبَآئِسَ﴾: الذي قد مسَّه ضُرُّ الفاقة وبؤسها، يقال: بأَس الرجل يبؤُس، وقد يستعمل فيمن نزلت به نازلة دهر وإِن لم تكن فقراً، ومنه قوله ﷺ: «لكن البائس سعد ابن خولة»[٥]، والمراد في هذه الآية: أَهل الحاجة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) جاءت هذه اللفظة في الآية (١٨٤) من سورة البقرة.

(٢) وذلك مجمع عليه في هدي التطوع، مختلف فيه في غيره، انظر: الإقناع (٢/ ٨٦٠)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٣٩٥).

(٣) في المطبوع: «التَّصدُّق»، مع التنبيه في الحاشية على النسخة الأخرى.

(٤) للتوسع انظر: بداية المجتهد (١/ ٤٣٨)، والمحلى (٧/ ٣٨٣)، والمغني (١١/ ١٠٨-١٠٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٣٣) ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

اختلفت القراءَة في سكون اللام من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ وفي تحريك جميع ذلك بالكسر، وفي تحريك ﴿لِيَقْضُواْ﴾ وتسكين الاثنتين، وقد / تقدم في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [الحج: ١٥ - مريم: ٧٥][١] توجيه جميع ذلك. [٤/ ٦٥]

و«التَّفَثُ»: ما يفعله المُحْرِم عند حلِّه؛ من تقصير شعره، وحلقه، وإِزالة شعث، ونحوه من إِقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث[٢]، وفي ضمن ذلك قضاءُ جميع مناسكه؛ إِذْ لا يُقضى التفَث إِلَّا بعد ذلك.

وقرأَ عاصم وحده في رواية أَبي بكر: ﴿وَلْيُوَفُّوا﴾ بفتح الواو وشدِّ الفاءِ[٣]، ووَفَّى وأَوفى لغتان مستعملتان في كتاب الله تعالى، وأَوْفَى أَكثر[٤].

و«النُّذُور»: ما معهم من هدْي وغيره، و«الطَّوافُ» المذكور في هذه الآية: هو طواف الإِفاضة الذي هو من واجبات الحج.

قال الطبري: لا خلاف بين المتأَولين في ذلك[٥]، قال مالك: هو واجب يرجع تاركه من وطنه إِلَّا أَن يطوف طواف وداع فإِنه يجزيه منه[٦].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل بحسب الترتيب أَن تكون الإِشارة إِلى طواف الوداع؛ إِذ المستحسن أَن يكون ولا بد.

---

(١) وحاصله أنه قرأ ورش وقنبل وأبو عمرو وابن عامر ﴿ثم لِيَقضوا﴾ بكسر اللام، وابن ذكوان (وليوفوا)، و(ليطوفوا) بكسر اللام فيهما، والباقون بإسكان اللام في الأربعة، انظر: التيسير (ص: ١٥٦)، وانظر: السبعة (ص: ١٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٥٠) ومسلم (٢٥٧) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٣) انظر: التيسير (ص: ١٠٦).

(٤) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة (ص: ٤٧٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦١٥).

(٦) انظر: الكافي لابن عبد البر (١/ ٣٦٠-٣٦١).

وقد أَسند الطبري عن عمرو بن أَبي سلمة[١] قال: سأَلت زهيراً[٢] عن قوله تعالى: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ فقال: هو طواف الوداع[٣]، وقاله مالك في «الموطأ»[٤].

واختلف المتأَولون في وجه صفة البيت بالعتيق:

فقال مجاهد، والحسن: «العَتيق»: القديم، يقال: سيف عتيق، وقد عَتُق الشيءُ[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول يعضده النظر؛ إِذ هو أَول بيت وضع للناس، إِلَّا أَن ابن الزبير قال: سُمِّي عتيقاً لأَن الله تعالى أَعتقه من الجبابرة بمنعه إِياه منهم[٦]، ورَوَى في هذا حديثاً عن النبي ﷺ[٧]، ولا نظر مع الحديث.

---

(١) هو عمرو بن أبي سلمة التنيسي أبو حفص الهاشمي، مولاهم الدمشقي، نزيل تنيس، روى عن الأوزاعي، وزهير بن محمد التميمي، وعنه: عبد الله المسندي، والشافعي ومات قبله بزمان، ضعفه ابن معين، ووثقه جماعة، وتوفي (١١٤هـ)، تاريخ الإسلام (١٥/ ٣٢٣).

(٢) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ: سألت زيداً، واخترنا ما يوافق الطبري»، وهو زهير بن محمد، التميمي، أبو المنذر الخرقي، نزل الشام ثم الحجاز، وروى عن: عبد الله بن محمد بن عقيل، وابن المنكدر، وزيد بن أسلم، وعنه ابن مهدي، والطيالسي، قال أحمد: متقارب الحديث، وعن ابن معين: ضعيف، وقال عثمان الدارمي: ثقة له أغاليط، توفي سنة (١٦٢هـ)، تاريخ الإسلام (١٠/ ١٩٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦١٦).

(٤) في المطبوع: «قال مالك»، على أن مقوله ما يأتي، وذلك خطأ، وانظر الموطأ (١/ ٣٦٩).

(٥) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٠٣)، وتفسير الطبري (١٨/ ٦١٥).

(٦) منقطع، والصحيح أنه مرسل، أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٨)، ومن طريقه ابن جرير (١٨/ ٦١٤) في تفسيرهما، من طريق معمر، عن الزهري، أن ابن الزبير قال...فذكره، وهذا منقطع بين الزهري وابن الزبير، وانظر التخريج الآتي.

(٧) مرسل، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٠١) والترمذي (٣٤٤٢) من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عبد الرحمن بن خالد، عن الزهري، عن محمد بن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وعبد الله بن صالح، هو كاتب الليث، لين الحديث، وقد خولف فيه، فرواه قتيبة بن سعيد، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن النبي ﷺ، مرسلاً به، وهذا أصح، وقال أبو حاتم الرازي ـ كما في العلل لابنه (١/ ٢٧٥): لا يحتمل أن يكون عن النبيّ ﷺ مرفوع.

وقالت فرقة: سُمِّي عتيقاً لأَنه لم يُملك موضعه قط، وقالت فرقة: سُمِّي عتيقاً لأَن الله تعالى يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يردُّه التصريف.

وقيل: سُمِّي عتيقاً لأَنه أُعتق من غرق الطوفان، قاله ابن جبير[١].

ويحتمل أَن يكون الْعَتِيق صفة مدح تقتضي جودة الشيء، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حَمَلْتُ على فرس عتيق[٢] الحديث، ونحوه قولهم: كلام حر وطين حر[٣].

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يحتمل أَن يكون في موضع رفع بتقدير: فَرْضُكم ذلك، أَو الواجب ذلك، ويحتمل أَن يكون في موضع نصب بتقدير: امتثلوا ذلك، ونحو هذا الإِضمار، وأَحسن الأَشياءِ مضمراً أَحسنها مُظهراً، ونحو هذه الإِشارة البليغة قول زهير:

هَـذَا وَلَيْـسَ كَمَنْ يعطـى بِخُطَّتِهِ وَسْطَ النَّدِيِّ إِذا مَا نَاطِقٌ نَطَقَا[٤] [البسيط]

و«الْحُرُمَاتُ» المقصودة هاهنا هي أَفعال الحج المشار إِليها في قوله: ﴿لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾، ويدخل في ذلك تعظيم المواضع، قاله ابن زيد وغيره[٥].

ووعد على تعظيمها بعد ذلك تحريضاً وتحريصاً، ثم لفظ الآية ـ بعد ذلك ـ يتناول كل حرمة لله تعالى في جميع الشرع.

---

(١) نقله عنه في الهداية (٧/ ٤٨٨١)، ومثله في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٢٤)، بلا نسبة.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٢٠) من قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، به.

(٣) «وطين حر» ليست في المطبوع.

(٤) انظر نسبته له في نقد الشعر (ص: ٢٣)، وزهر الآداب للحصري (٢/ ١٠٧)، والحماسة المغربية (١/ ١٣٢)، والعمدة لابن رشيق (٢/ ١٣٤)، وفي أحمد٣ بدل يعطى: «تعيا»، وفي نجيبويه ولالاليه: «يعنى»، وفي المطبوع ونور العثمانية: «يعيا».

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٦١٧) والهداية لمكي (٧/ ٤٨٨٢).

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ﴾ ظاهره أَنها ليست للتفضيل، وإِنما هي عِدَةٌ بخير، ويحتمل أَن يجعل ﴿خَيْرٌ﴾ للتفضيل على تجوُّز في هذا الموضع.

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ﴾ إِشارة إِلى ما كانت العرب تفعله من تحريم أَشياءَ برأْيها كالبحيرة والسائبة، فأَذهب الله تعالى جميع[1] ذلك، وأَحلَّ لهم جميع الأنعام إِلَّا ما يُتلى عليهم في كتاب الله تعالى في غير موضع، ثم أَمرهم باجتناب الرِّجس من الأَوثان، والكلام يحتمل معنيين:

أحدهما: أَن تكون ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس، فيقع نهيه عن رجس الأَوثان [فقط، وتبقى سائر الأَرجاس][2] فيقع نَهْيُها في غير هذا الموضع.

والمعنى الثاني: أَن تكون ﴿مِنَ﴾ لابتداءِ الغاية، فكأَنه نهاهم عن الرِّجس عامّاً ثم عيَّن لهم مبدأَه الذي منه يلحقهم؛ إِذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس، ويظهر أَن الإِشارة إِلى الذبائح التي كانت للأَوثان، فيكون هذا مما يتلى عليهم. ومن قال: إِن ﴿مِنَ﴾ للتبعيض قَلَب معنى الآية وأَفسده.

والمروي عن ابن عباس[3]، وابن جُريج: أَن الآية نهي عن عبادة الأوثان[4].

و﴿ٱلزُّورِ﴾ عامٌّ في الكذب والكفر، وذلك أَن كلَّ ما عدا الحق فهو كذب وباطل وزور.

وقال ابن مسعود، وأَيمن بن خُرَيْم[5]: إِن رسول الله ﷺ قال: «عدلت شهادة الزُّور بالشِّرك»، وتلا هذه الآية[6].

---

(١) من نجيبويه والمطبوع.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٦١٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦١٨) والهداية لمكي (٧/ ٤٨٨٣).

(٥) هو أيمن بن خريم بن الأخرم بن شدّاد الأسديّ، الشاعر أسلم يوم الفتح، وهو غلام يفعة، روى عن عن أبيه وعمّه، الإصابة (١/ ٣١٦)، والشعر والشعراء (١/ ٥٣٣)، وفي الأصل والإماراتية بدلا منه: «ابن جريج».

(٦) ضعيف، الحديث أخرجه الإمام أحمد (٢٩/ ١٤٥) والترمذي (٢٤٥٣) والطبري في تفسيره =

و«الزورُ» مشتق من الزَّوَر وهو الميل، ومنه في جانب فلان زَوَرٌ، ويظهر أَن الإِشارة إِلى[1] زُور أَقوالهم في تحريم وتحليل ممَّا كانوا قد شَرَّعوه في الأنعام.

و﴿حُنَفَآءَ﴾: معناه: مستقيمين، أَو مائلين إِلى الحق بحسب أَن لفظة الْحَنَف من الأَضداد، تقع على الاستقامة وتقع على الميل، و﴿حُنَفَآءَ﴾: نصب على الحال.

وقال قوم: ﴿حُنَفَآءَ﴾ معناه: حُجَّاجاً.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تخصيص لا حُجَّة معه.

و﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ﴾: يجوز أَن تكون حالاً أُخرى، ويجوز أَن تكون صفة لقوله: ﴿حُنَفَآءَ﴾.

ثم ضرب تعالى مثلاً للمشرك بالله، أَظهره به في غاية السقوط، ويحتمل الهول والانبتات من النجاة، بخلاف ما ضرب للمؤمن في قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومثله قول علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: «إِذا حدَّثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أَخِرَّ من السماء إِلى الأَرض أَهون عليَّ من أَن أَكذب عليه» الحديث[2].

وقرأَ نافع وحده: ﴿فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ﴾ بفتح الخاءِ وشد الطاءِ على حذف تاء التفعل.

= (١٨/ ٦١٩) من طريق سفيان بن زياد العصفري، عن فاتك بن فضالة، عن أيمن بن خريم، مرفوعاً، به. قال الترمذي: هذا حديث إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد. وقد اختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد، ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ﷺ.اهـ، قلت: وكذلك في إسناده: فاتك بن فضالة، وهو مجهول.

(١) في الأصل: «في».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤١٥) ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، به.

وقرأَ الباقون: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ بسكون الخاءِ وتخفيف الطاءِ[١].

وقرأَ الحسن فيما رُوي عنه: ﴿فَتِخِطَّفُهُ﴾ بكسر التاءِ والخاءِ وفتح الطاءِ مشددة، وقرأَ الحسن أيضاً وأَبو رجاءٍ بفتح التاءِ وكسرِ الخاء والطاءِ وشدها، وقرأَ الأَعمش: (مِنَ السَّمَاءِ تَخْطَفُهُ) بغيرِ فاء، وعلى نحو قراءَة الجماعة[٢].

وعطف المستقبل على الماضي لأَنه بتقدير: فهو تَخْطَفُهُ الطير.

وقرأَ أَبو جعفر: ﴿الرِّيَاحُ﴾[٣].

و«السحيق»: البعيد، ومنه قولهم: أَسْحَقَهُ اللهُ، ومنه قوله ﷺ: «فَأَقُولُ سُحْقاً سُحْقاً»[٤]، ومنه: نَخْلَةٌ سحوق؛ للبعيدة في السماء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ / إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾. [٤/ ٦٦]

التقدير في هذا الموضع: الأَمر ذلك، و«الشَّعَائِرُ»: جمع شعيرة، وهو كلُّ شيءٍ لله تعالى فيه أَمْرٌ أَشْعَرَ به وأَعْلَم.

وقالت فرقة: قصد بالشعائر في هذه الآية الهَدْي والأَنعام المشعرة، ومعنى تعظيمها:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٤٣٦)، التيسير (ص: ١٥٧).

(٢) ثلاث قراءات شاذة، انظر الأولى والثانية في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٨)، وتابعه على الثالثة في الدر المصون (٨/ ٢٧١).

(٣) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٢٥٥)

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٢١٢) من حديث سهل بن سعد، ومسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

التسمين[١] والاهتبال بأَمرها والمغالاة[٢] بها، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد، وجماعة[٤].

وعود الضمير في ﴿إِنَّهَا﴾ على التعظمة والفَعْلة التي تضمنها الكلام.

وقرئ (القلوبُ) بالرفع[٥] على أَنها فاعلة بالمصدر الذي هو ﴿تَقْوَى﴾.

ثم اختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ الآية:

فقال مجاهد وقتادة: أَراد أَن للناس في أَنعامهم منافع من الصوف واللبن وغير ذلك ما لم يبعثها ربُّها هدياً، فإِذا بعثها فهو الأَجَلُ المُسَمَّى[٦]، وقال عطاءُ بن أَبي رباح: أَراد لكم في الهَدْيِ المبعوث منافع من الركوب والاحتلاب لمن اضطر[٧]، والْأَجَلُ الْمُسَمَّى: نحرها، وتكون ﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الجُمَل؛ لأَن المَحِلَّ قبل الأَجل، ومعنى الكلام عند هاتين الفرقتين: ثمَّ مَحِلُّها إِلى موضع النحر، فذكر البيت لأَنه أَشرف الحرم، وهو المقصود بالهَدْيِ وغيره.

وقال ابن زيد، وابن عمر، والحسن ومالك[٨]: الشعائر في هذه الآية مواضع الحج كلها ومَعَالمه بمنى، وعرفة، والمزدلفة، والصفا، والمروة، والبيت، وغير ذلك[٩].

وفي الآية التي تأْتي أَن البُدْن من الشعائر.

---

(١) في الأصل: «تسميتها»، ولعلها محرفة عن تسمينها.

(٢) في لالاليه: «المعادة».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٢١) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وابن أبي ليلى، ضعيف الحديث.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢١)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٣).

(٥) وهي شاذة، تابعه عليها القرطبي في تفسيره (١٢/ ٥٦) غير معزوة.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧٨)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٨٥).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٤)، والهداية لمكي (٧/ ٤٨٨٦).

(٨) في المطبوع: «تلك»، بدل مالك.

(٩) قول ابن عمر لم أقف عليه، وانظر قول مالك في: البيان والتحصيل (٣/ ٤٢٢)، والباقين في تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٢).

و«الْمَنَافِعُ»: التجارة وطلب الرِّزق، ويحتمل أَن يريد كسب الأَجر والمغفرة، وبكلٍّ احتمال قالت فرقة، و«الأَجلُ»: الرجوع إِلى مكة لطواف[١] الإفاضة.

وقوله تعالى: ﴿مَحِلُّهَآ﴾ مأْخوذٌ من إِحْلال المُحْرِم معناه، ثم أَخَّر هذا كله إِلى طواف الإِفاضة بالبيت العتيق، فالبيت ـ على هذا التأْويل ـ مراد بنفسه، قاله مالك في «الموطأ»[٢].

ثم أَخبر تعالى أَنه جعل لكل أُمة من الأمم مَنْسكاً، أَي موضع نُسُك وعبادة، ثم أَن المَنْسَك ظرفٌ كالمذبح ونحو هذا، ويحتمل أَن يريد المصدر، كأَنه قال: عبادة ونحوها، و«النَّاسِكُ»: العابد، وقال مجاهد: سُنَّة في إِراقة دماءِ الذبائح[٣].

وقرأَ معظم القراءِ: ﴿مَنسَكًا﴾ بفتح السين، وهو من: نَسَك ينْسُك بضم السين في المستقبل، وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿مَنْسِكاً﴾ بكسر السين[٤]، قال أَبو علي[٥]: الفتح أَولى؛ لأَنه إما المصدر وإِما المكان وكلاهما مفتوح، والكسر في هذا من الشَّاذِّ في اسم المكان أَن يكون «مَفْعِل» من: فَعَلَ يَفْعُلُ، مثل مَسْجِد، من: سَجَدَ يَسْجُدُ، ولا يسوغ فيه القياسُ، ويشبه أَن الكسائي سمعه من العرب[٦].

وقوله: ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ معناه: أَمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله، وأَن يكون الذبح له؛ لأَنه رازق ذلك، ثم رجع اللفظ من الخبر عن الأُمم إِلى إِخبار الحاضرين بما معناه: فالإِله واحد لجميعكم بالأَمر، فكذلك الأمر في الذَّبيحة إِنما ينبغي أَن تُخلص له.

و﴿أَسْلِمُواْ﴾ معناه: لِحَقِّه ولِوَجْهِه ولإِنْعَامِه آمنوا وأَسْلموا، ويحتمل أَن يريد الاستسلام.

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «وطواف».
(٢) انظر: الموطأ (١/ ٣٦٩).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٩٢).
(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٣٦)، والتيسير (ص: ١٥٧).
(٥) في نجيبويه والمطبوع: «أبو الفتح»، وهو خطأ فهذه القراءة غير شاذة بل سبعية.
(٦) انظر الحجة للفارسي (٥/ ٢٧٨).

ثم أَمر تبارك وتعالى نبيَّه ﷺ أن يبشِّر بشارة على الإِطلاق، وهي أَبلغ من المفسَّرة لأَنها مرسلة مع نهاية التخيل.

و﴿ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾: المتواضعين الخاشعين من المؤمنين، و«الخَبْتُ»: ما انخفض من الأَرض، و«المُخْبِتُ»: المتواضع الذي مشيه متطامن، كأَنه في حدورٍ من الأَرض.

وقال عمرو بن أَوْسٍ[١]: «المُخْبِتُون»: الذين لا يَظْلِمُون، وإِنْ ظُلِمُوا لم ينتصروا[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا مثال[٣] شريف من خلق المؤمن الهيِّن اللَّيِّن.

وقال مجاهد: هم المطمئنون بأَمر الله[٤]، ووصفهم تعالى بالخوف والوجل عند ذكر الله، وذلك[٥] لِقُوَّة يقينهم ومراعاتهم لربِّهم وكأَنهم بين يديه، ووصفهم تبارك وتعالى بالصَّبر والصَّلاة وإِقامة الصَّلاة وإِدامتها.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بالخفض، وقرأَ ابن أَبي إِسحاق، والحسن: (الصَّلَاةَ) بالنصب على توهم النون، وأَن حذفها للتخفيف، ورُويت عن أَبي عمرو[٦].

وقرأَ الأعمش: (والمقيمين الصلاة) بالنون والنصب في (الصلاة).

وقرأَ الضحاك: (وَالْمُقِيمَ الصَّلَاة)[٧].

---

(١) في حاشية المطبوع: في الأصول: عمرو بن أُويس، وفي بعض النسخ: عمرو بن أبي أويس، وهو: عمرو بن أَوْس بن أبي أَوْسٍ، الثقفي الطائفي، تابعي كبير، من الثانية، قال ابن حجر: وَهِمَ من ذكره في الصحابة، مات بعد التسعين، الإصابة (٥/ ٢٢١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٩)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٢)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٣٩).

(٣) في لالاليه: «مقام».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٨)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٢)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٣٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٩٨).

(٥) في نجيبويه والمطبوع: «وتلك».

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في: المحتسب (٢/ ٧٩)، وسقط «الحسن» من الأصل.

(٧) وهما شاذتان، عزا الثانية للضحاك في الشواذ للكرماني (ص: ٣٢٩)، والأولى لابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ٩٧).

ورُوي أَن هذه الآية ـ قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ ـ نزلت في أَبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ رضي الله تعالى عنهم[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

(البُدْن): جمع بَدَنَة، وهي ما أُشعر من ناقة أَو بقرة، قاله عطاءٌ وغيره، وسميت بذلك لأَنها تَبْدُن، أَي تَسْمَن، وقيل: بل هذا الاسم خاص بالإِبل.

وقالت فرقة: «البُدْنُ»: جمع بَدَن ـ بفتح الدال والباء ـ، ثم اختلفت، فقال بعضها: البُدْن مفردٌ اسْمُ جنس يُراد به العظيم السمين من الإِبل والبقر، ويقال للسمين من الرِّجال: بَدُن، وقال بعضها: البُدْن جمع بَدَنَـةٍ كـثَمَرَةٍ وثُمْر، وقرأَ الجمهور: ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ ساكنة الدال.

وقرأَ أبو جعفر، وشيبة، والحسن، وابن أَبي إِسحاق: (والبُدُنَ) بضم الدال[٢]، فيحتمل أَن يكون جمع بَدَنَة كثُمُر، وعدَّد الله تعالى في هذه الآية نِعمه على الناس في هذه البُدْن، وقد تقدم القول في الشعائر.

و«الْخَيْرُ»: قيل فيه ما قيل في المنافع التي تقدم ذكرها، والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا﴾ يريد: عند نحرها.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿صَوَآفَّ﴾ بفتح الفاءِ وشدها، جمع صافَّةٍ، أَي: مصطفة[٣] في قيامها.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهي شاذة، عزاها في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٧٠) لهم إلا شيبة، وفي نجيبويه والمطبوع: «ابن جعفر».

(٣) في المطبوع: «مطيعة».

وقرأَ الحسن، ومجاهد، وزيد بن أَسلم، وأَبو موسى الأَشعري، وشقيق، وسليمان التيمي، والأَعرج: (صَوَافِي) جمع صافية، أَي: خالصة لوجه الله تعالى، لا شركة فيها لشيءٍ / كما كانت الجاهلية تشرك. [٤/ ٦٧]

وقرأَ الحسن أيضاً: ﴿صَوَافٍ﴾ بكسر الفاءِ وتنوينها مخففة، وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت الياءُ تخفيفاً على غير قياس، وفي هذا نظر.

وقرأَ ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وأَبو جعفر محمد بن علي: (صَوَافِنَ) بالنون[1] جمع صافِنَةٍ، وهي التي قد رفعت إِحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب.

والصافن من الخيل: الرافع ـ لفَرَاهِيَتِه [2]ـ إحدى يديه، وقيل: إحدى رجليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: ٣١]، وقال عمرو بن كلثوم:

تَـرَكْـنَـا الْخَيْـلَ عَـاكِفَـةً عَـلَـيْـهِ ... مُـقَلَّـدَةً أَعِـنَّـتُـهـا صُـفُـونَـا[3] [الوافر]

و﴿وَجَبَتْ﴾ معناه: سقطت بعد نحرها، ومنه: وجبت الشمس، ومنه قول أَوْس ابن حجر:

أَلَمْ تُكْسَفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ وَالـ ... كَوَاكِـبُ لِلْجَبَـلِ الْوَاجِـبِ[4] [المتقارب]

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ﴾ ندبٌ، وكل العلماءِ يستحب أَن يأْكل الإِنسانُ من هديه، وفيه أَجرٌ وامتثال؛ إِذ كان أَهل الجاهلية لا يأْكلون من هديهم.

---

(١) والثلاث شاذة، انظر عزو الأولى والثالثة في المحتسب (٢/ ٨٠)، والثانية في مختصر الشواذ (ص: ٩٨) بلا نسبة، وعزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٢٩) لأصحاب عبد الله.

(٢) في أحمد٣ والمطبوع ولالاليه: «لفراهته».

(٣) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٢١)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٣١٨)، ومجاز القرآن (١/ ٤٠٤).

(٤) عزاه له: تفسير الطبري (١٨/ ٦٣٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٥١)، وكتاب العين (١/ ١٧٠)، وسمط اللآلي (١/ ١٣٤).

وقال مجاهد، وإِبراهيم، والطبري: هي إِباحة[١].

و﴿ ٱلْقَانِعَ ﴾: السائل، يقال: قَنَع الرجل يَقْنَع قُنوعاً إِذا سأَل، بفتح النون في الماضي، وقنِع بكسر النون يَقْنَع قناعة فهو قَنِعٌ؛ إِذا تعَفَّفَ واستغنى بِبُلْغَتِهِ، قاله الخليل[٢].

ومن الأَول قول الشماخ:

[الوافر] لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَه أَعَفُّ مِنَ الْقُنُوعِ[٣]

فَمُحَرِّرُو القول من أَهل العلم قالوا: ﴿ ٱلْقَانِعَ ﴾: السائل، و(المعترّ): المتعرض[٤] من غير سؤالٍ، قاله محمد بن كعب القرظيُّ، ومجاهد، وإِبراهيم، والكلبي، والحسن ابن أَبي الحسن[٥].

وعكست فرقة هذا القول، حكى الطبري، عن ابن عباس أَنه قال: ﴿ ٱلْقَانِعَ ﴾: المستغني بما أَعطيته، و(المُعْتَرُّ) هو المتعرض[٦].

وحكى عنه أَنه قال: ﴿ ٱلْقَانِعَ ﴾: المُتَعَفِّف، و(المُعْتَرّ): السائل[٧].

وحكي عن مجاهد أَنه قال: القَانِع: الجارُ وإِن كان غنيّاً.

وقرأَ أَبو رجاءٍ (القنع)[٨].

---

(١) انظر قول مجاهد وإبراهيم والطبري في: تفسير الطبري (١٨/ ٦١١).

(٢) العين (١/ ١٧٠)، و«ببلغته» سقطت من الأصل.

(٣) انظر نسبته له في مجاز القرآن (٢/ ٥١)، والاختيارين للأخفش (ص: ٩٠)، والعين (١/ ١٧٠)، وإسفار الفصيح (١/ ٤١٤).

(٤) سقطت من نجيبويه، وفي المطبوع والإماراتية ونور العثمانية ولالاليه: «المعترض».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٣٦ و٦٣٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٧).

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٣٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٣٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وانظر فيه قول مجاهد أيضاً.

(٨) وهي شاذة، انظر عزوها له مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٨٠).

فعلى هـذا التأْويـل معنـى الآيـة: أَطعمـوا المتعفـف الـذي لا يأْتـي متعرضـاً والمتعرض[١].

وذهب أَبو الفتح ابن جنِّي إِلى أَنه أَراد القَانِع فحذف الأَلف تخفيفاً، وهذا بعيد؛ لأَن توجيهه على ما ذكرته آنفاً أَحسن، وإِنما يُلْجَأُ إِلى هذا إِذا لم توجد مندوحة[٢].

وقرأَ أَبو رجاءٍ، وعمرو بن عُبيد: (المعتري) [٣]، والمعنى واحد، ويروى عن أَبي رجاءٍ: (المُعتَر) بتخفيف الراء[٤]، وقال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا الْمُعْتَـرُّ يَغْشَى بِلَادَنَـا لِنَمْنَعَـهُ بِالضَّائِـعِ الْمُتَهَضَّـمِ[٥] [الطويل]

وذهب ابن مسعود إِلى أَن الهديَ أَثْلاث[٦]، فقال جعفر بن محمد عن أَبيه: أُطعم القانع والمُعْتَر ثلثاً، والبائس الفقير ثلثاً، وأَهلي ثلثاً، وقال ابن المسيِّب: ليس لصاحب الهَدْي منه إِلَّا الرُّبع[٧].

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله على جهة الاستحسان لا على الفرض.

ثم قال: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾، أَي: كما أَمرتكم فيها بهذا كله سخَّرناها لكم.

و﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾: تَرَجٍّ في حقنا وبالإِضافة إِلى نظرنا.

وقوله: ﴿ لَن يَنَالَ ﴾ عبارة مبالغة وتوكيد، وهي بمعنى: لن يرتفع عنده ويتحصل

---

(١) سقطت من نجيبويه والمطبوع، وفيه في التي قبلها: «معترضاً».

(٢) في لالاليه: «منه وجه».

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٨١).

(٤) مع كسر الراء وهي شاذة، عزاها له وللحسن الكرماني في الشواذ (ص: ٣٢٩).

(٥) في لالاليه: «بالضائم»، والبيت لحسان كما في مجاز القرآن (٢/ ٥٢)، وعزاه في حماسة الخالديين (ص: ٩٣) لأبي الوليد الأنصاريّ.

(٦) من بلاغات الإمام مالك، ذكره ابن العربي في أحكام القرآن (٥/ ٤٢٣).

(٧) انظر القولين في تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٦٦).

سبب ثواب، وقال ابن عباس: إِن أَهل الجاهلية كانوا يُضَرِّجُونَ البيت بالدماءِ فأَراد المؤمنون فعل ذلك فنهى الله عن ذلك ونزلت هذه الآية[١]، والمعنى: ولكن ينالُ الرفعةَ عنده والتحصل حسنةً لديه التقوى، أَي الإِخلاص وعمل الطاعات.

وقرأَ مالك بن دينار، والأَعرج، وابن يَعْمر، والزهري: ﴿لَنْ تَنَالَ﴾، ﴿وَلَكِنْ تَنَالُهُ﴾ بتاءٍ فيهما[٢].

والتسمية والتكبير على الهَدْي والأُضحية أَن يقول الذابح: باسم الله والله أَكبر.

ورُوي أَن قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ نزلت في الخلفاءِ الأَربعة[٣] حسبما تقدم في التي قبلها، فأَمَّا ظاهر اللَّفظة فيقتضي العموم في كل محسن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾.

روي أَن هذه الآية نزلت بسبب المؤمنين، لمَّا كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إِلى أَرض الحبشة أَراد بعض مؤمني مكة أَن يقتل من أَمكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال، فنزلت هذه الآية إِلى قوله: ﴿كَفُورٍ﴾، ووعد[٤] فيها بالمدافعة، ونهى أَفصح نَهْي عن الخيانة والغدر.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥٠٨) من طريق حسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، به، وهذا إسناد ضعيف، حسين، هو سنيد بن داود، ضعيف الحديث، وليس فيه ذكر ابن عباس.

(٢) وهي عشرية، ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٢٦)، وعزاها في زاد المسير (٣/ ٢٣٩) للجحدري، وابن يعمر، وابن أبي عبلة.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في الأصل: «ووكد».

وقرأ نافع، والحسن، وأبو جعفر: ﴿يُدَافِعُ﴾، ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ﴾.

وقرأ أبو عمرو، وابن كثير: ﴿يَدْفَعُ﴾، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يُدَافِعُ﴾، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾[١].

قال أبو علي: أُجريت «دَافَعَ» في هذه القراءَة مجرى «دَفَعَ»، كعاقبت اللصَّ وطارقت النعل، فجاءَ المصدر دَفْعاً[٢].

قال أبو الحسن الأَخفش: أكثر الكلام أَن الله يدفع، ويقولون: دافع الله عنك، إِلَّا أَن دَفَعَ أَكثر[٣].

قال القاضي أَبو محمد: فحسن[٤] في الآية ﴿يُدَافِعُ﴾ لأَنه قد عنَّ للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم، فتجيءُ معارضته ودفعه مدافعةً عنهم، وحكى الزهراوي أَن «دفاعاً» مصدر «دَفَعَ»، كحسبت حساباً[٥].

ثم أَذن الله تعالى في قتال المؤمنين لمن قاتلهم من الكفار بقوله: ﴿أُذِنَ﴾، وصورة الإِذن مختلفة بحسب القراءَات، فبعضها أَقوى من بعض:

فقرأ نافع، وحفص عن عاصم: ﴿أُذِنَ﴾ بضم الأَلف، ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاءِ، أَي: في أَن يقاتلوهم، فالإِذْن في هذه القراءَة ظاهرٌ أَنه في مجازاة.

وقرأ أَبو عمرو، وأَبو بكر عن عاصم، والحسن، والزهري: ﴿أُذِنَ﴾ بضم الأَلف، ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ بكسر التاءِ، فالإِذن في هذه القراءَة في ابتداءِ القتال.

وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿أَذِنَ﴾ بفتح الأَلف، ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ بكسر التاءِ.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: السبعة (ص: ٤٣٧)، والتيسير في (ص: ١٥٧).

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٧٩).

(٣) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة (ص: ١٤١).

(٤) في نجيبويه والمطبوع ونور العثمانية ولالاليه: «يحسن».

(٥) لم أقف عليه.

وقرأ ابن عامر بفتح الأَلف والتاءِ جميعاً[١].

وهي في مصحف ابن مسعود: (أَذن لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ) بكسر التاءِ.

وفي مصحف أُبيٍّ: (أُذِنَ) بضم الهمزة، (لِلَّذِينَ قَاتَلُوا)، وكذلك قرأَ طلحة والأَعمش إِلَّا أَنهما فتحا همزة (أُذِنَ) [٢].

[٤/ ٦٨] وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ معناه: كان الإذن بسبب أَنهم ظُلموا / .

قال ابن جريج: وهذه الآية أَول ما نقض الموادعة[٣].

قال ابن عباس[٤]، وابن جبير: نزلت عند هجرة النبي ﷺ إِلى المدينة[٥].

وقال أَبو بكر الصديق: لمَّا سمعتُ علمتُ أَنه سيكون قتال[٦].

وقال مجاهد: الآية في مؤمنين بمكة أَرادوا الهجرة إِلى المدينة فمُنِعُوا[٧].

وما بعد هذه الآية يردُّ هذا القول؛ لأَن هؤلاءِ مُنعوا الخروج لا أُخرجوا، ثم وعد تعالى بالنصر في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ يريد كلَّ من نَبَتْ به مكة

---

(١) وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٤٣٧)، والتيسير (ص: ١٥٧).

(٢) كلها شاذة، انظر الأولى في تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٥)، والثانية في الحجة لابن زنجلة (ص: ٤٧٩)، وانظر الكرماني (ص: ٣٢٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٤٤) من طريق سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به. وهذا إسناد صحيح، إن سلم من تدليس الأعمش.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٤).

(٦) حسن: هذا الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٩)، والترمذي (٣١٧١)، وابن جرير الطبري (١٨ ٦٤٣-٦٤٤)، وابن حبان (٤٧١٠) من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن، فأنزل الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ الآية فقال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٥).

وآذاه أَهلها حتى أَخرجوه بإِذايتهم، طائفة إِلى الحبشة وطائفة إِلى المدينة، ونسب الإِخراج إِلى الكفار لأَن الكلام في معرض تقرير الذنب وإِلزامه.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ استثناء منقطع ليس من الأَول، هذا قول سيبويه، ولا يجوز عنده فيه البدل، وجوَّزه أَبو إِسحاق، والأَول أَصوب[1].

وقوله: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾ الآية تقويةٌ للأَمر بالقتال، وذِكْرُ الحجة بالمصلحة فيه، وذِكْرُ أَنه متقدم في الأُمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المُتَعَبَّدات، فكأَنه قال: أُذن في القتال فليقاتل المؤمنون، ولولا القتال والجهاد لَتُغُلِّب على الحق في كل أُمة، هذا أَصوب تأْويلات الآية، ثم ما قيل بَعْدُ من مُثُل الدفاع تبع للجهاد.

وقال مجاهد: وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ ظلم قوم بشهادات[2] العدول ونحو هذا[3].

وقالت فرقة: ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: المعنى ولولا دفع الله بأَصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم[4].

وهذا كله فيه دفع قوم بقوم إِلَّا أَن معنى القتال أَليق بما تقدم من الآية.

وقالت فرقة: وَلَوْلا دَفْعُ الله العذاب بدعاءِ الْفُضلاءِ والأَخيار[5] ونحوه، وهذا وما شاكله مفسد لمعنى الآية، وذلك أَن الآية تقتضي ـ ولا بُدَّ ـ مدفوعاً من الناس ومدفوعاً عنه، فتأَمله.

وقرأَ نافع، وابن كثير: ﴿لَهُدِمَتْ﴾ مخففة الدال.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٧١).

(٢) في المطبوع: «لشهادة»، وسقط قول مجاهد هذا من نجيبويه، ونسب له بدله قول الفرقة الذي بعده.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٧)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٩).

(٤) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٤٦) من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإسناد فيه سيف بن عمر صاحب الفتوح، وهو متروك.

(٥) سقط من الأصل.

وقرأ الباقون: ﴿لَّهُدِّمَتۡ﴾ مشدَّدة الدال[١]، وهذه تَحْسُن من حيث هي صوامع كثيرة ففي هدمها تكرارٌ وكثرة، كما قال تعالى: ﴿بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ [النساء: ٧٨]، فثقَّل الياءَ، وقال: ﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، فخفف لكونه فرداً، ومنه: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ [يوسف: ٤٣]، و﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠].

و«الصَّوْمَعَةُ»: موضع العبادة، وزنها: فَوْعَلَةٌ، وهي بناءٌ مرتفع منفرد حديد الأَعلى.

والأصمع[٢] من الرجال: الحديد القول[٣]، وكانت قبل الإسلام مختصة بالرهبان النصارى وبعُبَّاد الصابئين، قاله قتادة[٤]، ثم استعمل في مئذنة المسلمين.

و«الْبِيَعُ»: كنائس النصارى، واحدتُها بِيَعَة.

وقال الطبري: وقيل: هي كنائس اليهود، ثم أَدخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك[٥].

و«الصَّلَوَاتُ»: مشتركة لكل ملَّة، واستُعير الهدم للصلوات من حيث تُعَطَّل، أَو أَراد: موضع صلوات، وذهبت فرقة إِلى أَن الصَّلَوات اسم لشنائع[٦] اليهود، وأَن اللَّفظة عبرانية عُرِّبت، وليست بجمع صلاة، وقال أَبو العالية: الصَّلَوات مساجد الصابئين[٧].

واختلفت القراءَة فيها:

فقرأَ جمهور الناس: ﴿صَلَوَٰتٌ﴾ بفتح الصاد واللام وبالتاءِ بنقطتين، وذلك إِمَّا

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٧)، السبعة (ص: ٤٣٨).

(٢) في نجيبويه والمطبوع: «والصَّوْمَعُ».

(٣) في نجيبويه والمطبوع: «القلب».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٩)، وانظر قول مجاهد أيضاً في تفسير الماوردي (٤/ ٣٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٠٠).

(٦) المثبت من أحمد ٣ والمطبوع وفي غيرهما: «الشنائع».

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٤٩)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٠٠).

بتقدير: مواضع صلوات، وإِمَّا على أن تعطيل الصلوات هدمها.

وقرأ جعفر بن محمد: (صَلْوَاتٌ) بفتح الصاد وسكون اللام.

وقرأت فرقة: (صِلْوَاتٌ) بكسر الصاد وسكون اللام، حكاهما ابن جنِّي.

وقرأ الجحدري فيما رُوي عنه: (وَصُلُوتٌ) بتاء بنقطتين من فوق وبضم الصاد واللام، على وزن فُعُول، قال: وهي مساجد النصارى.

وقرأ الجحدري، والحجاج بن يوسف: (وَصُلُوبٌ) بضم الصاد واللام وبالباء، على أَنه جمع صليب.

وقرأ الضحاكُ والكلبي: (وَصُلُوثٌ) بضم الصاد واللام والثاءِ منقوطة ثلاثاً، قالوا: وهي مساجد اليهود.

وقرأت فرقة: (صَلْوتٌ) بفتح الصاد وسكون اللام.

وقرأت فرقة: (وَصُلُوَاتٌ) بضم الصاد واللام، حكاها ابن جنِّي.

وقرأت فرقة: (صُلُوتَى) بضم الصاد واللام وقصر الأَلف بعد التاءِ.

وحكى ابن جنِّي أَن خارج باب الموصل بيوت تدفن فيها النصارى يقال لها: صَلَوات[١].

وقرأ عكرمة، ومجاهد: (صِلْوِتَى) بكسر الصاد وسكون اللام وكسر الواو وقصر الأَلف بعد التاءِ[٢].

---

(١) لفظه في المحتسب (٢/ ٨٤): وعندنا من خارج باب الموصل بيوت يدفن فيها النصارى تعرف بالباصلوث، بثاء منقوطة.

(٢) بعد التاء ساقط من لالاليه، وفي نور العثمانية: «الثاء»، وقد ذكر المؤلف في هذه الكلمة تسع قراءات شاذة، أغلبها من المحتسب (٢/ ٣٤)، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٩٨)، وسقط ذكر الكلبي من الأصل.

قال القاضي أَبو محمد: وذهب خُصَيفٌ[١] إلى أَن هذه الأَسماءَ قصدها تقسيم متعبدات الأُمم[٢]، فالصوامع للرهبان، قال القاضي أَبو محمد: وقيل: للصابئين، والبِيَعُ للنصارى، والصَّلَوات لليهود، والمساجد للمسلمين، والأَظهر أَنها قُصد بها المبالغة في ذكر المتعبدات، وهذه الأَسماءُ تشترك الأُمم في مُسَمَّياتها إِلَّا البِيَعة فإِنها مختصة بالنصارى في عرف لغة العرب، ومعاني هذه الأَسماء هي في الأُمم التي لهم كتاب على قديم الدهر، ولم يذكر في هذه الآية المجوس ولا أَهل الإشراك[٣] لأَن هؤلاءِ ليس لهم ما تجب حمايته، ولا يوجد ذكر الله إِلَّا عند أَهل الشرائع.

وقوله تعالى: ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا﴾ الضمير عائد على جميع ما تقدَّم.

ثم وعد الله تبارك وتعالى بنصره دينَه وشرعَه، وفي ذلك حضٌّ على القتال والجدِّ فيه، ثم الآية تعمُّ كلَّ من نصر حقّاً إِلى يوم القيامة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾.

قالت فرقة: هذه الآية في الخلفاء الأَربعة، ومعنى هذا التخصيص أَن هؤلاءِ خاصة مُكِّنُوا في الأَرض من جملة الذين يُقَاتَلُونَ المذكورين في صدر الآية، والعموم في هذا كله أَبْيَن، وبه[٤] يتَّجه الأَمر في جميع الناس، وإِنما الآية آخذةً عهداً على كل

(١) هو خصيف بن عبد الرحمن الجزري الحراني الفقيه، أبو عون الخضرمي بخاء معجمة مكسورة، من موالي بني أمية، رأى أنساً وسمع مجاهداً وعكرمة، وعنه السفيانان وشريك، كان امرأ صالحاً، وثقه ابن معين، توفي سنة ١٣٢هـ، تاريخ الإسلام (٨/ ٤٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤١٧)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٠١).

(٣) في المطبوع: «الشرك».

(٤) «به»: سقطت من المطبوع.

من مكَّنه الله، كلّ على قدر ما مُكِّن، فأَما الصلاة والزكاة فكلٌّ مأْخوذ بإقامتها، وأَمَّا الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكلٌّ بحسب قوته، والآية أَمكن ما هي في الملوك، والمعروف والمنكر يعُمَّان الإِيمان والكفر فما دونهما.

وقالت فرقة: نزلت هذه الآية في أَصحاب محمد ﷺ خاصةً من الناس، وهذا على أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من قوله تبارك وتعالى: ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾.

قال القاضي أبو محمد: وعلى أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تابع لـ﴿مَن﴾ في قوله تعالى: ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ توعُّدٌ / للمخالف عن هذه الأَوامر التي [٤/ ٦٩] تقتضيها الآية لمن مُكِّن.

وقوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يعني قريشاً، وهذه آية تسلية للنبي ﷺ ووعيد لقريش، وذلك أَنه مثَّلهم بالأُمم المكذِّبة المعذَّبة، وأَسند فعلاً فيه علامة التأْنيث إِلى قوم من حيث أَراد الأمة[١] والقبيلة؛ ليطَّرد القول في عادٍ وثمود، وقومُ نوح هم أَول أُمة كذَّبت نبيَّها.

ثم أَسند التكذيب في موسى عليه السلام إِلى من لم يُسَمَّ[٢] من حيث لم يكذبه قومه؛ بل كذبه القبط وقومه به مؤمنون.

و«أمليت» معناه: أَمهلت، وكأَن الإملاء أَن تُمهل من تنوي فيه المعاقبة، وأَنت في حين[٣] إِمهالك عالمٌ بفعله.

و«النَّكِيرُ»: مصدر كالعَذِير[٤] بمعنى الإنكار والإعذار، وهو في هذه المصادر بناءُ مبالغة، فمعنى هذه الآية: فكما فعلتُ بهذه الأُمم كذلك أَفعل بقومك.

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) في نجيبويه والمطبوع: «ما لم يسم فاعله».

(٣) في نجيبويه: حال، وفي المطبوع: «حيز».

(٤) في أحمد**٣** والمطبوع: «كالغدير».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

«كأين»: هي كاف التشبيه دخلت على أي، قاله سيبويه، وقد أوعبت القول في معنى هذه اللَّفظة[1] وقراءَتها في سورة آل عمران، في قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وهي لفظة إِخبار، وقد تجيءُ استفهاماً، وحكى الفراءُ: كأَيِّن مالُك[2]؟ أي: كمْ مالُك؟.

وقرأَت فرقة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، وقرأَت فرقة: ﴿أَهْلَكْتُهَا﴾ بالإِفراد[3]، والمراد أَهل القرية.

و﴿ظَالِمَةٌ﴾ معناه: بالكفر.

و﴿خَاوِيَةٌ﴾ معناه: خالية، ومنه: خوى النجم إِذا خلا من النوء[4]، ونحوه: ساقطةٌ على عُرُوشِها.

و«العُرُوشُ»: السُّقُوف، فالمعنى أَن السُّقُوف سقطت، ثم وقعت الحيطان عليها، فهي على العروش.

﴿وَبِئْرٍ﴾ قيل: هي معطوف على العروش، وقيل: على القرية، وهو أَصوب.

---

(١) في أحمد٣: «وقد أوعبت تفسيرها».

(٢) انظر قوله: إن كأين بمعنى كم في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٧).

(٣) وهما سبعيتان والثانية لأبي عمرو، انظر التيسير (ص: ١٥٧).

(٤) في المطبوع: «القوة».

وقرأَت فرقة: ﴿وَبِئْرٍ﴾ بهمزة على الياء، وسهَّلها الجمهور[١].

وقرأَت فرقة: (مَعْطَلَةٍ) بفتح الميم وسكون العين وفتح الطاء وتخفيفها[٢].

والجمهور على ﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾ بضم الميم وفتح العين وشد الطاءِ.

و«الْمَشِيدُ»: المبني بالشِّيدِ وهو الجِصُّ، وقيل: «الْمَشِيدُ»: المُعَلَّى بالآجُرِّ ونحوه، فمن المَشيد قول عديٍّ بن زيد:

شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْـ ... ـساً فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ[٣] [الخفيف]

شَادَهُ: بناه بِالشِّيد، والأظهر في البيت أَنه أَراد: علاه بالمرمر.

وقالت فرقة في هذه الآية: إِن مَشِيداً معناه: مُعلًّى مُحصَّناً، وجملة معنى الآية يقتضي أَنه كان كذلك قبل خرابه.

ثم وبَّخهم على الغفلة وترك الاعتبار بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أَي: في البلاد فينظروا في أَحوال الأُمم المكذِّبة المعذَّبة، وهذه الآية تقتضي أَن العقل في القلب، وذلك هو الحق، ولا ينكر أَن للدماغ اتصالاً بالقلب يوجب فساد العقل متى[٤] اختل الدماغ.

وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ﴾ نصب بالفاء في جواب الاستفهام، صُرف الفعل من الجزم إِلى النصب.

وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لفظ مبالغة كأَنه قال: ليس العمى عمى العين[٥] وإِنما العمى حق العمى عمى القلب، ومعلوم أَن الأَبصار تَعْمَى ولكن المقصود ما ذكرناه،

(١) وهما سبعيتان، وفي العزو قلب، فالتحقيق للجمهور والإبدال لورش والسوسي، انظر: التيسير (ص: **٣٥**)، وما بعده.

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٨٤) فقد نسبها للجحدري.

(٣) انظر نسبته له في مجاز القرآن (٢/ ٥٣)، والكامل للمبرد (١/ ٨٥)، والسيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٩٤)، والأغاني (٢/ ١٣١).

(٤) في نجيبويه والمطبوع: «إذا».

(٥) في نجيبويه: «البصر»، وفي المطبوع: «الأبصار».

وهكذا قوله ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرَعة»[١]، و«ليس المسكين بهذا الطَّوَّاف»[٢].

والضمير في ﴿فَإِنَّهَا﴾ للقصة ونحوها من التقدير.

وقولـه تعالى: ﴿ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ مبالغـة، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وكما تقول: نظرتُ إِليه بعيني، ونحو هذا.

والضمير في ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ لقريش.

وقوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾: وعيدٌ وإِخبارٌ بأَن كلَّ شيءٍ إِلى وقت محدود، والوعد هنا مقيد بالعذاب فلذلك ورد في مكروه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾:

قالت فرقة: معناه: وَإِنَّ يَوْماً من أَيام عذاب الله كَأَلْفِ سَنَةٍ ممَّا تَعُدُّون من هذه؛ لِطُول العذاب وبؤسه، فكأَن المعنى: فما أَجهل من يستعجل هذا.

وقالت فرقة: معناه: وَإِنَّ يَوْماً عند الله لإِحاطته به وعلمه وإِنفاذ قدرته كَأَلْفِ سَنَةٍ عندكم.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأْويل يقتضي أَن عشرة آلاف سنة إِلى ما لا نهاية له من العدد في حكم الأَلف، ولكنهم قالوا: ذكر الأَلف لأَنها منتهى العدد دون تكرار فاقتصر عليه.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأْويل لا يناسب الآية.

وقالت فرقة: إِن المعنى: أَن اليوم عند الله كأَلْف سنة من هذا العدد، فمن ذلك قول النبي ﷺ: «إِنِّي لأَرجو أَن تؤخر أُمتي نصف يوم»[٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٧٦٣) ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٠٩) ومسلم (١٠٣٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٣) منقطع، أخرجه أبو داود (٤٣٥٠) من طريق صفوان، هو ابن عمرو السكسكي، عن شريح بن عبيد، =

وقوله: «يدخل فقراءُ المسلمين الجنة قبل الأَغنياء بنصف يوم، وذلك خمس مئة سنة»[١].

ومنه قول ابن عباس: مقدار الحساب يوم القيامة أَلف سنة[٢]، فكأَن المعنى: وإِن طال الإِمهال فإِنه في بعض يوم من أَيام الله.

وكرر قوله: ﴿وَكَأَيِّن﴾ لأَنه جلب معنى آخر، ذكر أَولاً القُرى المُهلَكَةَ دون إِملاءٍ؛ بل بعَقِبِ التكذيب، ثم ثَنَّى بالممهلة[٣] لِئلاَّ يفرح هؤلاءِ بتأَخير العذاب عنهم.

وقرأَت فرقة: ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالتَّاءِ، وقرأَت فرقة: ﴿يَعُدُّونَ﴾ بالياءِ على الغائب[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

= عن سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وشريح لم يدرك سعداً، قاله: أبو داود، انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٤٤٦).

(١) جيد، أخرجه الإمام أحمد (١٣/ ٣٢٨) والترمذي (٢٣٥٣) والنسائي في الكبرى (١١٣٤٨) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به. وهذا إسناد لين، وله شاهد لا بأس به من حديث: أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، مرفوعاً. أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣٩٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٥٨) من طريق عنبسة، عن سماك، عن عكرمة عنه، به، وسماك مضطرب الحديث عن عكرمة.

(٣) في المطبوع: «بالمهلة».

(٤) وهما سبعيتان، والياء لابن كثير وحمزة والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٥٨).

[٤/ ٧٠] المعنى: قل يا محمد: إِنَّما أَنا لَكُمْ نَذِير عذاب الله، ليس / إِليَّ أَن أُعجِّل عذاباً ولا أَن أُؤخِّره عن وقته، ثم قسَّم حالة المؤمنين والكافرين بأَن للمؤمنين سُتْرَة ذنوبهم ورِزْقه إِيَّاهم في الجنة، والكريم صفة نفي المذام، كما تقول: ثوب كريم، وبأَن للكافرين المعاجزين عذاب الجحيم، وهذا كلُّه ممَّا أُمر أَن يقوله، أَي: هذا معنى رسالتي لا ما تتمنَّوْن أَنتم.

وقوله: ﴿سَعَوۡاْ﴾ معناه: تحيَّلوا وكادوا، من السِّعاية، و«الآيات»: القرآن[١]، أَيْ: كادوه بالتكذيب وسائر أَقوالهم.

وقرأَت فرقة: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾، معناه: مغالبين، كأَنهم طلبوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي تعجيزهم، فصارت مُفاعلة، وعبَّر بعض الناس في تفسير ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ بِظانِّين أَنهم يغلبون[٢] الله.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تفسير خارج عن اللَّفظة.

وقرأَت فرقة: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ بغير أَلف وبشد الجيم[٣]، ومعناه: معجِّزين الناس عن الإِيمان، أَي جاعلوهم بالتثبيط عجزة عن الإِيمان.

وقال أَبو علي: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ معناه: ناسبين أَصحاب النبي ﷺ إِلى العجز، كما تقول: فَسَّقتُ فلاناً وزَيَّنْتُه، أَي نَسَبْته إِلى ذلك[٤].

وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ عن النازلة التي أَلقى الشيطان فيها في أُمنية النبي ﷺ.

و﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ معناه المشهور: أَراد وأَحبَّ، وقالت فرقة: هو معناها في الآية، والمراد

---

(١) في المطبوع: «والآيات: آيات القرآن».

(٢) في الأصل: «يفلتون»، وفي نجيبويه: «يفاتلون»، وفي نور العثمانية والإماراتية: «يفتلون»، وفي لالاليه: «يقبلون».

(٣) وهما سبعيتان، والثانية لابن كثير وأبي عمرو، انظر التيسير (ص: ١٥٨)، والسبعة (ص: **٤٣٩**).

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٨٤).

أَن الشيطان أَلقى أَلفاظه بسبب ما تَمَنَّاه رسول الله ﷺ من مقاربة قومه وكونهم متبعين له، قالوا: فلما تمنى رسول الله ﷺ من ذلك ما لم يَقْضِهِ الله وجد الشيطان السبيل، فحين قرأَ رسول الله ﷺ سورة النجم في مسجد مكة وقد حضر المسلمون والمشركون بلغ إِلى قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] أَلقى الشيطان تلك الغرانيق العُلَى وإِنَّ شفاعتهن لَتُرْتَجَى، فقال الكفار: هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد، وفرحوا بذلك، فلما انتهى إِلى السجدة سجد الناسُ أَجمعون إِلَّا أُمية بن خلف، فإِنه أَخذ قبضة من تراب ثم رفعها إِلى جبهته وقال: يكفيني هذا، قال البخاري: هو أُمية بن خلف[(١)]، وقال بعض الناس: هو الوليد بن المغيرة، وقال بعض الناس: هو أَبو أُحَيْحَة سعيد بن العاصي، ثم اتصل بمهاجرة الحبشة أَن أَهل مكة اتبعوا محمداً ففرحوا بذلك، وأَقبل بعضهم فوجدوا أُلْقِية الشيطان قد نُسخت وأَهل مكة قد ارتبكوا وافتُتِنوا[(٢)].

وقالت فرقة: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ معناه: تَلَا، و«الأُمنية»: التِّلاوة، ومنه قول الشاعر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ ... وَآخِرَهَا لَاقَى حِمَام الْمَقَادِرِ[(٣)] [الطويل]

ومنه قول الآخر:

.... تَمَنِّيَ دَاودَ الزَّبُور عَلَى رِسْلِ[(٤)] [الطويل]

وتأَوَّلوا قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ أَي: إِلَّا تلاوة.

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٨٢) من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٨/ ٦٦٣) من طريق محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، عن رسول الله ﷺ، مرسلاً، به، وقصة الغرانيق، قال ابن كثير في تفسيره (٥/ ٤٤١): كلها من طرق مرسلة، ولم أرها مسندة من وجهٍ صحيح، وسقط «الوليد» من لالاليه.

(٣) البيت لكعب بن مالك في عثمان ويعزى لحسَّان بن ثابت، كما تقدم في تفسير الآية ٧٦ من سورة البقرة.

(٤) هذا عجز بيت وصدره: تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ آخِرَ لَيْلِهِ كالذي قبله، وهو بلا نسبة في سيرة ابن هشام (١/ ٥٣٨)، والزاهر للأنباري (٢/ ١٥١)، ويعزى أيضا لحسان كما في حاشية الشهاب الخفاجي (٢/ ١٨٨)، وتفسير السراج المنير (٢/ ٥٦١).

وقالت هذه الفرقة في معنى سبب إِلقاء الشيطان في تلاوة النبيِّ ﷺ ما تقدم آنفاً من ذكر الآلهة[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا الحديث الذي فيه: «هن الغرانقة»[(٢)] وقع في كتب التفسير ونحوها، ولم يدخله البخاري ولا مسلم، ولا ذكره ـ في علمي ـ مصنف مشهور، بل يقتضي مذهب أَهل الحديث أَنَّ الشيطان أَلْقَى، ولا يُعَيِّنون هذا السبب ولا غيره، ولا خلاف أَن إِلقاءَ الشيطان إِنما هو لأَلفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة.

ثم اختلف الناس في صورة هذا الإِلقاء:

فالذي في التفاسير ـ وهو مشهور القول ـ أَنَّ النبي ﷺ تكلم بتلك الأَلفاظ، وأَن الشيطان أَوهمه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الأَلفاظ على لسانه، ورُوي أَنه نزل إِليه جبريل ـ عليه السلام ـ بعد ذلك فدارسه سورة النجم، فلما قالها رسول الله ﷺ قال له جبريل: لم آتِكَ بهذا، فقال رسول الله ﷺ: افتريت على الله، وقلت ما لم يقل لي، وجعل يتفجع ويغْتَمُّ، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ الآية.

قال القاضي أَبو محمد: وحدثني أَبي رضي الله عنه أنه لقي بالمشرق من شيوخ العلماءِ والمتكلمين من قال: هذا لا يجوز على النبي ﷺ وهو المعصوم في التبليغ، وإِنما الأَمر أَن الشيطان نطق بلفظ أَسمعه الكفار عند قول النبي ﷺ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] وقرَّب[(٣)] صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين وقالوا: محمد قرأَها.

قال القاضي أَبو محمد: وتَمَنَّى على هذا التأْويل بمعنى: تَلَا ولا بُدَّ، وقد روي نحو هذا التأْويل عن الإِمام أَبي المعالي وغيره[(٤)].

---

(١) في الأصل: «من ذكر الله».

(٢) في نجيبويه والمطبوع: «وهذه الغرانقة».

(٣) في أحمد٣: «قرن»، وفي الأصل: «وصوب».

(٤) من نجيبويه والمطبوع، وانظر ما نسبه المؤلف لأبي المعالي في تفسير الثعالبي (٣/ ٨٥).

قال القاضي أَبو محمد: والرَّسول أَخص من النبي، وكثير من الأَنبياءِ لم يُرْسَلُوا، وكل رسول نبي.

و«النَّسْخُ» في هذه الآية: الإِذهابُ، كماتقول: نسخت الشمسُ الظِّـلَّ، وليس برفع ما استقر من الحكم.

قال القاضي أَبو محمد: وطَرَّقَ[1] الطبري وأَشبع الْإِسناد في أَن إِلقاءَ الشيطان كان على لسان النبيِّ ﷺ.

واختلفت الروايات في الأَلفاظ ففي بعضها: «تلك الغرانقة»، وفي بعضها: «تلك الغرانيق»، [وفي بعضها: «وإِن شفاعتهم»][2]، وفي بعضها: «وإن شفاعتهن»، وفي بعضها: «منها الشفاعة تُرْتَجَى».

قال القاضي أَبو محمد: والغَرَانِيق: السَّادة العظام الأَقدار، ومنه قول الشاعر:

أَهْــلاً بِـصَـائِـدَةِ الْـغُـرَانِـقِ[3] .... [الكامل]

وقوله: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الآية، اللام في قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ متعلِّقة بقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾.

و«الفتنة»: الامتحان والاختبار.

و«الَّذِين في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»: هم عامة الكفار، و«الْقَاسِيَةُ قُلُوبُهم»: خواص منهم عُتاة كأَبي جهل، والنَّضْر، وعُقْبَة.

و«الشِّقَاقُ»: البعدُ عن الخير، والضلالُ، والكونُ في شقٍّ غير شقِّ الصَّلاح.

---

(١) في المطبوع: «وطوف»، وانظر كلامه في: تفسير الطبري (١٨/ ٦٦٣-٦٦٨).

(٢) سقط من الأصل وأحمد٣.

(٣) لم أقف عليه هكذا، ولعله يقصد قول أعشى بني تغلب كما في الأغاني (١١/ ٢٨١): دار لقاتلة الغرانق ما بها * غير الوحوش خلت له وخلا لها، قال المرزوقي في شرح الحماسة (ص: ٩٧٠): أي هو رسم دار لامرأة كانت تصيد الغرانق وتقتلهم بالحب.

و﴿بَعِيدٍ﴾ معناه: أنه انتهى بهم وتعمق، فَرَجْعَتُهم منه غير مرجوة.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: هم أصحاب محمد رسول الله ﷺ.

والضمير في ﴿أَنَّهُ﴾: عائد على القرآن.

و«تخبتُ» معناه: تتطامن وتخضع، وهو مأخوذ من الخَبْت، وهو المطمئن من الأَرض.

وقرأَت فرقة: ﴿لَهَادِ﴾ بغير ياءٍ بعد الدال.

وقرأَت فرقة: ﴿لَهَادِي﴾ بياءٍ، وقرأَت فرقة: (لَهَادٍ) بالتنوين وترك الإِضافة[1].

وهذه الآية معادلةٌ لقوله تعالى قبل: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

«المِرْيَةُ»: الشَّك، والضمير في قوله: ﴿مِّنْهُ﴾ قالت فرقة: هو عائد على القرآن، وقالت فرقة: على محمد ﷺ، وقالت فرقة: على ما أَلْقَى الشَّيْطانُ.

---

(١) ثلاث قراءات، الأولى هي المتواترة، والثانية لا تمكن وصلًا لالتقاء الساكنين، لكن يقف عليها يعقوب بالياء كما في النشر (٢/ ١٥٦)، والثالثة، قرأ بها أبو حيوة كما في مختصر الشواذ، وزاد الكرماني في الشواذ (ص: ٣٣١) أبا البَرَهْسَم.

وقال سعيد بن جبير أَيضاً: على سجود النبي ﷺ في سورة النجم[١].

و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: قالت فرقة: أَراد يوم القيامة، و«اليوم العقيم»: يوم بدر، وقالت فرقة: السَّاعَةُ ساعة موتهم، أَو قتلهم في الدنيا كيوم بدر ونحوه، و«اليوم العقيم»: يوم القيامة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذان القولان جيِّدان لأَنهما أَحرزا التقسيم بـ ﴿أَوْ﴾، ومن جعل الساعة واليوم العقيم يوم القيامة فقد أَفسد رتبة ﴿أَوْ﴾، وسُمِّيَ يومُ القيامة أَو يوم الاستئصال عقيماً: لأَنه لا ليلة بعده ولا يوم، والأَيام كأَنها نتائج؛ لمجيءِ واحد إِثر واحد، فكأَن آخر يوم قد عقم، وهذه استعارة، وجُملة هذه الآية تَوَعُّد.

وقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ السابق منه أَنه في يوم القيامة، من حيث لا مُلْكَ فيه لأَحد [من ملوك الدنيا][٢]، ويجوز أَن يريد به يوم بدر ونحوه من حيث ينفذ فيه قضاءُ الله وحده ويبطل ما سواه، ويمضي حكمه فيمن أَراد تعذيبه.

فأَمَّا من تأَوَّله في يوم القيامة فاتَّسق له قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إِلى قوله: ﴿مُّهِينٌ﴾.

ومن تأَوَّله في يوم بدر ونحوه جعل قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ابتداءَ خبر عن حالهم المتركبة على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الإِيمان والكفر.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية ابتداءُ معنى آخر، وذلك أَنه لمَّا مات بالمدينة عثمان بن مظعون، وأَبو سلمة بن عبد الأَسد، قال بعض الناس: مَنْ قتل من المهاجرين أَفضل ممن مات حتف أَنفه، فنزلت هذه الآية[٣] مُسَوِّية بينهم في أَن الله تعالى يرزق جميعهم رزقاً حسناً، وليس هذا بقاضٍ بتساويهم في الفضل، وظاهر الشريعة أَن المقتول أَفضل.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٠ و٦٧١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٢٠).
(٢) سقط من المطبوع.
(٣) لم أقف عليه.

وقد قال بعض الناس: المقتول والميت في سبيل الله شهيدان، ولكن للمقتول مزيَّة ما أَصابه في ذات الله.

و«الرِّزق الحسن»: يحتمل أَن يريد به رزق الشهداء عند ربهم في البرزخ، ويحتمل أَن يريد به بعد يوم القيامة في الجنة.

وقرأَت فرقة: ﴿مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم من أَدخل [فهو محمول على الفعل المذكور][1].

وقرأَت فرقة: ﴿مدخلا﴾ بفتح الميم[2] من دَخَلَ، فهو محمول على فعل مقدر تقديره: فَيَدْخُلُون مَدخلاً[3].

وأَسند الطبري عن سَلَامَانِ بن عامر[4] قال: كان فَضَالةُ بِرُوْدِسَ[5] أَميراً على الأَرباع، فخرج بجنازتَي رجلين أَحدهما قتيل، والآخر متوفى، فرأَى ميل الناس مع جنازة القتيل، فقال: أَراكم أَيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه، فوالَّذي نفسي بيده ما أُبالي من أَيِّ حفرتيهما بعثت، اقرؤوا قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية إِلى ﴿حَلِيمٌ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى قوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ المعنى: الأَمر ذلك، ثم أَخبر

---

(١) ليس في المطبوع، وفيه تقديم وتأخير بين القراءتين.

(٢) وهما سبعيتان، والثانية لنافع، كما تقدم في النساء، انظر التيسير (ص: ٩٥)، والسبعة (ص: ٤٣٩).

(٣) وقع تقديم وتأخير في ترتيب جمل هذه الفقرة في المطبوع.

(٤) في نجيبويه: «سلمان» وأشار لها في حاشية المطبوع، وهو سلامان بن عامر الشعباني المصري، عن فضالة ابن عبيد، وأبي عثمان صاحب أبي هريرة، وعنه: عبد الرحمن بن شريح، وابن لهيعة، كان رجلاً صالحاً، توفي قريباً من سنة ١٢٠هـ، تاريخ الإسلام (٧/ ١٠٣).

(٥) في أحمد٣ ونجيبويه ونور العثمانية: «فضالة بن دوس»: ورودس جزيرة ببلاد الروم، كما في معجم البلدان (٣/ ٧٨).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٤)، من طريق ابن وهب، عن عبد الرحمن بن شريح به.

تعالى عمن عاقب مِنَ المؤمنين مَنْ ظَلَمَه مِنَ الكفرة، ووعد المبغيَّ عليه بأَنه ينصره، وسمَّى الذنب في هذه الآية باسم العقوبة كما تُسمَّى العقوبة كثيراً باسم الذنب، وهذا كلُّه تجوُّزٌ واتِّساع.

وذُكر أَن هذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كفار في أشهر الحرم[1]، فأَبى المؤمنون من قتالهم، وأَبى المشركون إِلَّا القتال، فلمَّا اقتَتَلُوا جَدَّ المؤمنون ونصرهم الله فنزلت الآية فيهم[2].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ معناه: نصر الله أَولياءَه ومَنْ بُغِيَ عليه بأَنه القادر على العظائم، الذي لا تُضاهى قدرته، فأَوجز العبارة بأَن أَشار بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى النصر، وعبَّر عن القدرة بتفصيلها، فذكر منها مثلاً لا يُدَّعى لغير الله تعالى، وجعل تقصير اللَّيل وزيادة النهار وعكسها إِيلاجاً تَجَوُّزاً وتشبيهاً.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ معناه نحو ما ذكرناه.

[وقرأت فرقة: ﴿وَأَنَّ﴾ بفتح الألف، وقرأت فرقة: (وإن) بكسر الألف][3].

وقرأَت فرقة: ﴿تَدْعُوْنَ﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأَت فرقة: ﴿يَدۡعُونَ﴾[4].

والإِشارة بما يدعى من دونه، قالت فرقة: هي إِلى الشيطان، وقالت فرقة: هي إِلى الأَصنام، والعموم هاهنا أَحسن.

---

(١) في المطبوع: الشَّهر الحرام.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (١٠/ ١٢)، من طريق مقاتل، به معضلاً.

(٣) سقط من المطبوع ولالاليه والحمزوية، والأولى هي المتواترة، والثانية شاذة عزاها في البحر المحيط (٧/ ٥٣٠) للحسن.

(٤) وهما سبعيتان، الأولى لنافع وابن كثير وابن عامر وشعبة، انظر: التيسير (ص: ١٥٨)، والسبعة (ص: ٤٤٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنبيهٌ، وبعده خبر أَن الله تعالى أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فظلت الأَرض تخضر عنه.

وقوله: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ﴾ بمنزلة قوله: فتضحى أَو فتصير، عبارة عن استعجالها أَثر نزول الماءِ واستمرارها كذلك عادة، ورفع[1] قوله: ﴿فَتُصْبِحُ﴾ من حيث الآية خبر، والفاءُ عاطفة وليست بجواب؛ لأَن كونها جواباً لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فاسد المعنى.

ورُوي عن عكرمة أَنه قال: هذا لا يكون إِلَّا بمكة أَو تِهامة[2].

قال القاضي أبو محمد: ومعنى هذا أَنه أَخذ قوله: ﴿فَتُصْبِحُ﴾ مقصوداً به صباح ليلة المطر، وذهب إِلى أَن ذلك الاخضرار في سائر البلاد يتأَخر.

قال القاضي أَبو محمد: وقد شاهدتُ هذا في السوس الأَقصى، نزل المطر ليلاً بعد قحط وأَصبحت تلك الأَرض الرملة التي تسفيها[3] الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف دقيق.

وقرأَ الجمهور: ﴿مُخْضَرَّةً﴾، وقرأَت فرقة: (مَخْضَرَة)[4].

و«اللَّطِيفُ»: المُحكِم للأُمور برفق، واللام في ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لام الملك، و«الغني»: الذي لا حاجة به إِلى شيءٍ، هكذا هو على الإِطلاق[5].

---

(١) في المطبوع: «ووقع». وفيه: «خبرا»، بالنصب.

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٤٥٢).

(٣) في نجيبويه: «تسفها»، وفي المطبوع: «نسفتها».

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٣١) للحسن، وذكرها النحاس في معاني القرآن (٤/ ٤٣٠) بلا نسبة.

(٥) من قوله: «ذلك بأن الله يولج» في المقطع السابق، إلى هنا ساقط من أحمد٣.

وقوله: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد: من الحيوان والمعادن وسائر المرافق.

وقرأ الجمهور: ﴿وَٱلۡفُلۡكَ﴾ بالنصب، وذلك يحتمل وجهين من الإِعراب:

أَحدهما: أَن يكون عطفاً على ﴿مَّا﴾ بتقدير: وسخَّر الفُلْك.

والآخر: أَن يكون عطفاً على المكتوبة[١]، بتقدير: وأَن الفُلْكَ.

وقوله: ﴿تَجۡرِي﴾ على الإعراب الأول / في موضع الحال، وعلى الإِعراب الثاني في موضع الخبر. [٤/ ٧٢]

وقرأَت فرقة: (وَالْفُلْكُ) بالرفع[٢]، فـ﴿تَجۡرِي﴾ خبر على هذه القراءة.

وقوله: ﴿بِإِذۡنِهِۦٓ﴾ يحتمل أَن يريد يوم القيامة، كأَن طيّ السماءِ ونقض[٣] هذه الهيئة كوقوعها[٤]، ويحتمل أَن يريد بذلك الوعيد لهم في أَنه إِنْ أَذِنَ في سقوط كسفها عليهم[٥] سقطت، ويحتمل أَن يعود قوله: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾ على الِإمساك؛ لَأن الكلام يقتضي: بغير عَمَد ونحوهِ فكأَنه أَراد: إِلَّا بإِذْنِهِ فَبِهِ نُمسكها. وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ٦٦ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾.

«الإِحياءُ والإِماتة» في هذه الآية ثلاث مراتب، وسقط منها الموت الأَول الذي

---

(١) يريد بالمكتوبة لفظ الجلالة.

(٢) وهي شاذة، رويت عن الأعرج كما في تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٨)، وزاد في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣١) الحسن وطلحة.

(٣) في المطبوع والحمزوية: «ونقص».

(٤) في المطبوع: «كوقوعهما».

(٥) في المطبوع: «سقوط السماءِ عليكم»!.

نصَّ عليه في غيرها، إِلَّا أَنه بالمعنى في هذه، و«الْمَنْسَكُ»: المصدر، فهو بمعنى العبادة والشريعة، وهو أيضاً موضع النُّسك.

وقرأَت فرقة بفتح السين وفرقة بكسرها[١]، وقد تقدم القول فيه في هذه السورة.

وقوله: ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ يعطي أَن المَنْسَكَ المصدر، ولو كان الموضع لقيل: هم ناسكون فيه، وروت فرقة أَن هذه الآية نزلت بسبب جدال الكفار في أَمر الذبائح، وقولهم للمؤمنين: تأْكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم، ولا تأْكلون مما قتل الله من الميتة، فنزلت الآية بسبب هذه المنازعة[٢].

وقوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ هذه البِنْيَةُ من الفعل والنهي تحتملُ معنى التخويف، وتحتمل معنى احتقار الفاعل وأَنه أَقلُّ من أَن يُفاعل، وهذا هو المعنى في هذه الآية، وقال أَبو إِسحاق: المعنى: فلا تنازعهم فينازعوك[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التقدير الذي قَدَّر إِنما يَحْسُن مع معنى التخويف، وإِنما يحسن أَن يُقَدَّر هنا المعنى: فلا تبدأْهم بمنازعتك، فالنهي إِنما يراد به معنى من غير اللفظ، كما يراد في قولهم: لا أَرينك هاهنا، أَي: لا تكن هاهنا.

وقرأَت فرقة: (فلا يَنْـزَعُنَّكَ)[٤].

وقوله: ﴿فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ معناه ـ على التأْويل أَن المَنْسَك الشريعة ـ: لا ينازعنك في الدين والكتاب ونحوه.

---

(١) وهما سبعيتان، والكسر لحمزة والكسائي كما تقدم في الآية **٣٤** من هذه السورة.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٨٠) من طريق الحسين عن حجاج عن ابن جريج، من قول مجاهد، وحسين، هو سنيد بن داود، ضعيف.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٣٧).

(٤) وهي شاذة، عزاها لأبي مجلز في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٣١)، والمحتسب (٢/ ٨٤)، وضبطت فيه بضم الياء والعين، الشواذ للكرماني (ص: ٣٣١)، وزاد عكرمة، وضبطها بسكون النون الأخيرة، وفي نجيبويه ونور العثمانية: «ينازعنك»، وفي المطبوع: «ينزغَنك».

وعلى أن المنسك موضع الذبح ـ على ما روت الفرقة المذكورة من أن الآية نزلت في الذبائح ـ: يكون الأمر الذبح، و«الهدى» في هذه الآية: الإرشاد.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ﴾ الآية موادعةٌ محضة، ونسختها آية السيف.

وباقي الآية وعيد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

لمَّا أَخبر تعالى في الآية قبلها بأَنه يحكم بين الناس يوم القيامة فيما اختلفوا فيه؛ أَتْبَعَ ذلك الخبر بأَن عنده علْم كل شيءٍ ليقع الحكم في معلوم، فخرجت العبارة على طريق التنبيه[1] على علم الله تعالى وإِحاطته، وأَن ذلك كله في كتاب وهو اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يحتمل أَن تكون الإِشارة إِلى كون ذلك في كتاب وكونه معلوماً، ويحتمل أَن تكون الإِشارة إِلى الحكم في الاختلاف.

ثم ذكر تعالى ـ على جهة التوبيخ ـ فعل الكفرة في أَنهم يَعْبُدُونَ من الأَصنام مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَـزِّلْ الله فيه حُجَّة ولا بُرهاناً، و«السُّلْطَانُ»: الحُجَّة حيث وقع في القرآن الكريم.

وقوله: ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ توعُّد.

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عائد على كفار قريش، والمعنى: أَنهم كانوا إِذا سمعوا القرآن من النبي ﷺ، أَو من أَحد أَصحابه، وسمعوا ما فيه من رفض آلهتهم والدعاء إِلى التوحيد، عُرفت المساءَة في وجوههم، والْمُنْكَر من معتقدهم وعداوتهم وأَنهم يدبرون[2]

(١) في المطبوع: «التشبيه».

(٢) في الأصل: «يريدون»، وفي نجيبويه: «يريدوه».

ويسرعون إِلى السطوة بالتالي، والمعنى: أَنهم يَـكادُونَ يَسْطُونَ دهرهم أَجمع، وأَما في الشَّاذِّ من الأَوقات فقد سُطي بالتَّالين نحو ما فُعِل بعبد الله بن مسعود وبالنبي ﷺ حين أَغاثه، وحَلَّ الأَمر أَبو بكر الصديق[١]، وبعمر حين أَجاره العاصي بن وائل[٢]، وبأَبي ذرٍّ[٣]، وغير ذلك.

و«السَّطْوُ»: إِيقاع بمباطشة أَوْ أَمْر بها.

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه أَن يقول لهم على جهة التوعُّد والتقريع: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم﴾، أَي: أُخبركم بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ، والإِشارة بذلكم إِلى السَّطْو، ثم ابتدأَ ينبئُ، كأَن قائلاً قال له: وما هو؟ قال النارُ، أَي نار جهنم.

وقوله: ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يحتمل أَن يكون أَراد أَن الله تعالى وعدهم بالنار، فيكون الوَعْد بالشرِّ ونحو ذلك لمَّا نصَّ عليه، ولم يجئ مطلقاً.

ويحتمل أَن يكون أَراد: أَن الله تعالى وعد النار بأَن يطعمها الكفار، فيكون الوعد على بابه الذي يقتضيه تسرعها إِلى الكفار، وقولها: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق: ٣٠] ونحوه أن ذلك من مسارها[٤].

و﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾ مَفْعَل من صار؛ إذا[٥] تحوَّل من حال إِلى حالٍ.

قال القاضي أَبو محمد: ويقتضي كلام الطبري في هذه الآية أَن الإِشارة بـ﴿ذَٰلِكُمُ﴾

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص: ٢٨٠ ـ ابن هشام) من طريق عروة بن الزبير، به، معضلًا، وفي أحمد٣: «وحلَّ الأمر بأبي بكر».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥١) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، به.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٤٨) ومسلم (٢٤٧٤) من حديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل، الحديث.

(٤) في: المطبوع: «ونحو ذلك من مساوئها».

(٥) في المطبوع: «على».

هي إِلى أَصحاب محمد التَّالين، ثم قال: أَلَا أُخبركم بأَكْرَهَ إِليكم من هؤلاء أَنتم الذين[١] وُعِدْتُم النار، وأَسند نحو هذا القول إِلى قائل لم يُسَمِّه، وهذا كله ضعيف[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

الخطاب بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قيل: هو خطاب يعم جميع[٣] العالم، وقيل: هو خطاب للمؤمنين حينئذ، الذين أَراد الله تعالى أَن يبين عندهم خطأَ الكافرين، ولا شك أَن المخاطب هم ولكنه خطاب يعم جميع / الناس، متى نظره أَحد في أَمر عبادة الأَوثان توجَّه له الخطاب. [٤/ ٧٣]

واختلف المتأَولون في فاعل ﴿ضُرِبَ﴾، من هو؟:

فقالت فرقة: المعنى: ضَرَب أَهلُ الكفر مثلاً لله أَصنامَهُم وأَوْثَانَهُمْ، فاستمعوا أَنتم أَيها الناسُ لأَمر هذه الآلهة، وقالت فرقة: ضَرَب اللهُ مثلاً لهذه الأَصنام وهو كذا وكذا، فالمثال والمثل في القول الأَول هي الأَصنام، والذي جُعل له المثال الله تعالى، والمثال الذي[٤] في التأْويل الثاني هو في الذباب وأَمره، والذي جُعل له هي الأَصنام.

ومعنى ﴿ضُرِبَ﴾: أُثبت وأُلزم، وهذا كقوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وكقولنا: ضُربت الجزية، وضُرب البعث.

ويحتمل أَن يكون ضَرْبُ المثلِ من الضَّرْب الذي هو المثل، ومن قولك: هَذَا ضَرْبُ هذا، فكأَنه قال: مُثِّلَ مَثَلٌ.

---

(١) في الأصل: «التي».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٨٤).

(٣) من نجيبويه والمطبوع.

(٤) من نجيبويه والمطبوع.

وقرأَت فرقة: ﴿يَدْعونَ﴾ بالياءِ من تحت، والضمير للكفار.

وقرأَت فرقة: (يُدْعونَ) بضم الياءِ وفتح العين على ما لم يُسَمَّ فاعله، والضمير للأَصنام[١].

وبدأَ تعالى بنفي الخَلْق والاختراع عنهم من حيث هي صفة ثابتة له مختصة به، فكأَنه قال: ليس لهم صفتي، ثم ثَنَّى بالأَمر الذي بلغ بهم غاية التعجيز، وذكر تعالى أَمر سلْب الذباب لأَنه كان كثيراً محسوساً عند العرب، وذلك أَنهم كانوا يُضَمِّخُون أَوثانهم بأَنواع الطيب فكان الذباب يذهب بذلك، وكانوا متأَلمين من هذه الحجة فجعلت مثلاً[٢].

و«الذُّباب»: جمعه أَذبَّة في القليل، وذِبَّان في الكثير، كغُراب وأَغربة وغِرْبان، ولا يقال: ذبابات إِلَّا في الذيول لا في الحيوان.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾:

فقالت فرقة: أَراد بالطالب الأَصنام، وبالمطلوب الذباب، أَي أَنهم ينبغي أَن يكونوا طالبين لما سُلب من طيبهم على معهود الأَنفة من[٣] الحيوان.

وقالت فرقة: معناهُ ضَعْفُ الكفار في طلبهم الصواب والفضيلة من جهة الأَصنام، وضَعْفُ الأَصنام في[٤] إِعطاء ذلك وإِنالته.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يريد: ضَعُفَ الطالبُ وهو الذُّبابُ في استلابه ما على الأَصنام، وضَعُفَ الأَصنام في أَلَّا مَنَعَة لهم، وعلى كل قول: فدلَّ ضَعْفُ

---

(١) وهما شاذتان، عزا الأول الهذلي في الكامل (ص: ٦٠٥) للحسن، ويعقوب، وهارون، والخفاف، ومحبوب عن أبي عمرو، وعزا الثانية في مختصر الشواذ (ص: ٩٩) لليماني والأسواري، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٣١).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٦٨٥).

(٣) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع ولالاليه: «في».

(٤) في المطبوع: «عن».

الذباب الذي هو محسوسٌ مُجْمع عليه، وضَعْفُ الأَصنام [في أَن لَّا منعة لهم][1] عن هذا المُجْمع على ضعفه؛ على أَن الأَصنام في أَحط رُتْبة وأَخَسِّ منزلة.

وقوله: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ خطابٌ للناس المذكورين.

والضمير في ﴿قَدَرُواْ﴾ للكفار، والمعنى: ما وفَّوه حقَّه من التعظيم والتوحيد.

ثم أَخبر بقوَّة الله تعالى وعزَّته، وهما صفتان مناقضتان لعجز الأَصنام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

روي أَن هذه الآية إِلى قوله تعالى: ﴿ٱلْأُمُورُ﴾ نزلت بسبب قول الوليد بن المغيرة: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] الآية[2]، فأَخبر الله تعالى أَنه يَصْطَفِي أَي: يختار مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً إِلى الأَنبياء وغيرهم حسبما ورد في الأَحاديث[3]، وَمِنَ النَّاسِ، وهم الأَنبياءُ المبعوثون لإِصلاح الخلق الذين اجتمعت لهم النُّبُوَّة والرسالة.

وقوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ عبارة عن إِحاطة علمه بهم، وحقيقتها: ما قبلهم من الحوادث وما بعدهم، و﴿ٱلْأُمُورُ﴾: جمع أَمر، ليس يراد به المصدر.

---

(١) ساقط من الأصل والإماراتية والحمزوية.

(٢) وهذا الأثر لم أقف عليه، وسياق الكلام أورده الطبري في تفسيره (١٨/ ٦٨٧) من دون إسناد.

(٣) منه حديث ضعيف جدّاً، أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ١٧٠)، والطبراني في الكبير (٥/ ٢٢٠) من طريق نصر بن علي، ثنا عبد المؤمن بن عباد العبدي، عن عبد الله بن شرحبيل، عن رجل من قريش، عن زيد بن أبي أوفى، مرفوعاً: «إني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه، وحدثوا به من بعدكم، إن الله اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا هذه الآية ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ خلقاً يدخلهم الجنة»، الحديث، وهذا إسناد ضعيف جداً، عبد المؤمن بن عباد، قال أبو حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ٦٦): ضعيف، وفي إسناده من لم يسم، ولما ترجم البخاري في تاريخه الكبير (٣/ ٣٨٦) لزيد بن أبي أوفي، ذكر الحديث، وقال: لا يتابع عليه.

ثم أَمر الله تعالى المؤمنين بعبادته، وخصَّ الرُّكوع والسُّجود بالذِّكر تشريفاً للصَّلاة.

واختلف الناس، هل في هذه الآية سجدة؟: ومذهب مالك رحمه الله أَلَّا يُسْجد هاهنا(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ ندبٌ فيما عدا الواجبات التي صحَّ وجوبها من غير هذا الموضع(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ترجٍّ في حق المؤمنين، كقوله سبحانه: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، و«الفَلَاحُ» في هذه الآية: نيل البغية وبلوغ الأمل(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾.

قالت فرقة: هذه الآية أَمر الله تعالى فيها بالجهاد في سبيله، وهو قتال الكفار.

وقالت فرقة: بل هي أَعم من ذلك، وهو جهاد النفس، وجهاد الكافرين، وجهاد الظَّلَمة، وغير ذلك، أَمر الله عباده بأَن يفعلوا ذلك في ذات الله حقَّ فعله.

قال القاضي أَبو محمد: والعُموم حسَنٌ، وبَيِّنٌ أَن عرف اللَّفظة يقتضي الجهاد في سبيل الله.

وقال هِبَـةُ الله وغيره: إِن قوله: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، وقوله في الأُخرى: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] منسوخ بالتخفيف إِلى الاستطاعة(٤).

---

(١) انظر قول مالك ومن معه وقول المخالفين لهم في السجود عند الآية في: الاستذكار (٢/ ٥٠٦).

(٢) انظر أصول السرخسي (١/ ١٤)، والعدة لأبي يعلى (١/ ٢١٩-٢٢٠).

(٣) في الأصل: «قيل البلوغ».

(٤) انظر الناسخ والمنسوخ له (ص: ٦٢)، وانظر أيضاً: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٣٩)، وتفسير الطبري (٧/ ٦٨ و٦٩).

قال القاضي أَبو محمد: ومعنى الاستطاعة في هذه الأَوامر هو المرادُ من أَوَّل الأَمر، فلم يستقر تكليف بلوغ الغاية شرعاً ثابتاً فيقال إِنه نُسخ بالتخفيف[١]، وإِطلاقهم النسخ في هذا غير[٢] محدق.

و﴿ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ معناه: تخيَّركم.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ معناه: من تضييق، يريد: في شرعة المِلَّة، وذلك أَنها حنيفية سَمْحَة، ليست كشدائد بني إِسرائيل وغيرهم، بل فيها التَّوبة والكَفَّارات والرُّخص ونحو هذا ممَّا كثر عدُّه.

والحَرْجة: الشجر المُلْتَفُّ المتضايق، ورفع الحَرَج صحَّ[٣] لجمهور هذه الأُمَّة ولمن استقام على منهاج الشَّرْع، وأَما السَّلَّابَةُ والسُّرَّاقُ وأَصحاب الحدود فعليهم الحرج، وهم جاعلوه على أَنفسهم بمفارقتهم الدين، وليس في الشَّرع أَعظم حرجاً من إِلزام ثبوت رجلٍ لاثنين في سبيل الله، ومع صحَّة اليقين وجودة العزم ليس بِحَرَجٍ.

وقوله: ﴿مِّلَّةَ ﴾ نصب بفعل مضمر تقديره: بل جعلها، أَو نحوه من أَفعال الإِغراء.

وقال الفراءُ: هو نصب على تقدير حذف الكاف، كأَنه قال: كَمِلَّة، وقيل: هو كما ينصب المصدر[٤].

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾، قال ابن زيد[٥]: الضمير لِإبراهيم والإشارة إِلى قوله: / [٤/ ٧٤] ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾[٦].

---

(١) للتوسع في نسخ الحكم قبل العمل انظر: الإحكام لابن حزم (٤/ ٤٩٩)، والبحر المحيط للزركشي (٣/ ١٦٥-١٦٧).

(٢) سقطت «غير» من الحمزوية.

(٣) من المطبوع ونجيبويه.

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣١).

(٥) في المطبوع: «أبو زيد».

(٦) البقرة: ١٢٨، وانظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٩٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٣٨).

وقال ابن عباس[١]، وقتادة، ومجاهد: الضمير لله تعالى[٢].

ومِنْ قَبْلُ معناه: في الكتب القديمة.

﴿وَفِي هَٰذَا﴾: في القرآن، وهذه اللَّفظة تضعف قول مَنْ قال: الضمير لإِبراهيم، ولا يتوجَّه إِلَّا على تقدير محذوف من الكلام مستأْنف.

وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أَي: بالتبليغ، وقوله: ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أَي: بتبليغ رسلهم إِليهم على ما أَخبركم نبيُّكُم.

وأَسند الطبريُّ إِلى قتادة أَنه قال: أُعطيت هذه الأُمة ما لم يُعْطَه إِلَّا نَبيٌّ، كان يقال للنبي: أَنت شهيد على أُمّتك، وقيل لهذه الأُمة[٣]: ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وكان يقال للنبي: ليس عليك حرجٌ، وقيل لهذه الأُمَّة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وكان يقال للنبي: سَلْ تُعْطَ، وقيل لهذه الأُمَّة: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠][٤].

ثم أَمر الله تعالى بالصلاة المفروضة أَن تُقام ويُدَاوم عليها بجميع حدودها، وبالزكاة أَن تُؤَدَّى، كما أَنعم عليكم فافعلوا كذا، ثم أَمر بالاعتصام بالله تعالى، أَي: بالتَّعَلُّق به، والخُلُوصِ له، وطلبِ النجاة منه، ورَفْضِ التوكُّل على سِواه. و﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ في هذه الآية معناه: الذي يُليكم نصره وحفظه. وباقي الآية بَيِّن.

كمل تفسير سورة الحج بحمد الله تعالى وعونه[٥]

* * *

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٩١)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٩٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٣)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٣٨).

(٣) من نجيبويه والمطبوع ونور العثمانية، وكذ في الموضعين التاليين.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٩٣).

(٥) من نجيبويه والمطبوع، وفي الإماراتية: «حق حمده»، وفي لالاليه والحمزوية: «والحمد لله كثيراً».



تفسير سورة المؤمنون

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾.

أَخبر الله تعالى عن فلاح المؤمنين وأَنهم نالوا البُغْية وأَحرزوا البقاءَ الدائم.

وروي عن كعب الأَحبار أَن الله تعالى لمَّا خلق جنة عدن قال لها: تكلَّمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

وروي عن مجاهد أَن الله تعالى لمَّا خلق الجنة وأَتْقن حسنها قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقرأَ طلحة بن مصرف: (قَدْ أَفْلَحُ الْمُؤْمِنُونَ) بضم الحاءِ، يريد: قد أَفلحوا، وهي قراءَة مردودة، وروي عنه: (قد أُفلِح المؤمنون) بضم الهمزة وكسر اللام[3].

ثم وصف تعالى هؤلاء المفلحين فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾،

---

(١) انظر: الزهد لابن المبارك (ص ٥١٢)، وتفسير الطبري (١٩/ ٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٨).

(٣) وهما شاذتان، انظر عزوهما له في مختصر الشواذ (ص: ٩٩)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣١).

و«الخشوعُ»: التَّطامن وتساكن الأَعضاءِ والوقار، وهذا إِنما يظهر في الأَعضاءِ لمن في قلبه خوف واستكانة، ورُوي عن بعض العلماءِ أَنه رأَى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: لو خشع هذا خشعت جوارحه[١].

وروي أَن سبب هذه الآية: أَن المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم يَمْنة ويَسْرة، فنزلت هذه الآية، وأُمروا أَن يكون بصر المصلِّي حذاءَ قبلته أَو بين يديه، وفي الحرم إِلى الكعبة[٢].

وروي عن ابن سيرين وغيره: أَن رسول الله ﷺ كان يلتفت في صلاته إِلى السماءِ فنزلت الآية في ذلك[٣].

و﴿ٱللَّغْوِ﴾: سقط القول، وهذا يعم جميع ما لا خير فيه، ويجمع آداب الشرع، وكذلك كان النبي ﷺ وأَصحابه، وكأَن الآية فيها موادعة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾ ذهب الطبري وغيره إِلى أَنها الزكاة المفروضة في الأَموال[٤]، وهذا بَيِّنٌ.

---

(١) الزهد لابن المبارك (ص: ٤١٩)، والسنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٢٨٥) وقد روي مرفوعاً قال الألباني في الضعيفة (١١٠): عزاه السيوطي في الجامع الصغير لرواية الحكيم عن أبي هريرة. قلت: وصرح الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي (٢٠٢/ ٢) بأن سنده ضعيف. وهو أشد من ذلك فقد قال الشيخ المناوي: رواه في النوادر عن صالح بن محمد، عن سليمان بن عمرو، عن ابن عجلان، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجلاً يعبث بلحيته وهو في الصلاة، فذكره. قال الزين العراقي في شرح الترمذي: وسليمان بن عمرو هو أبو داود النخعي متفق على ضعفه، وإنما يعرف هذا عن ابن المسيب. وقال في المغني: سنده ضعيف، والمعروف أنه من قول سعيد، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وفيه رجل لم يسم. وقال ولده: فيه سليمان بن عمرو مجمع على ضعفه. وقال الزيلعي: قال ابن عدي: أجمعوا على أنه يضع الحديث.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٨) من طريق ابن سيرين، به مرسلًا.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٨) من طريق أيوب، عن ابن سيرين، قال: نبئت...فذكره مرسلًا، به.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٠).

ويحتمل اللفظ أَن يريد بالزكاة الفضائل، كأَنه أَراد[١] الأزكى من كل فعل، كما قال تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ صفة العفة.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ الآية، يقتضي تحريم الزنى، والاستمناء، ومواقعة البهائم[٢]، وكل ذلك في قوله: ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾، ويريد: وراءَ هذا الحدِّ الذي حُدَّ.

ومعنى ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من النساء.

ولما كان ﴿حَٰفِظُونَ﴾ بمعنى: محجرون[٣] حسُن استعمال ﴿عَلَىٰٓ﴾.

و«العَادِي»: الظالم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾.

قرأَ جمهور الناس: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ بالجمع، وقرأَ ابن كثير: ﴿لأماناتهم﴾ بالإِفراد[٤].

و«الأَمانةُ»: العهدُ، تجمع كل ما تَحمَّله الإِنسان من أَمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيدَ وغير ذلك، ورعايةُ ذلك: حفظُه والقيام به، والأَمانة أَعمُّ من العهد؛ إِذ كلُّ عهد فهو أَمانة فيما تقدَّم فيه قول أَو فعل أَو معتقد، وقد تعنُّ[٥]

---

(١) في الأصل: «أراد كأنه».

(٢) انظر الإجماع على تحريم إتيان البهائم، دون الحد في: الإقناع (٤/ ١٨٥٥-١٨٦٢)، ومنع الاستمناء عند المالكية والجمهور في أحكام القرآن لابن العربي (٥/ ٤٦٤-٤٦٥)، ومخالفة جمهور الحنابلة في: الإنصاف للمرداوي (١٠/ ٢٥١).

(٣) في المطبوع: «محجوزون».

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٨)، والسبعة (ص: ٤٤٤).

(٥) في نور العثمانية: «وقد تكون»، وفي الحمزوية: «يعني».

الأمانة فيما لم يعهد فيه تقدم، وهذا إِذا أَخذناهما بنسبتهما إِلى العبد، فإِن أَخذناهما ـ من حيث هُما عَهْد الله إِلى عباده وأمانته التي حَمَّلَهم ـ كانا في رتبة واحدة.

وقرأَ الجمهور: ﴿صَلَوَٰتِهِمْ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿صَلَاتِهِمْ﴾ بالْإِفراد[1]، وهذا الإِفراد اسم جنس، فهو بمعنى الجمع.

والمحافظةُ على الصلاة: ترقُّبُ أَوقاتها والمبادرةُ إِلى وقت الفضل فيها.

و﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ يريد: الجنةَ، ورُوي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِن الله تعالى جعل لكل إِنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار، فأَما المؤمنون فيأَخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار، ويحصل الكفار في مساكنهم في النار[2]».

ويحتمل أَن يسمي الله تعالى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصلوها دون غيرهم، فهو اسمٌ مستعار على الوجهين.

و﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾: مدينة الجنة، وهي جنة الأَعناب، واللفظة فيما قال مجاهد: روميَّة عُرِّبت[3]، وقيل: هي فارسية عُرِّبت، والعرب تقول للكروم: فراديس، وقال رسول الله ﷺ لأُمِّ حارثة: «إِنها جنان كثيرة، وإِن ابنك قد أَصاب الفردوس الأعلى»[4].

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٨)، والسبعة (ص: ٤٤٤).

(٢) في المطبوع: على منازلهم في النار، والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٣٤١) والطبري (١٩/ ١٢) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وهذا إسناد صحيح، إن سلم من تدليس الأعمش.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥٤) من حديث أنس بن مالك، مرفوعاً، ولفظة: «الأعلى» ليس في المطبوع ولالاليه، وفيه: «جنات»، وفي لالاليه ونور العثمانية: «منها»، وسقط القول بأنها فارسية من الأصل.

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ / . [٤/ ٧٥]

هذا ابتداءُ كلام، والواو في أَوله عاطفةٌ جملةَ الكلام على جملةٍ وإِن تباينت في المعاني.

واختلف المفسرون في قوله: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: فقال قتادة وغيره: أَراد آدم عليه السلام؛ لأَنه استُلَّ من الطين[١]، ويجيءُ الضمير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ عائداً على ابن آدم ـ وإِن كان لم يذكره ـ لشهرة الأَمر، وأَن المعنى لا يصلح إِلَّا له، نظير ذلك: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، وغيره.

وقال ابن عباس وغيره: المراد بقوله: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: ابن آدم، و﴿سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾: صفوة الماءِ[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا على أَنه اسم الجنس، ويترتب عليه أَنه سلالة من حيث كان الكل عن آدم عليه السلام أَو عن الأَبوين المتغذيين[٣] بما يكون من الماء والطين، وذلك السبع التي جعل الله تعالى رزق ابن آدم فيها، وسيجيءُ قول ابن عباس فيها إِن شاءَ الله.

وعلى هذا يجيءُ قول ابن عباس: إِن السلالة هي صفوة الماء، يعني المنِيَّ.

وقال مجاهد: ﴿سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾: مني آدم[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا نبيل[٥]؛ إِذْ آدم من طين وذريته من سلالة، وما

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٤)، ومعاني القرآن النحاس (٤/ ٤٤٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤) من طريق الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن أبي يحيى، وهو زياد المكي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد لا بأس به إن سلم من تدليس الأعمش، وفيه: قوله: «صفوة الماء» فقط، دون ما ذكره المؤلف هاهنا.

(٣) في غير نجيبويه والمطبوع: «المتغذيين».

(٤) في المطبوع: «بني آدم»، وانظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٤٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٧).

(٥) في غير نجيبويه والمطبوع: «نبيل».

يكون عن الشيءِ فهو سلالته[١]، وتختلف وجوه ذلك الكون، فمنه قولهم للخمر: سلالةٌ؛ لأنها سلالة العنب، ومنه قول الشاعر:

إِذا أُنْتِجَتْ مِنْهَا المَهَارَى تَشَابَهَتْ   عَلَى العَوْدِ إِلَّا بِالأُنُوفِ سَلَائِلُهُ[٢]   [الطويل]

ومن اللفظة قول هند بنت النعمان بن بشير:

....   سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلُ[٣]   [الطويل]

ومنه قول الآخر:

فَجَاءَتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيمِ غَضَنْفَراً   سُلَالَةَ فَرْجٍ كَانَ غَيرَ حَصِينِ[٤]   [الطويل]

وهذه الفِرقة يترتب مع قولها عود الضمير في «جعلنا» و«أنشأنا».

و«النُّطْفَةُ»: تقع في اللغة على قليل الماءِ وعلى كثيره، وهي هنا لمني ابن آدم.

و«القَرَارُ الْمَكِينُ» من المرأَة هو موضع الولد.

و«الْمَكِينُ»: المتمكِّنُ، فكأَن القرار هو المتمكِّنُ في الرحم.

و«العَلَقَةُ»: الدم الغريض[٥]، و«المُضْغَةُ»: بضعة اللحم قَدْر ما يُمْضغُ.

وقرأَ الجمهور: ﴿عِظَـٰمًا﴾ في الموضعين، وقرأَ ابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿عَظْماً﴾ بالإِفراد في الموضعين[٦].

---

(١) في نجيبويه: «سلالة»، بدل سلالته، و«سلالته» بدل سلالة.

(٢) البيت لذي الرمة كما في الأمالي للقالي (١/ ٥٦)، وانظر سمط اللآلي (١/ ٦٠)، وكتاب التنبيه على أوهام أبي علي (١/ ٣٤).

(٣) صدره: وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ، انظر نسبته لها في أدب الكاتب (١/ ٣٥)، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٦٠)، والعقد الفريد (٦/ ١٢٣)، والأغاني (٩/ ٢٦٢)، وسماها حميدة، وذكر كامل قصتها مع روح بن زنباع، وتقدم ذكر هند في الآية **١٥٦** من سورة النساء.

(٤) البيت لحسان بن ثابت كما في مجاز القرآن (٢/ ٥٦)، ولسان العرب (١١/ ٣٣٩).

(٥) الغريض: الطري.

(٦) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٤٤٤)، والتيسير (ص: ١٥٨).

وقرأَ السلمي، وقتادة، والأَعرج، والأَعمش بالإِفراد أَولاً، بالجمع في الثاني.

وقرأَ مجاهد، وأَبو رجاءٍ، وإِبراهيم بن أَبي بكر بعكس ذلك[١].

وفي قراءة ابن مسعود: (ثم جعلنا المُضْغَةَ عَظْماً وعَصَباً فكسوناه لحماً)[٢].

واختلف الناس في الخَلْقِ[٣] الآخر:

فقال ابن عباس[٤]، والشعبي، وأَبو العالية، والضحاك، وابن زيد: هو نَفْخُ الروح فيه[٥].

وقال ابن عباس أيضاً: خروجه إِلى الدنيا[٦].

وقال قتادة عن فِرْقَة: نبات شعره، وقال مجاهد: كمال شبابه[٧].

وقال ابن عباس أيضاً: تصرفه في أُمور الدنيا[٨].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التخصيص كله لا وجه[٩] له، وإِنما هو عام في هذا،

---

(١) وهذا الجمع بينهما شاذ في القراءتين، انظرهما في المحتسب (٢/ ٨٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٣١) إلا أنهما اقتصرا في الثانية على مجاهد، وانظر عزوها للباقيين في البحر المحيط (٧/ ٥٥١)، وفي المطبوع: «سلمة»، بدل السلمي، وإبراهيم تقدم في سورة إبراهيم.

(٢) وهي شاذة، انظرها في تفسير الطبري (١٩/ ١٧)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٢)، في المطبوع: «كسوناها».

(٣) في الأصل: «القول».

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١٧) من طريق هشيم بن بشير، عن حجاج بن أرطاة، عن عطاء، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به. وهشيم مدلس، وحجاج بن أرطاة، متفق على ضعفه.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٤٨) تفسير الماوردي (٤/ ٤٨).

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ١٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٧) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ١٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٤٨).

(٨) نفس أثر هشيم بن بشير السابق.

(٩) في الأصل: «وحي».

وغيرُه من وجوه النطق والإِدراك وحسن المحاولة هو بها آخر، وأَول رتبة من كونه آخرَ هي نفْخ الروح فيه، والطرف الآخر من كونه آخَر تحصيله المعقولات [إِلى أَن يموت][1].

و«تَـبَارَكَ»: هو مطاوع بارك، كأَنها بمنزلة: تعالى وتقدَّس، في[2] معنى البركة.

وهذه الآية يروى أَن عمر بن الخطاب لما سمع صدر الآية إِلى قوله: ﴿ءَاخَرَ﴾ قال: «فتبارك اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أُنزلت»[3].

ويروى أَن قائل ذلك معاذ بن جبل[4].

ويروى أَن قائل ذلك عبد الله بن أَبي سَرْح، وبهذا السبب ارتدَّ، وقال: أَنا آتي بمثل ما يأْتي به محمد، وفيه نزلت: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] الآية[5].

وقوله: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ معناه: أَحسن الصانعين، يقال لمن صَنَعَ شيئاً: خلقه.

ومنه قول الشاعر:

[الكامل]

وَلأَنْـتَ تَفْـرِي مَـا خَلَقْـتَ وَبَعْـ ـضُ الْقَـوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي[6]

وذهب بعض الناس إِلى نفي هذه اللفظة عن الناس، فقال ابن جُرَيْج: إِنما قال:

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) في أحمد٣ والمطبوع: «من».

(٣) ضعيف، أخرجه الآجري في الشريعة (١٣٣٥) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، به، وابن جدعان متفق على ضعفه.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٥٦) من طريق آدم بن أبي إياس، عن شيبان، عن جابر، عن عامر الشعبي، عن زيد بن ثابت مرفوعاً، قال الطبراني: لا يروى عن زيد إلا بهذا الإسناد، تفرد به آدم، وجابر، هو: ابن يزيد الجعفي، متفق على ضعفه.

(٥) مرسل، أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٥-٤٦) من طريق ابن إسحاق، قال: حدثني شرحبيل ابن سعد فذكره.

(٦) البيت لزهير بن أبي سُلْمى كما تقدم في تفسير الآية (٢٧) من سورة البقرة.

﴿ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ لأَنه تعالى قد أَذِنَ لعيسى عليه السلام في أَن يخلق[(١)]، واضطرب بعضهم في ذلك، ولا تُنْفَى اللفظة عن البشر في معنى الصنع، وإِنما هي منفية بمعنى الاختراع والإِيجاد من العدم.

ومن هذه الآية قال[(٢)] ابن عباس لعمر بن الخطاب حين سأَل[(٣)] مشيخة الصحابة عن ليلة القدر فقالوا: الله أَعلم، فقال عمر: ما تقول يا بن عباس؟ فقال: يا أَمير المؤمنين، إِن الله تعالى خلق السماوات سبعاً والأَرضين[(٤)] سبعاً، وخلق ابن آدم من سبع، وجعل رزقه في سبع، فأَراها في ليلة سبع وعشرين، فقال عمر: أَعَجَزَكُمْ أَن تأْتُوا بمثل ما أَتى به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأْسه، وهذا الحديث بطوله في «مسند» ابن أَبي شيبة[(٥)].

فأَراد ابن عباس بقوله: خلق ابن آدم من سبع هذه الآية، وبقوله: وجعل رزقه في سبع قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ [عبس: ٢٧- ٣١] الآية، السَّبع منها لابن آدم، والأَبُّ للأَنعام، والقَضْبُ يأْكله ابن آدم وتسمن به النساءُ، وهذا قول، وقيل: القضب: البقول لأَنها تقضب، فهي رزق ابن آدم.

وقيل: القَضْب والأَبُّ للأَنعام، والسِّتَّة الباقية لابن آدم، والسابعة: هي الأَنعام إِذْ هي من أَعظم رزق ابن آدم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٩)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٥٢).

(٢) في الأصل: قول.

(٣) في المطبوع: «سأله».

(٤) في المطبوع: «الأرض».

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢١٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٠٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤١٢).

﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارة إِلى ما ذكر من هذه الأَحوال، وقرأَ ابن أَبي عبلة: (لَمَائِتُونَ) بالأَلف[١].

و﴿تُبْعَثُونَ﴾ معناه: من قبوركم أَحياءً، وهذا خبر بالبعث والنشور.

و«الطَّرَائِقُ»: كل ما كان طبقاتٍ بعضه[٢] فوق بعض، ومنه: طارقت نعلي، ويريد بالسَّبع الطرائق السماوات، ويجوز أَن تكون الطرائق بمعنى المبسوطات، من: طرقت الشيءَ.

[٤/ ٧٦] / وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ نفيٌ عام، أَي: في إِتقان خلقهم، وعن مصالحهم، وعن أَعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ قال بعض العلماءِ: أَراد المطر.

وقال بعضهم: إِنما أَراد الأَنهار الأَربعة: سيحان وجيحان والفرات والنيل.

قال القاضي أبو محمد: والصواب أَن هذا كله داخل تحت الماء الذي أَنزل الله تعالى.

وقال مجاهد: ليس في الأَرض ماءٌ إِلَّا وهو من السماء، ويمكن أَن يقيد هذا بالعذب، وإِلَّا فالأُجاج ثابت في الأَرض مع القحط، والعذب يقل مع القحط[٣]، وأَيضاً فالأَحاديث تقتضي الماءَ الذي كان قبل خلق السماوات والأَرض، ولا محالة أَن الله تعالى قد جعل في الأَرض ماءً وأَنزل من السماءِ ماءً[٤].

وقوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾ أَي على مقدار مصلح؛ لأَنه لو كثر أَهلك.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: **٣٣٣**).

(٢) في نجيبويه: «بعضها»، وفي المطبوع: «من طبقات».

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١١٢).

(٤) منها ما أخرجه البخاري في صحيحه (**٣٠١٩**) من حديث عمران بن حصين، رضي الله عنه، مرفوعاً: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض».

و﴿فَأَنشَأْنَا﴾ معناه: أَوجدنا وخلقنا، وذكر تعالى النخيل والأَعناب لأَنها ثمرة الحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما، قاله الطبري[١].

ولأَنها أيضاً أَشرف الثمار، فذكرها[٢] مثالًا تشريفاً[٣] لها، وتنبيهاً عليها.

وقوله: ﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾ يحتمل أَن يعود الضمير على الجنَّات، فيريد حينئذ جميع أَنواع الفواكه، ويحتمل أَن يعود على النخيل والأَعناب خاصة؛ إِذْ فيها مراتب وأَنواع، والأَول أَعم لسائر الثمرات.

وقوله: ﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على قوله: ﴿جَنَّٰتٍ﴾، ويريد بها الزيتونة، وهي كثيرة في طُورِ سَيْناءَ من أَرض الشام، وهو الجبل الذي كلَّم الله تعالى فيه موسى عليه السلام، قاله ابن عباس وغيره[٤].

و«الطُّور»: الجبل في كلام العرب، وقيل: هو مما عُرِّب من كلام العجم.

واختلف في سَيْناءَ:

فقال قتادة: معناه: الحسن، ويلزم على هذا التأْويل أَن ينون الطُّور.

وقال مجاهد: معناه: مبارك، وقال مَعْمر عن فرقة: معناه: ذو شَجَر[٥].

قال القاضي أَبو محمد: ويلزمهم أَن يُنون الطُّور.

وقال الجمهور: هو اسم الجبل، كما تقول: جبل أُحد، وسَيْناءَ اسمٌ مضافٌ إِليه الجبل.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢١).

(٢) في المطبوع: «فذكره».

(٣) في نجيبويه والمطبوع: «لا تشريفا»، بالنفي.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٢) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس، رضي الله عنهما، قاله الإمام أحمد، وقال ابن معين: لم يسمع أحداً من أصحاب النبي ﷺ، انظر: جامع التحصيل (٥٢٢).

(٥) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (١٩/ ٢٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٥٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٥٦).

وقرأ نافع، وأَبو عمرو، وابن كثير: ﴿سِينَاءَ﴾ بكسر السين، وقرأ الباقون وعمر بن الخطاب: ﴿سَيْنَآءَ﴾ بفتح السين، وكلُّهم بالمدِّ[١].

فعلى فتح السين لا ينصرف الاسم بوجه، وعلى كسر السين فالهمزة كهمزة حِرباءٍ، ولم ينصرف في هذه الآية لأَنه جُعِلَ اسمَ بُقعة أَو أَرض.

وقرأ الجمهور: ﴿تَنْبُتُ﴾ بفتح التاءِ وضم الباءِ، فالتقدير: تَنْبُت ومعها الدهن، كما تقول: خرج زيد بسلاحه.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿تُنْبِتُ﴾ بضم التاءِ [وكسر الباءِ][٢]، واختلف في التقدير على هذه القراءَة:

فقالت فرقة: الباءُ زائدة، وهكذا قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وهذا المثال عندي معترض وإِن كان أَبو علي قد ذكره[٣]، كقول الشاعر:

[الرجز] نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبَابُ الْفَلَجْ نَضْرِبُ بِالْبِيْضِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ[٤]

ونحو هذا.

وقالت فرقة: التقدير: تُنبت جناها ومعه الدهن، فالمفعول محذوف، قاله أَبو علي الفارسي أيضاً[٥]، وقد قيل: نَبَتَ وأَنبتَ بمعنى، فيكون المعنى كما مضى في قراءَة الجمهور.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٩)، والسبعة (ص: ٤٤٤)، وانظر عزو الثانية لعمر تفسير القرطبي (٢٠/ ١١٣).

(٢) سقط من الأصل، وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٤٤٥)، والتيسير (ص: ١٥٩).

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٩١).

(٤) هذا الرجز للنابغة الجعدي، كما في خزانة الأدب (٩/ ٥٢١)، ومعجم البلدان (٤/ ٢٧١)، وتاج العروس (٦/ ١٥٨).

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٢٩٢).

والأَصمعي يُنكر [أنبت، ويتَّهم قصيدة زهير التي فيها][(١)]: أَنْبَتَ الْبَقْلُ[(٢)].

وقرأَ الزهري، والحسن، والأَعرج: (تُنْبَتُ) برفع التاءِ ونصب الباءِ[(٣)]، قال أَبو الفتح: هي باءُ الحال، أَي: تُنْبَتُ ومعها دهنها.

وفي قراءَة ابن مسعود: (تخرجُ بالدُّهْن)[(٤)]، وهي أيضاً باءُ الحال.

وقرأَ زرُّ بن حُبَيْش: (تُنْبِتُ) بضم التاءِ وكسر الباءِ (الدُّهْنَ) بحذف الباءِ ونصبه[(٥)].

وقرأَ سليمان بن عبد الملك، والأَشهب: (بِالدِّهَانِ) بالألف[(٦)].

والمراد في هذه الآية: تعديد نعمة الزيت على الإِنسان، وهي من أَركان النِّعم التي لا غنى للصحة عنها، ويدخل في معنى الزيتونة شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الأقطار.

وقرأَت فرقة: ﴿وَصِبْغٍ﴾، وقرأَت فرقة: (وَأَصْبَاغٍ) بالجمع[(٧)].

وقرأَ عامر بن عبد قيس: (وَمَتَاعًا للآكِلِينَ)[(٨)].

---

(١) ساقط من نور العثمانية، وفي الأصل: «ينكر البيت، ويتهم» إلخ.

(٢) تمام البيت:

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِيْناً بِهَا حَتَّى إِذا أَنْبَتَ الْبَقْلُ

وانظر ذلك كله في جمهرة اللغة (١/ ٢٥٧).

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٨٧).

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٨٧)، وفي تفسير الطبري (١٩/ ٢٣): تخرج الدهن.

(٥) وهي شاذة، عزاها له في تفسير القرطبي (١٢/ ١١٦)، وأشار لها في المحتسب (٢/ ٨٨).

(٦) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (٧/ ٥٥٥)، وللأول في مختصر الشواذ (ص: ٩٩).

(٧) الأولى هي المتواترة، والثانية شاذة، تابعه عليها بلا نسبة في تفسير القرطبي (١٢/ ١١٦)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ٩٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٥٥) لعامر بن عبد الله بلفظ: «وصباغ»، وعزاها كذلك في زاد المسير (٣/ ٢٥٩) لابن السميفع.

(٨) وهي شاذة مخالفة للمصحف، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٥٥٦)، وتفسير القرطبي (١٢/ ١١٦)، وفي المطبوع: «عامر بن قيس».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: هي الإِبل والبقر والضأْن والمعز، و«العِبْرَة»: في خلقها وسائر أخبارها[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بضم النون من أَسقى، ورويت عن عاصم.

وقرأَ نافع، وعاصم وابن عامر: ﴿نسقيكم﴾ بفتح النون من سَقَى[٢].

فمن الناس من قال: هما لغتان بمعنى، ومنهم من قال: سَقَيْتُه إِذا أَعطيته للشَّفة، وأَسْقَيْتُه إِذا جعلت له سقيا لأَرض أَو ثمرة أَو نحوه، فكأَن الله جعل الأَنعام لعباده سقيا يشربون وينتجعون.

وقرأَ أَبو جعفر: ﴿تَسْقِيكُمْ﴾ بالتاءِ من فوق، أَي: تسقيكم الأَنعام[٣].

و«المنافع»: الحَمْلُ عليها، وجلودها، وأَصوافها، وأَوبارها، وغير ذلك مما يطول عدُّه.

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾: السفن، واحدها فُلْك، الحركاتُ في الواحد كحركات قُفْل وبُرْد[٤]، والحركات في الجمع كحركات أُسْد وكُتُب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾.

هذا ابتداءُ تمثيل لكفار قريش بأُمم كفرت بأَنبيائها فأُهلكوا، ففي ضمن ذلك الوعيد بأَن يحل لهم بلاءٌ نحو ما حلَّ بأُولئك.

---

(١) في أحمد٣: «أجناسها»، وفي الأصل: «خلقتها» وبدل «خلقها».

(٢) وهما سبعيتان، والثانية لنافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر، انظر: السبعة (ص: ٤٤٥).

(٣) وهي عشرية كما تقدم في سورة النحل، انظر: النشر (٢/ ٣٤٢).

(٤) سقط من الأصل.

ونوح عليه السلام أَول نبي أُرسل إِلى الناس[١]، وإِدريس أَول من نُبِّئ ولم يُرْسَل[٢].

و﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾: الأَشراف لأَنهم عنهم يصدر الملأُ، وهو جمع القوم، وفي قول هؤلاءِ استبعادُ بعثة البشر، وهم قوم مُقِرُّون بالملائكة، وذلك لا شك متقرر[٣] عندهم من بقايا نبوة آدم وإِدريس وغيرهما، ولم يكن ذلك عن علم صحيح ولا معرفة بأَخبار نُبُوَّة.

و«الجِنَّـةُ»: الجنون.

و﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ معناه: اصبروا وانتظروا هلاكه / . [٤/ ٧٧]

و﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ معناه: إِلى وقت، ولم يُعَـيِّـنُوه، وإِنما أَرادوا: إِلى وقت يريحكم القدر منه.

ثم إِنَّ نوحاً عليه السلام دعا على قومه حين يئس منهم، وإِن كان دعاؤُه في هذه الآية ليس بنصٍّ، وإِنما هو ظاهر من قوله: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾، فهذا يقتضي طلب العقوبة، وأَمَّا النُّصرة بمجردها فكانت تكون بِرَدِّهم إِلى الإِيمان.

وقرأَ أَبو جعفر، وابن مُحيصن: (رَبُّ انْصُرْنِي) برفع الباءِ، وكذلك ﴿رَبُّ احْكُم﴾[٤] وشبهه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٤٠).

(٢) يعني أنه أول نبي بعد آدم؛ لأن آدم كان نبياً، انظر: تاريخ دمشق (١/ ٢٩)، والبدء والتاريخ لابن طاهر المقدسي (٣/ ١١).

(٣) في المطبوع: «مستقر».

(٤) وهي شاذة، عزاها لابن محيصن في الشواذ للكرماني (ص: **٣٣٣**)، وتقدمت ﴿رب احكم﴾ لأبي جعفر، وأما هنا فليس له شيء.

قد تقدم القول في صفة السفينة وقدرها في سورة هود، والفُلْك هنا: مفرد لا جمع.

وقوله تعالى: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن الإدراك، هذا[١] مذهب الحذاق[٢]، ووقفت الشريعة على أَعْيُن وعَيْن، ولا يجوز أَن يقال: عينان من حيث لم توقف الشريعة على التثنية[٣].

و(وَحْيِنا) معناه: في كيفية العمل ووجه البيان، وذلك أَن جبريل عليه السلام نزل إِلى نوح فقال له: اصنع كذا وكذا لجميع حكم السفينة وما يحتاج إِليه. واستَجَنَّ الكفار نوحاً لادعائه النبوة بزعمهم أَنها دعوى، وسخروا منه لعمله السفينة على غير مجرى، ولكونها أَول سفينة إِن صح ذلك.

وقوله: ﴿أَمْرُنَا﴾ يحتمل أَن يكون مصدراً بمعنى أَن نأْمر الماءَ بالفيض، ويحتمل أَن يريد واحد الأُمور، أَي إِهلاكنا للكفرة، وقد تقدم القول في معنى قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، والصحيح من الأَقوال أَنه تنُّور الخُبز، وأَنها أَمارةٌ كانت بين الله تعالى وبين نوح عليه السلام.

وقوله: ﴿فَٱسْلُكْ﴾ معناه: فَأَدْخِلْ، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] حَتَّى سَلَكْنَ الشَّوَى مِنْهُن فِي مَسَكٍ ... مِنْ نَسْلِ جَوَّابَةِ الآفَاقِ مِهْدَاجِ[٤]

وقال الآخر:

[الوافر] وَكُنْتَ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ ... وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْم عَصِيبِ[٥]

---

(١) في المطبوع: «على».

(٢) يقصد بهم هنا المتكلمين، ومثل هذا التأويل في لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٢٤٠-٢٤١) بلا نسبة كذلك.

(٣) لأن أسماء الله وصفاته توقيفية، ولمزيد من التوسع في ذلك انظر: الإقناع (١/ ١٥-١٧).

(٤) البيت لأبي وَجْزَةَ السَّعْدِي، كما تقدم، في أول سورة الحجر.

(٥) هذا البيت لِعَدِيِّ بن زيد العباديِّ، وقد تقدم الاستشهاد به في تفسير الآية (٧٧) من سورة هود.

يقال: سَلَكَ وأَسْلَكَ بمعنى.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بتنوين ﴿كُلٍّ﴾.

وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم بإِضافة ﴿كُلِّ﴾ دون تنوين[١].

و«الزَّوْجَانِ»: كل ما شأْنه الاصطحاب من كل شيء، كالذكر والأُنثى من الحيوان، ونحو النِّعال وغيرها، كل واحد زوج للآخر، هذا موقع اللفظة في اللغة، والعدديُّون يوقعون الزوج على الاثنين، وعلى هذا أَمْرُ استعمال العامة للزوج.

وقوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ يريد قرابته، ثم استثنى من سبَقَ عليه القولُ بأَنه كافر، وهو ابنه وامرأَته، ثُم أُمر نوح عليه السلام أَلا يراجع ربه ولا يخاطبه شافعاً في أَحد من الظالمين، والإِشارة إِلى من استثني؛ إِذ العُرف من البشر الحُنُوُّ على الأَهل.

ثم أَمره تعالى بأَن يحمد ربَّه على النجاة من الظَّلَمة عند استوائه وتمكنه في الفلك، ثم أَمره بالدعاءِ في بركة المنزل.

وقرأ عاصم في رواية أَبي بكر: ﴿مَنْزِلاً﴾ بفتح الميم وكسر الزاي، وهو موضع النزول.

وقرأ الباقون وحفصٌ عن عاصم: ﴿مُنزَلًا﴾ وهو مصدر بمعنى الإِنزال، بضم الميم وفتح الزاي[٢]، ويجوز أَن يراد به موضع النزول.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، أَي: إِن فيما جرى على هذه الأُمم لعبراً أَو دلائل لمن له نظر وعقل.

ثم أَخبر أَنه تعالى يبتلي عباده الزَّمن بعد الزَّمن، على جهة الوعيد لكفار قريش بهذا الإِخبار.

---

(١) وهما سبعيتان، كما تقدم في حرف سورة هود.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٥٩)، والسبعة (ص: ٤٤٥).

﴿وَإِن﴾ عند سيبويه هي المخفَّفة من الثقيلة، واللام لام تأْكيد، والفراءُ يقول: إِنْ نافية، واللام بمعنى إِلا[١].

و﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ معناه: مصيبين ببلاءٍ، ومُخْتَبِرين اختباراً يؤدي إِلى ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

قال الطبري رحمه الله: إِن هذا القَرْن هم ثمود، ورسولهم صالح[٢].

قال القاضي أبو محمد: وفي جل[٣] الروايات ما يقتضي أَن قوم عادٍ أَقدم إِلاَّ أَنهم لم يهلكوا بصيحة، وفي هذا احتمالات كثيرة، والله أَعلم.

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ معناه: نعَّمناهم وبسطنا لهم الآمال والأَرزاق، ومقالة هؤلاءِ أيضاً تقتضي استبعاد بعثة البشر، وهذه الطائفة وقوم نوح لم يذكر في هذه الآيات أَن المعجزة ظهرت لهم وأَنهم كذبوا بعد وضوحها، ولكن ذلك مقدر معلوم وإِن لم يعين لنا المعجزة، والعقاب لا يتعلق بأَحد إِلا بعد تركه الواجب عليه، ووجوب الاتباع إِنما هو بعد قيام الحجة على المرء أَو على من هو المقصد[٤] والجمهور كالعرب في معجزة القرآن، والأَطباء لعيسى، والسحرة لموسى، فقيام الحجة على هؤلاء قامت على جميع من وراءَهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾.

---

(١) يعني أن هذا مذهبهما في مثل هذا كما تقدم مراراً.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) في نجيبويه: «المقصود».

قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ استفهام بمعنى التوقيف، على جهة الاستبعاد، وبمعنى الهزءِ بهذا الوعد.

/ و﴿أَنَّكُمْ﴾ الثانية بدل من الأُولى عند سيبويه، وفيها معنى تأْكيد الأَول، وكُرِّرت لطول الكلام، وإِن كان المبرد أَبَى عبارة البدل لكونه غير مستقل؛ إِذ لم يذكر خبر أَنَّ الأُولى[1]، والخبر عند سيبويه محذوف وتقديره: أَنكم تبعثون إِذا متم، وهذا المقدر هو العامل في ﴿إِذَا﴾. [٤/ ٧٨]

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (أَيَعِدُكُم إِذا متم وكنتم تراباً وعِظاماً أَنَّكُم مُخْرَجُونَ)[2]، بحذف ﴿أَنَّكُمْ﴾ الأولى، ويعنون بالإخراج: النشور من القبور.

وقولهم: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ استبعادٌ، وهذه كلمة لها معنى الفعل، التقدير: بَعُدَ كذا، فطوراً تلي[3] الفاعل دون لام، تقول: هيهات مجيءُ زيد، أَي: بَعُدَ ذلك، ومنه قول جرير:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُه[4] [الطويل]

وأَحياناً يكون الفاعل محذوفاً، وذلك عند اللام كهذه الآية، والتقدير: بَعُدَ الوجود لما توعدون، ومن حيث كانت هذه اللفظة بمعنى الفعل أَشبهت الحروف مثل صه[5] وغيرها، فلذلك بنيت على الفتح، وهذه قراءة الجماعة بفتح التاءِ.

---

(١) انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٣٢)، والمقتضب (٢/ ٣٥٦).

(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٥٦).

(٣) في المطبوع: «يليها».

(٤) البيت لجرير كما في كتاب العين (١/ ٦٤)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٠)، والخصائص (٣/ ٤٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٦).

(٥) في المطبوع: «مَهْ».

وهي مفرد سُمِّي به الفعل في الخبر، أَي: بَعُدَ، كما أَن شَتَّانَ اسم افترق، وعُرْف تسمية الفعل أَن تكون في الأَمر كصَهْ وحس[١].

وقرأَ أَبو جعفر: ﴿هَيْهَاتِ هيهاتِ﴾ بكسر التاءِ غير منونة[٢].

وقرأَها عيسى بن عمر، وأَبو حيوة ـ بخلاف عنه ـ بتاءٍ مكسورة منونة[٣].

وهي على هاتين القراءَتين عند سيبويه جمع هَيْهَاتَ، وكان حقها أَن تكون هَيْهَيَاتٍ، إِلَّا أَن ضعفها لم يقتض إِظهار الياءِ، وقال سيبويه رحمه الله: هي مثل بَيْضَات[٤]، أَراد: في أَنها جمع، وظن بعض النحاة أَنه أَراد: في اتفاق المفرد فقال: واحد هَيْهَاتٍ: هَيْهَة.

وليس كما قال، وتنوين عيسى على إرادة التنكير[٥]، وتَرْكُ [أَبي جعفر التنوين على إِرداة][٦] التعريف.

وقرأَ عيسى الهمداني: (هَيْهَاتْ هَيْهَاتْ) بتاءٍ ساكنة، وهي ـ على هذا ـ جماعة لا مفرد، وقرأَها كذلك الأَعرجُ، ورُويت عن أَبي عمرو[٧].

وقرأَ أَبو حيوة: (هَيْهَاتٌ) بتاءٍ مرفوعة منونة، وهذا على أَنه اسم معرب مستقل وخبره ﴿تُوعَدُونَ﴾، أَي: البُعْد لوعدكم، كما تقول: النجح[٨] لسعيك.

---

(١) في المطبوع: «وهَسْ»، وفي الإماراتية: «وحسن»، وفي الحمزوية وأحمد٣: «وحسى».

(٢) وهي عشرية، انظر عزوها له في النشر (٢/ ٣٦٨)، والمحتسب (٢/ ٨٩).

(٣) وهي شاذة، انظر ها في المحتسب (٢/ ٨٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ٨٠).

(٤) الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٩١)، وفي الأصل: «بيضة».

(٥) في لالاليه: «التكثير».

(٦) سقط من الأصل، وفي أحمد٣: «وترك أبو جعفر».

(٧) وهي شاذة، عزاها لعيسى ورواية أبي عمرو في المحتسب (٢/ ٩٠)، بلا ضبط، وللكل في البحر المحيط (٧/ ٥٦١).

(٨) في المطبوع: «النجم».

ورُوي عن أَبي حيوة: (هَيْهَاتُ) بالرفع دون تنوين[١].

وقرأَ خالد بن إِلياس: (هَيْهَاتاً هَيْهَاتاً) بالنصب والتنوين[٢].

والوقف على ﴿هَيۡهَاتَ﴾ من حيث هي مبنيَّة بالهاءِ، ومن قرأَ بكسر التاءِ وقف بالتاءِ[٣].

وهي في اللفظة لغاتٌ: هَيْهَا، وهَيْهَاتَ، وهَيْهَان، وأَيْهَاتَ، وهَيْهَاتِ، وهَيْهَاتُ، وهيهاتٌ، وهَيْهَاهْ، قال رؤْبة:

هَيْهَاتَ مِنْ مُنْخَرِقٍ هَيْهَاؤُهُ[٤] .... [الرجز]

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا تُوعَدُونَ) بغير لام[٥].

وقولهم: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ أَرادوا أَنه لا وجود لنا غير هذا الوجود، وإِنما تموت منا طائفة فتذهب وتجيءُ طائفة جديدة، وهذا كفر الدهرية[٦].

و﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾ معناه: بِمُصَدِّقِينَ، ثم دعا عليهم نبيُّهم وطلب عقوبتهم على تكذيبهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ (٤٤)﴾.

---

(١) وهما شاذتان، انظر عزوهما له في الكامل للهذلي (ص: ٦٠٦)، والأولى خاصة في المحتسب (٢/ ٨٩).

(٢) وهي شاذة، نقلها عنه في الدر المصون (٨/ ٣٣٨)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٣٤) للأعرج.

(٣) وقف عليها أكثر القراء بالتاء، ووقف الكسائي والبزي بالهاء، انظر: التيسير (ص: ٦٠).

(٤) عزاه له الخليل في العين (٤/ ١٠٧)، وابن جني في المحتسب (٢/ ٩٢) ونسبه في لسان العرب (١٣/ ٥٥٢) للعجاج.

(٥) وهي شاذة، عزاها له ولابن مسعود في زاد المسير (٣/ ٢٦٢).

(٦) هم القائلون بقدم العالم وعدم البعث، انظر: التبصير في الدين (١/ ١٤٩)، والملل والنحل لابن حزم (١/ ١٥).

المعنى: قال الله تعالى لهذا النبي الداعي: عمَّا قَلِيلٍ يندم قومك على كفرهم حين لا ينفعهم الندم، ومن ذِكْر الصيحة ذهب الطبري إِلى أَنهم قوم ثمود[١].

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: بما استحقوا من أَفعالهم، وبما حقَّ منا في عقوبتهم.

والغُثَاءُ: ما يحمله السيل من زَبَدِهِ ومعتاده الذي لا يُنتفع به، فيُشَبَّهُ كل هامدٍ وتالفٍ بذلك.

وبُعْداً: منصوب بفعل مضمر متروك إِظهاره.

ثم أَخبر تعالى عن أَنه أَنشأَ بعد هؤلاءِ أُمماً كثيرة، كل أُمَّة بأَجل وفي كتاب لا تتعداه في وجودها وعند موتها.

و﴿تَتْرَا﴾: مصدر بمنزلة فِعْل، مثل الدعوى والعدوى ونحوهما، وليس تترى بفعل، وإِنما هو مصدر من: تَوَاتَرَ الشيءُ.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَتْرَا﴾ كما تقدم، ووقفهم بالأَلف، وحمزة والكسائي يميلانها.

قال أَبو حاتم: هي أَلف تأْنيث.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿تتراً﴾ بالتنوين، ووقفهما بالأَلف، وهي أَلِف إِلحاق[٢].

قال ابن سِيدَهْ: يقال: جاؤُوا تَتْرَى وتَتْرًى، أَي متواترين، التاءُ مُبْدلة من الواو على غير قياس؛ لأَن قياس إِبدال الواو تاءً إِنما هو في اْفتَعَلَ [وما تَصَرَّف منها إِذا كانت ياؤُه

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٣).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٤٦)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ١٥٩)، والإمالة للأخوين أيضا سبعية وكذا تقليل ورش، وأما أبو عمرو فله في الوقف الوجهان، قال في النشر (٢/ ٨٠): ونصوص أكثر أئمتنا تقتضي فتحها له وإن كانت للإلحاق من أجل رسمها بالألف، وقول أبي حاتم لم أقف عليه، وانظر: الحجة لأبي علي (٥/ ٢٩٥).

واواً، فإن فاءَه تنقلب تاءً وتُدغم في تاءِ افْتَعَلَ][(١)]، وذلك نحو اتَّزَنَ[(٢)] واتَّجَهَ[(٣)].

وقوله: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: في الإِهلاك.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يريد أَحاديث مَثَل، وقلَّما يستعمل الجعل حديثاً إِلَّا في الشَّرِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾: هنا على بابها لترتيب الأُمور واقتضاء المُهْلَة، والآيَاتُ التي جاء بها موسى وهارون هي اليَدُ والعصا اللتان اقترن بهما التحدي، وهما السُّلْطَان المُبِيْن، ويدخل في عموم اللفظ سائر آياتهما كالبحر والمرسلات السِّت، وأَما غير ذلك مما جرى بعد الخروج من البحر فليست تلك لفرعون؛ بل هي خاصة ببني إِسرائيل.

و«الْمَلأُ» هنا: الجمع، يعمُّ الأَشراف وغيرهم.

و(استكبروا): معناه عن الإِيمان لموسى وأَخيه عليهما السلام؛ لأَنهم أَنِفوا من ذلك.

و﴿عَالِينَ﴾: معناه قاصدين العُلُوَّ بالظلم والكبرياء.

وقوله: ﴿عَٰبِدُونَ﴾ معناه: خادمون مُتَذَلِّلُونَ، ومن هذا قيل لعرب الحيرة: العِبَادُ؛ لأَنهم دخلوا من بين العرب في طاعة كسرى، وهذا أَحد القولين في تسميتهم، والطَّريق المُعَبَّد: المذَلَّل، وعلُوُّ هؤلاءِ هو الذي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

وقولُه: ﴿مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ يريد: بالغرق.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) في لالاليه والأصل: «اتزر».

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٥٣٣).

[٤/ ٧٩] / قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هو التوراة، و﴿لَعَلَّهُمْ﴾: يريد بني إِسرائيل؛ لأَن التوراة إِنما نزلت بعد هلاك فرعون والقبط، والترجِّي في لعل في حيِّز البشر، أَي: كان من فعلنا معهم ما يرجو معه ابن آدم إِيمانهم وهداهم، والقضاءُ قد [حتم بما حتم][١].

و﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: عيسى عليه السلام، وقصتهما كلها آية عظمى بمجموعها، وهي آيات مع التفصيل، وأَخذها من كلا الوجهين متمكن، و«آوَى» معناه: ضَمَّ، واستعمال اللفظة في الأَماكن، أَي أَقررناهما، و«الرَّبْوَة»: المرتفع من الأَرض.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿رُبْوَةٍ﴾ بضم الراء، وقرأَ عاصم، وابن عامر: بفتحها، وهي قراءَة الحسن وأَبي عبد الرحمن[٢].

وقرأ ابن عباس، ونصر عن عاصم بكسرها، وقرأَ محمد بن أَبي إِسحاق: (رُبَاوَةٍ) بضم الراءِ، وقرأَ الأَشهب العقيلي بفتحها، وقرأَت فرقة بكسرها، وكلها لغات قرئَ بها[٣].

و«القَرَارُ»: المتمكن، فمعنى هذا أَنها مستوية بسيطة للحرث والغراسة، قاله ابن عباس[٤].

---

(١) في المطبوع: «حكم بما حكم».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٤٦)، والتيسير (ص: ٨٣).

(٣) هذه أربع قراءات شاذة، انظر عزو الأولى لابن عباس في تفسير الثعلبي (٢/ ٢٦٤)، ومختصر الشواذ (ص: ٩٩)، ولإسحاق الأزرق، عن شعبة في جامع البيان (٢/ ٩٣٠)، والثانية لابن أبي إسحاق في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٥)، والثالثة فيه للأشهب، وعزا له الثعلبي الرابعة، وفي المطبوع: محمد بن إسحاق... والشهب العقيلي.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

وقال قتادة: القرار هنا: الحبوب والثمار[١].

ومعنى الآية: أَنها من البقاع التي كملت خصالها فهي أَهلٌ أَن يُسْتَقَر فيها، وقد يمكن أَن يُسْتَقَرَّ على الكمال في البقاع التي ماؤُها آبارٌ، فيَبِينُ بَعْدُ أَن ماءَ هذه الربوة يُرى معيناً جارياً على وجه الأَرض، قاله ابن عباس[٢]، وهذا كمال الكمال.

و«المَعِينُ»: الظاهرُ الجري للعين، فالميم زائدة، وهو الذي يُعايَن جريه، لا كالبئر ونحوه، وكذلك أَدخل الخليل وغيره هذه اللفظة في باب «ع ي ن»[٣].

وقد يحتمل أَن يكون من قولهم: مَعَن الماءُ، إِذا كثُر، ومن قولهم: المعنُ المعروف والجود، فالميم فاءُ الفعل، وأَنشد الطبري على هذا قول عبيد بن الأَبرص:

[مخلع البسيط]

وَاهِيَـــةٌ أَوْ مَعِيـــن مـــعْـــن أَوْ هَـضْـبَـةٌ دُونَـهَـا لُـهُـوبُ[٤]

وقد قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله هاجر، لو تركت زمزم لكانت عيناً معيناً»[٥]، وهذا يحتمل الوجهين.

وهذه الربوة هي الموضع الذي فرت إِليه مريم حين استحيت في قصة عيسى عليه السلام، وهو الذي قيل لها فيه: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]، هذا قول بعض المفسرين.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٩).
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.
(٣) العين (٢/ ٢٥٥).
(٤) عزاه له في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٩٣)، وتهذيب اللغة (١/ ٣١٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٣٩)، وفي أحمد٣: «داهية»، وسقطت منها معن، وفي سائر النسخ: «ممعن»، والتصحيح من المصادر، وبه يستقيم العروض، ويتم الاستشهاد.
(٥) أخرجه البخاري (٢٢٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً، به.

واختلف الناس في موضع الربوة:

فقال ابن المسيب سعيدٌ: هي الغوطة بدمشق، وهذا أَشهر الأَقوال؛ لأَن صفة الغوطة أَنها ذات قَرارٍ وَمَعِينٍ على الكمال[١].

وقال أَبو هريرة: هي الرملة في فلسطين[٢]، وأَسْنَدهُ الطبريُّ، عن كريب[٣]، [عن مُرَّةَ][٤] البَهْزِيِّ، عن النبي ﷺ[٥]، يعارض هذا القول أَن الرملة ليس يجري بها ماءٌ البتَّـةَ، ذكره الطبري وضعَّف القول به[٦].

وقال كعب الأَحبار: الرَّبوة بيت المقدس، وزعم أَن في التوراة أَن بيت المقدس أَقرب الأَرض إِلى السماء، وأَنه يزيد على الأَرض ثمانية عشر ميلاً[٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٢٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٧) من طريق بشر بن رافع، عن أبي عبد الله، ابن عم لأبي هريرة، عنه، وابن عم أبي هريرة، رضي الله عنه، مستور، قال الذهبي في الميزان (٤/ ٥٤٥): لا يُعرف، ما حدَّث عنه سوى بشر بن رافع.

(٣) هو كريب بن أبي مسلم المكي مولى ابن عباس، كنيته أبو رشدين، أدرك عثمان، وروى عن: زيد بن ثابت، وعائشة، وروى عنه: ابناه رشدين، ومحمد، وطائفة، وثقه ابن معين وغيره، وبعثته أم الفضل إلى الشام، توفي سنة ٩٨هـ، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٦٢).

(٤) سقط من الأصل، وفي أحمد٣: «النهزي»، وهو مرة بن كعب البهزي، من بهز بن الحارث بن سليم ابن منصور، نزل البصرة، ثم نزل بالشام، وتوفى مرة بن كعب البهزي بالأردن سنة ٥٧هـ، روى عنه أبو الأشعث، وعبد الله بن شقيق، الاستيعاب (٣/ ١٣٨٢).

(٥) غريب جدّاً، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٧)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٨) وغيرهم من طريق عباد ابن عباد أبي عتبة الخواص، ثنا يحيى بن أبي عمرو السيباني، عن أبي وعلة، عن كريب السحولي، عن مرة البهزي، مرفوعاً، بلفظ: «الرملة الربوة». قال الطبراني: لا يُروى هذا الحديثُ عن مُرة إلا بهذا الإسناد، تفرد به عباد بن عباد.اهـ، وعباد الخواص، في حفظه ضعف، انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٣٦٨)، ولما أورد الحديثَ الحافظُ ابنُ كثير في تفسيره (٥/ ٤٧٧) قال: وهذا الحديث غريب جدّاً.اهـ. وراجع السلسلة الضعيفة (٦٣٩٠).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٧).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٧)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٤٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٢٠).

قال القاضي أَبو محمد: ويترجَّح أَن الربوة في بيت لحم من بيت المقدس؛ لأَن ولادة عيسى هنالك كانت، وحينئذ كان الإِيواءُ.

وقال ابن زيد: الرَّبوة بأَرض مصر[١]، وذلك أَنها رُبًى يجيء[٢] فيض النيل إِليها فيملأُ الأَرض، ولا ينال تلك الرُّبَى وفيها القرى وبها نجاتها.

قال القاضي أَبومحمد: ويضعف هذا القول أَنه لم يُرْوَ أَن عيسى عليه السلام ومريم كانا بأَرض مصر، ولا حفظت لهما بها قصة.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ يحتمل أَن يكون معناه: وقلنا: يا أَيُّها الرسل، فتكون هذه بعض القصص التي ذَكَر، وكيفما حول المعنى[٣]، فلم يخاطبوا قطُّ مجتمعين، وإِنما خوطب كل واحد في عصره.

وقالت[٤] فرقة: الخطابُ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ لمحمد ﷺ، ثم اختُلف:

فقال بعضهم: أَقامه مقام الرسل، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾، وقيل غير هذا مما لا يثبت مع النظر.

والوجه في هذا: أَن يكون الخطاب لمحمد، وخرج بهذه الصيغة ليفهم وجيزاً أَن هذه المقالة قد خوطب بها كل نبي، أَو هي طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها، وهذا كما تقول لتاجرٍ: يا تُجَّار ينبغي أَن تجتنبوا الرِّبَا، فأَنت تخاطبه بالمعنى، وقد اقترن بذلك أَن هذه المقالة تصلح لجميع صنفه.

وقال الطبريُّ: الخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ لعيسى[٥].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ٤٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٢٠)، وفي نجيبويه والمطبوع: «أبو زيد».

(٢) في المطبوع: «يجري».

(٣) سقطت من الأصل، وفي المطبوع: «وكيفما كان قول المعنى».

(٤) في المطبوع: «وقرأت».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٠).

ورُوي: أَنه كان يأْكل من غزل أُمه[١]، والمشهور أَنه كان يأْكل من بقل البريّة[٢].

ووجه خطابه لعيسى عليه السلام ما ذكرناه من تقديره لمحمد ﷺ.

و﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ هنا: الحلالُ بِلَذَّة وبغير ذلك.

وفي قوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ تنبيه ما على التحفظ، وضرب من الوعيد بالمباحثة، صلى الله على جميع رسله وأَنبيائه، وإِذا كان هذا معهم فما ظنُّ كل الناسِ بأَنفسهم؟ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦﴾.

قرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَإِنَّ﴾ بكسر الأَلف وشدِّ النون.

وقرأَ ابن عامر: ﴿وَأَنْ هَٰذِهِ﴾ بفتح الأَلف وتخفيف ﴿أَنْ﴾.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿وَأَنَّ هَٰذِهِ﴾ بفتح الأَلف وتشديد ﴿أَنَّ﴾[٣].

فالقراءَة الأُولى بَيِّنَـةٌ على القطع، وأَما فتح الأَلف وتشديد النون فمذهب سيبويه أَنها متعلقة آخراً بـ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ على تقدير: لأَنَّ، أَي: فاتَّقُونِ لأَنَّ أُمَّتَـكُمْ أُمَّـة واحِدَة وأَنِّي رَبُّـكُمْ، وهذا عنده نحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨]، و﴿أَنَّ﴾ عنده في موضع خفض، وهي عند الخليل في موضع نصب لما زال الخافض، وقد عكس هذا الذي نسبتُ إِليهما بعضُ الناس[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٥)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٠)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٧٨)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٧٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ١٢٨).

(٣) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٥٩)، والسبعة (ص: ٤٤٦)، وسقط عاصم من الأصل.

(٤) انظر قولهما في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٢٦).

وقال الفراءُ: ﴿أَنَّ﴾ متعلقة بفعل مضمر، تقديره: واعلموا أَو / احفظوا[١]. [٤/ ٨٠]

وقرأَ الحسن، وابن أَبي إِسحاق: (أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ) بالرفع على البدل[٢].

وقرأَ نافع، وعاصم، وأَبو عمرو: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ بالنصب على الحال، وقيل على البدل من ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾، وفي هذا نظر.

وهذه الآية تقوِّي أَن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ إِنما هو مخاطبة لجميعهم، وأَنه بتقدير حضورهم، وتجيءُ هذه الآية بعد ذلك بتقدير: وقلنا للناس.

وإِذا قدرت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ مخاطبة لمحمد ﷺ قَلِقَ اتصالُ هذه واتصالُ قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾، أَما أن قوله: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ ـ وإِن كان قيل للأَنبياء ـ فأُممهم داخلون فيه بالمعنى، فيحسن بعد ذلك اتصال ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾.

ومعنى الأُمَّة هنا: المِلَّة والشريعة، والإِشارة بـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إِلى الحنيفية السمحة، ملَّةِ إِبراهيم عليه السلام، وهو دين الإِسلام.

وقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ يريد الأُمم؛ أَي: افترقوا، وليس بفعل مطاوع كما تقول: تقطَّع الثوبُ؛ بل هو فعل متعدٍّ بمعنى: قطعوا، ومثله: تجهَّمني الليل، وتخوَّفني السَّيْر، وتَعَرَّقني الزمن[٣].

وقرأَ نافع: ﴿زُبُرٗا﴾ بضم الزاي والباءِ، جمع زبور.

وقرأَ الأَعمش، وأَبو عمرو ـ بخلاف ـ: (زُبَراً) بضم الزاي وفتح الباءِ[٤].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٧).

(٢) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٨١)، والنصب قراءة القراء العشرة كلهم.

(٣) في المطبوع: «تعرفني».

(٤) الضم قراءة القراء العشرة، وبالفتح شاذة عزاها النحاس في معاني القرآن (٤/ ٤٦٦) للأعمش، والهذلي في الكامل (ص: ٦٠٦) لمسعود بن صالح، وعباس، وعبد الوارث، والجعفي، وهارون، وعبيد، وأبو زيد، واللؤلؤي عن أبي عمرو.

فأَما الأُولى فتحتمل معنيين:

أَحدهما: أَن الأُمم تنازعت أَمرها كُتُباً منزلة، فاتبعت فرقة الصُّحف، وفرقة التوراة، وفرقة الزبور، وفرقة الإِنجيل، ثم حَرَّفَ الكلُّ وبدَّل، وهذا قول قتادة.

والثاني: أَنهم تنازعوا أَمرهم كُتباً وضعوها وضلالات أَلَّفوها، وهذا قول ابن زيد[١]، وأَما القراءة الثانية فمعناها: فِرَقاً كزُبَر الحديد.

ثم ذكر تعالى أَن كل فريق منهم معجب برأْيه وضلالته، وهذا غاية الضلال؛ لأَن المرتاب بما عنده ينظر إِلى طلب الحق.

ومن حيث كان ذكر الأُمم في هذه الآية مثالاً لقريش خاطب محمداً ﷺ في شأْنهم متصلاً بقوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾؛ أَي: فذَرْ هؤلاءِ الذين هم بمنزلة من تقدم.

و«الغَمْرَةُ»: ما عمَّهم من ضلالهم، وفَعَلَ بهم فعلَ[٢] الماءِ الغَمْرِ بما حصل فيه.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (فَذَرْهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ)[٣].

و﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: أَي إِلى وقت فتحٍ فيهم غير محدود. وفي هذه الآية موادعة منسوخة بآية السيف.

ثم وقفهم على خطأ رأْيهم في أَن نعمة الله عندهم بالمال ونحوه إِنما هي لرضاه عن حالهم، وبيَّن تعالى أَن ذلك إِنما هو إِملاءٌ واستدراج.

وخبر «أَنَّ» في قوله: ﴿نُسَارِعُ﴾.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نُسَارِعُ﴾ بنون العظمة، وفي الكلام ـ على هذه القراءَة ـ ضمير عائد تقديره: لَهُمْ بِهِ.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٤٢)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٧٤).

(٢) في المطبوع: «به مفعل».

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له ولأبي البرهسم في الشواذ للكرماني (ص: **٣٣٥**).

وقرأ عبد الرحمن بن أَبي بكرة[١]: (يُسَارِعُ) بالياءِ [من تحت][٢] وكسر الراءِ بمعنى: أَن إِمدادنا يسارع، ولا ضمير مع هذه القراءَة إِلَّا ما يتضمن الفِعْل.

ورُوي عن ابن أَبي بكرة المذكور (يُسَارَعُ) بفتح الراءِ.

وقرأَ الحرُّ النحوي: (نُسْرِعُ) بالنون وسقوط الأَلف[٣].

و﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: هنا تعم الدنيا.

وقوله: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ وعيد وتهديد، والشُّعور مأْخوذ من الشِّعار وهو ما يلي الإِنسان من ثيابه[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾.

لما فرغ من ذِكر الكفرة وتوعُّدهم عقَّب ذلك بذكر المؤمنين ووعدهم، وذكر ذلك بأَبلغ صفاتهم، والإِشْفَاقُ أَبلغ التوقع والخوف.

و﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ﴾ لبيان جنس الإِشفاق، والإِشفاقُ إِنما هو من عذاب الله.

و﴿مِّنْ﴾ في قولنا: ﴿مِّنْ عَذَابِ﴾[٥] هي لابتداءِ غاية.

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي، أول مولود بالبصرة، روى عن أبيه، وكان ثقة جليل القدر، وفد مع أبيه على معاوية، قال أبو عمرو الداني: قال شعبة: كان أقرأ أهل البصرة، مات سنة ٩٦هـ، تاريخ الإسلام (٣/ ١٣٠)، وفي الحمزوية: «ابن أبي بكر».

(٢) زيادة من لالاليه.

(٣) وكلها شاذة، انظر الأولى لابن أبي بكرة في تفسير الطبري (١٩/ ٤٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٦٧)، وللحر في المحتسب (٢/ ٩٣)، والثانية فيه وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٦) لابن أبي بكرة، وفي المطبوع وأكثر النسخ: «عن أبي بكرة»، و«ابن» من أحمد٣.

(٤) في المطبوع: «الثياب».

(٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ في الآية (٢٧) من سورة المعارج، في المطبوع: «من عذاب الله».

و«الآياتُ»: تعمُّ القرآن، وتعمُّ العِبَر والمصنوعات التي لله، وغير ذلك مما فيه نظر واعتبار.

[المتقارب] وَفِـي كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ[١] ....

ثم ذَكَرَهُم تعالى من الطرف الآخر وهو نَفْي الإِشراك؛ لأَن لِكُفَّار قريش أَن يقولوا: ونحن نؤمن بآيات ربنا، ويريدون[٢] نصدق بأَنه المخترع الخالق، فذكر تعالى نفي[٣] الإشراك الذي لا حظَّ لهم فيه بسبب أَصنامهم.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ على قراءة الجمهور معناه: يُعطون ما أَعطوا، وقال الطبري: يريد الزكاة المفروضة وسائر الصدقة، وروي نحوه عن ابن عمر[٤]، ومجاهد[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وإِنما ضمَّهم إِلى هذا التخصيص أَن العطاءَ مستعمل في المال على الأَغلب، وقال ابن عباس[٦]، وابن جبير: هو عامٌّ في جميع أَعمال البرِّ[٧]، وهذا أحسن، كأَنه قال: والذين يُعطون من أَنفسهم في طاعة الله ما بلغه جهدهم.

---

(١) هذا صدر بيت متداول تمامه: تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ، وهو لأبي العتاهية كما تقدم في الآية (١٩٢) من سورة آل عمران.

(٢) في المطبوع: «ونريد أن»، وفي لالاليه: «نريد نصدق».

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٥) من طريق سفيان، عن ابن أبجر، عن رجل، عن ابن عمر، رضي الله عنهما، به. وهذا إسناد ضعيف، فيه من لم يُسم.

(٥) انظر قول الطبري ومجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٤٤) وما بعدها.

(٦) لم أقف عليه من قول ابن عباس، وإنما جاء هذا التفسير من قول الحسن البصري، رحمه الله تعالى، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٥)، والذي جاء في تفسيره ـ كما وقفت عليه ـ من قول ابن عباس، رضي الله عنهما، هو: الإنفاق خاصة، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٥) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، به، وابن جريج لم يلق أحداً من الصحابة، قاله: ابن المديني، كما في جامع التحصيل (٤٧٢).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٥)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٧٨).

وقرأَت عائشة أُم المؤمنين، وابن عباس، وقتادة، والأَعمش: (يَأْتُونَ مَا أَتَوْا) [(١)].

ومعناه: يفعلون ما فعلوا، ورويت هذه القراءَة عن النبي ﷺ[(٢)].

وذهبت فرقة إِلى أَن معناه: من المعاصي، وذهبت فرقة إِلى أَن ذلك في جميع الأَعمال طاعتها ومعصيتها، وهذا أَمدح، وأَسند الطبري عن عائشة رضي الله تعالى عنها أَنها قالت: قلتُ: يا رسول الله، قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ الذي يزني ويسرق؟ قال: «لا يا بنت أَبي بكر؛ بل هي في الرجل يصوم ويتصدق وقلبُه وَجِلٌ يخاف أَلَّا يُتقبل منه»[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: ولا نظر مع الحديث.

و«الوَجَلُ»: نحو الإِشفاق والخوف، وصورة هذا الوجل: أَمَّا المخلِّط فينبغي أَن يكون أَبداً تحت خوف من أَن يكون ينفذ عليه الوعيد بتخليطه، وأَما التَّقي والتائب: فخوفه من الخاتمة وما يطلع عليه بعد الموت، وفي قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ تنبيه على الخاتمة.

وقال الحسن: معناه: الذين يفعلون ما يفعلون من البر ويخافون أَلَّا يُنجيهم ذلك من عذاب ربهم[(٤)].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لعائشة، وابن عباس في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٦٩)، وللكل في المحتسب (٢/ ٩٤).

(٢) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٤١/ ١٨٥) والبخاري في الكنى من التاريخ الكبير (ص: ٢٨) والطبـري في تفسيره (١٩/ ٤٦) من طريق أبي خلـف مولى بني جمـح، عن عائشة، مرفوعاً به، وأبو خلف، فيه جهالة، تناوله الذهبي في الميزان (٤/ ٥٢١) وقال: لا يُعرف.

(٣) الصواب فيه الانقطاع، أخرجه الإمام أحمد (٤٢/ ١٥٦) والترمذي (٣١٧٥) والطبري (١٩/ ٤٦) من طريق عبد الرحمن بن سعيد بن وهب، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، به، وهذا إسناد منقطع، عبد الرحمن بن سعيد بن وهب، لم يلق عائشة، قاله أبو حاتم الرازي، انظر مراسيل ابنه (٤٥٦)، وجاء الحديث من طريق عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحو هذا، ولكنها شاذة، وقد صحح الدارقطني في علله (١١/ ١٩٣) الرواية المرسلة، وقال: وهو المحفوظ.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٥).

قال القاضي أَبو محمد: وهذه عبارة حسنة.

ورُوي عن الحسن أَيضاً أَنه قال: المؤمن يجمع إِحساناً وشفقة، والمنافق يجمع إِساءَةً وأَمْناً[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بفتح الأَلف، والتقدير: بأَنَّهم أَو لأَنهم أَو من أَجل أَنهم، ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿وَجِلَةٌ﴾ عاملا في «أَنَّ» من حيث هي بمعنى: خائفة. / . [٤/ ٨١]

وقرأَ الأَعمش: (إِنَّهُمْ) بكسر الأَلف[٢] على إِخبارٍ مقطوع في ضمنه تخويف.

ثم أَخبر تعالى عنهم بأَنهم يبادرون إِلى فعل الخيرات.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾، وقرأَ الحُرُّ النحوي: (يُسْرِعُون)، و(أَنَّهُمْ إِلَيْهَا سَابِقُونَ)[٣].

وهذا قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿لَهَا﴾، وقالت فرقة: معناه: من أَجلها سابقون، فالسباق ـ على هذا التأْويل ـ هو إِلى رضوان الله، وعلى الأَول هو إِلى الخيرات، وقال الطبري عن ابن عباس: المعنى: سبقت لهم السعادة في الأَزل فهم لها[٤]، ورجحه الطبري بأَن اللام متمكنة في المعنى[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٥).
(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له ولزيد بن علي في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٦).
(٣) وهي شاذة، انظر عزو (يسرعون) له في المحتسب (٢/ ٩٥)، وظاهره أن الثانية قراءة له كذلك، وهي في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٨)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٧٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٧٩)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٥١)، وتفسير الثعالبي (٤/ ١٥٥)، تفسيرٌ ولم ينسبوه.
(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٧ و٤٨).

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ نَسْخٌ لجميع ما ورد في الشرع من تكليف ما لا يطاق على الحقيقة، وتكليف ما لا يُطاق أَربعة أَقسام: ثلاثة حقيقة ورابع مجازي، وهو الذي لا يطاق الاشتغال بغيره مثل الإِيمان للكافر والطاعة للعاصي، وهذا التكليف باقٍ وهو تكليف أَكثر الشريعة، وأَما الثلاثة فورد اثنان منها، وفيها وقع النسخ المحال عقلاً في نازلة أَبي لهب، والمحال عادة في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية.

والثالث: لم يرد فيه شيءٌ، وهو النوع المهلك؛ لأَن الله تعالى لم يكلفه عباده، فأَما قتل القاتل ورجم الزاني فعقوبته بما فعل(١)، وقد مضى القول مستوعباً في مسأَلة تكليف ما لا يطاق في سورة البقرة، وفي قولنا: «ناسخ» نظر من جهة التواريخ وما نزل بالمدينة وما نزل بمكة، والله المعين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ أَظهر ما قيل فيه: أَنه أَراد كتاب إِحصاءِ الأَعمال الذي ترفعه الملائكة، وفي الآية ـ على هذا التأْويل ـ تهديدٌ وتأْنيس من الحيف والظلم، وقالت فرقة: الإِشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ إِلى القرآن.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يحتمل، والأَول أَظهر.

وقوله تعالى: ﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ يريد: في ضلال قد غمرها كما يفعل الماءُ الغَمْرُ بما حصل فيه، وقوله: ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ يحتمل أَن يشير إِلى القرآن، ويحتمل أن يشير(٢) إِلى كتاب الإِحصاءِ، ويحتمل أَن يشير إِلى الأَعمال الصالحة المذكورة قبل، أَي: هم في غمرة من اطِّراحها وتركها، ويحتمل أَن يشير إِلى الدين بجملته، أَو إِلى محمد ﷺ، وكل تأْويل من هذه قد قالته فرقة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾، الإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى الغَمْرة والضلال

---

(١) انظر هذه الأقسام في: البحر المحيط للزركشي (١/ ٣١١، ٣١٣، ٣١٥).

(٢) سقطت من نور العثمانية والإماراتية.

المحيط بهم، فمعنى الآية: بل هم ضالُّون معرضون عن الحق، وهم ـ مع ذلك ـ لهم سعايات فساد، فوسمهم تعالى بحالتي شرٍّ، قال هذا المعنى قتادة وأَبو العالية.

وعلى هذا التأْويل: فالإِخبار عما سلف من أَعمالهم وعمَّا هم فيه.

وقالت فرقة: الإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى قوله: ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ فكأَنه قال: لهم أَعمال من دون الحق أَو القرآن ونحوه.

وقال الحسن بن أَبي الحسن ومجاهد: إِنما أَخبر بقوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ﴾ عما يُستأْنف من أَعمالهم، أَي أَنهم لهم أَعمال من الفساد سيعملونها[١].

و﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرفُ ابتداءٍ لا غير، وإِذا والثانية[٢] التي هي جواب تمنعان[٣] من أَن تكون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لـ﴿عَٰمِلُونَ﴾.

و«المُتْرَفُ»: هو المنعّم في الدنيا الذي هو منها في سَرَف، وهذه حال شائعة في رؤَساء الكفرة من كل أُمة.

و﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ معناه: يستغيثون بصياح كصياح البقر، وكثر استعمال الجؤار في البشر، ومنه قول الأَعشى:

يــرَاوِحُ مِـنْ صَـلَـوَاتِ الْمَلِيـ ... ـكِ طَوْراً سُجُوداً وَطَوراً جُؤَارا[٤] [المتقارب]

وذهب مجاهد وغيره: إِلى أَن هذا العذاب المذكور هو الوعيد بيوم بدر[٥]، وفيه نقد على مُتْرَفِيهِمْ.

والضمير في قوله: ﴿إِذَا هُمْ﴾ يحتمل أن يعود على المُترفين فقط؛ لأَنهم صاحوا

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٩/ ٤٩)، وتفسير الماوردي (٤/ ٦٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٨١).

(٢) زاد في المطبوع: «الأولى وإذا»، ونبه في الحاشية على أنه ليس في الأصول.

(٣) في أحمد٣ ونجيبويه: «يمنعان»، وفي المطبوع: «تمنعاه».

(٤) البيت من قصيدة للأعشى يمدح بها قيس بن معد يكرب، وقد تقدم في الآية ٤٨ من سورة النحل.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٧٣)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٨١).

حين نزل بهم الهزم والقتل يوم بدر، ويحتمل أَن يعود على الباقين بعد المُعَذَّبين.

وقد حكى ذلك الطبري عن ابن جريج، قال: المُعَذَّبون: قتْلى بدرٍ، والذين يجأَرون: أهل مكة لأَنهم ناحوا واستغاثوا[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

المعنى: يقال يوم العذاب عند حلوله: ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾، وهذا القول يجوز أَن يكون حقيقة، أَي تقول لهم ذلك الملائكة، ويحتمل أَن يكون مجازاً، أَي: لسانُ الحال يقول ذلك، وهذا على أَن الذين يجأرون هم المعذَّبون، وأَما على قول ابن جريج[2] فلا يحتمل أَن تقول ذلك الملائكة.

قال القاضي أبو محمد: وقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ الآية يريد بها القرآن.

و﴿تَنكِصُونَ﴾ معناه: ترجعون وراءَكم، وهذه استعارة للإِعراض والإِدبار عن الحق.

وقرأَ علي بن أَبي طالب: (على أَدباركم تَنْكُصُونَ) بضم الكاف[3] وبذكر الأدبار بدلاً من الأَعقاب.

و﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾: حالٌ.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ قال الجمهور: هو عائد على الحَرَم والمسجد وإِن لم يتقدم له ذكرٌ لشهرته في الأَمر، والمعنى: إِنكم تعتقدون في أَنفسكم أَن لكم بالمسجد والحَرَم أَعظمَ الحقوق على الناس والمنازل عند الله، فأَنتم تستكبرون لذلك، وليس الاستكبارُ من الحق.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥١).
(٢) كما سيأتي، وانظر تفسير الطبري (١٩/ ٥١).
(٣) عزاها له القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٣٦)، وعزاها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٩) لابن مسعود، دون ضبط الكاف.

وقالت فرقة: الضمير[١] عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات، والمعنى: يُحدث لكم سماع الآيات كبراً[٢] وطغياناً.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ جيِّدٌ.

وذكر مُنذر بن سعيد أَن الضمير لمحمد ﷺ، وهو متعلق بما بعده، وكأَن الكلام تمَّ[٣] في قوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾، ثم قال / لمحمد ﷺ: ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾. [٤/ ٨٢]

وقوله: ﴿سَٰمِرًا﴾ حالٌ، وهو مفرد بمعنى الجمع، يقال: قومٌ سَمْرٌ وسُمَّرٌ وسَامِرٌ، ومعناه: سَهَرُ الليل، مأْخوذ من السَّمَر، وهو ما يقع على الأَشخاص من ضوء القمر، فكانت العرب تجلس للسَّمر تتحدث، وهذا أَوجب معرفتها بالنجوم؛ لأَنها تجلس في الصحراء فترى الطوالع مع الغوارب.

وقرأَ الجمهور: ﴿سَٰمِرًا﴾.

وقرأَ أَبو رجاءٍ: (سُمَّاراً)، وقرأَ ابن عباس، وعكرمة، وابن محيصن: (سُمَّراً)[٤].

ومن هذه اللفظة قول الشاعر:

[أحذ الكامل] مِنْ دُونِهِمْ إِنْ جِئْتَهُمْ سَمَراً عَزْفُ الْقِيَانِ وَمَجْلِسٌ غَمْرُ[٥]

وكانت قريش تسْمُر حول الكعبة مجالسُ في أَباطيلها وكفرها.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بفتح التاءِ وضم الجيم، واختلف المتأَولون في معناها:

---

(١) في المطبوع زيادة: «في به»، قال في الحاشية: وليس في الأصول.

(٢) في المطبوع: «كفراً».

(٣) سقطت من لالاليه، وكلام منذر بن سعيد لم أقف عليه.

(٤) وهما شاذتان، انظر الأولى في معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٧٧)، والثانية في المحتسب (٢/ ٩٥).

(٥) البيت لابن أحمر الباهلي كما في مجاز القرآن (٢/ ٦٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢٩١)، وتاج العروس (١٢/ ٧٣).

فقال ابن عباس: معناها: تَهْجُرون الحقَّ وذِكْرَ الله تعالى، وتقطعونه من الهَجْر المعروف[١].

وقال ابن زيد: هو من هَجر المريضُ إِذا هَذَى، أَي: تقولون اللَّغْوَ من القول، وقاله أَبو حاتم[٢].

وقرأَ نافع وحده من السبعة: ﴿تُهْجِرُونَ﴾[٣] بضم التاءِ وكسر الجيم، وهي قراءَة أَهل المدينة، وابن محيصن، وابن عباس أيضاً، ومعناه: تقولون الفُحْش والهُجْر من القول.

وهذه إِشارة إِلى سبِّهم رسول الله ﷺ وأَصحابه، قاله ابن عباس أيضاً وغيره[٤].

وفي الحديث: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها ولا تقولوا هُجْراً»[٥].

وقرأَ ابن محيصن، وأَبو نهيك: (تُهَجِّرُونَ) بضم التاءِ وفتح الهاءِ وشدِّ الجيم مكسورة[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وفي أحمد٣: «تقطعون»، وسقطت من المطبوع.

(٢) انظر قول ابن زيد في تفسير الطبري (١٩/ ٥٥)، وقول أبي حاتم في تفسير الثعالبي (٣/ ١٠١).

(٣) والباقون بفتح التاء وضم الجيم، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٥٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٥) صحيح بدون اللفظة الأخيرة، أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٦) من طريق عامر بن يساف، عن إبراهيم بن طهمان، عن يحيى بن عباد، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل عامر بن يساف، واسمه: عامر بن عبد الله بن يساف، قال ابن عدي لما ترجم له في كامله (٥/ ٨٥): منكر الحديث عن الثقات، ثم إنه خولف فيه، خالفه موسى بن مسعود النهدي، قال: ثنا إبراهيم بن طهمان، ثنا عمرو بن عامر، وعبد الوارث، عن أنس، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف أيضاً، موسى بن مسعود النهدي، ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢٩/ ١٤٥)، ولكن الحديث صحَّ من حديث بريدة بن الحصيب، رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: نهيتكم عن زيارة القبور فَـزُورُوهَا، وليس فيه لفظ: ولا تقولوا هُجْراً. أخرجه مسلم (٩٧٧).

(٦) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٧/ ٥٧٣)، وعزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٦) لابن عباس وعكرمة.

وهو تضعيف هَجَر، وتكثير الهَجْر أو الهُجْر على المعنييْن المتقدمين، وقال ابن جني: لو قيل: إن المعنى أنكم تبالغون في المهاجرة حتى إنكم ـ وإن كنتم سُمَّراً باللَّيل ـ فكأنكم تُهَجِّرون في المهَاجرَةِ[١] على غاية الافتضاح، لكان وجهاً[٢].

قال القاضي أبو محمد: ولا تكون هذه القراءة تكثير تُهْجِرُونَ بضم التاءِ وكسر الجيم؛ لأن أفعل لا يتعدى ولا يُكَثَّر بتضعيف؛ إذ التضعيف والهمزة متعاقبان.

ثم وبخهم على إعراضهم بعد تدبُّر القول لأنهم ـ بعد التدبر والنظر الفاسد ـ قال بعضهم: شِعْرٌ، وقال بعضهم: سِحْرٌ، وسائر ذلك.

وقوله: ﴿أَمۡ جَآءَهُم﴾ كذلك توبيخ أيضاً، والمعنى: أَأَبْدَعَ لهم أمراً لم يكن في الناس قبلهم؟ بل قد جاءَ الرسلُ قَبْلُ كنوح وإبراهيم وإسماعيل، وفي هذا التأويل من التجوز أن جَعْلَ سالف الأُمم آباءً؛ إذ الناس في الجملة آخرهم من أولهم، ويحتمل اللفظ معنى آخر، على أن يُراد بآبائهم الْأَوَّلِينَ ومَن فرَطَ من سلفهم في العرب، كأنه قال: أفلم يَدَّبَّروا القول أم جاءَهم أمر غريب من عند الله لم يأت آباءَهم فبهر عقولهم، ونَبَتْ[٣] عنه أذهانُهم، [فكأن التوبيخ يتّسق بأن يُقدَّر الكلام: أفلم يدَّبَّروا أم بُهرت عقولهم ونَبَت أذهانهم][٤] عن أمر من أُمور الله غريب في سلفهم؟ والمعنى الأول أبين.

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٠ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١﴾.

---

(١) في المطبوع: «الهاجرة».

(٢) انظر: المحتسب (٢/ ٩٦).

(٣) في نور العثمانية: «يقف».

(٤) سقط من الأصل.

هذا أيضاً توبيخ، والمعنى: أَلم يعرفوه صادقاً مدة عمره؟ ولم يقع قط منهم إِنكار لمعرفة وجه محمد ﷺ، وإِنما أَنكروا صدقه.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ توبيخٌ أيضاً؛ لأَن الفرق بين الحكمة وفصل الخطاب الذي جاءَ به وبين كلام[1] ذي الجِنَّة لا يخفى على ذِي فِطْرة، ثم بيَّن تعالى حاله ﷺ في مجيئه بالحق.

وقوله: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾، قال ابن جريج وأَبو صالح: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الله تعالى[2].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ليس من نَمَط الآية.

وقال غيرهما: الحقُّ هنا: الصوابُ والمستقيم.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الأَجرى[3]، على أَن يكون المذكور قَبْلُ الذي جاءَ به محمد ﷺ، ويستقيم ـ على هذا ـ فساد السماوات والأَرض وَمَنْ فِيهِنَّ لو كان بحكم هوى هؤلاء، وذلك أَنهم جعلوا لله شركاءَ وأَولاداً، ولو كان هذا حقّاً لم تكن لله تعالى الصِّفاتُ العليَّة، ولو لم تكُن[4] له لم تكُن له تلك الصنعة ولا القدرة، وكان ذلك فساد السماوات والأَرض وَمَنْ فِيهِنَّ.

ومن قال: إِن الحق في الآية الله تعالى بشعت[5] له لفظة ﴿ٱتَّبَعَ﴾ وصعُب عليه ترتيب الفساد المذكور في الآية؛ لأَن لفظة الاتِّباع ـ على كلا الوجهين ـ إِنما هي استعارة بمعنى أَن تكون أَهواؤُهم يصوبها[6] الحقُّ ويُقَـرِّرها، فنحن نجد الله تعالى قد

---

(١) في لالاليه والحمزوية: «من كلام»، وفي نور العثمانية: «والكلام»، وفي المطبوع: «وبين ذي الجنة».
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٧).
(٣) في المطبوع: «الأحرى».
(٤) في المطبوع: «يكن».
(٥) في أحمد٣: «تشغب»، وفي المطبوع ونور العثمانية ولالاليه: «تشَعَّبت»، وفي الحمزوية: «تسعث».
(٦) في المطبوع: «يصونها».

قرَّرَ[١] كُفْر أُمَم وأَهواءَهم، فليس في ذلك فساد سماوات، وأَما الحق نفسه الذي هو الصواب فلو كان طبْق أَهوائهم لفسد كلُّ شيءٍ، فتأَمَّلْهُ.

وقرأَ ابن وثاب: (وَلَوُ اتبَعَ) بضم الواو[٢].

قال أَبو الفتح: الضَّمُّ في هذه الواو قليل، والوجه تشبيهها بواو الجمع كقوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ [البقرة: ١٦].

وقوله: ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ يحتمل أَن يريد: بِوَعْظِهِم والبيان لهم، قاله ابن عباس[٣].

وقرأَ قتادة: (نُذَكِّرُهُمْ) بنون مضمومة وذال مفتوحة وكسر الكاف مشددة[٤].

ويحتمل أَن يريد: بِشَرَفهم، وهو مروي.

وقرأَ عيسى بن عمر، وابن أَبي إِسحاق: (بل أَتَيْتُهُمْ بِذِكْرِهِمْ) بضم تاءِ المتكلم.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق أيضاً: (بَلْ أَتَيْتَهُمْ) خطاباً لمحمد ﷺ[٥].

وقرأَ الجمهور: ﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أَي جئناهم، ورُوي عن أَبي عمرو (آتَيْنَاهُم) بالمدِّ، بمعنى أَعطيناهم[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

---

(١) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع ولالاليه: «قدَّر».

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٤) في حاشية المطبوع: في الأصل: «وقال قتادة»، وهي قراءة شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٩٨).

(٥) وهما شاذتان، عزاه الأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٧)، ولأبي بحرية، وعزا الثانية للجحدري، وانظر: الدر المصون (٨/ ٣٦٠).

(٦) وهي شاذة، وهي رواية الحلواني عن المنقبري عن أبي عمرو كما في الكامل للهذلي (ص: ٣٩٥).

هذا توبيخ لهم كأَنه قال: أَم سأَلتهم[1] مالًا فقلقوا لذلك واستثقلوك من أَجله؟

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿خراجاً فخراج﴾، وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وعاصم: ﴿خَرْجًا فَخَرَاجُ﴾، وقرأَ ابن عامر: ﴿خَرجَاً فَخَرْجُ﴾[2]، وهو المال الذي يُجْبَى ويُؤْتَى به لأَوقات[3] محدودة.

قال الأَصمعي: «الخَرْجُ»: الجُعْل مرة واحدة، و«الخَرَاجُ»: ما تَرَدَّد لأَوقات مَّا[4].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا فرق استعمالي، وإِلَّا فهما في اللغة بمعنى، وقد قرئَ / ﴿خَرَاجاً﴾ في قصة ذي القرنين[5]. [٤/ ٨٣]

وقوله: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ يريد ثوابه، سمَّاهُ خراجاً من حيث كان معادلاً للخراج في هذا الكلام، ويحتمل أَن يريد بخراج ربك: رِزْقَ ربك، ويؤيد هذا قولُه: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

و«الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ»: دين الإسلام.

و«ناكبون»: معناه: عادلون ومعرضون.

ثم أَخبر الله تعالى عنهم أَنهم لو زال عنهم القحط ومَنَّ الله عليهم بالخصب ورحمهم بذلك؛ لبقوا على كفرهم وَلَجُّوا فِي طُغْيانِهِمْ، وهذه الآية نزلت في المدة التي أَصابت فيها قريشاً السنون الجدبة والجوع الذي دعا به رسول الله ﷺ في قوله: «اللهُم سبعاً كسني يوسف» الحديث[6].

---

(١) في أحمد٣ والمطبوع: «سألناهم».

(٢) وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٤٤٧)، وفي المطبوع: «ابن عباس»، بدل ابن عامر.

(٣) في المطبوع: «لأوقاف».

(٤) لم أجده، وفي اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٦٤) قريب منه بلا نسبة.

(٥) كما تقدم في آخر سورة الكهف.

(٦) متفق عليه بغير هذا اللفظ، أخرجه البخاري (٩٦١) ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، ولكن بلفظ: «سنين كسنين يوسف» وليس فيه ذكر العدد: «سبعاً» كما جاء عند المصنف هاهنا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

هذا إِخبارٌ من الله تعالى عن استكبارهم وطغيانهم بعدما نالهم من الجوع، هذا قول رُوي عن ابن عباس[١]، وابن جريج أَن العذابَ هو الجوع والجدب المشهور نزوله بهم حتى أَكلوا الجلود وما جرى مَجراها[٢]، وأَن الباب[٣] المتوعَّدَ به يومُ بدر، [وهذا القول يردُّه أَن الجدب الذي نالهم إِنما كان بعد وقعة بدر][٤]، ورُوي أَنهم لما بلغهم الجهد جاءَ أَبو سفيان إِلى النبي ﷺ فقال: أَلست تزعم يا محمد أَنك بُعثت رحمة للعالمين؟ قال: «بلى»، قال: فقد قتلت الآباءَ بالسيف والأَبناءَ بالجوع، وقد أَكلنا العِلْهِزَ[٥]، فنزلت الآية[٦].

و﴿اسْتَكَانُوا﴾ معناه: انخفضوا وتواضعوا، ويحتمل أَن يكون من السُّكون، ويلزمه أَن يكون: اسْتَكَنُوا، ووجهه: أَن فتحة الكاف مطلت فتولدت منها أَلف، ويعطي التصريف أَنه من كان، وأَن وزنه: اسْتَفْعَلَ، وعلى الأَول وزنه: افْتَعَلَ، وكونه من كان أَبْين، والمعنى: فما طلبوا أَن يكونوا لربهم أي[٧] طاعة، وعبيد خير.

ورُوي عن الحسن رضي الله عنه أَنه قال: إِذا أَصاب الناس من قِبَل السلطان[٨]

---

(١) أخرجه ابن جريج في تفسيره (١٩/ ٦٠) عن شيخه محمد بن حميد الرازي، عن أبي تميلة يحيى ابن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً، به، وإسناده لا بأس به إلا شيخ ابن جرير: محمد بن حميد، فليس بعمدة.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٩١).

(٣) في أحمد٣ والحمزوية: «العذاب».

(٤) ساقط من نور العثمانية.

(٥) في الأصل: «العهن»، وفي الحمزوية: «العثم». والعِلْهِز: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة.

(٦) هو الحديث المذكور آنفاً، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٧) في المطبوع: «أَهل».

(٨) في المطبوع ونور العثمانية ولالاليه: «الشيطان».

بلاءٌ فإنما هي نقمة[١]، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحميَّة، ولكن استقبلوها بالاستغفار، واستكينوا وتضرعوا إلى الله، وقرأ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾[٢].

و«الْعَذَابُ الشَّدِيدُ»: إمَّا يوم بدر بالسيوف كما قال بعضهم، وإمَّا توعُّدٌ بعذاب غير معين، وهو الصواب لما ذكرناه من تقدم بدر للمجاعة.

وروي عن مجاهد أن العذاب والباب الشديد هو كله في مجاعة قريش[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حَسَنٌ، كأن الأَخْذَ في صدر الأَمر، ثم فتح الباب عند تناهيه حيث أبْلسوا وجاءَ أَبو سفيان.

و«الْمُبْلِسُ»: الذي قد نزل به شرٌّ ويئس من زوالِه ونَسْخِه بخير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

ابتدأ تعالى بتعديد نِعَمٍ في نفسِ تعديدها استدلال بها على عظيم قدرته، وأَنها لا يعزب عنها أَمر البعث ولا يعظم.

و﴿أَنشَأَ﴾: بمعنى اخترع.

و﴿السَّمْعَ﴾ مصدر، فلذلك وُحِّد، وقيل: أَراد الجنس.

و(الأفئدة): القلوب، وهذه إشارة إلى النطق والعقل.

---

(١) في المطبوع: «نعمة»، وفيه أيضاً: «نعمة الله» في التي بعدها.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٦٠)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٩١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦١)، والهداية لمكي (٧/ ٤٩٩١).

وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا﴾ نعت لمصدر محذوف تقديره: شكراً قليلاً ما تشكرون.

وذهبت فرقة إِلى أَنه أَراد: قليلاً منكم من يشكر؛ أَي: من يؤمن ويشكر حق الشكر.

قال القاضي أَبو محمد: والأَول أَظهر.

و«ذرأ»: معناه: بثَّ وخلقٍ.

وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ﴾ فيه حذف مضاف، أَي: إِلى حكمه وقضائه.

و﴿تُحْشَرُونَ﴾: يريد آية البعث.

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَافُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أَي: له القدرة التي عنها ذلك. والاختلاف هنا: التعاقب والكون خِلْفَةً، ويحتمل أَن يكون الذي هو المغايرة البيِّنة.

وقوله: ﴿بَلْ﴾ إِضرابٌ، والجَحْدُ قبله(١) مقدر، كأَنه قال: ليس لهم نظر في هذه الآيات، أَو نحو هذا.

و﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾: يشير به إِلى الأُمم الكافرة كعاد وثمود.

وقوله: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ أَي: لَمُعَادونَ أَحياءً.

وقولهم: ﴿وَءَابَآؤُنَا﴾ إِنْ حَكَى المقالة عن العرب فمرادهم من سلف من العالَم، جعلوهم آباءً من حيث النوع واحد، وإِن حَكَى ذلك عن الأَولين فالأَمر مستقيم فيهم.

و«الأَسَاطِيرُ» قيل: هي جمع أُسطورة كأُعجوبة وأَعاجيب، وأُحدوثة وأَحاديث.

وقيل: هي جمع جمع(٢)، يقال: سطْرٌ وأَسْطَارٌ وأَساطير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

---

(١) في نجيبويه: «بعده».

(٢) «جمع» سقطت من نور العثمانية ولالاليه، و«يقال» زيادة من المطبوع.

أَمر الله تعالى نبيه ﷺ بتوقيفهم على هذه الأَشياء التي لا يمكنهم إِلا الإِقرار بها، ويلزم من الإِقرار بها أَن يؤمنوا بِبَارِئِهَا، ويذعنوا لِشَرْعِه ورسالة رسوله.

وقرأَ الجميع في الأَول: ﴿لِلَّهِ﴾ بلا خلاف، واختلف في الثاني والثالث، فقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿اللهُ﴾ جواباً على اللفظِ، وقرأَ باقي السبعة: ﴿لِلَّهِ﴾[1] جواباً على المعنى، كأَنه قال في السؤال: لِمَنْ ملك السماوات السبع؟ إِذ قولك: لمن هذه الدار؟ وقولك: مَنْ مالك هذه الدار؟ واحدٌ في المعنى.

ثم جعل التوبيخ مدرجاً بحسب وضوح الحجة شيئاً شيئاً، فوقف على الأَرض ومَنْ فيها، وجعل بإِزاءِ ذلك التذكر.

ثم وقف على السَّماواتِ السَّبْعِ، والْعَرْشِ، وجعل بإِزاء ذلك التقية، وهي أَبلغ من التذكر، وهذا بحسب / وضوح الحجة. [٤/ ٨٤]

وفي قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وعيد.

ثم وقف على ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وفي الإِقرار بهذا التزام كل ما تقع به الغلبة في الاحتجاج، فوقع التوبيخ بعده في غاية البلاغة بقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾.

ومعنى ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف، ومن أَين، وفي هذا تقرير سحرهم، وهو سؤال عن الهيئة التي سحروا بها، والسحر هنا مستعار لهم، وهو تشبيه لما وقع منهم من التخليط ووضع الأَفعال والأَقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور، عبَّر عنهم بذلك.

وقالت فرقة: تُسْحَرُونَ: معناه تمنعون، وبعضُهم حكى ذلك لغةً.

وقرأَ ابن محيصن: (العظيمُ)[2] برفع الميم.

و﴿مَلَكُوتُ﴾: مصدر، في بنائه مبالغة.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٤٧)، والتيسير (ص: ١٦٠).

(٢) وهي شاذة، نسبها له الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٠٥).

و«الإِجارة»: المنع من الإِنسان، والمعنى أَن الله إِذا منع أَحداً فلا يقدر عليه، وإِذا أَراد أَحداً فلا مانع له، وكذلك في سائر قدرته وما نفذ من قضائه، لا يُعارض ذلك شيءٌ ولا يحيله عن مجراه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾.

المعنى: ليس الأَمر كما يقولون من نِسبتهم إِلى الله تعالى ما لا يليق به، ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم﴾.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق: (أَتَيْتهم)[١] على الخطاب لمحمد ﷺ.

و﴿لَكَاذِبُونَ﴾ يراد به: فيما ذكروا لله تعالى من الصاحبة والولد والشريك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ دليل على التمانع، وهذا هو الفساد الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، والجزء[٢] المُخترع محالٌ أَن تتعلق به قدرتان فصاعداً، ولو اختلف إِلهان في إِرادة[٣] فمُحال نفوذهما ومحال عجزهما، فإِذا انفردت إِرادة الواحد فهو العالي والآخر ليس بإِله، فإِن قيل: نُقَدِّرهما لا يختلفان[٤] في إِرادةٍ، قيل: ذلك بفرض[٥]، فإِذا جوَّزه الكفار قامت الحجة فإِن ما التزم جوازه جار في الحجة مجرى ما التزم وقوعه[٦].

وقوله: ﴿إِذًا﴾ جواب لمحذوف تقديره: لو كان معه إِله إِذاً لذهب كلُّ إِله.

---

(١) وهي شاذة، تقدم عنه مثلها قريباً، وفي الأصل: «أتيناك».

(٢) في المطبوع: «والخبر».

(٣) في المطبوع: «إدارة».

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «فإن قيل: بِقُدْرتهما لا يختلفان».

(٥) في المطبوع: «يعرض».

(٦) في الأصل: «جرى» بدل «جار»، وسقطت «مجرى» من نور العثمانية.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ بكسر الميم إِتباعاً للمكتوبة[١] في قوله: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾، وقرأَ الباقون وأَبو بكر عن عاصم: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ﴾ بالرفع، والمعنى: هو عالم، قال الأَخفش: الجَرُّ أَجْوَد ليكون الكلام من وجه واحد[٢]، وقال أَبو علي: ووجه الرفع أَن الكلام قد انقطع[٣].

قال القاضي أَبو محمد: والابتداءُ عندي أَبرع[٤].

والفاءُ في قوله: ﴿فَتَعَـٰلَىٰ﴾ عاطفة بالمعنى، كأَنه قال: عالم الغيب والشهادة فتعالى، وهذا كما تقول: زيد شجاعٌ فعظمت منزلته، [أَي: شَجُع فعظمت][٥].

ويحتمل أَن يكون المعنى: فأَقول تعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ، على إِخبار مُؤْتَنَفٍ.

و﴿ٱلْغَيْبِ﴾: ما غاب عن الناس، ﴿وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾: ما شهدوه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيه ﷺ أَن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظَّلَمة إِن كان قضي أَن يرى ذلك، و«إِن» شرطٌ و«ما» زائدة، و﴿تُرِيَنِّي﴾ جزم بالشرط لزمته النون الثقيلة، وهي لا تفارق «إِمَّا» عند المبرد، ويجوز عند سيبويه أَن تفارق[٦] فيقال: إِمَّا تُرِيَنِي، لكن

---

(١) المكتوبة هي لفظ الجلالة: الله، والقراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٠).

(٢) نقله عنه في زاد المسير (٣/ ٢٧٠).

(٣) انظر الحجة للفارسي (٥/ ٣٠٢).

(٤) في حاشية المطبوع: «في بعض النسخ عنده أي عند أبي عليٍّ، وكذلك جاء في بعض النسخ: والابتداءُ عندي أبدع».

(٥) سقط من الأصل، وسقطت «فعظمت» من نور العثمانية، وفي لالاليه: «فتعظم».

(٦) في نجيبويه والمطبوع: «تفارقها».

استعمال القرآن لزومها، فمن هنالك التزمه المبرد[١].

وهذا الدعاءُ فيه استصحاب الخشية والتحذير[٢] من الأمر المُعَذَّب من أَجله، ثم نظيره لسائر الأُمَّة دعاءٌ في جودة الخاتمة، وفي هذه الآية بجملتها إِعلامٌ بقرب العذاب منهم كما كان في يوم بدر، وقوله ثانياً: ﴿رَّبِّ﴾ اعتراضٌ بين الشرط وجوابه.

وفي قوله: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ الآية أَمْرٌ بالصفح ومكارم الأَخلاق، وما كان منها، لهذا فهو محكم[٣] باق في الأمة أَبداً، وما فيها من معنى موادعة الكفار وتَرْك التعرض لهم والصفح عن أُمورهم منسوخٌ بالقتال؛ وقوله تعالى: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يقتضي أَنها آية موادعة.

وقال مجاهد: الدَّفْع بالتي هي أَحسن هو السلام، يسلِّم عليه إِذا لقيه[٤].

وقال الحسن: والله لا يُصيبها أَحد حتى يكظم غيظه ويصفح عما يكره[٥].

قال القاضي أَبو محمد: [هذان الطرفان.

وفي هذه الآية][٦] عِدَةٌ للنبي ﷺ، أَي: اشتغل أَنت بهذا وكِلْ تعذيبهم والنقمة منهم إِلينا، وأَمره بالتعوُّذ من الشيطان في همزاته، وهي سَوْرَات الغضب التي لا يملك الإِنسان فيها نفسه، وكأَنها هي التي كانت تصيب المؤمنين مع الكفار فتقع المُحَادَّة، فلذلك اتصلت بهذه الآية.

---

(١) لم أقف عليه، وفي الإماراتية وأحمد٣: «التزم»، وفي الأصل والحمزوية: «ألزمها»، وفي المطبوع: «التزمها».

(٢) وفي لالاليه: «التحريز».

(٣) في الأصل: «حكم».

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٨٣)، وفي أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع: «تسلم عليه إذا لقيته».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٦٦).

(٦) سقط من لالاليه.

وقال ابن زيد: هَمْزُ الشيطان: الجنون[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: وفي مصنف أَبي داود أَن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إِني أَعوذ بك من الشيطان همزه ونفخه [ونفثه»، قال أبو داود: وهمْزه: المُوتَة وهي الجنون، ونَفْخه:][(٢)] الكِبر، ونَفْثهُ: السحر[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: والنَّزَغَاتُ[(٤)] وسَوْراتُ الغضب من الشيطان، وهي المُتَعَوَّذ منها في الآية، والتَّعوذ من الجنون أيضاً وكيد.

وفي قراءَة أُبيِّ بن كعب: (ربِّ عائذاً بك من همزات الشياطين، وعائذاً بك ربِّ أَن يحضرون)[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٨).

(٢) سقط من نور العثمانية.

(٣) له أسانيد كلها ضعيفة، وروي مرسلًا من طريقين، أخرجه أبو داود (٧٦٠) وابن ماجه (٨٠٧) من طريق محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عاصم العنزي، عن ابن جبير بن مطعم، عن أبيه، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، وهذا إسناد ضعيف، عاصم، هو ابن عمير، ضعيف الحديث، انظر: تهذيب الكمال (١٣/ ٥٣٤)، وللحديث طريق أخرى، من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، أخرجه الإمام أحمد (١٨/ ٥١) والترمذي (٢٤٠) من طريق جعفر بن سليمان الضبعي، عن علي بن علي الرفاعي، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد به، بمثله، قال الترمذي: «وقد تُكلم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي بن علي، وقال أحمد: لا يصح هذا الحديث»، وقد ضعفه كذلك غير واحد من الأئمة، وروى الحديث: محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود مرفوعاً، أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٢٥) وعطاء بن السائب اختلط بأخرة، وسمع منه محمد بن فضيل بعد الاختلاط، وروى عبد الرزاق (٢/ ٨٢) عن هشام بن حسان عن الحسن هذا الحديث مرسلاً، ورواه أحمد (٦/ ١٥٦) بإسناد صحيح إلى أبي سلمة مرسلاً أيضاً.

تنبيه: قول المصنف عقب ذكره للحديث: قال أبو داود: وهمزة الموتة... إلخ، ليس هذا من كلام أبي داود؛ بل هو من كلام عمرو بن مرة، أحد رواة الحديث، صرح به ابن ماجه لما روى حديثه هذا.

(٤) في أحمد٣ ونجيبويه والحمزوية والمطبوع: «والنزعات».

(٥) وهي شاذة، عزاها له القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٤٨)، وعزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٣٧) للكسائي عن الحسن.

وقوله: ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ معناه: أَن يكونوا معي في أُموري، فإِنهم إِذا حضروا الإِنسان كانوا معدين للهمز، فإِذا لم يكن حضورٌ فلا همز.

قال القاضي أَبو محمد: وأَصل الهمزِ: الدفعُ والوخز بيدٍ وغيرها، ومنه هَمْز الخيل وهمز الناس باللسان، وقيل لبعض العرب: أَتهْمز الفأرةَ؟ سُئل بذلك عن اللفظة فظن أَن المراد شخص الفأْرة فقال: الهِرُّ يهمزها(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ / فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾. [٤/ ٨٥]

حَتَّى في هذا الموضع حرف ابتداء، ويحتمل أَن تكون غاية مجردة بتقدير كلامٍ محذوف، والأَول أَبْيَن لأَن ما بعدها هو المعنيُّ به المقصودُ ذِكْرُه.

والضمير في ﴿أَحَدَهُمُ﴾ للكفار.

وقوله: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ معناه: إِلى الحياة الدنيا.

وجَمْعُ الضمير يتخرج على معنيين: إِمَّا أَن يخاطبه مخاطبة الجمع تعظيماً، على نحو إِخباره تعالى عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع.

وإِمَّا أَن تكون استغاثته بربِّه أَوَّلاً، ثم خاطب ملائكة العذاب بقوله: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾.

وقال الضحاك: هي في المشرك(٢).

وقال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «إِذا عاين المؤمن قالت له الملائكة:

---

(١) انظر: عيون الأخبار (٢/ ١٧٣)، والكامل للمبرد (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٧٠)

نُرجِعك؟ فيقول: إِلى دار الهموم والأَحزان؟ بل قدما إِلى الله تعالى، وأَما الكافر فيقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾[١].

وقرأَ الحسن والجمهور: ﴿لَعَلِّيٓ﴾ بسكون الياء، وقرأَ طلحة بن مصرِّف: (لَعَلِّيَ) بفتح الياء[٢].

و﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ[٣] وزجر، وهي من كلام الله تعالى.

وقوله: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يحتمل ثلاثة معان:

أَحدها: الإِخبار المؤكد بأَن هذا الشَّيْءَ يقع ويقول هذه الكلمة.

والآخر: أَن يكون المعنى: إِنها كلمة لا تغني أَكثر من أَن يقولها، ولا نفع له فيها ولا غوث.

والثالث: أَن تكون إِشارةً إِلى أَنه لو رُدَّ لعادَ، فتكون آية ذمٍّ لهم.

والضمير في ﴿وَرَآئِهِم﴾ للكفار، أَي: يأْتي بعد موتهم حاجزٌ من المُدَّة، والبَرْزَخُ في كلام العرب: الحاجز بين المسافتين، ثم يستعار لما عدا ذلك، فهو هنا للمُدَّة التي بين موت الإِنسان وبين بَعْثه، هذا إِجماعٌ من المفسرين.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلصُّورِ﴾ وهو القَرْن.

وقرأَ ابن عياض: (فِي الصُّوَرِ) بفتح الواو[٤] جمع صورة.

و﴿يَوۡمِ﴾ مضاف إِلى ﴿يُبۡعَثُونَ﴾[٥].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٦٩) من طريق ابن جريج قال: زعموا أن النبي ﷺ قال لعائشة.... فذكره، وهذا معضل.

(٢) فيه تخليط فهما سبعيتان، الإسكان للكوفيين، والفتح للباقين على قواعدهم المعروفة في ذلك.

(٣) في الأصل ونور العثمانية ونجيبويه: «ردع»، وفي المطبوع: كلمة «زجر».

(٤) وهي شاذة تقدم مثلها في الأنعام عن الحسن، وفي سورة طه عن ابن عياض، في نور العثمانية هنا: «بن عياش»، وأشار لها في حاشية المطبوع، وزاد عن نسخة ثالثة: «وقرأ ابن عامر».

(٥) كذا وقعت هنا في جميع النسخ التي بين أيدينا، وفي المطبوع وقعت بعد قوله: «إجماع من المفسرين».

وقوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾، اختلف المتأَولون في صفة ارتفاع الأَنساب:

فقال ابن عباس وغيره: هذا عند النفخة الأُولى(١)، وذلك أَن الناس بأَجمعهم يموتون فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت وهم أَموات.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأْويل يزيل ما في الآية من ذكر هول الحشر.

وقال ابن مسعود وغيره: إِنما المعنى أَنه عند النفخة الثانية وقيام الناس من القبور(٢)، فهم حينئذ لهول المطلع واشتغال كل امرئ بنفسه، قد انقطعت بينهم الوسائل وزال انتفاع الأَنساب، فلذلك نفاها، فالمعنى: فلا أَنساب نافِعَة.

وروي عن قتادة أَنه قال: ليس أَحد أَبغض إِلى الإِنسان في ذلك اليوم ممن يعرف؛ لأَنه يخاف أَن يكون عنده مظلمة(٣).

وفي ذلك اليوم يفر المرءُ من أَخيه وأُمه وأَبيه وصاحبته وبنيه، ويفرح كل أَحد يومئذ أَن يكون له حق على ابنه وأَبيه، وقد ورد بهذا حديث(٤).

---

(١) ليس إسناده بحجة، أخرجه الطبري (١٩/ ٧١) عن ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، قال: ثنا عمرو ابن مطرف، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، أن رجلاً أتى ابن عباس، فذكره.

(٢) إسناده لا بأس به، أخرجه الطبري (١٩/ ٧٢) من طريق هارون بن عنترة أبي وكيع، عن زاذان، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٧٣)، والهداية لمكي (٧/ ٥٠٠٣).

(٤) صحَّ من قول ابن مسعود، وليس مرفوعاً، أخرجه الطبري (٨/ ٣٦٢) من طريق: صدقة بن أبي سهل قال، حدثنا أبو عمرو، عن زاذان قال: أتيت ابن مسعود فقال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله الأولين والآخرين، ثم نادى مناد من عند الله: «ألا من كان يطلب مظلمة فليجئ إلى حقه فليأخذه»! قال: فيفرح والله المرء أن يذوب له الحق على والده، أو ولده، أو زوجته، فيأخذ منه، وإن كان صغيراً، ومصداق ذلك في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾... ولم أعرف أبا عمرو، وأخشى أن يكون الصواب: أبو عمر زاذان، وهو الكندي، مولاهم، الكوفي الضرير البزاز، وهو صدوق، ومن طريق: هارون بن عنترة، عن عبد الله بن السائب قال: سمعت زاذان يقول: قال عبد الله بن مسعود بنحوه. وعزا السيوطي هذا الأثر في الدر المنثور (١٠/ ٦١٧) إلى: ابن المبارك في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية وابن عساكر.

وكذلك ارتفاع التساؤل والتعارف لهذه الوجوه التي ذكرناها، ثم يأْتي في القيامة مواطن يكون فيها السؤال والتعارف.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأْويل حسن، وهو مروي المعنى عن ابن عباس[١].

و«ثقل الموازين»: هو بالحسنات، والثقل والخفة إِنما يتعلق[٢] بأَجرام يخترع الله تعالى فيها ذلك، وهي فيما روي براءَات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

جمع الموازين من حيث المَوْزون جمع، وهي الأَعمال.

قال القاضي أَبو محمد: ومعنى «الوزن»: إِقامةُ الحجة على الناس بالمحسوس على عادتهم وعرفهم، ووزن الكافر على أَحد وجهين: إِما أَن يوضع كُفره في كفَّة فلا يجد شيئاً يعادله به في الكفَّة الأُخرى، وإِما أَن توضع أَعماله من صلة رحم ووجْه بِرٍّ في كفَّة الحسنات ثم يوضع كُفره في الكِفَّة الأُخرى فتخف أَعماله.

و«لَفْحُ النار»: إِصابتها بالوهج والإِحراق.

وقرأَ أَبو حيوة: (كَلِحُونَ) بغير أَلف[٣].

---

(١) سبق قريباً بإسناد لا تقوم به الحجة، أخرجه الطبري (١٩/ ٧١) عن ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، قال: ثنا عمرو بن مطرف، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٢) في المطبوع: «يتعاقبان».

(٣) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠١)، والكامل للهذلي (ص: ٦٠٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٣٨).

و«الكُلوحُ»[١]: انكشاف الشفتين عن الأسنان، وهذا يعتري الإنسان عند المباطشة عند الغضب، ويعتري الرؤوس عند النار.

وقد شبَّه عبد الله بن مسعود ما في هذه الآية بما يعتري رؤوس الكباش إِذا شيطت بالنار فإِنها تكْلَح[٢]، ومنه كُلُوح الكلب والأسد، ويستعار للزمن والخطوب.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِى﴾ قبله محذوف تقديره: يقال لهم، والآياتُ هنا: القرآن.

وأَخبر عنهم تعالى أَنهم إذا سمعوا هذا التقرير أَذعنوا، وأَقروا على أَنفسهم، وسلموا بقولهم: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين دون أَلف، وهي قراءَة الحرميَّيْن، وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بفتح الشين وأَلف بعد القاف، وهي قراءَة ابن مسعود، وخيَّر عاصم في الوجهين[٣]، وهما مصدران من شَقِيَ يَشْقَى، ثم تدرجوا من الإقرار إِلى الرغبة والتضرع، وذلك أَنهم ذلُّوا؛ لأَن الإقرار بالذنب اعتذار وتنصُّل، فوقع جواب رغبتهم بحسب ما حَتَمه الله تعالى من عذابهم بقوله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، وجاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ بلفظ نهي وهم لا يستطيعون الكلام على ما رُوي، فهذه مبالغة في المنع، ويقال: إِن هذه الكلمة إِذا سمعوها يئسوا.

وحكى الطبري حديثاً طويلاً في مقاولة تكون بين الكفار وبين مالك خازن النار،

---

(١) في نجيبويه والمطبوع: «الكلح».

(٢) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٧) من طريق سفيان وإسرائيل ـ مفرقين ـ، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به.

(٣) وهما سبعيتان، ومع الحرميين أبو عمرو وابن عامر وعاصم، انظر التيسير (ص: ١٦٠)، والثانية رواية المفضل عن عاصم كما في جامع البيان (٣/ ١٣٩٤)، والتخيير عنه في السبعة (ص: ٤٤٨)، وانظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٢).

ثم بينهم وبين ربهم، وآخرها هذه الكلمة: «اخْسَئُوا فيها»، قال: فتنطبق عليهم جهنم، ويقع اليأْسُ، ويبقون يَنْبَح بعضهم في وجه بعض[(١)].

قال القاضي أَبو محمد: واختصرت هذا الحديث لعدم صحته، لكن معناه صحيح، عافانا الله من ناره بِمَنِّه.

وقوله: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ﴾ / زجرٌ، وهو مستعمل في زجر الكلاب، ومنه قول النبي ﷺ لابن صياد: «اخْسَأْ فلن تعدو قَدْرَك»[(٢)]. [٤/ ٨٦]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾.

قرأَ هارون: (أَنَّهُ كَانَ) بفتح الأَلف، وهي قراءَة أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه، ورُوي أَنَّ في مصحف أُبي بن كعب (أَنْ كان)، وهذا كله متعاضد.

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (وَلَا تُكَلِّمُونِ كَانَ فَرِيقٌ) بغير (إِنه)[(٣)].

وهذه تعضد كسر الأَلف من (إِنَّه) لأَنها استئناف، وهذه الهاءُ مبهمةٌ، ضميرٌ للأَمر، والكوفيون يُسَمُّونَهَا المجهولة، وهي عبارة فاسدة، وهذه الآية كلها ممَّا يقال للكفرة على جهة التوبيخ.

والفريق المشار إِليه: كلُّ مستضعف من المؤمنين يتفق أَن يكون حاله مع [كفار مثل][(٤)] هذه الحال، ونزلت الآية في كفَّار قريش مع صهيب وعمَّار وبلال ونظرائهم، ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديماً وبقية الدهر.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٨٩) ومسلم (٢٩٣٠) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، مرفوعاً، به.

(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٩٧).

(٤) سقط من نور العثمانية.

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿سُخْرِيّاً﴾ بضم السين.

وقرأ الباقون: ﴿سِخۡرِيًّا﴾ بكسرها[١].

فقالت طائفة هما بمعنى واحد، وذكر ذلك الطبري[٢]، وقال ذلك أَبو زيد الأَنصاري: إِنهما بمعنى الهزءِ[٣]، وقال أَبو عبيدة وغيره: إِن ضم السين من السخرة والتخديم، وكسر السين من السخر وهو الاستهزاءُ[٤]، ومنه قول الأعشى:

[البسيط] إِنِّـي أَتَانِـي حَديـثٌ لا أُسَـرُّ بِـهِ مِنْ عَلْوَ لَا كَذِبٌ فِيهِ وَلَا سَخَرُ[٥]

قال أَبو علي: قراءَة كسر السين أَوجه لأَنه بمعنى الاستهزاء والكسر فيه أَكثر، وهو أَليق بالآية، أَلا ترى إِلى قوله تعالى: ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾[٦].

قال القاضي أَبو محمد: أَلا ترى إِلى إِجماع القراءِ على ضم السين في قوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣٢] لما تخلَّص الأَمر للتخديم.

قال يونس: إِذا أُريد التخديم فهو بضم السِّين لا غير، وإِذا أُريد الهزء فهو بالضم والكسر[٧].

وقرأَ أَصحابُ عبد الله، والأَعرجُ، وابن أَبي إِسحاق كل ما في القرآن بضم السين.

[وقرأَ الحسن، وأَبو عمرو كلَّ ما في القرآن بالكسر][٨] إِلاَّ التي في الزخرف

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٤٨)، والتيسير (ص: ١٦٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٨٠).

(٣) انظر قوله في الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٠٣).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٦٢) بمعناه.

(٥) البيت لأعشى باهلة، عامر بن الحارث بن رباح، كما تقدم في تفسير الآية **٩٨** من سورة النحل.

(٦) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٣٠٩).

(٧) انظر قوله في تهذيب اللغة (٧/ ٧٨)، وفي الأصل: «الاستهزاء»، وفي الإماراتية: «الهمزة».

(٨) سقط من الأصل.

فإنهما ضما السين كما فعل الناسُ[1] لأنها من التخديم، وأَضاف الإنساء إِلى الفريق من حيث كان بسببهم، والمعنى: أَن اشتغالهم بالهزءِ بهؤلاءِ أَنساهم ما ينفعهم.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بفتح الأَلف، فـ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾ عامل في ﴿أَنَّ﴾، ويجوز أَن يعمل في مفعول محذوف، ويكون التقدير: لأَنهم.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وخارجة عن نافع: ﴿إنهم هم الفائزون﴾ بكسر الأَلف[2]، فالمفعول الثاني لـ(جزيت) مقدر، تقديره: الجَنَّة والرضوان.

و﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾: المُنْتهون إِلى غايتهم التي كانت أَملهم. ومعنى الفوز: النجاة من هلكة إِلى نعمة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾.

قرأَ نافع، وعاصم، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، [و﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾.

وقرأَ حمزة والكسائي فيهما: ﴿قل كم لبثتم﴾ و﴿قل إن لبثتم﴾.

وروى البَزِّي عن ابن كثير ﴿قُلْ كم لبثتم﴾ على الأمر، ﴿قال إِنْ لَبِثْتُمْ﴾][3] على الخبر[4].

---

(١) وهما سبعيتان، كما تقدم، ومثله في البحر المحيط (٧/ ٥٨٧)، إلا أنه اعترض الإجماع على الضم في الزخرف بما في الكامل للهذلي (ص: ٦٠٧) أن ابن محيصن، وابن مسلم كسرا فيها.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٠)، ورواية خارجة في السبعة (ص: ٤٤٨).

(٣) سقط من لالاليه، وسقط بعضه من المطبوع، وفي أحمد٣ بدلا منه: «قال كم قال إن بألف بينهما، والباقون قل كم على الأمر قال».

(٤) الأولى والثانية سبعيتان كما في التيسير (ص: ١٦٠)، وابن كثير مع الأخوين، والثالثة للبزي في السبعة (ص: ٤٤٩).

وأَدغم أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي التَّاءَ، والباقون لا يدغمونها[1]، فمعنى الأَول: الإِخبارُ بأَن الله يوفقهم للسؤال عن المدة ثم يعلمهم آخراً بلبثهم قليلاً، ومعنى الثانية: الأَمر لواحد منهم مُشَارٍ إِليه، بمعنى: يقال لأَحدهم قل كذا، فإِذا قال غير القويم قيل له: قل: إِن لَبثتم، ومعنى رواية البزي: التوقيفُ ثم الإِخبارُ.

وفي المصاحف: ﴿قال﴾ فيهما، إلا في مصحف الكوفة فإِن فيه ﴿قُلْ﴾ بغير أَلف[2].

وقوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾، قال الطبري: معناه: في الدنيا أَحياءً، وعن هذا وقع السؤال، ونسوا لفرط هول العذاب حتى قالوا: ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[3].

قال القاضي أَبو محمد: والغرض من هذا توقيفهم على أَن أَعمارهم قصيرة، أَدَّاهم الكفر فيها إِلى عذاب طويل.

وقال جمهور المتأَولين: معناه: في جوف التراب أَمواتاً.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الأَصوب من حيث أَنكروا البعث وكان قولهم: إِنهم لا يقومون من التراب، قيل لهم لمَّا قاموا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، وقوله آخراً: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ يقتضي ما قلناه.

وعَدَدَ: نصب بـ ﴿كَمْ﴾ على التمييز.

وقرأَ الأَعمش: (عَدَداً سِنِينَ) بتنوين (عَدَداً)[4].

وقال مجاهد: أرادوا بالْعادِّينَ الملائكة، وقال قتادة: أرادوا أهل الحساب[5].

---

(١) وأدغمها معهم ابن عامر، انظر: التيسير (ص: ٤٤).

(٢) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص: ٣٢)، وانظر المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٤٥)، و(ص: ١٥٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٨٢).

(٤) وهي شاذة، عزاها في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٨٧) للأعمش، والكرماني في الشواذ (ص: ٣٣٨) له وليحيى.

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٨٣)، والهداية لمكي (٧/ ٥٠١١)، وتفسير الماوردي (٤/ ٦٩).

قال القاضي أبو محمد: وظاهر اللفظ أنهم أرادوا: سَلْ[١] من يتصف بهذه الصفة، ولم يعينوا ملائكة ولا غيرها؛ لأن النائم والميت لا يعد الحركة فيقدر له الزمن.

وقوله: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ مقصده ـ على القول بأَن المكث في الدنيا ـ أَي قليل القدر في جنب ما تُعَذَّبُونَ، وعلى القول بأَن اللبث[٢] في القبور معناه: أَنه قليلٌ، إِذْ كُلُّ آتٍ قريبٌ، ولكنكم كذبتم به إِذ كنتم لا تعلمون؛ إِذ لم ترغبوا في العلم والهدى.

و﴿عَبَثًا﴾: معناه: باطلاً لغير غاية مُراده.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاءِ وفتح الجيم.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التاءِ وكسر الجيم[٣]، والمعنى فيها[٤] بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١١٨﴾.

المعنى: فتعالى الله عن مقالتهم في جهته من الصاحبة والولد، ومن حسابهم أَنهم لا يرجعون، أَي: تَنَـزَّه الله عن تلك الأُمور وتعالى عنها.

وقرأَ ابن محيصن: (الكَرِيمُ) بالرفع صفة للرَّبِّ[٥].

ثم توَّعد جلَّت قدرته عَبَدَةَ الأوثان بقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ / مَعَ ٱللَّهِ ...﴾ الآية، [٤/ ٨٧] والوعيد قولُه: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾.

و«الْبُرْهَانُ»: الحُجَّة، وظاهر الكلام أَن ﴿وَمَن﴾ شرط، وجوابه في قوله: ﴿فَإِنَّمَا

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «المكث».

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٠)، والسبعة (ص: ٤٤٩).

(٤) في لالاليه ونور العثمانية: «فيهما».

(٥) وهي شاذة، انظر ها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٠٧).

﴿حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾، وقوله: ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ في موضع الصفة، وذهب قومٌ إِلى أَن الجواب في قوله: ﴿لَا بُرۡهَٰنَ﴾، وهذا هروب من دليل الخِطَاب من أَن يكونَ ثمَّ داع له بُرهان.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تحفُّظ مما لا يلزم، ويلحقه حذف الفاءِ من جواب الشرط وهو غير فصيح، قاله سيبويه[(١)].

وفي حرف عبد الله: (عِنْدَ رَبِّكَ)، وفي حرف أُبيٍّ: (عند الله)، ورُوي أَن فيه: (عَلَى الله)[(٢)].

ثم حتم وأَكَّد أَن الكافر لا يبلغ أُمنيته ولا ينجح سعيُه.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِنَّهُۥ﴾ بكسر الأَلف.

وقرأَ الحسن وقتادة: (أَنَّهُ) بفتحها[(٣)]، والمعنى: أَنه إِذْ لا يَتَذَكَّر ولا يفلح يؤخر حسابه وعذابه حتى يلقى ربَّه.

وقرأَ الحسن: (يَفْلَحُ) بفتح الياءِ واللام[(٤)].

ثم أَمر رسول الله ﷺ بالدعاءِ في المغفرة والرحمة والذِّكر له تعالى بأَنه خَيْرُ الرَّاحِمِينَ؛ لأَن كلَّ راحم فمتصرفٌ على إِرادة الله تعالى وتوفيقه وتقديره لمقدار هذه الرحمة، ورحمته تعالى لا مشاركة لأَحدٍ فيها، وأيضاً فرحمة كلِّ راحم في أَشياءَ وبأَشياءَ حقيرات بالإِضافة إِلى المعاني التي تقع في رحمة الله تعالى من الاستنقاذ من النار، وهيئة نعيم الجنة، وعلى ما في الحديث فرحمة كل راحم مجموعها كلها جزءٌ

---

(١) انظر قوله في الحجة للفارسي (٦/ ١٢٩).

(٢) وكلها شاذة مخالفة للرسم، تابعه على بعضها في تفسير الثعالبي (٤/ ١٦٦).

(٣) وهي شاذة، عزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص: ٣٣٨).

(٤) وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (٧/ ٥٩٠)، وكذا في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٨) لكن ضبطها بكسر اللام، وعزا ضم الياء وفتح اللام لابن جبير، وانظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٠٧).

من مئة من رحمة الله تعالى جلَّت قدرته؛ إِذْ بثَّ في العالَم واحدة وأَمسك عنده تسعاً وتسعين[١].

وقرأَ ابن محيصن: (وَقُلْ رَبُّ اغْفِرْ) بضم الباءِ من ﴿رَّبِّ﴾[٢].

تمَّ تفسير سورة المؤمنون والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

(١) متفق عليه بنحوه، أخرجه البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٢) وهي شاذة، تقدم مثلها قريباً في آخر سورة الأنبياء.



سورة النُّور هذه السورة كلها مدنية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾.

قوله: ﴿سُورَةٌ﴾ قرأ الجمهور: ﴿سُورَةٌ﴾ بالرفع، وقرأ عيسى بن عمر، ومجاهد: (سُورَةً)، بالنصب، ورُوي ذلك أيضاً عن عمر بن عبد العزيز، وعن أم الدرداءِ[(١)].

فوَجْه الرفع أَنه خبر ابتداءٍ مضمر تقديره: هذه سورة، أَو ابتداءٌ وخبره مقدم[(٢)]، تقديره: فيما يُتلى عليكم.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿سُورَةٌ﴾ ابتداءً، وما بعدها صفةٌ لها أَخرجتها عن حدِّ النكرة المحضة، فحسُن الابتداءُ لذلك، ويكون الخبر في قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ﴾ وفيما بعد ذلك.

والمعنى: السورةُ المُنَزَّلَةُ المفروضة كذا وكذا؛ إِذ السورة عبارة عن آيات مسرودة لها بدءٌ وخَتْمٌ، ولكن يلحق هذا القولَ أَن كون الابتداءِ هو الخبرَ ليس بالبَيِّن، إِلَّا أَن يُقَدَّر الخبر في السُّورة بأَسْرِها، وهذا بعيد في القياس، و[قول الشاعر:

---

(١) وهي شاذة، عزاها ولمجاهد في البحر المحيط (٨/ ٦)، وللباقين في المحتسب (٢/ ٩٨)، وفي الأصل: «أبي الدرداء»، ولعله خطأ.

(٢) في المطبوع: «مفهوم».

[الرمل] فارس مـا تركـوه[١].......... ....

ووَجْه النصب: إِضمار فعل قدَّره بعضهم: أَتْلُ سورةً، أَو نحوه، وجعله بعضهم: أَنزلنا سورةً أَنزلناها، وقال الفراءُ: هي حالٌ من الهاء والأَلف[٢]، والحال من المكنى يجوز أَن تتقدم عليه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾ بتخفيف الراء، ومعناه الإِثبات والإِيجاب بأَبلغ وجوهه؛ إِذ هو مشبَّه بالفرض في الأَجرام[٣].

وقرأَ مجاهد وغيره، وأَبو عمرو، وابن كثير، وعمر بن عبد العزيز، وابن مسعود: ﴿وَفَرَّضْنَاهَا﴾ بشدِّ الرَّاءِ[٤]، ومعناه: جعلناها فرائض فرائض[٥]، فمن حيث تردَّد ذلك ضُعِّف الفعل للمبالغة والتكثير.

وقرأَ الأعمش: (وَفَرَضْنَاهَا لَكُمْ)[٦].

وحكى الزهراوي عن بعض العلماء أَنه قال: كلُّ ما في السُّورة من أَمر ونهْي فرضٌ، [لا حضٌّ، بهذه اللفظة][٧].

و«الآيَاتُ البيِّنَات»: أَمثالُها ومواعظها وأَحكامها.

---

(١) ساقط من المطبوع، وأشار له في الهامش، ورواية البيت:

فـارس مـا غـادروه ملحما غيـر زميـل ولا نـكس وكـل

وهو لامرأة من بني الحارث كما في الحماسة بشرح التبريزي (١/ ٤٦٣)، والحماسة البصرية (١/ ٢٤٣)، وخزانة الأدب للبغدادي (١١/ ٣٠٠).

(٢) انظر كلامه على ذلك في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٤).

(٣) في المطبوع: «الإلزام».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦١)، والعزو لمجاهد في الطبري (١٩/ ٨٦)، ولعمر وابن مسعود في البحر المحيط (٨/ ٦).

(٥) المكررة ساقطة من الإماراتية والمطبوع ولالاليه.

(٦) وهي شاذة، مخالفة للمصحف إن كانت، ولم أجدها لغير المؤلف، لكن في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٣٨)، عن ابن مسعود: (وفرضنا لكم).

(٧) سقط من المطبوع، ولم أقف على كلام الزهراوي هذا ولا الذي بعده.

وقال الزهراوي: المعنى: ليس فيها مشكل، تأْويلها موافق لظاهرها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تحكُّم.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أَي: على توقُّع البشر ورجائهم.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلزَّانِيَةُ﴾ بالرفع، وقرأَ عيسى الثقفي: (الزَّانِيَـةَ) بالنصب[١].

وهو أَوجه عند سيبويه لأَنه عنده كقولك: زيداً اضرب[٢].

ووجه الرفع عنده: أَنه خبر ابتداءٍ، تقديره: فيما يُتلى عليكم الزَّانِيَـةُ وَالزَّانِي، وأَجمع الناس على الرفع وإِن كان القياس عند سيبويه النصب.

وأَما الفرَّاءُ والمُبَـرِّد والزَّجاج فإِن الرفع عندهم هو الأَوجه[٣]، والخبر في قوله: ﴿فَٱجْلِدُواْ﴾؛ لأَن المعنى: إِن الزانية والزاني مجلودان بحكم الله تعالى، وهذا قول جيد، وهو قول أَكثر النحاة، وإِن شئتَ قدرتَ الخبر: ينبغي أَن يُجلدوا.

وقرأَ ابن مسعود: (وَالزَّانِ) بغير ياءٍ[٤].

وقُدِّمت الزَّانِيَـةُ في اللفظ من حيث كان في ذلك الزمن زنى النساءِ أَفْشَى، وكان لإِماءِ العرب وبغايا الوقت رايات، وكنَّ مجاهرات بذلك، وإذ العارُ[٥] بالنساء أَلْحَق إِذ موضوعهن الحجبة والصيانة، فقدم ذكرهن تغليظاً واهتماماً.

والأَلف واللام في قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ للجنس، وذلك يُعطي أَنها عامة في جميع الزناة، وهذه الآية باتِّفاقٍ ناسخةٌ لآية الحبس وآية الأَذى اللَّتين في سورة النساء.

وجماعة من العلماءِ على عموم هذه الآية، وأَن حكم المحصنين منسوخ منها.

---

(١) وهي شاذة انظرها في المحتسب (٢/ ٩٩).

(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ١٤٢).

(٣) انظر قول الزجاج وقول المبرد في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧)، وقول الفراء في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٢).

(٥) في نجيبويه: «وإن العار»، وفي المطبوع: «والعار».

واختلفوا في الناسخ:

فقالت فرقة: النَّاسخُ السُّنَّة المتواترة في الرَّجْم.

وقالت فرقة: بل القرآن الذي ارتفع لفظه وبقي حكمه، وهو الذي قرأه عُمر على المنبر بمحضر الصحابة رضي الله عنهم: (الشَّيْخُ والشَّيْخَةُ إِذا زنَـيَا فَارْجُمُوهُمَا البَـتَّة)، وقال: «إِنَّا قرأْناهُ في كتاب الله»[١].

واتفق الجميع على أن لفظه رفع وبقي حكمه، وقال الحسن بن أبي الحسن وابن راهويه: ليس في هذه الآية نسخ؛ بل سنة الرجم جاءت بزيادة، فالمحصن ـ على رأي هذه الفرقة / ـ يجلد ثم يرجم، وهو قول علي بن أبي طالب وفعله بشراحة[٢]، ودليلهم قول النبي ﷺ: «والثَّـيِّب بالثَّيب جلْدُ مئة والرجم»[٣]. [٤/ ٨٨]

ويردُّ عليهم فعل النبي ﷺ حيثُ رجم ولم يجلد[٤]، وبه قال جمهور الأمَّة[٥] إِذْ

(١) غير محفوظ بهذا اللفظ في حديث عمر، وأصل حديثه في الصحيحين بدون ذكر الآية، أخرجه النسائي في الكبرى (٧١٥٦) من طريق سفيان، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن عمر، رضي الله عنهم، به، قال النسائي: لا أعلم أن أحداً ذكر في هذا الحديث: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، غير سفيان، وينبغي أنه وهم، وقد خالف سفيان ثمانيةٌ من أصحاب الزهري في روايتهم عنه، فلم يذكروا الآية، والحديث مختلف فيه على الزهري اختلافاً كبيراً، كما بينه الإمام الدارقطني في علله (٢/ ٩-١٠)، وأصل حديث عمر وقوله: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، دون نص الآية في الصحيحين؛ البخاري (٦٨٣٠) (٦٨٤١) ومسلم (١٦٩١).

(٢) انظر قول الحسن وإسحاق بن راهويه وقول علي رضي الله عنه وفعله في: الأوسط (١٢/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٤) وأمثلة ذلك كثيرة مما في الصحيحين، ومنها: قصة ماعز بن مالك، رضي الله عنه، كما عند البخاري (٦٤٣٨) من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما، ومسلم (١٦٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، وكذلك قصة الغامدية، كما عند مسلم (١٦٩٥) من حديث بريدة بن الحصيب، رضي الله عنه، وما رواه البخاري (٦٤٢٧) من طريق الشعبي، عن علي، رضي الله عنه في رجمه للمرأة يوم الجمعة، ثم قال: رجمتها بسنة رسول الله ﷺ، وغير ذلك الكثير من المرويات التي فيها رجم المحصن دون الجلد.

(٥) منهم أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم، انظر مذهب مالك في: الموطأ (٢/ ٦٢٩)، ومذهب =

فعله كقوله رفع الجلد عن المحصن[١].

وقال ابن سلام وغيره: هذه الآية خاصة في البِكْرَيْن[٢].

قال القاضي أَبو محمد: لأَنه لو لم يبق مَنْ هذا حكْمه إِلا البِكْرَان، واستدلوا على ذلك بقول النبي ﷺ: «البِكْرُ بالبِكْر جَلْدُ مئة وتغريب عام»[٣]، وبقوله: «على ابنك جَلْدُ مئة»[٤]، واستدلوا على أَنها غير عامة بخروج الإماءِ والعبيد وغيرهم منها[٥].

وقد تقدَّم بسط كثير من هذه المعاني في سورة النساء.

والجَلْد يكون والمجلود قاعد عند مالك، ولا يُجزئ عنده إِلَّا في الظهر[٦]، وأَصحاب الرأْي والشافعيُّ يرون أَن يُجلد الرجل وهو واقف، وهو قول علي بن أَبي طالب[٧].

= أبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (٩/ ٤١-٤٢)، ومذهب الشافعي في: الأم (٦/ ٢١٥-٢١٦)، ومذهب أحمد في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (٢١١٥).

(١) انظر المحصول لابن العربي (١/ ١١٢)، والبحر المحيط للزركشي (٢/ ٥١٩).

(٢) انظر الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص: ١٠٠)، وما بعدها، وهو قول الجمهور، كما في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٩٤)، وأحكام القرآن لإلكيا الهَرّاس (٤/ ٢٩٠)، و(١/ ٤٦٢-٤٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٤٣) من حديث زيد بن خالد الجهني، سمعت النبي ﷺ يأمر فيمن زنى ولم يحصن: «جلد مئة وتغريب عام».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٤٠) ومسلم (١٦٩٧) من حديث أبي هريرة، وزيد بن خالد، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

(٥) لمزيد من التوسع في استدلال الجمهور بهذه الأدلة وغيرها؛ انظر الاستذكار (٧/ ٤٧٨-٤٧٩)، وبداية المجتهد (٢/ ٤٣٥-٤٣٧).

(٦) انظر قول مالك في: المدونة (٤/ ٥٠٤، ٥٠٩).

(٧) ضعيف جدّاً، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٣٧٥) عن الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن يحيى، عن علي، رضي الله عنه، والحسن بن عمارة، متروك الحديث، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٨/ ٣٢٧) من طريق هشيم، قال: أخبرني بعض أصحابنا، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن علي، به، وهذا ضعيف، من أجل إبهام من روى عنه هشيم، ولعله الحسن بن عمارة، المذكور في رواية عبد الرزاق.

ويُفرَّق الضربُ على كل الأَعضاء[١]، وأَشار ابن عمر بالضرب إِلى رِجلَيْ أَمة جلدها في الزنا[٢]، والإجماع في تسليم الوجه والعورة والمَقَاتل[٣].

ويترجَّح قول مالك رحمه الله بقول النبي ﷺ: «أَوْ حَدٌّ في ظهرك»[٤]، وقال عمر: «أَوْ لأُوْجِعَنَّ مَتْنَك[٥]».

ويُعرَّى الرجل عند مالك[٦]، والنَّخَعي، وأَبي عبيدة بن الجراح، وابن مسعود، وعمر بن عبد العزيز، والحسن، والشعبي، وغيرُهم يرون أَن يُضرب على قميص، وهو قول عثمان، وابن مسعود أيضاً[٧]، وأَما المرأَة فَـتُسْتر قولًا واحداً[٨].

وقرأَ الجمهور: ﴿رَأْفَةٌ﴾ بهمزة ساكنة على وزن فَعْلة.

---

(١) انظر قول علي في: الأوسط (١٢/ ٤٧٢)، وأصحاب الرأي في: المبسوط للسرخسي (٩/ ٨٣)، وقول الشافعي في: الأم (٧/ ٢٣٦).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه عبد الرزاق (٧/ ٣٧٦) والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٤٥) من طريق ابن جريج، قال: حدثنا ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، به، وقد تحرف اسم عبد الله بن عبد الله بن عمر، في المطبوع من مصنف عبد الرزاق، إلى: «عبيد الله بن عبد الله بن عمر»، وجاء اسمه على الصواب عند البيهقي، وانظر تهذيب الكمال (١٥/ ١٨٠).

(٣) انظر حكاية هذا الإجماع في تفسير القرطبي (١٢/ ١٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٢٦) من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً، به.

(٥) إسناده صحيح، أخرجه النسائي في الكبرى (٢٩٢٦) من طريق الليث بن سعد، عن عقيل، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد صحيح، على شرط الشيخين، وقد خالف عقيلاً: شعيبُ بنُ أبي حمزة، فرواه عن الزهري، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، به، وعقيل أثبت في الزهري، والله أعلم.

(٦) انظر مذهب مالك في المسألة في: التلقين للقاضي عبد الوهاب (٢/ ١٧٠).

(٧) انظر قول أبي عبيدة بن الجراح وابن مسعود وعثمان رضي الله عنه والنخعي والشعبي في: الأوسط (١٢/ ٤٧٠-٤٧٢)، أما عمر بن عبد العزيز والحسن فلم أقف عليه لهما؛ بل في الأوسط (١٢/ ٤٧٣)، عن عمر بن عبد العزيز أنه جرَّد قاذفاً في حد الجلد.

(٨) انظر نقل الإجماع على أن تحد المرأة وهي مستترة في: تفسير مفاتيح الغيب (٢٣/ ١٢٧).

وقرأَ ابن كثير: ﴿رَأَفَةٌ﴾ على وزن فَعَلة بفتح العين[١].

وقرأَ عاصم أيضاً: (رَآفَةٌ) على وزن فَعَالَة[٢]، كَسَآمة وكآبة.

وهذه مصادر أَشهرها الأُولى، من رَؤُفَ إِذا رقَّ ورحم.

وقرأَ الجمهور: ﴿تَأْخُذْكُم﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (يَأْخُذْكُمْ) بالياءِ من تحت[٣].

واختلف الناس في الرأْفة المنهي عنها، فيم هي؟:

فقال أَبو مِجْلَز لاحقُ بن حُمَيد[٤]، ومجاهد، وعكرمة، وعطاءٌ: هي في إِسقاط الحدِّ، أَي: أَقيموه ولا بُدَّ[٥]، وهذا تأْويل ابن عمر[٦]، وابن جبير، وغيرهما، ومن رأْيهم أَن الضرب في الزنا والفِرية والخمر على نحو واحد[٧].

وقال قتادة، وابن المسيب، وغيرهما: الرأْفة المنهيُّ عنها هي تخفيف الضرب عن الزنا.

ومن رأْيهم أَن يُخَفَّف ضرب الخمر والفِرْية ويشتد ضرب الزنا[٨].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ١٦١)، والسبعة (ص: ٤٥٢).

(٢) وهي شاذة، عزاها له ولابن جريج وابن كثير في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٩)، وللثاني فقط في مختصر الشواذ (ص: ١٠٢).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٢).

(٤) في حاشية المطبوع: في الأصول: «فقال أبو مِجْلز ولاحق بن حُميد، وإنما هو رجل واحد».

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٩١و٩٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٠٠).

(٦) إسناده صحيح، أخرجه عبد الرزاق (٧/ ٣٧٦) والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٤٥) من طريق ابن جريج، قال: حدثنا ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، به. وهذا إسناد صحيح، وقد تقدم قبل قليل.

(٧) انظر هذا كله في تفسير الطبري (١٩/ ٩١).

(٨) وقاله عطاء والنخعي والحسن والثوري، انظر: الأوسط (١٢/ ٤٧٨)، وقول ابن المسيب في: تفسير الطبري (١٩/ ٩٢).

وقال سليمان بن يسار: نُهي عن الرأْفة في الوجهين.

وقال أَبو مِجْلَز: إِنَّا لنَـرْجُم المحدود ولكن لا نُسقط الحدَّ[١].

قال القاضي أبو محمد: وقول النبي ﷺ في السوط: «دون هذا» ضربٌ من الرأْفة[٢].

وقال عمر: اضْرِب ولا تُبْدِيَنَّ إِبطك[٣].

واتفق الناس على أَن الضرب سوطٌ بين سوطين.

وقال الزهري: ضرب الزنى والفِرية مشدَّد لأَنهما بمعنى واحد، وضرب الخمر مخفف[٤].

وقوله: ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ بمعنى: في الإِخلال بدين الله، أَي بشرعه، ويحتمل أَن يكون الدِّين هنا بمعنى الحكم.

ثم قررهم على معنى التثبيت والحضِّ بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، وهذا كما تقول لرجل تَحضُّه: إِن كنت رجلاً فافعل كذا، أَي: هذه أَفعال الرجال.

وقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، المقصد بالآية: الإِغلاظ على الزُّناة والتوبيخ بحضرة الناس، فلا خلاف أَن الطائفة كلَّما كثرت فهو أَليق بامتثال الأَمر.

واختلف الناس في أَقل ما يُجزي:

---

(١) انظر قولهما في: تفسير الطبري (١٩/ ٩٢).

(٢) لعله أراد حديث زيد بن أسلم أن النبي ﷺ أتي برجل قد أصاب حداً، فأتي بسوط جديد شديد، فقال: دون هذا، فأتي بسوط منكسر منتشر، فقال: فوق هذا، فأتي بسوط قد ديث، يعني قد لين، فقال: هذا، فإن يكنه، فهو ضعيف لإرساله.

(٣) إسناده صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٢٦) من طريق عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، به.

(٤) انظر قول الزهري في: تفسير الطبري (١٩/ ٩٢).

فقال الحسن بن أَبي الحسن: لا بُدَّ من حضور عشرة[١]، رأى[٢] أن هذا العدد عقد خارج عن الآحاد، وهي أَقل الكثرة.

وقال ابن زيد وغيره: لا بُدَّ من حضور أَربعة، ورأَوا أَن شهادة الزنا كذلك، وأَن هذا باب منه، وقال الزهري: الطائفة ثلاثة فصاعداً[٣].

وقال عطاءٌ وعكرمة: لا بُدَّ من اثنين، وهذا مشهور قول مالك، فرآها موضع شهادة.

وقال مجاهد: يجزئ الواحد، ويُسمى طائفة إلى الألف، وقاله ابن عباس[٤]، ونزعا بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ [الحجرات: ٩]، ونزلت في تقاتُل رجلين[٥].

واختلف العلماء في التغريب:

وقد غرّب الصديق إلى فدك[٦]، وهو رأي عمر وعثمان وعلي وأبي ذر وابن

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٠٦).

(٢) في المطبوع: «وقال».

(٣) انظر قول ابن زيد وقول الزهري في: تفسير الطبري (١٩/ ٩٥).

(٤) انظر قول ابن عباس في تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ١٠)، وقول عطاء وعكرمة وقول مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٩٥)، لكن مشهور مذهب مالك أن أقل الطائفة أربعة، انظر: الكافي (٢/ ١٧٠)، وبداية المجتهد (٢/ ٤٣٨)، وحاشية الدسوقي (٤/ ٣٢٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٩٤).

(٦) كأنه مرسل، أخرجه الإمام مالك (٣٠٤٩) عن نافع، عن صفية بنت أبي عبيد، عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، به، وترجم الحافظ العلائي في جامع التحصيل (١٠٣١) لصفية، وأورد لها هذا الأثر عن الصديق، رضي الله عنه، ثم قال: قال عبد العزيز النخشبي: لا أظن صفية أدركت أبا بكر، رضي الله عنه، فإن لم تكن أدركته فالحديث مرسل، وفي التهذيب: أن لها عن عمر رضي الله عنه رؤية مجردة، وهذا يؤيد قول النخشبي.

مسعود وأبي بن كعب[١]، ولكن عمر بعدُ نفى رجلًا فلحق بالروم فقال: لا أنفي أحداً بعدها[٢]، وفيه عن مالك قولان[٣].

ولا يرى تغريب النساء والعبيد[٤]، واحتج بقوله ﷺ: «لا تسافر المرأة مسيرة يوم إلا مع ذي محرم»[٥]، وممن أبى التغريب جملةُ أصحابِ الرأي[٦].

وقال الشافعي: يُنفى البكر رجلاً كان أو امرأة[٧]، ونفى عليٌّ امرأة إلى البصرة[٨].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

في هذه الآية أَربعة أَوجُه من التأْويل:

أَحدها: أَن يكون مقصد الآية تشنيع الزنى[٩] وتبشيع أَمره، وأَنه مُحَرَّم على

---

(١) انظر قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي رضي الله عنهم في: الأوسط (١٢/ ٤٩٠-٤٩١)، ولم أجده لأبي ذر.

(٢) لم أقف عليه مسنداً.

(٣) ظاهر كلام المؤلف أن لمالك قولاً بالتغريب وقولاً بخلافه، وما وقفت عليه من ذلك هو قوله بالتغريب للبكر الزاني، انظر قول مالك في: المدونة (٤/ ٥٠٤)، والنوادر (١٤/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٤) انظر قول مالك بعدم نفي العبيد، وكذلك قوله بعدم نفي النساء واحتجاجه بالحديث؛ في النوادر (١٤/ ٢٣٦).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٣٨) ومسلم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، به، بلفظ: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم، وأخرجه البخاري (١٠٨٦) (١٠٨٧) ومسلم (١٣٣٨) بلفظ: «لا تسافر المرأة ثلاثاً...» وفي البخاري (١١٩٧) ومسلم (٨٢٧) بلفظ: «لا تسافر المرأة يومين».

(٦) انظر قول أصحاب الرأي في: المبسوط للسرخسي (٩/ ٥٠-٥١).

(٧) انظر قول الشافعي في: الأم (٦/ ٢٠٢)، وفي لالاليه بدله: «مجاهد»، وسقط منها: «ونفى علي امرأة».

(٨) أخرجه ابن المنذر في الأوسط (١٢/ ٤٩٠) من طريق هشيم، عن الشيباني، قال: سمعت الشعبي، يقول: إن عليّاً جلد ونفى، وأحسبه نفى إلى البصرة، وهشيم مدلس، وقد عنعنه.

(٩) سقطت من الأصل والمطبوع.

المؤمنين، واتصالُ هذا المعنى بما قبْلُ حسنٌ بليغ.

ويريد بقوله: ﴿لَا يَنكِحُ﴾ أَي لا يطأُ، فيكون النكاح بمعنى الجماع، وردَّد القصةَ مبالغة وأَخذاً من كلا الطرفين، ثم زاد تقسيم المشرك والمشركة من حيث الشرك أَعم في المعاصي من الزنا، فالمعنى: الزاني لا يطأُ في وقت زناه إِلَّا زانيةً من المسلمين أَو من هي أَخَسُّ منها من المشركات.

وقد روي عن ابن عباس وأَصحابه أَن النكاح في هذه الآية الوَطْءُ[(١)]، وأَنكر ذلك الزجاج وقال: لا يُعرف النكاح في كتاب الله تعالى إِلا بمعنى التزويج[(٢)]، وليس كما قال، وفي القرآن: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وقد بيَّنه النبي ﷺ أَنه بمعنى الوطءِ[(٣)].

وذكر الطبري ما ينحو إِلى هذا التأْويل عن سعيد بن جبير، وابن عباس، وعكرمة[(٤)]، ولكن غير ملَخَّص ولا مكمَّل.

والثاني: أَن تكون الآية نزلت في قوم مخصوصين، وهذا قول روي معناه عن عبد الله بن عمر، وعن ابن عباس وأَصحابه، قالوا: وهم قومٌ كانوا يزنون في جاهليتهم ببغايا مشهورات، فلما جاءَ الإسلام وأَسلموا لم يمكنهم الزنا، / فأَرادوا ـ لفقرهم ـ [٤/ ٨٩] زواج أُولئك النسوة؛ إِذ كان من عادتهن الإِنفاق على من ارتسم بزواجهن، فنزلت الآية

(١) إسناده مستقيم، الأثر أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (**٣/ ٥٢**) عن الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عنه.

(٢) انظر: معاني القرآن (**٤/ ٢٩**).

(٣) هو حديث امرأة رفاعة القرظي التي جاءت النبي ﷺ فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فأبتَّ طلاقي فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير إنما معه مثل هدبة الثوب، فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا حتى تذوقي عُسَيلته ويذوق عُسَيلتك». وهو حديث متفق عليه أخرجه البخاري في غير موضع منه (**٢٦٣٩**) ومسلم (**١٤٣٣**).

(٤) انظر: تفسير الطبري (**١٩/ ١٠٠**).

بسببهن[١]، والإشارة بالزَّانِي إِلى أَحد أُولئك، حمل عليه اسم الزنا الذي كان في الجاهلية.

وقوله: ﴿لَا يَنكِحُ﴾ أَي لا يتزوج، وفي الآية ـ على هذا التأْويل ـ معنى التفجع عليهم، وفي ذلك توبيخٌ كأَنه يقول: أَيُّ مصاب؟ الزاني لا يريد أَن يتزوج إِلَّا زانية أَو مشركة، أَي: تنـزع نفوسُهم إِلى هذه الخسائس لقلة انضباطهم.

ويَرِدُ على هذا التأْويل: الإِجماعُ على أَن الزانية لا يجوز أَن يتزوجها مشركٌ[٢].

ثمَّ قوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي نكاح أُولئك البغايا، فيزعم أَهل هذا التأْويل: أَن نكاح أُولئك البغايا حرَّمه الله على أُمَّة محمد ﷺ، ومن أَشهرهن عَنَاق البغي، وكان الذي همَّ بتزوُّجها يلقب[٣] دُلْدُل، كان يستخرج ضعفة المسلمين من مكة سِرّاً، ففطنت له ودعته إِلى نفسها فأَبى الزنا وأَراد التزويج، واستأْذن [في ذلك][٤] النبيَّ ﷺ فنزلت الآية، ولمَّا دعته وأَبى قالت له: «أَنَّى تبرز؟ والله لأَفضحنَّك»[٥].

وذكر الطبري أَن من البغايا المذكورات:

أُم مَهزول، جارية السائب بن أبي السائب المخزوميِّ، ويقال فيها: أُم مهزوم.

وأُم غُلَيظ، جارية صفوان بن أُميَّة.

---

(١) إسناده لا بأس به، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٥٢) عن الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، عن ابن جبير، عن ابن عباس.

(٢) لأن الزانية مسلمة، والمسلمة لا تحل لكافر بإجماع، انظر نقل الإجماع على ذلك في: التمهيد (١٢/ ٢١).

(٣) سقطت من المطبوع، ودلدل لقبٌ لمرثد، كما في تفسير الطبري (١٨/ ٧٩)، وانظر: الاستيعاب (٣/ ١٣٨٥).

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) حسن، هذا الحديث أخرجه أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي (٣٢٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٢٦)، والحاكم (٢/ ١٦٦)، والبيهقي (٧/ ١٥٣) من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة بغي يقال لها: عناق وكانت صديقته، قال: جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، أنكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ فدعاني فقرأها علي وقال: «لا تنكحها».

وحنَّة القبطية، جارية العاصي بن وائل.

ومُزْنة، جارية مالك بن عَمِيلة بن السَّبَّاق [بن عبد الدار][(١)].

وجلالة، جارية سهيل بن عمرو.

وأُم سويد، جارية عمرو بن عثمان المخزوميِّ[(٢)].

وشريفة، جارية زمعة بن الأَسود[(٣)].

وفرسة، جارية هشام بن ربيعة.

وفرنتا، جارية هلال بن أَنس[(٤)]، وغيرهن ممن كان لهن رايات تُعرَفُ منازلهنَّ بها[(٥)].

وكذلك كان بالمدينة إِماءُ عبد الله بن أُبيٍّ وغيره مشهورات.

وحكى الطبري عن ابن عباس أَنه قال في سياق هذا التأْويل: كانت بيوت في الجاهلية تُسمى المواخير، كانوا يؤجرون[(٦)] فيها فتياتهم، وكانت بيوتاً[(٧)] معلومةً للزنا، فحرَّم الله ذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ[(٨)].

---

(١) من المطبوع، وورد في الاستيعاب (٣/ ١٣٥٦) أن مالك هذا بدري، وهو خطأ، والصواب أنه الجد الأعلى لسويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة، انظر: الاستيعاب أيضاً (٢/ ٦٨٩).

(٢) وهو جد سعيد وعمرو ابني حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أسلما يوم الفتح، الاستيعاب (٢/ ٦١٣).

(٣) هو زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد مناف، والد عبد الله ويزيد، قتل يوم بدر كافراً، وهو أحد الأجواد المعروفين بزاد الركب، انظر: الاستيعاب (٣/ ٨٦٨).

(٤) في المطبوع: «ومرثنا»، وفي لالاليه: «بن يونس»، وهلال لم أعرفه، وفي أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٣٥٧) أن هلال بن عَبْد الله بن خطل الأدرمي، وَيُقَالُ هُوَ عَبْد الله بْن هلال، والأول قول الكلبي، له قينتان، هما فرتنا وأرنب، وهم ممن أهدر دمه يوم الفتح.

(٥) جاءت أسماؤهن في الطبري (١٩/ ٩٦ و٩٨) وفيها بعض الاختلاف عما هنا فليراجع.

(٦) في لالاليه: «يؤخرون»، وفي الإماراتية ونجيبويه: «يؤاجرون».

(٧) سقطت من المطبوع.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٩/ ٩٨)، وابن أبي حاتم (١٤١٢٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

ويحتمل أَن يكون هذا الكلام في التأْويل الذي ذكرته قبل هذا، وواحد المواخير: ماخورٌ، ومنه قول بعض المحدثين:

[البسيط] فِـي كُلِّ وَادٍ هَبَطْنَـا فِيـهِ دسَـكْرَة فِي كُلِّ نَشْزٍ صَعَدْنَا فِيهِ مَاخور[1]

والتأْويل الثالث: تأويلٌ ذَكَرَهُ الزجاج وغيره عن الحسن، وذلك أَنه قال: المرادُ: الزاني المحدود والزانية المحدودة، قال: وهذا حكم من الله تعالى، فلا يجوز لزانٍ محدُودٍ أَن يتزوج إِلَّا زانية[2] محدودة، ورُوي أَن محدوداً تزوج غير محدودة فردَّ علي ابن أَبي طالب نكاحهما[3].

وقوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ يريد الزِّنا، وحكى الزهراوي في هذا حديثاً من طريق أبي هريرة أَن رسول الله ﷺ قال: «لا ينكح الزاني المجلودُ إِلَّا مثله»، وهذا حديث لا يصح[4]، وقولٌ فيه نظر، وإِدخال المشرك في الآية يردُّه، وأَلفاظ الآية تأْباه، وإِن قُدرت المشركة بمعنى الكتابية فلا حيلة في لفظ المشرك.

والرابع: قولٌ[5] روي عن سعيد بن المسيب، وذلك أَنه قال: هذا حكمٌ كان في

---

(١) عزاه السري في المحب والمحبوب (٣/ ٢٥) والتيفاشي في سرور النفس (ص/ ٢٢١)، لأبي بكر الصنوبري.

(٢) من المطبوع.

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٢٧٣) من طريق ليث بن أبي سليم، عن ابن سابط، أن عليّاً، رضي الله عنه....فذكره. وليث بن أبي سليم، ضعيف الحديث، وابن سابط، هو عبد الرحمن، كثير الإرسال عن الصحابة، ولم يصرح بسماع.

(٤) منكر، أخرجه الإمام أحمد (١٤/ ٥٢) وأبو داود (٢٠٥٢) وابن عدي (٢/ ٤١٠) من طريق حبيب المعلم، عن عمرو بن شعيب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف؛ من أجل حبيب المعلم، وهو وإن كان مُختلفاً فيه، إلا أن لفظ الحديث فيه نكارة، وركاكة، ولذلك لما ترجم ابن عدي في كامله (٢/ ٤٠٩-٤١٠) لحبيب المعلم، استنكر عليه حديثه هذا.

(٥) في المطبوع: «قد».

الزُّناة عامة، أَلا يتزوج زانٍ إِلَّا زانية، ثم جاءت الرُّخصة ونُسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، ورُوي ترتيب هذا النسخ أيضاً عن مجاهد، إِلَّا أَنه قال: إِن التحريم إنما كان في أُولئك النفر خاصةً لا في الزُّناة عامة، ذكر ذلك عنهما أَبو عبيد في «ناسخه»، وذكر عن مجاهد أَنه قال: حُرِّمَ نكاحُ أُولئك البغايا على أولئك النفر[١].

قال القاضي أَبو محمد: وذكر الإِشراك في الآية يضعِّف هذه المناحي.

وقرأَ أَبو البَـرَهْسَم: (وحرَّم اللهُ ذلك على المؤمنين)[٢].

واختلف فيمن زنى بامرأَةٍ وأَراد نكاحها:

فأَجاز ذلك أَبو بكر الصديق، وابن عُمر، وجابر بن عبد الله، وطاوس، وابن المسيب، وجابر بن زيد، وعطاءٌ، والحسن، وعكرمة، وابن عباس، ومالك، والثوري، والشافعي[٣].

ومَنَعه ابن مسعود، والبراءُ بن عازب، وعائشة، وقالوا: لا يزالان زانِيَيْن ما اجتمعا[٤].

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

---

(١) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص: ١٠٠)، وفي المطبوع: «أبو عبيدة»، وانظر قول مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٩٩).

(٢) وهي شاذة تخالف المصحف، ولعل إدراج لفظ الجلالة هنا خطأ، فالذي في الشواذ للكرماني (ص: ٣٣٩) والبحر المحيط (٨/ ١٢) عنه: (وحرَّم) مبنياً للفاعل أي الله، وفي المطبوع والبحر المحيط: البرهثيم، وهو خطأ.

(٣) انظر قول مالك في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٦٩)، وقول الشافعي في الأم (٥/ ٢١)، والباقين في: الأوسط (١٢/ ٥١٢-٥١٣).

(٤) انظر قول ابن مسعود وعائشة والبراء في: الأوسط (١٢/ ٥١٤).

هذه الآية نزلت في القاذفين، قال سعيد بن جبير: كان سببها ما قيل في عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها، وقيل: بل نزلت بسبب القذف عامة لا في تلك النازلة[١].

وذكر الله تعالى في الآية قذف النساءِ من حيث هو أَهَمُّ، ورَمْيُهُنَّ بالفاحشة أَبْشَع وأَنكى للنفوس، وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى وإِجماعِ الأُمة على ذلك[٢]، وهذا نحو نصه تعالى على لحم الخنزير ودخول شحمه وغضاريفه ونحو ذلك بالمعنى والإِجماع[٣].

وحكى الزهراوي أَن في المعنى: الأَنْفُس المحصنات، فهي تعُمُّ بلفظِها الرجال والنساءَ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٤][٤].

والجمهور على فتح الصاد من ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾، وكسرها يحيى بن وثاب[٥].

و«المحْصنات»: العفائف في هذا الموضع؛ لأَن هذا هو الذي يجب به جَلْد القاذف[٦].

والعِفَّةُ أَعلى معاني الإِحصان، إذ في طيِّه الإسلام، وفي هذه النازلة الحرية، ومنه قول حسان: حَصَانٌ رَزَانٌ[٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١].

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ١٠٢)، والثاني قول الضحاك.

(٢) انظر الإجماع على ذلك في الإقناع (٤/ ١٨٤٣- ١٨٤٦).

(٣) انظر الإجماع على ذلك في الإقناع (٢/ ٩٨٥).

(٤) وانظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٢).

(٥) تابعه في تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٢)، وهذا إبعاد للنجعة فالقراءتان سبعيتان، والكسر للكسائي، كما تقدم في النساء.

(٦) انظر الاتفاق على اشتراط العفة في المقذوف في: بداية المجتهد (٢/ ٤٤٠-٤٤١)، والحاوي للماوردي (١٣/ ٢٥٥).

(٧) البيت بتمامه:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتُصْبِح غَرْثَى مِنْ لُحُوم الغَوَافِلِ

انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٦)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٤٣)، والعقد الفريد (٤/ ١٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٠٧)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢١٢٣).

وذكَرَ الله تعالى من صفات النساءِ العفةَ المنافية للرمي بالزنا، ولتخرج من ذلك من ثبت عليها الزنا وغير ذلك ممن لم يبلغ الوطءَ من النساء حسب الخلاف في ذلك.

وعبَّر عن القذف بالرَّمي من حيث معتادُ الرمي أنه مُؤْذٍ كالرمي بالحجر والسهم، فلما كان قول القاذف مؤذياً جُعِلَ رمياً، وهذا كما قال:

.... وَجُـرْحُ اللِّسَـانِ كَجُـرْحِ الْيَدِ[١] [المتقارب]

والقذف والرمي بمعنى واحد.

وشدَّد الله تعالى على القاذف بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ رحمةً / بعباده وستراً لهم. [٤/ ٩٠]

وقرأَ جمهور الناس: ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ على إِضافة الأَربعة إِلى الشهداء.

وقرأَ عبد الله بن مسلم بن يسار[٢]، وأَبو زُرْعَة بن جرير: (بأربعةٍ) بالتنوين[٣].

وشهداء على هذا: إِمَّا بدلٌ، وإِما صفة للأَربعة، وإِمَّا حالٌ، وإِمَّا تمييز، وفي هذين نظرٌ؛ إِذ الحال من نكرة والتمييز مجموع، وسيبويه يرى أَن تنوين العدد وترك إِضافته إِنما يجوز في الشِّعر، وقد حسَّن أَبو الفتح هذه القراءَة ورجَّحها على قراءَة الجمهور.

وحكم شهادة الأَربعة: أَن تكون على معاينة مبالغة كالمِرْوَدِ والمُكْحُلَة في موطن واحد[٤]، فإِن اضطرب منهم واحد جُلد الثلاثة والقاذف[٥]، كما فعل عمر بن الخطاب

---

(١) صدره: ولَوْ عن نَثَا غَيْرِهِ جاءَني، قاله امرؤ القيس كما في البيان والتبيين (١/ ٩٦)، والصناعتين الكتابة والشعر (ص/ ٣٩٣)، والعقد الفريد (٢/ ٢٦٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٧٦)، وعزاه في (١٢/ ١٧٢) للنابغة، وقال البكري في سمط اللآلي (١/ ١٥٣) اختلف فيه فرواه الطوسيّ لامرئ القيس، وقال ابن حبيب: قال ابن الكلبي: هو لعمرو بن معدي كرب.

(٢) لم أجد له ترجمة كافية، وتقدم ذكر والده، وذكر ابنه عبد الأعلى في سورة النساء.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٠٠)، وفي لالاليه: «ابن مسعود». وفي نور العثمانية: «بن أبي مسلم»، وفي العلمية: «وأبو زرعة وابن جريج».

(٤) وهذا بإجماع من العلماء، كما في الإقناع (٤/ ١٨٧٧-١٨٧٨).

(٥) انظر ذلك في المدونة (٤/ ٤٨٢)، والأم (٦/ ١٨٨)، والمبسوط للسرخسي (٩/ ٧٤).

رضي الله عنه في أَمْر المغيرة بن شعبة، وذلك أَنه شهد عليه بالزِّنى أَبو بكرة نُفَيْع بن الحارث، وأَخوه نافع[١]، ـ وقال الزهراوي: عبد الله بن الحارث[٢] ـ وزياد أَخوهما لأُمٍّ ـ وهو مستلحق معاوية ـ وشبل بن معبد البجلي[٣]، فلما جاؤوا لِأَداءِ الشهادة توقف زيادٌ ولم يؤدِّها كاملةً، فَجَلَد عمر رضي الله عنه الثلاثة المذكورين[٤].

و«الجَلْدُ»: الضربُ، والمجالدة[٥]: المضاربة في الجلود أَو بالجلود، ثم استعير الجلد لغير ذلك من سيف وغيره، ومنه قول قيس بن الخطيم:

[الطويل] أُجَالِدُهُـمْ يَـوْمَ الْحَدِيقَـةِ حَاسِـراً كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقُ لَاعِبِ[٦]

ونصب ﴿ثَمَٰنِينَ﴾ على المصدر، و﴿جَلۡدَةٗ﴾ على التمييز.

ثم أَمر الله تعالى أَلَّا نقبل للقَذَفَة المحدودين شهادةً أَبداً، وهذا يقتضي مدةَ أَعمارهم، ثم حكم عليهم بأَنهم فاسقون، أَي خارجون عن طاعة الله عزَّ وجلَّ.

ثمَّ استثنى عزَّ وجلَّ من تاب وأَصلح من بعد القذف، فإِنه وعدهم بالرحمة

---

(١) هو نافع بن الحارث بن كلدة الثَّقفيُّ، أخو أبي بكرة لأمِّه، كان ممن نزل إلى رسول الله ﷺ من الطَّائف، وأمه: سميَّة مولاة الحارث، ادّعاه الحارث واعترف أنه ولده فثبت نسبه منه، وهو أول من اقتنى الخيل بالبصرة، وهو أحد الشهود على المغيرة، الإصابة (٦/ ٣١٩).

(٢) هو نافع المتقدم، ولم أقف على كلام الزهراوي، ولم أجد هذه التسمية لغيره، وزياد تقدمت ترجمته في مقدمات الكتاب.

(٣) في المطبوع: «الجبلي»، وهو شبل بن معبد بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن علي بن أسلم بن أحمس البجلي الأحمسي، يقال: له صحبة، وأمه سميّة والدة أبي بكرة وزياد، وشهد معهم على المغيرة، ثم رجع عن شهادته، انظر القسم الثالث من الإصابة (٣/ ٣٠٣).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٢١٥) عن معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن عمر رضي الله عنه، به، وهو منقطع بين ابن المسيب، وعمر، على الراجح، انظر: جامع التحصيل (٢٤٤).

(٥) في أحمد٣ ونجيبويه والمطبوع ولالاليه ونور العثمانية: «المجادلة».

(٦) انظر عزوه له في العقد الفريد (١/ ١٣٣)، والأغاني (٣/ ٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٩٤) ضمن المذهبات.

والمغفرة، فتضمنت الآية ثلاثة أَحكام في القاذف: جَلْدُه، وردُّ شهادته أَبداً، وفسقه.

فالاستثناءُ غير عامل في جَلْده بإِجماع، وعامل في فسقه بإِجماع[1].

واختلف الناس في عمله في رَدِّ[2] الشهادة:

فقال شريح القاضي، وإِبراهيم النَّخَعي، والحسن، والثوري، وأَبو حنيفة: لا يعمل الاستثناءُ في ردِّ شهادته، وإِنما يزول فسقه عند الله تعالى، وأَما شهادة القاذف فلا تقبل البتَّة ولو تاب وأَكذب نفسه ولا بحالٍ من الأَحوال[3].

وقال جمهور الناس: الاستثناءُ عامل في ردِّ الشهادة، فإِذا تاب القاذف قُبِلَتْ شهادته، ثم اختلفوا في صورة توبته:

فمذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والشعبي وغيره أَن توبته لا تكون إِلَّا بأَن يكذب نفسه في ذلك القذف الذي حُدَّ فيه[4]، وهكذا فعل شبل بن معبد، ونافع، تابا عن القول في المغيرة، وأَكذبا أَنفسهما فقبل عمر رضي الله عنه شهادتهما، وأَبى أَبو بكرة نُفَيْع من إِكذاب نفسه فردَّ عمر رضي الله عنه شهادته حتى مات[5].

وقالت فرقة منها مالك رحمه الله، وغيره: توبتُه أَن يَصْلُح وتَحْسُن حاله وإِن لم يرجع عن قوله بتكذيب[6].

واختلف فقهاءُ المالكيين، متى تسقط شهادة القاذف؟:

---

(١) انظر الإجماع على جلد القاذف وعلى قبول توبة القاذف في: الإقناع (٤/ ١٨٤٣، ١٨٥٤).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) انظر قول أبي حنيفة في: المبسوط للسرخسي (١٦/ ١٢٥-١٢٦)، وانظر قول الباقين في: الاستذكار (٧/ ١٠٨).

(٤) وهو قول سعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والزهري والشافعي، انظر: الاستذكار (٧/ ١٠٧-١٠٨).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٢١٥) عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن عمر رضي الله عنه، به، وسبق الكلام على مثله قريباً.

(٦) انظر قول مالك في: الاستذكار (٧/ ١٠٧).

فقال ابن الماجشون: بنفس قذفه، وقال ابن القاسم(١)، وأَشهب، وسُحنون: لا تسقط حتى يُجلد، فإِن مَنَعَ من جَلْده مانع ـ عفوٌ أَو غيره ـ لم تُـرَدَّ شهادته(٢)، قال الشيخ أَبو الحسن اللخمي: شهادته في مدة الأَجل في الإِثبات موقوفة، ورجَّح القول بأَن التوبة إِنما تكون(٣) بالتكذيب في القذف، وإِلاَّ فأَيُّ رجوع لعدل إِنْ قَذف وحُدَّ وبقي على عدالته(٤).

و﴿تَابُوا۟﴾ معناه: رجعوا، وهذا ترجيح، وقد رجَّح الطبريُّ وغيره قول مالك(٥).

واخْتُلف أيضاً ـ على القول بجواز شهادته بعد التوبة ـ في أَي شيءٍ تجوز شهادته؟:

فقال مالك رحمه الله: تجوز في كل شيءٍ بإِطلاق، وكذلك كلُّ من حُدَّ في شيءٍ من الأَشياءِ، وقال سُحْنون رحمه الله: من حُدَّ في شيءٍ من الأَشياءِ فلا تجوز شهادته في مثل ما حُدَّ فيه، وقال مطرِّف، وابن الماجشون: من حُدَّ في قذف أَو زِنا فلا تجوز شهادته في شيءٍ من وجوه الزنا، ولا في قَذْفٍ ولا في لِعَانٍ وإِن كان عدلاً(٦)، رويا هذا القول عن مالك(٧)، واتفقوا ـ فيما أَحفظه ـ على ولد الزنا أَن شهادته لا تجوز في الزِّنا(٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

---

(١) في المطبوع: «أبو القاسم».

(٢) انظر قول ابن الماجشون وابن القاسم وأشهب في: الاستذكار (٧/ ١٠٩)، وسحنون في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٩).

(٣) في المطبوع: «إما أن تكون».

(٤) انظر قول اللخمي في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٩).

(٥) انظر ترجيح الطبري لقول مالك في تفسيره (١٩/ ١٠٨).

(٦) انظر قول مالك وقول سحنون ومطرف وابن الماجشون في: الاستذكار (٧/ ١٠٦).

(٧) انظر رواية مطرف وابن الماجشون لهذا القول عن مالك في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٠).

(٨) انظر نقل الاتفاق في مذهب مالك على رد شهادة ولد الزنا في: مواهب الجليل (٨/ ١٧٩).

لما نزلت الآية المتقدمة في الذين يرمون المحصنات تناول ظاهرُها الأَزواجَ وغيرَهُن، فقال سعد بن عُبادة: يا رسول الله، إِنْ وجدت مع امرأَتي رجلاً أُمهله حتى آتي بأَربعة؟ والله لأَضربنَّه بالسيف غير مُصْفح، فقال رسول الله ﷺ: «أَتعجبون من غيرة سعد؟ لأَنا أَغير منه والله أَغير مني»[1]، وفي أَلفاظ سعد روايات مختلفة، وهذا نحو معناها.

ثم جاءَ بعد ذلك هلال بن أُمَيَّة الواقفي فرمى زوجته بشَريك بن السَّحْمَاءِ البَلَوي[2]، فعزم رسول الله ﷺ على ضربه حدَّ القذف فنزلت هذه الآية عند ذلك، فجمعهما رسول الله ﷺ في المسجد، وتلاعنا فتلكَّأَت المرأَة عند الخامسة لما وُعِظَتْ وقيل: إِنها مُوجبة، ثم قالت: لا أَفضح قومي سائر اليوم ولجَّت، وفرق رسول الله ﷺ بينهما[3]، وولدت غلاماً كأَنه جمل أَورق[4]، ثم كان ـ بعد ذلك ـ الغلامُ أَميراً بمصر وهو لا يعرف لنفسه أَباً[5].

ثم جاءَه أيضاً عُوَيْمر العَجْلاني[6] فرمى امرأَته ولاَعَنَ[7].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٥٤) ومسلم (١٤٩٩) من حديث سعد بن عبادة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) هو شريك ابن سحماء، وهي أمه، واسم أبيه، عبدة بن مغيث بن الجدّ بن العجلان البلويّ حليف الأنصار، ويقال: إنه شهد مع أبيه أحداً، وأنه أحد الأمراء بالشّام في خلافة أبي بكر، وبعثه عمر رسولاً إلى عمرو بن العاص، الإصابة (٣/ ٢٧٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٧٠) من حديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً به، ومسلم (١٤٩٦) مختصراً، من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) الأَوْرَقُ من الإبل: ما في لونه بياض إِلى سواد.

(٥) تفسير الثعلبي (٧/ ٧٠).

(٦) هو عويمر ابن أبي أبيض العجلاني، وقال الطبراني: هو عويمر بن الحارث بن زيد بن جابر بن الجدّ ابن العجلان، وأبيض لقب لأحد آبائه، وهو الذي قذف زوجته في عهد رسول الله ﷺ، انظر: الإصابة (٤/ ٦٢٠).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٦٨) ومسلم (١٤٩٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، مرفوعاً، به.

[٤/ ٩١] والمشهور أَن نازلة هلال قَبْلُ، وأَنها سبب الآية، وقيل: نازلة عُوَيْمر قَبْلُ/ ، وهو الذي وسَّط إِلى رسول الله ﷺ عاصم بن عدي[١].

و«الأَزْوَاجُ» في هذا الحُكْم يعُمُّ المسلمات والكافرات والإِماءَ، فكلهنَّ يلاعنهنَّ الزوج للانتفاءِ من الحمل[٢]، وتختصُّ الحرَّة برفع حدِّ القذف عن نفسه.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾ بالنصب، وهو كانتصاب المصدر، والعامل في ذلك قوله: ﴿فَشَهَٰدَةُ﴾، ورفع «الشهادة» على خبر ابتداءٍ تقديره: فالحُكْمُ أَو فالواجبُ، أَو على الابتداءِ بتقدير: فَعَلَيْهِم أَن يشهدوا، أَو بتقدير حذف الخبر، وتقديره في آخر الآية: كافيةٌ أَو واجبةٌ.

وقوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾ من صلة ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾، ويجوز أَن يكون من صلة ﴿فَشَهَٰدَةُ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿أَرْبَعُ﴾ بالرفع[٣]، وذلك على خبر قوله: ﴿فَشَهَٰدَةُ﴾، قال أَبو حاتم: لا وجه للرفع لأَن الشهادة[٤] ليست بأَربع.

و﴿بِٱللَّهِ﴾ ـ على هذه القراءَة ـ من صلة ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾، ولا يجوز أَن يكون من صلة (شهادة) لأَنك كنت تفصل بين الصلة والموصول بالخبر الذي هو ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في قول من نصب ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾ يجوز أَن يكون من صلة (شهادةُ)، وهي جملة في موضع نصب؛ لأَن الشهادة أَوقعتها موقع المفعول به.

ومن رفع ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾[٥] فقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ من صلة ﴿شَهَٰدَٰتٍ﴾ لعلة الفصل المتقدمة في قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ٧٠).

(٢) ممن قال بهذا مالك في: المدونة (٢/ ٣٥٣)، والشافعي في: الأم (٥/ ٤١٠-٤١١)، وأحمد في: مسائل أحمد وإسحاق رواية الكوسج (١٠٢٤، ١٣٥٨)، وهو قول إسحاق وأبي عبيد وأبي ثور والليث وربيعة، كما في: الأوسط (٩/ ٤٧٧-٤٧٨).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦١)، السبعة (ص: ٤٥٢).

(٤) في الأصل: «لأن الشهادات ليس»، وقول أبي حاتم لا وجه له.

(٥) في الأصل هنا زيادة: «الثانية، وقرأها بالنصب».

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ﴾ بالنصب في الثانية.

وقرأها بالنصب فيهما طلحةُ بن مصرف، وأَبو عبد الرحمن، والحسن، والأَعمش.

وقرأ الجمهور فيهما: ﴿والخامسةُ﴾ بالرفع[1].

فأَمَّا من نَصَب: فإِنْ كانَ في قراءته نصب قوله تعالى: ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾ فإِنه عطف ﴿الْخَامِسَةَ﴾ على ذلك لأَنها من الشهادات.

وإِن كان يقرأُ: ﴿أربعُ﴾ بالرفع فإِنه جعل نَصْب قوله: ﴿وَالْخَامِسَةَ﴾ على فعل يدل عليه متقدم، والكلام تقديره: وتشهد الخامسة.

وأَما من رفع قوله: ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾: فإِن كان يقرأُ: ﴿أَرْبَعُ﴾ بالرفع فقوله: ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾ عطف على ذلك.

وإِن كان يقرأُ ﴿أَرْبَعَ﴾ بالنصب فإِنه حمل قوله: ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾ على المعنى؛ لأَن معنى قوله: (شهادة أحدهم): عليهم أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ والْخَامِسَةُ، واستشهد أَبو عليٍّ لهذا بحمل الشاعر:

وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَادُ.......... .... [الكامل]

البيت، على قوله:

.... إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ[2] [الكامل]

لأَن المعنى: ثَمَّ رَوَاكِدُ.

---

(١) ثلاث قراءات: الأولى والثالثة سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦١)، والسبعة (ص: ٤٥٢)، والثانية شاذة، انظر عزوها لطلحة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٠)، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ١٧).

(٢) والبيتان بتمامها:

بادَتْ وغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ الْبِلَىٰ إِلَّا رواكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ
ومُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَاءُ قَذَالِهِ فَبَدَا وغَيَّرَ سَارَهُ المَعْزَاءُ

عزاهما في أساس البلاغة (٢/ ٢٢٠) للشماخ، وهما في ملحقات ديوانه (ص: ٤٢٧)، وفي ملحقات ديوان ذي الرمة (٣/ ١٨٤٠)، واستشهد بهما في الكتاب لسيبويه (١/ ١٧٤)، والجمل في النحو (ص: ١٦٨)، بلا نسبة، وسَارَهُ: سائره، لغةٌ فيها.

ولا خلاف في السَّبْعِ في رفع قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ في الأُولى، وإِنما خلاف السَّبع في الثانية فقط، فنصبُه حَمْلٌ على قوله: ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ﴾، ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ على القطع والحملِ على المعنى.

وقرأ نافع: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ﴾، و﴿أَنْ غَضِبَ﴾.

وقرأ الأَعرج، والحسن، وقتادة، وأَبو رجاءٍ، وعيسى: (أَنْ لَعْنَةُ)، و﴿أَنْ غَضَبُ اللهِ﴾.

وهذا على إِضمار الأمر، وهي المخففة كما هي في قول الشاعر:

[البسيط] فِـي فِـتْـيَـةٍ كَـسُـيُـوفِ الْهِنْدِ ....الـبـيـت[1]

وقرأ باقي السبعة: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ﴾ و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾ بتشديد النون فيهما ونصب اللعنة والغضب[2]، ورجَّح الأخفش القراءَة بتثقيل النون؛ لأن الخفيفة إِنما يراد بها التثقيل ويضمر معها الأَمر والشأْن، وما لا يُحتاج معه إِلى إِضمارٍ أَولى[3].

قال القاضي أَبو محمد: لا سيما وأَن الخفيفة ـ على قراءة نافع ـ في قوله: ﴿أَنْ غَضِبَ﴾ قد وَلِيَهَا الفِعْل.

قال أَبو علي: وأَهل العربية جملةً[4] يستقبحون أَن يليها الفعل، إِلا أَن يفصل بينها وبينه شيءٌ، نحو قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ [طه: ٨٩].

---

(١) البيت للأعشى، وهو في الديوان، من قصيدته: وَدِّعْ هُرَيْرَةَ كما تقدم.

(٢) ثلاث قراءات: الأولى والثالثة سبعيتان، والثانية عشرية، ليعقوب، انظر: النشر (٢/ ٣٣٠)، والتيسير (ص: ١٦١)، وانظر العزو للباقين في المحتسب (٢/ ١٠٢)، إلا أن ما عزاه ليعقوب غير معروف عنه.

(٣) انظر كلامه على آية الأعراف في معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٢٦)، وانظر الحجة لأبي علي (٥/ ٣١٥).

(٤) «جملة» من لالاليه.

وأَما قوله: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] فذلك لقلة تمكن «ليس» في الأَفعال.

وأَما قوله تعالى: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٨] فـ﴿بُورِكَ ﴾ على معنى الدعاء، فلم يجز دخول الفاصل لئلا يفسد المعنى[١].

والْعَذَابُ الْمُدْرَأُ في قول جمهور العلماءِ: الحدُّ، وحكى الطبري عن آخرين أَنه الحبس، وهو قول أَصحاب الرأْي، وأَنه لا حدَّ عليها إِن لم تُلاعن، وليس يوجبه عليها قولُ الزوج[٢].

وظاهر حديث الموقفة في الخامسة حين تلكأَت ثم مرت في لعانها: أَنها كانت تحدُّ[٣]؛ لقول النبي ﷺ لها: «فعذاب الدنيا أَيسر من عذاب الآخرة»[٤].

وجُعلت اللعنةُ للرجل الكاذب؛ لأَنه مُفْتر مباهت بالقول فأُبعد باللَّعنة، وجُعل الغضب ـ الذي هو أَشَدُّ ـ على المرأَة التي باشرت المعصية بالفعل ثم كذبت وباهتت بالقول، فهذا معنى هذه الأَلفاظ، والله أَعلم.

ولا بُدَّ أَن نذكر في تفسير هذه الآية ما يتعلق بها من مسائل اللِّعان؛ إِذ لا يستغنى عنها في معرفة حكمه وحيث يجب:

وأَجمع مالك وأَصحابه على وجوب اللعان بادعاءِ رؤْية زنا لا وطءَ من الزوج بعده، وكذلك مشهور المذهب، وقول مالك أَنَّ اللِّعان؛ يجب بنفي حَمْل يدعي قبله استبراء[٥].

---

(١) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٣١٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١١٤)، وانظر قول أصحاب الرأي في: المبسوط للسرخسي (٧/ ٤٣)، والقول الأول في تفسير الماوردي (٤/ ٧٧)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٦٨)، وفي المطبوع: «في قول العلماء».

(٣) ضبطت في المطبوع: «تحدٍّ»، ولعله خطأ.

(٤) أخرجه مسلم (١٤٩٣) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «أهون».

(٥) انظر مذهب مالك في: المدونة (٢/ ٣٥٤، ٣٥٧)، وقول أصحابه في: الكافي (٢/ ٦١٠).

وحكى اللَّخْمي عن مالك أَنه قال مرة: لا يُنفى الولد بالاستبراءِ؛ لأَن الحيض يأْتي على الحَمْل، وقاله أَشهب في كتاب ابن المواز، وقاله المغيرة، وقال: لا يُنْفَى الولد إِلَّا بخمس سنين[١].

واختلف المذهب في أَن يقذف الرجل أَو ينفي حملاً ولا يُعَلِّل ذلك لا برؤْيَة ولا باستبراء: فَجُلُّ رُواة مالك على أَن ذلك لا يوجب لعاناً؛ بل يُحَدُّ الزوج، وقاله ابن القاسم، ورُوي عنه أيضاً أَنه قال: يلاعن ولا يُسأَل عن شيءٍ[٢].

واختُلف ـ بعد القول باللعان بالاستبراء ـ في قدر الاستبراء، فقال مالك، والمغيرة في أَحد قوليه: يجزي في ذلك حَيْضَةٌ، وقال أيضاً مالك: لا ينفيه[٣] إِلا ثلاث حِيَض[٤].

وأَما موضع اللعان: ففي المسجد وعند الحاكم، والمستحب أَن يكون في المسجد بحضرة الحاكم، وكذلك يستحب بعد العصر تغليظاً بالوقت، وكلُّ وقت مُجْزٍ[٥].

ومن قذف امرأته وهي كبيرة لا تحمل تلاعنا، هو لدفع[٦] الحد، وهي لدرء العذاب، وإن كانت صغيرة لا تحمل لاعن هو لدفع الحد، ولم تلاعن هي؛ لأنها لو أقرت لم يلزمها شيء، وقال ابن الماجشون: لا حدَّ على قاذف من لم يبلغ، قال اللَّخميُّ: فَعَلَى هذا لا لعان على زوج الصغيرة التي لا تحمل[٧].

والمستحب من أَلفاظ اللعان أَن يمشي مع ترتيب القرآن ولفظه، فيقول الزوج:

---

(١) انظر ما حكاه اللخمي عن مالك وقول أشهب وقول المغيرة في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٦).

(٢) انظر ما نسبه لجل رواة مالك والقولين المرويين عن ابن القاسم في: المدونة (٢/ ٣٦٠).

(٣) في الأصل: «ينفعه».

(٤) انظر قولي مالك وقول المغيرة في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٥-١٨٦).

(٥) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١٣٥٧).

(٦) في المطبوع والإماراتية: «لرفع» في الموضعين.

(٧) انظر هذه الأقوال في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٨٩).

أَشهد بالله لرأَيت هذه المرأَة تزني، وإِنِّي / في ذلك لمن الصادقين، ثم يقول في الخامسة: [٤/ ٩٢] لعنةُ الله عليَّ إِن كنت من الكاذبين[١].

وقال أَصبغ: لا بُدَّ أَن يقول: كالمِرْود في المُكْحَلة، وقيل: لا يلزمه ذلك، وكذلك يقول أَشهب: لا بُدَّ أَن يقول: بالله الذي لا إله إِلَّا هو[٢].

وأَما في لعان نفي الحمل فقيل: يقول الرجل: ما هذا الولد منِّي ولَـزَنت[٣].

وقال ابن القاسم في الموازية: لا يقول: وَزَنَت من حيث يمكن أَن تغصب[٤].

[وتقول المرأة: أشهد بالله ما زنيت وإنه في ذلك لمن الكاذبين][٥]، ثم تقول [في الخامسة][٦]: غَضَبُ الله عليَّ إِن كان من الصادقين، فإِن منع جهلهما من ترتيب هذه الأَلفاظ وأَتيا بما في معناها أَجزأَ ذلك.

وحكى اللَّخمي عن محمد بن أَبي صفرة[٧] أَنه قال: اللعان لا يرفع العصمة لقول عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إِنْ أَمسكتها، قال: «فأَحْدِثْ طلاقاً»[٨].

ومشهور المذهب: أَن نفس تمام اللعان بينهما فرقة، ولا يحتاج معها إِلى تفريق حاكم[٩]،

---

(١) انظر ذلك في: النوادر (٥/ ٣٣٢)، والاستذكار (٦/ ٩٢)، والذخيرة للقرافي (٤/ ٣٠٦).

(٢) انظر قول أصبغ في: النوادر (٥/ ٣٣٢)، وقول أشهب في: البيان والتحصيل (٦/ ٤٢١).

(٣) انظر ذلك في النوادر (٥/ ٣٣١).

(٤) الذخيرة للقرافي (٤/ ٣٠٦)، وفي الأصل والمطبوع والحمزوية: «تغضب»، وهو تصحيف. وفي لالاليه: «يغضب».

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) زيادة من أحمد٣.

(٧) لعله محمد بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة، هو أخو المهلب بن أبي صفرة، سمع من الأصيلي وكان من كبار أصحابه، وله شرح في اختصار ملخص القابسي، وسمع من أخيه المهلب، توفي قبل ٤٢٠هـ، انظر: الديباج المذهب (ص: ٢٦٧).

(٨) انظر ما حكاه اللخمي عن ابن أبي صفرة في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٩٤).

(٩) انظر مذهب مالك في: الاستذكار (٦/ ٩٩).

وابن أَبي صفرة هذا ليس بعدد[١] يُزاحم به الجمهور.

ومذهب الشافعي: أَن الفرقة حاصلة إِثر لعان الزوج وحده[٢].

وقال أَبو حنيفة وأَصحابه: لا تفريق إِلا بحكم السلطان بعد لعانهما، فإِن مات أحدهما بعد تمام لعانهما وقبل حكم القاضي ورثه الآخر[٣].

ومذهب «المدونة»: أَن اللعان حكم تفريقه حكم الطلاق، ويعطى لغير المدخول بها نصف الصداق[٤]، وفي «مختصر ابن الجلاب»: لا شيء لها، وهذا على أَن تفريق اللعان فسخٌ[٥].

وقال ابن القصار: تفريق اللعان عندنا فسخ[٦].

وتحريم اللعان أَبديٌّ بإِجماع فيما أَحفظ من مذهب مالك رحمه الله[٧]، ومن فقهاءِ الكوفة وغيرهم من لا يراه متأَبّداً[٨].

[وإِن أَكذب نفسه بعد اللعان لم ينتفع بذلك، وروي عن عبد العزيز بن أبي سلمة أَنه][٩] إِن أَكذب نفسه بعد اللعان كان خاطباً[١٠] من الخطاب.

---

(١) المثبت من: نجيبويه والمطبوع، وفي الأصل ولالاليه ونور العثمانية والإماراتية: «بعود»، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: ليس بعود، وفي العلمية: بعيد، المراد هنا أنه فردٌ وليس بذي منزلة كبيرة يكون له معها رأيٌ يقابل رأي الجمهور.

(٢) انظر مذهب الشافعي في: الأم (٥/ ٤١٧).

(٣) انظر قول أبي حنيفة وأصحابه في: المبسوط (٧/ ٤٦).

(٤) انظر: المدونة (٢/ ٣٦٣).

(٥) انظر: التفريع لابن الجلاب (٢/ ١٠٠).

(٦) انظر قول ابن القصار في: تفسير القرطبي (١٢/ ١٩٥)، ولفظه فيه: قال ابن القصار: تفريق اللعان عندنا ليس بفسخ.

(٧) انظر في ذلك: تفسير القرطبي (١٢/ ١٩٣).

(٨) المبسوط للسرخسي (٧/ ٤٧)، وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير كما في الأوسط (٩/ ٤٩١).

(٩) ما بين معقوفين ساقط من الأصل ونور العثمانية، وانظر تفسير القرطبي (١٢/ ١٩٤).

(١٠) في الأصل: «خطابا»، والتصحيح من: نجيبويه، وأحمد٣.

وإن تقدمت المرأة في اللعان فقال ابن القاسم: لا تعيد، وقال أَشهب: تعيد[١].

والجواب في قوله: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ الآية محذوفٌ، تقديره: لَكَشَفَ الزناة بأَيسر من هذا، أَو لأَخذهم بعذاب من عنده، ونحو هذا من المعاني التي أَوجب تقديرها إِبهامُ الجواب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾.

هذه الآية وما بعدها إِلى ست عشرة آية أُنزلت في عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وما اتصل بذلك من أَمر الإِفك، وفي البخاري في غزوة بني المصطلق عن عائشة قالت: «وأَنزل الله العشر الآيات، ثم أَنزل الله ما قرئ[٢] في براءتي[٣]»، فكأَنها عدت ما يختص بها.

و«الإِفْكُ»: الزُّور والكذب، والأَفَّاكُ: الكذَّابُ، والإِفك: قلب الحقيقة عن حالها بالأَقوال وصرفها عن جهة الصواب، وبذلك شُبِّهَ بالكذب.

واختصار حديث الإِفك أَن رسول الله ﷺ خرج بعائشة في غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع، قال ابن إِسحاق: وكانت سنة ستٍّ، وقال ابن عقبة[٤]: كانت سنة أَربع[٥].

---

(١) انظر قول ابن القاسم وقول أشهب في: البيان والتحصيل (٦/ ٤٢١).

(٢) في المطبوع: «هذا».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٦١) (٤١٤١) (٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة.

(٤) هو موسى بن عقبة بن أبي عياش المدني مولى آل الزبير بن العوام، أدرك سهل بن سعد وحدث عن أم خالد بنت خالد وعن عروة وكريب وأبي سلمة والأعرج، وعنه ابن جريج ومالك، وكان من العلماء الثقات، فقيهاً مفتياً، ت ١٤١هـ، تاريخ الإسلام ٩/ ٢٩٩).

(٥) انظر قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٩)، وقول موسى بن عقبة في دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٤٥).

فضاع لها هناك عقد، فلما انصرفت إِلى الرحل شعرت بضياعه فرجعت تطلبه، وسار الناسُ حينئذ، فوجدته وانصرفت فلم تجد أَحداً، وكانت شابةً قليلةَ اللحمِ رفعَ الرجالُ هودجَها ولم يشعروا بزوالها منه، فلمَّا لم تجد أَحداً اضطجعت في مكانها رجاءَ أَن تُفتقد فيُرجع إِليها، فنامت في الموضع ولم يوقظها إِلَّا قول صفوان بن المعطل: إِنَّا لله وإِنا إِليه راجعون، وذلك أَنه تخلف وراءَ الجيش لحفظ الساقة، وقيل: اتفاقاً.

فلما مرَّ بسوادها قرب منها فعرفها فاسترجع، وقال: ظعينة رسول الله ﷺ خُلِّفت هاهنا؟ ونزل عن ناقته وتنحَّى عنها حتى ركبت عائشة، وأَخذ يقودها حتى بلغ بها الجيش في نحْر الظهيرة، فوقع أَهل الإِفك في مقالتهم، وكان الذي يُجتمع إِليه فيه ويَسْتَوْشِيهِ[١] ويُشْعله عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول المنافق.

وكان من أهل[٢] قالَتِه حسان بن ثابت، ومسْطَح بن أُثاثة، وحَمْنَةُ بنت جحش، هذا اختصار الحديث، وهو بكماله وإِتقانه في البخاري ومسلم، وهو في مسلم أَكمل[٣].

وكان صفوان صاحب ساقة رسول الله ﷺ في غزواته لشجاعته، وكان من خيار الصحابة، قال لمَّا سمع ما قال الناسُ فيه: «سبحان الله، والله ما كشفت كَنف أنثى قط»[٤]، أَراد: بِـزِناً، ويدل على ذلك حديثه المروي مع امرأَته، وقول النبي ﷺ في ابْنَتَيْه[٥]: «لَهُمَا أَشْبه به من الغراب بالغراب»[٦]، وقيل: كان حَصُوراً لا يأْتي النساءَ، ذكره ابن إِسحاق

---

(١) من الوشاية، يعني: يستخرجه بالبحث والسؤال عنه ثم يُفشيه ويشيعه وينشره في الناس.

(٢) من المطبوع.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٦١) (٤١٤١) (٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٤١) (٤٧٥٦) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة، رضي الله عنها، به.

(٥) في الإماراتية: «ابنيه»، قال القرطبي (١٢/ ١٩٩): وكان له ابنان.

(٦) إنما جاء في عبد الرحمن بن الزبير القرظي، وامرأته، أخرجه البخاري (٥٨٢٥) من حديث عائشة، رضي الله عنها.

من طريق عائشة[١]، وقُتل شهيداً رضي الله عنه في غزوة أَرمينية سنة تسع عشرة في زمن عمر، وقيل: في بلاد الروم سنة ثمان وخمسين في زمن معاوية[٢].

وقوله: ﴿عُصۡبَةٌ﴾ رفع على البدل من الضمير في ﴿جَآءُو﴾، وخبر ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ﴾، والتقدير: إِنَّ فِعْلَ الذين، وهذا أَنسق في المعنى وأَكثر فائدة من أَن تكون ﴿عُصۡبَةٌ﴾ خبر إِنَّ، و«العُصْبَةُ»: الجماعة من العشرة إِلى الأَربعين، قاله يعقوب وغيره[٣]، ولا يقال عُصبة لَأقل من عشرة.

ولم يُسمَّ من أَهل الإِفك إِلَّا حسان، ومِسْطَح، وحَمْنَة، وعبد الله، وجُهل الغير، قاله عروة بن الزبير وقد سأَله عن ذلك عبد الملك بن مروان، وقال: إِلَّا أَنهم كانوا عصبةً كما قال الله تعالى[٤].

وقوله: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ﴾ خطاب لكلِّ من ساءَه من المؤمنين، وقوله: ﴿بَلۡ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ يريد أَنه تَبْرِئَةٌ في الدنيا، وترفيعٌ من الله تعالى في أَن نَزلَ وحيه بالبراءَة من ذلك، وأَجرٌ جزيل في الآخرة، وموعظةٌ للمؤمنين في غابر الزمن، ونقمةٌ من المفترين في الدنيا والآخرة ففي ذلك شفاءٌ وخير، وهذه خمسة وجوه.

والضمير في قوله: ﴿مِّنۡهُم﴾ عائد على العصبة المذكورة، و﴿ٱكۡتَسَبَ﴾ مستعملة في المآثم ونحوها؛ لأَنها تدل على اعتمالٍ وقصد فهو أَبلغ في التذنيب[٥]، وكَسَبَ مستعملٌ في الخير، وذلك أَن حصوله مُغْنٍ عن الدلالة على اعتمالٍ فيه، وقد تستعمل كَسَبَ في الوجهين، ومِثْلُهُ / : [٤/ ٩٣]

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٤).
(٢) انظر: الاستيعاب (١/ ٢١٨).
(٣) لم أجده في كتابي ابن السكيت، ومثله في العين (١/ ٣٠٩)، والغريب المصنف لأبي عبيد (١/ ٣٨١).
(٤) تفسير الطبري (١٩/ ١١٦).
(٥) في المطبوع والإماراتية: «الترتيب».

[الكامل] .... فَحَمَلْـتُ بَـرَّةَ وَاحْتَمَلْـتَ فَجَارِ[١]

والإِشارة بقوله: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ إلى عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول، والعذابُ المتوعَّد به هو عذاب الآخرة، وهذا قول الجمهور، وهو ظاهر الحديث، ورُوي عن عائشة رضي الله عنها أَن حسَّان بن ثابت دخل عليها يوماً وقد عَمِيَ فأَنشدها مدحَه فيها:

[الطويل] حَـصَـانٌ رَزَانٌ مَـا تُـزَنُّ بِـرِيْـبَـةٍ وَتُصْبِـحُ غَرْثَى مِنْ لُحُوم الغَوَافِلِ[٢]

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك، تريد أنه وقع في الغوافل[٣] فأنشد:

[الطويل] فـإن كان مـا قـد قيـل عنـي قلتـه فـلا رفعت سـوطي إلـيّ أناملي[٤]

فلما خرج قال لها مسروق: أَيدخل هذا عليك وقد قال ما قال، وتوعَّده الله بالعذاب على تولِّيه كِبْر الإِفك؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: أَيُّ عذاب أَشد من العمى وضرب الحدِّ؟ وفي بعض الروايات: وضربة بالسيف؟[٥].

فأَمَّا قولها عن الحدِّ فإِن حسَّان ومِسْطحاً وحَمْنة حُدُّوا، ذكر ذلك ابن إِسحاق، وذكره الترمذي[٦].

---

(١) صدره: إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّـتَـيْنَا بَيْنَنَا، وهو للنابغة الذبياني، كما في في الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٧٤)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٣٦٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٧٨)، والصحاح للجوهري (٢/ ١٥٠)، وبرَّة عَلَم لِلْبِرِّ، وفَجَارِ عَلَم على الفجور.

(٢) سبق الاستشهاد بهذا البيت في أول هذه السورة.

(٣) في الأصل: «الغوائل».

(٤) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٦)، وهو من نفس قصيدة البيت السابق.

(٥) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١١٦) من طريق حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عائشة، رضي الله عنهم، به، وحسين بن عبد الله، متفق على ضعفه.

(٦) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣١٨١) من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عروة، عن عائشة، رضي الله عنها، به، ومحمد بن إسحاق، مدلس، وقد عنعنه، وقد ورد من قول عروة مرسلا في أثناء حديث الإفك من صحيح البخاري (٤١٤١) بلفظ: قال عروة: لم يُسم من أهل الإفك أيضاً إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة =

[وفي تفسير ابن عباس أَن ابن أُبيٍّ [حُدَّ، وهذا عندي لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأَنه لم يُحْفَظ عن عبد الله بن أبي الرَّمْيُ، قال عروة في البخاري: «أُخبرتُ أنه] كان يُشاع ويُتحدَّث به عنده فيُقِرُّهُ ويَسْتمعه ويستوشيه»][(١)].

وأَما ضربة السيف: فإِن صفوان بن المعطل لما بلغه قول حسَّان في الإِفك جاءَ فضربه بالسيف ضربةً على رأْسه، وقال:

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنَّنِي غُلَامٌ إِذا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ[(٢)] [الطويل]

فأَخذ جماعةٌ صفوان ولَبَّبُوه وجاؤوا به رسول الله ﷺ، فأَهدر رسول الله ﷺ جرح حسَّان واستوهبه إِيَّاه[(٣)]، وهذا يقتضي أَن حسَّان ممن تولَّى الكِبْرَ.

وقد قال قوم: الإِشارة بـ﴿الَّذِي﴾ إِلى البادئ بهذه الفرية والذي اختلقها، فلكُلِّ[(٤)] أَحد منهم ما اكتسب، وللبادئ المفتري عذابٌ عظيم، وهو ـ على هذا ـ غير معين، وهذا قول الضحاك، والحسن[(٥)]، وقال ابن زيد وغيره: هو عبد الله بن أُبيٍّ[(٦)].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿كِبْرَهُۥ﴾ بكسر الكاف.

= كما قال الله تعالى، وإن كبر ذلك يقال له: عبد الله بن أبي ابن سلول، قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال: فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء. اهـ.

(١) ما بين معقوفين، ساقط من الأصل والحمزوية ولالاليه، وسقط ما في الوسط من الإماراتية، وفي أحمد٣: وفي شهير الدواوين.

(٢) ورد منسوباً له في المستدرك للحاكم (٣/ ٥١٩)، والسيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٧١)، والأغاني (٤/ ١٦٣).

(٣) إسناده لين والحكاية شاذة، رواه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١١٤) والحاكم في المستدرك (٣/ ٥١٨-٥١٩) من طريق إسماعيل بن أبي أويس، عن أبيه، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً، وهذا إسنادٌ لين لحال إسماعيل بن أبي أويس.

(٤) في الأصل: «فكل».

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ١١٦)، ولم أقف على قول الحسن.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ١١٩).

وقرأ حميد والأَعرج[١]، ويعقوب والزهري، وأَبو رجاءٍ، والأعمش، وابن أَبي عبلة: ﴿كُبْرَهُ﴾ بضم الكاف[٢].

وهما مصدران، من كبر الشيءِ وعظمه، ولكن استعملت العرب ضم الكاف في السِّن، تقول: هذا كُبْر القوم، أَي كبيرهم سناً ومكانة، ومنه قول النبي ﷺ في قصة حُوَيِّصَة ومُحَيِّصة: «الكُبْرَ الكبر»[٣].

ومن استعماله في المعنى الثاني قول ابن الخطيم:

[المنسرح] تَنامُ عَنْ كُبْرِ شَأْنِها فَإِذا قامَتْ رُوَيْداً تَكادُ تَنْقَصِفُ[٤]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾.

الخطاب بهاتين الآيتين لجميع المؤمنين حاشا من تولَّى الكِبْر، ويحتمل دخولهم في الخطاب، وفي هذا عتاب للمؤمنين؛ أَي: كان الإِنكار واجباً عليهم، والمعنى: أَنه كان ينبغي أَن يقيس فضلاءُ المؤمنين والمؤمنات الأَمرَ على أَنفسهم، فإِذا كان ذلك يبعد فيهم فكانوا يقضون بأَنه في صفوان وعائشة أَبْعَدُ لفضلهما.

---

(١) في المطبوع والإماراتية: «الأعرج» بلا واو على أنها صفة لحميد، وفي المطبوع أيضاً: «يعقوب الزهري» بلا واو، وهو خطأ.

(٢) الأولى سبعية، والثانية عشرية ليعقوب، انظر عزوها له وللباقين في النشر (٢/ ٣٣١)، والمحتسب (٢/ ١٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث سهل بن أبي حثمة، رضي الله عنه، مرفوعاً به، والكبر الثانية سقطت من الأصل والمطبوع.

(٤) انظر نسبته له في المحتسب (٢/ ١٠٣)، والمحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٤٩٦)، وأدب الكاتب (ص/ ٢٣٨)، والأغاني (٣/ ٢٤)، والاختيارين للأخفش (ص: ٨٧)، قال: وتنغرف: تنقطع، وفي المطبوع: «تنغرف».

وروي أَن هذا النظر السديد وقع من أَبي أَيوب الأَنصاري وامرأَته، وذلك أَنه دخل عليها فقالت له: يا أَبا أَيوب سمعت ما قيل؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أَكنت أَنت يا أُمَّ أَيوب تفعلين ذلك؟ فقالت: لا والله، قال: فعائشة والله أَفضل منك، قالت أُمُّ أَيوب: نعم[١].

فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله المؤمنين[٢] إِذ لم يفعله جميعهم.

والضمير في قوله: ﴿جَآءُو﴾ لأُولئك الذين تولوا الكبر، وإِذا كانوا عند الله كَذَبَةً فهي الحقيقة فيهم، وعند هذا حُدُّوا، ولم يُرْوَ في شهير الدواوين أَن عبد الله بن أُبيٍّ حُدَّ، ويشبه ذلك لأَنه لم تقم عليه بالمقالة بينةٌ لنفاقه وتستُّره، وإِنما كان يخوض فيه مع من يذيعه ولا يسأَل عن شهادته، كما قال عروة في البخاري: «وأُخبرت أَنه كان يُقرُّه ويستوشيه»[٣].

قال القاضي أَبو محمد: ولكن النبي ﷺ استعذر منه على المنبر، ووقذه بالقول، ووقع في أَمره بين الأوس والخزرج ما هو مطوَّل في مسلم في حديث الإِفك[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم (١٤٢٢١) في تفسيرهما من طريق محمد ابن إسحاق، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار، أن أبا أيوب...فذكره، وهذا إسناد ضعيف، فيه إبهام راويه عن أبي أيوب، وعنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس.

(٢) زاد في المطبوع هنا: «عليه»، قال في الحاشية غير موجود في الأصول، وكذلك نقل القرطبي كلام ابن عطية هذا بدونها.

(٣) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٤) صحيح مسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة، رضي الله عنها.

هذا عتاب من الله تعالى بليغ، ذكر أَن حالتهم التي وقع فيها جميعُهم من تعاطيهم الحديثَ وإِن لم يكن المُخْبِر ولا المُخْبَر مصدِّقين، ولكن نفس التعاطي والتَّـلَقِّي من لسان إِلى لسان والإِفاضة في الحديث هو الذي وقع العتاب فيه.

وقرأَ محمد بن السَّميفَع: (إِذْ تُلْقُونَهُ) بضم التاءِ وسكون اللام وضم القاف[1]، من الإِلقاء، وهذه قراءَة بيِّـنَةٌ.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب، وابن مسعود: (إِذْ تَتَلَقَّوْنَهُ) من التلقي بتاءَين[2].

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ بحذف التاءِ الواحدة وإِظهار الذال دون إِدغام، وهو أَيضاً من التلَقِّي.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿إِذ تَّلَقَّوْنَهُ﴾ بإِدغام الذال في التاءِ.

وقرأَ ابن كثير: ﴿إِذْ تَّلَقَّوْنَهُ﴾ بإِظهار الذال وإِدغام التاءِ في التاءِ[3]، وهذه قراءَة قلقة لأَنها تقتضي اجتماع ساكنين، وليست كالإِدغام في قراءَة من قرأَ: ﴿فَلَا تَّنَاجَوْا﴾ [المجادلة: ٩]، ﴿ولا تَّنابزوا﴾ [الحجرات: ١١][4] لأَن لدونة الأَلف الساكنة وكونها حرف لينٍ حسَّنت هنالك ما لا يحسن مع سكون الذَّال.

وقرأَ ابن يَعْمر وعائشة رضي الله عنها ـ وهي أَعلم الناس بهذا الأَمر ـ: (إِذْ تَلِقُونَهُ) بفتح التاءِ وكسر اللام وضم القاف[5].

ومعنى هذه القراءَة من قول العرب: وَلَقَ الرَّجلُ ولَقاً إِذا كذب.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص/ ١٠٢).

(٢) وهي شاذة، عزاها لهما الثعلبي في تفسيره (٧/ ٧٩).

(٣) وهذه الثلاث سبعية، ووافق أصحاب الإدغام هشام، والثالثة رواية البزي خاصة على قاعدته، انظر: التيسير (ص: ٨٣).

(٤) وهما من تاءات البزي أيضاً، انظر: التيسير (ص: ٨٣).

(٥) وهي شاذة، عزاها لهما في مختصر الشواذ (ص/ ١٠٢)، وزاد آخرين.

قال ابن سيده في «المحكم»: قرئ: (إِذْ تَلِقُونَهُ)، وحكى أَهل اللغة أَنها من وَلَق إِذا كذب، فجاؤوا بالمتعدي شاهداً على غير المتعدي، وعندي أَنه أَراد: إِذْ تَلِقُونَ فيه، فحذف حرف الجر ووصل بالضمير[١].

وحكى الطبريُّ وغيرُه أَن هذه اللفظة مأْخوذة من الْوَلَق الذي هو إِسراعك بالشيءِ بعد الشيءِ، كعَدْو في أَثر عَدْو، وكلام في أَثر كلام[٢].

يقال: ولق في سيره إِذا أَسرع، ومنه قول الشاعر:

.... جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّام تَلِقْ[٣] [الرجز]

وقوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ مبالغة وإِلْزامٌ وتأْكيد/ . [٤/ ٩٤]

والضمير في قوله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ﴾ للحديث والخوض فيه والإِذاعة له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ إلى ﴿حَكِيمٌ﴾ عتابٌ لجميع المؤمنين، أَي: كان ينبغي عليكم أَن تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل، وأَن تُنَـزِّهُوا الله تعالى عن أَن يقع هذا من زوج نبيِّه ﷺ، وأَن تحكموا على هذه المقالة بأَنها بُهتان، وحقيقة البهتان أَن يقال في الإِنسان ما ليس فيه، والغِيبة: أَن يقال في الإِنسان ما فيه[٤].

ثم وعظهم تعالى في العودة إِلى مثل هذه الحالة.

و﴿أَن﴾ مفعول من أَجله بتقدير: كراهيةَ أَن، ونحوه.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٥٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٣١).

(٣) البيت للقُلاخ بن حَزْن المِنْقَرِيِّ، كما في تاج العروس (٢٦/ ٤٨٢)، ولسان العرب (١٠/ ١٤٤)، وعزاه قبل ذلك (١٠/ ٣٨٤) للشماخ، وفي أدب الكتاب للصولي (١/ ٩٩) أنه لابن الرقيات.

(٤) وهو ما جاء في صحيح مسلم (٢٥٨٩) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ توقيف وتأْكيد، كما تقول: ينبغي لك أَن تفعل كذا وكذا إِن كنت رجلاً.

وسائر الآية بيِّن، و﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ صفتان تقتضيهما الآية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

قال مجاهد، وابن زيد: الإِشارة بهذه الآية إِلى المنافقين، عبد الله بن أُبيٍّ ومن أَشبهه[١]، وهي خاصَّةٌ في أَمر عائشة رضي الله عنها، فحبُّهم شِياع الفاحشة في المؤمنين متمكِّنٌ على وجهه لعداوتهم في أَهل الإِيمان، وعذابُهم الأَليم في الدنيا الحدودُ، وفي الآخرة النارُ.

وقالت فرقة ـ وقولُها هو الأَظهر ـ: الآية عامةٌ في كلِّ قاذف، منافقاً كان أَو مؤمناً.

فالقاذف المؤمن لا يتصف بِحُب شِياع الفاحشة في المؤمنين جملة، لكنه يحبها لمقذوفه، وكذلك آخر لمقذوفه، وآخر حتى تَشِيعَ الْفاحِشَةُ من مجموع فعلهم، فهم لها محبون بهذا الوجه من حيث أَحبَّ كلُّ واحد جزءاً من شياعها، والعذاب الأَليم فِي الدُّنْيا الحُدُود، وفي الآخرة يحتمل وجهين:

أَحدهما أَن يكون القاذفُ مُتوعَّداً من بين العُصاة بعذاب الآخرة لا يزيله الحدُّ حسب مقتضى حديث عبادة بن الصامت[٢]، ويكون أَمرُه كأَمر المحاربين إِذا صلبوا، لهم خزْيٌ في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٣٤).

(٢) حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا، أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك، أخرجه البخاري (١٨) ومسلم (١٧٠٩).

(٣) «عظيم» زيادة من لالاليه.

والوجه الثاني: أَن يحكم بأَن الحدَّ مُسْقط عذاب الآخرة حسب حديث عبادة، وأَن قوله: ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾ لا يريد به عموم القَذَفَة؛ بل يريد إِمَّا المنافقين وإِمَّا من لم يُحَدّ، وقال الطبري: معناه: إِن مات مصرّاً غير تائب[١].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ معناه: يعلم البريءَ من المُذْنب، وسائرَ الأُمور، وَوَجْهَ الحكمة في ستركم والتغليظ في الوعيد والعذاب على قاذفيكم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ الآية، جواب ﴿ وَلَوْلَا﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: لفضحكم بذنوبكم ولم يستركم، ولعذَّبكم فيما أَفضتم فيه من قول الباطل والبهتان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

هذا الخطاب عام لجميع المؤمنين، و﴿خُطُوَٰتِ﴾ جمع خطوة، وهي ما بين القدمين في المشي، فكأَن المعنى: لا تمشوا في سُبُله وطرقه من الأَفعال الخبيثة.

وقال منذر بن سعيد: يجوز أَن يكون ﴿خُطُوَٰتِ﴾ جمع خَطَأ من الخطيئة، وسُهِّلَت الهمزة فنُطِقَ بها: خطوات[٢].

وقرأَ بضم الطاءِ من ﴿خُطُوَٰتِ﴾ الجمهورُ، وقرأَ بسكونها عاصم، والأَعمش[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿مَا زَكَىٰ﴾ بتخفيف الكاف، أَي: ما اهتدى، ولا أَسلم، ولا عرف رشداً.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٣٣).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) غير متقن، وهما سبعيتان، والضم لقنبل وحفص وابن عامر والكسائي، كما تقدم في البقرة، وانظر: التيسير (ص: ٧٨).

وقرأَ أَبو حيوة، والحسن، والأَعمش: (زَكَّى) بشد الكاف[(١)]، أَي: تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إِنما هي بفضله لا بأَعمالكم وتحرُّزكم من المعاصي.

ثم ذكر تعالى أَنه يزكِّي مَنْ يَشاءُ ممن سبقت له السعادة، وكان عمله الصالح أَمارة على سبق السعادة له، ثم أَخبر بأَنه ﴿سَمِيعٌ﴾ لجميع أَقوالهم وكلامهم من قذف وغيره، ﴿عَلِيمٌ﴾ بحق ذلك من باطله، لا يجوز عليه في ذلك وهْمٌ ولا غلط.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)﴾.

المشهور من الروايات أَن هذه الآية نزلت في قصة أَبي بكر بن أبي قحافة الصديق[(٢)] ومِسْطَح بن أُثَاثَةَ، وذلك أَنه كان ابن بنت[(٣)] خالته، وكان من المهاجرين البدريِّين المساكين، وهو مِسْطَح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب، بن عبد مناف، وقيل: اسمه عوف، ومِسْطح لقب، وكان أَبو بكر ينفق عليه لمسكنته، فلما وقع أَمر الإِفك وقال مسْطَح ما قال حلف أَبو بكر أَلَّا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أَبداً، فجاءَه مِسْطَح فاعتذر وقال: إِنما كنت أَغشى مجلس حسَّان فأَسمع ولا أَقول، فقال له أَبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل، ومرَّ على يمينه، فنزلت الآية.

وقال الضحاكُ وابن عباس: إِن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإِفك، وقالوا: والله لا نصل من تكلم في شأْن عائشة، فنزلت الآية في جميعهم[(٤)].

---

(١) انظر عزوها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤١٠)، ولأبي حيوة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٠)، ولهما وللأعمش في البحر المحيط (٨/ ٢٤)، و«الأعمش» زيادة من المطبوع وأحمد٣.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٩١٠) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة، رضي الله عنها، به.

(٣) ساقط من نور العثمانية.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما به، وانظر فيه أيضاً قول الضحاك.

والأَول أَصحُّ، غير أَن الآية تتناول الأُمة إِلى يوم القيامة، بأَلَّا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف أَلا ينفع مَن هذه صفته غابر الدهر.

ورأَى الفقهاءُ: أَن من حلف أَن لَا يفعل سُنَّة من السنن أَو مندوباً وأَبَّد ذلك أَنها جرحة في شهادته، ذكره الباجي[١] في «المنتقى»[٢]، ومنه قول النبي ﷺ: «أَيُّكُم المُتَأَلِّي على الله لا يفعل المعروف؟»[٣].

و﴿يَأْتَلِ﴾ معناه: يحلف، وزنها يفتعل، من الأَلية وهي اليمين، وقالت فرقة: معناه: يقصِّر، من قولك: أَلَوْتُ في كذا إِذا قصَّرت فيه، ومنه قوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨].

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع وزيد بن أسلم: ﴿وَلَا يَتَأَلَّ﴾[٤]، وهذا وزنه يَتَفَعَّل من الأَلية بلا خلاف، وهي في المصحف: ياءٌ تاءٌ لام، فلذلك ساغ هذا الخلاف لأَبي جعفر وزيد فروياه، وذكر الطبري أَن خط المصحف مع قراءة الجمهور، فظاهر قوله أَنَّ ثمَّ أَلفاً قبل التاءِ[٥].

و﴿الْفَضْلِ﴾، ﴿وَالسَّعَةِ﴾ هنا هي: المالُ، وقوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ الآية تمثيلٌ وحُجَّة/ ، أَي: كما تحبون غفران الله لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم، وينظر [٤/ ٩٥]

(١) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث، الإمام أبو الوليد التجيبي القرطبي الباجي، صاحب التصانيف، أخذ عن يونس بن عبد الله بن مغيث، ومكي بن أبي طالب، وكان جليلاً رفيع القدر والخطر، توفي سنة ٤٧٤هـ، تاريخ الإسلام (٣٢/ ١١٣).

(٢) انظر المنتقى (٥/ ١٩٣)، وكتبت في المطبوع: «البلخي في المنتفي»، وفيه تصحيف ظاهر.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٥٨) ومسلم (١٥٥٧) من حديث عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً به.

(٤) وهي عشرية، انظر عزوها لأبي جعفر في النشر (٢/ ٣٣١)، ولهما في المحتسب (٢/ ١٠٦)، وسقط «زيد بن أسلم» من المطبوع.

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ١٣٦).

إِلى هذا المعنى قول النبي ﷺ: «من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»[(١)]، فروي أن أَبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال: «إِنِّي لأُحِبُّ أَن يغفر الله لي»، ورجع إِلى مِسْطح النفقة والإِحسان الذي كان يجري عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: «وكفَّر عن يمينه»[(٢)].

وقرأَ ابن مسعود، وسفيان بن حسين: (وَلْتَعْفُو وَلْتَصْفَحُوا) بالتاءِ من فوق فيهما، ورويت عن النبي ﷺ[(٣)].

وقال بعض الناس: هذه أَرجى آية في كتاب الله عزَّ وجلَّ من حيث لطف الله فيها بالقذفة العصاة بهذا اللفظ[(٤)].

قال القاضي أَبو محمد: وإِنما تعطي الآية تفضلاً من الله في الدنيا، وإِنما الرجاءُ في الآخرة، أَما إِن الرجاءَ في هذه الآية بقياس، أَي إِذا أَمر أُولي السعة بالعفو، فطرد هذا التَّفَضُّل بسعة رحمته لا ربَّ سواه، وإِنما آيات الرجاءِ في قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩].

وسمعت أَبي رضي الله عنه يقول: أَرجى آية في كتاب الله عندي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٧]، وقد قال تعالى في آية أُخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٦٥١) ومسلم (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) متفق عليه بدون زيادة «وكفر عن يمينه» أخرجها البيهقي في السنن (١٠/ ٣٦) من طريق: عبيد بن شريك حدثنا ابن أبي مريم أنبأنا ابن أبي الزناد حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. قال البيهقي: وجوب الكفارة فيه بالنص فيه، وقد مضت الأخبار فيه فى كتاب الظهار. اهـ وإسناده لا بأس به، والحديث متفق عليه من غير هذه الزيادة، أخرجه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة، رضي الله عنها، به.

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وهي شاذة، انظر روايتها عن النبي ﷺ في المحتسب (٢/ ١٠٥)، وعن الباقين في البحر المحيط (٨/ ٢٥).

(٤) لم أقف عليه.

ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الشورى: ٢٢] فَشَرَح الفضل الكبير في هذه الآية، وبشَّر به المؤمنين في تلك.

وقال بعضهم: أَرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]، وذلك أَن رسول الله ﷺ لا يرضى ببقاء أَحد من أُمته في النار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾.

قال سعيد بن جبير: إِن هذه الآية التي تضمنت لعْن القاذف وتوعُّده الشدائد إِنما هي خاصة في رُماة عائشة.

وقال ابن عباس، والضحاك، وغيرهما: بل هذه لجميع أَزواج النبي ﷺ، غلَّظ الله أَمر رَمْيهن لمكانهن من الدين[1]، فلعن قاذفهن ولم يقرن بآخر الآية توبة، وقاذف غيرهن له اسم الفسق وذُكرت له التوبة.

وقال جماعة من العلماءِ: بل هي في شأْن عائشة إِلَّا أَنه يراد بها كل من اتصف بهذه الصفة، وقال بعض هذه الفرقة: إِن هذه الآية نزلت أَولاً في القاذفين، ثم نزلت بعد ذلك الآية التي في صدر السورة التي فيها التوبة، وقد تقدم القول في المحْصَنَاتِ ما معناه.

واللَّعْنة في هذه الآية: الإِبعادُ، وضربُ الحدِّ، واستيحاشُ المؤمنين منهم وهجرُهم لهم، وزوالُهم عن رُتبة العدالة، وعلى قول من قال إِن هذه الآية خاصة بعائشة تترتب هذه الشدائد في جانب عبد الله بن أُبيٍّ وأَشباهه.

وفي ضمن رمي المحصنة رمي الرجل معها، وقد يكون مؤمناً.

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٩) من طريق العوام بن حوشب، عن شيخ من بني أسد، ومن طريق عطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس، وفي الإسنادين ضعف، انظر قولي ابن جبير والضحاك فيه (١٩/ ١٣٨).

والعامل في قوله: ﴿يَوۡمَ﴾ فعل مضمر يقتضيه العذاب، أَي: يُعذَّبُونَ يومَ، أَو نحوه، وأَخبر الله تعالى أَن جوارحهم تشهد عليهم، وذلك من أَعظم الخزي والتنكيل، فيشهد اللسان وقلب المنافق لا يريد ما يشهد به، وتشهد الأَيدي والأَرجل[١] كلاماً يقدرها الله عليه.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿تَشۡهَدُ﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿يَشْهَدُ﴾ بالياءِ[٢].

و«الدِّينُ» في هذه الآية: الجزاءُ، ومنه قول الشاعر:

[مجزوء الوافر]

وَلَـمْ يَـبْـقَ سِـوَى الْـعُـدْوَا ... نِ دِنَّـاهُـمْ كَـمَـا دَانُـوا[٣]

أَي جازيناهم كما فعلوا، ومنه المثل: كَمَا تُدِينُ تُدَان.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ بالنصب على الصفة للدِّين.

وقرأَ مجاهد: (الْحَقُّ) بالرفع على الصفة لله تعالى.

وفي مصحف ابن مسعود وأُبيِّ بن كعب: (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ الله الْحَقُّ دِيْنهُم)[٤] بتقديم الصفة على الموصوف، ورويت عن النبي ﷺ[٥].

---

(١) زاد في المطبوع: «وتتكلم»، قال وهي زيادة يحتاج إليها المعنى.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦١)، والسبعة (ص: ٤٥٤).

(٣) هذا البيت لِلْفِنْد الزِّمَّانيِّ، كما تقدم في تفسير الفاتحة أول الكتاب.

(٤) وهما شاذتان، وانظرهما في تفسير الثعلبي (٧/ ٨٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٤١).

(٥) ضعيف، أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٣٩)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٤٢٢) كلاهما من طريق غسان بن مالك، عن عون بن ذكوان، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف من أجل غسان بن مالك، قال فيه أبو حاتم: ليس بقوي، بيّن في حديثه الإنكار. الجرح والتعديل (٧/ ٥٠)، وقال العقيلي: مجهول بالنقل، ولا يُعرف إلا به، ولا يتابع عليه، ثم روى له حديثه هذا في ترجمته.

تنبيه: لما روى العقيلي والطبراني هذا الحديث جاءت الآية في المطبوع عندهما: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾، وهذا من تصرف النساخ، أو المحققين، ولا سيما عند الطبراني، حيث أورد الآية =

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ يقوِّي قول من ذهب إِلى أَن الآية في المنافقين عبد الله بن أُبيٍّ وغيره، وذلك أَن كل مؤمن في الدنيا يعلم أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وإِلَّا فليس بمؤمن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

اختلف المتأَولون في الموصوف في هذه الآية بالخبيث والطيب، فقال ابن عباس[1]، ومجاهد، والضحاك، وقتادة: هي الأَقوال والأَفعال، ثم اختلفت هذه الجماعة:

فقال بعضهم: المعنى: الكلمات والفعلات الخبيثات لا يقولها ويرضاها إِلا الخبيثون من الناس، فهي لهم وهم لها بهذا الوجه، وكذلك الطيبات للطيبين.

وقال بعضها: المعنى: الكلمات والفعلات الخبيثات لا تليق ولا تلصق عند رمي الرامي وقذف القاذف إِلا بالخبيثين من الناس، فهي لهم وهم لها بهذا الوجه[2].

وقال ابن زيد: الموصوف بالخبث والطيب النساءُ والرجال[3]، وإِنما الآية على نحو التي تقدمت، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: ٣]، فمعنى هذه: التفريق بين حكم عبد الله بن أُبيٍّ وأَشباهه وبين حكم النبي ﷺ وفضلاءِ صحابته وأُمته، أَي: إِن النبي ﷺ طيب فلم يجعل الله له إِلَّا كل طيبة، وأُولئك خبيثون فهم أَهل النساءِ الخبائث.

قال القاضي أَبو محمد: وبهذه الآية قيل لأَزواج النبي ﷺ: الطيبات المبرآت.

كما عند المصنف هاهنا، السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٦٧) وعزاه للطبراني في الكبير، ولما روى الطبراني الحديث قال: «... هكذا قال» ومكان هذا النقط قال المحقق: لم تقرأ هذه الكلمات التي جعلنا مكانها النقط، وانظر مختصر الشواذ لابن خالويه (ص/ ١٠٣).

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٢) من طريق عطية العوفي، وابن أبي حاتم (١٤٣١٦) من طريق عبد الله ابن مسلم، عن سعيد بن جبير، كلاهما عن ابن عباس، والإسنادان ضعيفان.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٤١-١٤٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٩/ ١٤٤).

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الطيِّبين المذكورين في قوله: ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾.

وقال النقاش: الإشارة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ إلى صفوان وعائشة رضي الله عنها، وجمعهم[١] في الضمير على حدِّ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١] والمراد: أخوان.

وفي هذا التمثيل بآية الإخوة نظر.

وبحسب هذه المعاني يتقدر المراد بالضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾، فتأمله. ثم وعد الله تعالى الطيبين من المؤمنين بالمغفرة عند الحساب، وبالرزق الكريم في الجنة./ [٤/ ٩٦]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

سبب هذه الآية فيما ذكر الطبري بسند عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله، إني أكون في منزلي على الحالة التي لا أُحب أن يراني أحد عليها والدٌ ولا ولد، وإنه لا يزال يدخل عليَّ رجلٌ من أهلي وأنا على تلك الحال، فنزلت هذه الآية[٢].

ثم هي عامة في الأُمة غابر الدهر من حيث هذه النازلة تختص بكل أحد في نفسه، وبيت الإنسان هو البيت الذي لا أحد معه فيه، أو البيت الذي فيه زوجه أو أمته، وما عدا هذا فهو غير بيته.

قال ابن مسعود وغيره: ينبغي للإنسان ألَّا يدخل البيت الذي فيه أُمُّه إلَّا بعد الاستئناس[٣]، وروي في ذلك حديث عن النبي ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله، أستأذن

(١) في المطبوع: «جمعهما»، وكلام النقاش لم أجده.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٧) من طريق أشعث بن سوار، عن عدي بن ثابت، به، وأشعث متفق على ضعفه.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٧) من طريق أشعث بن سوار، عن كردوس، عن ابن مسعود، به، وهو كسابقه.

على أُمِّي؟ قال: نعم، قال: إِنما هي أُمِّي ولا خادم لها غيري، قال: «أَتحب أَن تراها عريانة»؟ قال: لا، قال: «فاستأْذن عليها»[١]، وكذلك كل ذات محرم منه؛ لأنه لا ينبغي أَن يراهن عاريات، وقالت زينب امرأَة ابن مسعود: كان ابن مسعود إِذا جاءَ منزله تنحنح مخافة أَن يهجم على ما يكره[٢].

و﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾ معناه: تستعلموا، أَي: تستعلموا من في البيت وتستبصروا، تقول: آنسْتُ إِذا علمتَ عن حسٍّ وإِذا أبصرت، ومنه قوله تعالى: ﴿ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]، وقوله: ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾[٣]، ومنه قول حسَّان بن ثابت:

انْظُـرْ خَلِيلـي بِبَـابِ جِلَّـقَ هَـلْ تُؤْنِسُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَد[٤] [المنسرح]

وقول الحارث: آنسَتْ نَبْأَةً... البيت[٥].

ووزن آنَسَ: أَفْعَل، واستأْنس وزنه: استفعل، فكأَن المعنى في ﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾: تطلبون [أن تعلموا][٦] ما يُؤْنسكم ويؤنس أَهل البيت منكم، وإِذا طلب الإِنسان أَن

---

(١) مرسل، أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٩٠١) ومن طريقه أبو داود في المراسيل (٤٥٩) عن صفوان ابن سليم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ فذكره مرسلاً، قال ابن عبد البر لما أورد حديث مالك في التمهيد (١٦/ ٢٢٩): «وهذا الحديث لا أعلم يستند من وجه صحيح بهذا اللفظ»، ورواه ابن أبي شيبة (٢٤٢) عن ابن عيينة، عن زيد بن أسلم، عن النبي ﷺ، مرسلاً كذلك.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٣٨١ (٣٦١٥) وأبو داود (٣٨٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٠) من طريق: الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب امرأة عبدالله، عن زينب، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد جيد، إن سلم من تدليس الأعمش، وابن أخي زينب ذكره الحافظ ابن حجر في التقريب، وقال: كأنه صحابي، ولم أره مسمى.

(٣) من الآية ١٠ من سورة طه وتكررت في الآية ٧ من سورة النمل، وفي الآية ٢٩ من سورة القصص.

(٤) انظر نسبته له في الأغاني (١٧/ ١٦٩)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٠)، وجلَّق بكسر الجيم وتشديد اللام: دِمَشق.

(٥) من بيت للحارث بن حِلِّـزَة، من معلقته، وقد تقدم في تفسير الآية ٦ من سورة النساء.

(٦) من لالاليه ونور العثمانية والإماراتية ونجيبويه.

يعلم أَمر البيت الذي يريد دخوله فذلك يكون بالاستئذان على من فيه، أَو بأَن يتنحنح ويُشعر بنفسه بأَيِّ وجه أَمكنه، ويتأَنَّى قدر ما يتحفظ، ويدخل إِثر ذلك.

وذهب الطبريُّ في ﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ إِلى أَنه بمعنى: حتى تُؤْنسوا أَهل البيت من أَنفسكم بالتَّنحنح والاستئذان ونحوه، وتُؤْنسوا أَنفسكم بأَن تعلموا أَنْ قد شُعر بكم[1].

قال القاضي أبو محمد: وتصريف الفعل يأْبى أَن يكون من أَنس.

وذكر الطبري عن ابن عباس أَنه كان يقرأُ: (حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا)، وهي قراءة أُبي بن كعب، وحكاها أَبو حاتم: (حَتَّى تُسَلِّمُوا وَتَسْتَأْذِنُوا) [2].

قال ابن عباس: تَسْتَأْنِسُوا خطأٌ أَو وهم من الكُتَّاب[3].

قال القاضي أَبو محمد: مصاحف الإسلام كلُّها قد ثبت فيها ﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾، وصحَّ الإِجماعُ فيها من لدن مُدَّة عثمان رضي الله عنه، فهي التي لا يجوز خلافها، والقراءَة

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٤٩).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر تفسير الطبري (١٩/ ١٤٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٨٤)، والمحتسب (٢/ ١٠٨).

(٣) إسناده صحيح وهو غريب عن ابن عباس، أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٥) من طريق غندر ووهب ابن جرير عن شعبة عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به. ومن طريق معاذ بن سليمان كذلك عن أبي بشر نحوه، ومعاذ بن سليمان هذا لم أعرفه، ولم أجد له ترجمة، ولعله معاذ، وهو: ابن معاذ، عن سليمان، وهو: الأعمش أو: التيمي عن جعفر بن إياس، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٦) من طريق محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن شعبة عن جعفر بن إياس عن مجاهد عن بن عباس. وفي حديث أبي بشر عن مجاهد ضعف، لكن محمد ابن يوسف وهو الفريابي له أوهام على الثوري، والرواية الأولى هي الأصح، لاسيما وقد روى الطبري في نفس الموضع من طريق: أبي عامر ـ هو العقدي ـ، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش أنه كان يقرؤها: (حتى تستأذنوا وتسلموا) قال سفيان: وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها: (حتى تستأذنوا وتسلموا) وقال: إنها خطأ من الكاتب، فكأن سفيان ليس عنده الخبر عن ابن عباس مسنداً، وقال ابن كثير في التفسير (٦/ ٣٨): «وهذا غريب جدّاً عن ابن عباس».اهـ، وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (١١/ ٨). وما سيأتي من كلام المصنف.

(تَسْتَأْذِنُوا) ضعيفة، وإِطلاق الخطأَ والوهم على الكُتَّاب في لفظٍ أَجمع الصحابة عليه لا يصح عن ابن عباس، والأَشبه أَن يقرأ (تَسْتَأْذِنُوا) على التفسير، وظاهر ما حكى الطبري أَنها قراءَة برواية[1]، ولكن قد روي عن ابن عباس أَنه قال: ﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾ معناه: تَسْتَأْذِنُوا[2].

ومما ينفي هذا القول عن ابن عباس أَن ﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾ متمكنة في المعنى[3]، بَيِّنَةُ الوجه في كلام العرب، وقد قال عمر للنبي ﷺ: «أَسْتَأْنِسُ يا رسول الله؟ وعمر واقف على باب الغرفة».. الحديث المشهور[4].

وذلك يقتضي أَنه طلب الأُنس به ﷺ، فكيف يخطِّئ ابن عباس رضي الله عنه أَصحاب الرسول في مثل هذا.

وحكى الطبريُّ أيضاً بسنده عن ابن جريج، عن ابن عباس[5]، وعكرمة، والحسن ابن أَبي الحسن أَنهم قالوا: نُسخ واستثني من هذه الآية الأُولى قوله بعدُ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[النور: ٢٩][6]، وهذا أيضاً لا يترتب فيه نسخٌ ولا استثناءٌ؛ لأَن الآية الأُولى في البيوت المسكونة والمقصورة، والآية الثانية في المباحة، وكأَن من ذهب إِلى الاستثناءِ رأَى الأُولى عامة.

وصورة الاستئذان أَن يقول الرجل: السلام عليكم، أَدخل؟ فإِن أُذن له دخل، وإِن أُمر بالرجوع انصرف، وإِن سُكت عنه استأْذن ثلاثاً، ثم ينصرف بعد الثلاث، فأَما

---

(١) برواية ليست في المطبوع، انظر تفسير الطبري.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٦) من طريق عطية العوفي، ورواه ابن أبي حاتم (١٤٣٤٤) من طريق علي ابن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٣) كتبت في المطبوع: «المنعى»، وهو خطأ مطبعي.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٣٦) ومسلم (١٤٧٩) من حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، به.

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٧) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٥٣)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٥٨٧).

ثبوت ما ذكرته من صورة الاستئذان فروى الطبريُّ أَنَّ رجلاً جاءَ إِلى بيت النبي ﷺ فقال: أَلِجُ؟ أَو أَتَّلِجُ؟ فقال رسول الله ﷺ لأَمَةٍ له يقال لها روضة: «قولي لهذا: يقول: السلام عليكم، أَدْخُل؟»، فسمعه الرجل فقالها، فقال له النبي ﷺ: ادْخُل[١].

ورُوي أَن ابن عمر آذته الرمضاءُ يوماً فأَتى فُسطاط امرأَة من قريش، فقال: السلام عليكم، أَدْخُلُ؟ فقالت المرأَة: ادْخُلْ بسلام، فأَعاد فأَعادتْ، فقال لها: قولي: ادْخُلْ، فقالت ذلك فدخل[٢]، فكأَنه توقف لما قالت: بسلام؛ لاحتمال اللفظ أَن تُريد: ادخل بسلامك لا بشخصك، ثم لكلِّ قوم في الاستئذان عُرْفهم في العبارة.

وأَما ثبوت الرجوع بعد الاستئذان ثلاثاً: فلحديث أَبي موسى الأَشعري الذي استعمله مع عمر، وشهد به لأَبي موسى أَبو سعيد الخدري، ثم أُبي بن كعب، الحديث المشهور[٣].

وقال عطاءُ بن أَبي رباح: الاستئذان واجب على كل محتلم[٤]، وسيأْتي ذكر هذا.

ورَوى أَبو هريرة أَن رسول الله ﷺ قال: «رسول الرجل إِذنُه»[٥]، أَي: إِذا أُرسل في أَحد فقد أُذن له في الدخول.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٦) من طريق ابن سيرين، وسعيد بن عمرو الثقفي، أن رجلًا استأذن على رسول الله ﷺ فذكره. وهذا مرسل، ورواه كذلك أبو داود (٥١٨٠) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣١٢٩) من طريق ربعي بن حراش حُدِّثت أن رجلاً....فذكره. وهذا منقطع.

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٦) من طريق هشيم بن بشير، قال: قال مغيرة، قال مجاهد: جاء ابن عمر...فذكره.

وهذا إسناد منقطع، هشيم لم يسمع من مغيرة، وهو ابن مقسم الضبي، قاله الإمام أحمد، انظر العلل له، رواية عبد الله (١/ ٣١٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٩٥٦) ومسلم (٢١٥٣) من حديث أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، به.

(٤) انظر قول عطاء في: تفسير الطبري (١٩/ ٢١٥).

(٥) ضعيف والأصح موقوف، أخرجه ابن أبي عمر العدني في مسنده (٦/ ٤٧ ـ إتحاف) من طريق بشر =

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ تم الكلام عنده، وقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ معناه: فعلنا ذلك بكم ونبَّهناكم لعلكم.

والضمير في قوله: ﴿تَجِدُواْ فِيهَآ﴾ للبيوت التي هي بيوت الغير.

وحكى الطبري عن مجاهد أنه قال: معنى قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا﴾: إِنْ لم يكن لكم فيها متاع، وضعَّف الطبري هذا التأْويل(١)، وكذلك هو في غاية الضعف، وكأَن مجاهدا رأَى أَن البيوت غير المسكونة إِنما تُدخل دون إِذن/ إِذا كان فيها للداخل [٤/ ٩٧] متاع، ورأَى لفظة المتاع متاع البيت الذي هو البُسُط والثياب، وهذا كله ضعيف.

وأَسند الطبري عن قتادة أَنه قال: قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أَدركتها، أَن أستأْذن على بعضِ إِخواني فيقول لي: ارجع، فأَرجع وأَنا مغتبط لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾»(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ توعُّد لأَهل التجسُّس على البيوت، وطلب الدخول على غفلة للمعاصي والنظر إِلى ما لا يحلُّ، ولغيرهم ممن يقع في محظور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾.

= ابن السري، عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن زيد، أو غيره، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، فيه عنعنة قتادة، والحسن، وكلاهما مدلس، وكذلك إبهام شيخ الحسن، هذا، وقد اختلف الحديث على حماد بن سلمة، فرواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٧٦) وأبو داود (٥١٨٩) وابن حبان في صحيحه (٥٨١١ ـ إحسان) كلهم من طرق عن حماد ابن سلمة، عن أيوب، وحبيب بن الشهيد، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، مرفوعاً بلفظ: «رسول الرجل إلى الرجل إذنه»، ورواه الإمام أحمد (١٦/ ٥٢٠) والبخاري في الأدب (١٠٧٥) وأبو داود (٥١٩٠) كلهم من طريق قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «إذا دُعي أحدكم فجاء مع الرسول فذاك له إذن»، قال أبو داود: قتادة لم يسمع من أبي رافع شيئاً، ثم إن الحديث ذكره الدارقطني في علله (٧/ ٢٩٥) وصحح كونه موقوفاً على أبي هريرة.

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٥٠).

(٢) المصدر السابق (١٩/ ١٥٠).

رُوي أَن بعض الناس لمَّا نزلت آية الاستئذان تعمَّق في الأَمر، فكان لا يأْتي موضعاً خرباً ولا مَسْكُوناً إِلَّا سلَّم واستأْذن، فنزلت هذه الآية[١]، أَباح الله تعالى فيها رفع الاستئذان في كل بيت لا يسكنه أَحد؛ لأَن العلَّة إِنما هي في الاستئذان خوف الكشفة على الحُرُمات، فإِذا زالت العلَّة زال الحكم.

ومثَّل أَهل التأْويل من هذه البيوت أَمثلة، فقال محمد بن الحنفية، وقتادة، ومجاهد: هي الفنادق التي في طرق المسافرين[٢]، قال مجاهد: لا يسكنها أَحد؛ بل هي موقوفة ليأْوي إِليها كل ابن سبيل[٣]، وفيها متاع لهم، أَي: استمتاع بمنفعتها.

ومثَّل عطاءٌ في بيوت غير مسكونة بالخِرَب، التي يدخلها الإِنسان للبول والغائط، ففي هذا أيضاً متاعٌ، وقال ابن زيد والشعبي: هي حوانيت القَيْسارِيَّات، والسوق[٤]، قال الشعبي: لأَنهم جاؤوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس: هلُمَّ[٥]، وهذا قول غلط قائله لفظ المتاع[٦]، وذلك أَن بيوت القَيْسَاريَّة محظورة بأَموال الناس، غير مباحة لكل من أَراد دخولها بإِجماع، ولا يدخلها إِلَّا من أُذن له بها[٧]؛ بل أَربابها مُوَكَّلون بدفع الناس عنها، وقال محمد بن الحنفية أيضاً: أَراد تعالى دور مكَّة[٨]، وهذا على القول بأَنَّها غير مُتَملَّكة، وأَن الناس شركاءُ فيها، وأَن مكَّة أُخذت عنوة، وهذا هو في هذه المسأَلة

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٥١).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥١٩)، بتصرف.

(٤) انظر القولين في: تفسير الطبري (١٩/ ١٥٢)، تفسير الماوردي (٤/ ٨٨)، وانظر: تفسير الثعلبي (٧/ ٨٦).

(٥) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢١).

(٦) «لفظ المتاع»: سقط من المطبوع، وهو هكذا في جميع النسخ الخطية، وضبطت في أحمد ٣: غُلِّط، فكأنه يعني أن صاحب هذا القول أخطأ، لكنه بناها للمجهول أدباً كما يقال: أنسيت بدل نسيت، والله أعلم.

(٧) انظر نقل الإجماع في: تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٢).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٥٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٨٦)، بتصرف يسير.

القول الضعيف، يردُّه قوله ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل منزلاً»(١)، وقوله: «من دخل دار أَبي سفيان، ومن دخل داره»(٢)، وغير ذلك من وجوه النظر، وباقي الآية بيِّن، ظاهره التوعُّد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بمنزلة قوله: انْهَهُمْ، فقول: ﴿يَغُضُّوا۟﴾ جواب الأَمر.

وقال المازني: المعنى: قل لهم غُضُّوا يغضُّوا(٣).

ويلحق هذين من الاعتراض: أَن الجواب خبر من الله، وقد يوجد من لا يغض، وينفصل بأَن المراد: يكونون في حكم من يغض.

وقوله: ﴿مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾، أَظهر ما في ﴿مِنْ﴾ أَن تكون للتبعيض، وذلك أَن أَول نظرة لا يملكها الإِنسان، وإِنما يغض فيما بعد ذلك، فقد وقع التبعيض [بخلاف الفروج إذ حفظها عام لها](٤).

ويؤيد هذا التأْويل ما روي من قوله ﷺ لعلي بن أَبي طالب: «لا تُتْبع النظرة النظرة فإِن الأُولى لك، وليست لك الثانية» الحديث(٥).

وقال جرير بن عبد الله: سأَلت النبي ﷺ عن نظرة الفجأَة فقال: «اصرف بصرك»(٦).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٨٩٣) ومسلم (١٣٥١) من حديث أسامة بن زيد مرفوعاً به.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) تقدم مثل هذا عنه في تفسير الآية (١٧) من سورة الإسراء.

(٤) زيادة من أحمد٣ والإماراتية ونجيبويه ونور العثمانية.

(٥) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٣٨/ ٧٤) وأبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٩٨٢) كلهم من طريق شريك النخعي، عن أبي ربيعة، عن ابن بريدة، عن أبيه مرفوعاً به.، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شريك.اهـ، وشريك النخعي ضعيف الحديث، وشيخه قال فيه أبو حاتم: منكر الحديث، انظر: الجرح والتعديل (٦/ ١٠٩).

(٦) أخرجه مسلم (٢١٥٩) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، مرفوعاً به.

ويصح أَن تكون ﴿مِنۡ﴾ لبيان الجنس، ويصح أَن تكون لابتداءِ الغاية، والبصر: هو الباب الأَكبر للقلب، وأَعمر[١] طرق الحواسِّ إِليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه.

وحِفْظ الفرج يحتمل: في الزنى.

ويحتمل أَن يريد: بستر العورة، والأَظهر أَن الجميع مرادٌ واللفظ عام.

وبهذه الآية حرَّم العلماءُ دخول الحمام بغير مئزر[٢].

وقال أَبو العالية: كل فرج ذُكر في القرآن فهو من الزنا إِلَّا في هاتين الآيتين فإِنه يعني التستُّر[٣]، ولا وجه لهذا التخصيص عندي.

وباقي الآية بيِّن، وظاهره التَّوعُّد.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ الآية، أَمَرَ الله تعالى النساءَ في هذه الآية بغض البصر عن كل ما يُكره من جهة الشرع النَّظرُ إِليه، وفي حديث أُم سلمة قالت: كنت أَنا وعائشة عند النبي ﷺ، فدخل ابن أُم مكتوم، فقال النبي ﷺ: «احتجبن» فقلنا: إِنه أَعمى، فقال النبي ﷺ: «أَفَعَمْيَاوَانِ أَنتما؟»[٤].

و﴿مِنۡ﴾ يحتمل ما تقدم في الأُولى، وحفظ الفروج: يعُمُّ الفواحش، وسترَ العورة، وما دون ذلك مما فيه حفظ.

---

(١) في لالاليه ونور العثمانية: «وأعم».

(٢) انظر في ذلك: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٣٩٦)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٤).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ١٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧١).

(٤) في إسناده جهالة، أخرجه الإمام أحمد (٤٤/ ١٥٩) وأبو داود (٤١١٢) والترمذي (٢٧٧٨) كلهم من طريق عبد الله بن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن الزهري، عن نبهان، عن أم سلمة، رضي الله عنها، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، من أجل نبهان، وهو مولى أم سلمة، فيه جهالة، انظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ٣١١).

وأَمر الله تعالى بألَّا يُبْدِينَ زِينَـتَهُنَّ للناظرين، إِلَّا ما استثناه من الناظرين في باقي الآية، ثم استثنى ما يظهر من الزينة، فاختلف الناسُ في قدر ذلك:

فقال ابن مسعود: ظاهر الزينة هو الثياب[١].

وقال سعيد بن جبير: الوجه والثياب.

وقال سعيد بن جبير أَيضاً، وعطاءٌ، والأَوزاعي: الوجه والكفان والثياب[٢].

وقال ابن عباس[٣]، وقتادة، والمِسْوَرُ بن مخرمة[٤]: ظاهر الزينة هو الكحل والسِّواك والخضابُ إِلى نصف الذراع والقِرَطةُ والفَتَخُ، ونحو هذا فمباح أَن تبديه المرأَة لكل من دخل عليها من الناس[٥].

وذكر الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثاً عن النبي ﷺ[٦]، وذكر آخر عن عائشة، عن النبي ﷺ[٧].

---

(١) ضعيف: هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (١٩/ ١٥٥) عن ابن حميد، عن هارون بن المغيرة، عن الحجاج، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود، قال: الزينة زينتان: فالظاهرة منها الثياب، وما خفي: الخَلْخَالان والقرطان والسواران، وابن حميد ضعيف.

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٩/ ١٥٧-١٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٠) وابن أبي حاتم (١٤٤٠٩) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

(٤) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن زهرة القرشيّ الزهريّ، ولد بعد الهجرة بسنتين، وقدم المدينة بعد الفتح، وكان من أهل الفضل والدين، مات سنة ٦٤هـ، في حصار ابن الزبير، الحصار الأول أصابه حجر من المنجنيق، الإصابة (٦/ ٩٣).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٥٧).

(٦) معضل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٥٧) ومن طريقه الطبري (١٩/ ١٥٧) عن معمر، عن قتادة، قال: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «لا تحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخرج من يدها إلا ها هنا وقبض على نصف الذراع»، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله.

(٧) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ١٥٧) من طريق ابن جريج، عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً به. وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، ابن جريج لم يلق أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، قاله ابن المديني، انظر: جامع التحصيل (٤٧٢).

ويظهر لي بحكم أَلفاظ الآية: أَن المرأَة مأْمورة بأَلا تُبدي، وأَن تجتهد في الإِخفاء لكل ما هو زينة، ويقع الاستثناءُ في كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورةِ حركةٍ فيما لا بد منه، أَو إِصلاح شأْن ونحو ذلك، فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه، فغالب الأَمر أَن الوجه بما فيه والكفين يكثر منهما الظهور، وهو الظاهر في الصلاة، ويحسُنُ بالحسنة الوجه أَن تستتر إِلَّا من ذي حرمة محرمة.

ويحتمل لفظ الآية أَن الظاهر من الزينة لها أَن تبديه، ولكن يقوِّي ما قلناه الاحتياطُ ومراعاةُ فساد الناس، فلا يظن أَن يباح للنساء من/ إِبداء الزينة إِلَّا ما كان بذلك الوجه، والله الموفق للصواب برحمته. [٤/ ٩٨]

وقرأَ الجمهور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ بسكون اللام التي هي للأَمر.

وقرأَ أَبو عمرو في رواية عباس[1] عنه: (وَلِيَضْرِبْنَ) بكسر اللام[2] على الأَصل؛ لأَنّ أَصل لام الأَمر الكسر في: لِيَذْهب ولِيَضْرِب، وإِنما تسكينها كتسكين عَضُد وفَخِذ.

وسبب هذه الآية: أَن النساءَ كنَّ في ذلك الزمان إِذا غطَّين رؤوسهن بالأخمرة سدَلْنها من وراءِ الظهر[3]، قال النقاش: كما يصنع النَّبَطُ[4]، فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك، فأَمر الله تعالى بِلَيِّ الخمار على الجيوب، وهيئة ذلك[5] تستر[6] جميع ما ذكرناه.

---

(١) في الأصل كما في المطبوع ولالاليه ونور العثمانية: «عباس»، والتصحيح من: أحمد٣ والحمزوية.

(٢) وهي رواية عباس بن الفضل كما في السبعة (١/ ٤٥٤)، وفي نجيبويه ولالاليه والحمزوية: «ابن عباس»، وفي أحمد٣: «ابن عياش».

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٣٠).

(٥) زاد في المطبوع: «أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها»، قال في الحاشية: زدناه من القرطبي الذي نقل كلام المصنف.

(٦) من نجيبويه، وفي النسخ الأخرى: «يستر».

وقالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله المهاجرات الأُول، لما نزلت هذه الآية عَمَدْنَ إلى أَكثف المروط فَشَقَقْنَها أَخمرة، وضَرَبْن بها على الجيوب[١].

ودخلت على عائشةَ حفصةُ بنت أَخيها عبد الرحمن وقد اختمرت بشيءٍ يشِفُّ عن عنقها وما هنالك، فَشَقَّته عليها وقالت: إنما يُضرب بالكثيف الذي يستر[٢].

ومشهورُ القراءة ضمُّ الجيم من ﴿جُيُوبِهِنَّ﴾، وقرأ بعض الكوفيين بكسرها بسبب الياءِ، كقراءتهم ذلك في بُيوت وشُيوخ، ذكره الزهراوي[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴿٣١﴾﴾.

المعنى في هذه الآية: ولا يقصدن ترك الإخفاء للزينة الباطنة كالخَلْخَالِ والأَقراط ونحوه، ويطرحنَ مؤونةَ التحفظ إلَّا مع من سمى. وبدأ بالبعولة وهم الأَزواج؛ لأَن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم ثنَّى بذوي المحارم وسوَّى بينهم في إِبداءِ الزينة، ولكنهم تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب ما في نفوس البشر، فلا مرية أَن كشف الأَب والأَخ على المرأَة أَحوط من كشف ولد زوجها، وتختلف مراتب ما يُبدَى لهم، فيُبدَى للأَب ما لا يجوز إِبداؤه لولد الزوج.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨١) من قول عائشة، رضي الله عنها، به.

(٢) هذا الأثر أخرجه مالك في الموطأ (٦) عن علقمة بن علقمة، عن أمه أَنَّهَا قَالَتْ: «دَخَلَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى حَفْصَةَ خِمَارٌ رَقِيقٌ، فَشَقَّتْهُ عَائِشَةُ وَكَسَتْهَا خِمَاراً كَثِيفاً» وأم علقمة هذه: اسمها مرجانة، ذكرها ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٤٦٦)، وقال الذهبي: لا تعرف.

(٣) غير متقن، وهما سبعيتان، والكسر للأكثر وهم: ابن كثير وحمزة والكسائي وشعبة وابن ذكوان، انظر: التيسير (ص: ١٦١).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني جميع المؤمنات، فكأَنه قال: أَو صنفهن، ويدخل في هذا: الإِماءُ المؤمنات، ويخرج منه نساءُ المشركين من أَهل الذمة وغيرهم.

وكتب عمر رضي الله عنه إِلى أَبي عبيدة بن الجراح: إِنه بلغني أَن نساءَ أَهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساءِ المسلمين، فامنع من ذلك وحُلْ دونه، فإِنه لا يجوز أَن ترى الذمية عِرْيَة[١] المسلمة، قال: فعند ذلك قام أَبو عبيدة وابتهل، وقال: أَيما امرأَة تدخل الحمام من غير عذر، لا تريد إِلَّا أَن تُبَيِّض وجهها فسَوَّد الله وجهها يوم تَبْيَضُّ الوجوه[٢].

وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يدخل فيه الإِماءُ الكتابيات، ويدخل فيه العبيد عند جماعة من أَهل العلم، وهو الظاهر من مذهب عائشة وأُمِّ سلمة رضي الله عنهما[٣].

وقال ابن عباس وجماعة من العلماءِ: لا يدخل العبد على سيدته فيرى شعرها ونحو ذلك إِلَّا أَن يكون وغداً[٤]، فمنعت هذه الفرقة الكشف بمِلْك اليمين، وأَباحته بأَن يكون من التابعين غير أُولي الإِرْبة.

وفي بعض المصاحف: (أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمانُكُم) فيدخل فيه عبْد الغير[٥].

---

(١) يعني: ما يُعرى منها ويُكشف.

(٢) في إسناده انقطاع، أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٩٥) من طريق إسماعيل بن عياش، عن هشام ابن الغاز، عن عبادة بن نسي، عن أبيه عن الحارث بن قيس، قال: كتب عمر بن الخطاب.... فذكره، وخولف إسماعيل بن عياش في إسناده، فرواه عيسى بن يونس عند البيهقي عن هشام ابن الغاز بن ربيعة الجرشي، عن عبادة بن نسي الكندي، قال: كتب عمر بن الخطاب....فذكره، وعيسى أثبت من إسماعيل، وعليه فالإسناد منقطع؛ لأن عبادة بن نسي يكثر الإرسال عن الصحابة، ولا أراه أدرك عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه.

(٣) انظر ما نسبه المؤلف لعائشة وأم سلمة في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٣٧٣).

(٤) لم أقف عليه مسنداً من قول ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٥) وهي شاذة، إن كانت، ولم أجدها لغير المصنف.

وقوله: ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ﴾ يريد الأَتباع ليطعموا الفسول[١] من الرجال الذين لا إِرْبة لهم في الوطءِ، فهي شرطان، ويدخل في هذه الصنفية[٢] المجبوب، والمعتوه، والمُخَنَّث، والشيخ الفاني، والزَّمِنُ الموقوذ بزمانته، ونحو هذا هو الغالب في هذه الأَصناف.

ورُبَّ مُخَنَّث لا ينبغي أَن يكشف؛ أَلا ترى إِلى حديث «هيت»، ونَهْي رسول الله ﷺ عن كشفه على النساءِ لمَّا وصف بَادِيَةَ بنت غيلان بن معتب[٣]؟ وتأَمل ما روي في أَخبار الدَّلَّال المُخَنَّث[٤]، وكذلك الحمقى والمعتوهون فيهم من لا ينبغي أَن يكشف[٥]، والذي لا إِربة له من الرجال قليل.

و﴿ٱلْإِرْبَةِ﴾: الحاجة إِلى الوطءِ، وعبَّر عن هذا بعض المفسرين فقال: هو الذي يتبعك لا يريد إِلَّا الطعام وما تأكله.

وقرأَ عاصم، وابن عامر: ﴿غَيْرَ﴾ بالنصب، وهو على الحال من الذِّكر الذي في ﴿ٱلتَّـٰبِعِينَ﴾، أَو على الاستثناءِ من ﴿ٱلتَّـٰبِعِينَ﴾.

وقرأَ الباقون: ﴿غَيْرِ﴾ بالخفض[٦] على النعت لـ﴿ٱلتَّـٰبِعِينَ﴾، والقول فيها كالقول في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ [الفاتحة: ٧].

---

(١) في الأصل بدلها بياض، وفي لالاليه: «ليطمعوا السفول»، وفي المطبوع: «الأتباع الذين يدخلون ليطعموا الفضول وهم من الرجال» إلخ.

(٢) في المطبوع: «الصيغة»، وفي الحمزوية ونجيبويه: «الصفة»، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: المجنون بدلاً من المجبوب.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٠٦٩) ومسلم (٢١٨٠) من حديث هند أم سلمة، رضي الله عنها، به.

(٤) اسمه: ناقد وكنيته أبو زيد، وهو مدني مولى بني فهم، قال إسحاق: لم يكن في المخنثين أحسن وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أظرف من الدلال، قال: وهو أحد من خصاه ابن حزم، وقيل: هو مولى عائشة بنت سعيد بن العاص، انظر خبره في الأغاني (٤/ ٢٦٦).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٦٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٨٨).

(٦) وهما سبعيتان، والأولى لابن عامر وشعبة، انظر: التيسير (ص: ١٦١).

وقوله: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ اسم جنس بمعنى الجمع، ويقال: طِفْل ما لم يراهق الحُلُم، و﴿يَظْهَرُواْ﴾ معناه: يَطَّلِعُون بالوطءِ.

والجمهور على إِسكان الواو من ﴿عَوْرَٰتِ﴾، وروي عن ابن عامر فتح الواو[(١)].

وقال الزجاج: الأكثر سكون الواو كجَوْزَات وبيْضَات لثقل الحركة على الواو والياءِ[(٢)]، ومن قرأ بالفتح فعلى الأصل في فَعْلَة وفَعَلات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾.

أَسند الطبري عن المعتمر عن أَبيه قال: زعم حضرمي أَن امرأَةً اتَّخذت بُرَتَيْن[(٣)] من فضة، واتخذت جَزْعاً، فجعلت في ساقيها، فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض، فوقع الخَلْخَالُ على الجزع فصوَّت، فنزلت هذه الآية[(٤)]، وسماع صوت[(٥)] هذه الزينة أَشدُّ تحريكاً للشهوة من إِبدائها، ذكره الزجاج[(٦)].

قال مكي رحمه الله: ليس في كتاب الله آية أَكثر ضمائر من هذه، جمعت خمسة وعشرين ضميراً للمؤمنات من مخفوض ومرفوع[(٧)].

وقرأَ عبد الله بن مسعود: (لِيُعْلَمَ ما سُرَّ مِنْ زينتهنَّ)[(٨)].

---

(١) وهي شاذة، من رواية عبد الحميد بن بكّار، قال في جامع البيان (٣/ ١٤٠٢): ولم يذكر ذلك غيره.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٢).

(٣) مُثَـنَّى بُرَة بضم الباء وفتح الراء خفيفة: وهي الخَلْخَالُ.

(٤) معضل، أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٤) من طريق حضرمي بن لاحق به، وهو معضل.

(٥) سقط من الأصل والمطبوع.

(٦) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٠).

(٧) نقله عنه في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧)، وهو واضح.

(٨) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٠٣)، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: لِيُعْلَمَ مَا يَسْتُرْنَ، ولم أجدها.

ثم أَمر عزَّ وجلَّ بالتوبة مطلقة، وقد قيَّد توبة الكفار بالإِخلاص، وبالانتهاء في آية أُخرى[١]، وتوبة أَهل الذّمة بالتَّبيين، يريد لأمر محمد ﷺ[٢]، وأَمر بهذه التوبة مطلقة عامة من كلِّ شيءٍ صغير وكبير.

[وقرأ الجمهور: ﴿أَيُّهَ﴾ بفتح الهاء][٣]، وقرأَ ابن عامر: ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بضم الهاءِ من ﴿أَيُّهَ﴾[٤]، ووجهه أَن يجعل الهاء[٥] كأَنها من نفس الكلمة/ ، فيكون إِعراب المنادى فيها، وضعَّف أَبو عليٍّ ذلك جدّاً[٦]. [٤/ ٩٩]

وبعضهم يقف ﴿أَيُّهْ﴾، وبعضهم يقف (أَيُّهَا) بالأَلف[٧].

وقوَّى أَبو عليٍّ الوقف بالأَلف؛ لأَن علَّة حذفها في الوصل إِنما هو سكونها وسكون اللام، فإِذا كان الوقف ذهبت العلَّة، فرجعت الأَلف كما ترجع الياءُ إِذا وقفت على ﴿مُحِلِّي﴾ من قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١][٨].

والاختلاف الذي ذكرناه في ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كذلك هو ﴿أَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]، و﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾، هذه المخاطبة لكل من تصور أَن ينكح في نازلة ما، فهم المأْمورون بتزويج من لا زوج له ومن لا زوجة له، وظاهر الآية أَن المرأَة لا تتزوج إِلَّا بِوَليٍّ، والأَيِّمُ يقال للرجل والمرأَة، ومنه قول الشاعر:

---

(١) في الآية (٢٨) من سورة الأنفال.

(٢) في الآية (١٦٠) من سورة البقرة، وانظر أيضاً أول سورة البينة.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) وهما سبعيتان، وكذلك في حرفي الرحمن والزخرف، انظر التيسير (ص: ١٦١).

(٥) في المطبوع: «الخاءَ»، ولعله سبق قلم في الطباعة.

(٦) انظره في الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٢٠).

(٧) وهما سبعيتان، وقف بالألف أبو عمرو والكسائي، وبدونها الباقون، انظر: التيسير (ص: ١٦٢).

(٨) انظر ما نسبه لأبي علي في: حجته (٥/ ٢٣١).

[مجزوء الكامل]

لــلَّــهِ درُّ بَـنِــي عَــلِــ ــيٍّ أَيِّـم مِـنْـهُـم وَنَـاكِـح[١]

ولعموم [هذه اللفظة قالت][٢] فرقة: إِن هذه الآية ناسخةٌ لحكم قوله تعالى: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [النور: ٣].

وقوله: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يريد: للنكاح.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (مِنْ عَبِيدِكُمْ) [٣]، والجمهور على ﴿عِبَادِكُمۡ﴾، والمعنى واحد، إِلَّا أَن قرينة الترفيع بالنكاح تؤيد قراءة الجمهور.

وهذا الأَمر بالإنكاح[٤] يختلف بحسب شخص شخص، ففي نازلة يُتصور وجوبه، وفي نازلةٍ الندبُ، وغير ذلك، وهذا بحسب ما قيل في النكاح[٥].

ثم وعد الله تعالى بِإِغناءِ الفقراءِ المتزوجين طلباً لرضا الله عنهم، واعتصاماً من معاصيه.

وقال ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح[٦]، وقال عمر رضي الله عنه: عجبي ممن لا يطلب الغنى بالنكاح، وقد قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[٧].

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت، كما في السيرة لابن هشام (٣/ ٢٩٩)، والاشتقاق لابن دريد (١/ ٥٥)، والعقد الفريد (٣/ ٢٦٢).

(٢) من المطبوع والحمزوية وأحمد٣ ولالاليه ونور العثمانية.

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٧/ ٨٩).

(٤) في المطبوع: «بالنكاح».

(٥) انظر هذا المعنى في: بداية المجتهد (٢/ ٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٦) من طريق القاسم بن الوليد، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، به، وهذا منقطع، فالقاسم بن الوليد من كبار أتباع التابعين، توفي سنة ١٤١هـ، قال الإمام أحمد: لم يسمع من إبراهيم النخعي شيئاً. اهـ فكيف بابن مسعود.

(٧) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ١٢٧) عن وكيع، عن مسعر، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، قال: قال عمر: ابتغوا الغنى في الباءة، وهذا منقطع، إبراهيم لم يدرك عمر.

قال النقاش: هذه الآية حجةٌ على من قال إِن القاضي يفرق بين الزوجين إِذا كان الزوج فقيراً لا يقدر على النفقة؛ لأَن الله تعالى قال: ﴿يُغْنِهِمُ﴾ ولم يقل: يفرق بينهما[1].

وهذا انتزاعٌ ضعيف، وليست هذه الآية حُكْماً فيمن عجز عن النفقة، وإِنما هي وعْدٌ بالإِغناء، كما وعد به تعالى مع التفرق في قوله: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣]، ونفحات رحمة الله تعالى مأْمولةٌ في كل حالٍ، موعودٌ بها.

وقوله: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان نحو المعنى الذي فيه القول، أَي واسع الفضل، عليمٌ بِمُسْتَحِقِّ التوسعةِ والإِغناءِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

استعفَّ وزنه: اسْتَفْعَل، ومعناه: طلب أَن يكون عفيفاً، فأَمر الله تعالى في هذه الآية كل من يتعذَّرُ عليه النكاح ولا يجده بأَي وجه تعذَّر أَن يستعفَّ، ثم لما كان أَغلب الموانع على النكاح عدم المال وعَدَ بالإِغناءِ من فضله، فعلى هذا التأْويل يعمُّ الأَمر بالاستعفاف كلَّ من تعذَّر عليه النكاح بأَي وجه تعذَّر.

وقالت جماعة من المفسِّرين: النكاحُ في هذه الآية اسم ما يُمْهَر ويُنْفق في الزواج كاللِّحاف واللباس لما يُلْتَحف به ولما يلبس، وحملهم على هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، فظنوا أَن المأْمور بالاستعفاف إِنما هو من عدم المال الذي يتزوج به، وفي هذا القول تخصيص المأْمورين بالاستعفاف، وذلك ضعيف.

ثم أَمر الله تعالى المؤمنين كافة أَن يكاتِب منهم كلُّ من له مملوك وطَلَب المملوك الكتابة، وعَلم سيِّدُه منه خيراً.

---

(١) انظر قول النقاش في: تفسير القرطبي (١٢/ ٢٤٢).

قال النقاش: سببها أَن غلاماً لحويطب بن عبد العُزَّى[١] سأَل مولاه الكتابة فأَبى عليه[٢].

وقال مكي: هو صُبَيْح القبطي غلام حاطب بن أَبي بلتعة[٣].

ولفظ الكتاب في الآية مصدر؛ كالقتال والجِلاد ونحوه من مصادر فاعَلَ، والمكاتبة: مفاعلة من حيث هذا يكتب على نفسه، وهذا على نفسه.

واختلف الناس، هل هذا الأَمر بالكتابة على الوجوب أَو على الندب؟ على قولين:

فمذهب مالك رحمه الله أَن ذلك على الندب[٤]، وقال عطاءٌ: ذلك واجب، وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب لأَنس بن مالك في سيرين، حين سأَل سيرين الكتابة فتلكَّأَ أَنس، فقال عمر: كاتبهُ أَو لأَضربنَّك بالدِّرَّة[٥]، وهو قول عمرو بن دينار والضحاك[٦].

واختلف الناس في المراد بالخير:

فقالت فرقة: هو المال، ولم تَـرَ على سيِّد عبد أَن يكاتب إِلَّا إِذا علم أَن له مالاً يؤدي منه أَو من التَّجْر فيه.

وروي عن ابن عمر وسلمان أَنهما أَبيا من كتابة عبدين رَغِبَا في الكتابة ووعدا باسْتِرْفَاق الناس، فقال كلُّ واحد منهما لعبده: أَتريد أَن تطعمني أَوساخ الناس؟[٧].

---

(١) هو حويطب بن عبد العزَّى بن أبي قيس بن عبد ودٍّ القرشي العامريُّ، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً، وكان من المؤلَّفة، وجدَّد أنصاب الحرم في عهد عمر، عاش مئة وعشرين سنة. ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ، الإصابة (٢/ ١٢٤).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠/ ١٣٤) لابن السكن في كتابه الصحابة.

(٣) الهداية لمكي (٨/ ٥٠٨٥).

(٤) انظر مذهب مالك في: الاستذكار (٧/ ٣٧٩)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٧٦).

(٥) إسناده جيد، أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٧) من طريق محمد بن بكر البرساني عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، بلفظ: «لتكاتبنه» فقط.

(٦) انظر ما نسبه لعطاء وعمر رضي الله عنه وعمرو بن دينار والضحاك؛ في الأوسط (١١/ ٤٦١).

(٧) أما أثر ابن عمر، رضي الله عنه، فأخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٧٨) والبيهقي في الكبرى =

وقال مالك: إِنه ليقال: الخير القوة والأَداءُ[١].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: الخير هو صدقُ الموعد، وقلَّة الكذب، والوفاءُ، وإِن لم يكن للعبد مالٌ[٢].

وقال عبيدةُ السَّلْمَاني: الخيرُ هو الصلاح في الدين[٣]، وهذا في ضمنه القول الذي قبله.

والْمُكَاتَبُ عبدٌ ما بقي عليه درهم، وحرمة العتق إِنما يتلبَّس بها بعد الأَداء، هذا قول جمهور الأُمَّة، وقال ابن مسعود: إِذا أَدَّى ثُلث الكتابة فهو عتيق غريم[٤].

وقال علي بن أَبي طالب: العتاقة تجري فيه بأَول نَجْم يؤديه[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم﴾، قال المفسرون: هو أَمر لكل مكاتب أَن يضع للعبد من مال كتابته، واستحسن ذلك علي بن أَبي طالب أَن يكون ذلك ربع الكتابة، قال الزهراوي: ورُوي ذلك عن النبي ﷺ[٦].

= (١٠/ ٣١٨) من طريق الثوري، عن عبد الكريم الجزري، عن نافع، عن ابن عمر، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد مستقيم، وأما أثر سلمان، رضي الله عنه، فرواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٤) من طريق الثوري عن أبي جعفر الفراء، عن أبي ليلى الكندي، وهذا إسناد لا بأس به إن كان الكندي سمعه من سلمان.

(١) انظر قول مالك في: شرح البخاري لابن بطال (٧/ ٧٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٧٨) بتصرف.

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٤٥).

(٤) في إسناده انقطاع، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٠٦) من طريق طارق بن عبد الرحمن، عن الشعبي، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به، والشعبي لم يسمع من ابن مسعود، قاله أبو حاتم الرازي، انظر المراسيل لابن أبي حاتم (٥٩١).

(٥) «يؤديه»: من المطبوع ولالاليه ونور العثمانية، والأثر في إسناده انقطاع، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٠) من طريق الحكم، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، به، والحكم هو ابن عتيبة، وروايته إنما تقع عن التابعين.

(٦) غريب، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٣٠٥) من طريق ابن جريج، قال: أخبرني عطاء بن السائب، أن عبد الله بن جندب، أخبره عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وعبد الله =

واستحسن الحسن بن أَبي الحسن، وابن مسعود ثُلُثَها[١]، وقال قتادة: عُشْرَها[٢].

ورأَى عمر بن الخطاب أَن يكون ذلك من أَول نجومه مبادرةً إِلى الخير وخوف أَلَّا يُدرك آخرها[٣]، ورأَى مالك رحمه الله، وغيره أَن يكون الوضع من آخر نَجْم[٤]، وعلة ذلك أَنه إِذا وضع من أَول نجْم ربما عجز العبد فرجع هو ومالُه إِلى السيِّد، فعادت إِليه وضيعته، وهي شبه الصدقة، وهذا قول عبد الله بن عمر[٥].

[٤/ ١٠٠] ورأَى مالك رحمه الله هذا الأمر على / الندب، ولم يَـرَ لقدر الوضيعة حدّاً[٦].

ورأَى الشافعي وغيره الوضيعة واجبة يحكم بها الحاكم على المكاتب وعلى ورثته[٧].

وقال الحسن، والنَّخَعيُّ، وبُـرَيْدَة: إِنما الخطاب بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم﴾ للناس أَجمعين في أَن يتصدَّقوا على المكاتَبين، وأَن يعينوهم في فكاك رقابهم[٨].

وقال زيد بن أَسلم: إِنما الخطاب لولاة الأُمور بأَن يعطوا للمكاتَبين من مال

= ابن جندب إن كان الأزدي فروايته عن التابعين، انظر: التاريخ الكبير (٥/ ٦٢).

(١) انظر قول الحسن وابن مسعود رضي الله عنه في: تفسير القرطبي (١٢/ ٢٥٢).

(٢) انظر قول قتادة في: الأوسط (١١/ ٤٧٠)، وانظر قول عمر في: تفسير الطبري (١٩/ ١٧١).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٥١٠) من طريق أبي شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب، وهذا إسناد ضعيف، أبو شبيب هو يوسف بن عبد الله القيسي، قال فيه ابن معين: لا شيء، انظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٢٥).

(٤) انظر قول مالك وابن عمر رضي الله عنه في: الاستذكار (٧/ ٣٨٣-٣٨٥).

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (١٩/ ١٧٢) من طريق سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر، رضي الله عنهما، به.

(٦) الكافي في فقه أهل المدينة (٢/ ٩٨٧).

(٧) انظر: الأم (٨/ ٣٩).

(٨) لا بأس به، أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١١/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٥٠٣)، من طريق الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه به، وهذا إسناد صحيح، وانظره مع قول الحسن والنخعي في: الأوسط (١١/ ٤٦٨).

الصدقة حظَّهم، وهو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧][(١)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

روي أَن سبب هذه الآية هو أَن عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول كانت له أَمَةٌ تسمى مُسيْكَة، وقيل: معاذة، فكان يأْمرها بالزنا والكسب به، فشكت ذلك إِلى النبي ﷺ، فنزلت الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ راجع إِلى الفتيات، وذلك أَن الفتاة إِذا أَرادت التَّحَصُّن فحينئذ يُتَصور ويمكن أَن يكون السَّيِّد مكرِهاً، ويمكن أَن يُنْهَى عن الإِكراه، وإِذا كانت الفتاة لا تريد التَّحصُّن فلا يُتصوَّر أَن يقال للسيِّد: لا تُـكْرِهْها؛ لأَن الإِكراه لا يُتصور فيها وهي مريدةٌ للزنى، فهذا أَمر في [سادة وفتيات][(٣)] حالهم هذه.

وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين، فقال بعضهم: قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ﴾ راجعٌ إِلى ﴿ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ في قوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾، وقال بعضهم: هذا الشرط في قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ﴾ مُلغى، ونحو هذا مما ضُعِّف، والله الموفق للصواب برحمته.

و﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في هذه الآية: الشيءُ الذي تكتسبه الأَمَةُ بفرجها، ومعنى باقي الآية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بهن، وقد يُتَصوَّر الغُفْران والرحمةُ بالمُكْرَهين بعد أَن تقع التوبة من ذلك، فالمعنى: غفور لمن تاب.

وقرأَ ابن مسعود، وجابر بن عبد الله، وابن جبير: (لَهُنَّ غفورٌ رحيمٌ) بزيادة: (لَهُنَّ)[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٢٩) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) سقطت من أصول المطبوع فقال في الحاشية إنه نقلها عن القرطبي، مع أنها في أصولنا كلها.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لابن جبير: في: تفسير الطبري (١٨/ ١٣٣)، ولابن عباس في المحتسب (٢/ ١٠٧)، ولابن مسعود في غرائب التفسير (٢/ ٧٩٦)، ولجابر في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٥٥).

ثم عدَّد تعالى على المؤمنين نعمته فيما أنزل إليهم من الآيات المنيرات، وفيما ضرب لهم من أَمثال الماضين من الأمم ليقع التحفُّظ مما وقع أُولئك فيه، وفيما ذكر لهم من المواعظ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياءِ، أَي: بَيَّنَها الله تعالى وأَوضحها، وقرأَ الحسن، وطلحة، وعاصم، والأَعمش: ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بكسر الياءِ[1]، أَي: بَيَّنت الحقَّ وأَوضحته.

قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾.

النُّور في كلام العرب: الأَضواءُ المدركة بالبصر، ويستعمل مجازاً فيما صحَّ من المعاني ولاح، فيقال منه[2]: كلام له نور، ومنه الكتابُ المنير، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى ... نُـوراً وَمِنْ فَلَـقِ الصَّبَـاحِ عَمُوداً[3]

والله تعالى ليس كمثله شيءٌ، فبيَّن أَنه ليس كالأَضواء المُدْركة، ولم يبق للآية معنى إِلَّا أَنه أَراد: الله ذو نور السماوات والأَرض، أَي به[4] وبقدرته أَنارت أَضواؤُها، واستقامت أُمُورُها، وقامت مصنوعاتها، فالكلام على التقرير للذهن، كما تقول: الملِك نور الأُمَّة، أَي به قوام أُمورها وصلاحُ جُملتها، والأَمر في الملك مجازٌ، وهو في صفة الله تعالى حقيقة محضة؛ إِذ هو الذي أَبدع الموجودات، وخلق العقل نوراً هادياً؛ لأَن

---

(١) وهما سبعيتان، والثانية لابن عامر وحمزة والكسائي وحفص، انظر: التيسير (ص: ١٦٢)، وعزوها للحسن والأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٣٩)، ولطلحة في البحر المحيط (٨/ ٤٢).

(٢) «منه» ليست في المطبوع.

(٣) البيت لأبي تمام كما في الأغاني (١٦/ ٤١٦)، والحماسة المغربية (١/ ٣٥١)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٤٠٤).

(٤) «به» مع الواو بعدها ليست في المطبوع.

ظهور الوجود به حصل، كما حصل بالضوء ظهور المُبْصَرَاتِ، تبارك الله لا ربَّ سواه.

وقالت فرقة: التقدير: دينُ الله نور السماوات والأَرض، قال ابن عباس: المعنى: الله[١] هادي أَهل السماوات والأرض، والأول أَعمُّ للمعاني وأَوضح مع التأَمل.

وقرأَ عبد الله بن عياش بن أَبي ربيعة، وأَبو عبد الرحمن السُّلَمي: (الله نوَّرَ) بفتح النون والواو المشددة وفتح الراءِ على أَنه فِعْل[٢].

وروي أَن اليهود لما نزلت هذه الآية جسموا في تأْويلها، واعترضوا محمداً ﷺ بأَن قالوا: كيف هو نور الأَرض والسماء بيننا وبينه، فنزلت حينئذ ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ الآية[٣]، أَي: ليس الأمر كما ظننتم، وإِنما هو نور بأَنه قوامُ كل شيءٍ وخالقُه ومُوجده، مثل نوره كذا وكذا.

واختلف المتأَولون في الضمير في ﴿نُورِهِۦ﴾ على من يعود:

فقال كعب الأحبار، وابن جبير: هو عائد على محمد ﷺ، أَي: مَثَل نور محمد[٤].

وقال أُبيٌّ بن كعب[٥]، وابن جبير، والضحاك: هو عائد على المؤمنين.

وفي قراءة أُبي بن كعب: (مَثَل نُور المؤمن)، ورُوي أَن في قراءَته: (مَثَل نُور المؤمنين)، وروي أَن فيها: (مَثَلُ نُور من آمَنَ بِهِ)[٦].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٥٩)، ولآخرين في تفسير الثعلبي (٧/ ١٠١)، والكامل للهذلي (ص: ٦٠٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٤٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم (١٤٥٧٠) في تفسيرهما، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً به.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ١٧٩)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٠١).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ١٧٨) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد ضعيف، أبو جعفر الرازي، سيئ الحفظ، انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ١٩٢)، ولم أجد من تابعه على روايته تلك.

(٦) وكلها شاذة، انظر الأولى والثالثة في تفسير الطبري (١٩/ ١٧٩)، والثانية في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٦)، =

وقال الحسن: هو عائد على القرآن والإِيمان[١].

وقال مكي بن أَبي طالب: وعلى هذه الأَقوال يوقف في قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه أَقوال فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر، وفيها تقطع المعنى المراد بالآية.

وقالت فرقة: الضمير في ﴿نُورِهِۦ﴾ عائد على الله، ثم اختلفت هذه الفرقة في المراد بالنور الذي أُضيف إِلى الله تعالى:

[فقال قوم: إضافته إلى الله تعالى][٣] إِضافة خلق إِلى خالق، كما تقول: سماءُ اللَّهِ، وناقةُ اللَّهِ، فقال بعضها: هو محمد، وقال بعضها: هو المؤمن، وقال بعضها: هو الإِيمان والقرآن.

وهذه الأَقوال متَّجهة مُطَّرد معها المعنى، فكأَن اليهود لما تأَولوا ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بمعنى الضوء قيل لهم: ليس كذلك، وإِنما هو نور بأَنه قوام كل شيءٍ وهاديه، مثل نوره في محمد، أَو في المؤمن، أَو في القرآن والإِيمان كمشكاة، وهي الكُوَّةُ غير النافذة فيها القنديل ونحوه/. [٤/ ١٠١]

وهذه الأَقوال الثلاثة تطَّرد[٤] فيها مقابلة جزءٍ من المثال لجزءٍ من المُمَثَّل، فعلى قول من قال: المُمَثَّل به محمد ﷺ، وهو قول كعب الحبر[٥]، فرسول الله ﷺ هو المشكاة، أَو صدره، والمصباح: هو النبوة وما يتصل بها من علمه[٦] وهداه، والزجاجة:

= وسقطت هذه الفقرة كلها من نور العثمانية والقراءة الأولى من نجيبويه، وهي في الأصل والإماراتية بلفظ الجمع كالثانية.

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم رقم: (١٥٣٥٦).

(٢) الهداية لمكي (٨/ ٥١٠٨).

(٣) زيادة من لالاليه والحمزوية.

(٤) في المطبوع: «تضطرد».

(٥) في المطبوع: «الخير»، وفي لالاليه: «الأحبار»، وانظر قوله في تفسير الطبري (١٩/ ١٧٩).

(٦) في لالاليه ونور العثمانية: «عمله».

قلبه، والشجرة المباركة: هي الوحيُ والملائكة رسل الله إِليه وسببه المتصل به، والزيت: هو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي.

وعلى قول من قال: المُمَثَّل به المؤمن، وهو قول أُبيٍّ بن كعب، فالمشكاة: صدره، والمصباح: الإِيمان والعلم، والزجاجة: قلبه، والشجرة: القرآن، وزيتُها: هو الحجج والحكمة التي تضمنها.

قال أُبي: فهو على أَحسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحيِّ يمشي في قبور الأَموات[(١)].

ومن قال: إِنَّ المُمَثَّل به القرآن والإِيمان فتقدير الكلام: مثل نوره ـ الذي هو الإِيمان في صدر المؤمن ـ في قلبه كمشكاة، أَي: كهذه الجملة.

وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالأَولين؛ لأَن المشكاة ليست تقابل الإِيمان.

وتحتمل الآية معنى آخر ليس فيه مقابلة جزءٍ من المثال لجزءٍ من المُمَثَّل به؛ بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة، [وذلك أَن يريد: مثل نور الله الذي هو هُداه وإِتقانه صنعةَ كل مخلوق وبراهينُه الساطعة على الجملة][(٢)] كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أَنتم على هذه الصفة التي هي أَبلغ صفات النور الذي بين أَيدي الناس، أَي: فمَثَلُ نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أَيُّها البشر.

و«المِشْكَاةُ»: الكُوَّة في الحائط غير النافذة، قاله ابن جُبير، وسعيد بن عياض[(٣)]،

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ١٧٨) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، رضي الله عنه، به.

وهذا إسناد ضعيف، أبو جعفر الرازي، وهو صدوق سيئ الحفظ.

(٢) سقط من الأصل، قال في حاشية المطبوع: إن هذه الجملة سقطت من كل النسخ الأصلية إلا نسخة واحدة.

(٣) هو سعيد بن عياض أبو عثمان. طليطلي. كنيته: أبو يحيى، رحل، فسمع من سحنون، ومن يحيى بن =

وجمهور المفسرين[١]، وهي أَجمع للضوءِ، والمصباح فيها أَكثر إِنارة منه في غيرها.

وقال مجاهد: المشكاة: العمود الذي يكون المصباح على رأْسه[٢].

وقال أَبو موسى: المشكاة: الحديدة أَو الرصاصة التي يكون فيها الفتيل في جوف الزجاجة[٣].

وقال مجاهد أيضاً: المشكاة: الحدائد التي يعلق بها القنديل[٤].

والأَول أَصحُّ[٥] هذه الأقوال.

وقوله: ﴿فِي زُجَاجَةٍ﴾ لأَنه جسم شفاف، المصباح فيه أَنورُ منه في غير الزجاج.

و«المصْبَاحُ»: الفتيل بناره.

وأَمال الكسائي ـ فيما روى عنه أَبو عمر الدوري[٦] ـ الألفَ من ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ فكسر الكاف التي قبلها[٧].

وقرأَ نصر بن عاصم: (فِي زَجَاجَة) بفتح الزاي و(الزَّجاجة) كذلك[٨]، وهي لغة.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ أَي في الإِنارة والضوءِ، وذلك يحتمل معنيين: إِمَّا أَن يريد أَنها بالمصباح كذلك.

= مزين، وعليه عول. وكان من أهل المسائل والفتيا والفقه. قال ابن الفرضي: وكان من أهل الرواية، انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٢٧١).

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٨٣)، ولم أقف على قول ابن جبير.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٨٣)، بتصرف يسير.

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٥).

(٥) في أحمد٣ والحمزوية ولالاليه: «أوضح».

(٦) في الأصل والمطبوع: «أبو عمرو الداني».

(٧) والباقون بالفتح، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٥٥).

(٨) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الثعلبي (٧/ ١٠٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٠٨).

وإِمَّا أَن يريد أَنها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها كذلك.

وهذا التأْويل أَبلغُ في التعاون على النور.

قال الضحاك: الكوكب الدُّرِّيُّ هو الزُّهرة[١].

وقرأَ نافع، وابن عامر، وحفص [عن عاصم][٢]: ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضم الدال وشد الياءِ، ولهذه القراءة وجهان:

إِمَّا أَن يُنْسب الكوكبُ إِلى الدُّرِّ لبياضه وصفائه.

وإِما أَن يكون أَصله: دُرِّيءٌ مهموز من الدَّرءِ[٣] وهو الدفع، وخُفِّفَت الهمزة.

وقرأَ حمزة، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿دُرِّيءٌ﴾ بالهمز، وهو فُعِّيل من الدَّرأ، بمعنى أَنها تدفع بعضها بعضاً، أَو بمعنى أَن بها ما يدفع خفاءَها، وفُعِّيل: بناءٌ لا يوجد في الأَسماء إِلَّا في قولهم: مُرِّيق للْعُصْفُور، وفي السُّرِّية إِذا اشتقت من السِّر.

وَوَجَّه هذه القراءة أَبو عليٍّ[٤] وضَعَّفَها غيره.

وقرأَ أَبو عمرو، والكسائي: ﴿دِرِّيءٌ﴾ على وزن فِعِّيل بكسر الفاءِ، من الدَّرْءِ، وهذه متوجهة[٥].

وقرأَ قتادة: (دَرِّيءٌ) بفتح الدال والهمزة، قال أَبو الفتح: وهذا عزيزٌ، وإِنما حُفظ منه السَّكِّينَةُ بشد الكاف.

وقرأَ سعيد بن المسيب، وأَبو رجاءٍ، ونصر بن عاصم: (دَرِّيٌ) بفتح الدال دون همز[٦].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٠٣).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في المطبوع: الدرأ في الموضعين.

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٣٢٣).

(٥) ثلاث قراءات سبعية، وابن كثير مع نافع انظر التيسير (ص: ١٦٢).

(٦) وهما قراءتان شاذتان انظرهما في مختصر الشواذ (ص ١٠٣)، ومع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٠٩)، مع اختلاف في الضبط.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم، وطلحة، والأَعمش، والحسن، وقتادة، وابن وثاب، وعيسى: ﴿تُوقَدُ﴾ بضم التاءِ، أَي: الزجاجة.

وقرأ أَبو عمرو، وأَهل الكوفة، والحسن، وابن محيصن: (تَوَقَّدُ) بفتح التاءِ والواو وشد القاف وضم الدال، أَي: الزجاجة.

وقرأ أَبو عمرو أَيضاً، وابن كثير: ﴿تَوَقَّدَ﴾ بفتح التاءِ والدال، أَي: المصباحُ.

وقرأ عاصم فيما روى عنه إِسماعيل: (يُوَقَّد) بالياءِ المرفوعة [وفتح الواو][1]، على معنى: يُوقَدُ المصباح.

[وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿يُوقَدُ﴾ بضم الياء، أي: المصباح][2].

قال أَبو الفتح: وقرأ السُّلَمي، والحسن، وابن محيصن، وسَلَّام، وقتادة: (يَوَقَّد) بفتح الياءِ والواو والقاف المشددة ورفع الدال، أَصله: يَتَوَقَّدُ[3].

وقوله: ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أَي: من زيت شجرة.

و«المباركة»: المُنَمَّاة، والزيتون من أَعظم الثمار نماءً، واطِّرادَ أَفنانٍ، وغضارةً لا سيما بالشام، والرُّمان كذلك، والعيان يقضي بذلك، وقول أَبي طالب يرثي مسافر بن أَبي عمرو ابن أُمية بن عبد شمس:

[الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافَرَ بنَ أَبي عَمْـ ... ـرٍو، وليْـتٌ يَـقُـولُـهـا الْمَحْـزُون

بُـوركَ الْمَيِّـتُ الْغَرِيـبُ كَمَـا بُو ... رِكَ نَـبْـعُ الـرُّمَّـان والـزَّيْـتُـونُ[4]

---

(١) سقط من المطبوع والأصل، وفي أحمد٣: «وفتح القاف».

(٢) سقط من المطبوع والأصل، وهذه خمس قراءات الأولى والثالثة والخامسة سبعية كما في التيسير (ص: ١٦٢)، والثانية في السبعة (ص: ٤٥٦)، والرابعة في الكامل للهذلي (ص: ٦٠٨).

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٠٩).

(٤) انظر نسبتها له في الاشتقاق (١/ ١٦٦)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٢٦٠)، والأغاني (٩/ ٦٣)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٦٨).

وقوله تعالى: ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ قرأ الجمهور فيهما بالخفض عطفاً على ﴿زَيۡتُونَةٖ﴾.

وقرأ الضحاك: (لا شَرْقيّةٌ ولا غَرْبيّةٌ) بالرفع[١].

واختلف المتأولون في معناه:

فقال ابن عباس ـ فيما حكى عنه الطبري ـ: معناه أَنها شجرة في دوحة قد أَحاطت بها، فهي غير منكشفة من جهة الشرق ولا من جهة الغرب[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول لا يصح عندي عن ابن عباس؛ لأَن الوجود يقتضي أَن الشجرة التي تكون بهذه الصفة ينفسد جناها.

وقال الحسن: ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا، وإِنما هو مثل ضربه الله لنوره، ولو كانت في الدنيا لكانت إِما شرقية وإِما غربية[٣].

وقال ابن زيد: أَراد أَنها من شجر الشام؛ [فهي ليست من شرق الأرض ولا من غربها][٤] لأن شجر الشام هي أَفضل الشجر، وهي الأرض المباركة[٥].

وقال ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم: المعنى في قوله: ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ أَنها في منكشف من الأَرض، تصيبها الشمس طول النهار، تستدير عليها، أي فليست خالصة للشرْق فتُسمَّى شرقية، ولا للغرب فتُسمَّى غربية، [بل هي شرقية وغربية][٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٣).

(٢) نحوه في تفسير الطبري (١٩/ ١٨٠) عن ابن عباس عن كعب الأحبار بلفظ: لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ١٨٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠١)، بتصرف يسير.

(٤) سقط من الأصل والمطبوع، وفيه: «أبو زيد».

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ١٨٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٢)، تفسير الثعلبي (٧/ ١٠٣)، بتصرف يسير.

(٦) سقط من الأصل والمطبوع، والأثر أخرجه الطبري (١٩/ ١٨٦) من طريق قابوس بن أبي ظبيان، =

وقولـه: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ﴾ مبالغـة فـي صفـة صفائـه وحُسـنه وجودته[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَمْسَسْهُ﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأَ ابن عباس، والحسن بالياءِ من تحت[٢].

وقوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي هذه كلها معادن تكامل بها هذا النور المُمَثَّل به.

وفي هذا الموضع تم المثال.

ثم ذكر تعالى هداه لنوره من شاءَ وأَسعد من عباده، وذكر تفضُّله في ضرب الأمثال[٣] للعباد؛ ليقع لهم العبرة والنظر/ المؤدي إلى الإيمان. [٤/ ١٠٢]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾.

الباءُ في ﴿بُيُوتٍ﴾ تُضم وتُكسر لغة[٤].

واختُلف في الفاء من قوله: ﴿فِي﴾ فقيل: هي متعلقة بـ ﴿مِصْبَاحٌ﴾، قال أَبو حاتم: وقيل: متعلقة بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ المتأَخر، فعلى هذا التأْويل يوقف على ﴿عَلِيمٌ﴾.

قال الرماني: هي متعلقة بـ ﴿يُوقَدُ﴾[٥].

واختلف الناس في البيوت التي أَرادها بقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾

= عن أبيه، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وقابوس ضعيف الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٢٧).

(١) في المطبوع: «في صفة من صفاته وحسن جودته».

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها لابن عباس رضي الله عنهما في المحتسب (٢/ ١١٠)، ومختصر الشواذ (ص: ١٠٤).

(٣) في المطبوع: «الأفعال».

(٤) سقطت من الأصل والمطبوع، والقراءتان فيها سبعيتان كما تقدم في البقرة.

(٥) انظر القولين في البحر المحيط (٨/ ٤٧).

فقال ابن عباس، والحسن، ومجاهد: هي المساجد المخصوصة لله تعالى التي من عادتها أَن تُنَوَّر بذلك النوع من المصابيح.

وقال الحسن بن أَبي الحسن: أَراد بيت المقدس، وسمَّاه بيوتاً من حيث فيه مواضع يتحيَّز بعضها عن بعض[١].

ويؤثر أَن عادة بني إِسرائيل في وقيد بيت المقدس كانت غاية في التَّهمُّم به، وكان الزيت[٢] منتخباً مختوماً على ظروفه، وقد صُنع صنعة وقُدِّس حتى لا يجري الوقيد بغيره، فكان [لهذا ونحوه][٣] أَضوأَ بيوت أهل[٤] الأرض.

وقال عكرمة: أَراد بيوت الإِيمان على الإِطلاق، مساجد ومساكن، فهي التي يستصبح فيها بالليل للصلاة وقراءَة العلم.

وقال مجاهد: أَراد بيوت النبي ﷺ[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ يُقَوِّي أَنها المساجد.

وقوله: ﴿أَذِنَ﴾ بمعنى أَمَرَ وقَضَى، وحقيقة الإِذن: العلمُ والتمكين دون حظر، فإِن اقترن بذلك أَمْرٌ وإِنفاذ كان أَقوى.

و﴿تُرْفَعَ﴾ قيل: معناه تُبْنى وتُعَلَّى، قاله مجاهد وغيره[٦]، فذلك كنحو قوله

---

(١) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٥)، والأول في تفسير الطبري (١٩/ ١٨٩)، ولم أقف عليه من قول ابن عباس.

(٢) في الأصل: «البيت».

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) من الإماراتية.

(٥) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٤)، والأول في تفسير الطبري (١٩/ ١٩٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٠٦).

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ١٨٩)، وتفسير ابن ابي حاتم (٨/ ٢٦٠٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٠٦).

تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقال رسول الله ﷺ: «من بنى مسجداً من ماله بنى الله له بيتاً في الجنة»[١]، وفي هذا المعنى أَحاديث.

وقال الحسن بن أَبي الحسن وغيره: معناه تُعظَّم ويُرفع شأْنها[٢].

وذِكْرُ اسْمه تعالى هو بالصلاة والعبادة قولاً وفعلاً.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم: ﴿يُسَبَّحُ﴾ بفتح الباءِ المشددة، وقرأَ الباقون وحفص عن عاصم: ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباءِ المشددة[٣].

فـ﴿رِجَالٌ﴾ على القراءَة الأُولى مرتفع بفعل مضمر يدل عليه ﴿يسبَّح﴾، تقديره: يُسبِّحُه رجال، فهذا عند سيبويه نظير قول الشاعر:

[الطويل]

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ[٤] ....

أَي: يبكيه ضارعٌ، و﴿رِجَالٌ﴾ ـ على القراءة الثانية ـ مرتفع بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ الظاهر.

وروي عن يحيى بن وثاب أَنه قرأَ: (تُسَبِّحُ) بالتاءِ من فوق[٥].

و«الغُدُو والآصال»: قال الضحاك: أَراد الصبح والعصر[٦].

وقال ابن عباس: أَراد ركعتي الضحى والعصر، وإِن ركعتي الضحى لفي كتاب الله، وما يغوص عليهما إِلا غواص[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وليست فيه قوله: من ماله.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٩٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٠٦)، ولفظة: «وغيره» ليست في المطبوع.

(٣) من المطبوع وهما سبعيتان، والصواب عزو الأولى لابن عامر وشعبة، انظر التيسير (ص: ١٦٢).

(٤) تمامه: وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ، وقد تقدم في تفسير الآية (٧٢) من سورة الأنعام.

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤).

(٦) لم أقف عليه، وفي الأصل والمطبوع: «الصبح والظهر».

(٧) إسناده لا بأس به، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٠٧) من طريق محمد بن شريك، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقرأ أبو مجْلَز: (والإِيصَالِ)[١].

ثم وصف تعالى المسبحين بأَنهم لمراقبتهم أَمر الله تعالى وطلبهم لرضاه لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شيءٌ من أُمور الدنيا.

وقال كثير من الصحابة: نزلت هذه الآية في أَهل الأَسواق الذين إذا سمعوا النداءَ بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إِليها، فرأَى سالم بن عبد الله بن عمر أَهل الأَسواق وهم مقبلون إِلى الصلاة فقال: هؤلاءِ الذي أَراد الله تعالى بقوله: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]، وروي ذلك عن ابن مسعود[٣].

﴿وَإِقَامِ﴾: مصدرٌ من أَقام يُقيم، أَصله إِقْوَام، نقلت حركة الواو إِلى القاف فبقيت ساكنة والأَلف ساكنة، فحذفت [الواو لالتقاء الساكنين][٤]، فجاءَ إِقام.

فقال بعض النحويين: هو مصدر بنفسه قد لا يضاف، وقيل: لا يجوز أَقمته إِقاماً، وإِنما يستعمل مضافاً، ذكره الرماني[٥].

وقال بعضهم من حيث رأَوْهُ[٦] لا يستعمل إِلا مضافاً: إنه[٧] أُلْحقت به هاءٌ عِوَضاً من المحذوف فجاءَ إِقامة[٨]، فهم إِذا أَضافوه حذفوا العِوَض لاستغنائهم عنه، فإِن المضاف والمضاف إِليه كاسم واحد.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٩٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٩٢) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٢) والبيهقي في الشعب (٣/ ٧٦) كلهم من طريق هشيم، عن سيار، عمن حدثه عن ابن مسعود رضي الله عنه به، وإسناده ضعيف لتدليس هشيم وإبهام راويه عن ابن مسعود.

(٤) في الأصل والإماراتية بدله: «للالتقاء».

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في الأصل والإماراتية: «رواه».

(٧) زيادة من لالاليه ونور العثمانية والإماراتية.

(٨) في المطبوع: «إقامه».

و﴿ٱلزَّكَوٰةِ﴾ هنا عند ابن عباس: الطاعة لله[١]، وقال الحسن: هي الزكاة المفروضة في المال[٢]. واليوم المخوف الذي ذكره تعالى هو يوم القيامة.

واختلف الناس في تقلُّب القلوب والأَبصار، كيف هو؟ فقالت فرقة: يرى الناس الحقائق عياناً فتتقلب قلوب الشَّاكِّين ومعتقدي الضلال عن معتقداتها إِلى اعتقاد الحق على وجهه، وكذلك الأَبصار، وقالت فرقة: هو تَقَلُّبٌ على جمر جهنم.

ومقصد الآية: هو وصف هول يوم القيامة، فأَما القول الأَول فليس يقتضي هَوْلاً، وأَما الثاني فليس التقلب في جمر جهنم في يوم القيامة، وإِنما هو بعده، وإِنما معنى الآية عندي: أَن ذلك اليوم[٣] ـ لشدة هوله ومطلعه ـ القلوبُ والأبصار فيه مضطربةٌ قلقة متقلبة من طمع في النجاة إِلى طمع، ومن حذر هلاك إِلى حذر، ومن نظر في هول إِلى النظر في الآخر. والعرب تستعمل هذا المعنى في الحروب ونحوها، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] .... بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ[٤]

ومنه قول بشَّار:

[الوافر] كَـأَنَّ فُــؤَادَهُ كُــرَةٌ تَـنَـزَّى[٥] ....

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٦٥٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ١٠٩).

(٣) «اليوم» ساقطة من المطبوع.

(٤) صدره: هلا كررت على غزالة في الوغى، وغزالة امرأة من الحرورية، وهو لعمران بن حطان يهجو الحجاج، كما في الأغاني (١٨/ ١٢٢)، والحماسة البصرية (١/ ٧٠)، وحاشية الخفاجي على البيضاوي (١/ ٣٨٣)، ونسبه في الكامل (٣/ ٢٩) للشيباني.

(٥) عجزه: حِذَار البَيْنِ لَوْ نَفَعَ الحِذَارُ، نسبه له القالي في الأمالي (٢/ ٦٣)، والجاحظ في الحيوان (٥/ ٢٤١)، والمبرد في الكامل (٣/ ٣٦)، ونسبه في تاج العروس (٤٠/ ٦٧) لنُصَيْب، وأنشده في لسان العرب (١٥/ ٣١٩) على الخلاف بينهما.

[ومنه قول الآخر: إذا حملق[١] النَّجِيد، وصَلْصَلَ الحديد][٢]، وهذا كثير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

اللام في قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ متعلقة بفعل مضمر تقديره: فعلوا ذلك، ويسَّروا لذلك، ونحو هذا، ويحتمل أَن تكون متعلقة بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾.

وقوله: ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ فيه حذف مضاف تقديره: ثواب أَحسن، ثم وعدهم عزَّ وجلَّ / بالزيادة من فضله على ما تقتضيه أَعمالهم، فأَهل الجنة أَبداً في مزيد، ثم ذكر أَنه يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ، ويخصه بما يشاءُ من رحمته دون حساب ولا تعديد، وكل تفضُّل لله فهو بِغَيْرِ حِسابٍ، وكل جزاءٍ على عمل فهو بحساب. [٤/ ١٠٣]

ولما ذكر الله تعالى فيما تقدم من هذه الآية حالة الإِيمان والمؤمنين وتنويره قلوبهم، عقَّب ذلك بذكر الكفرة وأَعمالهم، فمثَّل لها ولهم تمثيلين:

الأَول منهما: يقتضي حال أَعمالهم في الآخرة، من أَنها غير نافعة ولا مجدية.

والثاني[٣]: يقتضي حالها في الدنيا، من أَنها في الغاية من الضلال والغُمَّة التي مثالها ما ذكر من تناهي الظُّلمة في قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾.

و«السَّرَابُ»: ما ترقرق من الهواءِ في الهجير في فيافي الأَرض المنبسطة، وأَوهم الناظر إِليه على بُعْد أَنه ماءٌ، سُمِّي بذلك لأَنه ينسرب كالماءِ، فكذلك أَعمالُ الكافر،

---

(١) في الأصل: «حلق»، وفي نجيبويه: «حمل».

(٢) من كلام علبة بن مسهر الحارثي يصف عمه زياداً، كما في أمالي القالي (١/ ٢٣).

(٣) وفي المطبوع: «ذلك» بدل «الثاني».

يظن في دنياه أَنها نافعته، فإِذا كان يوم القيامة لم يجدها شيئاً، فهي كالسراب الذي يظنه الرائي العطشان ماءً، فإِذا قصده وأَتعب نفسه بالوصول إِليه لم يجد شيئاً.

و«القِيعَة»: جمع قاعٍ، كجارٍ وجيرة، والقاعُ: المنخفض البساط من الأَرض، ومنه قول النبي ﷺ في مانع زكاة الأنعام: «فَيُبْطَحُ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ»[١]، وقيل: القيعة مفرد، وهو بمعنى القاع.

وقرأ مسلمة بن محارب: (بِقِيعَاتٍ) [٢].

وقرأ أَبو جعفر، وشيبة، ونافع بخلاف: (الظَّمَان) بفتح الميم وطرح حركة الهمزة على الميم وترك الهمزة[٣].

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ يريد: شيئاً نافعاً في العطش، أَو يريد: شيئاً موجوداً على العموم، ويريد بـ﴿جَآءَهُۥ﴾: جاءَ موضعه الذي تخيله فيه.

ويحتمل أَن يعود الضمير في ﴿جَآءَهُۥ﴾ على السراب، ثم يكون في الكلام بعد ذلك متروك يدل عليه الظاهر، تقديره: فكذلك الكافر يوم القيامة يظن عمله نافعاً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً.

ويحتمل الضمير أَن يعود على العمل الذي يدل عليه قوله: ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، ويكون تمام المثل في قوله: ﴿مَآءً﴾، ويستغني الكلام عن متروكٍ على هذا التأْويل، لكن يكون في المثل إِيجازٌ واقتضاب لوضوح المعنى المراد به.

وقوله: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أَي: بالمجازَاة[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٠٤)، والمحتسب (٢/ ١١٣)، وفي الحمزوية: «مسلم».

(٣) وهي شاذة، انظرها في: القرطبي (١٢/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٨/ ٥١)، وهي في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٣) للزهري والعمري.

(٤) في المطبوع: «بالمجازات»، وكأنها جمع مجاز.

والضمير في ﴿عِندَهُۥ﴾ عائد على العمل.

وباقي الآية بيِّن، فيه توعدٌ وسُرعةُ الحساب من حيث هو بعلم لا تكلف فيه.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ﴾ عطف على قوله: ﴿كَسَرَابِۭ﴾، وهذا المثال الأخير تضمن صفة أَعمالهم في الدنيا، أَي: أَنهم من الضلال ونحوه في مثل هذه الظلمة المجتمعة من هذه الأَشياء، وذهب بعض الناس إِلى أَن في هذا المثال أَجزاءً تقابل أَجزاءً من المُمَثَّل به، فقال: الظلمات: الأَعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة.

و«البَحْرُ اللُّجيُّ»: صدر الكافر وقلبه، واللُّجِّيُّ معناه: ذو اللُّجَّة، وهي معظم الماءِ وغمره، واجتماع مائه أَشدُّ لظُلْمَته، و«الموجُ»: هو الضلال أَو الجهالة التي غمرت قلبه، والفِكَر المعوجة، و«السَّحاب»: هو شهوته في الكفر وإِعراضه عن الإِيمان، وما رِين به على قلبه.

وهذا التأْويل سائغ، وأَن لَا يُقَدَّر هذا التقابل سائغ.

وقرأَ سفيان بن حسين: (أَوَ كَظُلُمَاتٍ) بفتح الواو[1].

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿سَحَابٌ﴾ بالرفع والتنوين ﴿ظُلُمَٰتُۢ﴾ بالرفع[2].

وقرأَ ابن كثير في رواية قنبل: ﴿سَحَابٌ﴾ بالرفع والتنوين ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ بالخفض على البدل من (ظُلُمَاتٍ) الأَول.

وقرأَ ابن أَبي بزة عن ابن كثير: ﴿سَحَابُ﴾ بغير تنوين على الإِضافة إِلى ﴿ظُلُمَاتٍ﴾[3].

وقوله: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾ لفظ يقتضي مبالغة الظُّلْمَة، واختلف الناس في هذا اللفظ، هل يقتضي أَن هذا الرجل ـ المقدر في هذه الأَحوال وأَخرج يده ـ رأَى

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط (٨/ ٥٣).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٦٢).

يده أَو لم يرها البَتَّة؟ فقالت فرقة: لم يرها جملة، وذلك أَن كادَ معناه قاربَ، فكأنه قال: إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لم يقارب رؤْيتها، وهذا يقتضي نفي الرؤْية جملة.

وقالت فرقة: بل رآها بعد عُسْر وشدَّة، وكاد أَلَّا يراها، ووجه ذلك أَن كادَ إِذا صحبها حرف النفي وجب الفعل الذي بعدها، وإِذا لم يصحبها انتفى الفعل.

وهذا لازم متى كان حرف النفي بعد كادَ داخلاً على الفعل الذي بعدها، تقول: كاد زيد يقوم، فالقيام منفي، فإِذا قلت: كاد زيد أَلَّا يقوم، فالقيام واجبٌ واقع، وتقول: كاد النعام يطير، فهذا يقتضي نفي الطيران عنه، فإِذا قلت: كاد النعام أَن لَا يطير، وجب الطيران له.

فإِذا كان حرف النفي مع كادَ فالأَمر محتمل، مرة يوجب الفعل، ومرة ينفيه، تقول: المفلوج لا يكاد يسكن، فهذا كلام صحيح تضمن نفي السكون، وتقول: رجل متكلم[1] لا يكاد يسكن، فهذا كلام صحيح يتضمن إِيجاب السكون بعد جهد ونادراً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] نَفْيٌ مع كادَ تضمن وجوب الذبح، وقوله في هذه الآية: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ نَفْيٌ مع كادَ يتضمن في أَحد التأْويلين نفي الرؤْية، ولهذا ونحوه قال سيبويه رحمه الله: إِن أَفعال المقاربة لها نحوٌ آخر[2] بمعنى أَنها دقيقة التصرف.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾:

قالت فرقة: يريد: في الدنيا، أَي: من لم يهده الله لم يهتد.

وقالت فرقة: أَراد: في الآخرة، أَي: من لم يرحمه الله ويُنَوِّر حاله بالعفو والرحمة فلا رحمة له، والأَول أَبين وأَليق بلفظ الآية، وأَيضاً فذلك متلازمٌ[3]، نور الآخرة إِنما

---

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «متصرف».

(٢) انظر كلامه على أفعال المقاربة ومعانيها في الكتاب (٣/ ١٥٩) وما بعدها.

(٣) في لالاليه: «ملازم»، وفي الأصل: «لازم».

هو لمن نُوِّر قلبه في الدنيا وهُدِي، وقد قررت الشريعة أَن من مَرَّ لآخرته على كفره فهو غير مرحوم ولا مغفور له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢)﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنبيهٌ، والرُّؤْيَةُ رؤْية الفكر.

قال سيبويه: كأَنه قال: انْتَبِهْ، الله يُسَبِّح له من في السماوات[1].

و«التسبيح» هنا: التعظيم والتنزيه، فهو من العقلاءِ بالنطق وبالصلاة من كل ذي دين.

واختُلف في تسبيح الطير وغير ذلك مما قد ورد الكتاب بتسبيحه:

فالجمهور على أَنه تسبيح حقيقي.

وقال الحسن وغيره: هو / لفظ تجوُّز، وإِنما تسبيحه بظهور الحكمة فيه، فهو ـ لذلك ـ يدعو إِلى التسبيح[2]. [٤/ ١٠٤]

وقال المفسرون: قوله: ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عامةٌ لكل شيءٍ، من له عقلٌ وسائر الجمادات، لكنه لمَّا اجتمع ذلك عبَّر عنه بـ﴿مَن﴾ تغليباً لحكم من يعقل.

و﴿صَافَّاتٍ﴾ معناه: مصطفة في الهواءِ.

وقرأَ الأَعرج: (وَالطَّيْرَ) بنصب الراءِ.

وقرأَ الحسن: (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٌ) مرفوعتان[3].

---

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٠).

(٢) البحر المحيط (٨/ ٥٦).

(٣) وهما شاذتان، انظر الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤)، والثانية في البحر المحيط (٨/ ٥٦)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٠٩) لخارجة عن نافع.

وقوله: ﴿كُلٌّ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾، قال الحسن: المعنى: كلٌّ قد عَلِم صلاةَ نفسه وتسبيح نفسه، فهو يثابر عليهما ويؤديهما.

وقال مجاهد: الصلاة للبشر، والتسبيح لما عداهم[١].

وقالت فرقة: المعنى: كلٌّ قد علم صلاة الله وتسبيح الله اللَّذيْن أَمر بهما وهَدَى إِليهما، فهذه إِضافة خلق إِلى خالق.

وقال الزجاج وغيره: المعنى: كُلٌّ قَدْ عَلِمَ اللهُ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ، فالضميران للكُلِّ[٢].

وقرأَت فرقة: (عُلِمَ صَلاتُه وتَسبيحُه) بالرفع وبناءِ الفعل للمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، ذكرها أَبو حاتم[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿يَفۡعَلُونَ﴾ بالياءِ، على معنى المبالغة في وصف قدرة الله وعلمه بخلقه.

وقرأَ عيسى، والحسن: (تَفْعَلُون) بالتاءِ من فوق[٤]، ففيه المعنى المذكور وزيادة الوعيد والتخويف من الله تعالى، وإِعلامٌ بَعْدُ بكون المُلْك على الإِطلاق له، وتذكيرُه بأَمر المصير إِليه والحَشْر يُقَوِّي معنى التخويف من الله تعالى.

وفي مصحف أُبي بن كعب، وابن مسعود: (وَاللهُ بَصيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦١٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ١١٢).
(٢) معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ٤٨-٤٩).
(٣) وهي شاذة نسبها في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤) لقتادة، وكتاب أبي حاتم لم أقف عليه.
(٤) وهي شاذة، انظر ها في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤).
(٥) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

الرُّؤْيَةُ في هذه الآية رؤْية عيْن، والتقدير: أَن أَمْر الله وقدرته.

و﴿ يُـزْجِى ﴾ معناه: يسوق، والإِزْجاءُ إِنما يستعمل في سَوْقِ كلِّ ثقيل ومدافعته كالسحاب والإِبل المزاحيف، كما قال الفرزدق:

.... عَلَى مَزَاحِفَ تُزْجِيهَا مَحَاسِير[1] [البسيط]

والبضاعةُ المُزْجَاةُ: التي تحتاج من الشفاعة والتحسين إِلى ما هو كسَوْقِ الثقيل، ومنه قول حبيب في الشيب: وَنَحْنُ نُزَجِّيهِ[2].

وسيبويه أَبداً يقول في كلامه: فأَنت تزجيه إِلى كذا، أَي تسوقه ثقيلاً متباطئاً[3].

وقوله: ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ أَي بين مفترق السحاب نفسه؛ لأَن مفهوم السحاب يقتضي أَن بينه فروجاً، وهذا كما تقول: جلست بين الدور، ولو أُضيفت «بين» إِلى مفرد لم يصح إِلَّا أَن تريد آخر، لا تقول: جلست بين الدار إِلا أَن تريد: وبين كذا.

وورش عن نافع لا يهمز ﴿يُوَلِّفُ﴾.

وقالون عن نافع، والباقون يهمزون ﴿يُؤَلِّفُ ﴾، وهو الأَصل[4].

و«الرُّكَامُ»: الذي يركب بعضه بعضاً ويتكاثف، والعرب تقول: إِن الله تعالى إِذا جعل السحاب ركاماً بالريح عصر بعضُه بعضاً فخرج الودق منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤]، ومن ذلك قول حسان بن ثابت:

كِلْتَاهُمَـا حَلبُ الْعَصِيـرِ فَعَاطِنِي بِزُجَاجَـةٍ أَرْخَاهُمَـا لِلْمَفْصِلِ[5] [الكامل]

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٨٨) من سورة يوسف، وذكر الرواية الأخرى فيه وهي: مخها رير.

(٢) يشير لقول أبي تمام كما في حماسة الظرفاء (١/ ٦): ونحن نُزجِّيه على الكُرهِ والرِّضَا * وأنفُ الفَتَى من وجهِهِ وهو أجدَعُ.

(٣) لم أجد مثل هذا في الكتاب ولا من نقله عنه.

(٤) وهما سبعيتان، انظر قاعدة ورش في التيسير (ص: ٣٤).

(٥) انظر نسبته له في الأغاني (٩/ ٣٢٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤١٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٣٠).

ويُـروى لِلمفْصَـل بكسـر الميـم وفتـح الصـاد، فالمِفْصَـلُ: واحـد الْمَفَاصِل، والمَفْصِل: اللِّسَـان، ويروى بالقاف، أَراد حسَّـان: الخمر والماءَ الذي مزجت به، أَي: هذه من عصر العنب وهذه من عصر السحاب، فسَّر هذا التفسير قاضي البصرة عبد الله ابن الحسن العنبري للقوم الذين حلف صاحبهم بالطلاق أَن يسأَل القاضي عن تفسير بيت حسان[١].

و﴿ٱلْوَدْقَ﴾: المطر، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب]

فَـلَا مُـزْنَـةٌ وَدَقَـتْ وَدْقَـهَـا ... وَلَا أَرْضَ أَبْـقَـلَ إِبْقَـالَـهَـا[٢]

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ وهو جمع خَلَل، كَجَبَل وجبال.

وقرأَ ابن عباس، والضحاك: (مِنْ خَلَلِه)[٣].

وقرأَ عاصم، والأَعرج: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ على المبالغة، والجمهور على التخفيف[٤].

وقوله: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ قيل: تلك حقيقة، وقد جعل الله تعالى في السماءِ جبالاً مِنْ بَرَدٍ.

وقالت فرقة: ذلك مجاز، وإِنما أَراد وصف كثرته، وهذا كما تقول: عند فلان جبالٌ من المال، أَو جبالٌ من العلم، أَي في الكثرة مثل الجبال.

وحُكي عن الأَخفش تقديره زيادة ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾[٥]، وهو قول ضعيف.

و﴿من﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هي لابتداءِ الغاية، وفي قوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ هي للتبعيض، وفي قوله: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ هي لبيان الجنس.

---

(١) انظر بعض هذه الروايات في الأغاني (٩/ ٣٢٩)، والقصة في درة الغواص (ص: ١٤٢).

(٢) البيت لعامر بن جُوَيْن الطَّائي كما تقدم في تفسيرالآية (٤٢) من سورة الإسراء.

(٣) انظر نسبتها لهما في تفسير الثعلبي (٧/ ١١٢).

(٤) ليس كذلك فالتشديد للجمهور، والتخفيف لابن كثير وأبي عمرو على قاعدتهما التي تقدمت مراراً.

(٥) انظر معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٧٦).

والسَّنا مقصوراً: الضوءُ، والسَّناءُ ممدوداً: المجد والارتفاع في المنزلة.

وقرأ الجمهور: ﴿سَنَا﴾ بالقصر، وقرأ طلحة بن مصرف: (سَنَاءُ) بالمدِّ والهمز.

وقرأ طلحة أيضاً: (بُرَقِهِ) بضم الباءِ وفتح الراءِ[1]، وهي جمع بُرْقة ـ بضم الباءِ وسكون الراءِ ـ فُعْلة، وهي القدر من البرق، كلُقْمَة ولُقَم وغُرْفَة وغُرَف.

وقرأ الجمهور: ﴿يَذْهَبُ﴾ بفتح الياءِ.

وقرأ أبو جعفر: ﴿يُذْهِبُ﴾ بضمها[2]، من أذهب، كأن التقدير: يُذهب النفوس بالأبصار، نحو قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، ويحتمل أن يكون كقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ [الحج: ٢٥] فالباءُ زائدة دالة على فعل يناسبها.

ثم اقتضت ألفاظُ الآية الإخبارَ عن تقلب الليل والنهار، والإتيان بهذا بعد هذا دون توطئة، وهذا هو الذي تعجز عنه الفصحاءُ حتى يقع منهم التخليط في الألفاظ والتوطئة بالكلام.

وباقي الآية بَيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٥ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠﴾.

هذه آية اعتبار.

---

(١) وهما شاذتان انظر نسبتهما له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٤).

(٢) وهي عشرية انظر نسبتها له في: النشر (٢/ ٣٣٢).

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿وَاللهُ خَالِقُ كُلِّ﴾، على الإضافة، وقرأ الجمهور: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ﴾[١].

[٤/ ١٠٥] و«الدَّابَّةُ»: كلُّ ما يدبُّ / من الحيوان، أَي: تحرك متنقلاً أَمامهُ قُدُماً، ويدخل فيه الطير إِذ قد يدبُّ، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... دَبِيبِ قَطَا الْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلِ[٢]

ويدخل فيه الحوت، وفي الحديث: «دابَّةٌ من البحر مثل الظَّرب»[٣].

وقوله: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ قال النقاش: أَراد أَمْنِيَة الذكور[٤].

وقال جمهور النَّظَرَة: أَراد أَن خِلْقَةَ كل حيوان فيها ماء كما خلق آدم من الماءِ والطين»[٥].

وعلى هذا يتخرج قول النبي ﷺ للشيخ الذي سأَله في غزاة بدر: ممن أَنتما؟ فقال النبي ﷺ: «نحن من ماء» الحديث[٦].

والمشي على البطن للحيَّات والحوت ونحوه من الدود وغيره، وعلى الرِّجْلَيْن للإِنسان والطير إِذا مشى، والأَربع لسائر الحيوان.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (ومنهم من يمشي على أَكثر)[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٥٧).

(٢) وصدره: نيافٌ كغصن البان ترتج إن مشت، وتقدم الاستشهاد به في تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥١) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، به.

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٩١).

(٥) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ١١٤)، وتفسير ابن السمعاني (٣/ ٥٤٠).

(٦) معضل، أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص: ٥١٩ ـ ابن هشام) قال: حدثني محمد بن يحيى بن حبان، فذكره معضلاً به.

(٧) وهي شاذة، انظر عزوها له في تفسير السمعاني (٣/ ٥٤٠)، وغرائب التفسير للكرماني (٢/ ٨٠٣).

فعمَّ بهذه الزيادة جميع الحيوان، ولكنه قرآن لم يثبته الإِجماع، لكن قال النقاش: إِنما اكتفى القول بذكر ما يمشي على أَربع عن ذكر ما يمشي على أَكثر لأَن جميع الحيوان إِنما اعتماده على أَربع، وهي قوام مشيه، وكثرة الأَرجل في بعضه زيادة في الخِلْقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه إِلى جميعها[1].

قال القاضي أَبو محمد: والظاهر أَن تلك الأَرجل الكثيرة ليست باطلاً؛ بل هي محتاج إِليها في تنقل الحيوان، وهي كلها تتحرك في تصرفه.

وقوله: ﴿ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ﴾ يعم كلَّ ما نصب الله تعالى من آية وصَنْعَة للعبرة، وكلَّ ما نص في كتابه من آيةِ تنبيه وتذكير، وأَخبر تعالى أَنه أَنزل الآيات ثم قيَّد الهداية إِليها لأَنه من قِبَله لبعض دون بعض.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ الآية، نزلت في المنافقين، وسببها فيما روي: أَن رجلاً من المنافقين اسمه بشر كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة، فدعاه اليهودي إِلى التحاكم عند رسول الله ﷺ، وكان المنافق مبطلاً، فأَبى من ذلك ودعا اليهودي إِلى كعب بن الأَشرف، فنزلت هذه الآية فيه[2].

وأَسند الزهراوي عن الحسن بن أَبي الحسن أَنه قال: من دعاه خصمه إِلى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم[3].

و﴿مُذۡعِنِينَ﴾ أَي مظهرين للانقياد والطاعة، وهم إِنما فعلوا ذلك حيث أَيقنوا بالنُّجح، وأَما إِذا طُلبوا بحق فهم عنه معرضون، ثم وَقَفَهم تعالى على أَسباب فعلهم توقيف توبيخ، أَي لِيُقِرُّوا [بأَحد هذه الوجوه التي عليهم في الإِقرار بها ما عليهم، وهذا

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٩٢).
(٢) لم أقف عليه مسنداً.
(٣) نقله عنه في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٩٤)، لكن جعله مرفوعاً مرسلاً، ثم نقل عن ابن العربي أنه باطل.

التوقيف يستعمل في الأُمور الظاهرة][1] مما يُوبَّخ به أَو مما يُمدح به، فهو بليغ جداً، ومنه قول جرير:

[الوافر] أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا[2] ....

ثم حكم عليهم بأَنهم هم الظالمون، وقال: ﴿أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ من حيث الرسول إِنما يحكم بأَمر الله وشرعه، والحَيْف: المَيْلُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾.

قرأ الجمهور: ﴿قَوْلَ﴾ بالنصب.

وقرأ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، والحسن، وابن أَبي إِسحاق: (قَوْلُ) بالرفع، واختلف عنهما[3].

قال أَبو الفتح: شرط «كان» أَن يكون اسمها أَعرف من خبرها، فقراءَة الجمهور أَقوى.

والمعنى: إِنما كان الواجب أَن يقوله المؤمنون إِذا دُعوا إِلى حكم الله ورسوله: سمعنا وأَطعنا، فـ﴿كَانَ﴾ هذه ليست إِخباراً عن الماضي، وإِنما هي كقول الصِّدِّيق

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) عجزه: وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ، انظر نسبته له في مجاز القرآن (١/ ١٨٤)، والأغاني (٨/ ٩)، والأمالي للقالي (٣/ ٤٥).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لهم مع التوجيه الآتي في المحتسب (٢/ ١١٥).

رضي الله عنه: ما كان لابن أَبي قحافة أَن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ[١].

وجُعل الدعاءُ إِلى الله من حيث هو إِلى شرعه ودينه.

وقرأَ الجمهور: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ على بناءِ الفعل للفاعل، وقرأَ أَبو جعفر، والجَحْدَري، وخالد بن إِلياس، والحسن: ﴿لِيُحْكَمَ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول[٢].

و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: البالغون آمالهم في دنياهم وآخرتهم.

و«جَهْدُ الْيَمِينِ»: بلوغ الغاية في تعقيدها.

و﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ معناه: إِلى الغزو، وهذه في المنافقين الذين تولَّوا حين دُعوا إِلى الله ورسوله.

وقوله: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ يحتمل معاني:

أَحدها النهي عن القَسَم الكاذب؛ إِذ قد عرف أَن طاعتهم دغْلَةٌ رديَّةٌ، فكأَنه يقول: لا تُغالطوا فقد عرف ما أَنتم عليه.

والثاني أَن يكون المعنى: لا تتكلفوا القسم، طاعة عرف[٣] متوسطة على قدر الاستطاعة أَمْثل وأَجْدى عليكم، وفي هذا الوجه إِبقاءٌ عليهم.

والثالث أَن يكون المعنى: لا تقنعوا بالقسم، طاعة تُعرف منكم وتظهر عليكم هو المطلوب منكم.

والرابع أَن يكون المعنى: لا تقنعوا لأَنفسكم بإِرضائنا بالقسم، طاعة الله معروفة، وشرعه وجهاد عدوه مَهْيَعٌ لائح.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٥٢) ومسلم (٤٢١) من حديث سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، به.

(٢) وهي عشرية، انظر عزوها لأبي جعفر في النشر (٢/ ٢٢٧)، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ٦٢).

(٣) في نور العثمانية: «لا تجعلوا القسم طاعة معرفة»، وفي نجيبويه: «لا تكلفوا أنفسكم طاعة».

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ﴾ متصل بقوله: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾، و﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ اعتراضٌ بليغ.

وقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية مخاطبةٌ لأُولئك المنافقين وغيرهم من الكفار، وكلِّ من يتعتَّى على أَمر محمد ﷺ.

وقوله: ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ معناه: تَتَوَلَّوْا، محذوف التاءِ الواحدة، يدل على ذلك قوله: ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾، ولو جعلنا ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ فعلاً ماضياً وقدرنا في الكلام خروجاً من خطاب الحاضر إِلى ذكر الغائب لاقتضى الكلامُ أَن يكون بعد ذلك: وعليهم ما حُمِّلُوا.

والذي حُمِّل رسول الله ﷺ: هو التبليغ، ومكافحة الناس بالرسالة، وإِعْمال الجهد في إِنذارهم، والذي حُمِّل الناسُ: هو السمع والطاعة واتِّباع الحق.

وباقي الآية بيِّنٌ.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، ونافع في رواية ورش: ﴿وَيَتَّقِهِي﴾ بياءٍ بعد الهاء.

قال أَبو عليٍّ: وهو الوجه/ . [٤/ ١٠٦]

وقرأَ قالون عن نافع: ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ بكسر الهاءِ، لا يبلغ بها الياءَ.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿وَيَتَّقِهْ﴾ جزماً للهاءِ.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بسكون القاف وكسر الهاءِ(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٦٢)، وزاد لخلاد وجهاً كأبي عمرو، وانظر قول أبي علي في الحجة (٥/ ٣٢٧).

قرأ الجمهور: ﴿ٱسۡتَخۡلَفَ﴾ على بناءِ الفعل [للفاعل.

وقرأ أبو بكر عن عاصم والأعرج: ﴿استُخلِف﴾ على بناء الفعل] للمفعول(١).

وروي أَن سبب هذه الآية: أَن بعض أَصحاب النبي ﷺ شكا جهد مكافحة العدو، وما كانوا فيه من الخوف على أَنفسهم، وأَنهم لا يضعون أَسلحتهم، فنزلت هذه الآية عامة لأُمة محمد ﷺ(٢).

وقوله: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد: في البلاد التي تجاورهم، والأَصقاع التي قضى بامتدادهم إِليها، واستخلافُهم: هو أَن يُمَلِّكهم البلاد ويجعلهم أَهلها، كما جرى في الشام وفي العراق وخراسان والمغرب.

وقال الضحاك في كتاب النقاش: هذه الآية تتضمن خلافة أَبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم لأَنهم أَهل الإِيمان وعمل الصالحات(٣).

وقد قال رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»(٤).

والصحيح في الآية أَنها في استخلاف الجمهور.

واللام في قوله: ﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾ لام القَسَم.

وقرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ بفتح الباءِ وشدِّ الدال، وقرأ ابن كثير، وعاصم في رواية أَبي بكر، والحسن، وابن محيصن بسكون الباءِ وتخفيف الدال(٥).

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٢)، وما بين معقوفين ساقط من الأصل.

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٠٩) من طريق أبي العالية، عن النبي ﷺ، به مرسلًا.

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٩٧).

(٤) غريب حسن، أخرجه الإمام أحمد (٣٦/ ٢٤٨)، وأبو داود (٤٦١٤)، والترمذي (٢٣٧٥)، والنسائي في الكبرى (٨١٥٥) كلهم من طريق سعيد بن جمهان، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، مرفوعاً به، قال الترمذي: هذا حديث حسن، قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان، ولا نعرفه إلا من حديثه.

(٥) غير متقن، فهما سبعيتان، وبقي من الأولى نافع وحفص وأبو عمرو، انظر: التيسير (ص: ١٦٢).

وجاءَ في معنى تبديل خوفهم بالأَمن أَن رسول الله ﷺ لمَّا قال أَصحابه: يأْتي علينا يوم نأْمن فيه ونضع السلاح؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تغبرون إِلا قليلاً حتى يجلس الرجل منكم في الملإِ العظيم محتبياً ليس فيه حديدة»[١].

وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ فعل مستأْنف، أَي: هم يعبدونني.

وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ يحتمل أن يريد: كفر هذه النعم إِذا وقعت، ويكون الفسق على هذا غير المُخرج عن المِلَّة، قال بعض الناس في كتاب الطبري: ظهر ذلك في قَتَلة عثمان رضي الله عنه[٢].

ويحتمل أَن يريد: الكفر والفسق المُخْرجَيْن عن المِلَّة، وهو ظاهر قول حذيفة بن اليمان، فإِنه قال: كان على عهد النبيّ ﷺ نفاق وقد ذهب، ولم يبق إِلا كفر بعد إِيمان[٣].

ولمَّا قدَّم تعالى عَمَل الصالحات بَيَّنها في هذه الآية، فَنَصَّ على عُظْمها وهي إِقامة الصلاة وإِيتاءُ الزكاة، وعَمَّ بطاعة الرسول لأَنها عامة لجميع الطاعات.

و﴿لَعَلَّكُمْ﴾: معناه: في حقكم ومعتقدكم.

ثم أَنحى القول على الكفرة بأَن نبَّه على أَنهم ليسوا بِمُفْلِتِين من عذاب الله تعالى.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿لا تحسِبن﴾ بالتاءِ على المخاطبة للنبي ﷺ، وقرأَها الحسن بن أَبي الحسن بفتح السين، وقرأَ حمزة، وابن عامر: ﴿لَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياءِ[٤].

---

(١) ضعيف مرسل، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٠٩) وابن أبي حاتم (١٤٧٧٢) في تفسيرهما من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، مرسلاً به.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٢١٠) وابن أبي حاتم (١٤٧٦٢) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الشعثاء، عن حذيفة، رضي الله عنه، به. وإسناده مستقيم إذا سلم من تدليس حبيب.

(٤) وفتح السين، وهي ثلاث قراءات سبعية، والثانية بالتاء مع الفتح لعاصم فعزوها للحسن قصور، انظر التيسير (ص: ١٦٣).

قال أَبو علي: وذلك يحتمل وجْهَين:

أَحدهما أَن يكون التقدير: لا يحسبن محمد.

والآخر أَن يسند الفعل إِلى الذين كفروا، والمفعول أَنفسهم[١].

وأَعْجَزَ الرجل: إِذا ذهب في الأَرض فلم يُقْدَر عليه، ثم أَخبر بأن مثواهم النار، وأَنها بئس الخاتمة والمصير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨)﴾.

قال ابن عمر: ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ﴾ يُراد به الرجال خاصةً[٢]، وقال أَبو عبد الرحمن السُّلَمي: يرادُ به النساء خاصةً، وسبيل الرجال أَن يستأْذنوا في كل وقت، وحكى الزهراوي عن ابن عمر نحوه، وقيل: الرجال والنساءُ كلُّهم مرادٌ، ورجَّحه الطبري[٣].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿الْحُلُمَ﴾ بضم اللام.

[وقرأَ الحسن ابن أَبي الحسن: (الْحُلْمَ) بسكون اللام][٤]، وكان أَبو عمرو يستحسنها.

وهذه الآية مُحْكَمَةٌ، قال ابن عباس وغيره[٥]: تركها الناس، وكذلك تَرَكَ الناسُ

---

(١) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٣٣٢).

(٢) هذا الأثر أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٥٧)، وابن جرير الطبري (١٩/ ٢١١) من طريق ليث بن أبي سليم، عن نافع به.

(٣) انظره مع القولين قبله في تفسير الطبري (١٩/ ٢١١)، ونقل الزهراوي لم أجده.

(٤) سقط من الأصل، وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦٠٩) لعبد الوارث واللؤلؤي عن عباس، وطلحة، والحسن.

(٥) من نور العثمانية.

قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فأَبى الناس إِلَّا أَن الأَكرم هو الأَنسب[١].

وهذه العبارة بـ«ترك»[٢] إِغْلاظٌ وزجرٌ، إِذ لم تُلْتَزَم حق الالتزام، وإِلاَّ فما قال الله تعالى هو المعتقد في ذلك عند العلماءِ المكتوب في تواليفهم، أَعني أَن الكرم التقوى، وأَما أَمر الاستئذان فإِن تغيير المباني والحُجُب أَغنت عن كثير من الاستئذان، وصيرته على حدٍّ آخر، وأَين أَبواب المنازل اليوم من مواضع النوم؟ وقد ذكر المهدوي عن ابن عباس أَنه قال: كان العمل بهذه الآية واجباً إِذ كانوا لا غَلَقَ ولا أَبواب، ولو عادت الحال لعاد الوجوب[٣].

قال القاضي أَبو محمد: فهي الآن واجبة في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحارى ونحوها.

ومعنى الآية عند جماعة من العلماءِ: أَن الله تعالى أَدَّب عباده بأَن يكون العبيدُ ـ إِذْ لا بالَ لهم ـ والأَطفال الذين لم يبلغوا الحُلُم إِلَّا أَنهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها، يستأْذنون على أَهليهم في هذه الأَوقات الثلاثة، وهي الأَوقات التي تقتضي عادةُ الناس الانكشاف فيها وملازمة التَّعري في المضاجع، وهي: عند الصباح؛ لأَن الناس في ذلك

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٨٩) في تفسيره، من طريق عبد الله بن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد ضعيف، عبد الله بن لهيعة، ضعيف الحديث، وشيخه عطاء بن دينار، متكلم في روايته عن سعيد بن جبير، انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٦٧).

(٢) زاد في المطبوع هنا: «الناس»، قال في الحاشية: واضح أن المقصود هو ما ذكرناه وأن كلمة الناس سقطت من النُّسَّاخ.

(٣) انظر ما حكاه المهدوي عن ابن عباس في التحصيل (٤/ ٥٦٠)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٣٠٢)، والصحيح عن ابن عباس بخلافه، أخرجه أبو داود (٥١٥٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٧٨٧) من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، لكن قال أبو داود عقبه: «حديث عبيد الله وعطاء يفسد هذا». يعني ما أورده قبل هذا من رواية عبيد الله بن أبي يزيد وتابعه عطاء كلاهما عن ابن عباس أنه قال: لم يأمر بها أكثر الناس آية الإذن وإني لآمر جاريتي هذه تستأذن علي.

الوقت عراة في مضاجعهم، وقد ينكشف النائم، فمن مشى ودخل وخرج فحكمه أن يستأذن لئلا يطلع على ما يجب ستره، وكذلك في وقت القائلة ـ وهي الظهيرة ـ لأَن النهار يظهر فيها إِذا عَلَا واشتد حرُّه، وبعد العشاءِ لأَنه وقت التعري للنوم والتبذُّل للفراش.

وأَما/ في غير هذه الأَوقات التي هي عورة، أَي ذات انكشاف، فالعرف من الناس التَّحرُّز والتَّحفُّظ، فلا حرج في دخول هذه الصنيفة بغير إِذن؛ إِذ هم طوَّافون يمضون ويجيئون لا يجد الناس بُدّاً من ذلك. [٤/ ١٠٧]

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (طَوَّافِينَ) بالياءِ[1].

وقال الحسن: إِذا أَبات الرجل خادمه معه فلا استئذان عليه، ولا في هذه الأَوقات الثلاثة[2].

وقوله: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿طَوَّٰفُونَ﴾.

و﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾[3] نصب على الظرف؛ لَأنهم لم يُؤمَروا بالاستئذان ثلاثاً، إِنما أُمروا بالاستئذان في ثلاثة مواطن، فالظرفية في ﴿ثَلَٰثَ﴾ بَيِّنةٌ.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ برفع ﴿ثَلَٰثُ﴾، وهذا[4] على الابتداء.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ﴾ بنصب ﴿ثَلَاثَ﴾[5]، وهذه على البدل من الظرف في قوله: ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾[6]، وهذا البدل إِنما يصح معناه بتقدير: أَوقات ثلاث عورات، فحذف المضاف وأَقيم المضاف إِليه مُقَامه.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٥).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢١٣).

(٣) في المطبوع: «ثلاث عورات»، ولعله سبق نظر.

(٤) في المطبوع: «وكذا».

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٣)، والسبعة (ص: ٤٥٩).

(٦) في الأصل: «ثلاث عورات».

و﴿عَوْرَٰتٍ﴾: جمع عورة، وبابه في الصحيح أَن يجيءَ على فَعَلاتٍ بفتح العين، كَجَفْنَة وَجَفَنَاتٍ ونحو ذلك، وسكَّنوا العين في المعتل كَبَيْضَةٍ وَبَيْضَاتٍ وجَوْبَةٍ وَجَوْبَاتٍ ونحوه، لأَن فتحه داعٍ إِلى اعتلاله فلم يفتح لذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

المعنى: أَن الأَطفال أُمروا بالاستئذان في الأَوقات الثلاثة المذكورة، وأُبيح لهم الأَمر في غير ذلك من الأَوقات، ثم أَمر تعالى في هذه الآية أَن يكونوا ـ إِذا بلغوا الحلم ـ على حكم الرجال في الاستئذان في كل وقت، وهذا بيان من الله عزَّ وجلَّ.

وقوله: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾ يريد النساءَ اللاتي قد أَسْنَنَّ وقعدن عن الولد، واحِدَتُهُنَّ قاعد.

وقال ربيعة: هي هنا التي تُسْتقذر من كبرها، قال غيره: وقد تقعد المرأَة عن الولد وفيها مسْتَمتع، فلما كان الغالب من النساء أَن ذوات هذا السن لا مذهب للرجال فيهن أُبيح لهنَّ ما لم يُبح لغيرهن، وأُزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب؛ إِذ علَّة التحفظ مرتفعة منهن[١].

وقرأَ ابن مسعود: (أَنْ يَضَعْنَ مِن ثِيَابِهِنَّ)، وهي قراءَة أُبيّ.

وروي عن ابن مسعود أَيضاً: (مِن جَلَابِيبِهِنَّ)[٢].

والعرب تقول: امرأَة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها، ثم استثنى عليهن في وضع الثياب أَلَا يقصدن به التبرج وإِبداءَ الزينة، فرُبَّ عجوز يبدو منها الحرص على أَن

---

(١) انظر القولين في تفسير البغوي (٣/ ٤٢٩).

(٢) وهما شاذتان، انظر نسبة الأولى لأبي في تفسير الطبري (١٨/ ١٦٧)، ولابن مسعود في تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٥٦)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٥).

يظهر لها جمال ونحو هذا مما هو أَقبح الأَشياءِ وأَبعده عن الحق.

و«التَّـبَـرُّج»: طلب البُدُوِّ والظهور، ومنه: ﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وأَصل ذلك بروج السماءِ والأَسوار، والذي أُبيح وضعه لهذه الصنيفة الجلبابُ الذي فوق الخمار والرداءِ، قاله ابن مسعود(١)، وابن جبير، وغيرهما(٢).

ثم ذكر تعالى أَن تحفُّظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلتزمه الشباب من الستر، أَفضل لهن وخيرٌ.

وقرأَ ابن مسعود: (وَأَنْ يَتَعَفَّفْنَ) بغير سين(٣).

ثم ذكر تعالى أَنه سميع لما يقول كلُّ قائل وقائلة، عليم بمقصد كلِّ أَحد في قوله، وفي هاتين الصفتين توعُّد وتحذير، والله الموفق للصواب برحمته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

اختلف الناسُ في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأَصناف الثلاثة، فظاهر

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٢١٧) من طريق الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به، وهذا إسناد صحيح، إن سلم من تدليس الأعمش.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢١٦-٢١٧).

(٣) وهي شاذة، نسبتها له في: تفسير القرطبي (١٢/ ٣١٠)، وفي الإماراتية والحمزوية ولالاليه ونور العثمانية: «يعففن»، وكذا عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٣).

الآية وأَمر الشريعة: أَن الحرج مرفوع عنهم في كل ما يضطرهم إِليه العذر، وتقتضي نيتهم الإِتيان فيه بالأَكمل، ويقتضي العذر أَن يقع منهم الأَنقص، فالحرج مرفوع عنهم في هذا.

فأَما ما قال الناس في هذا الحرج هنا، فقال ابن زيد: هو الحرج في الغزو، أَي: لا حرج عليهم في تأَخرهم، وقوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ الآية معنى مقطوع من الأَول[(١)].

وقالت فرقة: الآية كلها في معنى المطاعم، قالت: وكانت العرب ومَنْ بالمدينة قبل المبعث تتجنب الأَكل مع أَهل الأَعذار، فبعضهم كان يفعل ذلك تقذراً لِجَوَلان اليد من الأَعمى، ولانْبساط الجلسة من الأَعرج، ولرائحة المريض وعِلَّاته، وهي أَخلاق جاهلية وَكِبْر، فنزلت الآية مؤدِّبة.

وبعضهم كان يفعل ذلك تحرجاً من غير أَهل الأَعذار؛ إِذ هم مقصورون في الأَكل عن درجة الأَصحاء، لعدم الرؤْية في الأَعمى، وللعجز عن المزاحمة في الأَعرج، ولضعف المريض، فنزلت الآية في إِباحة الأَكل معهم.

وقال ابن عباس في كتاب الزهراوي: إِن أَهل هذه الأَعذار تحرجوا في الأَكل مع الناس لأَجل عذرهم فنزلت الآية مبيحة لهم[(٢)].

وقال ابن عباس أَيضاً: الآية من أَولها إِلى آخرها إِنما نزلت بسبب أَن الناس لما نزلت: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] قالوا: لا مال أَعز من الطعام، وتحرَّجوا من أَن يأْكل أَحد مع هؤلاءِ فيغبنهم في الأَكل فيقع في أَكل المال بالباطل، وكذلك تحرجوا عن أَكل طعام القرابات لذلك، فنزلت الآية مبيحة جميع هذه المطاعم، ومُبَيِّنَةً أَن تلك إِنما هي في التعدِّي/ والقمارِ وكل ما يأْكله المرءُ من مال الغير والغيرُ كاره، أَو بصفة فاسدة ونحوه[(٣)]. [٤/ ١٠٨]

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٢١)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١١٨).
(٢) لم أقف عليه.
(٣) إسناده جيد، الأثر أخرجه أبو داود (٣٧٤٧) من طريق علي بن حسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد =

وقال عُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: قوله في الأَصناف الثلاثة إِنما نزل بسبب أَن الناس كانوا إِذا نهضوا إِلى الغزو وخلَّفوا أَهل العذر في منازلهم وأَموالهم، فكان أَهل العذر يتجنبون أَكل مال الغائب، فنزلت الآية مبيحة لهم أَكل الحاجة من طعام الغائب إِذا كان الغائب قد بنى على ذلك[١].

وقيل: كان الرجل إِذا ساق أَهل العذر إِلى بيته فلم يجد فيه شيئاً ذهب بهم إِلى بيت قرابته، فتحرَّج أَهل الأَعذار من ذلك فنزلت الآية[٢].

وذكر الله تعالى بيوت القرابات وسقط منها بيوت الأَبناءِ، فقال المفسرون: ذلك داخل[٣] في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾؛ لأن بيت ابن الرجل بيته.

وقرأَ طلحة بن مصرف: ﴿إِمَّهَاتِكُمْ﴾ بكسر الهمزة[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ يعني ما حُزْتُم وصار في قبضتكم، فعُظْمه ما ملكه الرجل في بيته وتحت غَلَقِه، وذلك هو تأْويل الضحاك ومجاهد[٥]، وعند جمهور المفسرين يدخل في الآية الوكلاءُ والعبيد والأُجراءُ بالمعروف.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مَلَكۡتُم﴾ بفتح الميم واللام.

وقرأَ سعيد بن جُبير: (مُلِّكْتُمْ) بضم الميم وكسر اللام وشدها[٦].

= النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، علي بن حسين بن واقد لا بأس به، انظر تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٠٦).

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٢٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٥٧)، بتصرف.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (١٩/ ٢٢٠) من قول مجاهد.

(٣) في لالاليه: «ذلك لأنها داخلة»... إلخ.

(٤) هي سبعية للكسائي، وزاد حمزة كسر الميم، كما تقدم، انظر: السبعة (ص: ٢٢٨).

(٥) راجع تفسير الطبري (١٩/ ٢٢١).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الثعلبي (٧/ ١١٩).

وقرأ جمهور الناس: ﴿مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾، وقرأ سعيد بن جبير: (مَفَاتِيحَهُ) بياءٍ بين التاءِ والحاءِ، الأُولى على جمع مَفْتح، والثانية على جمع مِفْتَاح، وقرأ قتادة: (مَلَكْتُمْ مِفْتَاحَهُ)[١].

وقَرَن تعالى في هذه الآية الصَّديق بالقرابة المحضة الوَكيدَة؛ لأَن قرب المودة لصيق.

قال معمر: قلتُ لقتادة: أَلا أَشربُ من هذا الجب[٢]؟ فقال: أَنت لي صديق فما هذا الاستئذان؟[٣].

قال ابن عباس في كتاب النقاش: الصديق أَوكد من القرابة، أَلا ترى في استغاثة الجهنَّميِّين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء: ١٠٠ -١٠١][٤].

وقوله: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتًا﴾ ردٌّ لمذهب جماعة من العرب كانت لا تأْكل أَفراداً البَتَّـةَ، قاله الطبري[٥]، ومن ذلك قول بعض الشعراء:

[الطويل]
إِذا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ ... أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكُلُهُ وَحْدِي[٦]

وكان بعض العرب إِذا كان له ضيف لا يأْكل إِلَّا أَن يأْكل مع ضيفه، فنزلت هذه الآية مُبَيِّنةً سُنَّة الأَكل، ومُذْهِبَةً كل ما خالفها من سنَّة العرب، ومبيحة من أَكل المنفرد ما كان عند العرب محرماً، نَحَتْ به نحو كرم الخُلُق فأَفرطت في إِلزامه، وإِن إِحضار الأَكيل لحسنٌ ولكن بأَلَّا يحرم الانفراد.

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في مختصر الشواذ (ص: ١٠٥، ١٠٦).
(٢) في المطبوع: «الحُبِّ»، وفي الإماراتية: «ألا أشرف».
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٢٣).
(٤) هذا الأثر لم أقف عليه.
(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٢٢٣).
(٦) عزاه في الأغاني (١٤/ ٦٩)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٦٠) لقيس بن عاصم المنقري، وفي شرح الحماسة للتبريزي (٢/ ٢٤٥) ولباب الآداب (١/ ١٢٠)، لحاتم الطائيّ، وفي الحماسة البصرية (٢/ ٢٣٨) على الخلاف بينهما.

وقال بعض أَهل العلم: هذه الآية منسوخة بقوله ﷺ: «إِنَّ دِماءَكم وأَموالكم عليكم حرام»[1]، وبقوله تعالى: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ [النور: ٢٧] الآية، وبقوله ﷺ من حديث ابن عمر: «لا يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشية أَحد إِلَّا بإِذنه»[2] الحديث.

ثم ختم الله تعالى الآية بِتَبْيينِهِ سُنَّة السلام في البيوت؛ واختلف الناس في أَي البيوت أَراد:

فقال إِبراهيم النَّخعي: أَراد المساجد[3]، والمعنى: سلِّموا على من فيها من صنفكم، فهذا كما قال: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فإِن لم يكن في المساجد أَحد فالسلام أَن يقول المرءُ: السلام على رسول الله، وقيل: يقول: السلام عليكم، يريد الملائكة، ثم يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

[وقال جابر بن عبد الله وابن عباس وعطاء بن أبي رباح؛ المراد البيوت المسكونة، أي: فسلموا على صنفكم كما قال: ﴿رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾، وقالوا تدخل في ذلك البيوت غير المسكونة ويسلم فيها المرء على نفسه بأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين][4].

وقوله: ﴿تَحِيَّةٗ﴾ مصدر، ووصفها بالبركة لأَن فيها الدعاءَ واستجلاب مودة المسلم عليه، والكاف من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كاف تشبيه، وذلك إِشارة إِلى هذه السُّنَن، أَي: كهذا الذي وصف يطَّرد بتَبيين الآيات لَعَلَّكُمْ تعقلونها وتعملون بها.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٧) ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة الثقفي، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٠٣) ومسلم (١٧٢٦) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٣١٨).

(٤) سقط من الأصل والمطبوع، خبر جابر أخرجه الطبري (١٩/ ٢٢٥-٢٢٦) من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر وإسناده جيد، وخبر ابن عباس أخرجه أيضاً الطبري من طريق ابن جريج أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس به. وعطاء لم يسمع ابن عباس.

وقال بعض الناس في هذه الآية: إِنها منسوخة بآية الاستئذان الذي أُمر به الناسُ، وهي المتقدمة في السُّورة، فإِذا كان الإِذن محجوراً فالطعام أَحرى، وكذلك أيضاً[١] فرضت فرقة نسخاً بينها وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

والنسخ لا يتصور في شيءٍ من هذه الآيات؛ بل هي كلها محكمة، أَما قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾، ففي التعدي والخدع والإغرار واللهو والقمار ونحوه، وأَما هذه الآية: ففي إِباحة طعام هذه الأَصناف التي يَسُرُّها استباحة طعامها على هذه الصفة.

وأَما آية الإِذن: فعِلَّـةُ إِيجاب الاستئذان خوف الكشف، فإِذا استأْذن الرجل خوف الكشفة ودخل المنزل بالوجه المباح صحَّ له بعد ذلك أَكل الطعام بهذه الإِباحة، وليس يكون في الآيات نسخٌ، فتأَمله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية للحصر، اقتضى ذلك المعنى؛ لأَنه لا يتم إِيمانٌ إِلَّا بأَن يؤمن المرءُ بالله ورسوله، وبأَن يكون من الرسول سامعاً غير معنت[٢] في أَن يكون الرسول يريد إكمال أَمر فيريد هو إِفساده بزواله[٣] في وقت الجمع ونحو ذلك.

و«الأَمر الجامع»: يُراد به ما للإِمام حاجة إِلى جمع الناس فيه لإِذاعة مصلحة،

---

(١) من نور العثمانية.

(٢) في لالاليه: «معتبر».

(٣) في المطبوع: «بزاوله»، وهو سهو من الطابع.

فأَدب الإسلام اللازم في ذلك ـ إِذا كان الأَمر حاضراً ـ أَلَّا يذهب أَحد لعذر إِلَّا بإِذنه، فإِذا ذهب بإِذن ارتفع عنه الظن السيئُ، والإمامُ الذي يُرتقب إِذنه في هذه الآية هو إِمامُ الإِمرة.

وقال مكحول، والزهري: الجمعة من الأَمر الجامع، وإِمام الصلاة ينبغي أَن يُستأْذن إِذا قدمه إِمامُ الإِمرة إِذا كان يرى المستأْذن[1].

ومشى بعض الناس دهراً على استئذان إِمام الصلاة.

وروي أَن هرم بن حيان[2] كان يخطب، فقام رجل فوضع يده على أَنفه، وأَشار إِلى هرم بالاستئذان فأَذن له، فلما قُضيت الصلاة كشف عن أَمره أَنه إِنما ذهب لغير ضرورة / ، فقال هرم: اللهم أَخر رجال السوء لزمان السوء[3]. [٤/ ١٠٩]

وظاهر الآية إِنَّما يقتضي أَن يُستأْذن أَمير الإِمرة الذي هو في مقعد النبوة؛ فإِنه ربما كان له رأْي في حبس ذلك الرجل لأَمر من أُمور الدين[4]، فأَما إِمام الصلاة فقط فليس ذلك إِليه؛ لأَنه وكيل على جزءٍ من أَجزاءِ الدين للذي هو في مقعد النبوة[5].

ثم أَمر الله تعالى نبيه أَن يأْذن لمن عرف منه صحة العذر وهم الذين يشاء.

وروي أَن هذه الآية نزلت في وقت حفر رسول الله ﷺ خندق المدينة، وذلك أَن

---

(١) انظر البيان والتحصيل (١/ ٤١٧)، ومواهب الجليل (٢/ ٤٣٠-٤٣١)، وفي المطبوع: الزهراوي: بدل الزهري.

(٢) في المطبوع: ابن حبان، وهو هرم بن حيان العبدي الربعي، ويقال الأزدي البصري، روى عن عمر، وعنه الحسن البصري، وغيره، كان من سادة العباد، وكان ثقة له فضل، كان عاملا لعمر، وولي له ولعثمان بعض الحروب بأرض فارس، تاريخ الإسلام (٥/ ٥٣٣).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٢٩).

(٤) في نور العثمانية: «الدنيا».

(٥) هذا مذهب الحسن البصري، وقال الجمهور بأن ذلك خاص بالنبي ﷺ، انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٢١).

بعض المؤمنين كان يستأْذن لضرورة، وكان المنافقون يذهبون دون استئذان[١]، فأَخرج الله تعالى الذين لا يستأْذنون عن صنيفة المؤمنين، وأَمر النبيَّ ﷺ أَن يأْذن للمؤمن الذي لا تدعوه ضرورة إِلى حبسه، وهو الذي يشاء، ثم أَمره بالاستغفار لصنفي المؤمنين من أُذن له ومن لم يُؤذن له، وفي ذلك تأْنيس للمؤمنين ورأْفة بهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾.

هذه الآية مخاطبة لجميع معاصري رسول الله، وأَمرهم الله تعالى أَلَّا يجعلوا مخاطبة رسول الله في النداءِ كمخاطبة بعضهم لبعض، فإِن سيرتهم كانت التداعي بالأَسماءِ، وعلى غاية البداوة وقلة الاهتمام، فأَمرهم الله تعالى في هذه الآية وفي غيرها أَن يدعوا رسول الله ﷺ بأَشرف أَسمائِه، وذلك هو مقتضى التوقير والتعزير، فالمبتغى في الدعاء أَن يقول: يا رسول الله، وأَن يكون ذلك بتوقير وخفض صوت وبر، وأَلا يجري ذلك على عادتهم بعضهم في بعض، قاله مجاهد وغيره[٢].

وقال ابن عباس: المعنى في هذه الآية إِنما هو: لا تحسبوا دعاءَ الرسول عليكم كدعاءِ بعضكم على بعض، أَي: دعاؤه عليكم مجاب فاحذروه[٣].

ولفظ الآية يدفع هذا المعنى، والأَول أَصح.

---

(١) ضعيف، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٥٧) من طريق محمد بن كعب القرظي، وعثمان بن يهوذا، عن رجال من قومه، به، وهذا إسناد ضعيف لإرساله، والإبهام.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٩/ ٢٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٥٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٢٨).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٣٠)، وابن أبي حاتم (١٤٩٢٩) في تفسيرهما من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.

ثم أَخبرهم الله تعالى أَن المتسلِّلين منهم لواذاً قد علمهم، و«اللِّواذ»: الرَّوَغان والمخالفة، وهو مصدر: لاوَذَ، وليس بمصدر: لاذَ؛ لأَنه كان يقال له: لِيَاذاً، ذكره الزجاج وغيره[١].

ثم أَمرهم بالحذر من عذاب الله تعالى ونقمته إِذا خالفوا عن أَمره.

وقوله تعالى: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ معناه: يقع خلافهم بعد أَمره، وهذا كما تقول: كان المطر عن ريح، و﴿عَنْ﴾ هي لِمَا عَدَا الشيء، والفتنة في هذا الموضع: الاختبار والرزايا في الدنيا، أَو بالعذاب الأَليم في الآخرة، ولا بد للمنافقين من أَحد هذين.

[وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ﴾ استفتاح كلام، وإخبار [بأن الآتي على جميع ما تقدم لمن اعتبر][٢] أَن الله تعالى له ما في السماوات والأرض][٣] مِلْكاً وخَلْقاً.

ثم أَخبرهم أَنه قد علم ما أَهل الأرض والسماءِ عليه، وخصَّ بالذكر منهم المخاطبين؛ لأَن ذلك موضع الحجة عليهم، وهم به أَعنى.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ﴾ يجوز أَن يكون معمولاً لقوله: ﴿يَعْلَمُ﴾، ويجوز أَن يكون التقدير: والعلم الظاهر لكم ـ أَو نحو هذا ـ يَوْمَ، فيكون النصب على الظرف.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بضم الياءِ وفتح الجيم.

وقرأَ يحيى بن يَعْمَر، وابن أَبي إِسحاق، وأَبو عمرو: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ بفتح الياءِ وكسر الجيم[٤].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٥٦).

(٢) من نجيبويه والحمزوية وأحمد٣ ولالاليه ونور العثمانية.

(٣) سقط من الإماراتية والأصل، وبعضه سقط من المطبوع.

(٤) وهي عشرية ليعقوب على قاعدته، كما في النشر (٢/ ٢٠٨)، ورواها علي بن نصر وعبيد بن عقيل وهارون الأعور عن أبي عمرو كما في السبعة (ص: ٤٥٩)، وجامع البيان (٣/ ١٤١٠)، وانظر موافقة الباقين في البحر المحيط (٨/ ٧٧).

وقال عقبة بن عامر الجهني: رأَيت النبي ﷺ يقرأُ هذه الآية خاتمة النُّور فقال: (وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ بَصِيرٌ) (١).

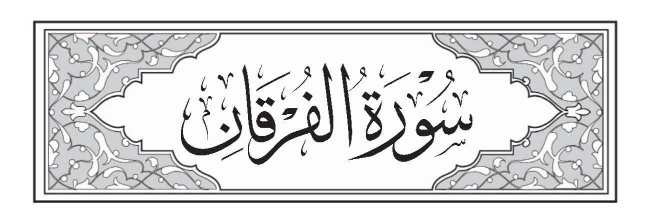
وباقي الآية بيِّنٌ.

كمل تفسير سورة النور(٢)

❊ ❊ ❊

(١) وهي شاذة، والحديث ضعيف، أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (٥٣٧) والطبراني في الكبير (١٧/ ٢١٢) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وابن لهيعة ضعيف الحديث.

(٢) ليس في الأصل وأحمد٣، وفي نجيبويه: «والحمد لله على ذلك»، وفي الإماراتية: «والحمد لله حق حمده»، وفي الحمزوية: «والحمد لله كثيراً»، وفي لالاليه زيادة: «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»، وفي المطبوع زيادة: «وآله وصحبه أجمعين».



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الفرقان

هذه السورة مكِّيَّة في قول الجمهور[1]، وقال الضحاك: هي مدنية، وفيها آيات مكية: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآيات[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾.

﴿تَبَارَكَ﴾: وزنه تفاعل، وهو فعل مطاوع[3] بارَكَ، من البركة، وبَارَكَ فاعل من واحد، ومعناه: زادَ، و﴿تَبَارَكَ﴾ فعل مختصٌّ بالله تعالى، لم يستعمل في غيره، ولذلك لم يصرَّف منه مستقبل، ولا اسم فاعل، وهو صفة فعل، أَي: كثُرت بركاته، ومن جُمْلتها إِنزال كتابه الذي هو الفُرقان بين الحق والباطل.

---

(١) تفسير الماوردي (٤/ ١٣٠)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٢٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٤٧٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٧).

(٢) وانظر تفسير القرطبي (١٣/ ١).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «مضارع».

وصدر هذه السورة[١] إنما هو ردٌّ على مقالات كانت لقريش، فمن جُمْلتها قولهم: إِن القرآن افتراه محمد، وإِنه ليس من عند الله، فهو ردٌّ على هذه المقالات.

وقرأَ الجمهور: ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾، وقرأَ عبد الله بن الزُّبير: (عَلَى عِبَادِهِ)[٢].

والضمير في قوله: ﴿لِيَكُونَ﴾ يحتمل أَن يكون لمحمد، وهو عبده المذكور، وهذا تأْويل ابن زيد[٣]، ويحتمل أَن يكون للقرآن.

وأَما على قراءَة ابن الزبير فهو للقرآن، لا يحتمل غير ذلك إِلَّا بِكُرْه.

وقوله تعالى: ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ عامٌّ في كل إِنسي وجني، عاصَرَه أَو جاءَ بعده، وهو متأيد من غير ما موضع من الحديث المتواتر وظاهر الآيات.

و«النذير»: المُحَذِّر من الشَّرِّ، والرسول من عند الله نذير، وقد يكون النذير ليس برسول، كما روي في ذي القرنين، وكما ورد في رُسُل رسول الله ﷺ إِلى الجن، فإِنهم نذر وليسوا برسل الله.

[٤/ ١١٠] / وقوله: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، هي من الرَّدِّ على قريش في قولهم: إِن لله شريكاً، وفي قولهم: اتَّخذ البنات، وفي قولهم في التلْبية: إِلَّا شريك هو لك[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ عامٌّ في كل مخلوق، وتقديرُ الأَشياءِ: هو حدُّها بالأَمكنة والأَزمان والمقادير والمصلحة والإِتقان.

ثم عقَّب ذكر هذه الصفات التي هي للأُلوهية بالطعن على قريش في اتخاذهم آلهة ليست لهم هذه الصفات، فالعقل يعطي أَنهم ليسوا بآلهة.

---

(١) في المطبوع: «الآية».

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٦).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٣٣).

(٤) ورد هذا اللفظ في صحيح مسلم (٢/ ٨٤٣) بالنصب، وهو في جميع النسخ وبعض المصادر الأخرى بالرفع.

وقوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾؛ يحتمل أن يريد يخلقهم الله بالاختراع والإيجاد[١].

ويحتمل أَن يريد: يخلقهم البشر بالنحت والنجارة، وهذا التأْويل أَشد إِبداءً لخساسة الأَصنام، وخلق البشر تجوز، ولكن العرب تستعمله، ومنه قول زهير:

وَلأَنْـتَ تَفْـرِي مَـا خَلَقْـتَ وَبَعْـ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي[٢] [أحذالكامل]

وهذا من قولهم: خلَقْتُ الجلد، إِذا عملتَ فيه رسوماً يقطع عليها، فالفَرْيُ هو أَن يُقَطَّع على تلك الرسوم.

وقوله: ﴿مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً﴾ يريد: إِماتة ولا إِحياءً، و«النُّشور»: بعث الناس من القبور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾.

المرادُ بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قريش، وذلك أَن بعضهم قالوا: هذا إِفْكٌ وكذبٌ افتراه محمد.

واختلف الناس في القوم المُعِينين لمحمد ﷺ على زَعْم قريش:

فقال مجاهد: أَشاروا إِلى قوم من اليهود[٣].

وقال ابن عباس: أَشاروا إِلى عَبِيد كانوا للعرب من الفرس، أَحدهم أَبو فُكَيْهة مولى الحضرميِّين، وجبر، ويسار، وعدَّاس، وغيرهم[٤].

ثم أَخبر الله تعالى أَنَّهم ما جاؤوا إِلَّا إِثماً وزوراً، أَي: ما قالوا إِلَّا باطلا[٥] وبهتاناً وزوراً.

---

(١) هذا الاحتمال الأول سقط من المطبوع.
(٢) تقدم في تفسير الآية (٢٩) من سورة البقرة.
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٣٧).
(٤) لم أقف عليه من قول ابن عباس، وأورده الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٩٨) عن مقاتل مرفوعاً.
(٥) ليست في المطبوع.

و«الزُّور»: تحسين الباطل، هذا عرفه، وأَصله التحسين مطلقاً، ومنه قول عمر رضي الله عنه: فأَردت أَن أُقدم بين يدي أَبي بكر مقالةً كنتُ زَوَّرْتُها[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، قال ابن عباس: يعني بذلك قول النضر بن الحارث[٢]، وذلك أَنَّ كلَّ ما في القرآن من ذكر أَساطير الأولين فإِنما هو بسبب قول النضر بن الحارث [حسب الحديث][٣] المشهور في ذلك[٤]، ثم رمَوْا محمداً ﷺ بأَنه اكْتَتَبها.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (اكتُتِبها) بضم التاءِ الأُولى وكسر الثانية، على معنى: اكتُتِبَتْ له، ذكرها أَبو الفتح[٥].

وقرأَ طلحة: (تُتْلَى) بتاءٍ بدل الميم[٦].

ثم أَمره تعالى أَن يقول: الذي أَنزله هو الله الذي يعلم سرَّ جميع الأَشياءِ التي في السماوات والأَرض، ثم أَعلم بأَنه غفور رحيم لِيُـرَجِّي كل سامع في عفوه ورحمته مع التوبة والإِنابة، والمعنى: أَن الله غفور رحيم في إِبقائه على أَهل هذه المقالات [والكفر، لعلهم أَن يؤمنوا][٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، به.

(٢) منقطع: هذا الأثر أخرجه الطبري (١٩/ ٢٣٨) من طريق محمد بن إسحاق عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، به.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٣٨) من طريق محمد بن إسحاق، قال: ثنا شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق. وأخرجه الطبري أيضاً من قول السدي وابن جريج وغيرهما معضلاً.

(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١١٧).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٦).

(٧) سقط من الأصل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾﴾.

الضمير في قوله: ﴿وَقَالُوا۟﴾ لقريش، وذلك أَنهم كان لهم مع رسول الله ﷺ مجلس مشهور، ذكره ابن إِسحاق في السير، وغيرُه، مضمنه: أَن سادتهم ـ عتبة وغيره ـ اجتمعوا معه، فقالوا: يا محمد، إِن كنت تحب الرياسة وَلَّيْنَاكَ علينا، وإِن كنت تُحب المال جمعنا لك من أَموالنا، فلما أَبَى رسول الله ﷺ عليهم رجعوا في باب الاحتجاج عليه، فقالوا له: ما بالك ـ وأَنت رسول من الله ـ تأْكل الطعام، وتقف بالأَسواق وتريد التماس الرزق؟ أَي: إن من كان رسول الله مستغنٍ عن جميع ذلك، ثم قالوا له: سلْ ربَّك أَن يُنزل معك مَلَكاً يُنْذر معك، أَو يُلقى إِليك كنزٌ تُنفق منه، أَو يرُدُّ لك جبال مكة ذهباً، أَو تُزالُ الجبال ويكون مكانها جنات تطَّرد فيها المياه، وأَشاعوا هذه المحاجَّة، فنزلت هذه الآية[1].

وكُتبت اللام مفردة من قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا﴾ إِمَّا لأَن مُمْلي المصحف قطع لفظه فاتَّبعه الكاتب؛ وإِمَّا لأَنهم رأَوْا أَن حروف الجرّ [بابها الانفصال][2]، نحو: مِنْ، وفي، وعَنْ، وعَلَى.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ بالياءِ.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص ١٩٧) عن شيخ من أهل مكة، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره بنحوه.

(٢) في المطبوع: «بإنهاء الانفصال».

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿نأْكُل منها﴾ بالنون، وهي قراءَة ابن وثاب، وابن مُصرِّف، وسليمان بن مهران[١].

ثُمَّ أَخبر تعالى عنهم، وهُمُ الظالمون الذين أُشير إِليهم، أَنهم قالوا حين يَئِسوا من محمد ﷺ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾، [أي: قد سحر فهو لا يرى مراشده][٢].

ويجوز أَن يكون من السَّحْر وهي الرئة[٣]، فكأَنهم ذهبوا إِلى تحقيره، أَي: رجل مثلكم[٤] في الخلقة، ذكره مكي وغيره[٥].

ثم نبَّهه الله تعالى مسلِّياً عن مقالتهم فقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾، [بالمسحور والكاهن والساحر وغيره فضلوا][٦] أَي: أَخطؤوا الطريق فلا يجدون سبيلاً[٧] هداية، ولا يطيقونه لالتباسهم بضدِّه من الضلال.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ﴾ الآية، رجوع بأُمور محمد ﷺ إِلى الله تعالى، أَي: هذه جهتك، لا هؤلاءِ الضَّالُّون في أَمرك.

والإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾، قال مجاهد: هي إِلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا.

وقال ابن عباس: هي إِلى أَكله الطعام ومشيه في الأَسواق[٨].

---

(١) وهو الأعمش، والقراءتان سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٣)، والعزو للباقين في البحر المحيط (٨/ ٨٤).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) كتبت في الأصل: «الرؤية».

(٤) في المطبوع: «منكم».

(٥) الهداية لمكي (٨/ ٥١٧٩)، وفيه: «الرئة» بدل: «الرؤية»، ولعله هو الصواب.

(٦) سقط من المطبوع.

(٧) في لالاليه ونور العثمانية: «سبيل».

(٨) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٤٢) من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وهو إسناد يتكرر، وشيخ ابن إسحاق لا يعرف، قاله الذهبي في الميزان (٤/ ٢٦).

قال الطبري: والأَول أَظهر[١].

قال القاضي أَبو محمد: لأَن التأْويل الثاني يوهم أَن الجنات والقصور التي في هذه الآية / [هي في الدنيا][٢]، وهذا تأْويل الثعلبي وغيره[٣]. [٤/ ١١١]

ويَـرُدُّ ذلك قوله بعد ذلك: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾، والكل محتمل.

وقرأَ عاصمٌ -في رواية أَبي بكرٍ وحفصٍ- ونافعٌ، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿وَيَجْعَل﴾ بالجزم، على العطف على موضع الجواب في قوله: (جَعَلَ)؛ لأَن التقدير: [تبارك الذي][٤] إِن يشأْ يجعل.

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم أَيضاً، وابنُ كثير، وابن عامر: ﴿وَيَجْعَلُ﴾ بالرفع والاستئناف، وهي قراءَة مجاهد[٥]، ووجهُه العطفُ على المعنى في قوله: ﴿جَعَلَ﴾؛ لأن جواب الشرط هو موضع استئناف، أَلا ترى أَن الجمل من الابتداءِ والخبر قد تقع موقع جواب الشرط.

وقرأَ عبد الله[٦] بن موسى، وطلحةُ بن سليمان: (وَيَجْعَلَ) بالنصب، وهي على تقدير (أَن) في صدر الكلام، قال أَبو الفتح: هي على جواب الجزاءِ، بالواو وهي قراءَةٌ ضعيفة[٧].

---

(١) انظر مع قول مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٢)، بتصرف.

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ١٢٤).

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٣)، وليس فيه لشعبة إلا الثانية، والأولى للكسائي عنه في السبعة في (ص: ٤٦٢).

(٦) كذا في جميع النسخ: «عبد الله»، وهو عبيد الله بن موسى العبسي مولاهم الكوفي أبو محمد المقرئ الحافظ الشيعي، شيخ البخاري، أخذ الحروف عن حمزة والكسائي، وجلس للإقراء، وكان صاحب عبادة وزهد، توفي سنة ٢١٣هـ، معرفة القراء الكبار (ص: ١٠٠).

(٧) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١١٨).

وأَدغم الأَعرج: ﴿جَعَل لَّكَ﴾، ﴿وَيَجْعَل لَّكَ﴾، وروي ذلك عن ابن محيصن[١].

و«القصور»: البيوت المبنية بالجدران، قاله مجاهد وغيره[٢]، وكانت العرب تُسمِّي ما كان من الشَّعر والصوف والقصب بيتاً، وتُسمِّي ما كان بالجدران قصراً؛ لأَنه قُصر على الداخلين والمستأذنين[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

المعنى: ليس يهم في تكذيبك مشْيُك في الأَسواق؛ بل إِنهم كفرة لا يفقهون الحق، فقوله: ﴿بَلْ﴾ تَرْكٌ لنفس اللَّفظ المتقدم لا لمعناه، على ما تقتضيه ﴿بَلْ﴾ في مشهور معناها.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: جعلْنَا مُعَدّاً، والعَتَادُ: مَا يُعَدُّ من الأَشياءِ.

و﴿سَعِيرًا﴾: طبَقٌ من أَطباق جهنم.

وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ يريد: جهنم؛ إِذ اقتضاها لفظ السعير، ولفظ ﴿رَأَتْهُم﴾ يحتمل الحقيقة، ويحتمل المجاز على معنى: صارت منهم قدْر ما يرى الرائي من البعد، إِلَّا أَنه ورد حديث يقتضي الحقيقة [ويحتمل المجاز][٤] في هذا، ذَكره الطبري، وهو أَن رسول الله ﷺ قال: «من كذب عليَّ متعمداً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار بين عيني جهنم»، فقيل: يا رسول الله، أَوَ لجهنم عينان؟ فقال: «اقرؤوا إِن شئتم: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ...﴾ الآية[٥]، وروي

---

(١) القراءتان سبعيتان، الثانية للجمهور كما مر، والأولى للسوسي على قاعدته، وهي من المطبوع والحمزوية ونجيبويه ولالاليه.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٣).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) من الأصل، ولعلها تكرار مع ما سبق.

(٥) إسناده لين ولا يثبت اتصاله، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم (١٤٩٩٩) في تفسيرهما، من طريق أصبغ بن زيد، عن خالد بن كثير، عن خالد بن دريك، عن رجل من أصحاب رسول الله=

في بعض الآثار أَن البعد الذي تراهم منه مسيرة سنة، وروي أَنه مسيرة خمس مئة سنة[١].

وقوله تعالى: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ لفظ فيه تجوُّز، وذلك أَن التَّغيُّظ لا يُسمع، وإِنما المسموع أَصوات دالة على التَّغيُّظ، وهي ولا شكَّ احتداماتٌ في النَّار كالذي يسمع في نار الدُّنيا إذا اضطرمت، ونِسْبَـةُ هذا المسموع في الدنيا من ذلك نِسْبَـةُ الإِحراق من الإِحراق، وهي سبعون درجة كما ورد في الصحيح[٢].

و«الزَّفير»: صوتٌ ممدود كصوت الحمار المرجع في نهيقه.

قال النَّقاش: الزَّفير: آخر[٣] صوت الحمار عند نهيقه.

وقال عبيد بن عمير: إِن جهنم لتَزْفِر زَفْرة لا يبقَى ملَك ولا نبيٌّ إِلَّا خَرَّ، ترعد فرائصه[٤].

و«المكان الضَّيِّق منها»: هو مقصد إِلى التضييق عليهم في المكان من النار، وذلك نوع في التعذيب، قال ﷺ: «إِنَّهم ليُكرهون في النَّار كما يُكره الوتد في الحائط»[٥]، أَي:

= ﷺ، مرفوعاً به، وهذا إسناد لين، وخالد بن دريك كثير الإرسال عن الصحابة، ولا ندري اسم الصحابي الذي روى عنه حديثه هذا، وله طريق أخرى واهية جدّاً، رواها الطبراني في الكبير (٨/ ١٣١) من طريق محمد بن الفضل بن عطية، عن الأحوص بن حكيم، عن مكحول، عن أبي أمامة، رضي الله عنه، مرفوعاً به، ومحمد بن الفضل بن عطية، رُمي بالكذب ووضع الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٦).

(١) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٤٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٩٢) ومسلم (٢٨٤٣) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «سبعين جزءاً».

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٤).

(٥) معضل، أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٠٠٥) في تفسيره من طريق يحيى بن أبي أسيد، رفعه إلى النبي ﷺ. وهذا إسناد معضل، يحيى بن أبي أسيد يروي عن أتباع التابعين، انظر: الجرح والتعديل (٩/ ١٢٩) وثقات ابن حبان (٩/ ٢٥١).

[يدخلون لزاًّ][1] وعنفاً، وقال ابن عباس: تُضيَّق عليهم كما يُضيَّق الزُّج على الرمح[2].

وقرأ ابن كثير، وعبيد عن أبي عمرو: ﴿ضَيْقاً﴾ بتخفيف الياءِ، والباقون يُشدِّدون[3].

و﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: معناه مربوطٌ بعضهم إلى بعض، ورُوي أَن ذلك بسلاسل من نارٍ، والقرينان من الثيران: ما قُرِنا بحبل للحرث، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] إِذَا لَمْ يَزَلْ حَبْلُ الْقَرِينَـيْنِ يلتوي فَلَا بُدَّ يَوْماً مِنْ قوىً أن تجذمَّا[4]

وقرأ أَبو شيبة المهري[5] صاحب معاذ بن جبل رحمه الله: (مُقَرَّنُون) بالواو، وهي قراءَة شاذة[6]، والوجه قراءَة الناس.

وقوله: ﴿ثُبُورًا﴾ مصدر، وليس بالمدعُوِّ، ومفعول ﴿دَعَوْاْ﴾ محذوف، تقديره: دعَوْا من لا يُجيبهم، ونحو هذا من التقديرات.

ويصح أن يكون الثُّبُور هو المدعُوُّ، كما يُدعى الحسرة والويل.

و«الثُّبُورُ»: قال ابن عباس: هو الويل[7]، وقال الضحاك: هو الهلاك[8].

---

(١) في المطبوع: «يدخلون كرهاً»، وفي الأصل: «يدعون لزا».

(٢) لا بأس به، ولكن من قول عبد الله بن عمرو، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٠٧) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، به، وهذا إسناد صحيح، ولم أقف عليه من قول ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٦٢)، وفي نجيبويه: «الضحاك»، بدل ابن كثير.

(٤) في الأصل: «تخذما»، والبيت للمتلمس كما في الأغاني (٢٤/ ٢٥٥)، والأصمعيات (ص: ٢٤٦)، ومختارات ابن الشجري (١/ ٢٧).

(٥) هو أبو شيبة المهري روى عن ثوبان وعمرو بن عبسة، وروى عنه بلج وجنادة بن أبي خالد، قال أبو زرعة: من التابعين ولا يعرف اسمه، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/ ٣٩٠)، وتعجيل المنفعة (٢/ ٤٨٢)، والثقات لابن حبان (٥/ ٥٨٩).

(٦) نقله في البحر المحيط (٨/ ٨٧)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٠٥) لمعاذ، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٧) لابن جبير.

(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٤٥) وابن أبي حاتم (١٥٠٠٩) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٨) تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٤).

ومنه قول ابن الزِّبعرى:

إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ في سَنَنِ الْغَـ ـيِّ، ومَـن مَـالَ مَيْلَـهُ مَثْبُـور[١] [الخفيف]

وقوله: ﴿لَّا تَدْعُواْ﴾ إلى آخر الآية معناه: يقال لهم على معنى التَّوبيخ والإِعلام بأَنهم مخلدون: لا تقتصروا على حُزْن واحد؛ بل احزنوا كثيراً؛ لأَنكم أهلٌ لذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾.

المعنى: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة الذين هم بسبيل مصير إلى هذه الأَحوال من النار: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾؟، وذلك على جهة التوقيف والتوبيخ، ومن حيث كان الكلام استفهاماً جاز فيه مجيءُ لفظة التفضيل بين الجنة والنار في الخير؛ لأَن المُوقِف جائز له أَن يُوقِف مُحاوره على ما يشاءُ ليرى هل يجيبه بالصواب أَو بالخطأ، وإِنما يمنع سيبويه وغيره من التفضيل بين شيئين لا اشتراك بينهما في المعنى الذي فيه تفضيل إِذا كان الكلام خبراً؛ لأَن فيه محالية[٢]، وأَما إِذا كان استفهاماً فذلك سائغ.

وقيل: الإِشارة بقوله: «ذَلِكَ» إلى الجنَّات التي تجري من تحتها الأَنهارُ، وإِلى القصور التي في قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾، هذا على أَن يكون الجَعْلُ في الدنيا.

وقيل: الإِشارة بقوله: «ذَلِكَ» إِلى الكنز والجَنَّة اللَّتين ذكر الكفار.

قال القاضي أَبو محمد: والأَصحُّ [إن شاء الله][٣] أَن الإشارة بقوله: «ذَلِكَ» إِلى النار، كما شرحناه آنفاً.

و﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾ في هذه الآية: مَن اتَّقى الشِّرك، فإِنه داخل في الوعد، ثم تختلف المنازل في الوعد بحسب تَقوى المعاصي.

---

(١) انظر نسبته له في تفسير الثعلبي (٦/ ١٣٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٢).

(٢) في المطبوع: «مخالفة».

(٣) سقطت من المطبوع وفيض الله.

وقوله: ﴿وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا﴾ يحتمل معنيين:

[٤/ ١١٢] أَحدهما ـ وهو قول ابن عباس(١)، وابن زيد / ـ أَنه مسؤولٌ لأن المؤمنين سأَلوه أَو يسأَلونه(٢)، ورُوي أَن الملائكة سأَلت الله تنعيم المتقين فوعدهم بذلك، قال محمد بن كعب: هو قول الملائكة، وتَلا: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾ [غافر: ٨](٣).

والمعنى الثاني ذكره الطبريُّ عن بعض أَهل العربية: أَن يريد وعداً واجباً قد حتمه، فهو لذلك مُعَدٌّ أَن يُسأَل ويُقْتَضى، وليس يتضمن هذا التأْويل أَن أَحداً سأَل الوعد المذكور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ١٧ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٨ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩﴾.

المعنى: واذكر يومَ، والضمير في ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾ للكفار.

وقوله: ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ يريد به كلَّ شيءٍ عُبد من دون الله، فغلَّب العبارة عما لا يعقلُ من الأَوثان؛ لأَنها كانت الأَغلب وقت المخاطبة.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم ـ في رواية حفص ـ، والأَعرج، وأَبو جعفر: ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾، ﴿فَيَقُولُ﴾ بالياءِ، [فيهما.

(١) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم (١٥٠٢١) في تفسيرهما من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن معين: عطاء لا أعلمه لقي أحداً من الصحابة، وقال الإمام أحمد: لم يسمع من ابن عباس شيئاً. انظر جامع التحصيل (٥٢٢).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧١)، تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٦)، مع ما سيأتي عنه.

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ١٣٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ١٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٢٦-١٢٧).

وقرأَ ابن عامر بالنون فيهما، وهي قراءَة الحسن، وطلحة، وعاصم أَيضاً.

وقرأَ نافع: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون ﴿فَيَقُولُ﴾ بالياءِ][١].

وفي قراءَة عبد الله: (وَمَا يَعْبُدونَ مِنْ دُونِنَا) [٢].

وقرأَ الأَعرج: (نَحْشِرُهُم) بكسر الشِّين[٣]، وهي قليل في الاستعمال قوية في القياس؛ لأَن يَفْعِلُ بكسر العين في المتعدي أَقيس من يفعُل بضم العين.

وهذه الآية تتضمن الخبر على أَن الله يوبِّخ الكفار في القيامة بأَن يوقف المعبودين على هذا المعنى؛ ليقع الجواب بالتَّبَـرِّي من الذنب فيقع الخزي على الكافرين.

واختلف الناس في المُوقَفِ المُجِيبِ في هذه الآية، فقال جمهور المفسِّرين: هو كل من ظُلم بأَن عُبد ممن يعقل، كالملائكة وعُزَير وعيسى وغيرهم[٤].

وقال الضحاك، وعكرمة: المُوقَفُ المجيبُ: الأَصنام التي لا تعقل، يقدرها الله تعالى يومئذٍ على هذه المقالة، ويجيءُ خزْي الكفرة لذلك أَبلغ[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نَّتَّخِذَ﴾ بفتح النون، وذهبوا بالمعنى إِلى أَنه من قول من يَعْقل، وأَن هذه الآية بمعنى التي في سورة سبأ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، وكقول عيسى ﷺ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦ﴾ [المائدة: ١١٧]، و﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ ـ في هذه القراءَة ـ في موضع المفعول به.

---

(١) سقط من الأصل، وهي قراءة الباقين شعبة وغيره، وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٦٣)، النشر (٢/ ٣٣٣).

(٢) في الأصل: من دونك، وكلاهما شاذة، لم أجد للمصنف فيها سلفاً ولا خلفاً، وتقدم مثلها في الكهف.

(٣) وهي شاذة، كما تقدم، انظر نسبتها له مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١١٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٣٦).

(٥) انظر قولهما في تفسير الثعلبي (٧/ ١٢٧).

وقرأَ أَبو جعفر، والحسن، وأَبو الدرداءِ، وزيد بن ثابت، وأَبو رجاءٍ، ونصر بن علقمة[(١)]، ومكحول، وزيد بن علي، وحفص بن حميد[(٢)]: ﴿نُتَّخَذَ﴾ بضم النون[(٣)].

وتذهب هذه مذهبَ من يرى أَن المُوقَف المُجيبَ الأَوثان، ويضعف هذه القراءَة دخول ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، اعترض بذلك سعيد بن جبير وغيره[(٤)].

وقال أَبو الفتح: ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ في موضع الحال، ودخلت ﴿مِنْ﴾ زيادة لمكان النفي المتقدم، كما تقول: ما اتخذت زيداً من وكيل.

وقرأَ علقمة: (ما ينبغي) بسقوط ﴿كَانَ﴾[(٥)]، وثبوتُها أَمكنُ في المعنى؛ لأنهم أَخبروا عن حالٍ كانت في الدنيا، ووقت الإِخبار لا عمل فيه.

وفسَّر هذا المُجيبُ ـ بحسب الخلاف فيه ـ الوجهَ في ضلال الكفار، كيف وقع، وأَنه لما متَّعهم الله تعالى بالنعم الدنياوية وأَدَرَّها لهم ولأَسلافهم الأَحقاب الطويلة نسوا الذكر، أَيْ: ما ذُكِّر بِهِ النَّاسُ على أَلسنة الأَنبياءِ.

و﴿بُورًا﴾ معناه: هَلْكى، و«البوار»: الهلاكُ، واختلف في لفظة بور، فقالت فرقة: هو مصدر يوصف به الجميع والواحد، ومنه قول ابن الزِّبعرى:

---

(١) هو نصر بن علقمة الحضرمي أبو علقمة الحمصي، روى عن أخيه محفوظ وجبير بن نفير وكثير ابن مرة وعمرو بن الأسود العنسي، وعنه الوضين بن عطاء وصدقة السمين، قال دحيم: هو وأخوه ثقتان، تاريخ الإسلام (٨/ ٥٥٣).

(٢) هو حفص بن حميد أبو عبيد من أهل قم، قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، سمع شمر بن عطية، وعكرمة، حدث عنه يعقوب القمي وغيره، قال يحيى بن معين: صالح، وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٧/ ٩).

(٣) وهي عشرية عزاها لأبي جعفر في النشر (٢/ ٣٣٣)، وللجميع في المحتسب (٢/ ١١٩)، مع التوجيه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) وهي شاذة لمخالفتها مصاحف المسلمين، تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ٩١).

يَـا رَسُـولَ المَلِيـكِ إِنَّ لِسَـانِي   رَاتِـقٌ مـا فَتَقْـتُ إِذْ أَنـا بُـورُ[١]   [الخفيف]

وقالت فرقة: هي جمع باير، وهو الذي قد فارقه الخير فحصل بذلك في حكم الهلاك، باشره الهلاك بعْدُ أَو لم يباشر، قال الحسن: البايرُ: الذي لا خير فيه[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ الآية، خطاب من الله تعالى بلا خلاف، فمن قال: إِنَّ المُجيب الأَصنامُ كان معنى هذه إِخبار الكفار أَن أَصنامهم قد كذبوهم، وفي هذا الإِخبار خِزْيٌ وتوبيخ، والفرقة التي قالت: إِن المُجيبَ هو الملائكة، وعُزير، وعيسى، ونحوهم، اختلفت في المخاطب بهذه الآية:

فقالت فرقة: المخاطب الكفار على جهة التقريع والتوبيخ.

وقالت طائفة: المخاطب هؤلاءِ المعبودون، أَعلمهم الله تعالى أَن الكفار بأَفعالهم القبيحة قد كذبوا هذه[٣] المقالة، وزعموا أَن هؤلاءِ هم الأولياءُ من دون الله تعالى.

وقالت فرقة: خاطب الله تعالى المؤمنين من أُمة محمد ﷺ، أَي: قد كذبكم أَيها المؤمنون الكفارُ فيما تقولون من التوحيد والشرع.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو بكر عن عاصم: [﴿بما يقولون فما يستطيعون﴾ بالياء فيهما[٤].

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء من فوق فيهما.

---

(١) هذا هو الصواب، وتقدم للمؤلف نسبته لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، في الآية ٢٨ من سورة إبراهيم.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٣٧)، والهداية لمكي (٨/ ٥١٩١).

(٣) في المطبوع: «بهذه».

(٤) الخلاف في «يقولون» ليس من طرق التيسير، وهو عن ابن كثير في السبعة (ص: ٤٦٣)، ولم أجده عن شعبة.

وقرأ الباقون وأبو بكر أيضاً عن عاصم][1] والناس: ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاءِ من فوق ﴿فما يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالياءِ من تحت، ورجَّحها أَبو حاتم[2].

وقرأَ أَبو حيوة: (يَقُولُونَ) بالياءِ من تحت، (فما تستطيعون) بالتاءِ من فوق[3].

وقال مجاهد: الضمير في (يَسْتَطِيعُونَ) هو للمشركين[4].

قال الطبري: وفي مصحف ابن مسعود: (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ صَرْفاً)[5].

وفي قراءَة أُبيٍّ بن كعب: (لَقَدْ كَذَّبُوكَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ).

قال أَبو حاتم: في حرف عبد الله: (لَكُمْ صَرْفاً) على جمع الضمير[6].

و﴿صَرْفًا﴾ معناه: ردُّ التكذيب أَو العذاب أَو ما اقتضاه المعنى، بحسب الخلاف المتقدم.

وقوله: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ﴾ قيل: هو خطاب للكفار، وقيل: للمؤمنين، والظُّلْم هنا الشِّرك، قاله الحسن وابن جريج[7]، وقد يحتمل أَن يعم غيره من المعاصي.

وفي حرف أُبيٍّ: (وَمَنْ يَكْذِبْ منْكُم [نُذِقْهُ عَذَاباً كبيراً])[8].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٣).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له ولأبي البَرَهْسَم في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٧).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٥١).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الطبري (١٨/ ١٩٣).

(٦) وهما شاذتان، انظر فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٧)، ولم أجد كلام أبي حاتم.

(٧) تفسير الطبري (١٩/ ٢٥٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ١٥).

(٨) سقط من أحمد٣ وهي شاذة، عزاها ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٣٧) ليحيى بن واضح بالتخفيف، وهارون الأعور يكذب بالتشديد، قال: وقرأ شعيب عن أبي حمزة بالمثلثة بدل الموحدة، وفي نور العثمانية: «كثيراً»، وفي المطبوع: «أليماً»، وقراءة أبي هذه لم أجدها.

﴿بَصِيرًا ۝٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا / لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١﴾. [٤/ ١١٣]

هذه الآية ردٌّ على كفار قريش في استبعادهم أَن يكون من البَشَر رسولٌ، وقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

وأَخبر الله تعالى محمداً ﷺ وأُمَّته أنه لم يرسل قبلُ في سائر الدهر نبيّاً إِلا بهذه الصفة.

والمفعول بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ محذوف يدل عليه الكلام، تقديره: رجالاً أَو رُسُلاً، وعلى هذا المحذوف المقدَّر يعود الضمير في قوله: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ﴾، وذهبت فرقة إِلى أَن قوله: ﴿لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ كناية عن الحدث.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَيَمْشُونَ﴾ بفتح الياءِ[1] وسكون الميم وتخفيف الشين.

وقرأَ علي، وعبد الرحمن، وابن مسعود: (وَيُمَشَّونَ) بضم الياءِ وفتح الميم وشد الشِّين المفتوحة، بمعنى: يُدْعون إِلى المشي ويُحملون عليه[2].

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: بضم الياءِ وفتح الميم وضم الشِّين المشددة[3]، وهي بمعنى يَمْشُون.

ومنه قول الشاعر:

[الطويل]
أُمَشِّـي بأَعْطَـانِ الميـاهِ وأَبْتَغِـي ... قَلَائِـصَ مِنْهَا صَعْبَـةٌ وَرَكوبُ[4]

ثم أَخبر عزَّ وجلَّ أن السبب في ذلك أَن الله تعالى يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس، مؤمنٍ وكافر، فالصحيحُ فتنةٌ للمريض، والغنيُّ فتنة للفقير، والفقير

---

(١) في المطبوع: «بضم الياء»، وهو خطأ ظاهر.

(٢) وهي شاذة انظر نسبتها لهم في (٢/ ١٢٠)، وعبد الرحمن هو ابن عبد الله بن مسعود.

(٣) وهي شاذة، عزاها له تفسير القرطبي (١٣/ ١٣)، وفي فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٤) عنه الوجهان.

(٤) البيت للعلاء بن حذيفة الغنوي كما في الأمالي للقالي (١/ ٢٩).

الشاكر فتنة للغنيِّ، والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأَشراف الناس الكفار في عصره، وكذلك العلماءُ وحكام العدل، وقد تلا ابن القاسم هذه الآية حين رأَى أَشهب[١].

والتوقيف بـ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ خاص للمؤمنين الْمُحِقِّين، فهو لأُمة محمد ﷺ، كأَنه جعل إِمهال الكفار فتنة للمؤمنين، أَي اختباراً، ثم وَقَفَهم: هل يصبرون أَم لا؟ ثم أَعرب قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين.

ثم أَخبر عن مقالة الكفار: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ﴾، قال أَبو عبيدة وقوم: معناه: يخافون.

والشاهد لذلك قول الهذلي:

[الطويل]
إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا في بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ[٢]

قال القاضي أَبو محمد: والذي يظهر لي أَن الرجاءَ في الآية والبيت على بابه؛ لأَن خوف لقاءِ الله تعالى مقترن أَبداً برجائه، فإِذا نَفَى الرجاءَ عن أَحد فإِنما أَخبر عنه أَنه مُكَذِّب بالبعث لنفي الخوف والرجاءِ، وفي ذكر الكفار بنفي الرجاءِ تنبيه على غبطة ما فاتهم من رجاءِ الله تعالى. وأَما بيت الشعر المذكور فمعناه عندي: لم يرج دفعها ولا الانفكاك عنها، فهو لذلك يوطن الصبر ويجِدُّ في شغله.

ولما تمنت كفار قريش رؤْية ربِّهم أَخبر تعالى عنهم أَنهم عظموا أَنفسهم، وسأَلوا ما ليسوا له بأَهل.

و﴿وَعَتَوْ﴾ معناه: صعبوا عن الحق واشتدوا، ويقال: عُتُـوٌّ وعِتِيٌّ، عُتُـوٌّ على الأَصل، وعِتِيٌّ لاستثقال الضم على الواو فقُلبت ياءً ثم كُسِر ما قبلها طلباً للتناسب.

---

(١) انظر ما حكاه عن ابن القاسم في: تفسير القرطبي (١٣/ ١٨).

(٢) تقدم الاستشهاد به، وقول أبي عبيدة في تفسير الآية (٢١٨) من سورة البقرة، وانظر: مجاز القرآن (٢/ ٧٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾.

المعنى في هذه الآية أن الكفار لما قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾؛ [أخبر الله تعالى أنهم يوم يرون الملائكة][1] إنما هو يوم القيامة، وقد كان أَول الآية يحتمل أَن يريد يوم تُقبض أَرواحهم، لكن آخرها يقتضي أَن الإِشارة إِلى يوم القيامة، وأَمر العوامل في هذه الظُّروف بيِّن إِذا تُؤمل، فاختصرناه لذلك.

ومعنى الآية: إِن هؤلاءِ الذين تمنوا نزول الملائكة لا يعرفون ما قدَّر الله تعالى في ذلك؛ فإِنهم يوم يرون الملائكة هو شرٌّ لهم، ولا بُشْرى لهم؛ بل لهم الخسار ولُقيا المكروه، ويومئذ لا خير ولا بشرى؛ لأَن الظروف تكون إِخباراً عن المصادر.

والضمير في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾، قال الحسن، وقتادة، والضحاك، ومجاهد: هو للملائكة[2]، المعنى: وتقول الملائكة للمجرمين: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ عليكم البشرى، أَي: حراماً مُحَرَّماً.

[و«الحجرُ»: الحرام][3]، ومنه قول جرير بن عبد المسيح:

حَنَّتْ إِلى النَّخْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا ... حِجْرٌ حَرامٌ أَلا تِلْـكَ الدَّهَاريسُ[4] [البسيط]

وقال مجاهد أَيضاً، وابن جريج: إِن الضمير في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ هو للكفار المجرمين.

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٢٥٥).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٢٠٧)، وتفسير الطبري (١٢/ ١٤٠)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٧٣).

قال ابن جريج: كانت العرب إِذا كرهوا شيئاً قالوا: حِجْراً.

قال مجاهد: ﴿حِجْرًا﴾: عوذاً، يستعيذون بالملائكة[١].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يكون المعنى: ويقولون: حرام محرم علينا العفو، وقد ذكر أَبو عبيدة أَن هاتين اللفظتين عوذة عند العرب، يقولها من خاف آخَرَ في الحرم، أَو في شهر حرام إِذا لقيه وبينهما تِرَةٌ[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا المعنى هو مقصد بيت المتلمس الذي تقدم، أَي: هذا الذي حنَّت إِليه ممنوع.

وقرأَ الحسن، وأَبو رجاءٍ: (حُجْراً) بضم الحاءِ[٣]، والناس على كسرها.

ثم أَخبر تعالى عما يأْتي عليه[٤] قضاؤُه وفعله فقال حكاية عن يوم القيامة: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾، أَي: قَصَد حكمُنا وإِنفاذُنا، ونحو هذا من الأَلفاظ اللائقة، وقيل: هو قدوم الملائكة أَسنده إِليه لأَنه عن أَمره، وحسنت لفظة (قَدِمْنَا) لأَن القادم على شيءٍ مكروه لم يُقَرِّره ولا أَمر به مُغَيِّر له ومُذهب، وأَما قول الراجز:

[الرجز]

وَقَــدِمَ الْـخَـوَارِجُ الـضُّـلَّالُ إِلَــى عِـبَـادِ رَبِّـنَـا فَـقَـالُـوا

إِنَّ دِمَاءَكُمْ لَنَا حَلَالُ[٥]

فالقُدوم فيه[٦] على بابه.

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري (١٩/ ٢٥٦).

(٢) انظر كلامه على هذه الآية في مجاز القرآن (٢/ ٧٣)، وليس فيه ما يقتضي هذا.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في: الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٧).

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) استشهد به بلا نسبة في غريب القرآن للسجستاني (١/ ٣٧٧)، ومجاز القرآن (٢/ ٧٤)، وتفسير الطبري (١٩/ ٢٥٧).

(٦) ليست في المطبوع.

ومعنى الآية: وقصدنا إِلى أَعمالهم التي هي في الحقيقة لا تزن شيئاً؛ إِذ لا نِيَّةَ مَعَهَا، فجعلناها على ما تستحق لا تعدل شيئاً، وصيَّرناها هباءً منثوراً، أَي: شيئاً لا تحصيل له، و«الهباءُ»: هي الأجرام/ المستَدَقَّة الشائعة في الهواءِ التي لا يدركها حِسٌّ [٤/ ١١٤] إِلا حين تدخل الشمس على مكان ضيِّق يحيط به الظِّل كالكُوَّة ونحوها، فيظهر حينئذ فيما قابل الشمس أَشياء تغيب وتظهر، فذلك هو الهباءُ.

ووصفه في هذه الآية بـ«منْثُورٍ»، ووصفه في غيرها بـ«مُنْبَثٍّ»[١]:

فقالت فرقة: هما سواءٌ.

وقالت فرقة: المُنْبَثُّ أَرَقُّ وأَدَقُّ من المَنْثُور؛ لأَن المنثور يقتضي أَن غيره نثره، كسنابك الخيل أَو الرياح أَو هدم حائط ونحو ذلك، والمُنْبَثُّ: كأَنه انْبَثَّ من دقَّته[٢].

وقال ابن عباس: «الهباءُ المنثور» ما تسفي به الرياح وتبثُّه[٣].

وروي عنه أَيضاً أَنه قال: «الهباءُ»: الماءُ المهراق[٤]، والأول أَصح، والعرب تقول: أهبأت الغبار والتراب[٥] ونحوه إِذا بثثته، وقال الشاعر:

فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ والْوَقْـ ـعِ مَنِيناً كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ[٦] [الخفيف]

ومعنى هذه الآية: جعلنا أَعمالهم لا حكم لها ولا منزلة.

ثم أَخبر عزَّ وجلَّ بأَن مُسْتَقَرَّ أَهل الجنة خير من مُستقر أَهل النار، وجاءَت ﴿خَيْرٌ﴾

---

(١) الواقعة: ٦.
(٢) في المطبوع: «رقته».
(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٥٨) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به، وفي المطبوع: وقال غيرهما بدل ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٥٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، به.
(٥) ليست في المطبوع.
(٦) البيت للحارث بن حِلِّـزَة، من معلقته، كما في جمهرة اللغة (١/ ١٧٠)، والحيوان (٤/ ٣٨٨)، والكامل للمبرد (٣/ ١٦٧).

ها هنا للتفضيل بين شيئين لا شركة بينهما، فذكر الزجاج وغيره في ذلك: أنه لما اشتركا في أَن هذا مُسْتَقَر وهذا مُسْتَقَر، فضَّل الاستقرار الواحد[١].

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر لي أَن هذه الأَلفاظ التي فيها عموم ما، ويتوجَّه حكمها من جهات شتَّى، نحو قولك: أَحبُّ، وأَحْسَنُ، وخير، وشرٌّ، يسوغ أَن يُجَاءَ بها بين شيئين لا شركة بينهما، فتقول: السَّعد في الدنيا أَحب إِلينا من الشقاءِ، أَي: قد يوجد بوجه ما من يستحب الشقاءَ كالمتَعَبِّد والمغتاظ، وكذلك في غيرها، فإِذا كانت أَفْعل في معنى بيِّن أَن الواحد من الشيئين لا حظَّ له فيه بوجهٍ فسد الإِخبار بالتفضيل به، كقولك: الماءُ أَبرد من النار، ومن هذا أَنك تقول في ياقوتة ومَدَرَة ـ وتُشير إِلى المَدَرة ـ: هذه أحسن وخير وأَحب وأَفضل من هذه، ولو قلتَ: هذه أَلمع وأَشدُّ شراقة من هذه، لكان فاسداً.

وقوله: ﴿مَقِيلًا﴾، ذهب ابن عباس[٢]، والنَّخعي، وابن جريج إِلى أَن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار ويَقيل أَهل الجنة في الجنة، وأَهل النار في النار، فالمقيل من القائلة[٣].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن اللفظة إِنما تضمنت تفضيل الجنة جملةً [وحُسْنَ هوائها][٤]، فالعربُ تفضل البلاد بحُسْنِ المقيل؛ لأن وقت القيلولة يبدو فيه فساد هواءِ البلاد، فإِذا كان بلدٌ في وقت فساد الهواءِ حَسَناً حاز الفضل، ومن ذلك قول الأَسود بن يَعْفُر الإِيادي:

---

(١) انظر كلامه على هذه الآية في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦٤)، وليس فيه ما يقتضي ذلك.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٨٠) من طريق رَوَّاد بن الجراح، عن نَهْشل، عن الضحاك، عن ابن عباس، به.

ونهشل، وهو ابن سعيد الورداني، متروك، وكذبه الطيالسي وابن راهويه، انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٣١).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٥٩)، بتصرف يسير.

(٤) سقط من الأصل.

أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِهَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وابن أُمِّ دُؤَاد[(١)] [الكامل]

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾، يريد يوم القيامة عند انفطار السماءِ، ونزول الملائكة، ووقوع الجزاءِ بحقيقة الحساب.

وقرأَ نافع وابن كثير،، وابن عامر: ﴿تَشَّقَّقُ﴾ بشد الشِّين والقاف.

وقرأَ الباقون بتخفيف الشِّين[(٢)].

وقوله: ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾، أَي: تشقَّق عنه، و«الغمام»: سحاب رقيق أَبيض جميل، لم يره البشر بعد إِلَّا ما جاءَ في تظليل بني إِسرائيل.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بضم النون وشد الزاي المكسورة ورفع ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ على مفعول لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأَ أَبو عمرو في رواية عبد الوهاب: (وَنُزِلَ) بتخفيف الزاي المكسورة[(٣)].

قال أَبو الفتح: وهذا غير معروف؛ لأَن نَزَل لا يتعدى إِلى مفعول فيبنى هنا للملائكة، ووجهه أَن يكون مثل: زُكِمَ الرجل وجُنَّ، فإِنه لا يقال إِلَّا أَزْكَمه الله وأَجَنَّه، وهذا باب سماع لا قياس.

وقرأَ أَبو رجاءٍ: (وَنَزَّل) بفتح النون وشدِّ الزاي.

وقرأَ الأَعمش: (وأَنْزل الملائكة)، وكذلك قرأَ ابن مسعود.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب: (ونَزَلت الملائكة)[(٤)].

---

(١) انظر عزوه له في معجم البلدان (٣/ ٢٦٦)، نهاية الأرب (٣/ ٥٩)، عيار الشعر (١/ ٨٨)، الحماسة المغربية (٢/ ١٤٠١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٣).

(٣) وهي شاذة، نقلها عنه في المحتسب (٢/ ١٢١) وانظر فيه ما سيأتي عنه.

(٤) هذه ثلاث قراءات شاذة، انظر عزوها لأصحابها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٨).

وقرأ ابن كثير وحده: ﴿ونُنزل الملائكةَ﴾ بنونين، وهي قراءَة أَهل مكة، ورويت عن أَبي عمرو[١].

وقرأ هارون عن أَبي عمرو: (وَنَزَّل الملائكةُ) بإِسناد الفعل إِليها.

وقرأت فرقة: (وينزل الملائكة).

وقرأ أُبيٌّ بن كعب أَيضاً: (وتَنَزَّلت الملائكة) [٢].

ثم قرَّر أَن المُلْك الحق هو يومئذ للرحمن؛ إِذ قد بطل في ذلك اليوم كل ملك. وعسرُهُ على الكافرين: يُوَجَّه بدخول النار عليهم فيه، وما في خلال ذلك من المخاوف.

وقوله: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ دليله[٣] أَن ذلك اليوم سهلٌ على المؤمنين.

ورُوي عن النبي ﷺ أَنه قال: «إِن الله لَيهوّنُ يومَ القيامة على المؤمن حتى يكونَ أَخفَّ من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا»[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ ﴾ ظرفٌ، العاملُ فيه مضمر، و«عضُّ اليدين»: هو فعل النادم الملهوف المتفجع.

---

(١) وهي والأولى سبعيتان، كما في السبعة (ص: ٤٦٤)، وهي رواية شعيب عن أبي عمرو كما في الكامل للهذلي (ص: ٦١٠).

(٢) وهذه الثلاث شاذة أيضاً، انظر الأولى والثالثة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٨)، أما الثانية فلم أجدها بالياء.

(٣) أي مفهومه بدليل الخطاب، وفي المطبوع: «دليل على».

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠٢) من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، مرفوعاً به، ودراج هو ابن سمعان أبو السمح، فى حديثه عن أبي الهيثم ضعف.

وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين: الظَّالِمُ في هذه الآية عُقبة بن أَبي معيط؛ وذلك أَنه أَسلم أَو جنح للإِسلام، وكان أُبي بن خلف الذي قتله رسول الله ﷺ بيده يوم أُحد خليلاً لِعقُبة، فنهاه عن الإِسلام، فقبل نهيَه، فنزلت الآية فيهما، فالظالم عُقبة، وفلانٌ أُبيّ[١].

وفي بعض الروايات عن ابن عباس: أَن الظالم أُبيّ، فإنه كان يحضر إِلى النبي ﷺ، فنهاه عُقبة، فأَطاعه[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ومن أَدخل في هذه الآية أُمَيَّة بن خلف فقد وهم، إِلَّا على قول من يرى «﴿ٱلظَّـالِمُ﴾» اسم جنس.

وقال مجاهد، وأَبو رجاءٍ: الظالم: عام[٣] اسمُ جنس، وفلان: الشَّيطان[٤].

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر لي أَن الظَّالم عامٌّ، وأَن مقصد الآية: تعظيم [يوم القيامة وذكر هوله بأنه يوم تندم فيه الظلمة وتتمنى أن لو لم تطع في دنياها خلانها الذين][٥] أَمروهم بالظلم، فلما كان خليلُ كل ظالم غيرَ خليل/ الآخر، وكان كل ظالم يسمي رجلاً خاصاً به عبَّر عن ذلك بـ (فُلان) الذي فيه الشياع التَّام، ومعناه واحد من الناس، وليس من ظالم إِلا وله في دنياه خليلٌ يعينه ويحرِّضه، هذا في الأَغلب، ويشبه أَن سبب الآية وترتُّب هذه المعنى كان عُقبة وأُبيّاً. [٤/ ١١٥]

وقوله: ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ يُقَوِّي ذلك بأَن نجعل تعريف ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ للعهد، والإِشارة إِلى محمد ﷺ، وعلى التأْويل الأَول التَّعريفُ للجنس.

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦٢) من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم (١٥/ ٩٧) في تفسيرهما من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه، وفي كليهما ضعف.

(٣) سقط من الأصل والمطبوع.

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ١٤٣).

(٥) في المطبوع بدله: «يوم يتبرَّأُ فيه الظالمون من خلانهم الذين».

وكلُّهم قرأَ ﴿لَيْتَنِي﴾ ساكنة الياءِ غير أَبي عمرو فإِنه حرَّكَ الياءَ في ﴿ليتنيَ اتخذت﴾، ورواها أَبو خليد[١] عن نافع مثل أَبي عمرو[٢].

و«السَّبِيلُ المتمنَّاة»: هي طريق الآخرة.

وفي هذه الآية لكل ذي نُهْيةٍ تنبيهٌ على تجنُّب قرين السوءِ، والأَحاديث والحِكَم في هذا الباب كثيرة مشهورة.

وقوله: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ التاء[٣] فيه عِوَض من الياءِ في: يا وَيْلي، والألف هي التي في قولهم: يا غلاما، وهي لغة.

وقرأَت فرقة بإِمالة: ﴿يا ويلتى﴾[٤].

قال أَبو علي: وترك الإِمالة أَحسن؛ لأَن أَصل هذه اللفظة الياءُ: يا وَيْلَتِي، فبدلت الكسرة فتحة والياءُ أَلفاً فِراراً من الياءِ، فمن أَمال رجع إِلى[٥] الذي فرَّ منه أَولًا[٦].

و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: هو ما ذكر به الإِنسان أَمر آخرته من قرآن أَو موعظة ونحوه.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ يحتمل أَن يكون من قول الظالم، ويحتمل أَن يكون ابتداءَ إِخبار من الله تعالى على جهة الدلالة على وجه ضلالتهم، والتحذيرِ من الشيطان الذي بلغهم[٧] ذلك المبلغ.

---

(١) في المطبوع: «أبو حامد»، ولعله خطأ، وأبو خليد هو عتبة بن حماد، تقدم في الأنعام.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٥)، ورواية أبي خليد ليست من طرق التيسير لكنها في السبعة (ص: ٤٦٤).

(٣) في المطبوع: «الياءُ»، ووجَّهه في حاشيته مع أنه خطأ.

(٤) منهم حمزة والكسائي على أصلهما، وقللها ورش وأبو عمرو، انظر: التيسير (ص: ٤٨).

(٥) في لالاليه ونور العثمانية: «عن».

(٦) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٣٤٣).

(٧) في المطبوع: «بلغ ثَمَّ».

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ حكاية عن قول الرسول ﷺ في الدنيا، وتَشَكِّيه ما يلقى من قومه، هذا قول الجمهور، وهو الظاهر.

وقالت فرقة: هو حكاية عن قوله ذلك في الآخرة.

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: ﴿قَوْمِيَ﴾ بتحريك الياءِ، والباقون بسكونها[١].

و﴿مَهْجُورًا﴾ يحتمل أَن يريد: مُبعداً مَقْصِيّاً، [من الهَجْر بفتح الهاء، وهذا قول ابن زيد.

ويحتمل أن يريد: مقولاً فيه الهُجر بضم الهاءِ][٢] إشارة إلى قولهم: شعر وكهانة وسحر، وهذا قول مجاهد وإبراهيم النخعي[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وقول ابن زيد منبه للمؤمنين على ملازمة المصحف، وأَلَّا يكون الغبَار يعلوه في البيوت ويشتغل بغيره.

وروى أَنس عن النبي ﷺ أَنه قال: «من علَّق مصحفاً ولم يتعاهده أَتى يوم القيامة متعلقاً[٤] به، يقول: هذا اتخذني مهجوراً، اقْض يا ربِّ بيني وبينه»[٥].

ثمَّ سلاه[٦] عن فعل قومه بأَن أَعلمه أَن غيره من الرسل كذلك امتُحن بأَعداء في زمنه، أَي: فاصبر كما صبروا، [قاله ابن عباس][٧].

---

(١) وهما سبعيتان، إلا أن قنبلًا أسكن، انظر: التيسير (ص: ١٦٥).

(٢) سقط من المطبوع، وفيه بدله: «ويحتمل أن يكون من الهجر بضم الهاء»، قال في الحاشية: زيادة لا بد منها، فكأنه ليس في أصولهم.

(٣) انظر قولهما مع قول ابن زيد في تفسير الطبري (١٩/ ٢٦٤)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٤٣).

(٤) في المطبوع: «معلقاً».

(٥) ضعيف، الحديث عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٤٥٩) للثعلبي من حديث أنس ابن مالك، رضي الله عنه، وذكر سنده، وفيه: الخضر بن أبان الهاشمي، وهو ضعيف الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٦٥٤).

(٦) في المطبوع: «آنسه».

(٧) سقط من الأصل، وهو معضل، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦٥) من طريق حجاج، وهو المصيصي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

و﴿عَدُوًّا﴾ يراد به الجمع، تقول: هؤُلاءِ عدُوٌّ لي، فتصف به الجمع والواحد والمؤنث.

ثم وعده تعالى بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾، والباءُ في ﴿بِرَبِّكَ﴾ للتأْكيد، دالة على [الأمر؛ إذ المعنى][1]: اكتف بربك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

رُوي عن ابن عباس وغيره: أَن كفار قريش قالوا في بعض معارضاتهم: لو كان هذا القرآن من عند الله لنزلَ جملةً كما نزلت التوراة والإِنجيل[2].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يحتمل أَن يكون من قول الكفار، [إشارة إلى التوراة والإنجيل.

ويحتمل أن يكون من الكلام المستأنف][3]، وهو أَوْلى، ومعناه: كما نزل أَردناه، فالإِشارة إِلى نزوله متفرقاً، وجعل الله تعالى السببَ في نزوله متفرقاً في الزمان تثبيتَ فؤاد محمد ﷺ، وليحفظه.

وقال مكيٌّ، والرُّمَّانيُّ: من حيث كان أُمِّيّاً لا يكتب، وليطابق الأَسباب المؤقتة، فنزل في نيّف على عشرين سنة، وكان غيره من الرسل يكتب فنزل إليه جملة[4].

وقرأَ عبد الله بن مسعود: (لِيُثَـبِّتَ) بالياءِ[5].

---

(١) في المطبوع: «على المعنى إذ هو».

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٣) ساقط من المطبوع وفيه بدلًا منه: «ويحتمل أَن يكون مستأْنفاً من كلام الله تبارك وتعالى لا من كلامهم»، إلا أنه قال في الحاشية: زيادة لا بُدَّ منها حتَّى يستقيم المعنى، بمعنى أنها ليست في أصولهم.

(٤) راجع الهداية لمكي (٨/ ٥٢١٦)، وتفسير الرماني لم أقف عليه.

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٠٦).

و«التَّرْتيلُ»: التفريق بين الشيءِ المتتابع، ومنه قولهم: ثغر رَتَلٌ[١]، ومنه ترتيل القراءَة، وأَراد الله تعالى أَن يُنَزل القرآن في النوازل والحوادث التي قدَّرها وقدَّر نزوله فيها.

ثم أَخبر تعالى نبيه أَن هؤلاءِ الكفرة لا يجيئون بِمَثَلٍ يضربونه على جهة المعارضة منهم[٢] ـ كتمثيلهم في هذه بالتوراة والإِنجيل ـ إِلاَّ جاءَ القرآن بالحق في ذلك، بالجلية[٣]، ثم هو أَحسن تفسيراً، أَو أَفصح بياناً وتفصيلًا.

ثم توعد الكفار بما ينزل بهم يوم القيامة من الحشر على وجوههم إِلى النار.

وذهب الجمهور إِلى أَن هذا المشي على الوجوه حقيقة، ورُوي في ذلك من طريق أَنس بن مالك حديثٌ: أَن النبي ﷺ قال له رجل: يا رسول الله، كيف يقدرون على المشي على وجوههم؟ قال: «إِن الذي أَقدرهم على المشي على أَرجلهم قادر أَن يمشيهم على وجوههم»[٤].

وقالت فرقة: المشي على الوجوه استعارة للمذلة المفرطة والهوان والخزي.

وقوله تعالى: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ القول فيه كالقول في قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾.

---

(١) في المطبوع: «بقر رتل».

(٢) في المطبوع: مبهم.

(٣) في المطبوع: «أَي بالذي هو حقٌّ».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٨٢) ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

هذه الآيات التي ذكر فيها الأُمم هي تمثيلٌ لهم وتوعُّدٌ أَن يحل بهم ما حلَّ بهؤلاءِ المعذَّبين.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة.

و«الْوَزِير»: المُعين، وهو من تحمُّل الوزْر، أَي ثقل الحال، ومن الوَزَر الذي هو الملجأُ.

و﴿ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾: هم فرعون ومَلَؤُهُ من القبط، ثم حذف من الكلام كثير دلَّ عليه ما بقي، وتقدير المحذوف: فَذَهبا[1] فَأَدَّيا الرسالة فكذبوهما فدمَّرْناهم.

وقرأَ عليُّ بن أَبي طالب، ومسلمة بن محارب: (فَدَمِّرَانِّهِمْ)[2]، أَي: كونا سبب ذلك، قال أَبو الفتح: أَلْحَقَ نون التوكيد أَلف التَّثنية، كما تقول: اضربانِّ / زيداً. [٤/ ١١٦]

ورُوي عن عليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: (فَدَمِّراهم).

وحكى عنهم أَبو عمرو الدَّاني: (فَدَمِرْناهُمْ) بكسر الميم خفيفة.

قال: وروي عنهم: (فدَمِّروا بِهِمْ)[3] على الأمر لجماعة وبزيادة باءٍ، والذي فسَّر أَبو الفتح وهم، وإِنما القراءَة: (فَدَمِّروا بِهِمِ)، وكذلك ذكره المهدوي[4].

ونُصِب قوله: (قَوْمَ) بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾.

وقوله: ﴿ٱلرُّسُلَ﴾ ـ وهم إِنما كذبوا نوحاً فقط ـ معناه: أَن الأُمة التي تكذب نبيّاً واحداً ففي ضمن ذلك تكذيب جميع الأَنبياءِ، فجاءَت العبارة بما يتضمنه فعلهم تغليظاً[5] في القول عليهم.

---

(١) سقطت من الأصل وفيض الله، وفي الحمزوية: «قدما فأديا».

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في المحتسب (٢/ ١٢٢)، مع التوجيه المنقول عنه.

(٣) في فيض الله: «وروي عنه: فدمرا بهم بالياء على الأمر لجماعة وبزيادة باء... إلخ»، وفي أحمد٣: «فدمرا بهم» وسقطت الثانية مع ما بينهما، وفي لالاليه والحمزوية: «فدمرا بهم»، في الثانية.

(٤) وكلها شاذة، انظر التحصيل للمهدوي (٥/ ١٩) مع تعليق المحقق، وانظر قول ابن جني مع نقل أبي عمرو في المحتسب (٢/ ١٢١)، ويُنظر هل هو الداني؟.

(٥) في المطبوع: «تعبيراً».

وقوله: ﴿ءَايَةً﴾ أي علامةً على سطوة الله تعالى بكل كافر بأَنبيائه.

و«عاد» و«ثمود»: يُصرف ولا يصرف، وجاءَ هاهنا مصروفاً، وقرأَ ابن مسعود، وعمرو ابن ميمون، والحسن، وعيسى: ﴿وَعَادًا﴾ مصروفاً، ﴿وَثَمُودَاْ﴾ غير مصروف[١].

واختلف الناس في (أصحاب الرسِّ):

فقال ابن عباس: قوم من ثمود[٢].

وقال قتادة: هم أَهل قرية من اليمامة يقال لها: الرَّسُّ [والفلج[٣].

وقال مجاهد: هم أهل قرية فيها بئر عظيمة يقال لها: الرَّسُّ][٤].

وقال كعب، ومقاتل، والسُّدي: «الرَّس»: بئر بأَنطاكية الشام، قُتل بها صاحب ياسين[٥].

وقال الكلبي: [«أَصحاب الرَّسِّ» قوم بُعث إِليهم نبيٌّ فأكلوه[٦].

وقال قتادة][٧]: «أَصحاب الرَّسِّ» و«أَصحاب الأيْكة» قومان أُرسل إِليهم شعيب عليه السلام، وقاله وهب بن مُنَبِّه[٨].

وقال عليٌّ رضي الله عنه ـ في كتاب الثعلبي ـ: «أَصحاب الرَّسِّ» قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال لها: شاه درخت، رسُّوا نبيهم في بئر [حفروه له في حديث طويل[٩].

---

(١) وهي سبعية، منعُ الصرف لحفص وحمزة، والباقون بالصرف، انظر التيسير (ص: ١٢٥).

(٢) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦٩) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٤٥).

(٤) سقط من المطبوع، وسقط قول مجاهد من فيض الله ونور العثمانية، وانظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٠).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٣٤).

(٦) لم أقف عليه، وفي المطبوع: «فقتلوه»، وانظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٣٤).

(٧) سقط من لالاليه ونور العثمانية.

(٨) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٨).

(٩) ذكره الثعلبي (٧/ ١٣٥) عن علي بن الحسين زين العابدين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب بلفظ مطولًا.

و«الرَّسُّ» في اللغة: كل محفور من بئر][1] أَو قبر أَو معدن، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب] سبقْتَ إِلى فَرَطٍ بَاهِلٍ تَنَابِلَةٍ يَحْفُرُونَ الرِّسَاسَا[2]

وروى عكرمة، ومحمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ أَن أَهل الرَّسِّ المشار إِليهم في هذه الآية: قومٌ أَخذوا نَبِيَّهم فرسوه في بئر وأَطبقوا عليه صخرة، قال: فكان عبْدٌ أَسود قد آمن به، يجيءُ بطعام إِلى ذلك البئر فيعينه الله على تلك الصخرة [فيقلعها، وهو مؤمن بذلك النبي، فيعطيه ما يغذيه، ثم يردُّ تلك الصخرة][3]، إِلى أَن ضرب الله يوماً على أُذن ذلك الأَسود بالنوم أَربع عشرة سنة، وأَخرج أَهل القرية نبيهم وآمنوا به... في حديث طويل[4].

قال الطبري: فيمكن أَنهم كفروا به بعد ذلك فذكرهم الله تعالى في هذه الآية[5].

وقوله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ إبهام[6] لا يعلم حقيقته إِلا الله عز وجل، وقد تقدم شرح القرن، وكم هو، ومن هذا اللفظ قال رسول الله ﷺ فيما يروى - ويروى أَن ابن عباس قاله -: «كذب النَّسَّابون من فوق عدنان»[7]، لأن الله تعالى أَخبر عن كثير من الخلق والأُمم ولم يحد، [ولم يخبر عن غيرهم][8].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) البيت للنابغة الجعدي كما سيأتي للمؤلف في سورة ق، وانظره في مجاز القرآن (٢/ ٧٥)، والمحكم (٨/ ٤١٠).

(٣) سقط من الأصل.

(٤) مرسل، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٧٠) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٢٧١)، بتصرف.

(٦) في المطبوع: «إِيهامٌ».

(٧) لم أجده من قول ابن عباس، ولكن رواه الطبري (١٦/ ٥٣٠) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود، به، وهذا إسناد صحيح، لو سلم من تدليس أبي إسحاق.

(٨) سقط من الأصل.

ثم قال تعالى: إِن كلَّ هؤلاءِ ضُرب له الأَمثال ليهتدي فلم يهتد، فَتبَّـرَهُ اللهُ، أَي أَهلكه، و«التَّبارُ»: الهلاكُ، ومنه التِّبْرُ: الذَّهب، أَي: المُكَسَّر المُفَتَّت، ولذلك يقال لِفُتات الرُّخام والزُّجاج: تِبْر، وقال ابن جرير: إِن أَصل الكلمة نبطي، ولكن العرب قد استعملته[1].

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

قال ابن عباس وابن جريج، والجماعة: الإِشارة إِلى مدينة قوم لوط، وهي سَدُوم بالشام[2].

و﴿مَطَرَ ٱلسَّوۡءِ﴾: حجارة السِّجِّيل.

وقرأَ أَبو السّمال: (السُّوءِ) بضم السِّين المشددة[3].

ثم وقفهم على إِعراضهم وتعرضهم لسخط الله تعالى بعد رؤْيتهم العبرة من تلك القرية، ثم حكم عليهم [بأَن كفرهم إِنما أَوجبه فساد معتقدهم في أَمر الآخرة، وأَنهم لا يرجون البعث، وكذلك لا يخافونه.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٢).

(٢) إنما روي من قول ابن جريج، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٧٢-٢٧٣) من طريق الحسين، ثنا حجاج، عن ابن جريج، به من قوله، ثم أورد عن ابن عباس قولاً آخر. والحسين: هو سنيد بن داود المصيصي، ضعيف الحديث.

(٣) وهي شاذة، انظرها في الدر المصون (٨/ ٤٨٤).

ثم حكى الله تعالى عنهم][(١)] أنهم إِذا رأَوا محمداً ﷺ استهزؤوا به واحتقروه، واستبعدوا أَن يبعثه الله تعالى رسولاً، فقالوا ـ على جهة الاستهزاءِ ـ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾.

وفي ﴿بَعَثَ﴾ ضمير يعود على ﴿ٱلَّذِى﴾ حذف[(٢)] اختصاراً، وحسن ذلك في الصفة.

ثم آيَسَ النبيَّ ﷺ عن كفرهم بقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ الآية، والمعنى: لا تتأَسف عليهم ودَعهم لرأْيهم، ولا تحسب أَنهم على ما تحب من التحصيل والعقل؛ بل هم كالأَنعام في الجهل بالمنافع، وقلَّة التَّحَسُّس للعواقب، ثم حكم بأَنهم أَضلُّ سبيلاً من حيث لهم الفَهْم وتركوه، والأَنعام لا سبيل لهم إِلى فهم الصالح، ومن حيث جهالة هؤلاءِ وضلالتهم في أَمر أَخطر من الأمر الذي فيه جهالة الأَنعام.

وقوله: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ معناه: جعل هواهُ مطاعاً فصار كالإِله، والهوى قائد إِلى كل فساد؛ لأن النفس أَمارة بالسوءِ، وإِنما الصلاح إِذا ائتمرت للعقل[(٣)].

وقال ابن عباس: الهوى إِله يُعبد من دون الله، وذكره الثعلبي[(٤)].

وقيل: الإِشارة بقوله: ﴿إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ إِلى ما كانوا عليه من أَنهم كانوا يعبدون حجراً، فإِذا وجدوا أَحسن منه طرحوا الأَول وعبدوا الثاني الذي وقع هواهم عليه.

قال أَبو حاتم: وروي عن رجل من أَهل المدينة؛ قال ابن جني هو الأَعرج: (إِلاهَةً هواهُ)[(٥)].

---

(١) سقط من الأصل، وفي لالاليه ونور العثمانية وفيض الله: «حكم»، بدل حكى.

(٢) في المطبوع: «حذفت».

(٣) في المطبوع: «العقل».

(٤) لم أقف عليه من قول ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٢٢).

والمعنى: اتخذ شمساً يستضيءُ بها، إِذ الشمس يقال لها: إلاهة، وتصرف [ولا تصرف][(١)].

و«الوكيل»: القائم على الأَمر الناهض به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ معناه: انتبه، والرؤْية هنا: رؤْية القلب.

وأَدغم عيسى بن عمر: ﴿رَبِّك كَّيفَ﴾، قال أَبو حاتم: والبيان أَحسن[(٢)].

و«مَدُّ الظِّلِّ»: بإِطلاق، هو ما بين أَول الإِسفار إِلى بزوغ الشمس، ومن بعد مغيبها مدة يسيرة، فإِن في هذين الوقتين على الأَرض كلها ظلّ ممدود[(٣)] مع أَنه نهار، وفي سائر أَوقات النهار ظلال متقطعة، والمَدُّ والْقَبْضُ مطرد فيها، وهو عندي المراد في الآية، والله أَعلم.

ومن الظل الممدود: ما ذكر الله في هواءِ الجنة؛ لأَنها لما كانت لا شمس فيها كان ظلها ممدوداً أَبداً / . [٤/ ١١٧]

وتظاهرت أَقوال المفسرين على أَن مدَّ[(٤)] الظلِّ: هو من الفجر إِلى طلوع الشمس، وهذا معترض بأَن ذلك في غير نهار؛ بل في بقايا الليل، لا يقال له ظل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا﴾ أَي: ثابتاً غير متحرك ولا منسوخ، لكنه جعل الشمس ونسخها إِياه وطردها له من موضع إِلى موضع دليلاً عليه، مبيناً لوجوده ولوجه العبرة فيه.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) وهما سبعيتان، والأولى للسوسي على قاعدته في الإدغام الكبير.

(٣) كذا في المطبوع وجميع النسخ بالرفع، وهي لغة يقدر فيها ضمير الشأن، وقد جاءت بها أحاديث ولها نظائر في الشعر كثيرة، وفي نور العثمانية هنا زيادة «صوابه: ظلاً ممدوداً»، وهي مدرجة، تدل على أنه ليس من خطأ النساخ، وفي المطبوع تقديم وتأخير غير مؤثر، وفي الأصل: على أنه بدل مع أنه.

(٤) في المطبوع: «أن هذا الظل».

وحكى الطبري أَنه لولا الشمس لم يعلم أَن الظل شيءٌ؛ إِذ الأَشياءُ إِنما تعرف بأَضدادها[١].

وقوله: ﴿قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾ يحتمل أَن يريد: لطيفاً، أَي: شيئاً بعد شيءٍ لا في مرة واحدة ولا بعنف.

قال مجاهد: ويحتمل أَن يريد: معجلاً، وهذا قول ابن عباس[٢].

ويحتمل أَن يريد: سهلاً قريب المتناول.

قال الطبري: ووصف الليل باللباس تشبيهاً من حيث يستر الأَشياءَ ويغشاها[٣].

و«السُّبات»: ضرب من الإِغماءِ يعتري اليقظان مرضاً، فشُبِّه النائم به، والسبت: الإِقامة في المكان، فكأَن السبات سكونٌ مَا وثبوت عليه.

و«النُّشورُ» في هذا الموضع: الإِحياءُ، شبَّه اليقظة به ليتطابق الإِحياءُ مع الإِماتة والتوفي اللَّذين يتضمنهما النوم والسبات.

ويحتمل أَن يريد بالنشور: وقت انتشارٍ وتفرقٍ لطلب المعاش وابتغاءَ فضل الله.

وقوله: ﴿ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ وَمَا قبله من باب: ليلٌ نائم ونهار صائم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٧٧) وابن أبي حاتم (١٥٢٢٩) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٨)، بتصرف.

قرأَت فرقة: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾، وقرأَت فرقة: ﴿الرِّيحَ﴾ على الجنس، فهي بمعنى الرياح، وقد نسبنا القراءَة في سورة الأَعراف[١].

وقراءَة الجمع أَوجه؛ لأَن عرف الريح متى وردت في القرآن مفردة فإِنما هي للعذاب، ومتى كانت للمطر والرحمة فإِنما هي رياح؛ لأَن ريح المطر تتشعب، وتتداءَب[٢]، وتتفرق وتأْتي ليِّنة من ها هنا وها هنا، وشيئاً إِثْر شيءٍ، وريح العذاب حرجف[٣]، لا تتداءَب، وإِنما تأْتي جسداً واحداً، أَلا ترى أَنها تُحَطِّم ما تجد وتهدمه؟.

قال الرُّماني: جُمعت رياح الرحمة لأَنها ثلاثة لواقح: الجنوب والصَّبا والشمال، وأُفردت ريح العذاب لأَنها واحدة لا تلقح، وهي الدَّبور[٤].

قال القاضي أَبو محمد: ويرد[٥] على هذا قولُ النبي ﷺ إِذا هبَّت الريح: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[٦].

واختلف القراءُ في النشر في النون والباءِ، وغير ذلك اختلافاً قد ذكرناه في سورة الأَعراف[٧].

و﴿نَشْراً﴾ معناه: منتشرة متفرقة.

---

(١) وهما هنا سبعيتان، الإفراد لابن كثير، انظر: التيسير (ص: ٧٨)، وفي فيض الله ونور العثمانية: «وقد بينا».
(٢) قال في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، ونقلها أبو حيان في البحر أيضاً بهذا اللفظ، ولا نجد لها هنا معنى، فلعلها تحريف عن كلمة أُخرى، أو لعل معناها: تَستمر وتدوم وتُلازم.
(٣) الحَرْجَفُ من الرياح: الباردة الشديدة الهبوب مع جفاف، ولَيْلَةٌ حرجف: باردةُ الريح.
(٤) نقله في البحر المحيط (٨/ ١١٥).
(٥) قال في حاشية المطبوع: غير موجودة في الأصول، ولكن المعنى هنا يقتضيها، وهي عندنا في كل النسخ.
(٦) ضعيف، أخرجه أبو يَعلى في مسنده (٤/ ٣٤١) والطبراني في الكبير (١١/ ٢١٣) من طريق الحسين بن قيس، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف جدّاً، الحسين بن قيس هو الرحبي، متروك الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٤٦٥)، ورواه الشافعي عمن لا يتَّهِم عن العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس به (مسند الشافعي ترتيب السندي ٥٠٢).
(٧) انظر تفسير الآية (٥٧).

و«الطَّهُور»: بناءُ مبالغة في طاهر، وهذه المبالغة اقتضته في ماءِ السماءِ وفي كل ما هو منه وبسبيله أَن يكون طاهراً مُطَهِّراً، [وفيما كثرت فيه التغايير، كماء الورد وعصير العنب أن يكون الماءُ طاهراً لا مطهراً][١]، [ثم إذا أفرط التغيير بخلطه الخبث لم يكن الماء طاهراً ولا مطهراً][٢]، ووصف البلدة بالميت لأنه جعله كالمصدر الذي يوصف به المذكَّر والمؤنث، وجاز ذلك من حيث الْبَلْدَة بمعنى الْبَلَد.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (لننشئ به بلْدةً) [٣].

﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ بضم النون، وهي قراءَة الجمهور، ومعناه: نجعله لهم سقياً، هذا قول بعض اللغويِّين في أَسْقَى، قالوا: وسَقَى معناه للشَّفَةِ، وقال الجمهور: سَقَى وأَسْقَى بمعنى واحد، وينشد على ذلك بيت لبيد:

[الوافر] سَقَى قَومِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى   نُمَيْراً والْقَبَائِلَ مِنْ هِلال[٤]

وقرأَ أَبو عمرو: (ونَسْقِيَهُ) بفتح النون، وهي قراءَة ابن مسعود، وابن أَبي عبلة، وأَبي حيوة، ورويت عن عمر بن الخطاب[٥].

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ قيل: هو جمع إِنسان، والياءُ المشددة بدل من النون في الواحد، قاله سيبويه، وقال المبرد: هو جمع إِنْسِيٍّ، فكان القياس أَن يكون: أَنَاسِيَة، كما قالوا في مهلبي: مهالبة، وحكى الطبريُّ عن بعض اللغويين في جمع إِنسان: أَنَاسِينَ بالنون، كسرحان وبستان[٦].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) هكذا في جميع الأصول، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٩) عنه: «لننشر» من النشر، وكذا عزاها في فتح الباري (٩/ ٣٥) لابن مَسْعُود.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٢٢) من سورة الحجر.

(٥) وهي شاذة، إذ لا خلاف هنا بين العشر كما في النشر (٢/ ٣٠٤)، وانظر نسبتها لعمر في تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٠)، وللباقين في فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٥).

(٦) انظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٢١)، وتفسير الطبري (١٩/ ٢٧٩)، وقول المبرد في الهداية لمكي (٨/ ٥٢٣٥).

وقرأ يحيى بن الحارث (أَناسِي) بتخفيف الياء[1].

والضمير في ﴿صَرَّفۡنَٰهُ﴾ قال ابن عباس[2]، ومجاهد: هو عائد على الماءِ المنزل من السماءِ[3]، المعنى أَن الله تعالى جعل لهم إِنزال الماءِ تذكرة بأَن يصرفه عن بعض المواضع إِلى بعض المواضع، وهو كله في كل عام بمقدار واحد، وقاله ابن مسعود[4]، وقوله ـ عَلَى هذا ـ: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أَيْ: في قولهم بالأَنواءِ والكواكب، قاله عكرمة[5].

وقيل: ﴿كُفُورًا﴾ على الإِطلاق لما تركوا التذكر.

وقال ابن عباس: الضمير في ﴿صَرَّفۡنَٰهُ﴾ للقرآن[6]، وإِن كان لم يتقدم له ذكر لوضوح الأَمر، ويعضد ذلك قوله بعد ذلك: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾.

وعلى التأْويل الأَول الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يُراد به: القرآن على نحو ما ذكرناه، وقال ابن زيد: يرادُ به الإِسلام[7].

وقرأ عكرمة: (صَرَفْنَاهُ) بتخفيف الراءِ[8].

وقرأ حمزة، والكسائي، والكوفيُّون: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ بسكون الذَّال.

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٠٦).
(٢) صحيح، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٨٠) من طريق سليمان التيمي، قال: ثنا الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٠)، بتصرف.
(٤) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٨٠) من طريق يزيد بن أبي زياد، عن أبي جحيفة، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، به. ويزيد بن أبي زياد، هو الكوفي، متفق على تضعيفه، انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ١٣٥).
(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٠٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٤٩).
(٦) لم أقف عليه من قول ابن عباس.
(٧) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٠٧).
(٨) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٠).

وقرأ الباقون: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ بشد الذَّال والكاف[١].

وفي قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ الآية اقتضاب يدل عليه ما ذكر، تقديره: ولكنا أفردناك بالنذارة وحملناك فلا تطع الكافرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

اضطرب الناس في تفسير هذه الآية؛ فقال ابن عباس: أراد: بحر السحاب[٢] والبحر الذي في الأَرض[٣]، ورُتِّبت أَلفاظ الآية على ذلك.

وقال مجاهد: البحر العذب هو مياه الأَنهار الواقعة في البحر الأُجاج، ووقوعها فيه مَرْجُهَا، قال: والبرزخ والحِجْر هو حاجز في علم الله لا يراه البشر[٤]، قاله الزَّجاج[٥].

وقالت فرقة: معنى ﴿مَرَجَ﴾: أَدام[٦] أَحدهما في الآخر.

وقال ابن عباس: خلَّى[٧] أَحدهما على الآخر[٨]، ونحو هذا من الأقوال التي تتداعى [مع بعض ألفاظ الآية][٩].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٦٥).
(٢) في المطبوع: «السماء».
(٣) لم أقف عليه.
(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٣)، بتصرف.
(٥) معاني القرآن (٤/ ٧٢)، بتصرف.
(٦) في الأصل ولالاليه: «معناه مرج أحدهما» إلخ.
(٧) في المطبوع ونجيبويه: «علّى»، وفي الحمزوية ولالاليه ونور العثمانية: «حلى».
(٨) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٨٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، به.
(٩) سقط من المطبوع.

والذي أَقول في الآية: أن المقصد/ بها التنبيه على قدرة الله تعالى، وإِتقان خلقه [٤/ ١١٨] للأَشياءِ، في أَن بث في الأَرض مياهاً عذبة كثيرة من أَنهار وعيون وآبار، وجعلها خلال الأُجاج، [وجعل الأُجاج][١] خلالها، فتلقى البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه، وتَلْقى الماءَ العذب[٢] في الجزائر ونحوها قد اكتنفه الماءُ الأجاج، فبَثُّها هكذا في الأرض هو خلطها، وهو قوله: ﴿مَرَجَ﴾.

ومنه: ﴿أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، [أي: مختلط مشتبك.

ومنه: «مرجت عهودهم» في الحديث المشهور][٣].

و«الْبَحْرَان»: يراد بهما جميع الماءِ العذب وجميع الماءِ الأُجاج، كأَنه قال: مَرَجَ نَوْعَي الماءِ، و«البَرْزخ والحِجْر»: هو ما بين البحرين من الأَرض واليبس، قاله الحسن[٤].

ومنه القدرة التي تمسكهما[٥] مع قُرب ما بينهما في بعض المواضع.

وبكسر الحاءِ قرأَ الناسُ كلهم هنا، والحسن بضم الحاءِ في سائر القرآن[٦].

---

(١) ما بين معقوفين سقط من الأصل.

(٢) في المطبوع: «الماء في البحر»، بدل العذب.

(٣) سقط من المطبوع، والحديث صحيح، روي من طرق عن عبد الله بن عمرو العاصي أن النبي ﷺ قال له: «كيف بك يا عبد الله إذا بقيت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأمانتهم واختلفوا فصاروا هكذا وشبك بين أصابعه قال: فكيف أفعل يا رسول الله؟ قال: تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر وتقبل على خاصتك وتدعهم وعوامهم»، تراجع السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني رقم (٢٠٥-٢٠٦)، وعلق البخاري (٤٨٠) أول هذا الحديث ولم يسق بقيته، وساقه الحميدي بتمامه في الجمع بين الصحيحين (١٤٣٥) وقال: ليس هذا الحديث في أكثر النسخ وإنما حكى أبو مسعود أنه رآه في كتاب أبي رميح عن الفربري وحماد بن شاكر عن البخاري. اهـ. ويراجع فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٦٦).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٠٨).

(٥) في الأصل: «تمسكها».

(٦) وهي قراءة شاذة، كما تقدم قريباً عنه وعن أبي رجاء، وانظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٤٧).

[و«الفرات»: الصافي اللذيذ المطعم][١].

و«البرزخ»: الحاجز بين الشيئين.

وقرأ الجمهور: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ﴾.

وقرأ طلحة بن مصرّف: (وهذا مَلِحٌ) بكسر اللام وفتح الميم، قال أبو حاتم: هذا منكر في القراءَة، قال ابن جني: أراد: مالحاً، وحذف الأَلف، كعَرِدٍ وبَرِدٍ[٢].

و«الأُجاجُ»: أَبلغ ما يكون من الملوحة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ الآية، هو تعديد النعمة على الناس في إِيجادهم بعد العدم، والتنبيه على العبرة في ذلك، وتعديد النعمة في التواشج الذي جعل بينهم من النسب والصهر.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ إِما أَن يريد: أَصل الخلقة في أَن كل حيٍّ مخلوق من الماءِ، وإِما أَن يريد: نُطَف الرجال، وكلٌّ من ذلك قالته فرقة، والأَول أَفصح وأَبين.

و«النَّسَب والصِّهر»: معنيان يعمان كل قربى تكون بين آدميَّيْن، «فالنَّسب»: هو أَنْ يجتمع إِنسانٌ مع آخر في أَب أَو في أُمٍّ، قَرُبَ ذلك أَو بعد ذلك، و«الصِّهر»: تواشج المناكحة، فقرابة الزوجة هم الأَخْتان، وقرابة الزوج هم الأَحْماءُ، والأَصهار يقع عامّاً لذلك كله.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: «النَّسب» ما لا يحل نكاحه، و«الصِّهر» ما يحل نكاحه[٣].

وقال الضَّحاك: «الصِّهر» قرابة الرضاع[٤].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) «في القراءة» ليست في المطبوع؛ وهي شاذة، انظر عزوها مع تعليق أبي حاتم، وتوجيه ابن جني في المحتسب (٢/ ١٢٤).

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٤).

قال القاضي أَبو محمد: وذلك عندي وَهْم أَوجبه أَن ابن عباس قال: حُرِّم من النَّسب سبع، ومن الصِّهر خمس، وفي رواية أُخرى: ومن الصِّهر سبع[1]، يريد قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾ [النساء: ٢٣] فهذا هو من النَّسَب، ثم يريد بالصِّهر قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾، ثم ذكر المحصنات.

ويحتمل هذا أنَّ ابن عباس أَراد: حرم من الصهر مع[2] ما ذُكر معه، فقصد بـ «ما ذُكِرَ» إِلى عُظْمه وهو الصهر، لا أَن الرضاع صِهْرٌ، وإِنما الرضاع عديل النَّسب يحرم منه ما يحرم من النسب، بحكم الحديث المأْثور فيه[3]، ومن روى: وحُرِّم من الصِّهر خمس[4] أَسقط من الآيتين الجمع بين الأُختين، والمحصنات، وهن ذوات الأَزواج.

وحكى الزهراوي قولاً: أَن النَّسب من جهة البنين، والصِّهر من جهة البنات[5].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسن، وفي دَرْجِ ما قَدَّمته.

وقال ابن سيرين: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ، وعلي؛ لأَنه جمعه معه نسب وصهر[6].

فاجتماعهما وكادةُ حرمة إِلى يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٠٥) من حديث ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٢) سقطت من المطبوع وفيض الله والحمزوية.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٠٢) من حديث ابن عباس، رضي الله عنه، مرفوعاً، وانظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١١٨٤).

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٥) تفسير القرطبي (١٣/ ٦١).

(٦) تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٢)، بتصرف.

وقوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ هي «كان» التي للدوام قبل وبعد، لا أَنَّها تعطي مضيّاً فقط.

ثم ذكر تعالى خطأَهم في عبادتهم أَصناماً لا تملك لهم ضرّاً ولا نفعاً.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ فيه تأْويلان:

أَحدهما: أَن الظهير المعينُ، فتكون الآية بمعنى توبيخهم على ذلك، من أَن الكفار يعينون على ربِّهم غيرَهم من الكفرة، والشيطان بأَن يطيعوه ويظاهروه، وهذا هو تأْويل مجاهد، والحسن، وابن زيد[1].

والثاني: ذكر الطبري أَن يكون الظهير فعيلاً من قولك: ظهرتُ الشيءَ إِذا طرحته وراءَ ظهرك واتخذته ظهريّاً، فيكون معنى الآية على هذا التأْويل: احتقار الكفرة.

و﴿ٱلْكَافِرُ﴾ في هذه الآية اسم جنس.

وقال ابن عباس: بل هو مُعيَّن أَراد به أَبا جهل ابن هشام[2].

قال القاضي أَبو محمد: ويُشبه أَن أَبا جهل سببُ الآية، ولكن اللفظ عام للجنس كله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ الآية، تسلية لمحمد ﷺ، أَي: لا تَهْتَم بهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حرصاً عليهم، فإِنما أَنت رسول تُبشر المؤْمنين بالجنة، وتنذر الكفرة النار، ولست بمطلوب بإِيمانهم أجمعين.

ثم أَمره تعالى بأَن يحتَجَّ عليهم مُزيلاً لوجوه التُّهم بقوله: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، أَي: لا أَطلب مالاً ولا نفعاً يختص بي.

وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾، الظاهر فيه أَنه استثناءٌ منقطع، والمعنى: لكن مسؤولي

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١١)، وتفسير الطبري (١٩/ ٢٨٥)، مع ما سيأتي عنه، بتصرف.
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٨٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

ومطلوبي من شاءَ أَن يهتدي ويؤمن ويتخذ إِلى رحمة ربه طريق نجاة، قال الطبري: المعنى: لا أَسأَلكم أَجْراً إِلا إِنفاق المال في سبيل الله، فهو المسؤول، وهو السبيل إِلى الربِّ[1].

قال القاضي أَبو محمد: فالاستثناءُ ـ على هذا ـ كالمتَّصل، وكأَنه قال: إِلَّا أَجر من شاءَ، والتأْويل الأَول أَظهر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾.

المعنى: قل لهم يا محمد هذه المقالة التي لا ظَنَّ يتطرق إِليك معها، ولا تهتم بهم، وبشِّر، وأَنذر، وتوكَّل على المتكفِّل بنصرك وعضدك في كل أَمرك.

ثم وصف تعالى نفسه بالصفة التي / تقتضي التوكل في قوله: ﴿ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾؛ إِذ هذا المعنى يختص بالله تعالى دون كل ما لدنيا[2] مما يقع عليه اسمُ حيٍّ. [٤/ ١١٩]

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ قل سبحان الله وبحمده، أَي: تنزيهُه واجب، وبحمده أَقول.

قال القاضي أَبو محمد: وقال رسول الله ﷺ: «من قال في كل يوم سبحان الله وبحمده مئة مرة غُفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[3]، فهذا معنى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾، وهي إِحدى الكلمتين الخفيفتين على اللسان، الثقيلتين في الميزان[4].

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٥).

(٢) في المطبوع: «كل ما في الدنيا».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٠٥) ومسلم (٥٩٧).

(٤) يشير إلى الحديث المتفق عليه الذي أخرجه البخاري (٦٤٠٦) (٦٦٨٢) (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ﴾ توعُّد، وإزالة كَلٍّ[١] عن محمد ﷺ في همِّه بهم.

وقوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مع جمعه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، قيل: سائغ من حيث عَادَل لَفظُ الْأَرْض لفظَ السَّماواتِ، ونحوه قول عُمَر بن شُيَيْم:

[الوافر] أَلَـمْ يَحْزُنْـكَ أنَّ حِبَـالَ قَيْـسٍ وَتَغْلِـبَ قَـدْ تبايَنَتَـا انْقِطَاعـا[٢]

من حيث عادَلَت حبال[٣] حبالًا، ومنه قول الآخر:

[الكامل] إِنَّ المَنِيَّـةَ والْحُتُـوفَ كِلَاهُمـا يُوفي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادي[٤]

وقوله: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، اختلفت الرواية في اليوم الذي ابتدأَ الله فيه الخلق، فأَكثر الروايات على يوم الأَحد، وفي مسلم وكتاب الدلائل: يوم السبت[٥].

وبيَّن بكون ذلك في ستة أَيام وضعَ الأَناة والتمهل في الأُمور؛ لأَن قدرته تقتضي أَنه يخلقها في طرفة عين لو شاءَ، لا إِله إلا هو، وقد تقدم القول في الاستواءِ.

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يحتمل أَن يكون رفعه بإِضمار مبتدأٍ، أَي: وهو الرحمن.

ويحتمل أَن يكون بدلاً من الضمير في قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾.

وقرأَ زيد بن علي بن الحسين: (الرَّحْمنِ) بالخفض[٦].

---

(١) «كل» ليست في المطبوع.

(٢) هو القطامي، كما في مجاز القرآن (٢/ ٣٧)، وقد تقدم في الآية **٣٠** من سورة الأنبياء، وفي الأصل ونجيبويه والتركية: «جبال».

(٣) في المطبوع: «عادل حبل»، وفي نجيبويه: «عادلت جبال جبالا».

(٤) البيت للأسود بن يَعْفُر، كما في مجاز القرآن (٢/ ٣٦)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٣٩)، والمفضليات (ص: ٢١٦).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة، مرفوعاً به، وصوب البخاري أنه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار من قوله.

(٦) وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (٨/ ١٢٠)، وفتح الباري (٩/ ٣٥)، وعزاها الكرماني في الشواذ لابن عمير (ص: ٣٥١).

وقوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ فيه تأويلان:

أَحدهما: فاسأَل عنه، و﴿خَبِيرًا﴾ ـ على هذا ـ منصوب بوقوع السؤال عليه، والمعنى: اسأَل جبريل والعلماءَ وأَهل الكتب المنزلة.

والثاني: أَن يكون المعنى كما تقول: لو لقيتَ فلاناً لَقيتَ به البحر كرماً، أَي: لقيتَ منه، والمعنى: فاسأَل الله عن كل أَمر، و﴿خَبِيرًا﴾ ـ على هذا ـ منصوب إِمَّا بوقوع السؤال، وإِمَّا على الحال المؤكدة، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، وليست هذه بحال مُنتَقلة؛ إِذ الصِّفة العَلِيَّة لا تتغير.

ولما ذكر ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في هذه الآية كانت قريش لا تعرف هذا في أَسماءِ الله تبارك وتعالى، وكان مسيلمةُ كذَّابُ اليمامةِ تَسمَّى بالرحمن، فغالطت قريش بذلك، وقالت: إِن محمداً يأْمر بعبادة رحمان اليمامة، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ...﴾ الآية.

وقولهم: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؟ استفهامٌ عن مجهول عندهم، فـ(مَا) على بابها المشهور.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿تَأْمُرُنَا﴾ بالتاءِ، أَي: أَنت يا محمد.

وقرأَ حمزة، والكسائي، والأَسود بن يزيد، وابن مسعود: ﴿يَأْمُرُنَا﴾ بالياءِ من تحت(١)، إِمَّا على إِرادة محمد، والكناية عنه بالغيبة، وإِمَّا على إِرادة رحمان اليمامة.

وقوله: ﴿وَزَادَهُمْ﴾ أَي: أَضَلَّهُمْ هذا اللفظ ضلالاً يختص(٢) به، حاشى ما تقدَّم منهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٤).

(٢) في الأصل: «لا يختص».

لما جعلت قريش سؤالها عن الله تعالى وعن اسمه الذي هو الرحمن سؤالاً عن مجهول: نزلت هذه الآية مصرحةً بصفاته التي تُعرِّف به، وتُوجب الإِقرار بألوهيته.

و«البروج»: هي التي علمتها العرب بالتجربة وكلُّ[1] أُمة مُصْحرة، وهي المشهورة[2] عند اللغويِّين وأَهل تعديل الأَوقات، وكل برج منها على منزلتين وثلث من منازل القمر التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]، والعرب تُسمي البناءَ المرتفع المستغني بنفسه: برجاً تشبيهاً ببرج السماءِ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال الأَخطل:

[البسيط] كَأَنَّهَا بُرْجُ رُومِيٍّ يُشَيِّدُهُ ... بَانٍ بِجِصٍّ وآجُرٍّ وأَحْجَارِ[3]

وقال بعض الناس في هذه الآية التي نحن فيها: «البروج»: القصور في الجنة.

وقال الأَعمش: كان أَصحاب عبد الله يقرؤونها: (في السماءِ قصوراً)[4].

وقيل: «البروج»: الكواكب العظام، حكاه الثعلبي عن أَبي صالح[5].

وهذا نحو ما بيَّنَّاه إِلَّا أَنه غير ملَخص، وأما القول بأَنها قصور في الجنة فقول يحط غرض الآية في التنبيه على أَشياءَ مدركات تقوم بها الحجة على كل منكِرٍ للَّهِ أَو جاهل به.

وقرأَ الجمهور: ﴿سِرَٰجًا﴾، وهي الشمس.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وعبد الله بن مسعود، وعلقمة، والأَعمش: ﴿سُرُجاً﴾[6]،

---

(١) في الأصل: «وترى كل أمة».
(٢) في نور العثمانية: «المشهور»، وفي المطبوع: «الشهور».
(٣) البيت للأخطل كما في تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٩)، جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٧١)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٤٤).
(٤) وهي شاذة، لمخالفة المصحف، تابعه في البحر المحيط (٨/ ١٢٤)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٠) عن ابن مسعود وإبراهيم وقتادة: (برْجا) بسكون الراء، ثم قال بعد ذلك: وعن قربي: في السماء مقصورا!، وعزا (برْجا) لقتادة وحده في تفسير الماوردي (٤/ ١٥٣).
(٥) تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٤).
(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٤).

وهو اسم جميع الأَنوار، ثم خصَّ القمر بالذكر تشريفاً.

وقرأَ النَّخَعي، وابن وثاب، والأَعمش أَيضاً: (سُرْجاً) بسكون الراءِ[١].

قال أَبو حاتم: روى عصمة عن الحسن: (وقُمْراً) بضم القاف ساكنة الميم، ولا أَدري ما أَراد إِلا أَن يكون عنى[٢] جمعاً كثَمَر وثُمُر، قال أَبو عمرو: وهي قراءَة الأعمش، والنَّخَعي[٣].

وقوله: ﴿خِلْفَةً﴾ أَي: هذا يخلف هذا، ومن المعنى قول زهير:

بِهَـا الْعِيـنُ والآرامُ يمْشِـينَ خِلْفَـةً وَأَطلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ[٤] [الطويل]

ومن هذا قول الآخر يصف امرأَة تنتقل من منزل في الشتاءِ لمنزل في الصيف دأْباً:

ولـهـا بـالْـمَـاطِـرُونِ إِذَا أَكَـلَ الـنَّـمْـلُ الـذي جَمَعَا [المديد]
خِـلْـفَـةً حتَّى إِذا ارتَـبَعَـتْ سَـكَـنَـتْ مِـن جِـلَّـقٍ بِيَعَا
فـي بُـيـوتٍ وَسْـطَ دَسْـكَـرَةٍ حَوْلَهَـا الزَّيْتُـونُ قَـدْ يَنَعَـا[٥]

وقال مجاهد: ﴿خِلْفَةً﴾ من الخلاف، هذا أَبيض وهذا أَسود[٦]، وما قدمناه أقوى.

وقال مجاهد وغيره من النظار: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أَي: يعتبر بالمصنوعات ويشكر الله على نعمه عليه في العقل والفهم والفكر[٧]، وقال عمر بن الخطاب[٨]،

---

(١) وهي شاذة انظر عزوها لهم في فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٥).
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) وهي شاذة، عزاها لهم في فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٥)، ولم أقف على قول أبي حاتم ولا أبي عمرو.
(٤) البيت من معلقة زهير، وقد تقدم في تفسير الآية (١٦١) من سورة البقرة.
(٥) الأبيات ليزيد بن معاوية، وقيل للأحوص، وقد تقدمت في تفسير الآية (١٦١) من سورة البقرة.
(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٢٩١).
(٧) انظر قولي مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٥٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٤٤).
(٨) لا بأس به، أخرجه الطبري (١٩/ ٢٩٠) من طريق حفص بن حميد القمي، عن شمر بن عطية، عن شقيق بن سلمة، عن عمر به.

والحسن[(١)]، وابن عباس: معناه: لمن أَراد أَن يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في أَحدهما، فيستدركه في الذي / يليه[(٢)]. [٤/ ١٢٠]

وقرأَ حمزة وحده: ﴿يَذْكُرَ﴾ بسكون الذال وضم الكاف، وهي قراءَة ابن وثاب، وطلحة، والنَّخَعي، وقرأَ الباقون: ﴿يَذَّكَّرَ﴾ بشد الذال.

وفي مصحف أُبي بن كعب: (يَتَذَكَّر) بزيادة تاءٍ[(٣)].

ثم لمَّا قال تعالى: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ جاءَ بصفة عباده الذين هم أَهْلُ التذكُّر والشكور.

والعباد والعبيد بمعنى، إِلا أَن العبادَ تستعمل في مواضع التنويه، وسُمي قومٌ من عبد القيس العبادَ لأَن كسرى ملكهم دون العرب، وقيل: لأَنهم تأَلَّهوا مع نصارى الحيرة فصاروا عباداً للَّهِ، وإِليهم ينسب عديٌّ بن زيد العِبَادي.

وقرأَ الحسن بن أبي الحسن: (وعَبِيد الرحمن)، ذكره الثعلبي[(٤)].

[وقوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ خبر ابتداءٍ، والمعنى: وعباده حق عباده هم الذين يمشون][(٥)].

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم، فذكر من ذلك العظم، لا سيما وفي الانتقال في الأَرض][(٦)] هي معاشرةُ الناس وخلطتهم.

ثم قال: ﴿هَوْنًا﴾ بمعنى أَمْرُه كله هون، أَي لَيِّنٌ حسن.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٨)، بتصرف.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٩٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٣) الأولى والثانية سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٤)، والثالثة شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥١).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٥)، وفي الأصل والمطبوع: «وعُبُد الرحمن».

(٥) سقط من الأصل.

(٦) ساقط من نجيبويه، وفي المطبوع: «لا سيما وفي ذلك الانتقال في الأرض معاشرة الناس».

قال مجاهد: بالحلم والوقار.

وقال ابن عباس: بالطاعة والعفاف والتواضع[١].

وقال الحسن: حلماً، إن جُهل عليهم لم يجهلوا[٢].

وذهبت فرقة إلى أنَّ ﴿هَوۡنٗا﴾ مرتبط بقوله تعالى: ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي أن المشي هو هون، ويشبه أن يُتأَول هذا على أن تكون أخلاق ذلك الماشي هوناً مناسبة لمشيه، فيرجع القول إلى نحو ما بيَّنَّاه، وأما أن يكون المراد صفة المشي وحده فباطل؛ لأنه رُبَّ ماشٍ هوناً رُوَيْداً وهو ذئب أطلس، وقد كان رسول الله ﷺ يتكفَّأُ في مشيه كأنما يمشي في صبب[٣]،

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٩٤)، وابن أبي حاتم (١٥٣٤٠) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه.

(٢) انظره مع قول مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢١٢٠).

(٣) له طرق فيها لين، روي من حديث علي بن أبي طالب وهند بن أبي هالة، أما حديث علي فمن طرق عنه، منها: عمر بن عبد الله مولى غفرة، حدثني إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب، قال: «كان علي يصف رسول الله ﷺ...» أخرجه الترمذي (٣٦٣٨) وقال عقبه: حسن غريب، ليس إسناده بمتصل، ومن طريق: المسعودي عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن علي به. أخرجه الترمذي أيضاً (٣٦٣٧) وقال: حسن صحيح، ومن حديث: شريك بن عبد الله، عن عبد الملك ابن عمير، عن نافع بن جبير، قال: وصف لنا علي النبي ﷺ.. أخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ٢٣٢)، وقد اختلف الحديث عن نافع بن جبير، فتارة يروى عنه، عن أبيه، عن علي، وتارة أخرى لا يذكرون أباه في السند، وقد صحح الدارقطني في علله (٣/ ١٢٠-١٢٢) رواية نافع عن علي، من غير ذكر أبيه بينهما. والأسانيد إلى نافع لينة، وأما حديث هند بن أبي هالة فمن طريق: رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً عن حلية رسول الله ﷺ... أخرجه الترمذي في الشمائل رقم (٨). وهذا فيه مجاهيل، وترجم البخاري لهند في التاريخ البخاري (٨/ ٢٤٠) قال: وكان وصافاً للنبي ﷺ، روى عنه الحسن بن علي، يُتكلم في حديثه، وذكره العقيلي في الضعفاء (٣/ ١٩٨) في ترجمة: عمر التميمي عن الحسن بن علي، وذكر قول البخاري: لا أُراه يصح، ومن حديث يزيد بن عمر التميمي عن أبيه عن الحسن بن علي عن هند، وقال البخاري: في حديثه نظر.اهـ. ضعفاء العقيلي (٤/ ٣٨٥)، وقال أبو حاتم في ترجمة هند من الجرح (٩/ ١١٦): روى عنه قوم مجهولون.

وهو ﷺ الصدر في هذه الآية، وقوله ﷺ: «مَن مشى منكم في طمع فليمش رويداً»[(١)]، إِنما أَراد في عقد نفسه، ولم يرد المشي وحده، أَلا ترى أَن المبطلين المتَحلِّين بالدين تمسكوا بصورة المشي فقط حتى قال فيهم الشاعر ذمّاً لهم:

[مجزوء الرمل]

كُـلُّـهُـمْ يَـمْـشـي رُوَيْـــد كُـلُّـهُـمْ يَـطْـلُـبُ صَـيْـد[(٢)]

وقال الزهري: سرعة المشي تذهب بهاءَ الوجه[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: يريد الإِسراع الحثيث؛ لأَنه يخل بالوقار، والخير في التوسط.

وقال زيد بن أَسلم: كنت أَسأَل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ فما وجدت في ذلك شفاءً، فرأَيت في النوم من جاءَني فقال لي: هم الذين لا يريدون أَن يفسدوا في الأرض[(٤)].

قال القاضي أَبو محمد: فهذا تفسير في الخلق.

و﴿هَوْنًا﴾ معناه: رفقاً وقصداً، ومنه قول النبي ﷺ: «أَحْبِبْ حبيبك هوناً ما» الحديث[(٥)].

---

(١) ضعيف جدّاً، أخرجه الخطابي في العزلة (٦٢) من طريق إبراهيم بن زياد العجلي، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف جداً، إبراهيم بن زياد هذا قال فيه الأزدي: متروك الحديث، أورده الذهبي في الميزان (١/ ٣٢) ثم أورد حديثه هذا مستنكراً إياه عليه.

(٢) الأبيات للمنصور في عمرو بن عبيد، كما في العقد الفريد (٣/ ١٠٩)، والروض الأنف (٦/ ١٨٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٣/ ٦٨)، وأورده الثعلبي (٧/ ٣١٥) مرفوعاً، وعيون الأخبار (١/ ٤١٢)، بلا نسبة، كلاهما بلفظ: «بهاء المؤمن».

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٤).

(٥) ضعيف مرفوعاً، والصحيح أنه من قول علي، أخرجه الترمذي (٢١١٥) وابن حبان في المجروحين (١/ ٣٤٧) وابن عدي في كامله (٢/ ٢٩٨) والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٦٠) وذكره الدارقطني في العلل (٨/ ١١١) كلهم من طريق سويد بن عمرو الكلبي، عن حماد بن سلمة، عن أيوب، =

وقوله: ﴿خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾، اختلف في تأْويل ذلك:

فقالت فرقة: ينبغي للمخاطب أَن يقول للجاهل: سلاماً بهذا اللفظ، أَي: سلمنا سلاماً أو تسليماً أَو نحو هذا، فيكون العامل فيه فعلاً من لفظه على طريقة النحويين.

والذي أَقول: إِن: ﴿قَالُواْ﴾ هو العامل في ﴿سَلَٰمًا﴾؛ لأَن المعنى: قالوا هذا اللفظ.

وقال مجاهد: معنى ﴿سَلَٰمًا﴾ سداداً، أَي: يقول للجاهل كلاماً يدفعه به برفق ولين، فـ﴿قَالُواْ﴾ على هذا التأْويل: عامل في ﴿سَلَٰمًا﴾ على طريقة النحويين، وذلك أَنه بمعنى: قولاً، وهذه الآية كانت قبل آية السيف، فنسخ منها ما يخُصُّ الكفرة، وبقي أَدبها في المسلمين إِلى يوم القيامة، وذكر سيبويه النسخ في هذه الآية في كتابه، وما تكلم على نَسْخ سواه، ورجَّح به أَن المراد السلامة لا التسليم؛ لأَن المؤمنين لم يؤْمروا قط بالسلام على غير المسلمين، والآية مكِّيَّة فنسختها آية السيف[1].

= عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، رضي لله عنه، مرفوعاً به، قال الترمذي: هذ حديث غريب، لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، وقال الدارقطني: لا يصح رفعه، والصحيح عن علي موقوفاً، وقال البيهقي: هو وهم، قلت: وفي إسناده سويد بن عمرو الكلبي، قال ابن حبان بعد أن روى حديثه هذا في مناكيره: كان يقلب الأسانيد، ويضع على الأسانيد الصحاح المتون الواهية، لا يجوز الاحتجاج به بحال، فإن قيل: إن سويد بن عمرو هذا من رجال مسلم، ومسلم لم يرو له إلا حديثاً واحداً في الشواهد فقط، وهو حديث: كان رسول الله ﷺ يؤخر العشاء إلى ثلث الليل رقم: (٦٤٧)، هذا، ثم إن سويداً قد خولف فيه، فقد خالفه الحسن بن أبي جعفر، فرواه عن أيوب، عن حميد الحميري، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، مرفوعاً به، رواه ابن عدي في كامله (٢/ ٢٩٨) وذكره الترمذي (٢١١٥) والدارقطني في علله (٨/ ١١١)، قال الترمذي: هو حديث ضعيف أيضاً، بإسناد له عن علي، عن النبي ﷺ، والصحيح هذا عن علي موقوفاً، ثم إن موسى بن إسماعيل التبوذكي ـ ثقة ثبت ـ خالف سويداً، في شيخه حماد، عن أيوب، فرواه عن حماد، عن أيوب، عن حميد بن عبد الرحمن، عن علي، رضي الله عنه، موقوفاً عليه، رواه البيهقي في الشعب (٥/ ٢٦٠)، قال الترمذي، والدارقطني ـ فيما سبق لهما من مصادر ـ: يرفعه كلهم، ولا يصح رفعه، والصحيح عن علي موقوفاً.

(١) انظر: الكتاب (١/ ٣٢٥).

قال القاضي أَبو محمد: ورأَيت في بعض التواريخ[١] أَن إِبراهيم بن المهدي[٢] ـ وكان من المائلين على عليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه ـ قال يوماً بمحضر المأْمون ـ وعنده جماعة ـ: كنت أَرى علياً في النوم، فكنت أَقول له: من أَنت؟ فكان يقول: علي ابن أَبي طالب، فكنت أَجيءُ معه إِلى قنطرة، فيذهب يتقدمني في عبورها، فكنت أَقول له: إِنما تدَّعي هذا الأَمر بامرأَةٍ، ونحن أَحق به منك، فما رأَيت له في الجواب بلاغة كما يُذكر عنه، قال المأْمون: وبماذا جاوبك؟ قال: فكان يقول لي: سلاماً سلاماً، قال الراوي: وكان إِبراهيم بن المهدي لا يحفظ الآية، أَو ذهبت عنه في ذلك الوقت، فنبهه المأْمون على الآية أَمام من حضره، وقال: هو والله يا عم عليُّ بن أَبي طالب، وقد جاوبك أَبلغ جواب، فخزي إِبراهيم واستحيا، وكانت رؤْياه لا محالة صحيحة[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾.

هذه آية فيها تحريض على القيام بالليل للصلاة.

قال الحسن: لما فرغ من وصف نهارهم وَصفَ في هذه ليلهم[٤].

وقال بعض الناس: من صلى العشاءَ الآخرة، وشفع وأَوتر، فهو داخل في هذه الآية.

---

(١) في المطبوع زيادة: «مصاحف»، قال في الحاشية كذا في الأصل، ولم أجدها عند المفسرين الذين ذكروا القصة، وأظنها من النساخ.

(٢) إبراهيم بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر، أبو إسحاق العباسي الهاشمي الأسود، الملقب بالمبارك، كان فصيحاً مفوهاً بارعاً في الأدب والشعر والغناء ومعرفة الموسيقى، بايعه أهل بغداد ثم عفا عنه المنصور، مات سنة ٢٢٤هـ، تاريخ الإسلام (١٦/ ٦٩).

(٣) نقلها عنه تفسير القرطبي (١٣/ ٧١).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٤٦).

قال القاضي أَبو محمد: إِلَّا أَنه دخول غير مستوفى.

وقرأَ أَبو البَـرَهْسَم: (سجوداً وقياما)[١].

ومدحهم تعالى بدعائهم في صرف عذاب جهنم من حيث ذلك دليل على صحة عقيدتهم وإيمانهم، ومن حيث أَعمالهم بحسبه، و﴿غَـرَامًا﴾ معناه: ملازماً ثقيلاً مجحفاً، ومنه غرام الحب، [ومنه المغرم][٢] ومنه قول الأعشى:

إِنْ يُعَاقِـبْ يَكُـنْ غَرَامـاً وإِنْ يُعْـ ـطِ جَـزِيـلاً فإِنَّـهُ لا يُـبَالـي[٣] [الخفيف]

وقول بشر بن أَبي خازم:

ويَـوْمَ النِّسَـارِ ويَـوْمَ الْجِـفَـا رِ كـانَ عقابـاً وكـانَ غَرامـاً[٤] [المتقارب]

[وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَمُقَامًا﴾ بضم الميم، من الإِقامة][٥]، ومنه قول الشاعر:

حَيُّوا المُقامَ وحَيُّوا ساكِنَ الدَّار[٦] .... [البسيط]

وقرأَت فرقة: (مَقَاماً) بفتح الميم، وأَنه من قام يقوم، فجهنم [ضد مقام كريم][٧].

والأَول أَفصح وأَشهر.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥١).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٢٥)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٧)، تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٦)، تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٦).

(٤) عزاه له في تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٧)، وفي الأصل؛ فكانا عناء وكانا، ويوما النّسار والجفار كانا لبني أسد على بني عامر، وتميم.

(٥) سقط من الأصل.

(٦) البيت لجرير كما في مجاز القرآن (٢/ ٨٠)، وفقه اللغة للصاحبي (١/ ٣٩)، وتتمته فيه: «ما كدت أعرف إلا بعد إنكار».

(٧) في المطبوع: «موضع قيام لهم»، والقراءة شاذة، قرأ بها أبو زيد كما في فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٥).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ / سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾. [٤/ ١٢١]

اختلف المفسرون في هذه الآية التي في الإِنفاق، فعبارة أَكثرهم أَن الذي لا يسرف هو المنفق في الطاعة وإِن أَفرط[١]، و«المسرف»: هو المنفق في المعصية وإِن قَلَّ إِنفاقه، وأَن «المقتر»: هو الذي يمنع حقاً عليه، وهذا قول ابن عباس[٢]، ومجاهد، وابن زيد[٣].

وقال عون بن عبد الله بن عتبة: «الإِسرافُ»: أَن تنفق مال غيرك[٤]، ونحو هذه من الأَقوال التي هي غير مرتبطة بلفظ الآية، وخلْط الطاعة والمعصية بالإِسراف والتقتير فيه نظر.

والوَجْه أَن يُقال: إِن النفقة في معصية أَمر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره، وكذلك التعدي على مال الغير، وهؤلاءِ الموصوفون منزهون عن ذلك، وإِنما التأْديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات وفي المباحات، فأَدب الشرع فيها أَلَّا يفرط الإِنسان حتى يضيع حقاً آخر أَو عيالاً ونحو هذا، وأَلَّا يضيق أَيضاً ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشُّح، والحسن في ذلك هو القَوَام، أَي: المعتدل[٥]، والقَوام في كل بحسب عياله وحاله، وخفَّة ظهره وصبره وجلده على الكسب، أَو ضد هذه الخصال، وخير الأُمور أَوساطُها.

---

(١) في الأصل: «أسرف».
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٦).
(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٣٠٠)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٤٧).
(٥) في المطبوع: «العدل».

ولهذا ترك رسول الله ﷺ أَبا بكر يتصدق بجميع ماله[١]؛ لأن ذلك وسط بنسبة جَلَدِه وصبره في الدين، ومنع غيره من ذلك، ونِعْمَ ما قال إِبراهيم النَّخَعي: هو الذي لا يجيع ولا يعري، ولا ينفق نفقة يقول الناس: قد أَسرف[٢].

وقال يزيد بن أَبي حبيب: هم الذين لا يلبسون الثياب للجمال، ولا يأْكلون طعاماً للَذة[٣].

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوّجه ابنته فاطمة: ما نَفَقَتُك؟ فقال له عمر: الحسنة بين سيئتين، ثم تلا الآية[٤].

[وقال يزيد بن أبي حبيب أَيضاً في هذه الآية: أُولئك أَصحاب محمد ﷺ، كانوا لا يأْكلون طعاماً للتَّـنَعُّم واللَّذة، ولا يلبسون ثياباً للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسدُّ عنهم الجوع، ويقوِّيهم على عبادة ربِّهم، ومن اللباس ما يستر عوراتهم، ويكنُّهم من الحرِّ والبرد][٥].

وقال عمر بن الخطاب: كفى بالمرءِ سرفاً أَلَّا يشتهي شيئاً إِلا اشتراه فأَكله[٦].

---

(١) إسناده جيد، أخرجه أبو داود (١٦٧٥) والترمذي (٤٠٠٦) والبزار (١/ ٣٩٤) كلهم من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، مرفوعاً به قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن هشام ابن سعد، عن زيد، عن أبيه، عن عمر إلا أبو نعيم، قلت: وهشام بن سعد، وإن كان ضعيف الحديث، إلا أنه من أثبت الناس في زيد بن أسلم، كما قال أبو داود، انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٠٨)، وقد احتج مسلم في صحيحه بخمسة أحاديث من رواية هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم.

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٧٣).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٣٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٤٧).

(٤) القصة بكاملها في تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٠/ ٢٩).

(٥) من المطبوع بلفظ: «ابن حبيب»، ولم نجده في شيء من النسخ الخطية، وقد تقدم قريب منه، وانظر تفسير يحيى بن سلام (١/ ٤٩٠).

(٦) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٧٢) عن ابن عيينة، عن رجل، عن الحسن، أن عمر... فذكره، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام راويه عن الحسن، ثم إن رواية الحسن عن عمر منقطعة.

[وفي سنن ابن ماجه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ من السَّرف أَن تأْكل ما اشتهيتَه»(١).

وقال الشاعر:

[الطويل]

وَلَاتَغْلُ في شَيْءٍ من الأَمْرِ واقْتَصِدْ كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمورِ ذَميمُ](٢)

وقرأَ نافع، وابن عامر، وأبو بكر [عن عاصم: ﴿يُقتِرُوا﴾، بضم الياء وكسر التاء.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو](٣)، ومجاهد، وحفص عن عاصم: ﴿يَقْتِرُوا﴾ بفتح الياءِ وكسر التاءِ.

وقرأَ حمزة، والكسائي بفتح الياءِ وضم التاءِ، وهي قراءَة الحسن، والأَعمش، وطلحة، وعاصم بخلاف(٤).

وقرأَ أَبو عبد الرحمن بضم الياءِ وفتح التاءِ(٥).

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن ماجه (٣٣٥٢) وأبو يعلى (٢٧٦٥) والدارقطني في الغرائب والأفراد (٧٨٦ ـ أطراف) كلهم من طريق بقية بن الوليد، ثنا يوسف ين أبي كثير، عن نوح بن ذكوان، عن الحسن، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، مرفوعاً به، قال الدارقطني: تفرد به بقية، عن يوسف، عن نوح، عن الحسن، وهذا إسناد ضعيف، يوسف بن أبي كثير، قال فيه الذهبي: شيخ لبقية، لا يعرف. ميزان الاعتدال (٤/ ٤٧٢)، ونوح بن ذكوان هذا متفق على ضعفه، انظر تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٨) وهامشه.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من المطبوع، لم نجده في شيء من النسخ الخطية، وقال البغدادي في خزانة الأدب (٢/ ١٢٢): عن هذا البيت لا أعلم قائله ولا رأيته إلا في كتاب العباب في شرح أبيات الآداب، قال: وقد ضمنه الخطابي في أبيات له، وعزاها له في قرى الضيف (٤/ ٣٨٥)، ومعجم الأدباء (١/ ٤٤٧)، ويتيمة الدهر (٢/ ٩٤).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) الثلاث سبعية، إلا أن عاصماً بكماله مع حمزة، انظر: التيسير (ص: ١٦٤)، وانظر الوجه الأول لشعبة في السبعة (ص: ٤٦٦)، وجامع البيان (٤/ ١٤١٧)، ولم أجد الثاني لحفص، وانظر العزو للباقين في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١١٦).

(٥) وهي شاذة، لم أجدها لغيره، إلا أن في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٢) أنه قرأه رباعياً، مع عاصم.

وقرأَ أَبو عمرو والناس: ﴿قَوَامًا﴾ بفتح القاف، أَي: معتدلاً.

وقرأَ حسَّان بن عبد الرحمن[١] بكسر القاف، أَي: مبلغاً وسداداً وملاك حال[٢].

و﴿قَوَامًا﴾ خبر ﴿وَكَانَ﴾، واسمُها مُقَدَّرٌ، أَي: الإِنفاق.

وجوَّز الفراءُ أَن يكون اسمها قوله: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ الآية، إِخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في: عبادتهم الأَوثان، وقتلهم النفس بوأْد البنات، وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات، وبالزنا الذي كان عندهم مباحاً.

وفي نحو هذه الآية قال عبد الله بن مسعود: قلت يوماً لرسول الله ﷺ: أَيُّ الذنب أَعظم؟ قال: «أَن تجعل لله ندّاً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أَن تقتل ولدك خشية أَن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أَن تُزاني حليلة جارك»، ثم قرأَ رسول الله ﷺ هذه الآية[٤].

قال القاضي أَبو محمد: والقتل والزنا يدخل في هذه الآية العصاة من المؤمنين، ولهم من الوعيد بقدر ذلك، والحق الذي تُقتل به النفس هو قَتْلُ النفس، والكفرُ بعد الإِيمان، والزنا بعد الإِحصان، والكفر الذي لم يتقدمه إِيمان في الحربيِّين.

و«الأَثَامُ» في كلام العرب: العقاب، وبه فسَّر ابن زيد وقتادة هذه الآية[٥]، ومنه قول الشاعر:

---

(١) هو حسان بن عبد الرحمن الضبعي تابعي أرسل حديثاً، فذكره العسكريُّ في الصَّحابة، الإصابة القسم الرابع (٢/ ١٧٨).

(٢) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٠٦)، والمحتسب (٢/ ١٢٥) قال: وهو صاحب عائشة الذي يروي عنه قتادة.

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٨٣) من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهو أيضاً عند مسلم (١٤١) من حديث ابن مسعود كذلك، ولكن من غير ذكر الآية الكريمة.

(٥) نقله عنهما القرطبي (١٣/ ٧٥)، وفي تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٩): عن أبي عبيد: الأثام: العقوبة و«قتادة»: سقطت من المطبوع.

[الوافر] جَزَى اللهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عُقُوقاً والْعُقُـوقُ لَـهُ أَثـامُ[(١)]

أَي: جزاءً وعقوبة.

وقال عكرمة، وعبد الله بن عمرو[(٢)]، ومجاهد: إِن ﴿أَثَـامًا﴾ واد في جهنم، هذا اسمه، وقد جعله الله تعالى عقاباً للكفرة[(٣)].

وقرأَ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يُضَـٰعَفْ﴾، ﴿وَيَخْلُدْ﴾ جزماً.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو جعفر، والحسن، وابن عامر: ﴿يُضَعَّفْ﴾ بشد العين وطرح الأَلف، وبالجزم في ﴿يُضَعَّفْ﴾، ﴿وَيَخْلُدْ﴾[(٤)].

وقرأَ طلحة بن سليمان: (نُضَعِّفْ) بضم النون وكسر العين المشددة (الْعَذَابَ) بالنصب، ﴿وَيَخْلُدْ﴾ بالجزم، وهي قراءَة أَبي جعفر [وشيبة[(٥)].

وقرأَ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿يضاعفُ﴾ ﴿ويخلدُ﴾ بالرفع فيهما][(٦)].

وقرأَ طلحة بن سليمان: (وَتَخْلدْ) بالتاءِ[(٧)]، على معنى مخاطبة الكافر بذلك.

---

(١) البيت لِبَلْعَاءَ بن قَيْس كما في مجاز القرآن (٢/ ٨١)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٠٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٥٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٠٨) وابن أبي حاتم (١٥٤٠٧) في تفسيرهما من طريق قتادة، عن أبي أيوب الأزدي عنه، وهذا إسناد لا بأس به إن سلم من تدليس قتادة، وفي لالاليه وفيض الله ونور العثمانية: «ابن عمر».

(٣) انظر قول عكرمة ومجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٣٠٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٠).

(٤) خلَّط كثيراً، وحاصل تلفيق الكلمتين أربع قراءات سبعية، وذلك أن ابن عامر قرأ بالرفع، ووافقه فيه شعبة، وبالتشديد ووافقه ابن كثير، انظر التيسير (ص: ١٦٤)، والسبعة (ص: ٤٦٧)، فذكر قراءتي الجزم، وسيأتي بالرفع لشعبة، وأهمل قراءة ابن عامر وعزا له الجزم ولم أجده له، وتكراره من المطبوع، وقراءة أبي جعفر في النشر (٢/ ٣٣٤)، وظاهر إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤١٩) أن الحسن كنافع.

(٥) وهي قراءة شاذة انظر نسبتها لهم في: تفسير القرطبي (١٣/ ٧٦).

(٦) سقط من المطبوع وهي سبعية كما تقدم فوق.

(٧) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٢٤).

ورُوي عن أَبي عمرو: (وَيُخْلَد) بضم الياءِ من تحت، وفتح اللام، قال أَبو عليٍّ: وهي غلط من جهة الرواية.[١]

و﴿ يُضَٰعَفْ ﴾ بالجزم[٢] بدلٌ من ﴿يَلْقَ﴾.

قال سيبويه: مضاعفة العذاب لُقِيُّ الأَثَام[٣]، قال الشاعر:

مَتَـى تَأْتِنَـا تُلْمِـمْ بِنَـا فـي ديارِنَا ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا[٤] [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ... ﴾ الآية، لا خلاف بين العلماءِ أَن الاستثناءَ عامل في الكافر والزاني، واختلفوا في القاتل من المسلمين، فقال جمهور العلماءِ: لَهُ التوبة، وجعلت هذه الفرقة قاعدتها قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [النساء: ٤٨]، فحصل القاتل في المشيئة كسائر التَّائبين من ذنوب، ويتأَولون الخلود الذي في آية القتل في سورة النساء[٥]، بمعنى الدوام إِلى مدة كخلود الدول ونحوه.

وروى أَبو هريرة [في أن التوبة][٦] لمن قَتَل حديثاً عن النبي ﷺ[٧].

---

(١) وهي رواية حسين الجعبي عنه ونص ابن مجاهد على أنها خطأ كما قال أبو علي، انظر: السبعة (ص: ٤٦٧).

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٥/ ٣٥٢).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٨٧).

(٤) الشطر الأخير، لم يرد في الأصل، والبيت لعُبَيْد الله بن الحُرِّ الجُعْفِيِّ، كما في المفصل في صنعة الإعراب (١/ ٣٣٥)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ٦٧٨)، وخزانة الأدب (٩/ ١٠١)، وقد ورد البيت بلا نسبة هكذا في الجمل (١/ ١٦٦)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٨٦)، والمقتضب (٢/ ٦٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٥١)، وورد صدر البيت في تفسير الطبري (٢١/ ٦٠٣)، ومعاني القرآن للأخفش (٤/ ١٤): مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نارِهِ، والصحيح أن ذلك صدر بيت آخر للحطيئة.

(٥) وهي قوله تعالى في الآية ٩٣: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾.

(٦) «في أن التوبة»: ساقط من المطبوع.

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٠٦) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٨٠) من طريق إبراهيم بن المنذر، قال: ثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان، عن فليح الشماسي، عن عبيد بن أبي عبيد، عن أبي هريرة، رضي الله =

وقيل: إِن هذه الآية نزلت في وحشي قاتل حمزة، وقاله سعيد بن جبير(١).

وقال ابن عباس وغيره: لا توبة للقاتل(٢)، قال ابن عباس: وهذه الآية إِنما أُريد بالتوبة فيها المشركون، وذلك أَنها لما نزلت [قالت طوائف من المشركين: كيف لنا بالدخول في الإِسلام ونحن قد فعلنا جميع هذا؟ فنزلت](٣): ﴿إِلَّا مَن تَابَ...﴾ الآية، ونزلت ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية، فما رأَينا رسول الله ﷺ فرح بشيءٍ(٤) فرحه بها وبسورة الفتح(٥).

وقال غير ابن عباس ممن قال بأَنْ لا توبةَ للقاتل: إِن هذه الآية منسوخة بآية سورة النساءِ، قاله زيد بن ثابت(٦).

= عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف، عيسى بن شعيب بن ثوبان، أورده العقيلي في الضعفاء، وقال: لا يتابع على حديثه ثم أورد حديثه هذا مستنكراً إياه عليه، وقال أيضاً: وعبيد بن أبي عبيد مجهول.

(١) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٤١٨) من طريق حجاج، عن عطية، عن أبي سعيد، به، وهذا إسناد ضعيف، حجاج، هو: ابن أرطاة، متفق على تضعيفه، وشيخه، هو: العوفي، ضعيف الحديث، شيعي، مدلس، وقد عنعنه.

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٢٣) من طريق سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ قال لا، قال فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلى آخر الآية قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا﴾.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) من المطبوع.

(٥) أخرج البخاري (٤٥٣٢) من حديث ابن عباس، رضي الله عنه، مرفوعاً نحوه. ولكن ليس فيه قوله: «فما رأَينا رسول الله ﷺ فرح».. إلخ.

(٦) كأن المحفوظ عن زيد بخلاف هذا، أخرجه النسائي (٧/ ٨٧) أولا عن محمد بن المثنى، قال: حدثنا الأنصاري، قال حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا﴾.. الآية كلها بعد الآية التي نزلت في الفرقان بستة أشهر، قال أبو عبد الرحمن: محمد بن عمرو لم يسمعه من أبي الزناد، وأخرجه النسائي =

ورواه أَيضاً سعيد بن جبير عن ابن عباس[1].

وقال أَبو الجوزاءِ: صحبت ابن عباس ثلاث عشرة سنة فما شيء من القرآن إِلَّا سأَلْتُه عنه، فما سمعته يقول/ : إِن الله تعالى يقول لذنب: لا أَغفره[2]. [٤/ ١٢٢]

وقوله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَـٰتٍۗ﴾ معناه: يجعل أَعمالهم بدل معاصيهم الأُولى طاعة، فيكون ذلك سبباً لرحمة الله عزَّ وجلَّ إِياهم، قاله ابن عباس[3]، وابن جبير، وابن زيد، والحسن، ورَدُّوا على من قال: هو في يوم القيامة[4].

= (٧/ ٨٧) عن محمد بن بشار، عن عبد الوهاب قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد عن زيد: وفيه: بثمانية أشهر، قال أبو عبد الرحمن أدخل أبو الزناد بينه وبين خارجة مجالد بن عوف، ثم رواه من طريق: مسلم بن إبراهيم قال حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي الزناد عن مجالد بن عوف قال سمعت خارجة بن زيد بن ثابت يحدث عن أبيه أنه قال: نزلت: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا ﴾ أشفقنا منها فنزلت الآية التي في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، وهذا السياق بخلاف ما مضى، لكن أخرجه أبو داود (٤٢٧٢) من طريق مسلم بن إبراهيم نفسه به باللفظ الأول، وأخرج الطبراني في الكبير (٥/ ١٣٦) من طريق الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن جهم بن أبي جهم أن أبا الزناد أخبرهم أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره بنحو اللفظ الأول، وكذا في (٥/ ١٤٩) من طريق: سعيد بن أبي مريم ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد حدثني أبي أن عوف ابن مجالد الحضرمي أخبره قال: وكان امرأ صدق قال: وأخبرني ونحن عند خارجة بن زيد بن ثابت بنحوه. وهكذا ذكره المزي في تحفة الأشراف (٣٧٠٦)، ومجالد بن عوف ويقال عوف بن مجالد قد تفرد بالرواية عنه أبو الزناد، كما ذكر مسلم في المنفردات (٨٨٩) وقال في الرواية عنه: وكان امرأ صدق، لكن لم يوثق توثيقاً اصطلاحياً، وكأن النسائي يميل إلى ترجيح الرواية الأخيرة التي تدل على أن صواب الرواية نسخ آية سورة النساء، لا أنها هي الناسخة، فيكون قول مجاهد كغيره أن للقاتل توبة.

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٠٧-٣٠٨) بإسناد فيه سنيد بن داود المصيصي، وهو ضعيف الحديث.

(٢) لا بأس به، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٠٧) من طريق جعفر بن سليمان، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء به.

(٣) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري (١٩/ ٣١٠) من طريق علي بن أبي طلحة، به بنحوه.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٥٨)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٥٠).

[وقد ورد حديث في كتاب مسلم من طريق أبي ذر يقتضي أن الله تعالى يبدل يوم القيامة لمن يريد المغفرة له من الموحدين بدل سيئات حسنات، وذكره الترمذي والطبري][١].

وهذا تأْويل ابن المسيب في هذه الآية[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهو معنى كرم العفو.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (يُبْدِل) بسكون الباءِ وتخفيف الدال[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

أَكَّد بهذا اللفظ أَمر التوبة، والمعنى: ومن تاب فإِنه قد تمسَّك بأَمر وثيق، وهكذا كما تقول لمن تسْتَحْسن قوله في أَمْره: لقد قلتَ يا فلان قولاً، فكذلك الآية معناها مدح المتاب، كأَنه قال: فإِنه يجد باباً للفرج والمغفرة عظيماً.

ثم استمرت الآية في وصف عباد الله المؤمنين بأَن نفى عنهم شهادة الزُّور.

و﴿يَشْهَدُونَ﴾ في هذه الآية ظاهرُ معناها: يشاهِدونَ ويحضُرون.

و﴿ٱلزُّورَ﴾: كل باطلٍ زُوِّرَ وزُخْرِفَ، فَأَعْظَمُه الشِّركُ، وبه فسَّر الضحاك، وابن

(١) أخرجه مسلم (٣١٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة..، وفيه: «فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة» إلخ، وقد أخرجه الترمذي (٢٥٩٦) والطبري (١٩/ ٣١٢) وفي المطبوع بدله: «لمن يريد المغفرة له من الموحدين، يبدل السيئات حسنات».

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣١٢).

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥١).

زيد، ومنه الغناءُ، وبه فسَّر مجاهد، ومنه الكذب، وبه فَسَّر ابن جريج[١].

وقال عليٌّ بن أَبي طالب، ومحمد بن علي: المعنى: لا يشهدون بالزُّور، فهو من الشهادة لَا من المشاهدة، والزُّورُ: الكذب[٢].

قال القاضي أَبو محمد: والشاهد بالزُّور: حاضره ومُؤَدِّيه جرأة[٣]، فالمعنى الأول أَعَمُّ، لكن المعنى الثاني أَغرق في المعاصي وأَنكى.

و«اللَّغْوُ»: كل سقط من فعل أَو قول، ويدخل فيه: الغناءُ واللهو وغير ذلك مما قاربه، ويدخل في ذلك سَفَهُ المشركين وأَذاهم للمؤمنين، وذكر النساءِ وغير ذلك من المنكر.

و﴿كِرَامًا﴾ معناه: معرضين مُسْتَحِيينَ[٤] يتجافَوْن عن ذلك، ويصبرون على الأذى منه، وروي أَن عبد الله بن مسعود سمع غناءً فأَسرع في مشيه وذهب، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لقد أَصبح ابن أُم عبد كريماً»[٥]، وقرأَ الآية.

قال القاضي أَبو محمد: وأَما إذا مرَّ المسلم بمنكر فكَرَمُه أَنْ يُغيِّره، وحدود التغيير معروفة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: ذكروا بالقرآن آخرتهم ومعادهم، وقوله: ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ يحتمل تأْويلين:

أَحدهما أَن المعنى: لم يكن خرورهم[٦] بهذه الصفة؛ بل يكونون سجداً وبُكيّاً،

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٩/ ٣١٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٥٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المطبوع: «فجرةٌ»، على أنها خبر والشاهد.. إلخ.

(٤) في المطبوع: «مستخفين».

(٥) منقطع، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٤٦٤) من طريق محمد بن مسلم، قال: أخبرني إبراهيم ابن ميسرة، قال: بلغني أن ابن مسعود...فذكره.

(٦) في المطبوع: «خروجهم»، وفيه: «بل يكون خروجهم سجداً» إلخ.

وهذا كما تقول: لم يخرج زيد للحرب جزعاً، أَي: إِنما خرج جريئاً مقدماً، وكأَن الذي يَخِرُّ أَصمَّ وأَعمى هو المنافق أَو الشاك.

والتأْويل[1] الثاني، وإِليه ذهب الطبري، وهو أَنَّ «يخروا صما وعميانا» هي صفة الكفار، وهي عبارة عن إِعراضهم وجهدهم في ذلك، وقرن ذلك بقوله[2]: قعد فلان يشتمني، وقام فلان يصيح، وأَنت لم تقصد الإِخبار بقعود ولا قيام، وإِنما هي توطئات في الكلام والعبارة[3].

قال القاضي أَبو محمد: وكأَن المستمع للذكر قائم القناة قويم الأَمر، فإِذا أَعرض وضلَّ كان ذلك خروراً، وهو السقوط على غير نظام ولا ترتيب، وإِن كان قد شبه به الذي يخر ساجداً، لكن أَصله أَن يكون على غير ترتيب.

ثم مدح المؤمنين حال الدعاءِ إِليه بأَن يُقِرَّ العيون بالأَهل والذرية.

و«قُـرَّة العين»: يحتمل أَن تكون من القرار، ويحتمل أَن تكون من القَرِّ، وهو الأَشهر؛ لأَن دمع السرور باردٌ ودمع الحزن سخن، فمن هذا يقال: أَقَرَّ الله عينك وأَسْخَن الله عين العدو.

وقُرّة العين في الأَزواج والذرية: أَن يراهم الإِنسان مطيعين لله تعالى، قاله ابن عباس[4]، والحسن، وحضرمي[5].

وبيَّن المقداد ابن الأَسود الوجه في ذلك بأَنهم كانوا في أَول الإِسلام يهتدي الأَب، والابن كافر، والزَّوجُ، والزوجة كافرة، فكانت قرة عيونهم في إِيمان أَحبابهم[6].

---

(١) في المطبوع: «وهو التأويل».

(٢) في المطبوع: «بقولك».

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٣١٧)

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣١٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٥) الطبري (١٩/ ٣١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٢).

(٦) إسناده صحيح، أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٧) والطبري (١٩/ ٣١٩) من طريق صفوان =

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والحسن: ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وطلحة، وعيسى: ﴿ذُرِّيَّتِنَا﴾ بالإفراد[١].

وقوله تعالى: ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قيل: هو جمع آمٍّ، مثل قائم وقيام.

وقيل: هو مفرد اسم جنس، أي: اجعلنا يأْتم بنا المتقون، وهذا لا يكون إِلَّا أَن يكون الداعي مُتَّقياً قدوة، وهذا هو قصد الداعي.

وقال إِبراهيم النَّخَعي: لم يطلبوا الرياسة: بل أَن يكونوا قدوة في الدين[٢]، وهذا حسن أَن يُطلب ويُسعى إِليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾.

قرأ أُبيُّ بن كعب: (يُجَازَوْنَ) بأَلف[٣].

و﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ من منازل الجنة، وهي الغُرف فوق الغُرف، وهي اسم جنس، كما قال:

[مجزوء الوافر] وَلَـوْلَا الْـحَـبَّـةُ الـسَّـمْـرَا ءُ لَـمْ أَحْـلُـلْ بِـوَادِيـكُـمْ[٤]

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بضم الياءِ وفتح اللام وشدِّ القاف، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، والحسن.

وقرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وعاصم، وطلحة، ومحمد اليماني، ورُويت

= ابن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن أبي ذر، رضي الله عنه، به.

(١) وهما سبعيتان، وحفص مع نافع، انظر: التيسير (ص: ١٦٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٨٣).

(٣) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٢).

(٤) نسبه ابن سيده في المخصص (٥/ ٣٤) لبعض نساء العرب، وورد في حديث رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٣١٥).

عن النبي ﷺ(١): ﴿وَيَلْقَوْنَ﴾ بفتح الياءِ وسكون اللام وتخفيف القاف، واختلف عن عاصم(٢).

[وقوله: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ معادل لقوله في جهنم: ﴿سَآءَتْ﴾](٣).

وقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ﴾ الآية، أمرٌ لمحمد ﷺ أن يخاطب بذلك.

و﴿مَا﴾ تحتمل النفي، وتحتمل التقرير، والكلام في نفسه يحتمل تأْويلات:

[٤/ ١٢٣] أَحدها: أَن تكون/ الآية إِلى قوله: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ خطاباً لجميع الناس، فكأَنه قال لقريش منهم: ما يبالي الله بكم، ولا ينظر إِليكم لولا عبادتكم إِياه أَن لو كانت، إذ ذلك الذي يُعبأُ بالبَشَر من أَجْله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال النقاش وغيره: المعنى: لولا استغاثتكم إِليه في الشدائد، ونحو ذلك، فهو عرف الناس المرعي(٤) فيهم(٥).

وقرأَ ابن الزُّبير وغيره: (فقد كذَّب الكافِرونَ) (٦).

وهذا يؤيد أَن الخطاب بـ﴿مَا يَعْبَؤُا﴾ هو لجميع الناس، ثم يقول لقريش: فأَنتم قد كذبتم ولم تعبدوه، فسوف يكون العذاب ـ أَو يكون التكذيب الذي هو سبب العذاب ـ لزاماً.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهما سبعيتان، وحفص وابن عامر مع نافع، كما في التيسير (ص: ١٦٥)، وانظر الخلاف عنهما في جامع البيان (٤/ ١٤١٩).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: المدَّعى فيهم.

(٥) تفسير القرطبي (١٦/ ٨٥).

(٦) وهي قراءة شاذة انظر نسبتها له في: الطبري (١٩/ ٢٢٣)، والمحتسب (٢/ ١٢٥)، وزادا ابن عباس رضي الله عنه كما سيأتي.

والثاني: أَن يكون الخطاب بالآيتين لقريش خاصة، أَي: ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ الأَصنام آلهة دونه، فإِن ذلك يوجب تعذيبكم.

والثالث: وهو قول مجاهد: أي ما يعبأُ بكم ربِّي لولا أن دعاكم[1] إِلى شرعه، فوقع منكم الكفر والإِعراض[2].

قال القاضي أَبو محمد: والمصدر في هذا التأْويل مضاف إِلى المفعول، وفي الأَولين مضاف إِلى الفاعل.

و﴿يَعْبَؤُاْ﴾: مشتق من العبءِ، وهو الثقل الذي يعبأُ ويرَتَّب كما يُعَبَّأُ الجيش.

[وقرأ ابن الزبير: (وقد كذبت الكافرون فسوف).

قال ابن جني]: قرأَ ابن الزبير وابن عباس: (فقد كذب الكافرون).

قال الزهراوي: وهي قراءَة ابن مسعود، قال: وهي على التفسير[3].

وأَكثر الناس على أَن اللِّزام المشار إِليه في هذا الموضع هو يوم بدر، وهو قول أُبيّ بن كعب[4]، وابن مسعود[5]، والمعنى: فسوف يكون جزاءُ التكذيب.

---

(١) في المطبوع: «لولا دعاؤكم».

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٢٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٥).

(٣) سقط من المطبوع والأصل، وقول ابن جني سقط من فيض الله، وانظر قول الزهراوي في القرطبي (١٣/ ٨٥)، وكلها شاذة.

(٤) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٧٣) ومن طريقه الطبري (١٩/ ٣٢٤) من طريق قتادة، عن أبي بن كعب، رضي الله عنه، وقتادة كثير التدليس والإرسال، ولم أر من نص على روايته عن أبي ابن كعب.

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٢٤) من طريق عامر الشعبي، عن ابن مسعود، به، والشعبي لم يسمع من ابن مسعود، قاله: أبو حاتم الرازي، انظر مراسيل ابن أبي حاتم (٥٩١).
تنبيه: أخرج البخاري في صحيحه (٤٤٨٩) عن ابن مسعود، رضي الله عنه، قوله: خمس قد مضين الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾»، ولكن لم يأت عنده تفسيره اللزام بالموت يوم بدر.

وقالت فرقة: هو توعُّد بعذاب الآخرة.

وقال ابن مسعود: «اللِّزام» هو التكذيب نفسه، أَي: لا يُعْطَوْن توبة، ذكره الزهراوي[(١)].

وقال ابن عباس أَيضاً: «اللِّزام» الموتُ[(٢)]، وهذا نحو القول ببدر.

وإِن أَراد به متأَول الموت المعتاد في الناس عرفاً فهو ضعيف.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿لِزَامًا﴾ بكسر اللام، من لوزم، وأَنشد أَبو عبيدة لِصَخْرِ الغَيِّ[(٣)]:

[الوافر] فَإِمَّـا يَنْجُـوَا مِـنْ حَتْـفِ أَرْضٍ ... فَقَـدْ لَقِيَـا حُتُوفَهُمَـا لِزَامـاً[(٤)]

وقرأَ أَبو السمال: (لَزَاماً) بفتح اللام[(٥)]، من لَزِم.

[والله أَعلم، كمل تفسير سورة الفرقان والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أَجمعين][(٦)].

❊ ❊ ❊

---

(١) لم أقف عليه.

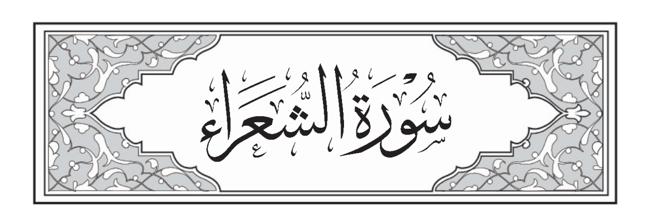
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٢٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٣) قال في الإصابة (٣/ ٣٧٢): هو صخر بن عبد الله الهذلي المعروف بصخر الغيّ، ذكره المرزباني في معجمه وقال: «إنه مخضرم».

(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٧٨)، مجاز القرآن (٢/ ٨٢)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٦٧).

(٥) وهي شاذة انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٨٥٢).

(٦) من المطبوع، وفي لالاليه: «والله عز وجل المستعان، لا رب سواه»، زاد في الحمزوية: «نجز تفسير هذه السورة، والحمد لله كثيراً»، وفي من نور العثمانية: «والله المعين»، زاد في فيض الله: «لا رب سواه كمل تفسير سورة الفرقان».



تفسير سورة الشُّعَراءِ

هذه السورة مكية كلُّها، فيما قال جمهور الناس، وقال مقاتل: منها مدني الآية التي يذكر فيها الشعراء، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

﴿طسٓمٓ﴾ تقدم القول في الحروف التي[1] في أَوائل السُّوَر مستوعَباً.

و﴿تِلْكَ﴾: رفع بالابتداءِ، وهو وخبره سادٌّ مَسدَّ الخبر عن ﴿طسٓمٓ﴾ في بعض التأْويلات.

والإِشارة بـ﴿تِلْكَ﴾ هي بحسب الخلاف في ﴿طسٓمٓ﴾، وفي بعض الأَقوال: أَن تكون ﴿تِلْكَ﴾ إِشارة إِلى حاضر، وذلك موجود في الكلام[2]، كما أَن هذه قد تكون الإِشارة بها إِلى غائب معهود كأَنه حاضر.

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «وذلك إلى موجود كما أن» إلخ.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: القرآن.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿طسم﴾ بكسر الطاءِ.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر بفتحها وبإِدغام النون من سِين في الميم.

وقرأ حمزة وحده بإِظهارها، وهي قراءَة أَبي جعفر، ورويت عن نافع، وروى يعقوب عن أَبي جعفر ونافع قَطْع كل حرف منها على حِدَة[١].

قال أَبو حاتم: الاختيار فتح الطاءِ وإِدغام آخر «سين» في أَول «ميم» فتصير الميم مثقلة[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ﴾ الآية، تسلية لمحمد ﷺ عما كان فيه من القلق والحرص على إِيمانهم، فكانَ مِنْ شغلِ البال في حيِّز الخوف على نفسه.

و«الْبَاخِعُ»: معناه القاتل والمهلك[٣] بالهم، قاله ابن عباس والناسُ[٤].

ومن ذلك قول ذي الرمة:

أَلا أَيُّهَـذَا البَاخِـعُ الْوَجْـدُ نَفْسَـهُ ... لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ المقَادِرُ[٥] [الطويل]

وخوطب بـ«لَعَلَّ» على ما في نفس البشر من توقع الهلاك في مثل تلك الحال.

ومعنى الآية: أَي لا[٦] تَهْتَم يا محمد بهم، وبلِّغ رسالتك، وما عليك من إِيمانهم، فإِن ذلك بيد الله تعالى، لو شاءَ لآمنوا.

---

(١) الثلاث الأولى سبعية، والكسر: الإمالة، كما في التيسير (ص: ١٦٥)، والرابعة عشرية لأبي جعفر كما في النشر (١/ ٤٢٤).

(٢) في الأصل: «متعلقة».

(٣) في المطبوع: «القاتل نفسه، والمهلك لها».

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (١٩/ ٣٣٠) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، ولم يلقه.

(٥) عزاه له تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٣)، وقد تقدم في أول سورة الكهف.

(٦) في المطبوع: «أن لا تهتم».

وقوله: ﴿أَلَّا﴾ مفعول من أَجله.

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ﴾ شرطٌ، وما في الشرط من الإِبهام هو في هذه الآية في حيِّزنا، وأَما الله تعالى فقد علم أَنه لا ينزل عليهم آية اضطرار، وإِنما جعل الله تعالى آيات الأَنبياء والآيات الدالة عليه معرضة للنظر والفكر ليهتدي من سبق في علمه هداه، ويضل من سبق ضلالُه، وليكون للنظر تكسب به يتعلَّق الثواب والعقاب، وآية الاضطرار تدفع جميع هذا إِن لو كانت.

وقرأَ: ﴿نُنَزِّلْ﴾ بفتح النون وشدِّ الزاي أَبو جعفر، ونافع، وشيبة، والأَعرج، وعاصم والحسن، وقرَأَ أَبو عمرو وأَهل البصرة بسكون النون وتخفيف الزاي[١].

وروى هارون عن أَبي عمرو: (يشأْ يُنزِّل) بالياءِ فيهما[٢].

والخضوع للآية المَنزَّلة كان يترتب بأَحد وجهين: إِما بخوف هلاك في مخالفة الأَمر المقترن بها كنَتْق الجبل على بني إِسرائيل، وإِمَّا أَن تكون من الوضوح وبهر العقول / بحيث يقع الإِذعان لها وانقياد النفوس، وكلُّ هذيْن لم يأْت به نبيٌّ، ووجه ذلك ما ذكرناه، وهو توجيهٌ منصوص للعلماءِ. [٤/ ١٢٤]

وقرأَ طلحة: (فتَظَل أَعْنَاقُهُم)[٣]، وهو المراد في قراءَة الجمهور، وجعل الماضي موضع المستقبل إِشارة إِلى تقوية وقوع الفعل.

وقوله تعالى: ﴿أَعْنَـٰقُهُمْ﴾ يحتمل تأْويلين:

أَحدهما ـ وهو قول مجاهد، وابن زيد، والأَخفش ـ أَن يريد: جماعاتهم[٤]،

---

(١) وهما سبعيتان، ومع أبي عمرو ابن كثير، والباقون بالتشديد على قواعدهم كما تقدم مراراً.

(٢) وهي شاذة، انظر: الكامل (ص: ٦١١).

(٣) وهي قراءة شاذة لمخالفتها للرسم، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٢)، وفيه وفي مختصر الشواذ (ص ١٠٧) عنه بلامين.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٣٣١)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٦٢)، وفي الأصل: «وأبي زيد».

يقال: جاءني عُنُق من الناس أَي جماعة، ومنه قول الشاعر:

[مجزوء الكامل] أَنَّ الْــعِــــرَاقَ وَأَهْــلَــــهُ   عُـنُـقٌ إِلَـيْـكَ فَـهَيْـتَ هَيْـتَـا[١]

وعليه حُمل قول أَبي مِحْجن:

[البسيط] ....   وأَكْتُمُ السِّـرَّ فيهِ ضَرْبَـة الْعُنُقِ[٢]

ولهذا قيل: عتق[٣] رقبة، ولم يُقَل: عتق عُنُق فراراً من الاشتراك، قاله الزهراوي[٤].

[فعلى هذا التأويل ليس في قوله: ﴿خَٰضِعِينَ﴾ موضع قول][٥].

والتأْويل الآخر: أَن يريد بـ«الأَعْنَاقِ» الجارحة المعلومة، وذلك أَن خضوع العُنُق والرقبة هو علامة الذِّلة والانقياد، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] وَإِذَا الرِّجَـالُ رَأَوْا يَزِيـدَ رَأَيْتَهُـمْ   خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَارِ[٦]

فعلى[٧] هذا التأْويل يتكلم على قوله: ﴿خَٰضِعِينَ﴾، كيف جمعه جَمْع من يعقل؟ وذلك متخرج على نحويْن من كلام العرب:

أَحدهما: أَن الإِضافة إِلى من يعقل أَفادت [حُكْمَ من يعقل][٨]، كما تفيد الإضافة إِلى المؤنث تأْنيث علامة المذكر، ومنه قول الأَعشى:

---

(١) تقدم الاستشهاد به في سورة يوسف.

(٢) صدره: قَدْ أَرْكَبُ الهوْلَ مَسْدولاً عَسَاكِرُهُ، انظر عزوه له في الحيوان (٥/ ١٨٢)، والعقد الفريد (١/ ٧١)، والأغاني (١٩/ ١٤).

(٣) في المطبوع: «عنق»، وكذا في التي بعدها.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) البيت للفرزدق، كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٣٣)، والكامل للمبرد (٢/ ٤٥)، والعقد الفريد (٢/ ٢٩٩)، والأغاني (١٠/ ٣٤٨).

(٧) في المطبوع: «فمعنى».

(٨) في المطبوع: «حكمه لمن لا يعقل».

. . . . كما شَرِقَتْ صدْرُ الْقَنَاةِ منَ الدَّم[(١)] [الطويل]

وهذا كثير.

والنحو الآخر: أَن «الأَعناق» لمَّا وُصفت بفعل لا يكون إِلَّا مقصودا للبَشَر ـ وهو الخضوع ـ؛ إِذ هو فعل يتبع أَمْراً في النفس جمعها فيه جمع من يعقل، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقرأ ابن أَبي عبلة: (لَهَا خَاضِعَة)[(٢)].

ثم عنَّفَ الكفار ونبَّه على سوء فعلهم بقوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم... ﴾ الآية.

وقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ يريد: مُحْدَث الإِتيان، أَي: مجيءُ القرآن للبشر كان مجيءَ شيءٍ بعد شيءٍ.

وقالت فرقة: يحتمل أَن يريد بالذِّكْر محمداً ﷺ، كما قال في آية أُخرى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠]، فيكون الوصف بالمُحْدَثِ متمكناً.

قال القاضي أَبو محمد: والقول الأَول أَفصح.

وقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ ...﴾ الآية وعيد بعذاب الدنيا والآخرة، ويُقَوِّي أَنه وعيد بعذاب الدنيا؛ أَن ذلك قد نزل بهم، كبدر وغيرها.

ولما كان إِعراضهم عن النظر في الصانع والإِله من[(٣)] أَعظم كفرهم، وكانوا يجعلون الأَصنام آلهة، ويعرضون عن الذكر في ذلك؛ نبَّه على قدرة الله تعالى، وأَنه

---

(١) وصدره: وَتَشْرَقُ بالقَوْلِ الَّذي قَدْ أَذَعْتَهُ، انظر نسبته له في معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٧)، والكتاب لسيبويه (١/ ٥٢)، والأصول في النحو (٣/ ٤٧٨)، والكامل للمبرد (٢/ ١٠٥)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٣٢)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٥٠).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٢).

(٣) من لالاليه وفيض الله ونور العثمانية.

الخالق المنشئُ الذي يستحق العبادة بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ ... الآية﴾.

و«الزَّوْجُ»: النوع والصنف، و«الكريم»: الحسن المُتْقن، قاله مجاهد وقتادة[١].

ويراد: الأَشياءُ التي بها قوام الأُمور والأَغذيةُ والنباتاتُ، ويدخل في ذلك الحيوان لأَنه عن إِنبات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

قال الشعبي: الناس من نبات الأَرض، فمن صار إِلى الجنة فهو كريم، ومن صار إلى النار فبضد ذلك[٢].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حتم على أَكثرهم بالكفر.

ثم توعَّد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، يريد: عزَّ في نقمته من الكفار وَرَحِمَ مُؤمني كل أُمَّة، وقال نحو هذا ابن جريج[٣].

وفي لفظة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ وعْدٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾.

التقدير: واذكر إِذ نادى ربك موسى. وسوقُ هذه القصة تمثيلٌ لكفار قريش

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٦)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ٦٥).

(٢) «إلى النار» سقطت من المطبوع، وفيه: «بضد ذلك فهو لئيم»، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٠)، والماوردي (٤/ ٣٣٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٦٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٥٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٦).

لتكذيبهم محمداً ﷺ، [و﴿أَنِ﴾ في][1] قوله: ﴿أَنِ ٱئْتِ﴾ يجوز فيه أَن تكون مفسِّرة لا موضع لها من الإِعراب، بمنزلة أَي، ويجوز أَن تكون غيرها، وهي في موضع نصب بتقدير: بأن ائت.

وقوله: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾، معناه: قل لهم، فجمع في هذه العبارة من المعاني: نَفْيَ التقوى عنهم، وأَمْرَهُم بالتقوى.

وقرأَ الجمهور: ﴿يَتَّقُونَ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأَ عبد الله بن مسلم، وحماد بن سلمة[2]، وأَبو قُلابة: (تَتَّـقُونَ) بالتاءِ من فوق[3]، على معنى: قل لهم.

ولِعظيم نخوة فرعون وتأَلُّهه وطول مُدَّته وما أُشربت القلوب من مهابته، قال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَيَضِيقُ﴾ بالرفع، و﴿يَنطَلِقُ﴾ كذلك.

وقرأَ الأَعرج، وطلحة، وعيسى ذلك بالنصب فيهما[4].

فقراءَة الرفع: هي إِخبارٌ من موسى عليه السلام بوقوع ضيق صدره، وعدم انطلاق لسانه، وبهذا رجَّح أَبو حاتم هذه القراءَة[5].

وقراءَة النصب تقتضي: أَن ذلك داخل تحت خوفه، وهو عطف على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾.

---

(١) ما بين معكوفتين مثبت من المطبوع.

(٢) في لالاليه ونور العثمانية: «مسلمة»، وفي الشواذ للكرماني (ص: **٣٥٣**) عبد الله بن مسلم بن مسلمة.

(٣) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٠٨) لعبد الله بن مسلم بن يسار، وفي المحتسب (٢/ ١٢٧) له ولحماد بن سلمة.

(٤) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٣٥)، وعزاها للأعرج في الشواذ للكرماني (ص: **٣٥٣**) وللباقين في القرطبي (١٣/ ٩٢).

(٥) في الأصل: «أبو علي» بدل «أبي حاتم»، ولم أقف على قوله.

وكان في خلق موسى عليه السلام حِدة، وكانت في لسانه حبْسة بسبب الجمرة في طفولته.

وحكى أَبو عمرو عن الأَعرج أَنه قرأَ بنصب (وَيَضِيقَ) وبرفع (يَنطَلِقُ) [١].

وقد يكون عدم انطلاق اللسان بالقول لغموض المعاني التي تطلب لها ألفاظ محررة، فإِذا كان هذا في وقت ضيق صدره لم ينطلق اللسان، وقد قال عليه السلام: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧]، فالراجح قراءَة الرفع.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ معناه: يُعينني ويُؤازرني، وكان هارون عليه السلام فصيحاً واسع الصدر، فحذف بعض المراد من القول، إِذ باقيه دالٌّ عليه.

ثم ذكر موسى خوفَه القبط من أَجل ذَنْبِهِ، وهو قتله الرجل الذي وكزه، قاله قتادة ومجاهد والناس [٢]، فخشي أَن يستقاد منه لذلك، فقال الله عزَّ وجلَّ له: ﴿كَلَّا﴾ ردّاً لقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾، أَي: لا تخف ذلك فإِني لم أُحَمِّلك / ما حملتك إِلا وقد قضيتُ بنصرك وظهورك. [٤/ ١٢٥]

وأَمر موسى وهارون بخطاب موسى فقط؛ لأَن هارون ليس بمكلَّم بإِجماعٍ، ولكن قال لموسى: ﴿فَٱذۡهَبَا﴾ أَي أَنت وأَخوك، والآيات تعم جميع ما بعثهما الله تعالى به، وأَعظم ذلك العصا بها وقع العجز [٣]، وبالآيتين تحدَّى موسى عليه السلام، ولا خلاف في أَن موسى عليه السلام هو الذي حمله الله أَمر النبوة وكلها، وأَن هارون كان نبيّاً رسولاً معيناً له وزيراً.

وقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ إِما على أَن يجعل الاثنين جماعة، وإِما أَن يريدهما والمبعوث إِليهم وبني إِسرائيل.

---

(١) وهي شاذة، نقلها عن الداني في البحر المحيط (٨/ ١٤٣).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٢)، في المطبوع: «قال»، بلا هاء ضمير.

(٣) زاد في المطبوع: «وَالْيَد الْبَيْضَاءُ»، قال في الحاشية: زيادة يقتضيها المقام وسلامة العبارة.

وقوله: ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ [على نحو التعظيم والجبروت الذي لله تعالى، وصيغة ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾][(١)] تُعْطي اهتبالًا بالأمر ليست في صيغة قوله: سامعون، وإلَّا فليس يوصف الله تعالى بطلب الاستماع، وإنما المقصد إظهار التَّهَمُّم ليعظم أُنس موسى، أَو تكون الملائكة ـ بأمر الله إيَّاها ـ تستمع.

وقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هو على أن العرب أجرت الرسول مجرى المصدر في أن وصفت به الجميع والواحد والمؤنث، ومن ذلك قول الهذلي:

[المتقارب]

أَلِكْني إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو ... لِ أَعْلَمُهُمْ بنَوَاحِي الْخَبَرْ[(٢)]

ومنه قول الشاعر وإن كان مُوَلَّدا:

[مجزوء الكامل]

إِنَّ الَّتي أَبْصَرْتُهَا ... سَحَراً تُكَلِّمني رسُولُ[(٣)]

وقوله: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معناه: سرِّح، فهو بمعنى الإرسال الذي هو بمعنى الإطلاق، كما تقول: أَرسلت الحَجَر من يدي.

وكان موسى مبعوثاً إلى فرعون في أمرين: أَحدهما: أَن يرسل بني إسرائيل ويزيل عنهم ذُلَّ العبودية والغلبة، والثاني: أَن يؤمن ويهتدي، وأَمر بمكافحته ومقاومته في الأَول، ولم يؤمر بذلك في الثاني على ما بلغ من أَمره، وبُعث بالعبادات والشرع إلى بني إسرائيل فقط، هذا قول بعض العلماءِ.

وقول فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ هو على جهة المنِّ عليه والاحتقار، أَي: ربَّيْنَاكَ صغيراً، أَوْ: لم نقتلك في جملة من قتلنا ولبثت فينا سنين، فمتى كان هذا الذي تدَّعيه؟.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) هو أبو ذؤيب، كما في تفسير الماوردي (١/ ٩٣)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٤٧٣)، والصحاح للجوهري (٤/ ٢٩٣).

(٣) البيت لأبي نواس كما في نور القبس (ص: ٢٠٠).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾ بضم الميم، وقرأَ أَبو عمرو: (عُمْرِكَ) بسكونها[١].

ثم قرَّره على قتل القبطي بقوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ والفَعلة بفتح الفاءِ: المرَّة من الفعل.

وقرأَ الشَّعبي: (فِعْلَتَكَ) بكسر الفاءِ[٢]، وهي هيئة الفعل.

وقوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يحتمل ثلاثة أَوجه:

أَحدها أَن يريد: وقتلتَ القبطي وأَنت في قتلك إِياه من الكافرين؛ إِذْ هو نفس لا يحل قتله، قاله الضحاك[٣]، أَو يريد: وأَنت من الكافرين بنعمتي في قتلك إِياه، قاله[٤] ابن زيد[٥]، وهذان بمعنى واحد في حق لفظ الكفر، وإِنما اختلفا باشتراك لفظ الكفر.

والثاني أَن يكون بمعنى الهزؤ، وأَنت على هذا الدين، فأَنتَ من الكافرين بزعمك. قاله السدي[٦].

والثالث ـ وهو قول الحسن ـ أَن يريد: وأَنتَ من الكافرين الآن[٧]، يعني فرعون: بالعقيدة التي كان يبثها، فيكون الكلام مقطوعاً من قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾، وإِنما هو إِخبارٌ مبتدأٌ أَنه كان من الكافرين، وهذا التأويل أَيضاً يحتمل أَن يريد به كُفْرَ النعمة.

قال القاضي أَبو محمد: وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل القبطي وبين رجوعه نبياً إِلى فرعون، أَحد عشر عاماً غير أَشهر.

---

(١) قراءة أبي عمرو هي من رواية أبي عبيد عن هارون والخفاف وهي شاذة، انظر: السبعة (ص: ٤٧١)، ومختصر الشواذ (ص: ١٠٧).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الثعلبي (٧/ ١٦٠).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٣٤١)، بتصرف.

(٤) في المطبوع: «قال»، بلا هاء ضمير.

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٤)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٦٧).

(٧) لم أقف عليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

القائل هنا هو موسى عليه السلام، والضمير في قوله: ﴿فَعَلْتُهَآ﴾ لقتله القبطي.

وقوله: ﴿إِذًا﴾ صلة في الكلام، وكأَنها بمعنى: حينئذ.

وقوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال ابن زيد: معناه من الجاهلين بأنَّ وَكْزتي إِيَّاه تأْتي على نفْسه.

وقال أَبو عبيدة: معناه: من النَّاسِين لذلك، ونزع بقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢][(١)].

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود، وابن عباس: (وأنا من الجاهلين)[(٢)].

ويشبه أَن تكون هذه القراءَة على جهة التفسير.

وقوله: ﴿حُكْمًا﴾ يريد النبوة وحكمتها، وقرأَ عيسى: (حُكُماً) بضم الحاءِ والكاف[(٣)].

وقوله: ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ درجة ثانية للنبوة، فرُبَّ نَبِيٍّ ليس برسول.

ثم حاجَّه عليه السلام في منِّه عليه بالتربية وترْك القتل بقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، واختلف الناس في تأْويل هذا الكلام، فقال قتادة: هذا منه على

---

(١) القولان في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٧١).

(٢) وهي شاذة انظر نسبتها لابن مسعود في مختصر الشواذ (ص: ١٠٧)، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٦٠).

(٣) وهي شاذة انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٠٧).

جهة الإِنكار أَن تكون نعمة[١]، كأَنه قال: أَو يَصحُّ لك أَن تعتد عليَّ نعمةَ تركِ قتلي من أَجل أَنك ظلمتَ بني إِسرائيل وقتلتهم؟ أَي: ليست نعمة؛ لأَن الواجب كان أَلَّا تقتلني وأَلَّا تقْتلهم ولا تستعبدهم بالقتل ولا بالخدمة وغير ذلك.

وقرأَ الضحاك: (وتلك نعمة مالَك أَن تَمُنَّها) [٢]، وهذه قراءَة تؤيد هذا التأْويل.

وقال الأَخفش: قيل: أَلف الاستفهام محذوفة، والمعنى: أَوَ تلك؟[٣]، وهذا لا يجوز إِلا إِذا عادَلَتْها أَمْ[٤] كما قال:

[المتقارب] تَـرُوحُ مِـنَ الْحَـيِّ أَم تَبْتَـكِـرْ[٥] ....

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول تكلُّف، وقولُ موسى عليه السلام تقريرٌ بغير أَلف، وهو صحيح كما قال قتادة، والله المعين.

وقال السدي، والطبري: هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الإِقرار بالنعمة[٦]، كأَنه يقول: نعم[٧]، وتربيتك نعمةٌ عليَّ من حيث عبَّدت غيري وتركتني، ولكن ذلك لا يدفع رسالتي.

قال القاضي أَبو محمد: ولكلِّ وَجْه ناحيةٌ من الاحتجاج، فالأَول: ماض في طريق المخالفة لفرعون ونقْض كلامه كله[٨]، والثاني: مُبْدٍ مِنْ موسى عليه السلام أَنه

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٣).

(٢) وهي شاذة مخالفة لمصاحف المسلمين، تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ١٤٨).

(٣) انظر: ما قاله الأخفش في كتابه: معاني القرآن (٢/ ٤٦١)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٧٢)

(٤) في نور العثمانية: «أو».

(٥) لامرئ القيس وعجزه: وماذَا عَلَيْكَ بِأَنْ تَنْتَظِرْ، انظر: الحجة للفارسي (ص: ١٥٨)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٣٧)، وفي فيض الله: «أو».

(٦) انظر قولهما مع قول قتادة في: تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٧) سقطت من الأصل وفيض الله ونور العثمانية.

(٨) ليست في المطبوع وفيض الله.

منتصف من نفسه معترف بالحق، ومتى حصل أَحد المتجادلَيْن في هذه الرتبة، وكان خصمه في ضدها غلب المنتصف بذلك، وصار قوله أَوقع في النفوس.

ولمَّا لم يَجِدْ فرعون في هذا الطريق من تقريره/ على التربية وغير ذلك حجةً، [٤/ ١٢٦] رجع إِلى معارضة موسى عليه السلام في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فاستفهمه استفهاماً عن مجهول من الأَشياءِ، قال مكي: كما يستفهم عن الأَجناس[١]، فلذلك استفهم بـ (مَا)، وقد ورد له استفهام بـ (مَنْ) في موضع آخر[٢]، ويشبه أَنها مواطن.

فأَتى موسى عليه السلام بالصفات التي تبيَّن للسامع منها أَنه لا مشاركة لفرعون فيها، وهي ربوبية السماوات والأَرض.

وهذه المجادلة من فرعون تدل على أَن موسى عليه السلام دعاه إِلى التوحيد، فقال فرعون عند ذلك: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ على وجه الإِغراءِ أَو التعجب من شنعة المقالة؛ إِذ كانت عقيدة القوم أَن فرعونَ ربُّهم ومعبودهم، والفراعنة قبله كذلك، وهذه ضلالة منها في مصر وديارها[٣] إِلى اليوم بقية، فزاده موسى في البيان بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أُرْسِلَ﴾ [على بناء الفعل للمفعول.

وقرأَ حميد والأعرج ومجاهد: (أَرْسَل)] على بناء الفعل للفاعل[٤].

فزاد موسى عليه السلام في بيان الصفات التي تُظهر نقص فرعون، وتُبيِّن له أَنه

---

(١) انظر: الهداية لمكي (٨/ ٥٢٨٩).

(٢) هو قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩].

(٣) في المطبوع وفيض الله: «ديارنا».

(٤) سقط من المطبوع ولالاليه، وهي شاذة، انظر لمجاهد في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٤)، ومع حميد في مختصر الشواذ (ص/ ١٠٧).

في غاية البعد عن القدرة عليها، وهي ربوبية المشرق والمغرب، ولم يكن لفرعون إِلَّا مُلْك مصر من البحر إِلى أَسوان وأَرض الإِسكندرية.

وفي قراءَة ابن مسعود وأَصحابه: (رَبُّ المَشارِقِ والمَغارِبِ وما بَيْنَهُمَا)[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾.

لما انقطع فرعون في الحجة رجع إِلى الاستعلاءِ والتَّغلب، وهذه أَبين علامات الانقطاع، فتوعَّد موسى عليه السلام بالسجن[٢] حين أَعياه خطابه، وفي توعُّده بالسجن ضعف؛ لأَنه خارت[٣] طباعه مَعَه، وكان ـ فيما روي ـ يفزع منه فزعاً شديداً حتى كان لا يُمسك بوله، ورُوي أَن سجنه كان أَشد من القتل في مطبق لا ينطلق منه أَبداً، فكان مخوفاً.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه نزعة[٤] دار النبود[٥] إِلى اليوم.

وكان عند موسى عليه السلام من أَمر الله تعالى ما لا يفزعه[٦] توعُّد فرعون، فقال موسى له على جهة التَّلَطُّف[٧] به والطمع في إِيمانه: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ يتَّضح

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر ها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٠٧).
(٢) «بالسجن»، ساقطة من المطبوع.
(٣) في المطبوع: «حارب»، وفي أكثر النسخ: «حارت»، بالمهملة.
(٤) في نجيبويه: «تدعى».
(٥) وضعت مكانها في المطبوع نقاط هكذا:....، قال في الحاشية: كلمة غير واضحة، وفي لالاليه: «النبوة»، وفي فيض الله: «البنود».
(٦) في المطبوع: «يروعه».
(٧) في الأصل: «اللفظ».

لك معه صدقي؟ أَفكنتَ تسجنني؟ فلما سمع فرعون ذلك طمع في أَن يجد أَثناءَه موضع معارضة، فقال له: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فَأَلْقى موسى عصاه مِنْ يده، وكانت من عصي الجنة، وكانت عصا آدم عليه السلام.

ويروى أَنها كانت من عير[(١)] ورقة الريحان، وكانت عند شعيب عليه السلام في جملة عصي الأَنبياءِ عليهم السلام فأَعطاها لموسى عليه السلام عند رعايته له الغنم على صورة قد تقدم ذكرها دلَّت على نُبوَّة موسى، وكان لها في رأْسها شعبتان، فثمَّ كان فمُ الحيَّة.

[و«الثعبانُ»: أَعظم ما يكون من الحيَّات، وقد ذكرنا فيما تقدم ما روي في عظم الحيَّة][(٢)] وغير ذلك من قصص هذه الآية.

ونزع موسى يده من جيبه فإِذا هي تتلأْلأُ كأَنها قطعة من الشمس، فلما رأَى فرعون ذلك هالَه، ولم يكن له فيه مدفع، غير أَنه فزع إِلى رميه بالسِّحر، وطمِع ـ لِعُلُوِّ علم السِّحر في ذلك الوقت وكثرته ـ أَن يكون فيه سببٌ لمقاومة موسى، فأَوهم قومَه وأَتباعه أَن موسى عليه السلام ساحر، [وانتصب ﴿حَوْلَهُۥٓ﴾ على الظرف وهو في موضع الحال، أَي: كائنين حوله، فالعامل فيه محذوف، والعامل فيه هو الحال حقيقة، والناصب له ﴿قَالَ﴾ لأَنه هو العامل في ذي الحال بواسطة لام الجرِّ، نحو مررت بهند ضاحكة][(٣)].

ثم استشارهم في أَمره وأَغراهم به في قوله: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾، فأَشاروا عليه بتأْخير أَمره وأَمر أَخيه وجمْع السحرة لمقاومته، ورُوي أَنهم أَشاروا بسجنه، وهو كان الإِرجاءَ عندهم، و«الإِرجاءُ»: التَّأْخير، ولم يشيروا بقتله لأَن حجَّته نيِّرة

---

(١) ليست في المطبوع، وفي نجيبويه: «عين»، وفي نور العثمانية: «عرق»، وأشار لها في هامش أحمد ٣ وكتبت في سائر النسخ: «غير» بالمعجمة، والصواب: «عير» بالمهملة، كما تقدم مفسراً في تفسير سورتي الأعراف وطه، قال في تاج العروس (١٣/ ١٧٣): وعير الورقة: الخط الناتئ في وسطها كأنه جدير.

(٢) سقط من الأصل، وفي المطبوع: «الحيات»، بدل «الحية».

(٣) ما بين معقوفتين زيادة من المطبوع، ولم نجده في شيء من النسخ الخطية.

وضلالتهم في ربوبية فرعون مبينة، فخشوا الفتنة، وطمعوا أن يُغلَبَ بحجَّة تقنع العوام.

و«الحاشر»: الجامع.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وعاصم: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾، وهو بناءٌ للمبالغة.

وقرأَ عاصم أَيضاً والأَعمش: (بكل ساحر)[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

«اليوم»: هو يوم الزينة، وقيل: يوم كسر خليج النيل، فهو كان يوم الزينة على وجه الدهر بمصر، وقال ابن زيد: إن هذا الجمع كان بالإسكندرية[٢].

وقوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ ليس معناه نتبعهم في السِّحْرِ، إنما أَراد: نتَّبعهم في نصرة ديننا وملَّتنا، والإبطال على مُعارضها[٣].

وقرأَ الأَعرج، وأَبو عمرو: ﴿أَئِنَّ لَنَا﴾ بأَلف الاستفهام.

[وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وشيبة: (إن لنا) على الإِيجاب][٤].

وقرأَ عيسى: ﴿نَعِم﴾ بكسر العين[٥].

---

(١) الأولى متفق عليها هنا بين كل العشرة كما في النشر (٢/ ٢٧١)، والثانية شاذة، عزاها للأعمش في مختصر الشواذ (ص: ١٠٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٥٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٢٠) ولم أجدها لعاصم.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٦٩)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٦٣).

(٣) في الأصل: «معارضينا».

(٤) سقط من الأصل، وهذا تخليط فالقراءة بالاستفهام للكل ولم يقرأ أحد هنا بالخبر، وفي الحمزوية ولالاليه ونور العثمانية: «أبو جعفر».

(٥) تخليط آخر فهي سبعية للكسائي، كما تقدم للمؤلف في سورة الأعراف.

و«التقريب» الذي وعدهم به فرعون: هو الجاه الزائد على العطاءِ الذي طلبوا، والقرب من الملك الذي كان عندهم إلهَهُم[١].

واختلف الناس في عدد السحرة، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم، وكانوا مجموعين من مدائن مصر وريف النيل، وهي كانت بلاد السِّحر: الفرما وآنصينا، وغير ذلك، ومعظمهم كان من الفرما، والحبال[٢] والعصي كانت أَوقار إِبل.

وقولهم: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ يحتمل وجهين: أَحدهما القسم، فكأَنهم أَقسموا بعزة فرعون، كما تقول: بالله لا أَفعل كذا وكذا، فكان قسمهم بعزة فرعون غير مبرور.

والآخر: أَن يكون على جهة التعظيم لفرعون ـ إِذ كانوا يعبدونه ـ والتبرُّك باسمه، كما تقول ـ إِذا ابتدأْت بعمل شغل ـ: باسم الله، وعلى بركة الله، ونحو هذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا / بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾. [٤/ ١٢٧]

تقدم في غير هذه السورة ما ذكر الناس في عظم الحيَّة حين أَلقى موسى عصاه، وفي هذه الآية متروك كثير يدل عليه الظاهر، وقد ذُكر في مواضع أُخر، وهو خوف موسى من ظهور سحرهم واسترهابهم للناس وتخييلهم في حبالهم وعصيهم أَنها تسعى بقصد.

ثم إِن الحيَّة التي خلق الله من العصا التقمت تلك الحبال والعصي عن آخرها، وأَعدمها الله تعالى في جوفها، وعادت العصا إِلى حالها حين أَخذ موسى عليه السلام بالفرجة التي كانت في رأْسها، فأَدخل يده في فمها فعادت عصا بإِذن الله عز وجل.

---

(١) في لالاليه: «والعرب تسمي الملك الذي كان عندهم إلههم»...إلخ.

(٢) في المطبوع: «الجبال».

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿تَلَقَّف﴾ بفتح التاءِ خفيفة واللام وشد القاف، وقرأ حفص عن عاصم: ﴿تَلْقَفُ﴾ بسكون اللام وتخفيف القاف، وروى البزِّي وابن فليح[١] عن ابن كثير بشد التَّاءِ وفتح اللَّام وشدِّ القاف[٢]، ويلزم على هذه القراءَة إِذا ابتدأَ أَن يجلبَ همزة الوصل، وهمزةُ الوصل لا تدخل على الأَفعال المضارعة، كما لا تدخل على أَسماء الفاعلين[٣].

وقوله: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أَي: ما يكذبون معه وبسببه في قولهم: إِنها معارضة موسى ونوع من فعله، و«الإِفك»: الكذب.

ثم إِن السحرة لما رأَوا العصا خالية من صنعة السِّحر، ورأَوا فيها بَعْدُ من أَمر الله تعالى ما أَيقنوا أَنه ليس في قوة بشر أَذعنوا، ورأَوا أَن الغنيمة هي الإِيمان والتمسك بأَمر الله عزَّ وجلَّ، فسجدوا كلهم لله عز وجل مُقِرِّين بوحدانيته وقدرته، ووصلوا إِلى إِيمانهم بسبب موسى وهارون، وصرحوا بأَن ذلك على أَيديهما؛ لأَن قولهم: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ مغن[٤].

فلم يكرروا البيان في قولهم: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ إِلَّا لما ذكرناه.

فلما رأَى فرعون وملؤه إِيمان السحرة، وقامت الحجَّة بإِيمان أَهل علمهم ومظنَّة نصرتهم، وقع فرعون في الورطة العظمى، فرجع إِلى السحرة بهذه الحجة الأُخرى، فوقفهم مُوَبِّخاً لهم على إِيمانهم بموسى قبل إِذنه، وفي هذه اللفظة مقاربة عظيمة

---

(١) في نجيبويه: «وابن فليح»، وهو عبد الوهاب بن فليح بن رياح أبو إسحاق المكي إمام أهل مكة في القراءة في زمانه صدوق، أخذ القراءة عن داود بن شبل، وغيره، توفي في حدود ٢٥٠هـ، غاية النهاية (١/ ٤٨٠).

(٢) وكلها سبعية، انظر: السبعة لابن مجاهد (١/ ٤٧١).

(٣) قال في النشر (٢/ ٢٣٣) في الابتداء بهمزة وصل: وهذا وإن جاز عند أهل العربية في الكلام فإنه غير جائز عند القراء في كلام الملك العلام إذ القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول،... فيبتدأ بهن مخففات لامتناع الابتداء بالساكن وموافقته الرسم والرواية.

(٤) في المطبوع: «يعني ذلك».

وبعض إذعان؛ لأَن أَحد محتملاتها أَنهم لو طلبوا إِذنه في ذلك أَذِنَ.

ثم توعدهم بقطع الأَيدي والأَرجل من خلاف، والصلب في جذوع النخل، فقالوا له: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أَي: لا يضرنا ذلك مع انقلابنا إِلى مغفرة الله تعالى ورضوانه.

ورُوي أَنه أَنفذ فيهم ذلك الوعيد وصلبهم على النيل.

وقال ابن عباس: أَصبحوا سحرة وأَمسوا شهداءَ[1].

وقولهم: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد: من القبط وصنيفتهم[2]، وإِلَّا فقد كانت بنو إِسرائيل آمنت.

وقرأَ الناس: ﴿أَن كُنَّآ﴾ بفتح الأَلف، وقرأَ أَبان بن تغلب: (إِن) بكسر الأَلف بمعنى أَن طمعهم إِنما هو بهذا الشرط[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾.

ثم إِن الله عزَّ وجلَّ لما أَراد إِظهار أَمره في نجاة بني إِسرائيل وغرق فرعون وقومه، أَمر موسى أَن يخرج ببني إِسرائيل ليلاً من مصر، وأَخبره أَنهم سيُتَّبعون، وأَمره بالسير تجاه البحر، وأَمره بأَن يستعير بنو إِسرائيل حلي القبط وأَموالهم، وأَن يكثروا من أَخذ أَموالهم كيفما استطاعوا، هذا ما رواه بعض المفسرين، وأَمره باتخاذ خبز الزاد،

---

(١) لا بأس به، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٤٧) من طريق علي بن حسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٢) في المطبوع ولالاليه: «وصنيعتهم».

(٣) وهي شاذة انظر ها مع تعليلها في: المحتسب (٢/ ١٢٦).

فروي أنه أَمر باتخاذه فطيراً لأَنه أَبقى وأَثبت، وروي أَن الحركة أَعجلتهم عن اختمار خبز الزاد[١]، وخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل سَحَراً، فترك الطريق إِلى الشام على يساره وتوجه نحو البحر، فكان الرجل من بني إِسرائيل يقول له في ترك الطريق فيقول موسى: كذا أُمرت، فلما أَصبح فرعون وعلم بسري موسى ببني إِسرائيل خرج في أَثرهم، وبعث إِلى مدائن مصر لتلحقه العساكر.

فروي أَنه لحقه ومعه ست مئة أَلف أَدهم من الخيل حاشا سائر الأَلوان.

وروي أَن بني إِسرائيل كانوا ست مئة أَلف وسبعين أَلفاً، قاله ابن عباس[٢]، والله أَعلم بصحته.

وإِنما اللازم من الآية الذي يُقطع به أَن موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني إِسرائيل، وأَن فرعون تبعه بأَضعاف ذلك العدد.

قال ابن عباس: كان مع فرعون أَلف جبَّار، كلهم عليه تاج، وكلهم أَمير خيل.

و«الشِّرذمة»: الجمع القليل المحتقر، وشرذمة كل شيءٍ: بقيته الخسيسة، وأَنشد أَبو عبيدة:

[الرجز] يحذيـن فـي شـراذِم النِّعَـالِ[٣] ....

وقال الآخر:

[الرجز] جـاءَ الشِّـتَاءُ وقَمِيصـي أَخْـلاقْ شَراذمٌ يَضْحَكُ مِنْهَا التَّوَّاقْ[٤]

---

(١) في المطبوع: «عن اتخاذ جراءِ الزاد»، وكذا في الموضع الذي قبله.

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٩٧٢) من طريق سفيان، عن أبي سعيد، عن عكرمة، به دون قوله: «وسبعين ألفاً».

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٨٦) والفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٩٨)، بلا نسبة وفي المطبوع: «مجدِّين»، وفي الأصل: «تحدين».

(٤) البيت بلا نسبة في: العين (٦/ ٣٠٢)، وتفسير الطبري (١٧/ ٨٥)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٩٨)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٣٩).

وقوله: ﴿لَغَآئِظُونَ﴾ يريد: بخلافهم الأَمر، وبأَخذهم الأموال عارية، وتفلتهم منهم تلك الليلة على ما روي.

قال أَبو حاتم[١]: وقرأَ من لا يؤخذ عنه: (لَشِرْدمةٌ قَلِيلُونَ)، وليست هذه موثوقة[٢].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿حَذِرُونَ﴾، وهو جمع حَذِر، وهو المطبوع على الْحَذَرِ، وهو هنا غير عامل، وكذلك هو في قول ابن أَحمر:

هَلْ أُنْسَأَنْ يَوْماً إِلى غَيْرِهِ ... إِنِّي حَوَالِيٌّ وإِنِّي حَذِرْ[٣] [السريع]

واختُلف في عمل فَعِل؛ فقال سيبويه: إِنه عامل، وأَنشد:

حَذِرٌ أُمُوراً لا تَضِيرُ وآمِنٌ ... ما لَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الأَقْدَارِ[٤] [الكامل]

وادَّعى اللاحقيُّ[٥] تدليس هذا البيت على سيبويه[٦].

---

(١) في لالاليه ونور العثمانية: «على ما روى أبو حاتم، وقرأ»...إلخ.

(٢) في المطبوع: «موقوفة»، وفيه: شردمة بالمهملة، وكذا في فيض الله ونور العثمانية، وهي لغة، حكاها الوزير عن أبي عمرو، كما في تاج العروس (٣٢/ ٤٦٤)، وفي سائر النسخ لشرذمة بالمعجمة، وكذا في البحر المحيط (٨/ ١٥٧)، مع نقل أبي حاتم، وكذا ضبطها في تفسير الألوسي (١٠/ ٨١) بإضافة شر مقابل خير إلى ذمة، وعلى كل فهي شاذة، لم نجدها لغير من ذكر.

(٣) نسبه له تفسير الطبري (١٩/ ٣٥٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٨٦)، والكامل للمبرد (٢/ ١٦٩)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٨٠)، ويقال إنه للمَرَّار بن مُنْقذ العدوي، وفي الأصل: «يومي».

(٤) استشهد به سيبويه في الكتاب (١/ ١١٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٥)، والمقتضب (٢/ ١١٦)، وغيرهم بلا نسبة.

(٥) في نور العثمانية: «الأخفش»، واللاحقي هو علي بن عثمان اللاحقي البصري، روى عن حماد بن سلمة، وأبي عوانة، وعنه: معاذ بن المثنى، وأحمد بن علي الأبار، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وكان صدوقاً، توفي بالبصرة سنة ٢٢٨هـ، تاريخ الإسلام (١٦/ ٢٨٤)

(٦) في شرح الكافية لابن مالك (١/ ٧٩): وروى عن المازني أن اللاحقي... إلخ.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿حَٰذِرُونَ﴾[(١)] وهو الذي أخذ يحذر.

وقال عباس بن مرداس:

[الوافر] وإِنِّـي حـاذِرٌ أَنْمي سِلاحِي إِلـى أَوْصـالِ ذَيَّـالٍ صنيع[(٢)]

[٤/ ١٢٨] / وقرأ ابن أَبي عمَّار[(٣)]، وشُميْط بن عجلان[(٤)]: (حَادِرُونَ) بالدال غير منقوطة[(٥)].

من قولهم: عيْن حَدِرة؛ أَي: معينة[(٦)]، فالمعنى: ممتلئون غيظاً وأَنفة.

والضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ عائد على القبط، و«الجنَّات والعيون» بحافتي النيل من أَسوان إِلى رشيد، قاله ابن عمر وغيره[(٧)].

و«الكُنُوز» قيل: هو إِشارة إِلى الأَموال التي احتجبوها[(٨)]، قال مجاهد: لأنهم لم

---

(١) قراءة ابن عامر من رواية ابن ذكوان، ووافق هشام ونافع الأولين فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٥)، والسبعة (ص: ٤٧١).

(٢) انظر نسبته له في مجاز القرآن (٢/ ٨٦)، بلفظ منيع، وكذلك في الدر المصون (١/ ٣٧٥٥)، وفي الأصل: «أنهي».

(٣) هو محمد بن موسى بن عبد الرحمن بن أبي عمار، أبو العباس الصوري الدمشقي، مقرئ مشهور ضابط ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن ابن ذكوان وروى القراءة عنه محمد بن أحمد الداجوني والحسن ابن سعيد المطوعي، مات سنة ٣٠٧هـ، غاية النهاية (٢/ ٢٦٨)

(٤) في المطبوع: «سميط»، وهو شميط بن عجلان البصري العابد، أحد زهاد البصرة، أسند شيئاً يسيراً عن التابعين وله مواعظ نافعة، قال أبو حاتم: لا بأس به يكتب حديثه، تاريخ الإسلام (٩/ ١٧٤).

(٥) وهي شاذة نسبها لشميط الثعلبيُّ (٧/ ١٦٥)، ولابن أبي عمار في المحتسب (٢/ ١٢٦)، ولهما في مختصر الشواذ (ص: ١٠٨).

(٦) في المطبوع: «ممتلئة».

(٧) ضعيف، ذكره السيوطي في حسن المحاضرة (٢/ ٩١) من طريق ابن لهيعة، عن وهب بن عبد الله المعافري، عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنه، وهذا إسناد ضعيف، من أجل ابن لهيعة.
تنبيه: جاء في المطبوع هاهنا الأثر عن ابن عمر، والذي وقفت عليه هو عن ابن عمرو.

(٨) في المطبوع: «خربوها»، وفي نجيبويه وفيض الله: «احتجنوها».

ينفقوها قط في طاعة[١]، وقيل: هي إِشارة إِلى كنوز المقطَّم[٢] ومطالبه، وهي باقية إِلى اليوم.

و«المقام الكريم» قال ابن لَهيعَة[٣]: هو الفيُّوم[٤].

وقيل: يعني به المنابر، وقيل: مجالس الأُمراءِ والحكام، وقال النقاش: المساكن الحسان[٥].

وقرأَ الأَعرج وقتادة بضم الميم، من: «مقام»[٦].

وتوريث بني إِسرائيل يحتمل مقصدين:

أَحدهما: أَنه قد ورَّثهم هذه الضفة من أَرض الشام، والآخر: أَنه ورَّثهم مصر ولكن بعد مدة طويلة من الدهر، قاله الحسن[٧]، على أَن التواريخ لم تتضمن ملك بني إِسرائيل في مصر.

و﴿مُّشْرِقِينَ﴾ معناه: عند شروق الشمس، أَي: حين دخلوا فيه، وقيل: معناه: نحو الشرق.

وقرأَ الحسن: (فاتَّبَعُوهُم) بصلة الأَلف وشدِّ التاءِ[٨].

[والجمهور على قطع الألف وسكون التاء][٩].

---

(١) تفسير الثعلبي (٧/ ١٦٥).

(٢) في نجيبويه: «المعظم».

(٣) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن قرعان، عالم الديار المصرية، وقاضيها ومفتيها ومحدثها أبو عبد الرحمن الحضرمي، روى عن الأعرج، وعطاء، وعنه ابن وهب والوليد بن مسلم وابن المبارك، وفي حديثه ضعف، توفي سنة ١٧٤هـ، تاريخ الإسلام (١١/ ٢١٧).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٢٥١).

(٥) انظر: البحر المحيط (٨/ ١٥٩)، وفي المطبوع: «الحسن»، بدل النقاش، وفي نور العثمانية: «الجنان»، بدل: «الحسان».

(٦) وهي شاذة، انظرها للأعرج في مختصر الشواذ (ص: ١٠٨)، ولهما في البحر المحيط (٨/ ١٥٩).

(٧) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٤٨٧)، بتصرف.

(٨) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٤)، في حاشية المطبوع في الأصول: «وسكون التاء».

(٩) سقط من المطبوع.

فلما لحق فرعونُ بِجَمْعه جمْعَ موسى وقرب منهم، ورأَت بنو إِسرائيل العدوَّ القويَّ وراءَهم والبحر أَمامهم ساءَت ظنونهم، وقالوا لموسى عليه السلام ـ على جهة التَّوبيخ والجفاءِ ـ: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، أَي: هذا رأيك[١].

فردَّ عليهم قولهم وزَجرهم، وذَكَر وعْد الله تعالى له بالهداية والظَّفر.

وقرأَ الجمهور: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، وقرأَ الأَعرج وابن عمير: (إِنَّا لمُدَرَّكُون) بفتح الدال وشد الرَّاءِ[٢]، ومعناها: يُتَتَابع علينا حتى نفنى.

وقرأَ حمزة: ﴿تراءى الجمعان﴾ بكسر الراءِ وبمدٍّ ثُمَّ بِهَمْزٍ، ورُوي مثله عن عاصم، ورُوي أَيضاً عنه مفتوحاً ممدوداً، والجمهور يقرؤُونه مثل تَراعَى[٣]، وهذا هو الصواب؛ لأَنه تفاعل، قال أَبو حاتم: وقراءَة حمزة في هذا الحرف محال، وحَمَل عليه، وقال: وما رُوي عن الأَعمش وابن وثاب خطأٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

---

(١) في المطبوع: «هذا دأبك»، وفي لالاليه: «أي هذا فعل ربك».

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، وهو ظاهر قول الطبري (١٩/ ٣٥٦): كما يقال: نزلت وأنزلت، وفي المطبوع: بتشديد الدال وفتح الراء، وهو ظاهر النقل عنهما في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٢٥)، وصرح في تفسير الثعلبي (٧/ ١٦٥)، بتشديد الدال، ونص على فتح الراء الكرماني في الشواذ (ص: ٣٥٤)، وظاهر قول المحتسب (٢/ ١٢٨): وادَّرك الشيء إذا تتابع وفني أنها بكسر الراء، وصرح به في الكشاف (٣/ ٣١٦)، قال في البحر المحيط (٨/ ١٦٠) نص على كسرها أبو الفضل في اللوامح والزمخشري وغيرهما، وقال أبو الفضل: وقد يكون ادرك على افتعل متعدياً، فلو كانت القراءة من ذلك، لوجب فتح الراء، ولم يبلغني ذلك عنهما، وعلى كل فهي شاذة.

(٣) وهي سبعية، انظرها لحمزة خاصة في التيسير (ص: ١٦٥)، وانظر الخلاف عن عاصم في السبعة (ص: ٤٧١)، وفي المطبوع: «والكسائي»، ولم أجدها له، وانظر العزو للباقين وقول أبي حاتم في البحر المحيط (٨/ ١٥٩).

لما عظم البلاءُ على بني إِسرائيل، أَمر الله تعالى موسى أَن يضرب البحر بعصاه؛ وذلك أَنه عزَّ وجلَّ أَراد أَن تكون الآية متَّصلة بموسى، ومتعلقة بفعلٍ فَعَله، وإِلَّا فَضَرْبُ العصا ليس بفالق للبحر ولا مُعين على ذلك بذاته، إِلَّا بما اقترن به من قدرة الله واختراعه، ولما انفلق البحر صار فيه اثنا عشر طريقاً على عدد أَسباط بني إِسرائيل، ووقف الماءُ بينها كالجبل العظيم، [والطَّوْدُ: الجبل][١].

ورُوي عن ابن جريج والسُّدي وغيرهما: أَن بني إِسرائيل ظن كل فريق منهم أَن الثاني قد غرق، فأَمر الله تعالى الماءَ فصار كالشراجب الطِّيقان، فرأَى بعضهم بعضاً فتأنسوا[٢].

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ معناه: قربنا.

[وقرأ ابن عباس عن أبي بن كعب (وأزلقنا) بالقاف][٣]، ونسبها أَبو الفتح إِلى عبد الله بن الحارث[٤].

وقرأَ أَبو حيوة والحسن: (وَزَلَفْنَا) بغير أَلف[٥].

وذلك أَن فرعون لما وصل إِلى البحر وقد دخل بنو إِسرائيل، قيل: إنه صمَّم ومخرق بأن قال: لي انفرق فدخل على ذلك، وقيل: بل كعَّ، وهمَّ بتدبير الانصراف، فعرض جبريل على فرسٍ وديقٍ، فمضى وراءَهَا حصان فرعون، فدخل على نحو هذا واتَّبعه الناسُ.

ورُوي أَن الله تعالى جعل ملائكة تسوق قومه حتى حصلوهم في البحر.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) المعنى في تفسير الطبري (١٩/ ٣٥٧)، وفي المطبوع: «فتأَسوا».

(٣) في المطبوع: «وقرئ بالقاف».

(٤) وهي شاذة انظر: المحتسب (٢/ ١٢٨)، ونسبها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٥)، ولأبي وابن عباس في مختصر الشواذ (ص: ١٠٨).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٥)، ولهما في البحر المحيط (٨/ ١٦١).

ثم إِن موسى وقومه خرجوا إِلى البر من تلك الطرق، ولما أَحَسُّوا باتباع فرعون وقومه فزعوا من أَن يخرج وراءَهم، فهَمَّ موسى عليه السلام بخلط البحر، فحينئذ قيل له: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا﴾ [الدخان: ٢٤]، ولما تكامل جند فرعون، وهَمَّ مقدمتهم بالخروج انطبق البحر عليهم وغرقوا، ودخل موسى عليه السلام البحر بالطول، وخرج في الضفة التي دخل منها بعد مسافة، [وكان بين موضع دخوله وموضع خروجه أوعار وجبال لا تسلك إلا على تخليق الأيام][(١)] وكان ذلك في يوم عاشوراءِ.

وقال النقاش: البحر الذي انفلق لموسى عليه السلام نهر النيل [بين إيلة ومصر][(٢)].

وهذا مردود إن شاءَ الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ تنبيه على موضع العبرة. وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَي: عزَّ في نقمته من الكفار، ورحم المؤمنين من الأُمة، وقد مضى كثير مما يلزم ذكره من قصة موسى عليه السلام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

هذه القصة تضمنت الإِعلام بغيب، والإِتيان بما يقطع أَن محمداً ﷺ لم يكن يعرفه، ثم ظهر على لسانه في ذلك ما في الكتب المتقدمة.

وليست هذه الآية مثالاً لقريش في أَمر الأَصنام فقط، لأَنه ليس فيها تكذيب وعذاب.

وقول إِبراهيم عليه السلام: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ استفهامٌ بمعنى التقرير.

---

(١) سقط من المطبوع، وفي أحمد٣ والحمزوية وأحمد٣: «تحليق».

(٢) سقط من المطبوع، وانظر: تفسير الماوردي (٤/ ١٧٤).

و«الصَّنم»: ما كان من الأَوثان على صورة ابن آدم، كان من حجر أَو عود أَو غير ذلك.

و«ظَلَّ»: عرفها في فعل الشيء نهاراً، وبات: عرفها في فعله ليلاً، وطفق: عامة للوجهين، ولكن قد يجيءُ ظَلَّ بمعنى العموم، وهذا الموضع من ذلك.

و«العُكوفُ»: اللُّزوم، ومنه المعتكف، ومنه قول الراجز:

.... عَكْفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الْفَنْزَجَا[١] [الرجز]

ثم أَخذ إِبراهيم عليه السلام يوقفهم على أشياءَ يشهد العقل أَنها بعيدة من صفات إِله.

وقرأَ الجمهور بفتح الياءِ من: ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾/. [٤/ ١٢٩]

وقرأَ قتادة بِضَمِّها من أَسمع وبكسر الميم[٢]، والمفعول ـ على هذه القراءَة ـ محذوف.

[وقرأ جماعة من القراء: ﴿إِذْتَدْعُونَ﴾ بإظهار الذال والتاء][٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿إِذ تَّدْعُونَ﴾ بِإدغام الدال في التاءِ بعد القلب[٤]، ويجوز فيه قياس مُدَّكر، ولم يقرأ به، وطرد القياس أَن يكون اللفظ به: إِذْ ددعون، والذي منع من هذا اللفظ اتصال الدال الأَصلية في الفعل فكثرت المتماثلات.

وقولهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أَقبح وجوه التقليد؛ لأَنه على ضلالة، وفي أَمْر بيِّنٌ خلافُه، وعظيمٌ قدرُه، فلما صرحوا لإِبراهيم عليه السلام عن عدم نظرهم، وأَنه لا حجة لهم، خاطبهم ببراءَته من جميع ما عُبد من دون الله وعداوته له، وعبَّر عن بغضته

---

(١) في الأصل: «الفرزجا»، والبيت تقدم في تفسير الآية ١٢٥ من سورة البقرة.

(٢) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٦).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) قرأ با لإظهار من السبعة نافع، وابن كثير، وعاصم، وابن ذكوان، والباقون بالإدغام، انظر: التيسير (ص: ٤٢).

واطِّراحه لكل معبود سوى الله تعالى بالعداوة؛ إِذ هي تقتضي التغيير[(١)]، ومحو الرسم.

وقيل: في الكلام قلْبٌ؛ لأَن الأَصنام لا تُعَادِي وإِنما هو عاداها.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

قالت فرقة: هو استثناءٌ متصل؛ لأَن في الآباءِ الأَقدمين مَنْ قَدْ عبد الله[(٢)].

وقالت فرقة: هو استثناءٌ منقطع؛ لأَنه إِنما أَراد عبادة الأَوثان من كل قرن منهم.

ولفظة ﴿عَدُوٌّ﴾ تقتضي الجمع والمفرد والمؤنث والمذكر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

[أَتى إِبراهيم عليه السلام في هذه الأَوصاف التي وصف اللهَ عز وجل بها، بالصفات التي المتصف بها يستحق الألوهية وهي الأَوصاف الفعلية التي تخصّ البشر، ومنها يجب أن يفهم ربه عزَّ وجلَّ][(٣)].

[و﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ بقدرته، ﴿يَهْدِينِ﴾ أَي: يرشدني إِلى طاعته][(٤)].

وقوله: ﴿يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ تعديد للنعمة في الرزق.

---

(١) في المطبوع: «التفسير»، وسقط منه: «ومحو الرسم».

(٢) في المطبوع: «من قد عبد من دون الله»، وهو مفسد للمعنى.

(٣) في المطبوع: وأَثنى إِبراهيم عليه السلام بهذه الأَوصاف التي وصف اللهَ عز وجل بها والمتصف بها يستحق الأَوصاف الفعلية التي تخصّ البشر، وسقط ما زاد على ذلك، وبعضه في فيض الله ملحق في الهامش.

(٤) من المطبوع، ولم نجده في شيء من النسخ الخطية.

وقال أَبو بكر الوَرَّاق في كتاب الثعلبي: المعنى: يطعمني بلا طعام، ويسقيني بلا شراب[١]، كما قال النبي ﷺ: «إِنِّي أَبِيت عند ربِّي يطعمني ويسقيني»[٢].

وأَسند إِبراهيم المرض إِلى نفسه، والشفاءَ إِلى الله عزَّ وجلَّ، وهذا من حسن الأَدب في العبارة، والكل من عند الله تعالى، وهذا كقول الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩].

وقال جعفر الصادق: إِذا مرضتُ بالذنوب، شفاني بالتوبة[٣].

وقرأَ الجمهور هذه الأَفعال: ﴿يَهْدِينِ﴾، [﴿يسقين﴾، ﴿يشفين﴾، ﴿يحيين﴾][٤] بغير ياءٍ.

وقرأَ نافع وابن أَبي إِسحاق: ﴿يَهْدِينِي﴾ بالياءِ، وكذلك ما بعده[٥].

وأَوقف عليه السلام نفسه على الطمع في المغفرة، وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلَّته.

وقوله: ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾ ذهب فيه أَكثر المفسرين إِلى أَنه أَراد كذباته الثلاث: قوله: «هي أُخْتي» في شأْن سارة، وقوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٣][٦].

---

(١) تفسير الثعلبي (٧/ ١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٦٤) ومسلم (١١٠٣) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين».

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ١٦٨).

(٤) من المطبوع.

(٥) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٣٦)، وعزاها لابن أبي إسحاق في: معاني القرآن للنحاس (٥/ ٨٧)، ولا شيء هنا لنافع، وفي المطبوع: ابن إسحاق.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٧٩) ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً.

وقالت فرقة: أَراد بالخطيئة اسم الجنس، فدعا[١] في كل أَمره من غير تعْيِين.

وهذا أَظهر عندي؛ لأَن تلك الثلاث قد خرَّجها كثير من العلماءِ على المعاريض، وهي - وإِن كانت كذبات بحكم قول النبي ﷺ: «لم يكذب إِبراهيم إِلَّا ثلاث كذبات»[٢]، وبحكم ما في حديث الشفاعة من قوله في شأْن إِبراهيم: «نفسي نفسي، وذَكر كذباته»[٣] - فهي في مصالح، وعونِ شرع، وحقٍّ.

وقرأَ الجمهور: ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾ بالإِفراد، وقرأَ الحسن: (خَطَايَايَ) بالجمع[٤].

والحُكْمُ الذي دَعَا فيه إِبراهيم هو الحكمة والنبوة، ودعاءُ إِبراهيم في مثل هذا هو في معنى التثبيت والدوام.

[وإِلحاقه بالصالحين: توفيقه لعمل ينتظمه في جملتهم أَو يجمع بينه وبينهم في الجنة، وقد أَجابه تعالى حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾][٥].

و«لِسَانُ الصِّدْق في الآخرين»: هو الثناءُ وخلد المكانة بإِجماع من المفسرين، وكذلك أَجاب الله دعوته، فكلُّ ملَّة تتمسَّك به وتُعظِّمه، وهو على الحنيفية التي جاءَ بها محمد ﷺ.

قال مكِّيٌّ: وقيل: معنى سؤاله أَن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فأُجيبت الدعوة في محمد ﷺ[٦].

---

(١) في المطبوع: «قدرها».

(٢) متفق عليه، تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٨٢) ومسلم (٣٢٧) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) وهي شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٢٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٧٠).

(٥) من المطبوع، ليس في شيء من النسخ الخطية، والآية تكررت في البقرة: ١٣٠، النحل: ١٢٢، العنكبوت: ٢٧.

(٦) الهداية لمكي (٨/ ٥٣٢١).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا معنى حسن، إِلَّا أَن لفظ الآية لا يعطيه إِلَّا بتحكُّم على اللفظ.

[ولما فرغ من مطالب الدنيا طلب سعادة الآخرة وهي جنَّة النَّعيم، وشبهها بما يورث، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[مريم: ٦٣]][(١)].

واستغفاره لأَبيه في هذه الآية هو قبل أَن يتبيَّن له بموته على الكفر أَنَّه عدُوٌّ لله، أَي: محتوم عليه، وهو من الموعدة المذكورة [في غير هذه الآية][(٢)].

وفي قراءة أُبيٍّ بن كعب: (واغْفِرْ لي ولأَبوَيَّ إِنهما كانا من الضالِّين) [(٣)].

[﴿وَلَا تُخْزِنِى﴾ إِما من الخِزْي وهو الهوان، وإِما من الخزاية وهي الحياءُ، والضمير في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ضمير العباد لأَنه معلوم، أَو ضمير الضَّالين، ويكون من جملة الاستغفار][(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

﴿يَوْمَ﴾ بدل من الأَول في قوله: ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، والمعنى: يوم لا ينفع أَعلاق الدنيا ومحاسنها، فقصد من ذكر ذلك العُظم[(٥)] والأَكْثَر؛ لأَن المال والبنين هما زينة الحياة الدنيا.

[والظاهر أَن الاستثناءَ منقطع، أَي: لكن من أَتى الله بقلب سليم ينفعه سلامة قلبه][(٦)].

---

(١) زيادة من المطبوع، ليس في النسخ الخطية.
(٢) سقط من المطبوع.
(٣) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: **٣٥٥**)، دون لفظة: «لي».
(٤) من المطبوع، ليس في النسخ الخطية.
(٥) في المطبوع: «من ذلك الذكر العظيم».
(٦) من المطبوع، وليست في النسخ الخطية.

وقوله: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ معناه: خالص من الشِّرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة وإِن كانت مباحة كالمال والبنين، قال سفيان: هو الذي يلقى ربَّه وليس في قلبه شيءٌ غيره[١].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يقتضي عموم اللفظة، ولكن السليم من الشِّرك هو الأَهم.

وقال جنيد: بقلب لديغ من خشية الله، والسليم: اللَّديغ[٢].

﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ معناه: قُربت.

والغاوون الذين بُرِّزت لهم الجحيم هم المشركون، بدلالة أَنهم خوطبوا في أَمر الأَصنام.

والقول لهم: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ هو على جهة التقريع والتوبيخ والتوقيف على عدم نصرتهم[٣] نحوه.

وقرأَ الأَعمش: (فَبُرِّزَت) بالفاءِ[٤]، والجمهور بالواو.

وقرأ مالك بن دينار: (وَبَـرَزَت) بفتح الراء والزاء والتخفيف[٥] ورفع (الْجَحِيم).

ثم أَخبر عن حال يوم القيامة من أَن الأَصنام تُكَبْكَب في النَّار، أَي تُلْقَى كَبَّةً واحدة، ووصل بها ضمير من يعقل من حيث ذكرت بالعبادة، وكانت يسند إِليها فعل من يعقل.

[٤/ ١٣٠] وقيل: الضمير في قوله: ﴿هُمْ﴾ يعود للكفار، ﴿وَالْغَاوُونَ﴾: الشياطين/ .

(١) البحر المحيط (٨/ ١٦٩).
(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ١٧١).
(٣) في المطبوع: «نظرتهم».
(٤) وهي شاذة مخالفة للرسم، تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ١٦٩).
(٥) من المطبوع، «وفيه بفتح الباء»، وفي أحمد٣ والحمزوية: «بفتح الباء والراء»، وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٥٥).

و«كُبْكِبَ»: مضاعف من كَبَّ، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح؛ لأَن معناهما واحد، والتضعيف بيِّن، مثل: صرَّ وصرصر، وغير ذلك.

﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: الكفرة الذين شملتهم الغواية.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: نَسْلُه، وكلُّ من تبعه؛ لأَنهم جنْدٌ له وأَعوان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

ثم وصف تعالى أَن أَهل النار يختصمون فيها ويتلاومون، ويأْخذون في شأْنهم بجدال.

ومن جملة[1] قولهم لأَصنامهم على جهة الإِقرار وقول الحقِّ: قسماً تالله إِن كنَّا إلا ضالين في أَن نعبدكم ونجعلكم سواءً مع الله تعالى، الذي هو ربُّ العالمين وخالقهم ومالكهم، ثم عطفوا يردُّون الملامة على غيرهم، أَي: ما أَضلَّنا إِلا كبراؤُنا وأَهل الجزم والجرأَة والمكانة، ثم قالوا ـ على جهة التلهف والتأَسف ـ حين رأَوا شفاعة الملائكة والأَنبياءِ والعلماءِ نافعة في أَهل الإِيمان عموماً، وشفاعة الصديق في صديقه خاصة: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾، وفي هذه اللفظة تنبيه على محلِّ الصديق من المرءِ.

قال ابن جريج: ﴿شَـٰفِعِينَ﴾ من الملائكة، و﴿صَدِيقٍ﴾ من الناس[2].

ولفظة الشفيع تقتضي رِفعة مكانه [عند المشفوعِ عنده][3]، ولفظ الصديق

(١) في المطبوع: «جهلهم».
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٨).
(٣) من المطبوع، وفيه وفي الحمزوية: «رفعة مكانة»، وفي نجيبويه: «مكانة ورفعة»، وسقطت «تقتضي» من الأصل.

يقتضي شدة مساهمة ونصرة، وهو فعيل من صدق الودِّ [من أَبنية المبالغة][(١)].

و«الحميم»: الوَلِيُّ والقريب الذي يخصك أَمره ويخصه أَمرك، وحامَّة[(٢)] الرجل: خاصته.

وباقي الآية بيِّن قد مضى.

وهذه الآياتُ من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ هي عندي منقطعة من كلام إِبراهيم عليه السلام، وهي إِخبارٌ من الله عزَّ وجلَّ تعلق من صفة اليوم الذي وقف إِبراهيم عليه السلام عنده في دعائه أَلاّ يخزى فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

أَسند ﴿كَذَّبَتْ﴾ إِلى القوم وفيه علامة[(٣)] التأْنيث، من حيث القوم في معنى الأُمة والجماعة.

وقوله: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ من حيث إِنَّ من كذَّب نبيّاً واحداً فقد كذَّب جميع الأَنبياءِ؛ إِذ قولهم واحد، ودعوتهم سواءٌ.

---

(١) من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «جامعة».

(٣) في المطبوع: «عدم».

وقوله: ﴿أَخُوهُمْ﴾ يريد: في النسب والمنشأ، لا في الدين.

و﴿أَمِينٌ﴾ معناه: على وحي الله تعالى ورسالته[١].

وقرأ ابن كثير، وعاصم: ﴿أَجْرِي﴾ ساكنة الياءِ.

وقرأ نافع، وأبو جعفر، وشيبة بفتح الياءِ في كل القرآن[٢].

ثم ردَّد عليهم الأَمرَ بالتقوى والدعاءِ إِلى طاعته تحذيراً ونذارة وحرصاً عليهم، فذهب أَشرافهم إِلى استنقاص أَتباعه بسبب صغار الناس الذين اتبعوه وضعفائهم، وهذا كفعل قريش في شأن عمَّار بن ياسر، وصهيب، وغيرهما.

وقال بعض الناس: ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: الحاكة والحجَّامون والأَساكفة، وهذا عندي على جهة المثال، أَي: أَهل الصنائع الخسيسة، لا أَن هذه الصنائع المذكورة خصت بهذا.

و﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: جمع الأَرذل، ولا يستعمل إِلَّا مُعرفاً أَو مضافاً، أَو بمن.

ويظهر من الآية أَن مراد قوم نوح بنسبة الرذيلة إِلى المؤمنين تهجين أَفعالهم، لا النظر في صنائعهم، ويدل على ذلك قول نوح: ﴿وَمَا عِلْمِى﴾... الآية؛ لأَن معنى كلامه: ليس في نظري وعلمي بأَعمالهم ومعتقداتهم فائدة، إِنما أَقنع بظاهرهم وأجتزئ به، ثم حسابهم على الله تعالى، وهذا نحو قول رسول الله ﷺ: «أُمرت أَن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إِله إِلا الله» الحديث بجملته[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾ على الفعل الماضي.

---

(١) في المطبوع هنا زيادة: «يريد: في المنشأ»، ولعلها تكرار مع ما سبق.

(٢) وهما سبعيتان، الفتح لنافع وابن عامر وأبي عمر وحفص وأسكن الباقون، انظر: التيسير (ص: ١٦٧)، النشر (٢/ ٣٣٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٣٥) ومسلم (٣٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً.

وقرأَ ابن السميفع اليماني، وسعيد بن أسعد[١] الأَنصاري: ﴿وَأَتْبَاعُكَ﴾ على الجمع، ونسبها أَبو الفتح إِلى ابن مسعود، والضحاك، وطلحة، قال أَبو عمرو: وهي قراءَة ابن عباس رضي الله عنه، والأَعمش، وأَبي حيوة[٢].

وقرأَ عيسى بن عمر الهمذاني: (لو يَشْعُرون) بالياءِ من تحت[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَشْعُرُونَ﴾ بتاءِ الخطاب.

وإِعراب قوله: ﴿وَأَتْبَاعُكَ﴾ إِما جعله في موضع الحال، وإِما عطف على الضمير المرفوع في قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ﴾[٤]، وحسَّن ذلك الفصلُ بقوله: ﴿لَكَ﴾.

وقولهم: ﴿مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أَن يريدوا: بالحجارة، ويحتمل أَن يريدوا: بالقول[٥] والشتم ونحوه وهو شبيه برجم الحجارة، وهو من الرجم بالغيب والظن ونحو ذلك.

وقوله: ﴿ٱفْتَحْ﴾ معناه: احكم، والفَتَّاح: القاضي بلغة يمنية.

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾: السفينة، وجمعها فُلْكٌ أَيضاً، وقد تقدم بسط القول في هذا الجمع في سورة الأَعراف.

و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ معناه: المملوءُ بما ينبغي له من قدر ما يحمل، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) في المطبوع: «ابن أبي سعيد الأنصاري»، وهو سعيد بن أسعد بن حمير بن عبد الأعلى التباعي اليمني مقرئ متصدر باليمن، قرأ بالروايات على محمد بن إبراهيم الحضرمي، قرأ عليه علي بن همدان المعجلي، انظر غاية النهاية (١/ ٣٠٥).

(٢) أبعد وأغرب، فهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٣٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٩٠)، والهداية لمكي (٨/ ٥٣٣٠)، ومعاني القراءات للأزهري (٢/ ٢٢٧)، والمحتسب (٢/ ١٣١) نسبها له ولكل المذكورين أولاً، وانظر العزو للباقين في البحر المحيط (٨/ ١٧٦).

(٣) وهي شاذة، عزاها للأعرج وأبي زرعة في مختصر الشواذ (ص: ١٠٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٥٥).

(٤) «في قوله أنؤمن»، من المطبوع، وسقطت منه لفظة: «المرفوع».

(٥) في المطبوع: «بالقرآن».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ / [٤/ ١٣١] فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

﴿عَادٌ﴾: قبيلة، وانصرف للخفة، وقيل: هو اسم أبيهم.

وخاطبهم هود عليه السلام بمثل مخاطبة سائر الرُّسل، ثم كلمهم فيما انفردوا به من الأَفعال التي اقتضتها أَحوالهم، فقال: ﴿أَتَبْنُونَ﴾ على جهة التوبيخ.

و«الرِّيعُ»: المرتفع من الأَرض، ومنه قول المسَيَّب ابن علس[1] يصف ظعنا:

فـي الآلِ يخْفِضُهَا ويَرْفَعُهَا ... رِيـعٌ يَـلُـوحُ كـأَنَّـهُ سَـحْـلُ[2] [أحذ الكامل]

والسَّحْل: الثوب الأَبيض، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

طِرَاقُ الْخَوَافِي مُشْرِقٌ فوْقَ رِيعَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ في رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ[3] [الطويل]

---

(١) هو المسيب بن علس بن عمرو من شعراء بكر بن وائل المعدودين، وهو خال الأعشى ميمون بن قيس، وهو جاهليّ لم يدرك الإسلام، وكان امتدح بعض الأعاجم، فأعطاه، ثم أتى عدوّاً له يسأله، فسمّه فمات، ولا عقب له، الشعر والشعراء (١/ ١٧٢).

(٢) انظر عزوه له في غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣١٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٨٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ٣٥٩)، والاستذكار (٣/ ١٦)، وشمس العلوم (٤/ ٢٦٩٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٥)، وفي الحيوان للجاحظ (٦/ ٣٣٥) أنه لغيلان بن سلمة.

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٨٨)، والكامل للمبرد (١/ ١٢٩)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٧٣)، والحيوان (٥/ ٥٨٠).

ومنه قول الأَعشى:

[المتقارب] ويَـهْـمَـاءَ قَـفْـرٍ تَـجَـاوَزْتُـهَـا إِذَا خَـبَّ فـي رِيعِـهَـا آلُـهَـا[١]

ويقال: ريعٌ بكسر الراءِ، ويقال: رَيْعٌ بفتحها، وبها قرأَ ابن أَبي عبلة[٢].

وعبَّر بعض المفسرين عن الرِّيع بالطريق، وبعضهم بالفَجِّ، وبعضهم بالثَّنيَّة الصغيرة.

وجملة ذلك أنَّه المكان المشرف[٣]، وهو الذي يتنافس البشر في مبانيه، و«الآية»: البنيان.

قال ابن عباس: ﴿ءَايَةً﴾: عَلَم[٤].

وقال مجاهد: أَبراج الحمام، وقال النقاش وغيره: القُصور الطوال[٥].

و«المصانع»: جمع مصنع، وهو ما صنع وأُتقن في بنائه من قصر مشيد ونحوه.

وقال قتادة: هي مآخذ للماءِ[٦].

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾، إِما أَن يريد: على أَملكم ورجائكم، وإِما أَن يريد الاستفهام على معنى التوبيخ والهزءِ بهم.

---

(١) عزاه له الطبري (١٩/ ٣٧٣)، واليهماءُ: الفَلاةُ لا يُهْتَدى فيها، وخَبَّ: تحرك واضْطَرب، والآل: السراب.

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ، (ص: ١٠٨).

(٣) في المطبوع: «المشرق».

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٧٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به، وفي المطبوع: «إنه»، بدل «آية».

(٥) القولان في البحر المحيط (٨/ ١٧٨)، والأول قال في تفسير الماوردي (٤/ ١٨١): حكاه ابن أبي نجيح.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٣٧٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٨١)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٧٤).

وقرأ الجمهور: ﴿تَخۡلُدُونَ﴾ بفتح التاءِ وضم اللام.

وقرأ قتادة: (تُخْلَدُونَ) بضم التاءِ وفتح اللام، يقال: خَلَد الشيءُ، وأَخْلَدَهُ غيره.

وقرأ أُبيٌّ وعلقمة: (لعلكم تُخَلَّدون) بضم التاءِ وفتح الخاءِ وفتح اللام وشدها.

وروي عن أُبي: (كأَنكم تخلدون).

وروي عن ابن مسعود: (كي تخلدون).

وروي عن ابن عباس: (كأَنكم خالدون) [١].

و«البَطْشُ»: الأَخذ بقوة وسرعة، و«الجَبَّارُ»: المتكبر، ومنه قولهم: نخلة جبارة إِذا كانت لا تُدرَك علوّاً، ومنه قوله ﷺ في المرأَة التي أَبت أَن تتنحى عن طريقه: «إِنها جبارة»[٢]، ومنه الجبروت، فالمعنى: إِنكم كفار الغضب، لكم السطوات المفرطة، والبوادر من غير تثبت.

ثم ذكَّرهم عليه السلام بأَيادي الله قِبَلهم فيما منحهم من الأَنعام والذرية والجنات والمياه المطردة فيها، ثم خوفهم عذاب الله في الدنيا، وكانت مراجعتهم أَن سوَّوا بين وعظه وتركه الوعظ.

وقرأ ابن محيصن: (وَعَظتَّ) بإِدغام الظَّاءِ في التَّاءِ[٣].

---

(١) خمس قراءات شاذة، الأخيرة من المطبوع، وسقطت منه الرابعة، انظر الأولى والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٥)، والثالثة في تفسير الطبري (١٩/ ٣٧٦) عن قتادة وفي معاني القرآن للنحاس (٥/ ٩٣) أنها في بعض الحروف، والرابعة في البحر المحيط (٨/ ١٧٨)، والخامسة في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٧٩٥) عن قتادة أنها كانت في بعض القراءات.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ١٢٢) وأبو يعلى (٦/ ٣٤) وعنه ابن عدي في كامله (٢/ ١٤٨) من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال: ثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف جداً، يحيى بن عبد الحميد الحماني متفق على تضعيفه، وقد اتهم بسرقة الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٤١٩).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في النشر (١/ ٢٢٠).

ثم قالوا: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، واختلفت القراءة في ذلك؛ فقرأَ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر: ﴿خُلُقُ﴾ بضم اللام، فالإِشارة بـ ﴿هَٰذَآ﴾ إِلى دينهم وعبادتهم وتصرفهم في المصانع، أَي: هذا الذي نحن عليه خُلُق الناس وعادتهم، وما بعد ذلك بعث ولا تعذيب كما تزعم أَنت.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأَبو قلابة: (خُلْق) بضم الخاءِ وسكون اللام، ورواها الأَصمعي عن نافع.

وقرأَ أَبو جعفر، وأَبو عمرو: ﴿خَلْقُ الأولين﴾ بفتح الخاءِ وسكون اللام، وهي قراءَة ابن مسعود، وعلقمة، والحسن[(١)].

وهذا يحتمل وجهين: أَحدهما:

وما هذا الذي تزعمه إِلَّا اختلاق الأَولين من الكَذَبَة قبلك وكذبهم[(٢)]، فأَنت على منهاجهم.

والثاني أَن يريدوا: ما هذه البنية التي نحن عليها إِلا البنية التي عليها الأَولون، حياة وموت، وما ثَمَّ بعثٌ ولا تعذيب، وكل معنى مِمَّا ذكرته تحتمله كل قراءة[(٣)].

وروى علقمة عن ابن مسعود: (إِلَّا اخْتِلَاقُ الأَوَّلين) [(٤)]، وباقي الآية قد مضى تفسيره.

---

(١) ليس كذلك، فالقراءتان الأولى والثالثة سبعيتان، والثالثة لابن كثير وأبي عمرو، والكسائي كما في السبعة (ص: ٤٧٢)، التيسير (ص: ١٦٦)، ومعهم أبو جعفر ويعقوب، كما في تحبير التيسير (ص: ٤٨٨)، والثانية شاذة عزاها لرواية الأصمعي في الكامل للهذلي (ص: ٦١١)، ولأبي قلابة في مختصر الشواذ (ص: ١٠٩)، ولم أجدها للباقين من المذكورين، والكسائي في الأولى من المطبوع وحمزة في الثانية منه ومن نور العثمانية وفيض الله.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «تحتمله قراءة: خلق».

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر ها في تفسير الطبري (١٩/ ٣٧٨).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

﴿ثَمُودُ﴾: قبيلة عربية، وتصرف ولا تصرف، على مقصد الحيِّ أَو القبيلة، وقرئ بالوجهين: الجمهور بغير صرف، وابن وثاب وغيره بالصرف[١].

و﴿صَٰلِحٌ﴾أخوهم في النَّسب، والأَنبياءُ من العرب أَربعة: هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام، وإِسماعيل عليه السلام عربيٌّ اللسان سرياني النَّسب، وهو أَبو[٢] العرب الموجودين اليوم.

وقوله: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ﴾ تخويف لهم، بمعنى: أَتطمعون أَن تقروا في النعم على معاصيكم؟

و«الْهَضِيم» معناه: اللَّيِّن الرَّطْب.

و«الطَّلْع»: الكفرى[٣]، وهو عنقود التمر[٤] قبل أَن يخرج من الكم في أَول نباته، فكأَن الإِشارة إِلى أَن طلعها يثمر ويرطب.

---

(١) وهي شاذة، كما تقدم في الأعراف، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦١).

(٢) كتبت في المطبوع: «أب»، على الإعراب بالحركات.

(٣) في الأصل: «الكفر»، وفي نجيبويه: «الكبرى».

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «النخل».

قال ابن عباس: أَيْنَع وبلغ فهو هضيم[١].

وقال الزهري: الهضيم: الرَّخْصُ اللطيف أَول ما يخرج[٢].

وقال الزجاج: هو فيما قيل الذي رطبه بغير نوى[٣].

وقال الضحاك: الهضيم: معناه المنضَّد بعضه على بعض[٤]، وهذا ضعيف.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ بكسر الحاءِ، وقرأَ عيسى بفتحها، وذكر أَنها لغة، قال أَبو عمرو: وهي قراءَة الحسن، وأَبي حيوة[٥].

وقرأَ حمزة، والكسائي، وعاصم، وابن عامر: ﴿فَرِهِينَ﴾، وهي قراءَة ابن مسعود، وابن عباس، وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿فَرِهين﴾[٦].

وقرأَ مجاهد: (مُتَفَرِّهين)[٧]، على وزن: مُتَفَعِّلين.

واللفظة مأْخوذة من الفراهة، وهي جودة منظر الشيءِ وخبرته وقوته وكماله في نوعه.

فمعنى الآية: كَيِّسين مُتهمِّمِينَ[٨]، قاله ابن عباس[٩].

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٨٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٢) الهداية لمكي (٨/ ٥٣٣٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٩٦).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٣٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٠٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٩٥).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها للحسن في تفسير الثعلبي (٤/ ٢٥١)، وإتحاف فضلاء الشر (ص: ٢٨٥)، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ١٨٢)، وفي المطبوع: «الكسائي» بدل عيسى.

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٦)، والسبعة (ص: ٤٧٢).

(٧) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ١٨٢).

(٨) في المطبوع: «مهتمين».

(٩) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٨٣) وابن أبي حاتم (١٥٨٥٩) في تفسيريهما من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، به.

[٤/ ١٣٢]

وقال مجاهد: شرهين، / وقال ابن زيد: أَقوياءَ[١].

وقال أَبو عمرو بن العلاءِ: أَشِرين بَطِرين[٢]، وذهب عبد الله بن شداد إِلى أَنه بمعنى: مستفرهين[٣]، أَي: مبالغين في استجادة[٤] الفاره من كل ما تصنعونه وتشتهونه.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ خاطب به جمهور قومه، وعنى بالمسرفين كبراءَهم وأَعلام الكفر والإِضلال فيهم.

وقولهم: ﴿مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ فيه تأْويلان:

أَحدهما: مأْخوذ من السِّحر بكسر السِّين؛ أَي: قد سُحِرْتَ فأَنت لذلك مخبولٌ لا تنطق بقويم.

والثاني: أَنه مأْخوذ من السَّحر بفتح السِّين وهي الرئة، [وبسببها يقال: انتفخ سحره][٥].

وقيل: السَّحر: قصبة الرئة بما يتعلق بها من كبد وغيره، أَي: أَنت ابن آدم مثلنا لا يصح أَن تكون رسولاً عن الله تعالى، وما بعده في الآية يُقَوِّي هذا التأْويل، ومن اللفظة قول لبيد:

[الطويل]

فَإِنْ تَسْأَلِينا فيمَ نَحْن فَإِنَّنَا ... عَصافيرُ مِن هَذا الأَنام المُسَحَّر[٦]

ويقال للاغتداءِ[٧]: التَّسْحير، ومنه قول امرئ القيس:

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٣٨٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٧٦).
(٢) هذا قول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٦٨)، وعزاه في معاني القرآن للنحاس (٥/ ٩٦) لمجاهد، ولم أجده لأبي عمرو.
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٣٨٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٧٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٩٦).
(٤) في المطبوع: «استحازة».
(٥) ساقط من المطبوع.
(٦) تقدم في تفسير الآية (٤٧) من سورة الإسراء.
(٧) في الحمزوية: «الاغتذاء».

[الوافر] .... ونُسْـحَر بالطَّعَام وبالشَّـرابِ[١]

ثم اقترحوا عليه آية، ورُوي أنهم اقترحوا خروج ناقة من جبل من جبالهم.

وقصتها في هذه الآية وجيزة وقد مضت مستوعَبة.

فلما خرجت الناقة قال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ﴾، أي: حظٌّ من الماءِ.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (لها شُرب) بضم الشين[٢]، وقد تقدم قصص ورود الناقة.

و«السُّوءُ»: عَقْرها، وتوعدهم عليه بعذاب، وظاهر أَمره أَنه أَراد: في الدنيا، [وكذلك استمر الوجود][٣]، ونسب عقرها إِلى جميعهم مع اختصاص قدار الأَحمر بعقرها من حيث اتفقوا على ذلك رأْياً وتدبيراً.

وقوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾، لما ظهر لهم تغيُّر أَلوانهم حسبما كان صالح أَخبرهم ندموا، ورأَوا أَن الأَمر على ما أَخبر به حتى نزل بهم العذاب، وكانت صيحة خمدت[٤] لها أَبدانهم، وانشقت قلوبهم، وماتوا عن آخرهم، وصبت عليهم حجارة خلال ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

---

(١) هذا عجز بيت، وصدره: أرانا مُوضِعينَ لأمْر غَيْبٍ، وقد تقدم أيضاً في تفسير الآية (٤٧) من سورة الإسراء.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٦).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في لالاليه: «جهدت».

قال النقاش: إِن في مصحف ابن مسعود، وأُبي، وحفصة: (إِذْ قَالَ لهم لوط)، وسقط أَخوهم[١].

واختُصرت الياءُ في الخط واللفظِ من قوله: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ مراعاةً لرؤُوس الآي أَن تتناسب.

ثم وقفهم على معصيتهم البشعة في إِتيان الذكران وترك فروج الأَزواج، والمعنى: ويذر ذلك العاصي في حين معصيته، لا أَنَّ معناه: أنهم تركوا النساءَ جملة.

وفي قراءَة ابن مسعود: (ما أَصْلح لكُمْ ربُّكم)[٢].

و﴿عَادُونَ﴾ معناه: ظالمون مرتكبون للحظر، فتوعَّدوه بالإِخراج من أَرضه وداره [فلاينهم عند ذلك][٣]، واقتصر على الإِخبار بأَنه قَالٍ[٤] لِعَمَلِهِمْ.

و«الْقِلَى»: بُغْض الشيءِ وتركه، ثم دعا بالنجاة فنجاه الله تعالى بأَن أَمره بالرحلة ليلاً، وكانت امرأَته كافرة تعين عليه قومَه فأَصابها حجر فهلكت فيمن هلك.

وقوله: ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ معناه: في الباقين:

فإِما أَن يريد: في الباقين من لِدَاتها وأَهل سنِّها، وهذا تأْويل أَبي عبيدة[٥].

وإِما أَن يريد: في الباقين في العذاب النازل بهم، وهذا تأْويل قتادة[٦].

والمشهور في غبر أَنها بمعنى: بَقِي.

---

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في تفسير الثعالبي (٤/ ٢٣٤).

(٢) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٨٨).

(٣) في الأصل والمطبوع: «فلا يتهم عند ذلك».

(٤) كتبت في المطبوع: «بأنه قال»: وكأنه فعل ماض من القول.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٨٩)، بتصرف.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٦٦).

وغابر الزمان: مستقبله، ولكن الأَعشى قد استعمل غابر الزمان بمعنى ماضيه في شعر المنافرة المشهور[١].

وقال الزهراوي: يقال للذاهب غابر، وللباقي غابر[٢].

و«التدمير»: الإِهلاك بإِمطار الحجارة، وبذلك جرت السنن[٣] في رجم اللوطي.

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾.

قال النقاش: في مصحف ابن مسعود، وأُبيٍّ، وحفصة: (إذ قال لهم أخوهم شعيب)[٤].

وقالوا: لا وجه لمراعاة النسب، وإِنما هو أَخوهم من حيث هو رسولهم وآدميٌّ مثلهم.

---

(١) بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة، وذلك في قوله: عَضَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِنْ أُمِّهِ فِي الزَّمَنِ الغَابِرِ.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المطبوع: «السير».

(٤) «أخوهم»: ساقطة من نور العثمانية، وهذه القراءة شاذة، لم نجد للنقاش فيها سلفاً ولا خلفاً غير المصنف.

وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر: ﴿أصحاب لَيْكَةَ﴾ على وزن فَعْلَة هنا وفي ص[1].

وقرأ الباقون: ﴿لْأَيْكَةِ﴾، وهي الدوحة الملتفة من الشجر على الإطلاق، وقيل: من شجر معروف له غضارة تألفه الحمام والقمارى ونحوه، وقال قتادة: كان شجرهم هذا دوْما[2].

و﴿لَيْكَة﴾: اسم البلد في قراءَة من قرأ ذلك، قاله بعض المفسرين، ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام[3].

وذهب قوم إلى أنها مُسَهَّلةٌ من الأَيكة، وأَنها وقعت في المصحف هنا وفي سورة ص بغير أَلف، وقال أَبو علي: سقوط ذلك من المصحف لا يرجح النطق بها هكذا؛ لأَن خط المصحف/ اتُّبع فيه تسهيل اللفظ، كلَّما سقطت الأَلف من اللفظ سقطت من الخط، نحو سقوط الواو من قوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]، لمَّا سقطت من اللفظ[4]. [٤/ ١٣٣]

وأَما ترجيح القراءَة في ﴿لَيكَة﴾ بفتح التاءِ[5] في موضع الجرِّ فلا يقتضيه ما في المصحف، وهي قراءَة ضعيفة، ويدل على ضعفها أَن سائر ما في القرآن غير هذين الموضعين مُجمع فيه على ﴿لْأَيْكَةِ﴾ بالهمز والأَلف والخفض.

وكانت مدن القوم سبعة فيما روي، ولم يكن شعيب منهم، فلذلك لم يذكر هنا بأَنه أَخٌ لهم، وإِنما كان من بني مدين، ولذلك ذُكِر بِأُخُوتهم، وجاءَت الأَلفاظ في دعاءِ كل واحد من هؤلاءِ الأَنبياءِ واحدة بعينها؛ إِذْ كان الإيمانُ المدعُوُّ إِليه معنىً واحداً بعينه.

وفي قولهم عليهم السلام: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عرض رقيق وتلطف، كما قال تبارك وتعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨].

---

(١) الآية ١٣، وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٧٣)، والتيسير (ص: ١٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٦٦).

(٣) تهذيب اللغة (١٠/ ٢٢٤).

(٤) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٦٧).

(٥) سقطت من نور العثمانية، وفي المطبوع وأحمد٣: «الياء».

وكانت معصيتهم المضافة إِلى كفرهم؛ بخس الموازين وتنقص أَموال الناس بذلك. و«الْقِسْطَاسُ»: المعتدل من الموازين، وهو بناءُ مبالغة من القسط، وذهب ابن عباس[١] ومجاهد إِلى أَن معنى قوله: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾: [اعدلوا أموركم بميزان العدل الذي جعله الله لعباده[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿ بالقُسْطاس ﴾][٣] بضم القاف من القسطاس[٤].

وقرأ عيسى وأَهل الكوفة بكسرها[٥].

و﴿تَعْثَوْا۟﴾ معناه: تفسدون، يقال: عَثَا إِذا أَفسد.

﴿ وَٱلْجِبِلَّةَ ﴾: القرون والخليقة الماضية، وقال الشاعر:

[مجزوء الكامل]

والْـمَـوْتُ أَعْـظَـمُ حـادِثٍ   مـمـا يَـمُرُّ عَـلَـى الجِبِلَّـه[٦]

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ﴾بكسر الجيم والباءِ.

وقرأ أبو حصين[٧] والحسن بخلاف: (وَالْجُبُلَّة) بضمهما[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤٦) من طريق قتادة، قال: أُخبرنا أن ابن عباس قال....فذكره، وهذا إسناد منقطع.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٨١٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٨٤).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) في حاشية المطبوع: هكذا في نسخ الأصول، ولعله سهو النساخ.

(٥) وهما سبعيتان، والثانية لحفص وحمزة والكسائي، كما تقدم في حرف الإسراء، انظر: التيسير (ص: ١٤٠).

(٦) عزاه في تفسير الماوردي (٤/ ١٨٦)، لامرئ القيس، وجاء في مجمع الحكم والأمثال (١/ ١٠٥) ضمن أبيات لأحمد بن يحيى وهو بلا نسبة في تفسير الثعلبي (٧/ ١٧٨)، وتفسير السمعاني (٤/ ٦٥).

(٧) في لالاليه والحمزوية: «ابن محيصن»، وأبو حصين هو عثمان بن عاصم الأسدي الكوفي ثقة ثبت، أخذ القراءة عرضاً عن يحيى بن وثاب، وروى عنه القراءات الأعمشُ، وسمع منه شعبة، وكان صاحب سنة، ومات سنة ١٣٢هـ، غاية النهاية (١/ ٥٠٥).

(٨) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٠٩)، والمحتسب (٢/ ١٣٢).

و«الكِسَفُ»: القطع، واحدها: كِسْفَة، كتَمْرَة وتَمْر.

و﴿ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾: هو يوم عذابهم، وصورته ـ فيما رُوي ـ: أَن الله امتحنهم بِحَرٍّ شديد، فلما كان ذلك اليوم غشى بعض قطرهم سحاب، [فجاء بعضهم إلى ظله فأحس فيه برداً وروحاً فتداعوا إليه، حتى تكاملوا فيه][1]، فاضطرمت عليهم تلك السحابة ناراً فأَحرقتهم عن آخرهم[2].

وللناس في حديث يوم الظلة تطويلات لا تثبت، والحق أَنه عذاب جعله الله ظُلَّة عليهم.

وذكر الطبري عن ابن عباس أَنه قال: من حدثك ما عذاب يوم الظُّلَّة فقد كذب[3].

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

الضمير في ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ للقرآن، أَي: إِنه ليس بكهانة ولا سحر، إِنما هو من عند الله تعالى.

و﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾: جبريل عليه السلام بإِجماع، ونزل باللفظ العربي والمعاني

---

(١) في المطبوع بدله: «فاجتمعوا تحتها».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٩٥).

(٣) الذي وقفت عليه ما رواه الطبري (١٩/ ٣٩٤) من طريق سعيد بن زيد أخي حماد بن زيد، عن حاتم ابن أبي صغيرة، عن يزيد الباهلي، قال: سألت عبد الله بن عباس، عن هذه الآية: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ فقال عبد الله بن عباس: بعث الله عليهم ومدة وحرّاً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة، فأظلتهم من الشمس، فوجدوا لها برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً، حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها الله عليهم ناراً. قال عبد الله بن عباس: فذلك عذاب يوم الظلة، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

الثابتة في الصدور والمصاحف، وعلى ذلك كله يعود الضمير في ﴿بِهِ﴾.

و«اللسان»: عبارة عن اللغة.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في رواية حفص: ﴿نَزَلَ﴾ خفيفة الزاي ﴿ٱلرُّوحُ﴾، بالرفع.

وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم وحمزة، والكسائي بشدّ الزاي ﴿الروحَ﴾ نصْباً، ورجحها أبو حاتم بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧][١]، وبقوله: ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله: ﴿بِهِ﴾ في موضع الحال، كقوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٦١].

وقوله: ﴿قَلْبِكَ﴾ إشارة إلى حفظه إياه، وعلَّل النزول على قلبه بكونه من المنذرين؛ لأنه لا يمكن أن يُنذر به إلا بعد حفظه.

وقوله: ﴿بِلِسَانٍ﴾ يمكن أن تتعلق الباءِ بـ ﴿نَزَلَ بِهِ﴾، وهذا على أن النبي ﷺ إنما كان يسمع من جبريل عليه السلام حروفاً عربية، وهو القول الصحيح[٢]، وتكون صلصلة الجرس صفة لشدة الصوت وتداخل حروفه وعجلة مورده وإغلاظه.

ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿لِتَكُونَ﴾، وتمَسَّك بهذا من رأى أن النبي ﷺ كان يسمع أحياناً مثل صلصلة الجرس[٣] يتفهم له منه القرآن.

وهذا قول ضعيف، مقتضاه: أن بعض ألفاظ القرآن هي من لدن النبي ﷺ، وهو مردود.

---

(١) هما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٦)، وانظر: اختيار أبي حاتم في تفسير الثعلبي (٧/ ١٧٩).

(٢) انظر البحر المحيط للزركشي (١/ ٣٥٩)، وروضة الناظر لابن قدامة (١/ ٦٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (٢٣٣٣) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، به.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَي في كتبهم، يريد أنَّ القُرآن مذكور في الكتب المنزلة القديمة، مُنَبَّه عليه مشارٌ إِليه.

وقرأ الجمهور: ﴿زُبُرِ﴾ بضم الباءِ، وقرأ الأَعمش بسكونها[١].

ثم احتج عليهم بأَنهم كان ينبغي أَن يُصَحَّح عندهم أَمره كون[٢] علماء بني إِسرائيل يعلمونه[٣]، كعبد الله بن سلام ونحوه، قاله ابن عباس[٤] ومجاهد[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً ـ فيما حكى عنه الثعلبي ـ: إِن أَهل مكة بعثوا إِلى أَحبار يثرب يسأَلونهم عن النبي ﷺ، فقالوا: هذا زمانه، ووصفوا نعته[٦]، ثم خلطوا في أَمر محمد ﷺ، فنزلت الآية في ذلك[٧].

قال القاضي أَبو محمد: ويؤيد هذا كون الآية مكية، وقال مقاتل: هذه الآية مدنية[٨]، فمن قال: إِنها مكية، ذهب إِلى أَن علماءَ بني إِسرائيل ذكروا أَن في التوراة صفة النبي الأمي، فهذه الإِشارة إِلى ذلك.

وكلهم قرأَ: ﴿يَكُن﴾ بالياءِ ﴿ءَايَةً﴾ نصباً، غير ابن عامر فإِنه قرأَ: ﴿تكُن﴾ بالتاءِ من فوق: ﴿آيَةٌ﴾ رفعاً، وهي قراءَة عاصم الجحدري[٩].

---

(١) وهي شاذة، انظر ها في تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٠).

(٢) في المطبوع: «كان».

(٣) ليست في الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٩٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٣٩٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨١٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ١٠٤).

(٦) في المطبوع: «بعثه».

(٧) ذكره الثعلبي (٧/ ١٨٠) عن ابن عباس بلا سند.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٥٧).

(٩) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٧٣)، وفي المطبوع: «عاصم والجحدري»، وقد نبه في حاشية المطبوع على أن الواو زائدة.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأ الجحدري: (تعلمه) بالتاءِ من فوق[١].

ثم سلَّى محمداً ﷺ عن صدود قومه عن الشرع بأَن أَخبر أَن هذا القرآن العربي لو سمعوه مِن أَعْجَم، أَي: من حيوان غير ناطق، أَو من جماد، ـ والأَعجم: كل ما لا يُفصح ـ ما كانوا يؤمنون، أَي: قد حتم الكفر عليهم فلا سبيل إِلى إِيمانهم.

و«الأَعْجَمون»: جمع أَعجم، وهو الذي لا يفصح، وإِن كان عربيَّ النسب[٢] يقال له: أَعجم، وكذلك يقال للحيوانات والجمادات، ومنه قول النبي ﷺ: «جُرْحُ العَجْماءِ جُبَارٌ»[٣].

وأَسند الطبري عن عبد الله بن مطيع[٤] أَنه قال حين قرأَ هذه الآية وهو واقف بعرفة: جملي هذا أَعجم، فلو نزل عليه، ما كانوا يؤمنون[٥].

[٤/ ١٣٤] والعجمي: هو الذي نسبه في العجم وإِن كان أفصح الناس[٦] / .

وقرأَ الحسن: (الأَعْجَمِيِّينَ)[٧]، قال أَبو حاتم: أَراد جمع الأَعْجمِيِّ المنسوب،

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٠٨).

(٢) في المطبوع: «اللسان»، بدل: النسب.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٢٨) ومسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود بن غالب القرشي العدوي المدني، ذكره ابن حبَّان، وابن قانع، وغيرهما في الصحابة، فر يوم الحرة، ثم سكن مكة، ووازر ابن الزبير على أمره وولي له الكوفة ثم كان معه إلى أن قتل معه في حصار الحجاج له، الإصابة (٥/ ٢١).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٩٩) من طريق محمد بن أبي موسى، عن عبد الله بن مطيع، رضي الله عنه، به، ومحمد بن أبي موسى ترجم له الحافظ ابن حجر في التعجيل (٢/ ٢١٤) ونقل عن الحسيني قوله: مجهول، والله تعالى أعلم.

(٦) في المطبوع: «فصيح اللسان».

(٧) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٠)، ومختصر الشواذ (ص: ١٠٩)، ولم أقف على قول أبي حاتم.

وقال بعض النحويين: الأَعجمون جمع أَعْجَم، وهو أَعجم، أُضيف فقويت بالإِضافة رتبته في الأَسماءِ فجمع، وليس بأَعجمي النسبة إِلى العجم.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَوَلَمْ يَكُن﴾ بالياءِ ﴿ءَايَةً﴾ بالنصب.

وقرأَ: (أَوَ لَيْس لَكم آيَة) ابن مسعود والأَعمش.

وفي مصحف أُبيٍّ: (أَلَـيْسَ) بغير واوٍ أَو فاءٍ.

وقرأَت فرقة: ﴿تَـكُن﴾ بالتاءِ من فوق ﴿آيَةٌ﴾ رفعاً، وقرأَ بعض من قرأَ بالتاءِ (آيَةً) بالنصب، وسائرهم بالرفع، وقد مضى ذكر ما في السبع[1].

وذكر الطبريُّ أَن الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾ عائد على الذِّكْرِ في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾[2].

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾.

الإِشارة بـ(ذَلِكَ) إِلى ما يتحصل لسامع الآيات المتقدمة من الحتم عليهم بأَنهم لا يؤمنون، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾... الآية.

و﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ معناه: أَدخلناه، والضمير فيه للكفر الذي يتضمنه قوله: ﴿مَّا كَانُوا۟

(١) وهو الياء مع النصب والتاء مع الرفع، وهنا ثلاث أخرى شاذة، الأولى لابن مسعود في معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٠٤)، والثانية لم أجدها، والثالثة بالتاء مع النصب، جوزها في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٠١)، وعزاها في البحر المحيط (٨/ ١٩٠) لابن عباس.

(٢) من الآية (٥) من هذه السورة، وانظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٩٥).

بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾، قاله الحسن[١]، قال الرُّمَّاني: لا وجه لهذا لأنه[٢] لم يجر ذكره، وإنما الضمير للقرآن وإخطاره بالبال[٣]، وحكى الزهراوي أن الضمير للتكذيب المفهوم، وحكاه الثعلبي[٤].

وقرأ ابن مسعود: (كذلك جعلناه في قلوب)، ورُوي عنه: (نَجْعَلُه)[٥].

و«المجرمون»: أراد به مجرمي كل أُمة، أي: أن هذه عادة الله تعالى فيهم أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب، ولا ينفعهم الإيمان بعد تلبس العذاب بهم، وهذا على جهة المثال لقريش، أي: هؤلاءِ كذلك. وكشف الغيب ما تضمنته هذه الآية يوم بدر.

وقرأ الجمهور: ﴿ فَيَأْتِيَهُم ﴾ بالياءِ، أي العذاب.

وقرأ الحسن بن أبي الحسن: (فَتَـأْتِيَهُمْ) بالتاءِ من فوق، يعني الساعة[٦].

وفي قراءَة أبي ابن كعب: (فَيَـرَوْهُ بَغْتَةً)[٧].

ومن قول كل أُمَّة مُعَذَّبة: ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾ أي مُؤَخَّرون، وهذا على جهة التمني منهم والرغبة حيث لا تنفع الرغبة.

ثم رجع لفظ الآية إلى توبيخ قريش على استعجالهم عذاب الله تعالى في طلبهم سقوط السماءِ كسفاً وغير ذلك، وقولهم لمحمد ﷺ: أين ما تَعِدُنا؟ أي أنه لا ينبغي لهم ذلك لأن عذابنا بالمرصاد إذا حان حينه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٠١).

(٢) في المطبوع: «إلا أنه»، وفي لالاليه: «يجز»، بدل: «يجر».

(٣) البحر المحيط (٨/ ١٩١).

(٤) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٠)، وقول الزهراوي لم أجده.

(٥) كلاهما شاذة، لم أجد له فيهما سلفاً ولا خلفاً، والأولى في تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٢٥)، ومثله في الدر المنثور (٦/ ٣٢٣) عَن الْحسن، وكذلك الثانية في معاني القرآن للفراء (٢/ ٨٥).

(٦) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٨١).

(٧) وهي شاذة، وهي في مختصر الشواذ (ص: ١٠٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٧): ويروه، بالواو، وأما بالفاء فلم أجدها.

ثم خاطب محمداً ﷺ بإقامة الحجة عليهم في أَن مُدَّةَ الإِرجاءِ والإِمهال والإِملاءِ لا يعني منع نزول العذاب بعدها، ووقوع النقمة، وذلك في قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ ﴾ الآية.

قال عكرمة: ﴿سِنِينَ﴾ يريد: عُمْر الدنيا(١)، ولأَبي جعفر المنصور قصة في هذه الآية(٢).

ثم أَخبر تعالى أَنه لم يُهلك قرية من القرى إِلا بعد إِرسال من ينذرهم عذاب الله عز وجل، ذِكْرى لهم وتبصرةً وإِقامة حجة؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

و﴿ذِكْرَىٰ﴾ عند الكسائي نصب على الحال، ويصح أَن يكون نصب على المصدر، وهو قول الزجاج(٣)، ويصح أَن يكون في موضع رفع على خبر ابتداءٍ، تقديره: ذلك ذكرى، ثم نفى عن جهته عزَّ وجلَّ الظلم؛ إِذ هو مما لا يليق به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾.

لما كان بعض(٤) ما قال الكفار إِن هذا القرآن كهانة نزلت هذه الآية مكذبة لذلك،

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٢٥).

(٢) وخلاصتها على ما في محاضرات الأدباء (١/ ٢٣٦): أنه دعا جماعة من القراء فقال لأحدهم: اقرأ، فقرأ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾، فغضب وقال لآخر: اقرأ فقرأ: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾، فغضب وأخرجه ثم قال لآخر: اقرأ فقرأ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، فأمر له بصلة.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٠٢).

(٤) في المطبوع: «في هذا الموضع»، بدل كلمة «بعض».

أَي: ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ؛ لأَنها قد عُزلت عن السمع الذي كانت تأْخذ له مقاعدها.

وقوله: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ ﴾ أَي: ما يمكنهم، وقد تجيءُ هذه اللفظة عبارة عمَّا لا يمكن[١]، وعبارة عمَّا لا يليق وإِن كان ممكناً، ولما جاءَ الله تعالى بالإِسلام حرسَ السماءَ بالشهب الجارية إِثر الشياطين، فلم يخْلص شيطان بشيءٍ يلقيه[٢] كما كان يتفق لهم في الجاهلية.

وقرأَ الجمهور: ﴿ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾، وروي عن الحسن أَنه قرأَ: (الشياطون)، وهي قراءَة مردودة، قال أَبو حاتم: هي غلط منه أَو عليه، وحكاها الثعلبي أَيضاً عن ابن السميفع[٣].

وذكر عن يونس بن حبيب أَنه قال: سمعت أَعرابيّاً يقول: دخلت بساتين من ورائها بساتون، قال يونس: فقلت: ما أَشبه هذا بقراءَة الحسن[٤].

ثم وصَّى عزَّ وجلَّ نبيَّه ﷺ بالثبوت على توحيد[٥] الله تعالى، وأَمَرَه بنذارة عشيرته تخصيصاً لهم؛ إِذ العشيرة مظنة المقاربة والطواعية، وإِذ يمكنه معهم من الإِغلاظ عليهم ما لا يحتمله غيرهم، فإِن البِرَّ بهم في مثل هذا الحمل عليهم، والإِنسان غير متَّهم على عشيرته، وكان هذا التخصيص مع الأَمر العام بنذارة العالم.

وروي عن ابن جريج أَن المؤمنين من غير عشيرته في ذلك الوقت نالهم همٌّ من هذا التخصيص وخروجهم منه، فنزلت: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٦].

---

(١) في المطبوع: «يكون».

(٢) في المطبوع: «يُلَقِّنه».

(٣) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (١/ ٢٤٣) ونسبتها للحسن في المحتسب (٢/ ١٣٢)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٠٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦١) وغلطها النحاس في إعراب القرآن (٣/ ١٩٤) عن جميع النحويين، وتقدم له مثلها في البقرة والأنعام.

(٤) تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٢).

(٥) في المطبوع: «على أمر الله».

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٤١١).

ولما أُمر رسول الله ﷺ بهذه النذارة عظم موقع الأَمر عليه وصعُب، ولكنه تلقَّاه بالجَلَد، وصنع أَشياءَ مختلفة كلها بحسب الأَمر، فمن ذلك: أَنه أَمر علياً رضي الله عنه بأَن يصنع طعاماً، وجمع عليه بني جَدِّه عبد المطلب، وأَراد نذارتهم ودعوتهم في ذلك الجمع، فظهر منه ﷺ بركة في الطعام، قال علي: وهم يومئذ أَربعون رجلاً، ينقصون رجلاً أَو يزيدونه، فرماه أَبو لهب بالسحر، فوجم رسول الله ﷺ، وافترق جمعهم من غير شيءٍ، ثم جمعهم كذلك مرة[1] ثانية وأَنذرهم ووعظهم فتضاحكوا ولم يجيبوا[2].

ومن ذلك: أَنه نادى عمَّه العباس، وصفيَّة عمته، وفاطمة ابنته، وقال: «لا أُغْني عنكم من الله شيئاً، إِني لكم نذير بين يدي عذاب شديد»[3] في حديث مشهور.

ومن ذلك: أَنه / صعد على الصَّفا، أَو أَبي قُبَيْس، ونادى: «يا بني عبد مناف، واصباحاه»، فاجتمع إِليه الناس من أَهل مكة، فقال: يا بني فلان، [يا بني فلان][4]، حتى أَتى على بطون قريش جميعاً، فلما تكامل خلق كثير من كل بَطْن قال لهم: «أَرَأَيتم لو أَخبرتكم أَن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد الغارة عليكم، أَكنتم مُصَدِّقي»؟ قالوا: نعم، فإِنا لم نجرب عليك كذباً، فقال لهم: «فإِنِّي لكم نذير بين يدي عذابٍ شديد»، فقال له أَبو لهب: أَلهذا جمعتنا؟ تباً لك سائر اليوم، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ السورة [المسد: ١][5]. [٤/ ١٣٥]

---

(١) من المطبوع.

(٢) في إسناده هالك، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٠٩-٤١٠)، من طريق عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال ابن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، عن علي، رضي الله عنه، مرفوعاً به، وعبد الغفار هذا: متفق على تركه، وقال ابن المديني: كان يضع الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٠).

(٣) متفق عليه، وهما حديثان، أخرج البخاري (٢٦٠٢)، ومسلم (٢٠٦)، كلاهما من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً، وفيه أنه قال للعباس، وصفية، وفاطمة: «لا أغني عنكم من الله شيئاً». وليس فيه: «إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد»، بل هذه العبارة جاءت فيما أخرجه البخاري (٤٤٩٢)، ومسلم (٢٠٨) لما جمع قومه جميعاً وفيهم أبو لهب، وهو من رواية ابن عباس، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٤) سقط من الأصل.

(٥) رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) من حديث ابن عباس.

و«الْعَشِيرَة»: قرابة الرجل، وهي في الرتبة تحت الفخذ وفوق الفصيلة(١).

و«خفض الجناح»: استعارة، ومعناه: لِينُ الكلمة وبَسْط الوجه والبرُّ، والضمير في ﴿عَصَوْكَ﴾ عائد على عشيرته من حيث جمعت رجالاً، فأَمره الله بالتَّبـرِّي منهم، وفي هذه الآية موادعةٌ نسختها آية السيف(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

قرأَ نافع، وابن عامر، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ بالفاءِ، وكذلك في مصاحف أَهل المدينة والشام، والجمهور بالواو، وكذلك في سائر المصاحف(٣).

وأَمره الله تعالى بالتوكل عليه في كل أَمره، ثم جاءَ بالصفات التي تؤنس المتوكِّل، وهي العزَّة والرحمة المذكورتان في آخر قصص الأُمم المذكورة في هذه السورة، وضمنها نصر كل نبي على الكفرة، والتَّهمُّم بأَمره والنظر إِليه.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾، يَراكَ: عبارة عن إِدراك، وظاهر الآية أَنه أَراد قيام الصلاة، ويحتمل أَنه يريد سائر التصرفات، وهو تأْويل مجاهد وقتادة(٤).

وقوله: ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أَي: في أَهل الصلاة، أَي صلاتك مع المصلين، قاله ابن

---

(١) في المطبوع: «العصبة»، وفي الحمزوية: «العضد».

(٢) في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٧): «أمره بهذا ثم نسخه فأمره بجهادهم».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٧)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٤٧).

(٤) نقله عن مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٤١١)، وعن قتادة تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٨).

عباس[١] وعكرمة وغيرهما[٢]، وقال أَيضاً مجاهد: [يريد تقلبك، أي:][٣] تقليبك أَعينك وأَبصارك في الساجدين حين تراهم من وراءِ ظهرك[٤]، وهذا معنى أَجنبي هنا.

وقال ابن عباس[٥] أَيضاً وقتادة: أَراد: تقلُّبك في المؤمنين، فعبَّر عنهم بالساجدين[٦].

وقال ابن جبير: أَراد الأَنبياءَ[٧]، أَي: تقلبك كما تقلب غيرك من الأَنبياءِ.

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ﴾، [معناه: قل لهم يا محمد: هل أخبركم على من تنزل الشياطين؟ وهذا][٨] استفهام وتوقيف تقرير، و«الأَفَّاكُ»: الكذاب، و«الأَثيم»: الآثم، ويريد الكهنة؛ لأَنهم كانوا يتلقون من الشيطان الكلمة الواحدة التي سمعت من السماءِ فيخلطون معها مئة كذبة، فإِذا صدقت تلك الكلمة كانت سبب ضلالةٍ لمن سمعها.

وقوله: ﴿يُلۡقُونَ﴾ يعني الشياطين، ومُقْتَضى ذلك أَن الشيطان المسترق أَيضاً كان يكذب إِلى ما سمع، هذا في الأَكثر، ويحتمل الضمير في ﴿يُلۡقُونَ﴾ [أَن يكون للكهنة][٩].

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٤١٢)، من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به، وهو منقطع.

(٢) نقل عنه الطبري (١٩/ ٤١٢)، والثعلبي (٧/ ١٨٣): في حال قيامك وقعودك وركوعك وسجودك، ونقل (٧/ ١٨٣) عن قتادة وابن زيد ومقاتل والكلبي: يعني وتصرّفك مع المصلّين.

(٣) ليس في المطبوع وأحمد٣.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٤١٢).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري (١٩/ ٤١٢) من طريق ابن جُرَيج: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قال: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قال: يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٤١٢)، بلفظ: «المصلين»، بدل «المؤمنين».

(٧) تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٣).

(٨) سقط من المطبوع وفيه بدل هذا: «هنا».

(٩) في المطبوع: «أي يكذبون الكهنة».

ولما ذكر الكهنة بإفكهم وحالهم التي[(١)] تقتضي نفي كلامهم عن كلام كتاب[(٢)] الله عقَّب ذلك بذكر الشعراءِ وحالهم لينَـبِّه على بُعْد كلامهم من كلام [الله تعالى في][(٣)] القرآن، إِذ قال في القرآن بعض الكفرة: إِنَّه شعر، وهذه الكناية هي عن شعراء الجاهلية، حكى النقاش عن السدِّي أَنها في ابن الزِّبعرى، وأَبي سفيان بن الحارث، وهبيرة بن أَبي وهب، ومسافع الجمحي[(٤)]، وأَبي عزة، وأُميَّة بن أَبي الصلت[(٥)].

قال القاضي أَبو محمد: والأَولان ممن تاب وآمن[(٦)] رضي الله عنهما، ويدخل في الآية كل شاعر مخلط يهجو أَو يمدح شهوة، ويقذف المحصنات، ويقول الزُّور.

وقرأَ نافع: ﴿يَتْبَعُهُمُ﴾ بسكون التاءِ [وفتح الباءِ][(٧)]، وهي قراءَة أَبي عبد الرحمن، والحسن بخلاف عنه، وقرأَ الباقون بشدِّ التاءِ وكسر الباء[(٨)].

واختلف الناس في قوله: ﴿الغَاوُون﴾:

فقال ابن عباس: هم الرُّواة[(٩)].

---

(١) في المطبوع: «وكذبهم الذي يقتضي».

(٢) ليس في المطبوع، وفي لالاليه: «عن كتاب كتاب».

(٣) من المطبوع.

(٤) هو مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح، له شعر يبكي فيه عمرو بن عبد ود، انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٦).

(٥) مثله في تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٢)، دون نسبة، ونقله عنه التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣٦٥)، وتفسير البغوي (٣/ ٤٨٤)، وزاد المسير (٣/ ٣٥٠)، واللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٩٩)، وغيرهم، فلعل الصواب مقاتل بدل السدي والله أعلم.

(٦) سقط من الأصل وأحمد٣.

(٧) سقط من الأصل.

(٨) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٧٤)، وأبو عبد الرحمن هو السلمي، كما في البحر المحيط (٨/ ٢٠٠)، وفي المطبوع: «أبي عبد الله» ولعله تحريف.

(٩) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٤١٥)، وابن أبي حاتم (١٦٨١٥)، في تفسيرهما كلاهما من طريق قيس، عن يعلى بن النعمان، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به، وقيس هو ابن ربيع =

وقال ابن عباس أَيضاً: هم المستحسنون لأَشعارهم، المصاحبون لهم[١].

وقال عكرمة: هم الرعاع الذين يتبعون الشاعر [ويتغنمون إنشاده][٢]، وهذا أَرجح الأَقوال.

وقال مجاهد وقتادة: ﴿الغاوون﴾: الشياطين[٣].

وقوله: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ عبارة عن تخليطهم وخوضهم في كل فن من غثِّ الكلام وباطله، وتحسينهم القبيح وتقبيحهم الحسن، قاله ابن عباس وغيره[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ذكر لتعاطيهم وتعمُّقهم في مجاز الكلام حتى يؤول إِلى الكذب، ولكن[٥] في هذا اللفظ عذرٌ لبعضهم أَحياناً، فإِنه يُرْوى أَن النعمان بن عدي[٦] لما ولاَّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ميسان، وقال لزوجته الشعر المشهور عَزَلَهُ عمر، فاحْتَجَّ عليه بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فدرأَ عنه عمر رضي الله عنه الحدَّ في الخمر[٧].

= الأسدي، متكلم فيه، انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٥).

(١) لم أقف على قول ابن عباس، رضي الله عنه، في شيء من المصادر.

(٢) ليس في المطبوع، ومثله في البحر المحيط (٨/ ٢٠٠)، وفي نجيبويه: «ويتعنون»، وفي الأصل: «ويتغنمون»، وفي لالاليه: «ويتعلمون».

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٦)، عن قتادة، ونقله السمعاني (٤/ ٧٢) عن مجاهد، ورواه عنهما الطبري (١٩/ ٤١٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٤١٧)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٥) ساقط من الأصل.

(٦) هو النُّعمان بن عديٍّ بن نضلة العدويُّ، من مهاجرة الحبشة، ولاه عمر ميسان، ثم عزله بسبب شعره الذي يقول فيه: لعل أمير المؤمنين يسوءه... تنادمنا في الجوسق المتهدّم، فقال عمر: بلى ساءني، انظر: الإصابة (٦/ ٣٥٢)

(٧) معضل، أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم المسكر (٤٤)، من طريق ابن إسحاق، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، معضلاً به.

وروى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «من مشى سبع خطوات في شعر كتب من الغاوين»، ذكره أسد بن موسى[١]، وذكره النقاش[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

هذا الاستثناءُ هو في شعراءِ الإِسلام، كحسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكل من اتصف بهذه الصفة، وروي عن عطاءِ بن يسار وغيره أَن هؤلاءِ شقَّ عليهم ما ذكر قَبْلُ في الشعراء، وذكروا ذلك للنبي ﷺ فنزلت [آية الاستثناء بالمدينة][٣].

وقوله: ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ يحتمل أَن يريد: في أَشعارهم، وهو تأْويل ابن زيد، ويحتمل أَن يريد: ذلك خُلُق لهم وعادة وعبادة، قاله ابن عباس[٤]، وهذا كما قال لبيد حين طلب منه شعر: إِن الله أَبدلني بالشعر القرآنَ خيراً منه[٥]، وكلُّ شاعر في الإِسلام يهجو أَو يمدح عن غير حقٍّ، ويقذف ولا يرتدع عن قول دنيءٍ، فهو داخل في هذه الآية، وكل تقيٍّ منهم يكثر من الزهد[٦]، ويُمسك عن كل ما يعاب فهو داخل في الاستثناءِ.

---

(١) هو أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الحافظ الأموي المرواني، أسد السنة المصري، ولد عند زوال دولة بني مروان، فنشأ في طلب الحديث، وروى عن شعبة، وغيره، وعنه أحمد بن صالح، وابن حبيب، قال النسائي: ثقة، ولو لم يصنف كان خيراً له، واستشهد به البخاري وقال: هو مشهور الحديث، وقال ابن يونس: ثقة، توفي سنة **٢١٢**هـ، تاريخ الإسلام (**١٥/ ٦٩**).

(٢) لم أقف عليه، وانظر: مسند الفردوس.

(٣) في المطبوع: الآية للاستثناءِ في الشعر، والأثر ضعيف بهذا اللفظ، أخرجه الطبري (**١٩/ ٤١٩**)، من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، رضي الله عنه، مرفوعاً، وهذا إسناد منقطع، ولكن جاء عند البخاري في الأدب المفرد (**٨٧١**)، عن ابن عباس بدون ذكر أسماء الشعراء.

(٤) أخرجه الطبري (**١٩/ ٤١٩**)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، به.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في المطبوع: «الذكر».

وقولُه: ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾ إشارة إلى ما قاله من الشعر عليٌّ وغيره في قريش[١].

قال قتادة: [وفي بعض القراءة:][٢] (وانتصروا بمثل ما ظلموا).

وباقي الآية وعيدٌ للظَّلَمة كفارِ مكة، وتهديدٌ لهم، وعَمِل ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ في ﴿أَيَّ﴾ لتأَخره.

[والحول والقوة لله عزَّ وجلَّ، والله وتعالى أَعلم.

تمَّ بحمد الله وتوفيقه تفسير سورة الشُّعراءِ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم][٣].

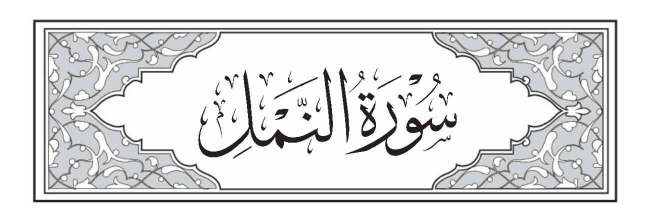
❊ ❊ ❊

---

(١) في المطبوع: «ما قالوه من الشعر وغيره في قريش».

(٢) سقط من المطبوع، وهذه القراءة شاذة، نقلها عنه في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٦).

(٣) من المطبوع، وفي نجيبويه: «والحول والقوة لله عز وجل، كمل تفسير السورة والحمد لله رب العالمين»، وفي فيض الله ولالاليه: «كمل تفسير سورة الشعراء والحمد لله كثيراً».



[٤/ ١٣٦]

/ تفسير سورة النمل

[هذه السورة مكية](١)

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿طس ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾.

تقدم القول في الحروف المقطعة في كل السُّور، وكل ما قيل مترتب هاهنا، وعلى القول بأَنها حروف من أَسماءِ الله فالأَسماءُ هنا: لطيف وسميع، وكونها إِشارة إِلى نوع حروف المعجم أَبْين الأَقوال، وعطف ﴿وَكِتَابٍ﴾ على ﴿الْقُرْآنِ﴾ وهما لِمُسَمًّى واحد من حيث هما صفتان لمعنيين، فالقرآن لأَنه اجتمع، والكتاب لأَنه يُكتب.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (وكتابٌ مبينٌ) بالرفع(٢).

وقوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ يحتمل أَن يكون في موضع نصب على المصدر، ويحتمل أَن يكون في موضع رفع على خبر ابتداءٍ مضمر، تقديره: ذلك هُدىً وَبُشْرى.

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٥٧)، والهذلي في الكامل (ص: ٦١٢).

ثم وصف تعالى المؤمنين بالأَوصاف الخليقة بهم، و«إِقامةُ الصلاة»: إِدامتها وأداؤها[١] على وجهها، و«الزَّكَاة» هنا يحتمل أَن تكون غير المفروضة؛ لأَن السورة مكية قديمة، ويحتمل أَن تكون المفروضة من غير تفسير، وقيل: «الزَّكَاةُ» هنا بمعنى الطهارة من النقائص وملازمة مكارم الأَخلاق، وتكرار الضمير في قوله: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ للتأْكيد.

ثم ذكر تعالى الكفرة الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالبعث، والإِشارة إِلى قريش.

وقوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ يحتمل أَنه تعالى حتم عليهم الكفر، وحبَّب إِليهم الشِّرك، وزيَّنه بأَن خلقه واخترعه في نفوسهم، ومع ذلك اكتسابهم وحرصهم [على كفرهم][٢]، وهذا على أَن تكون الأَعمال المُزَيَّنة: كفرهم وطغيانهم، ويحتمل أَن الأَعمال المُزيَّنة هي الشريعة[٣] التي كان الواجب أَن تكون أَعمالهم، فأَخبر الله تعالى على جهة الذكر لنقصهم[٤] أَنه بفضله ونعمته[٥] زيَّن الدِّين وبَيَّنه، ورسم الأَعمال والتوحيد، لكن هؤلاءِ ﴿يَعۡمَهُونَ﴾، أَي: يُعرضون، «والعَمَه»: الحيرة والتردُّد في الضلال.

ثم توعدهم تعالى بسوءِ العذاب، فمن ناله شيءٌ منه في الدنيا بقي عليه عذاب الآخرة، ومن لم ينله عذاب في الدنيا كان سوءُ عذابه في موته وفيما بعده.

و﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾: جمع أَخْسَر؛ لأَن أَفعل صفة، لا يجمع إِلا أَن يضاف فتقوى رتبته في الأَسماءِ، [وفي هذا نظر][٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) من المطبوع ونور العثمانية.

(٣) في فيض الله: «الشرعية».

(٤) سقطت من المطبوع، وفي لالاليه: «لبعضهم».

(٥) في المطبوع: «ورحمته».

(٦) سقطت من الأصل.

مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

(تُلَقَّى): تُفَعَّل، مضاعف [لقي يلقى][١]، ومعناه: تُعطى، كما قال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصّلت: ٣٥].

قال الحسن: المعنى: إنك لتقبل القرآن[٢]. ولا شك أنه يفيض عليه فضل الله [ويعتمد به][٣] فيقبله ﷺ.

وهذه الآية ردٌّ على كفار قريش في قولهم: إن القرآن من تلقاءِ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن عبد الله.

و﴿مِن لَّدُنْ﴾: معناه: من عنده ومن جهته.

و«الْحَكِيمُ»: ذو الحكمة في معرفته حيث يجعل رسالاته، وفي غير ذلك، لا إله إلَّا هو.

ثم قصَّ تعالى خبر موسى، والتقدير: اذكر إِذْ قالَ مُوسى، وكان من أمر موسى عليه السلام أنه حين خرج بزوجه بنت شعيب عليه السلام يريد مصر ـ وقد قرب وقت نبوته ـ مشوا في ليلة ظلماءَ ذات برد ومطر، ففقدوا النار ومسَّهم البرد واشتدت عليهم الظلمة وضلوا الطريق، وأَصْلَدَ[٤] زناد موسى عليه السلام، فبينا هو في هذه الحال إِذْ رأى ناراً على بُعد.

و﴿ءَانَسْتُ﴾ معناه: رأيتُ، ومنه قول حسَّان بن ثابت:

انْظُـرْ خَليلـي بِبَـابِ جِلَّـقَ هَـلْ تُؤْنِسُ دونَ الْبَلْقاءِ مِنْ أَحَدِ[٥] [المنسرح]

فلما رأى موسى ذلك قال لأهله ما في الآية، ومشى نحوها، فلما دنا منها [رأى

(١) ليس في المطبوع.
(٢) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٣٣).
(٣) المثبت من الحمزوية، وسقطت من المطبوع، وفي لالاليه: «ونعمته به».
(٤) أَصْلَدَ الزَّنْد: صوَّتَ ولَمْ يُورِ.
(٥) انظر عزوه له في عيون الأخبار (١/ ٤٤١)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٠)، والعقد الفريد (٧/ ٧)، والأغاني (١٧/ ١٦٩).

النار في شجر سمر خضراء وهي لا تحرقها، وكلما قرب هو منها][1] بعدت هي منه، وكان ذلك نوراً من نور الله عزَّ وجلَّ، ولم يكن ناراً في نفسها، لكن ظنه موسى ناراً، فناداه الله عزَّ وجلَّ عند ذلك، وسمع موسى عليه السلام النداءَ من جهة الشجرة، وأَسمعه الله تعالى كلامه.

والْخَبَر الذي رجاه موسى عليه السلام هو الإِعلام بالطريق.

وقوله: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾، شبه النار التي توجد في طرف عود أَو غيره بالشهاب، ثم خصَّصه بأَنه مما اقتبس؛ إِذ الشهب قد تكون من غير اقتباس، و«القبس»: اسم لقطعة النار تُقْتبس في عود أَو غيره، كما أَن القبض اسم ما يُقْبض، ومنه قول أَبي زبيد[2]:

[المنسرح] فـي كَـفِّـهِ صَـعْـدَةٌ مُـثَـقَّـفَـةٌ فيهـا سِـنَانٌ كَشُـعْلَةِ الْقَبَـسِ[3]

ومنه قول الآخر:

[الرجز] .... مَنْ شَاءَ مِنْ نارِ الْجَحِيمِ اقْتَبَسَا[4]

وأَصل الشهاب: الكوكب المنقض في أَثر مُسْتَرِق السمع، وكل ما يقال له شهاب من المنيرات[5] فعلى التشبيه.

[وقال الزجاج][6]: كل أَبيض ذي نور فهو شهاب[7]، وكلامه مُعترَض.

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في الأصل والمطبوع وأكثر النسخ: «أبي زيد»، وفي أحمد ٣: «أبي زييد»، والتصويب من نجيبويه، وهو حرملة بن منذر الطائي، تقدم في تفسير الآية ١٣ من سورة المائدة.

(٣) البيت لأبي زيد كما في الحجة لأبي علي (٥/ ٣٧٢)، وهو في مجاز القرآن (٢/ ٩٢)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٢٧)، وغيرهما بلا نسبة.

(٤) جاء هكذا في الأغاني (٨/ ٥٩) ضمن أبيات منسوبة لجرير، وفي المطبوع ونجيبويه ولالاليه أحمد٣: «استقبسا».

(٥) في المطبوع ونور العثمانية: «النيران».

(٦) سقط من أحمد٣.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٠٨).

و«القبس»: يحتمل أَن يكون اسماً غير صفة، [ويحتمل أن يكون صفة، فعلى كونه اسماً فهي صفة][١] أَضاف إِليه، بمعنى: بشهاب أَقتبسه أَو اقتبسته، وعلى كونه صفة يكون ذلك كإِضافة الدار إِلى الآخرة[٢] والصلاة إِلى الأُولى، وغير ذلك.

وقرأَ الجمهور بإِضافة (شِهَابِ) إِلى ﴿قَبَسٍ﴾، وهي قراءَة الحسن وأَهل المدينة ومكة والشام.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بتنوين (شِهَابٍ)[٣]، فهذا على الصفة / .

[٤/ ١٣٧]

ويجوز أَن يكون القبس[٤] مصدر: قَبَسَ يَقْبِسُ، كما أَن الجلْب مصدر: جَلَب يَجْلب[٥].

وقال أَبو الحسن: الإِضافة أَجود وأَكثر في القراءَة، كما تقول: دارُ آجُرٍّ وسوارُ ذهبٍ، حكاه أَبو علي[٦].

و﴿تَصْطَلُونَ﴾ معناه: تستدفئون من البرد.

والضمير في ﴿جَآءَهَا﴾ للنار التي رآها موسى، وقوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾ يحتمل أَن تكون ﴿أَنۢ﴾ مُفسِّرة، ويحتمل أَن تكون في موضع[٧] نصب على تقدير: بأَن بُورك، ويحتمل أَن تكون في موضع رفع على تقدير: نُودِيَ أَنَّهُ، قاله الزَّجاج[٨].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾، يوسف الآية ١٠٩.

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٤٧٨)، والتيسير (ص: ١٦٧)، وانظر موافقة الحسن للأولين في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٢٦).

(٤) في المطبوع: «تكون الصفة».

(٥) في المطبوع والحمزوية ولالاليه ونور العثمانية: «الحلب مصدر حلب يحلب بالمهملة في الثلاثة».

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٧٧).

(٧) سقط من الأصل سهواً.

(٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٠٩).

وقوله: ﴿بُورِكَ﴾ معناه: قُدِّس وضوعف خيره ونُمِّي، والبركة مختصة بالخير، ومن هذا قول أَبي طالب [عبد مناف][١] بن عبد المطلب:

[الخفيف] بُورِكَ المِيِّتُ الْغَرِيبُ كما بُو ... ركَ يَنْعُ الرُّمَّانِ والزَّيْتُونِ[٢]

وبَارَك: مُتعد بغير حرف، تقول العرب: بَارَكَكَ الله.

وقوله: ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ اضطرب المتأولون فيه:

فقال ابن عباس[٣]، وابن جبير، والحسن، وغيرهم: أَراد عزَّ وجلَّ نفسه[٤]، وعبَّر بعضهم في هذا القول عبارات مردودة شنيعة.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أَراد النورَ[٥].

وقال الحسن[٦]، وابن عباس: أَراد بمن حولها: الملائكة وموسى[٧]، فأَما قول الحسن وغيره فإِنما يتخرج على حذف مضاف، بمعنى: بُورِكَ مَنْ قدرتُه وسلطانه فِي النَّارِ، والمعنى: في النَّار على ظنِّك وما حسبتَ.

وأَما القول بأَن ﴿مَن﴾ للنور، فهذا على أَن يُعبَّر عن النور من حيث كان من نور

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) تقدم في تفسير الآية (**٣٦**) من سورة النور، وفي المطبوع وأحمد**٣** ونور العثمانية: «نبع بدل ينع».

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (**١٩/ ٤٢٨**)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به، ورواه ابن أبي حاتم (**١٦١٢٦**)، بإسناد فيه شريك النخعي، والإِسنادان ضعيفان.

(٤) نقله عنهما تفسير الطبري (**١٩/ ٤٢٨**).

(٥) إسناده لين، أخرجه ابن أبي حاتم (**١٦٨٨٨**)، من طريق محمد بن علي بن حمزة، عن علي بن الحسين ابن واقد، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٦) تفسير الطبري (**١٩/ ٤٢٩**)، وتفسير عبد الرزاق (**٢/ ٤٧٠**).

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (**١٩/ ٤٢٩**)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به، ورواه ابن أبي حاتم (**١٦١٣٦**)، من طريق شريك النخعي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، والإسنادان ضعيفان.

الله، ويحتمل أَن يكون من الملائكة؛ لأَن ذلك النور الذي حسبه موسى ناراً لم يخْل من ملائكة، و(مَنْ حَوْلَها) يكون موسى والملائكة المطيفين به.

وقرأَ أُبيٌّ بن كعب: (بُورِكَت النَّارُ، ومن حولها) [١]، كذا حكى أَبو حاتم، وحكى ابن جني أَنه قرأَ: (تباركت النَّارُ ومَنْ حولها) [٢].

وحكى الداني أَبو عمرو أَنه قرأَ: (ومَنْ حَوْلَهَا مِنَ الملائكة)، قال: وكذلك قرأَ ابن عباس ومجاهد وعكرمة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يحتمل أَن يكون مما قيل في النداءِ لموسى عليه السلام، ويحتمل أَن يكون خطاباً لمحمد ﷺ اعتراضاً بين الكلامين، والمقصد به ـ على كلا الوجهين ـ تنـزيه الله تعالى ممَّا عسى أَن يخطر ببال في معنى النداءِ من الشجرة وكون قدرته وسلطانه في النَّار.

وعَوْد ﴿مَن﴾ عليه، أَي: هو مُنَـزَّه في جميع هذه الحالات عن التشبيه والتَّكْييف.

قال الثعلبي: وإِنما الأَمر ـ كما رُوي في التوراة ـ: جاءَ الله من سيناءَ، وأَشرق من ساعير[٤]، واستَعلن من فاران[٥]، المعنى: ظهرت أَوامره بأَنبيائه في هذه الجهات.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٦)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ٢٩٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٣٦)، وفي المطبوع زيادة: «يكون موسى والملائكة»، ولعلها تكرار مع ما تقدم فوق.

(٢) وكلها شاذة، وهذا اللفظ جاء في الشواذ للكرماني (٣٥٧) عن أُبيٍّ، أما ابن جني فلفظه في المحتسب (٢/ ١٣٤): تَبارَكت الأرضُ، وكذا في تفسير الزمخشري (٣/ ٣٤٩)، وتفسير الرازي (٢٤/ ٥٤٤)، وفي المطبوع: «بن مكي»، بدل ابن جني.

(٣) وهي شاذة، أيضاً، عزاها في حاشية الشهاب على البيضاوي (٧/ ٣٣) لأُبيٍّ، وللكل في البحر المحيط (٨/ ٢١٢).

(٤) في الأصل: «ساغين».

(٥) تفسير الثعلبي (٧/ ١٨٩).

[وفاران: جبل بمكة، وباقي الآية إعلام بأنه الله تعالى][١].

والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ للأَمر والشأْنِ، قال الطبري: ويُسميها أَهل الكوفة المجهولة[٢].

وآنسَه بصفاته من العزَّة؛ أي لا خوف معي، و«الحكمة»؛ أَي: لا نقْص في أَفعالي[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنَۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾.

أَمره الله عز وجل بهذين الأَمرين تدريباً له في استعمالهما، وفي الكلام حذف تقديره: فأَلْقى العصا، فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ.

وأَمال ﴿رَءَاهَا﴾ بعض القراءِ[٤].

و«الجانُّ»: الحيَّات؛ لأَنها تخفي أَنفسها، أَي تسترها، وقالت فرقة: الجان: صغار الحيَّات، وعصا موسى صارت حيَّة ثعباناً وهو العظيم، وإِنما شبهت بالجانِّ في سرعة الاضطراب؛ لأَن الصغار أَكثر حركة من الكبار، وعلى كل قول فإِن الله خلق في العصا حياة[٥] وغيَّر أَوصافها وأَعراضها فصارت حيَّة.

وقرأَ الحسن والزهري، وعمرو بن عُبَيْد: (جَأْن) بالهمز[٦].

---

(١) سقط من المطبوع، وفيه: «هذه الحالات».

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٣٠).

(٣) في المطبوع: «أفعاله».

(٤) إمالة الهمزة وحدها لأبي عمرو، ومع الراء لشعبة وحمزة والكسائي، وقللهما ورش، انظر: السبعة (ص: ٤٧٨).

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) وهي شاذة، عزاها للحسن وعمرو في المحتسب (٢/ ١٣٥)، وللزهري في البحر المحيط (٨/ ٢١٣)، وسقط «الحسن» من المطبوع والحمزوية.

فلما أَبصر موسى عليه السلام هول ذلك المنظر وَلَّى فاراً، قال مجاهد: لم يرجع[١]، وقال قتادة: ولم يلتفت[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وعقَّب الرجل: إِذا ولَّى عن أَمر ثم صرف بدنه أَو وجهه إِليه كأَنه انصرف على عقبيه، وناداه الله مؤنساً ومُقَوِّياً على الأَمر: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ فإِن رسلي الذين اصطفيتهم للنبوة لا يخافون عندي ومعي، فأَخذ موسى الحيَّة فرجعت عصا[٣]، ثم صارت له عادة.

واختلف الناس في الاستثناءِ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾: فقال مقاتل وغيره: الاستثناءُ متَّصل، وهو من الأَنبياءِ، وروى الحسن أَن الله تعالى قال لموسى: «أَخفتك لِقَتْلك النفس».

وقال الحسن أَيضاً: كانت الأَنبياءُ تذنب فَتُعَاقَب، [ثم تذنب ـ والله ـ فتعاقب][٤]، فكيف بنا؟[٥].

وقال ابن جريج: لا يخيف الله تعالى الأَنبياءَ إِلا بذنب يصيبه أَحدهم، فإِن أَصابه أَخافه حتى يأْخذه منه[٦]، قال كثير من العلماءِ: لم يَعْرُ[٧] أَحد من البشر من ذنب إِلا ما رُوي عن يحيى بن زكريا.

وأَجمع العلماءُ أَن الأَنبياءَ عليهم السلام معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي هي رذائل، واختلف فيما عدا هذا، فعسى أَن يشير الحسن وابن جريج إِلى ما عدا ذلك.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٥١٦)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٣١).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٣١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٤٨).
(٣) كتبت في المطبوع: «عصاه».
(٤) سقط من الحمزوية ولالاليه ونور العثمانية.
(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٩/ ٤٣٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٩٢).
(٦) الهداية الى بلوغ النهاية (٨/ ٥٣٧٥).
(٧) كتبت في المطبوع: «يعرف أحد من البشر لهم من ذنب».

وفي الآية على هذا التأْويل حذف اقتضى الإِيجازُ والفصاحةُ تركَ نَصِّه، تقديره: فمن ظلم ثم بدَّل.

وقال الفراءُ وجماعة: الاستثناءُ منقطع، وهو إِخبارٌ عن غير الأَنبياءِ، كأَنه قال: لكن[1] من ظلم من الناس ثم تاب فإِني غفور رحيم[2].

وقالت فرقة: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى الواو.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول لا وجه له.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع، وزيد بن أَسلم: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ) مخففة[3] على الاستفتاح[4].

وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ معناه: عملاً صالحاً مقترناً بتوبة، وهذه الآية تقتضي حتم المغفرة للتائب، وأَجمع الناس على ذلك في التوبة من الشرك، وأَهل السُّنة في التائب من المعاصي، على أنه في المشيئة كالمُصّر، لكن يغلب / الرجاءُ على التائب والخوف على المُصِرّ. [٤/ ١٣٨]

وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[5] عمَّت الجميع من التائب والمُصِرِّ.

[وقالت المعتزلة: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ معناه للتائبين.

قال القاضي أبو محمد: وذلك مردود من لفظ الآية لأن تفصيلها بين الشرك وغيره كان][6] يذهب فائدته؛ إِذِ الشِّرك يُغفر للتائب، وما دونه كذلك على تأْويلهم، فما فائدة التفصيل في الآية؟ وهذا الاحتجاج لازم فتأَمله.

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٧).

(٣) من أحمد٣.

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٣٦)، مختصر الشواذ (ص: ١١٠)، وهي شاذة والمتواتر عن أبي جعفر موافقة قراءة الجمهور.

(٥) تكررت في الآيتين (٤٨) و(١١٦) من سورة النساء.

(٦) في المطبوع بدلا منه: «ولا فرق بين المشرك وغيره لأنه».

ورُوي عن أَبي عمرو أَنه قرأَ: (حَسَناً بعد سوء) بفتح الحاءِ والسين، وهي قراءَة مجاهد، وابن أَبي ليلى.

وقرأَ محمد بن عيسى الأَصبهاني[١]: (حُسْنَى) مثل فُعْلَى[٢].

ثم أَمر تعالى موسى بأَن يدخل يده في جيب جبته؛ لأَنها لم يكن لها كُمٌّ كما قال ابن عباس[٣]، وقال مجاهد: كانت[٤] مِدْرَعة صوف إِلى بعض يده[٥].

و«الجيب»: الفتح في الثوب لرأْس الإِنسان، ورُوي أَن يد موسى عليه السلام كانت تخرج تتلأْلأُ كأَنها قطعة نور، ومعنى إِدخال اليد في الجيب ضم الآية إِلى موسى، وإِظهار تلبسها به؛ لأَن المعجزات من شروطها أَن يكون لها اتصال بالآتي بها[٦].

وقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أَي: من غير برص ولا علَّة، وإِنما هي آية تجيءُ وتذهب.

وقوله: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ متصل بقوله: (أَلـق)، و(أَدخِلْ)، وفيه اقتضاب وحذف، تقديره: تمهد وتيسر لك ذلك في جملة تسع آياتٍ، وهي: العصا، واليد البيضاءُ[٧]،

---

(١) في المطبوع: «محمد بن علي»، وهو محمد بن عيسى بن رزين التيمي الرازي ثم الأصبهاني المقرئ، أحد أعلام القرآن العظيم، قرأ على نصير، وخلاد بن خالد، وصنف كتاب الجامع في القراءات، وكان رأساً في العربية، توفي سنة **٢٥٣**هـ. تاريخ الإسلام (**١٩/ ٣٠٧**).

(٢) وهما شاذتان، انظر قراءة مجاهد في الشواذ للكرماني (ص: **٣٥٧**)، وقراءة أبي عمرو من رواية عبد الوارث، وهارون، وعصمة، والجعفي، والواقدي... في الكامل للهذلي (ص: **٦١٢**)، والباقي في البحر المحيط (**٨/ ٢١٥**).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم (**١٦٩١٥**)، من طريق شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنه به. ويزيد هو القرشي، ضعيف الحديث، كبر فتغير وصار يتلقن. وشريك: هو ابن أبي نمر.

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) تفسير الطبري (**١٩/ ٤٣٤**).

(٦) في المطبوع: «بالرائي».

(٧) من المطبوع.

والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والحجر، وفي هذين الأَخيرين اختلاف، والمعنى: يجيءُ بهن إِلى فرعون وقومه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤﴾.

الضمير في قوله: ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾ لفرعون وقومه.

و﴿مُبۡصِرَةٗ﴾ معناه: معها الإِبصار والوضوح، وهذا على نحو قولهم: نهارٌ صائم، وليل قائمٌ ونائمٌ.

وقرأَ قتادة [وعلي بن الحسين](1): (مَبْصَرَة) بفتح الميم والصاد(2).

وظاهر قوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ حصول الكفر عناداً، وهي مسأَلة فيها قولان: هل يجوز أَن يقع أَمْ لا؟ فجوَّزت ذلك فرقة وقالت: يجوز أَن يكون الرجل عارفاً إِلَّا أَنَّه يجحد عناداً ويموت على معرفته وجحوده، فهو بذلك في حكم الكافر المخلد، قالوا: وهذا حكم إِبليس، وحكم حيي بن أَخطب وأَخيه حسب ما رُوي عنهما.

قال القاضي أَبو محمد: وإِن عورض هذا المثال فُرض إِنسان ويجوز ذلك فيه.

وقالت فرقة: لا يصح لوجهين: أَحدهما أَن هذا لا يجوز وقوعه من عاقل، والوجه الآخر أَن المعرفة تقتضي أَن يحل في القلب، وذلك إِيمانٌ، وحكم الكافر لا يلحقه إِلَّا بأَن يحلَّ في القلب كفر، ولا يصح اجتماع الضدين في محل واحد(3)، قالوا: ويشبه في هذا العارف الجاحد أَن يسلب عند الموافاة تلك المعرفة ويحل بدلها الكفر.

قال القاضي أَبو محمد: والذي يظهر عندي في هذه الآية وكل(4) ما جرى مجراها

---

(1) في المطبوع: «والحسن».

(2) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٣٦).

(3) من الحمزوية والأصل.

(4) «كل» ليست في المطبوع.

أَن هؤلاءِ الكفرة إِذا نظروا في آيات موسى أَعطتهم قولهم: إِن هذا ليس تحت قدرة بشر، وحصل لهم اليقين أَنها من عند الله تعالى، فيغلبهم أَثناءَ ذلك الحسدُ، ويتمسكون بالظنون في أَنها سحر وغير ذلك [مما يختلج في الظن بحسب كل آية، ويلجون في عماهم فيضطرب ذلك اليقين ويدفعونه في كل حيلة من التحيل لربوبية فرعون وغير ذلك][1]، حتى يُستلب ذلك اليقين [أَو يدوم كذلك مضطرباً][2]، وحكمه حكم المستلب في وجوب عذابهم.

و﴿ظُلْمًا﴾: معناه على غير استحقاق للجحد، والعلو في الأرض أعظم آفة على طالبه، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

ثم عجَّبه تعالى من عاقبة الْمُفْسِدِينَ قوم فرعون، وسوءِ مُنقلبهم حين كذَّبوا موسى، وفي هذا تمثيل لكفار قريش إِذْ كانوا مفسدين مسْتعْلِينَ.

وقرأَ ابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: (ظلما وَعُلِيّاً)، وحكى أَبو عمرو الداني عنهم وعن أَبان بن تغلب أَنهم كسروا العين من (عِلِيّاً)[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

هذا ابتداءُ قصص فيه غيوب وعبر، وليس بمثال لقريش، وداود من بني إِسرائيل وكان ملكاً، وورث سليمانُ مُلْكه ومنـزلته من النبوة، بمعنى: صار ذلك إِليه بعد موت

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في المطبوع بدل هذا: «يدفع».

(٣) وهما شاذتان، عزا في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٨) الأولى لابن مسعود، وعزاها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٥٨) لطلحة، وعزا الثانية لابن مسعود ويحيى والأعمش، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ١١٠)، ففيه عنهم الوجهان أيضاً.

أَبيه، فسُمي ميراثاً تجوزاً، وهذا نحو قولهم: «العلماءُ ورثة الأَنبياءِ»[١]، وحقيقة الميراث في المال، والأَنبياءُ لا تورث أَموالهم؛ لأَن النبي ﷺ قال: «إِنَّا معشر الأَنبياءِ لا نورث»[٢]، يريد به أَن ذلك من فعل الأَنبياءِ وسيرتهم، وإِن كان فيهم من ورث ماله كزكريا على أَشهر الأَقوال فيه، وهذا كما تقول: إِنَّا معشر المسلمين إِنما شُغلنا العبادة، فالمراد أَن ذلك فيه[٣] فعل الأَكثر، ومنه ما حكى سيبويه: إِنَّا معشر العرب أَقْرى الناس لضيف[٤].

وقوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ إِخبارٌ بنعمة الله عندهما في أَن فهمهما من أَصوات الطير المعاني التي في نفوسها، فهذا نحو ما كان نبينا محمد ﷺ يسمع أَصوات الحجارة بالسلام، وسليمان عليه السلام حكى عن البلبل أَنه قال: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاءُ[٥]، إلى كثير من هذا / النوع. [٤/ ١٣٩]

وقال قتادة والشعبي وغيرهما: إنما كان هذا الأَمر في الطير خاصة، والنملة طائر؛ إِذ قد يوجد لها الأَجنحة[٦]، قال الشعبي: وكذلك كانت هذه القائلة ذات جناحين[٧].

وقالت فرقة: بل كان في جميع الحيوان، وإِنما ذكر الطير لأَنه كان جنداً من جنود سليمان [يحتاجه في التظليل عن][٨] الشمس، وفي البعث في الأُمور، فخُصَّ لكثرة مداخلته، ولأَن أَمر سائر الحيوان نادر وغير متردد ترداد أَمر الطير، والنمل حيوان فَطِنٌ

---

(١) وردت هذه العبارة في حديث طويل، رواه الترمذي (٥/ ٤٩)، وأبو داود (٣/ ٣١٧) بسند صحيح.
(٢) سبق تخريج هذا الخبر بهذا اللفظ، وقد أخرجه البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (١٧٥٩)، كلاهما من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولكن بلفظ: «لا نورث ما تركنا صدقة». والله أعلم.
(٣) ليست في المطبوع ونجيبويه.
(٤) الكتاب لسيبويه (٢/ ٢٣٤).
(٥) كأنه من الإسرائيليات، أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٢٣٢)، من طريق فرقد السبخي ـ وهو ضعيف بمرة ـ من قوله به.
(٦) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٥).
(٧) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٧)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٩٧).
(٨) في المطبوع: «يحجب عنه».

قوي شمام جدّاً، يدَّخر ويتَّخذ القِرى، ويشق الحب بقطعتين لئلا ينبت، ويشق الكزبرة بأَربع قطع لأَنها تنبت إِذا قسمت شقين، ويأْكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي سائره عُدة[١].

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ معناه: يصلح لنا ونتمنَّاه، وليست على العموم، ثم رَدَّد شُكْر فضل[٢] الله تعالى.

ثم قصَّ تعالى حال سليمان فقال: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ﴾ أَي: جُمِع.

واختلف الناس في مقدار جند سليمان عليه السلام اختلافاً شديداً لم أر[٣] ذكره لعدم صحة التحديد[٤]، غير أَن الصحيح أَن مُلْكه كان عظيماً، ملأَ الأَرض، وانقادت له المعمورة كلها، وكان كرسيه يحمل[٥] أَجناده من الجن والإِنس، وكانت الطير تظلله من الشمس، ويبعثها في الأُمور، فكان له في الكرسي الأَعظم موضع يخصه.

و﴿يُوزَعُونَ﴾: معناه: يُـرَدُّ أَوَّلهم على آخِرهم ويُكفُّون، قال قتادة: فكان لكل صنف وزعة في رتبتهم ومواضعهم من الكرسي ومن الأَرض إِذا مشوا فيها، فرُبَّ وقت كان يسير فيه في الأَرض[٦]، ومنه قول الحسن البصري حين وَلي قضاءَ البصرة: لا بُدَّ للحاكم من وَزَعة[٧]، ومنه قول أَبي قحافة حين وصفت له الجارية في يوم الفتح

---

(١) في المطبوع: «مدة».

(٢) ليست في المطبوع ونور العثمانية.

(٣) في المطبوع: «أُرِدْ».

(٤) في الأصل: «لعدم صحة التحرير»، وفي المطبوع والحمزوية: «لعدم صحته».

(٥) المثبت من المطبوع.

(٦) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٣٧)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٠١).

(٧) نقله عنه الذهبي في تاريخ الإسلام (٤/ ٧٢) بلفظ لا بد لهؤلاء، ومغلطاي في التراجم الساقطة من كتاب إكمال تهذيب الكمال (ص: ٥١) عن كتاب المبرد بلفظ لا بد للسلطان، وجعله بعضهم حديثاً كما في جمهرة اللغة (٢/ ٨١٨)، وغيرها.

أَنها ترى سواداً أَمامه فارس قد نهد[١] من الصَّف، فقال لها: ذاكَ الوازع[٢]، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] عَلَى حينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ[٣]

أَي: كافٌّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾.

ظاهر هذه الآية أَن سليمان وجنوده كانوا مشاةً في الأَرض، ولذلك يتفق حطم النمل[٤]، ويحتمل أَنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأَحَسَّت النمل بنزولهم في وادي النمل[٥].

وأَمال أبو عمرو الواو من ﴿وَادِ﴾، والجميع فخَّم، والإِمالة قراءَة ابن أَبي إِسحاق[٦].

---

(١) في المطبوع: «تقدم»، وفي الحمزوية ولالاليه: «نهز».

(٢) أخرجه ابن راهويه في مسنده (٥/ ١٣٢)، من طريق جرير بن حازم، قال: سمعت محمد بن إسحاق، يحدث عن يحيى بن عباد، عن أبيه عن أسماء به، ومحمد بن إسحاق، يدلس، ولم يصرح بالسماع.

(٣) البيت للنابغة كما تقدم في تفسير الآية ١١٨ من سورة المائدة.

(٤) زاد في المطبوع: «بنزولهم في وادي النمل»، قال في الحاشية: وهو غير موجود في الأصول، ولكنا نقلناه عن البحر المحيط.

(٥) زاد في المطبوع: «ووادي النمل قيل: بالشام، وقيل بأَقصى اليمن، وهو معروف عند العرب مذكور في أَشعارها»، قال في الحاشية: وهو غير موجود في الأصول، ولكنا نقلناه عن البحر المحيط حيث نقل نصَّ كلام ابن عطية.

(٦) وهي شاذة عزاها في السبعة (ص: ٤٧٨) لعباس عن أبي عمرو، ولم أجدها لابن أبي إسحاق، وفي الأصل: «ابن إسحاق».

وقرأَ المعتمر بن سليمان عن أَبيه: (النَّمُلِ) بضم الميم كالسمر[١]، و(قالتْ نَمُلة) بالضَّم أَيضاً كسَمُرة، ورُوي عنه أَيضاً ضم النون والميم من (النُّمُل)[٢].

قال نَوْف البِكَالي: كان ذلك النمل على قدر الذباب[٣].

وقالت فرقة: بل كانت صغاراً.

قال القاضي أَبو محمد: والذي يقال في هذا أَن النمل كانت نسبتها من هذا الخلق نسبة هذا النمل منَّا، فيحتمل أَن كان الخلق كله أَكمل.

وهذه النملة قالت هذا المعنى، الذي لا يصلح له إِلَّا هذه العبارة، قولاً فهمه عنها النمل، فسمعه سليمان على بُعْده، وجاءَت المخاطبة كمن يعقل؛ لأَنها أَمرتهم بما يؤمر به من يعقل، وروي أَنه كان على ثلاثة أَميال فتَبَسَّم من قولها.

والتَّبَسم ضحك الأَنبياءِ في غالب أَمرهم، لا يليق بهم سواه.

وكان ضحكه سروراً، واخْتُلِفَ بِمَ؟:

فقالت فرقة: بنعمة الله تعالى في إِسماعه وتَفْهيمه ونحو ذلك.

وقالت فرقة: بثناء[٤] النملة عليه وعلى جنوده في أَن نَفَت عنهم تعمُّد القبيح من الفعل، فجعلت الحطم وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ.

وقرأَ شهر بن حوشب: (مَسْكَنَكُمْ) بسكون السِّين على الإِفراد.

وفي مصحف أُبيٍّ (مَسَاكِنَكُنَّ)[٥].

و﴿ضَاحِكًا﴾ نصب على الحال.

---

(١) في المطبوع: «كالشَّمُس».

(٢) وكلها شاذة، انظر عزوها له في المحتسب (٢/ ١٣٧).

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ١٩٧)، وسماه: نوفاً الحميري، الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/ ٥٣٨٨).

(٤) في المطبوع: «بنبَأ».

(٥) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص٣٥٨)، والأولى في مختصر الشواذ (ص١١٠).

وقرأ محمد بن السمَيْفَع: (ضَحِكاً)[١]، وهو نصب على المصدر [إما بتبسم، على مذهب المبرد إذ هو في معنى الضحك، وإما بتقدير: ضحك، وهو مذهب سيبويه][٢].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ بشد النون وسكون الحاءِ، وقرأ أبو عمرو في رواية عبيد[٣]: ﴿لا يَحْطِمَنْكُمْ﴾ بسكون النون، وهي قراءَة ابن أَبي إِسحاق[٤].

وقرأ الحسن، وأَبو رجاءٍ: (لا يحَطِّمِنَّكُمْ) بضم الياءِ وفتح الحاءِ وكسر الطاءِ وشدِّها وشدِّ النون، وعنه أَيضاً: (يَحِطِّمَنَّكُمْ) بفتح الياءِ وكسر الحاءِ والطَّاءِ وشدِّها[٥].

وقرأَ الأَعمش وطلحة: (لا يَحْطِمَكُمْ) مخففة بغير نون[٦].

وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب: (لا يَحْطِمَنكُنَّ)[٧] مخففة النون التي قبل الكاف.

ثم دعا سليمان ربَّه في أَن يُعينه الله تعالى ويفرغه إلى شكر نعمته، وهذا هو معنى إِيزاع الشكر، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ١٣٩).

(٢) جاءت هذه الجملة في المطبوع هكذا: [بفعل محذوف يدلُّ عليه (تَبَسَّم)، كأَنه قال: «ضَحِكَ ضَحِكاً»، وهذا مذهب صاحب الكتاب، أَو يكون منصوباً بنفس (تَبَسَّمَ) لأَنه في معنى «ضَحك»]، وقال في الحاشية: اضطربت الأصول في هذا الجزء الذي أثبتناه وقد آثرنا أن ننقل عبارة ابن جني. والفقرة كلها في المطبوع متأخرة عن الكلام على ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ ولعله لأنها قبلها في لفظ الآية.

(٣) في المطبوع: «عبيدة».

(٤) وهي عشرية من رواية رويس عن يعقوب كما في النشر (٢/ ٣٣٧) وعزاها لعبيد في الكامل للهذلي (ص: ٥٢٣)، والسبعة (ص: ٤٧٩)، قال: وهو غلط، قال الفارسي في الحجة (٥/ ٣٨١) أي من جهة الرواية، وعزاها لابن أبي إسحاق في البحر المحيط (٨/ ٢٢٠).

(٥) وهما شاذتان، انظر عزوهما للحسن في المحتسب (٢/ ١٣٧)، وقراءة أبي رجاء في الشواذ للكرماني (ص٣٥٨).

(٦) وهي شاذة، عزاها للأعمش في الشواذ للكرماني (ص٣٥٨)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٠)، ولم أجدها لطلحة، وفي المطبوع: «يحطمنكم».

(٧) شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص٣٥٨)، وفي المطبوع وفيض الله: «يحطمنكم»، وسقطت من لالاليه ومع قراءة الأعمش من نور العثمانية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

اختلف الناس في معنى تفَقُّده الطيرَ: فقالت فرقة: ذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأُمور المُلْك والتَّهمُّم بكل جزءٍ منها.

قال القاضي أَبو محمد: وظاهر الآية أَنه تفقَّد جميع الطير، وقالت فرقة: بل تفَقَّد الطير لأَن الشمس دخلت [على المَلِك][1] من موضع الهدهد حين غاب، فكان ذلك سبب تفقد الطير ليتبيَّن من أَين دخلت الشمس، وقال عبد الله بن سلام: إِنما طلب الهدهدَ لأَنه احتاج إِلى معرفة الماءِ على كم هو من وجه الأرض[2]؛ لَأنه كان نزل في مفازة عدم[3] فيها الماءَ، ولأن الهدهد كان يرى بطن الأَرض وظاهرها، كانت تشف له، فكان يخبر سليمان بموضع / الماءِ، ثم كانت الجن تخرجه في ساعة يسيرة، تسلخ عنه [٤/ ١٤٠] وجه الأَرض كما تسلخ الشاة، قاله ابن عباس فيما روى عن ابن سلام وغيره.

وقال في كتاب النقاش: كان الهدهد مهندساً[4].

ورُوي أَن نافع بن الأَزرق سمع ابن عباس يقول هذا، فقال له: قف يا وقَّاف، كيف يرى الهدهدُ بطن الأَرض وهو لا يرى الفخَّ حين يقع فيه؟ فقال له ابن عباس رضي الله عنه: إِذا جاءَ القدر[5] عمي البصر[6].

---

(١) من المطبوع.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٤٠-٤٤١)، من طريق صحيح، إلى أبي مجلز ـ وهو لاحق بن حميد، قال: جلس ابن عباس، إلى عبد الله بن سلام، فذكره، وينقصه ثبوت الاتصال، وهو الأثر الآتي عن ابن عباس.

(٣) في المطبوع: «حُرم».

(٤) علقه ابن أبي حاتم في التفسير (١٦٢١٢) بإسناد ضعيف عن عكرمة عن ابن عباس.

(٥) في المطبوع: «القضاءُ».

(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٠٥)، من طريق حماد بن زيد، عن الزبير بن خريت، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد لا بأس به.

وقال وهب بن منبه: كانت الطير تنتاب سليمان كل يوم، من كل نوع واحد نوبة معهودة، ففقد الهدهد[١].

وقوله: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ إنما مقصد الكلام أَن الهدهد غاب، لكنه أَخذ اللازم عن مغيبه وهو أَلَّا يراه، فاستفهم ـ على جهة التوقيف ـ عن اللازم، وهذا ضرب من الإِيجاز والاستفهامُ الذي في قوله: ﴿مَالِيَ﴾ ناب مناب الأَلف التي تحتاجها أَمْ.

ثم توعَّده عليه السلام بالعذاب، وروي عن ابن عباس[٢] ومجاهد وابن جريج أَن تعذيبه للطير كان بأَن ينتف ريشه أَجمع[٣]، وقال يزيد بن رومان: جناحاه[٤]، ورُوي عن وهب أَنه بأَن [ينتف بعضه ويبقي بعضه][٥].

و«السُّلْطَانُ»: الحُجَّة حيث وقع في القرآن، قاله عكرمة عن ابن عباس[٦].

وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿ليأتينَّنِي﴾ بنونين[٧].

وفعل سليمان عليه السلام هذا بالهدهد وحده[٨] إغلاظاً[٩] على العاصين،

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٤٤١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٢٥)، من طريق يحيى القطان، عن ربيعة بن كلثوم، عن أبيه، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، والإسناد لا بأس به لكن حكى القطان عن ربيعة بن كلثوم في روايته عن أبيه عن سعيد بن جبير ما قد يسبب هاجساً ما.

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٥١٧)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٤٣).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٦٢)، وفي المطبوع والحمزوية: «جناحه بالإفراد».

(٥) لم أجده، وفي الحمزوية وأحمد٣: «وينتف أجمع ويضعه ينزو»، وفي نجيبويه وفيض الله: «وينتف أجمع ويبقي بعضه ينزو».

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٤٤)، وابن أبي حاتم (١٦٢٣٢)، من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ، عن قباث بن رزين اللخمي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد لا بأس به.

(٧) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٦٧)، في المطبوع: «عكرمة وحده»، وهو خطأ.

(٨) من المطبوع.

(٩) في المطبوع: «غلاظا».

وعقاباً[(١)] على إخلاله بِنَوْبته[(٢)] ورتبته.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿فَمَكُثَ﴾ بضم الكاف، وقرأ عاصم وحده: ﴿ فَمَكَثَ ﴾ بفتحها[(٣)].

ومعناه في القراءَتين: أَقامَ، والفتح في الكاف أَحسن؛ لأَنها لغة القرآن في قوله: ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ [الكهف: ٣]؛ إِذ هو من مَكَثَ بفتح الكاف، ولو كان من مَكُثَ بضم الكاف لكان جمع[(٤)] مَكِيثٍ.

والضمير في مكث يحتمل أَن يكون لسليمان أَو الهدهد.

وفي قراءَة ابن مسعود: (فَـتَمَكَّثَ ثم جاءَ فقال).

وفي قراءَة أُبي بن كعب: (فَـتَمَكَّثَ ثم قال أَحطتُ) [(٥)].

وقوله: ﴿غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ كما في مصاحف الجمهور يريد به الزمن والمدة، وقوله: ﴿ أَحَطتُ ﴾ أَي: علمتُ علماً تامّاً ليس في علمك.

واختلف القراءُ في ﴿سَبَإٍ﴾:

فقرأَ جمهور القراء[(٦)]: ﴿سَبَإٍ﴾ بالصرف.

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «بنوبه».

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٧).

(٤) سقط من الأصل.

(٥) وهما شاذتان، في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٨٩)، عن ابن مسعود فتمكث، وفي المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١) عنه: فيمكث غير بعيد، والقراءتان في البحر المحيط (٨/ ٢٢٤) بالياء بدل التاء، قال: وكلاهما تفسير لا قراءة، لمخالفة ذلك سواد المصحف.

(٦) في الأصل: «الناس»، وفي المطبوع: «الجمهور».

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿سَبَأَ﴾ بفتح الهمزة وترك الصرف[١].

[وقرأ الأعمش: (من سبأ) بالكسر وترك الصرف][٢].

وروى ابن حبيب عن اليزيدي: (سَبَا) بالألف ساكنة[٣].

وقرأ قنبل عن النبال بسكون الهمزة.

فالأُولى على أنه اسم رجل، وعليه قول الشاعر:

[البسيط] الْـوَارِدُونَ وتَـيْـمٌ فـي ذُرَى سَـبَـأٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ[٤]

وقال آخر:

[المنسرح] مِـنْ سَـبَأَ الْحَاضِرِيـنَ مَـأْرِبَ..[٥] ....

وهذا على أنها قبيلة، والثانية على أنها اسم بلدة، قاله الحسن وقتادة[٦]، وكلا القولين قد قيل، ولكن رُوي عن رسول الله ﷺ من حديث فروة بن مُسَيْك[٧] وغيره أَنَّهُ

---

(١) هاتان سبعيتان، والثانية في التيسير (ص: ١٦٧) من رواية البزي خاصة، أما قنبل فبالسكون كما سيأتي وهي أيضاً سبعية.

(٢) سقط من لالاليه.

(٣) وهما شاذتان، انظر قراءة الأعمش في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص١١٠)، ورواية ابن حبيب في البحر المحيط (٨/ ٢٢٦).

(٤) تقدم الاستشهاد به في تفسير الآيات ٤٥ - ٤٨ من سورة النحل.

(٥) تمامه:

مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا

وهو للنابغة الجعدي كما في الأصول في النحو (٢/ ٩٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٤٠)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٢٦)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٧٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٢٠٧).

(٦) نقله عنهما تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٣٩)، ونقله تفسير الماوردي (٤/ ٤٤٣) عن سفيان.

(٧) هو فروة بن مسيك بالتصغير، ابن الحارث بن سلمة المرادي الغطيفي، أبو عمر، له صحبة، يعد في الكوفيين، وأصله من اليمن، وفد فروة على النبي ﷺ، فاستعمله على مراد ومذحج كلّها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص، الإصابة (٥/ ٢٨١).

وُلد له عشرة من الولد، تيامن منهم ستة وتشاءَمَ أَربعة[(١)].

وخفي[(٢)] هذا الحديث على الزجاج فخبط عشواءَ[(٣)].

والثالثة على البناءِ، والرابعة والخامسة لتوالي الحركات السبع فسكن تخفيفاً للتثقيل في توالي الحركات، وهذه القراءَة لا تبنى على الأُولى؛ بل هي إِما على الثانية أَو الثالثة.

[وقرأت فرقة: ﴿بِنَبَإٍ﴾][(٤)] منونا.

وقرأَت فرقة دون تنوين على الإِضافة، وقرأَت فرقة: (بِنَبَى) بالأَلف مقصورة[(٥)].

---

(١) مداره على ضعفاء ومجاهيل، أخرجه أبو داود (٣٩٩٠)، والترمذي (٣٢٢٢)، والطبري (٢٠/ ٣٧٥)، كلهم من طريق حماد بن أسامة، عن الحسن بن الحكم، عن أبي سبرة النخعي، عن فروة بن مسيك به، قال الترمذي: «حديث حسن غريب» اهـ، وأبو سبرة النخعي، هو: عبد الله بن عابس، فيه جهالة، ينظر تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٤٠).

ورواه الإمام أحمد في العلل ـ رواية عبد الله ـ (٢/ ١٥٦)، والطبري (٢٠/ ٣٧٥)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٢٣)، كلهم من طريق أبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي، عن يحيى بن هانئ بن عروة المرادي، عن فروة بن مسيك به، وأبو جناب الكلبي ضعيف الحديث، مكثر من التدليس، وقد عنعنه.

ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٥٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٣٢٢)، من طريق فرج بن سعيد، عن عمه ثابت بن سعيد، عن أبيه سعيد أن فروة بن مسيك حدثه...فذكره، وسعيد هو ابن أبيض بن حمال، ذكره الذهبي في الميزان (٢/ ١٢٦)، وقال: «فيه جهالة»، وابنه ثابت بن سعيد قال فيه الذهبي في الميزان (١/ ٣٦٤): «لا يعرف».

ورواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٢٤)، من طريق عباد بن كثير الرملي، قال: ثنا ثور بن يزيد، عن البراء بن عبد الرحمن، عن فروة به، وعباد بن كثير الرملي ضعيف الحديث.

والحديث رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١٦٤)، من طريق عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله ابن هبيرة السبائي، عن عبد الرحمن بن وعلة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وعبد الله بن لهيعة ضعيف الحديث. وهذه الطرق لا يصلح منها شيء لتقوية الحديث، والله تعالى أعلم.

(٢) في المطبوع: «وحكي»، وأشار في الحاشية إلى النسخة الأخرى.

(٣) لفظه في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٤): وأما الذين قالوا إن سبأ اسم رجل فغلط أيضاً لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب مِنَ اليَمَنِ بينها وبين صَنْعَاءَ ثلاثَةُ أَيام، والله أعلم.

(٤) سقط من المطبوع والحمزوية، و«منوناً» زيادة من أحمد٣، وهذه هي القراءة المتواترة.

(٥) وهما شاذتان إن وجدتا، أولاهما لم أقف عليها، والثانية ذكرها في البحر المحيط (٨/ ٢٢٦) =

وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ مبالغة، أَي: مما تحتاجه المملكة، قال الحسن: من كل أمر الدنيا(١)، ووصف عرشها بالعظم في الهيئة ورتبة السلطان.

وروي عن نافع الوقف على ﴿عَرْشٌ﴾، فـ﴿عَظِيمٌ﴾ على هذا يتعلق بما بعده(٢).

وهذه المرأَة: هي بلقيس بنت شراحيل فيما قال بعضهم، وقيل: بنت الفشرح(٣)، وقيل: كانت أُمُّها جِنِّيَّة، وأَكثر بعض الناس في قصصها بما رأَيتُ اختصاره لعدم صحته، وإِنما اللازم من الآية أَنها مختصة(٤) بامرأَة ملكة على مدائن اليمن، وكانت ذات مُلْك عظيم، وكانت كافرة من قوم كفار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

كانت هذه الأُمة أُمة تعبد الشمس؛ لأَنهم كانوا زنادقة فيما روي، وقيل: كانوا مجوساً يعبدون الأَنوار.

وقوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ إِلى قوله: ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ ظاهره أَنه من قول الهدهد، وهو قول ابن زيد وابن إِسحاق(٥)، ويعترض بأَنه غير مخاطب فكيف(٦) يتكلم في معنى شرع(٧)؟

= بلا نسبة، قال: وكأنها قراءة من قرأ: (لسبا)، بالألف، لتتوازن الكلمتان، وأشار لها العكبري في إعراب الشواذ (ص٢٣٦).

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٤٤٧).

(٢) الهداية لمكي (٨/ ٥٣٩٦)، قال: وليس بشيء.

(٣) في المطبوع ولالاليه: «القَشْرح»، وفي أحمد٣: «الفرح»، وفي الحمزوية: «الفرسح».

(٤) «مختصة ب»: من المطبوع، وفيه «ملكت» بصيغة الفعل.

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٤٥٠)، عنهما.

(٦) «كيف»: سقطت من الأصل.

(٧) في المطبوع زيادة: «ويحتمل أَن يكون من قول سليمان لما أَخبره الهدهد عن القوم» قال في =

ويحتمل أَن يكون من قول الله تعالى، اعتراضاً بين الكلامين، وهو الثابت مع التأَمل، وقراءَة التشديد في ﴿أَلَّا﴾ تعطي أَن الكلام للهدهد، وقراءَة التخفيف تمنعه وتقوي الآخر حسب ما سمع، ويتأَمل إِن شاءَ الله تعالى.

وقرأَ جمهور القراءِ ﴿أن لا يسجدوا﴾[١]، فـ (أَنْ) في موضع نصب على البدل من ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾، أَو في موضع خفض على البدل من ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾، أَو يكون الكلام بتقدير: لِئَلَّا يَسْجُدوا، فـ (أَنْ) متعلقة إِمَّا بـ (زين)، وإِمَّا بـ ﴿فَصَدَّهُمْ﴾، واللام الداخلة على (أَنْ) داخلة على مفعول له.

وقرأَ ابن عباس، وأَبو جعفر، والزهري[٢]، وأَبو عبد الرحمن، والحسن، والكسائي، وحميد[٣] الأعرج: ﴿أَلاَ يسجدوا﴾[٤] [بتخفيف اللام][٥]، [على جهة الاستفتاح.

ووقف الكسائي من هذه الفرقة على «يا»][٦] ثم يبتدئ: ﴿اسجُدُوا﴾، واحتج الكسائي لقراءَته هذه بأَنه روي عن النبي ﷺ أَنه موضع سجدة[٧].

[قال القاضي أبو محمد: وهذه القراءة مقدر فيها النداء، والمنادى محذوف

= الحاشية نقلناها عن القرطبي، لأنه نقل كلام ابن عطية وفيه هذه العبارة، أما الأصول التي بين أيدينا فقد خلت منها

(١) من المطبوع زيادة: «أي لا».

(٢) في الحمزوية ولالاليه: «أبو جعفر الزهري»، دون عطف.

(٣) في المطبوع بدله: «والحسين»، و«الأعرج» زيادة من نجيبويه.

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٤٨٠)، والتيسير (ص: ١٦٧)، وينظر موافقة أبي جعفر ورويس في النشر (٢/ ٣٣٧)، وموافقة أبي عبد الرّحمن والحسن وحميد والأعرج في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٠٣)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٠)، والباقين في البحر المحيط (٨/ ٢٢٩).

(٥) من المطبوع.

(٦) في المطبوع بدلًا من هذا: «فعلى هذا له أن يقف عَلَى ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ويبتدئ بـ ﴿أَلَا يسْجُدُوا﴾، وإِن شاءَ وقف عَلَى ﴿أَلَا يَا﴾».

(٧) لم أقف عليه مسنداً.

تقديره ـ إن جعلناه اعتراضاً ـ يا هؤلاء، ويجيء موضع سجدة][١]، وإن جعلناه من كلام الهدهد، بمعنى: ألا يا قوم [أو يا عقلاء][٢]، ونحو هذا، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] أَلَا يا اسْـلَمِي يا دارَ مَـيَّ عَلَى البِلَى وَلا زالَ مُنْهَـلًّا بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ[٣]

ونحو قول الأَخطل:

[الطويل] أَلَا يا اسْـلَمِي يـا هِنْدُ هِنْـدَ بَني بَدْرِ وَإِنْ كانَ حَيَّانَـا عِـداً آخِـرَ الدَّهْرِ[٤]

[٤/ ١٤١] / ومنه قول الآخر:

[الطويل] فقالت أَلَا يَا اسْـمَعْ أَعِظْـكَ بِخُطْبَةٍ فَقُلْتُ سَـمِعْنَا فانْطِقـي وَأَصِيبي[٥]

وتحتمل قراءَة من شَدَّد ﴿أَلَّا﴾ أَن نجعلها بمعنى التَّحْضيض، ويقدر هذا النداءُ بعدها، ويجيءُ في الكلام إِضمار كثير[٦] ولكنه متوجه، وسقطت الأَلف كما كتبت في: يا عيسى ويا قوم.

وقرأَ الأَعمش: (هَلَّا يَسْجُدونَ)، وفي حرف عبد الله بن مسعود: (أَلَا هَلْ تَسْجُدُونَ) بالتَّاءِ، وفي قراءَة أُبيٍّ: (أَلَّا تَسْجُدُوا) بالتاءِ أَيضاً[٧].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) البيت لذي الرُّمَّة، كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١١٥)، والكامل للمبرد (١/ ١٢١)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٦٣)، والخصائص (٢/ ٢٨٠)، وفي الأصل بدل الشطر الأخير: إلخ البيت.

(٤) انظر عزوه له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٤٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١١٥)، وطبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٩٨)، في الأصل: «جنا قاعدا»، والبيتان سقطا من أحمد٣.

(٥) استشهد به في البحر المحيط (٨/ ٢٣٠)، ولم أجده لمن قبله، وكتبت في الأصل: «واصمتي»، سقطت «فقالت» أوله من المطبوع.

(٦) في المطبوع: «كبير».

(٧) وكلها شاذة، انظر الأولى في الشواذ للكرماني (ص٤٦٠)، والأخيرتين في البحر المحيط (٨/ ٢٢٩)، وفي مختصر الشواذ (ص١١٠) عنهما: (هلا تسجدوا)، و(هلا يسجدوا).

و﴿ٱلۡخَبۡءَ﴾: الخفيُّ من الأُمور، وهو من خبأْتُ الشيءَ، وخبْءُ السماءِ: مطرها، وخبْءُ الأَرض: كنوزُها ونباتُها.

واللفظة بعد هذا تعُمُّ كل خفي من الأُمور، وبه فسَّر ابن عباس[١].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلۡخَبۡءَ﴾ بسكون الباءِ، والهمز[٢].

وقرأَ أُبيُّ بن كعب: (الْخَبَ) بفتح الباءِ وترك الهمز[٣].

وقرأَ عكرمة: (الْخَبَا) بالأَلف مقصورة[٤].

وحكى سيبويه أَن بعض العرب يقلب الهمزة إذا كانت في مثل هذا مفتوحة وقبلها ساكن يقلبها ألفاً، وإذا كانت مضمومة وقبلها ساكن قلبها واواً، وإِذا كانت مكسورة وقبلها ساكن[٥] قلبها ياءً، ومثَّل سيبويه في ذلك بالوَثْي، تقول: رأَيتُ الْوَثا، وهذا الوَثْوُ، وعجبت من الوَثْيِ، وكذلك يجيءُ «الْخَبا» في حال النَّصب، وتقول: اطلعت على الخَبِي، وراقني الخَبُو[٦].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ بياءِ الغائب.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه القراءَة تعطي أَن الآية من كلام الهدهد.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٦٨)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) في المطبوع: «بالهمز»، قال في الحاشية: لما كان من الممكن أن يفهم منها أن الكلمة بسكون الباء وسكون الهمز آثرنا زيادة الباء على كلمة «الهمز» حتى يتضح المعنى المقصود مباشرة، وهو أن الكلمة بالهمز لا بغير همز.

(٣) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص١١٠) لابن مسعود ومالك بن دينار.

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص٣٥٩).

(٥) ذكر في حاشية المطبوع أن الفقرة المتعلقة بالألف إنما زادها ليستقيم المعنى، مما يقتضي أنها ليست في أصوله، وسقطت: «وقبلها ساكن» من نجيبويه، وفي الأصل: «وقبلها ياء».

(٦) الكتاب لسيبويه (٤/ ١٧٩)، والوَثْي: الضرب حتى يرهص اللحم ويصل الضرب إلى العظم من غير كسر، وعبارة أكثر النسخ هنا: «بالوثا والوثو والوثي»، وبسط الأمثلة زيادة من المطبوع.

وقرأ الكسائي، وعاصم في رواية حفْص: ﴿تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ بتاءِ المخاطبة[١]، وهذه القراءَة تعطي أَن الآية من خطاب الله عزَّ وجلَّ لأُمة محمد ﷺ.

وفي مصحف ابن كعب: (أَلَّا تَسْجُدوا للَّهِ الذي يخرج الخَبْء من السماوات والأَرض ويعلم سِرَّكم وما تُعلنون)[٢].

وخصَّ العرش بالذكر في قوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ لأَنه أَعظم المخلوقات، وما عداه في ضمنه وفي قبضته.

ثم إِن سليمان عليه السلام أَخَّر أَمر الهدهد إِلى أَن يتبيَّن له حقه من باطله، فسوَّفه بالنظر في ذلك، وأَمر بكتاب فكُتب، وحمَّله إِياه، وأَمره بإِلقائه إِلى القوم والتَّوَلِّي بعد ذلك.

وقال وهب بن منبه: أَمره بالتَّوَلِّي حُسْن أَدب ليَتَنَحَّى حسب ما يتأَدب به مع الملوك، بمعنى: وكن قريباً حتَّى ترى مراجعاتهم.

[وقال ابن زيد: أمره بالتولي بمعنى الرجوع إليه؛ أي: ألقه وارجع][٣]، قال: وقوله: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ في معنى التقديم على قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾[٤].

قال القاضي أَبو محمد: واتِّساق رتبة الكلام أَظهر، أَي: أَلْقه ثمَّ تَوَلَّ، وفي خلال ذلك فانظر، وإِنما أَراد أَن يكل الأَمر إِلى حكم ما في الكتاب دون أَن يكون الرسول ملازمه وبلا إِلحاح.

وقرأ نافع: ﴿فَأَلْقِهِ﴾ بكسر الهاءِ، وفرقة: (فَأَلْقِهُ) بضمها.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٨).

(٢) وهي شاذة، الخطاب نقلها عنه الكرماني في شواذ القراءات (ص٣٦٠) بلفظ: «سركم وجهركم».

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (١٣/ ٧٨٩).

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي بإشباع ياء[١] بعد الكسرة في الهاءِ، وروى عنه ورش بياءٍ بعد الهاءِ في الوصل.

وقرأ قوم بإشباع واوٍ بعد الضمة.

وقرأ اليزيدي عن أبي عمرو، وعاصم، وحمزة: ﴿فَأَلْقِهْ﴾ بسكون الهاءِ[٢].

وروي عن وهب بن منبه في قصص هذه الآية: أن الهدهد وصل فألفى[٣] دون هذه الملكة حجب جدران[٤]، فعمد إلى كُوَّة كانت بلقيس صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها إيَّاها، فدخل منها ورمى الكتاب على بلقيس وهي ـ فيما يُروى ـ نائمة، فلما انتبهت وجدته، فراعها وظنت أنه قد دخل عليها أحد، ثم قامت فوجدت حالها كما عهدته، فنظرت إلى الكُوَّة تَهَمُّماً بأمر الشمس فرأت الهدهد فعلمت أمره، ثم جمعت أهل مملكتها وعِلْية قومها فخاطبتهم بما يأْتي بعد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

في هذا الموضع اختصار لما يدل ظاهر القول عليه، تقديره: فألْقى الكتاب وقرأته وجمعت له أهل ملكها، و﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾: أشراف الناس الذين ينوبون مناب الجميع،

(١) ليست في المطبوع.

(٢) كلها متواترة كما في التيسير (ص: ١٦٨) إلا الضمة وإشباعها بواو فشاذ، نسبه في مختصر الشواذ (ص١١٠) لمسلم بن جندب.

(٣) في المطبوع والحمزوية ولالاليه ونور العمانية: «فألقى».

(٤) في الحمزوية ونجيبويه ولالاليه: «جدرات».

ووصفت الكتاب بالكرم، إِمَّا لأَنه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم، فعظَّمته إِجلالاً لسليمان، وهذا قول ابن زيد[(١)]، وإِمَّا أَنها أشارت[(٢)] إِلى أَنه مطبوع عليه بالخاتم، ورُوي عن رسول الله ﷺ أَنه قال: «كرم الكتاب ختمه»[(٣)]، وإِمَّا أَنها أَرادت أَنه بدئ باسم الله [فكريم ضد أجذم][(٤)]، وقد[(٥)] قال ﷺ: «كل كلام لم يبدأ باسم الله تعالى فهو أَجذم»[(٦)].

ثم أَخذت تصف لهم ما في الكتاب، فيحتمل اللفظ أَنه نصُّ الكتاب موجزاً بليغاً، وكذلك كتب الأَنبياءِ، قدم فيه العنوان ـ وهي عادة الناس على وجه الدهر ـ ثم سمَّى الله تعالى، ثم أَمرهم أَلَّا يعلوا عليه طغياناً وكفراً، وأَن يأْتوه مُسْلِمِينَ، ويحتمل أَنها قصدت إِلى اقتضاب معانيه دون ترتيبه، فأَعلمتهم أَنه من سليمان، وأَن معناه كذا وكذا.

وقرأَ أُبيٌّ: (وأنْ باسم الله) بفتح الهمزة وتخفيف النون وحذف الهاءِ.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (أنه من)، (وأنه) بفتح الهمزة فيهما.

وفي قراءَة عبد الله: (وإنه من سليمان) بزيادة واو[(٧)].

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٤٥٢).

(٢) في المطبوع: «إِشاراتٌ»، وفي نجيبويه ولالاليه ونور العثمانية: «إشارة».

(٣) فيه متهم بالكذب، أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٦٢)، من طريق محمد بن مروان السدي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، ومحمد بن مروان السدي، متفق على تركه، وقد اتهم بالكذب، ينظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٣٢).

(٤) سقط من المطبوع

(٥) في لالاليه ونور العثمانية وفيض الله ونجيبويه: «كما».

(٦) ضعيف جداً بلفظ التسمية، والمشهور بلفظ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد»، أما اللفظ الوارد هنا فأخرجه بهذا اللفظ ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد فيه أحمد بن محمد بن عمران ابن الجندي، وهو متروك الحديث، ينظر لسان الميزان (١/ ٣٨٧) وإرواء الغليل حديث رقم (١).

(٧) وكلها شاذة، الأولى والثالثة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩١)، والثانية ذكرها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٦٠) عن الزجاج جوازاً، وعزا لابن أبي عبلة وجهين بفتح إحدى الهمزتين وكسر الأخرى.

و﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ استفتاح شريف بارع المعنى، مُعبَّر عنه بكل لغة، وفي كل شرع.

و(أَنْ) في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ يحتمل أَن تكون رفعاً على البدل من ﴿كِتَٰبٌ﴾، أَو نصباً على معنى: بأَنْ لا تعلوا، أَو مفسِّرة بمنزلة أَيْ، قاله سيبويه[١].

وقرأَ وهب بن منبه: (أَلَّا تَغْلوا) بالغين منقوطة، قال أَبو الفتح: رواها وهب عن ابن عباس، وهي قراءَة أَشهب العقيلي، ذكرها الثعلبي[٢].

ثم أَخذت / في حُسْن الأَدب مع رجالها، ومشاورتهم في أَمرها، وأَعلمتهم أَن ذلك مطرد عندها في كل أَمْر، فكيف في هذه النازلة الكبرى، فراجعها الملأُ بما يقرُّ عينها من إِعلامهم إِياها بالقوة والبأْس، أَي: وذلك مبذول لك، فقاتلي إِن شئت، ثم سلَّموا الأَمر إِلى نظرها، وهذه محاورة حسنة من الجميع. [٤/ ١٤٢]

وفي قراءَة عبد الله: (مَا كُنْتُ قَاضِيَةً أَمْراً) بالضاد من القضاءِ[٣].

وذكر مجاهد في عدد أجنادها[٤] أَنها كان لها اثنا عشر أَلف قَيْل[٥]، تحت يد كل واحد مئة أَلف[٦].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا بعيد، وذكر غيرهُ نحوه فاختصرته لبعد الصحة عنه[٧].

---

(١) في المطبوع: «قال» على أن مقوله ما يأتي بعد، وهو خطأ، وانظر الكتاب لسيبويه (٣/ ١٦٢): باب ما تكون فيه أن بمنزلة أي.

(٢) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٣٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٤٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٠٦).

(٣) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٢).

(٤) في المطبوع: «أَحشادها».

(٥) في الحمزوية: «قائد».

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٤٥٤).

(٧) في المطبوع: «لعدم صحته».

ثم أَخبرت بلقيس عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها، وفي الكلام خوف على قومها، وحيطة لهم، واستعظام لأَمر سليمان عليه السلام.

وقالت فرقة: إِنَّ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من قول بلقيس تأْكيداً منها للمعنى الذي أَرادته.

وقال ابن عباس: هو من قول الله تعالى معرفاً لمحمد ﷺ وأُمَّته بذلك، ومخبراً به[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)﴾.

رُوي أَن بلقيس قالت لقومها: إِني أُجرب هذا الرجل بِهَدِيَّةٍ أُعطيه فيها نفائس الأَموال، وأُغرب عليه بأُمور المملكة، فإِن كان مَلِكاً دنياوِيّاً أَرضاه المال فعملنا معه بحسب ذلك، وإِن كان نبيّاً لم يرضه المال، ولَازَمَنَا في أَمر الدين، فينبغي أَن نؤمن به ونتبعه على دينه، فبعثت إِليه بِهَدِيَّةٍ عظيمة أَكثرَ بعضُ الناس في تفصيلها، فرأَيت اختصار ذلك لعدم صحته.

واخْتَبَرَتْ علمه ـ فيما رُوي ـ بأَن بعثت إِليه قدحاً فقالت له: امْلأْه لي مِمَّا ليس من الأَرْض ولا من السماء، وبعثت إِليه دُرَّة فيها ثقب محلزن[2] وقالت: تدخل سلكها دون أَن يقربها إِنسٌ ولا جان، وبعثت إِليه أُخرى غير مثقوبة وقالت: يثقب هذه غير الإِنس والجن، فمَلأَ سليمان القدح من عرق الخيل[3]، وأَدخلت السلك دودةٌ، وثقبت

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٥٥)، من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنه به وهذا منقطع، ورواه ابن أبي حاتم (١٧٠٨٥)، من طريق جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وجعفر ليس بقوي في سعيد بن جبير، ينظر: إكمال مغلطاي (٣/ ٢٣٣).

(٢) في المطبوع: «مخلوق»، وفي الأصل: «محلزق».

(٣) في المطبوع: «الجبل».

الدرَّة أَرَضة ماء[١]، وراجع سليمان عليه السلام في رَدِّ الهدية بما في الآية.

وعبَّر عن المرسلين بـ ﴿جَآءَ﴾ وبقوله: ﴿ٱرۡجِعۡ﴾ لَمَّا أَراد به الرَّسولَ الذي يقع على الجمع والإِفراد والتأْنيث والتذكير.

وقرأَ ابن مسعود: (فَلَمَّا جاؤُوا سُلَيْمَانَ)، وقرأَ: (ارْجِعُوا)[٢].

ووعيد سليمان لهم مقترن بدوامهم على الكفر، وذكر مجاهد أَنها بعثت في هديتها بعدد كثير من العبيد بين غلام وجارية، وجعلت زِيَّهم واحداً[٣]، وجربته في التفريق بينهم.

قال القاضي أَبو محمد: وليس هذا بتجربة في مثل هذا الأَمر الخطير.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿أَتُمِدُّونَنِي﴾ بنونين وياءٍ في الوصل.

وقرأَ ابن عامر، وعاصم، والكسائي: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ بغير ياءٍ في وقف ووصل.

وقرأَ حمزة: ﴿أَتُمِدُّونِّي﴾ بشد النون وإِثبات الياءِ[٤].

وقرأَ عاصم: ﴿فما آتان الله﴾ بكسر النون دون ياءٍ.

وقرأَت فرقة: ﴿آتَانِي﴾ بياءٍ ساكنة.

وقرأَ أَبو عمرو، ونافع: ﴿ءَاتَىٰنِ ـَ﴾ بياءٍ مفتوحة[٥].

ثم توعدهم بالجنود والغلبة والإِخراج، والمعنى: إِذا لم يُسْلموا.

---

(١) «ماء» ليست في المطبوع، إلا أنها كتبت في بعض المخطوطات دون همز: «ما».
(٢) وهما شاذتان، عزا الأولى له تفسير الطبري (١٩/ ٤٥٨)، وعزاهما له معاً معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٣).
(٣) سقطت من لالاليه.
(٤) وكلها سبعية، ونافع مع ابن كثير، انظر: التيسير (ص: ١٧٠).
(٥) غير متقن، والقرءات السبعية ثلاث: إثباتها وصلًا مفتوحة ووقفاً، لحفص وقالون وأبي عمرو، وفتحها في الوصل وحذفها في الوقف لورش وحذفها في الحالين للباقين، انظر: التيسير (ص: ١٧٠).

وقرأ عبد الله: (لَا قِبَلَ لهم بهم) [١] على جمع ضمير الجنود.

و﴿ لَّا قِبَلَ ﴾ معناه: لا طاقة ولا مقاومة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

القائل سليمان عليه السلام، والملأُ المنادى جمعه من الجن والإِنس.

واختلف المتأَولون في غرضه في استدعاءِ عرشها:

فقال قتادة: ذُكر له بِعِظَمٍ وجَوْدة، فأَراد أَخذه قبل أَن يعصمها وقومَها الإِسلامُ ويحمي أَموالهم [٢]، والإسلام ـ على هذا التأويل [٣] ـ الدِّينُ، وهو قول ابن جريج.

وقال ابن زيد: استدعاه لِيُرِيَها القدرة التي هي من عند الله، ولِيُغْرب عليها [٤]، و﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ ـ في هذا التأْويل ـ هو بمعنى: مُسْتسلمين، وهو قول ابن عباس [٥]، وذكره صلةً في العبارة، ولا تأْثير لاستسلامهم في عرض [٦] سليمان، ويحتمل أَن يكون بمعنى: الإِسلام، [وأَما في التأْويل الأَول فيلزم أَن يكون بمعنى الإِسلام] [٧].

---

(١) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٣)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٣٦٦).

(٢) عبارة تفسير الثعلبي (٧/ ٢١٠)، عنه: «لأنه أعجبته صفته لمّا وصفه الهدهد»، وقول ابن جريج فيه بلا نسبة.

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) عبارة تفسير الثعلبي (٧/ ٢١٠) عنه: «أراد أن يختبر عقلها».

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٦٣)، من طريق علي بن أبي طلحة، عنه، وفي حاشية المطبوع: في الأصول وهو قول ابن عبد الله!.

(٦) في الأصل: «غرض».

(٧) سقط من الأصل.

وظاهر هذه الآيات: أَن هذه المقالة من سليمان عليه السلام بعد مجيءِ هديتها وردِّه إِياها، وبعثه الهدهد بالكتاب، وعلى هذا جمهور المفسرين.

وحكى الطبري [عن ابن عباس][١] أَنه قال: [هذه المقالة ابتداء النظر في][٢] صدق الهدهد من كذبه لمَّا قال له: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، قال سليمان: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾، ثم وقع في ترتيب القصص تقديم وتأْخير[٣].

قال القاضي أَبو محمد: والقول الأَول أَصح.

ورُوي أَن عرشها كان من ذهب وفضة مرصعاً بالياقوت والجوهر، وأَنه كان في جوف سبعة أَبيات عليه سبعة أَغلاق.

وقرأَ الجمهور: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾، وقرأَ أَبو رجاءٍ، وعيسى الثقفي: (قال عِفْرِيَةٌ)، ورُويت عن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه[٤].

وقرأَت فرقة: (قال عِفر)[٥] بكسر العين[٦]، وكل ذلك لغات فيه.

وهو من الشياطين: القويُّ الماردُ، والتاءُ في ﴿عِفْرِيتٌ﴾ زائدة، وقد قالوا: تَعَفْرَتَ الرجل إِذا تخلق بخلق الإِذاية، قال وهب بن منبه: اسم هذا العفريت كوذا[٧]، ورُوي

---

(١) ليست في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «ذلك في اختباره».

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٠).

(٤) وهي شاذة، انظر قراءة أبي رجاء مع الرواية عن أبي بكر في تفسير الثعلبي (٧/ ٢١٠)، ومع عيسى في المحتسب (٢/ ١٤١).

(٥) في المطبوع: «عفرة».

(٦) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٨/ ٢٣٩)، وحكاها في مختصر الشواذ (ص: ١١١) لغة.

(٧) في المطبوع: «كوري»، وفي الحمزوية: «كودي»، وفي لالاليه: «كوفا»، وفي تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٤) وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٤): عن وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي: كوزن، وفي معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٣٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢١٠)، والهداية لمكي (٨/ ٥٤٣٠)، وتفسير البغوي (٣/ ٥٠٥): وهب غير منسوب.

عن ابن عباس: أَنه صخر الجني(١)، ومن هذا الاسم؛ قول ذي الرُّمَّة:

[البسيط] كَـأَنَّـهُ كَـوْكَـبٌ فـي إِثْـرِ عِـفْـرِيَـةٍ مُصَوَّبٌ في سوادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ(٢)

[٤/ ١٤٣] / وقوله: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾، قال مجاهد، وقتادة، وابن منبه: معناه: [قبل قيامك من مجلس الحكم، وكان يجلس من الصبح إلى وقت الظهر في كل يوم، وقيل معناه:](٣) قبل أَن تستوي من جلوسك قائماً.

وقول(٤) الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، قال ابن جبير، وقتادة: قبل أَن يصل إِليك من يقع طرفك عليه من أَبعد ما ترى، وقال مجاهد: معناه: قبل أَن تحتاج إِلى التَّغْمِيضِ، أَي: مُدَّة ما يمكنك أَن تَمُدَّ بصرك دون تغميض، وذلك ارتدادُه(٥).

قال القاضي أَبو محمد: وهذان القولان يقابلان قول من قال: إِن القيام هو من مجلس الحكم، ومن قال: إن القيام هو من الجلوس، فيقول في ارتداد الطَّرْف: هو أَن يطرف، أَي: قبل أَن تصلح(٦) عينيك وتفتحهما، وذلك أَن الثاني يعاطي الأَقصر في المدة ولا بُدَّ.

وقوله: ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ معناه: قَوِيٌّ على حملِه، أَمينٌ على ما فيه.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠/ ٣٠٦)، للطبري، وابن أبي حاتم، ولم أجده عندهما، نعم، وجدت الطبري روى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾، عن ابن عباس قال: هو صخر الجني، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٢) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٧٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٩٤)، والمعاني الكبير في أبيات المعاني (٢/ ٧٣٨).

(٣) سقط من المطبوع، وفيه هنا تقديم وتأخير ربما يؤثر في نسبة الأقوال إلى أصحابها.

(٤) في المطبوع: «وقال».

(٥) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٧)، وتفسير ابن فورك (١/ ٢٩٩).

(٦) في المطبوع: «تُغْمِضَ»، مع الإشارة للنسخة الأخرى.

ويُروى أَن بلقيس لما فصلت من بلدها متوجهة إِلى سليمان عليه السلام، تركت العرش [تحت أقفال وثقاف حصين][١]، فلما علم سليمان بانفصالها أَراد أَن يُغْرب عليها بأَن تجد عرشها عنده ليبين لها أَن مُلْكه لا يُضَاهى، فاستدعى سَوْقَه، فدعا الذي عنده[٢] علم من التوراة ـ وهو الكتاب المشار إِليه ـ باسم الله الأَعظم الذي كانت العادة في ذلك الزمان أَلَّا يدعو به أَحد إِلَّا أُجيب، فشُقت الأَرض بذلك العرش حتى نبع بين يديْ سليمان عليه السلام، وقيل: بل جيءَ به في الهواءِ.

قال مجاهد: وكان بين سليمان وبين العرش كما بين الكوفة والحيرة[٣].

وحكى الرماني أَن العرش حُمل من مأْرب إِلى الشام في قدر رجع البصر[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهو مسيرة شهرين للمُجِدِّ، وقول مجاهد أَشهر[٥].

ورُوي أَن الجن كانت تخبر سليمان عليه السلام بمناقل سريرها، فلما قربت قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾؟

واختلف المفسرون في الذي عِنْدَهُ عِلْمٌ من الكتاب، من هو؟

فجمهور الناس على أَنه رجل صالح من بني إِسرائيل اسمه آصِف بن برخيا، رُوي أَنه صلى ركعتين ثم قال لسليمان: يا نبي الله امدُد بصرك، فمَدَّ بصره نحو اليمن فإِذا بالعرش، فما ردَّ سليمان بصره إِلَّا والعرش عنده، وقال قتادة: اسمه بليخا[٦].

وقال إِبراهيم النَّخَعي: هو جبريل عليه السلام[٧].

---

(١) في المطبوع: «تحت سقف حصين».
(٢) ليست في المطبوع، وبناء على سقوطها ضبطت علم على أنها فعل ماض.
(٣) نقله تفسير القرطبي (١٣/ ٢٠٦).
(٤) مثله في تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٨).
(٥) في لالاليه: «شهر».
(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٥)، وفي المطبوع والحمزوية ونور العثمانية ولالاليه: «مليخا».
(٧) معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٣٤).

وقال ابن لهيعة: هو الخضر[١].

وحكى النقاش عن جماعة أَنهم سمعوا أَنه ضبَّة بن [أُدٍّ، جَدُّ][٢] بني ضبة من العرب، قالوا: وكان رجلاً فاضلاً يخدم سليمان على قطعة من خيله[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ ضعيف.

وقالت فرقة: بل هو سليمان عليه السلام، والمخاطبة ـ في هذا التأْويل ـ للعفريت، لما قال هو: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أَن سليمان عليه السلام استبطأَ ذلك فقال له على جهة تحقيره: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾، واستدل قائل هذا القول بقول سليمان: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾، واستدلَّ أَيضاً بهذا القول مناقضُه؛ إِذْ في كلا الأَمرين على سليمان فضلٌ من الله[٤] تعالى.

وعلى الأَقوال الأُوَل: المخاطبةُ لسليمان عليه السلام، ولفظ ﴿ءَاتِيكَ﴾ يحتمل أَن يكون فعلاً مستقبلاً، ويحتمل أَن يكون اسم فاعل، وفي الكلام حذف تقديره: فدعا باسم الله تعالى فجاءَ العرش بقدرة الله تعالى، فلما رآه سليمان مستقراً عنده جعل يشكر نعمة ربِّه بعبارة فيها تعليم للناس، وهي عرضة للاقتداءِ بها والاقتباس منها.

وقال ابن عباس: المعنى: أَأَشْكر على السرير وسوقه أَمْ أَكفر إِذ رأَيت من هو دوني في الدنيا أَعلم منِّي؟[٥].

وظهر العامل في الظرف من قوله: ﴿مُسۡتَقِرًّا﴾، وهذا هو المقدَّر أَبداً في كل ظرف جاءَ هنا مُظْهَراً، وليس في كتاب الله تعالى مثله، وباقي الآية بيِّن.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٥).

(٢) في لالاليه: «آدم أحد».

(٣) مثله في تفسير الثعلبي (٧/ ٢١١).

(٤) في المطبوع: «علم سليمان فضل الله».

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٦٨)، من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

أَراد سليمان عليه السلام في هذا التَّـنْكير تجربة ميزها ونظرها، وليزيد في الإِغراب عليها، وروت فرقة: أَن الجن أَحسَّت من سليمان أَو ظنَّت به أَنه ربما تزوج بلقيس، فكرهوا ذلك، وعابوها[1] عنده بأَنها غير عاقلة ولا مميزة، وبأَن رجلها كحافر دابَّة، فجرَّب عقلها وميزها بتنكير عرشها، وجرَّب أَمر رجلها بأَمر الصرح لتكشف عن ساقها عنده.

وقرأَ أَبو حيوة: (نَنْظُرُ) بضم الراءِ[2].

و«تنكير العرش»: تغيير وضعه[3] وستر بعضه ونحو هذا، وقال ابن عباس[4]، ومجاهد، والضحاك: تنكيره بأَن زيد فيه ونقص منه[5].

ويعترض هذا بأَن من حقِّها ـ على هذا ـ أَن تقول: ليس به وتكون صادقة.

وقولها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ تجوُّز[6] فصيح، ونحوه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

---

(١) في المطبوع: «ورَمَوْها»، وفي الحمزوية وأحمد٣: «ظلموها»، وفي نجيبويه: «وطلبوها».

(٢) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص١١٠).

(٣) في المطبوع: «وصفه».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٤٠٩)، من طريق الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وفيه عنعنة الأعمش، والمنهال فيه لين، وأخرجه كذلك الطبري (١٩/ ٤٦٩)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، به.

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٩).

(٦) في المطبوع وفيض الله ونجيبويه: «تحرز».

وقال الحسن بن الفضل[(١)]: شبَّهوا عليها فشبهت عليهم[(٢)]، ولو قالوا: هذا عرشك؟ لقالت: نعم، وفي الكلام حذف تقديره: [كأنه هو][(٣)].

وقال سليمان عليه السلام عند ذلك: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ الآية، وهذا منه على جهة تعديد نعم الله تعالى، [وإنما قال ذلك لما علمت هي وفهمت، ذكر هو نعمة الله][(٤)] عليه وعلى آبائه.

وقوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا﴾ الآية، يحتمل أَن يكون من قول نبي الله سليمان عليه السلام، ويحتمل أَن يكون من قول الله تعالى إِخباراً لمحمد ﷺ[(٥)].

و«الصَّادُّ»: ما كانت تعبد، أَي عن الإِيمان ونحوه، قال الرماني: عن التَّفَطُّن للعرش[(٦)]؛ لأَن المؤمن فطن[(٧)] يقظ والكافر خشيب[(٨)]، أَو يكون الصادُّ سليمان / [٤/ ١٤٤] عليه السلام، قاله الطبري[(٩)]، أَو يكون الصَّادُّ الله عزَّ وجلَّ.

ولما كان (صدَّها) بمعنى مَنَعَهَا تجاوز ـ على هذا التأْويل ـ بغير حرف جرٍّ، وإِلَّا فبابه أَلَّا[(١٠)] يتعدى إِلَّا بـ«عَنْ».

---

(١) هو الحسن بن الفضل بن السمح، أبو علي الزعفراني البوصرائي، عن: مسلم بن إبراهيم، وأبي معمر النقري، وعنه: ابن صاعد، وإسماعيل الصفار، وأحمد بن عثمان الأدمي، وجماعة، قال ابن المنادى: مات ٢٨٠هـ، تاريخ الإسلام (٢٠/ ٣٣٤).

(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ٢١٢).

(٣) سقط من أحمد٣، وفي المطبوع بدلًا منه: «فنكَّروا عرشها، ونظروا ما جوابها إِذا سُئِلت عنه، فلما جاءَت قيل: أَهكذا عرشك؟».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) الاحتمال الأول ساقط من الأصل، والثاني ساقط من نجيبويه.

(٦) نقله عنه في البحر المحيط (٨/ ٢٤٣).

(٧) من المطبوع.

(٨) في المطبوع: «خبيث».

(٩) ولفظه في تفسيره (١٩/ ٤٧٢): «ولو قيل وصدّها سليمان... بمعنى منعها وحال بينها وبينه، كان وجها حسناً».

(١٠) في المطبوع: «فإِنه لا».

وقرأ جمهور الناس: ﴿إِنَّهَا﴾ بكسر الهمزة.

وقرأ سعيد بن جُبير، وابن أَبي عبلة: (أَنَّهَا) بفتح الهمزة[(١)]، وهو على تقدير: ذلك أَنَّهَا، أَو على البدل من ﴿مَا﴾.

قال محمد بن كعب القرظي وغيره[(٢)]: ولما وصلت بلقيس: أَمَرَ سليمان عليه السلام الجِنَّ فصنعت له صرحاً، وهو [السطح في][(٣)] الصحن من غير سقف، وجعلته متيناً[(٤)] كالصهريج، ومُلِئَ ماءً، وبث فيه السمك والضفادع، وطُبِّق بالزجاج الأبيض[(٥)] الشَّفَّاف، وبهذا جاءَ صرحاً، والصَّرْح أَيضاً كل بناءٍ عالٍ، وكل هذا من التصريح، وهو الإِعلان البالغ، وجُعل لسليمان في وسطه كرسيٌّ، فلما وصلته بلقيس قيل لها: ادخلي إِلى النبي ﷺ، فرأَت اللجة وفزعت وظنت أَنه قصد بها الغرق، وعجبت من كون كرسيه على الماءِ، ورأَت ما هالَهَا، ولم يكن لها بُدٌّ من امتثال الأَمر فكشفت عن ساقيها، فرأَى سليمان ساقيها سليمة غير أَنَّها كثيرة الشَّعر، فلمَّا بلغت هذا الحدّ قال لها سليمان: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾[(٦)].

و«المُمَرَّد»: المحكوك المملس، ومنه: الأَمْرَدُ، والشجرةُ المَرْدَاءُ: التي لا ورق عليها، والمُمَرَّدُ أَيضاً: المُطَوَّل ومنه قيل للحصن: ماردٌ، وعند ذلك استسلمت بلقيس وأَذعنت وأَسلمت، وأَقرت على نفسها بالظلم، فيروى أَن سليمان تزوجها عند ذلك وأَسكنها الشام، قاله الضحاك[(٧)].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٦٠).

(٢) «وغيره» ليست في المطبوع، وفيه قاله محمد، على أنه مقوله ما تقدم.

(٣) سقط من الأصل، وسقط من الحمزوية إلى: «وجعلته».

(٤) في لالاليه ونور العثمانية: «مبنيا».

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) انظر كلامه بالمعنى في تفسير الطبري (١٩/ ٤٧٣).

(٧) نقله تفسير القرطبي (١٣/ ٢٠٩)، والقول في تفسير ابن فورك (١/ ٣٠٥) بلا نسبة، وفي تفسير الثعلبي (٧/ ٢١٤) عن ابن عباس.

وقال سعيد بن عبد العزيز في كتاب النقَّاش: تزوجها وردَّها إِلى مُلْكها باليمن، وكان يأْتيها على الريح كل شهر مرة، فولدت له ولداً أَسماه داود، مات في حياته[١].

و﴿مَعَ﴾ ظرف، وقيل: حرف بُني على الفتح، وأَمَّا إِذا سُكِّنت العَيْن فلا خلاف أَنه حرفٌ جاءَ لمعنى.

وقرأَ ابن كثير وحده ـ في رواية الإِخريط ـ: ﴿عن سأقيها﴾ بالهمز[٢]، قال أَبو عليٍّ: وهي ضعيفة، وكذلك يضعف الهمز في قراءَة قنبل: (يكشف عن سأْق) [القلم: ٤٢]، وأَما همز ﴿بِالسُّؤْقِ﴾ [صٓ: ٣٣]، و﴿على سؤقه﴾ [الفتح: ٢٩] فلغة[٣] مشهورة في همز الواو التي قبلها ضمة، حكى أَبو عليٍّ أَن أَبا حيَّةَ النُّمَيْرِيَّ كان يهمز كلَّ واو قبلها ضمَّة، وأَنشد:

[الوافر] أَحَبُّ المؤْقدان إِلَيْكَ مُؤْسَى[٤] ....

وَوَجْهُهَا أَن الضمة تقدر على الواو إِذ لا حائل بينهما.

وقرأَ ابن مسعود: (عَنْ رجليها)[٥].

ورُوي أَن سليمان عليه السلام لما أَراد زوال شَعْر ساقيها أَشفق من حمل الموسى عليها، وقيل: إِنها قالت: ما مَسَّنِي حديد قط، فأَمر الجن بالتَّلَطُّف في زواله فصنعوا النُّورَةَ، ولم تكن قبل في الأُمم.

---

(١) نقله عنه تفسير القرطبي (١٣/ ٢١٠).

(٢) وهي سبعية، من رواية قنبل هنا وفي حرفي الفتح وص، كما في التيسير (ص: ١٦٨)، والسبعة (ص: ٤٨٣) وفيه: أبو الإخريط، قال: ولم يهمز أحد ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، وانظر قول أبي علي في الحجة له (٥/ ٣٩٢).

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) هذا صدر بيت لجرير وعجزه: وَجعْدَة إِذْ أَضَاءَهُمَا الْوَقُودُ، انظر عزوه له في المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٥٢٦)، والمحتسب (١/ ٤٧)، ولسان العرب (١٠/ ١٦٩)، وتاج العروس (٢٥/ ٤٨٢).

(٥) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٥)، وفي المطبوع ولالاليه: «رِجْلِهَا».

وهذه الأُمور التي فعلها سليمان عليه السلام: من سَوْق العرش، وعمل الصَّرْح، وغير ذلك، قصد بها معاياتها[(١)] والإِغرابَ عليها، كما سلكتْ هي قبْلُ سبيل ملوك الدنيا في ذلك بأَن أَرسلت الجواري والغلمان، واقترحت في أَمر القَدَح والدُّرَّتَيْن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَاهُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

هذه الآية على جهة التمثيل لقريش، و﴿أَنِ﴾ من قوله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أَن تكون مُفَسِّرَة، ويحتمل أَن تكون في موضع نصب، والتقدير: بأَن اعبدوا الله.

و﴿فَرِيقَانِ﴾ يريد بهما: من آمن بصالح ومن كفر به، و«اخْتِصَامُهُم»: تنازُعهم وجدلهم[(٢)]، وقد ذكره اللهُ تعالى في سورة الأَعراف.

ثم إِن صالحاً تلطَّف بقومه، وترفَّق بهم في الخطاب، فوقفهم على خطابهم[(٣)] في استعجالهم العذاب [قبل الرحمة، والمعصية لله تعالى قبل الطاعة، وفي أن يكون اقتراحهم وطلبهم][(٤)] يقتضي هلاكهم ثم حضهم على ما هو أيسر[(٥)] من ذلك وأَعْود بالخير، وهو الإِيمان وطلب المغفرة ورجاءُ الرحمة، فخاطبوه ـ عند ذلك ـ بقول سَفْسَاف، معناه: تَشَاءَمْنا بك، قال المفسرون: وكانوا في قحط فجعلوه لذات صالح عليه السلام.

وأَصل «الطِّيَـرَةِ»: ما تعارفه أَهل الجهل من زَجْر الطَّيْر، وشبَّهت العرب ما عنَّ

---

(١) «معاياتها» ليست في المطبوع.
(٢) في المطبوع: «وحدهم».
(٣) في المطبوع والأصل: «خطئهم».
(٤) سقط من المطبوع، وفيه: «مما يقتضي».
(٥) في المطبوع: «أَسرُّ».

بما طار حتى سُمي[١] ما حصل للإنسان في فزعه ونحوه طائراً، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]، وخاطبهم صالح ببيان الحق، أَي: طائركم على زعمكم وتسميتكم، وهو حَظُّكُم في الحقيقة، من تعذيب أَو إِعفاءٍ هو عند الله تعالى، وبقضائه وقدره، وإِنما أنتم قوم تختبرون، وهذا أَحد وجوه الفتنة، وقد يحتمل أَن يريد: بل أَنتم قوم تولعون بشهواتكم، وهذا معنى قد تعورف استعمال لفظ الفتنة منه، ومنه قولك: فُتِن فلانٌ بفلان، وشاهد ذلك كثير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾.

ذكر الله تعالى في هذه الآية تسعة رجال كانوا من أَوجه القوم وأَقناهم وأَغناهم، وكانوا أَهل كفر ومعاص جَمَّة، جملة أَمرهم أَنهم يُفْسِدُونَ في الأَرض وَلا يُصْلِحُونَ.

قال عطاءُ بن أَبي رباح: بلغني أَنهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم[٢].

وهذا نحو الأَثر المروي: قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الأَرض[٣].

و﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾: مجتمع ثمود وقريتهم.

و«الرَّهْطُ»: من أَسماءِ الجمع القليل، العشرة فما دونها، و﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ كما

---

(١) في المطبوع: «حتى حصل، سمي»، وحصل هنا زائدة خطأ.

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠١).

(٣) هو من قول سعيد بن المسيب، أخرجه مالك في الموطأ (١٣٠٧) عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد ابن المسيب به. وإسناده صحيح.

تقول: تسعة رجال، وهؤلاءِ المذكورون كانوا أَصحاب قدار [بن سالف][1]: عاقر الناقة، وقد / تقدم في غير هذا الموضع ما ذُكر في أَسمائهم. [٤/ ١٤٥]

وقوله تعالى: ﴿تَقَاسَمُواْ﴾، حكى الطبري أَنه يجوز أَن يكون فعلاً ماضياً في موضع الحال[2]، كأَنه قال: متقاسمين، أَو متحالفين بالله، وكأَن[3] قولهم: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ حَلِفٌ.

ويؤيد هذا التأْويل أَن في قراءَة عبد الله: (وَلَا يُصْلِحُونَ، تَقَاسَمُوا) [4] بسقوط ﴿قَالُواْ﴾.

ويحتمل ـ وهو تأْويل الجمهور ـ أَن يكون ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ فعل أَمر، أَشار بعضهم على بعض بأَن يتحالفوا على هذا الفعل بصالح، فـ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ هو قولهم على هذا التأْويل، وهذه الأَلفاظ الدالة على قسم أَو حلف تجاوب[5] باللام وإِن لم يتقدم قَسَم ظاهر، فالّلام في ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ جوابُ ذلك.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ بالنون، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بنون وفتح اللام[6].

[وقرأَ الأعمش وطلحة وابن وثاب: (لتبيتنه) بالتاء مضمومة فيهما (ثم ليقولن) بالياء وضم اللام[7].

وفي قراءة عبد الله: (ثم لتقسمن ما شهدنا)][8].

---

(١) من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٧٨).

(٣) من المطبوع، وفي لالاليه: «وكل قولهم»، وفي النسخ الخطية الأخرى: «وكان».

(٤) وهي شاذة، انظرها في: تفسير الطبري (١٩/ ٤٧٨)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٦).

(٥) في المطبوع: «جواب».

(٦) وفتح اللام ليست في المطبوع، وفيه بالنون فيهما، وهذه القراءة متواترة للسبعة إلا حمزة والكسائي.

(٧) وهي شاذة، عزا لهما الثعلبي (٧/ ٢١٦) مثل قراءة حمزة، وعزا قراءتهما لمجاهد وحميد، وزاد في الشواذ للكرماني (ص: ٣٦١): «الحسن».

(٨) سقط من المطبوع، وهي شاذة إن كانت، ولم أجد للمؤلف فيها سلفاً ولا خلفاً.

[وقرأ حمزة، والكسائي ﴿لتبيتُنه﴾ بالتاءِ[١] ﴿ثم لتقولُنَّ﴾ بالتاء وضم اللام وهي قراءة الحسن وحميد][٢]، فهذا ذَكَرَ اللهُ فيه المعنى الذي أَرادوه لا بحسب لفظهم.

وروي في قصص هذه الآية أَن هؤلاءِ التسعة لما كان في صدر الثلاثة الأَيام بعد عقر الناقة وقد أَخبرهم صالح بمجيءِ العذاب، اتفق هؤلاءِ التسعة فتحالفوا على أَن يأْتوا دار صالح ليلاً فيقتلوه وأَهله المختصين به، قالوا: فإِن كان كاذباً في وعيده أَوقعنا به ما يستحق، وإِن كان صادقاً كنا قد أَعجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا.

قال الـراوي[٣]: فجاؤُوا واختفوا لذلك في غار قريب من داره، فروي [أَنه انحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعاً، ورُوي][٤] أَنها طبقت عليهم الغار فهلكوا فيه حين هلك قومهم، وكل فريق لا يعلم بما جرى على الآخر، وكانوا قد بنوا على جحود الأَمر من قرابة صالح الذين يمكن أَن يغضبوا له، فهذا كان مكرهم.

و«المكر»: نحو الخديعة، وسمَّى الله تعالى عقوبتهم باسم ذنبهم، وهذا مَهْيَع، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥]، وغير ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿مُهْلَك﴾ بضم الميم وفتح اللام، وقرأ عاصم في رواية أَبي بكر بفتحهما، ورُوي عنه بفتح الميم وكسر اللام[٥].

و«العَاقِبَةُ»: حالٌ تقتضيها البدأَة وتؤدي إِليها بواجب[٦].

---

(١) في لالاليه: «بالياء»، وسقطت قراءة عبد الله وحمزة والكسائي من نور العثمانية وفيض الله.

(٢) وهي سبعية كالأولى، انظر: التيسير (ص: ١٦٨)، والسبعة (ص: ٤٨٣)، ولم أجد من عزاها لحميد، وقد جاءت الفقرة في المطبوع هكذا: «وقرأ الحسن، وحمزة، والكسائي بالتاءِ فيهما، وبِضَمِّ التَّاءِ واللام على الخطاب، أَي: تخاطبوا بذلك، وقرأ مجاهد، وحميد بن قيس بالياءِ فيهما على الخبر، وهذا أقرب للصحة».

(٣) في الأصل: «الداودي».

(٤) سقط من أحمد٣، وفي المطبوع: «سدحتهم».

(٥) وهي رواية حفص، والثلاث سبعية، التيسير (ص: ١٤٤).

(٦) ليست في المطبوع.

ويعني بـ«الأَهل»: كل من آمن معه، قاله الحسن[١].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿ إنا دمرناهم﴾ بكسر الأَلف، وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ بفتح الهمزة، وهي قراءَة الحسن وابن أَبي إِسحاق[٢].

فـ﴿ كَانَ ﴾ ـ على قراءَة الكسر في الأَلف ـ تامَّة، وإِن قُدِّرت ناقصة فخبرها محذوف، أَو يكون الخبر ﴿ كَيْفَ﴾ مقدماً؛ لأَن صدر الكلام لها، ولا يعمل ـ على هذا ـ (انْظُرْ) في ﴿ كَيْفَ﴾، لكن يعمل في موضع الجملة كلها، وهي على قراءَة فتح الأَلف ناقصة، وخبرها ﴿أَنَّا﴾، ويجوز أَن يكون الخبر ﴿ كَيْفَ﴾، ويكون ﴿أَنَّا﴾ بدلاً من العاقبة، ويجوز أَن تكون ﴿ كَانَ ﴾ تامة و﴿أَنَّا﴾ بدلاً من العاقبة، ووقع تقرير[٣] السؤال بـ﴿ كَيْفَ﴾ عن جملة قوله: ﴿كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾، [وليس بمحض سؤال ولكنه حقه أن يسأل عنه، والتدمير الهلاك، ويحتمل أن تتقدر ﴿ كَانَ ﴾ تامة على قراءة الفتح، وغيره أظهر][٤].

وقرأَ أُبي بن كعب: (أَنْ دَمَّرْنَاهُمْ)[٥]، فهذه تؤيد قراءَة الفتح في ﴿أَنَّا﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

---

(١) لم أجده.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٨)، والعزو للباقين في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٤٧).

(٣) في المطبوع والحمزوية ولالاليه: «تقدير».

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٤٨).

إخواء[١] البيوت وخرابها مما أَخبر الله تعالى به في كل الشرائع أَنه مما يعاقب به الظلمة، وفي التوراة: ابن آدم، لا تظلم، يخرب بيتك.

و﴿ خَاوِيَةً ﴾: نصب على الحال التي فيها الفائدة، ومعناها: الخالية قفراً.

قال الزَّجاج: وقرئت (خَاوِيَةٌ) بالرفع[٢]، وذلك على الابتداءِ المضمر، والتقدير: هي خاوية، أَو عن الخبر عن ﴿ تِلْكَ ﴾ و﴿ بُيُوتُهُمْ ﴾ بدلٌ، أَو على خبر ثان.

وهذه البيوت المشار إِليها هي التي قال فيها النبي ﷺ عام تبوك: «لا تدخلوا على هؤلاءِ المعذبين إِلَّا أَن تكونوا باكين» الحديث[٣].

ثم قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا ﴾، تقديره: واذكر لوطاً، و﴿ ٱلْفَاحِشَةَ ﴾: إِتيان الرجال في الأَدبار، و﴿ تُبْصِرُونَ ﴾ معناه: بقلوبكم أَنها خطيئة وفاحشة، وقالت فرقة: تبصرون بأَبصاركم؛ [لأنهم كانوا يتكشفون][٤] بفعل ذلك ولا يستتر بعضكم من بعض.

واختلف القراءُ في قوله: ﴿ أَئِنَّكُمْ ﴾، وقد تقدم.

وقرأَ جمهور الناسِ: ﴿ جَوَابَ ﴾ نصباً، وقرأَ الحسن، وابن أَبي إِسحاق: (جَوَابُ) بالرفع، ونسب ابن جني قراءَة النصب إِلى الحسن، وفسَّرها في الشَّاذِّ[٥].

---

(١) سقطت من نور العثمانية، وفي المطبوع: «أمر»، وفي الحمزوية وفيض الله: «إقواء»، وفي أحمد٣: «إخواؤها وإقواؤها»، وفي لالاليه: «أندر».

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٢٥) بلا عزو، وهي شاذة، نسبها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٦١) لزيد بن علي.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٢٣)، ومسلم (٢٩٨٠)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٤) في المطبوع: «لأنكم تتكشفون».

(٥) وهي شاذة، عزاها لهما في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٤٨)، وللحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٣٦١)، وفي المطبوع: قراءة الرفع، وهو الموافق لما في المحتسب (٢/ ١٤٠) ولفظه: ومن ذلك قراءة الحسن: (فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ)، برفع الباء، أو لعل الخطأ من ابن عطية.

وأَخبر الله تعالى عن قوم لوط أَنهم تركوا في جوابهم طريق الحجة، وأَخذوا بالمغالبة[١]، فتآمروا بإِخراجه وإِخراج من آمن معه، ثم ذمُّوهم بمدحة وهي التَّطهُّر من هذه الدناءَة التي هم أَصفقوا عليها، قال قتادة: عابوهم والله بغير عيب[٢].

وقرأَ عاصم ـ في رواية أَبي بكر ـ: ﴿قَدَرْنَاهَا﴾ بتخفيف الدال.

وقرأَ جمهور القراءِ ﴿قَدَّرْنَـٰهَا﴾ بشد الدَّال[٣].

والأُولى بمعنى: جعلناها وحصلناها، والثانية بمعنى: قدَّرنا عليها، من القضاء والقدر.

و«الغابرون»: الباقون في العذاب، وغَبَـرَ: بمعنى بَقِيَ، وقد يجيءُ أَحياناً في بعض كلام العرب ما يوهم أَنه بمعنى مَضَى، وإِذا تُؤمل توجه حمله على معنى البقاءِ، والمطر الذي أُمطر عليهم هو حجارة السجيل[٤] أَهلكت جميعهم.

وهذه الآية أَصل لمن جعل من الفقهاءِ الرَّجم في اللوطية[٥]، وبها تأَنَّس لأَن الله تعالى عذَّبهم على كفرهم به، وأَرسل عليهم الحجارة لمعصيتهم، ولم يقس هذا القول على الزِّنا فيعتبر الإِحصان، / بل قال مالك وغيره: يرجمان في اللُّوطية أُحصنا أَو لم يُحْصنا[٦]، وإنما وَرَدَ عن النبي ﷺ: «اقتلوا الفاعل والمفعول به»[٧]، فذهب من ذهب إِلى رجمهما بهذه الآية. [٤/ ١٤٦]

(١) في الأصل: «وأخبروا بالمبالغة».

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٨٠)، تفسير الطبري (١٢/ ٥٥٠).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٤) في المطبوع وأحمد٣ والحمزوية: «السِّجِّين».

(٥) قال الثعلبي في تفسيره (٤/ ٢٥٩): وروى أبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي عن صفوان بن عمر قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى ابن حبيب قاضي حمص سأله كم عقوبة اللوطي فكتب أن عليه أن يرمى بالحجارة كما رجم قوم لوط فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ وقال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه.

(٦) المدخل لابن الحاج (٣/ ١١٥).

(٧) منكر، أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤٦٤)، وأبو داود (٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وفي علله الكبير =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

قرأ أبو السمال: (قلَ) بفتح اللام، وكذلك في آخر السورة[١].

وهو ابتداءُ تقرير وتثبيت لقريش، وهو بعد يعم كلَّ مكلف من الناس جميعاً، وافتتح ذلك بالقول بحمده وتمجيده[٢] وبالسلام على عباده الذين اصطفاهم للنبوة والإيمان، وهذا اللفظ عام لجميعهم من ولد آدم، وكأن هذا صدر خطبة للتقرير المذكور.

وقال ابن عباس: العبادُ المُسَلَّم عليهم هم أَصحاب النبي ﷺ، واصطفاهم لنبيِّه[٣].

= (٤٢٧)، وابن عدي (٥/ ١١٧)، كلهم من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، قلت: وهذا إسناد ضعيف، من أجل عمرو بن أبي عمرو، قال الترمذي في العلل الكبير، بعد روايته لحديث عمرو هذا: سألت محمداً ـ يعني: البخاري ـ عن حديث عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس؟ فقال: عمرو بن أبي عمرو صدوق، ولكن روى عن عكرمة مناكير، ولم يذكر في شيء من ذلك أنه سمع عن عكرمة، ونقل الحافظ ابن حجر في التلخيص (٤/ ٥٤) عن النسائي أنه استنكر هذا الحديث، وعن ابن معين قال: عمرو بن أبي عمرو ثقة ينكر عليه حديث عكرمة، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «اقتلوا الفاعل والمفعول به».

(١) الآية (٩٣)، وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٦١)، وأشار لها في المحتسب (١/ ٥٥)، بلا نسبة.

(٢) في الأصل: «وتحميده»، والحمزوية: «توحيده».

(٣) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٨٢)، وابن أبي حاتم (١٦٤٩٥)،، كلاهما من طريق الحكم ابن ظهير، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف جداً، من أجل الحكم بن ظهير، وهو الفزاري، ابن أبي ليلى الكوفي، متفق على تركه، ينظر: تهذيب الكمال (٧/ ٩٩).

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا الاختصاص توبيخ للمعاصرين من الكفار.

وقال الفراءُ: الأَمر بالقول في هذه الآية هو لِلُوطٍ عليه السلام[١]، قال المفسرون: وهذه عجمة من الفَرَّاءِ رحمه الله[٢].

ثم وقف قريشاً والعربَ ـ على جهة التوبيخ ـ على موضع التَّبايُن بين الله عزَّ وجلَّ وبين الأَوثان والأَنصاب.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿تُشرِكُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، وحكى المهدوي عن أَبي عمرو، وعاصم: ﴿يُشۡرِكُونَ﴾ بالياءِ من تحت[٣].

وفي هذا التفضيل بلفظة ﴿خَيۡرٌ﴾ أَقوال: أَحدها أَن التفضيل وقع بحسب معتقد المشركين؛ إِذْ كانوا يعتقدون أَن في آلهتهم خيراً بوجه مَّا.

وقالت فرقة: في الكلام حذف مضاف في الموضعين، التقدير: أَتوحيد الله خير أَم عبادة ما تشركون؟ فـ (ما) في هذا التأْويل بمعنى الذي.

وقالت فرقة: (مَا) مصدرية، وحذف المضاف إِنما هو أَولاً، وتقديره: أَتوحيد الله خير أَمْ شِرْكُكُم؟ وقيل: ﴿ خَيۡرٌ﴾ هنا ليست بأَفعل، وإِنما هي بفعل، كما تقول: الصلاة خيْرٌ دون تفضيل.

قال القاضي أَبو محمد: وقد تقدم أَن هذه الأَلفاظ التي تعم معاني كثيرة كخَيْر وشَرٍّ وأَحب ونحو ذلك قد يقع التفضيل بها بيْن أَشياءَ متباينة؛ لأَن المتباينات رُبَّما اشتركت فيها ولو بوجه ضعيف بعيد، وأَيضاً فهذا تقرير، والمجادل يقرر خصمه [على

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٧).

(٢) قال ابن أبي حاتم في التفسير (١٣/ ٧٩٥) وقد خالف جماعة من العلماء الفراء في هذا وقالوا: هو مخاطبة لنبينا محمد ﷺ.

(٣) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٨)، والتحصيل للمهدوي (٥/ ١١٧).

قسمين أحدهما فاسد، ليرى وقوعه][1]، وقد استوعبنا هذا فيما مضى، وقالت فرقة: تقدير هذه الآية: آللهُ ذو خير أَمَّا تُشركون؟.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا النوع من الحذف بعيد تأوله[2].

وقرأَ الحسن، وقتادة، وعاصم: ﴿يُشۡرِكُونَ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأَ أَهل المدينة ومكة والكوفة بالتَّاءِ من فوق[3].

وقوله: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ﴾ وما بعدها من التوقيفات توبيخٌ لهم، وتقرير على ما لا مندوحة لهم عن الإِقرار به.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَمَّنۡ﴾ بشدِّ الميم، وهي (أَمْ) دخلت على (مَنْ).

وقرأَ الأَعمش: (أَمَنْ) بفتح الميم مسهَّلة[4]، ويحتمل ـ على هذه القراءَة ـ [أَن تكون (مَن) استفهاما فتكون في معنى (أم من) المتقدمة، ويحتمل][5] أن تكون الأَلف للاستفهام و(مَنْ) ابتداءً، وتقدير الخبر: يُكْفَر بنعمته ويُشْرَك به؟ ونحو هذا من المعنى.

و«الحدائق»: مُجْتَمع الأَشجار من العنب والنخيل وغير ذلك.

وقال قوم: لا يقال: حديقة إِلَّا لما عليه جدار قد أَحدق به.

وقال قوم: تقول ذلك كان جدار أَوْ لم يكن لأَن البياض محدق بالأَشجار.

و«الْبَهْجَة»: الجمال والنُّضرة.

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «لتنبيهه على خطئه وإِلزامه بحصر التفضيل في جانب واحد وانتفائه عن الآخر».

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) إن كان يقصد التي في هذه الآية (٥٩) فقد تقدمت على ما فيها، وهذا في حقها غير دقيق، ولعله من بليات أبي حاتم، وإن كان يقصد التي في الآية (٦٣) ففيها طامة أخرى، وسيأتي الكلام عليها في موضعها، وعلى كل فلا محل لهذه الفقرة هنا، والله أعلم.

(٤) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص١١١)، والشواذ للكرماني (ص ٣٦١).

(٥) سقط من المطبوع.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (ذَوَاتِ بَهَجَةٍ)، [بجمع ذات وفتح الهاء من بهجة][١].

ثم أَخبر -على جهة التوقيف- أَنه ما كان للبشر، أَي: ما يتهيَّأُ لهم، ولا يقع تحت قدرتهم أنْ ينبتوا[٢] شجرها؛ لأَن ذلك يكون بإِخراج شيءٍ من العدم إلى الوجود.

وقد تقدم ترتيب القراءَة في الهمزتين من قوله: [﴿أَءِلَٰهٌ﴾، و﴿أَءِذَا﴾][٣]، و﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠]، قال أَبو حاتم: القراءَة باجتماع الهمزتين محدثة لا توجد في كلام العرب ولا قرأَ بها قارئ عتيق[٤].

و﴿يَعۡدِلُونَ﴾ يجوز أَن يراد به: يعدلون عن طريق الحق، أَي: يجورون في فعلهم، ويجوز أَن يراد به: يعدلون بالله غَيْرَه، أَي: يجعلون له عديلاً ومثيلاً.

﴿خِلَٰلَهَآ﴾ معناه: بَيْنَها وأَثناءَها.

«الرَّوَاسي»: الجبال، رَسَا الشيءُ يرسو إِذا ثبت وتأَصَّل.

و«الْبَحْرَانِ»: الماءُ العذب بجملته، والماءُ الأُجاج بجملته.

و«الحاجِزُ»: ما جعل الله بينهما من حواجز الأَرْض وموانعها على رِقَّتها في بعض المواضع ولطافتها التي لولا قدرة الله تعالى لغلب المِلْحُ العذبَ، وكلُّ ما مضى من القول في تأْويل قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ الآية فهو مترتب هاهنا فتأَمله، وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن

---

(١) سقط من المطبوع، وهي شاذة، انظر: الدر المصون (٨/ ٦٣١)، وفي الشواذ للكرماني (ص٣٦١)، عنه ذاتِ بكسر التاء.

(٢) في لالاليه: «يشترى».

(٣) في المطبوع بدلا منهما: «أئن».

(٤) لم أقف عليه.

يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

وقفهم في هذه الآيات على المعاني التي يتبيَّن لكل عاقل أنه لا مدخل لِصَنم ولا لِوَثن فيها، فهي عِبَرٌ ونِعَمٌ، فالحجة قائمة بها من الوجهين.

وقوله تعالى: ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ معناه: بشرط أَنْ يشَاءَ على المعتقد في الإِجابة، لكن المضطر لا يُجيبه متى أُجيب إِلَّا الله عزَّ وجلَّ.

و﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ عامٌّ في كل ضر يكشفه الله تعالى عن عباده.

وقرأَ الحسن: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ﴾ بياءٍ على صيغة المستقبل، ورويت عنه بنون[1].

[٤/ ١٤٧] وكل قرْنٍ خلف لِلَّذِي / قبله.

وقرأَ جمهور القراء: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاءِ على المخاطبة، وقرأَ أَبو عمرو وحده، والحسن، والأَعمش بالياءِ على الغيبة[2].

و«الظُّلُمَات»: عام لظُلْمة الليل التي هي الحقيقة في اللغة، ولِظُلَم الجهل والضَّلال والخوف التي هي مجازات وتشبيهات، وهذا كقول الشاعر:

[الطويل] تَجَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجالِ....... ....[3]

وكما تقول: أَظْلَم الأَمر وأَنار.

---

(١) غريب، فالقراءة بالياء موافقة للجماعة، وأما قراءة النون فشاذة، نقلها عنه في البحر المحيط (٨/ ٢٥٩)، وقد ضبطت في المطبوع: «يجعلَكم بالنصب».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٨)، والسبعة (ص: ٤٨٤)، وزادا هشاماً، وانظر الباقين في البحر المحيط (٨/ ٢٥٩).

(٣) من معلقة امرئ القيس انظر جمهرة أشعار العرب (ص: ١٣١)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٥٤)، والأغاني (٩/ ٨٦)، وشرح المعلقات السبع للزوزني (ص: ٥٨)، والرواية عند جميعهم «تسلت» بالسين، وهي كذلك في لالاليه.

وقد تقدم اختلاف القراءِ في قوله: ﴿بُشْرًا﴾[١].

وقرأ الحسن وغيره: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياءِ على الغيبة، وقرأ الجمهور: (تُشْرِكُونَ) على المخاطبة[٢].

و«بَدْءُ الْخَلْق»: اختراعُه وإِيجادُه، و﴿ٱلْخَلْقَ﴾: هنا المخلوق من جميع الأَشياءِ، لكن المقصود بنو آدم من حيث ذكر الإِعادة والإعادة[٣] البعث من القبور، ويحتمل أَن يريد بـ ﴿ٱلْخَلْقَ﴾ مصدر: خَلَق يخْلُق، ويكون «يَبْدَأُ» و«يُعيدُ» استعارة للإِتقان والإِحسان، كما تقول: فلان يبدئ ويعيد في أَمر كذا وكذا، إذا كان يُتقنه، والرِّزْق من السماءِ بالمطر، ومن الأَرض بالنبات، هذا مشهور ما يحسُّه البشر، وكم لله تعالى بعد[٤] من لطف خفي.

ثم أَمر عزَّ وجلَّ نبيَّه أَن يوقفهم على أَن الغيب ممَّا انفرد الله بعلمه، ولذلك سُمِّي غيباً لغيبته عن المخلوقين، ورُوي أَن هذه الآية من قوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ﴾ إِنما أُنزلت لأَن الكفار سأَلوا وأَلحُّوا عن وقت القيامة التي يعدهم محمد، فنـزلت هذه الآية بالتسليم لأَمر الله تعالى وترك التحديد، فأَعلم عزَّ وجلَّ أَنه لا يعلم وقت الساعة سواه، فجاءَ بلفظ يعُمُّ الساعة[٥] وغيرها، وأَخبر عن البشر أَنهم لا يشعرون أَيَّان يُبعثون.

---

(١) في تفسير الآية (٥٧) من سورة الأعراف.

(٢) هكذا جاءت هذه الفقرة في المطبوع والنسخة الأخرى دون تعليق، وعلى هامشه في الأصل عبارة: «في هذا نظر»، ولعل في العبارة قلباً، فالقراءة بالياء هي قراءة الجمهور، بل هي المتفق عليها، وكلهم قيدوا القراءة في الآية السابقة بلفظ: «أما»، قال السرقسطي في العنوان في القراءات السبع (ص: ١٤٥): ولا خلاف في الثاني أنه بالياء، وقال في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٣٠): وخرج بقيد أما: «عما يشركون» المتفق الغيب، وقد ضعف في البحر المحيط (٨/ ٢٥٩) قراءة التاء ولم ينسبها لمعين.

(٣) ليست في المطبوع

(٤) من نجيبويه والحمزوية وفيض الله.

(٥) في المطبوع: «السامع».

وبهذه الآية احتجت عائشة رضي الله عنها على قولها: «ومَنْ زَعم أَن محمداً يعلم الغيب فقد أَعظم على الله الفرية»[١].

والمكتوبة[٢] في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بدل مِنْ ﴿مَن﴾.

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَيَّانَ﴾ بفتح الهمزة، وقرأ أَبو عبد الرحمن السُّلَمي: (إِيَّانَ) بكسرها[٣]، وهما لغتان.

وقرأ جمهور القراء: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾، أَصله: تَدَارَك، أُدغمت التاءُ في الدال بعد أَن أُبدلت، ثم احتيج إِلى أَلف الوصل.

وقرأ أُبيُّ بن كعب ـ فيما رُوي عنه ـ: (تَدَارَكَ).

وقرأ عاصم ـ في رواية أَبي بكر ـ: (بلِ ادَّرك) على وزن افتَعَل، وهي بمعنى تفاعل.

وقرأ سليمان بن يسار، وعطاءُ بن يسار: (بلَ ادَّرك) [بفتح اللام][٤] ولا همز، وبتشديد الدال دون أَلف.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو، وأبو جعفر[٥]، وأَهل مكة: ﴿بَلْ أَدْرَكَ﴾.

[وقرأ مجاهد: (أم أدرك)، بدل ﴿بَلِ﴾][٦].

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (أم تَدَارَك عِلْمُهُم).

وقرأ ابن عباس: (بَلَ ادْرَكَ).

وقرأ ابن عباس أَيضاً: (بَلْ آدَّارَكَ) بهمزة ومدَّة على جهة الاستفهام.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧)، من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٢) المكتوبةُ هي لفظ الجلالة.

(٣) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ١٤٢)، وتفسير الزمخشري (٢/ ١٨٣).

(٤) سقط من الأصل، و«عطاء بن يسار»: ساقط من لالاليه.

(٥) في المطبوع: «وجعفر».

(٦) سقط من المطبوع ولالاليه وكذا من نور العثمانية إلى قوله: «الداني».

وقرأ ابن محيصن: (بل آدرك) على الاستفهام، ونسبها أَبو عمرو الداني إِلى ابن عباس والحسن[(١)].

فأَمَّا قراءَة الاستفهام فهي على معنى الهُزْءِ بالكفرة، والتقرير لهم على ما هو في غاية البعد عنهم، أَيْ: أَعَلِمُوا أَمْر الآخرة وأَدركها علمهم؟ وأَما القراءَات الأُولى فتحتمل معنيَيْن:

أَحدهما: بَلْ أَدْركَ عِلْمُهم، أَيْ: تناهَى، كما تقول: أَدْرك النباتُ وغيره، وكما تقول: هذا ما أَدرك علمي من كذا وكذا، فهذا قد تتابع وتناهَى علمُهم بالآخرة إِلى أَن يعرفوا لها مقداراً فيؤمنوا، وإِنما لهم ظنون كاذبةٌ، أَو أَلَّا يعرفوا لها وقتاً، وكذلك ادَّارَكَ وتَدَارَكَ وسواها، وإِن حملت هذه القراءَة معنى التوقيف والاستفهامِ ساغَ، وجاءَ إِنكاراً لأَنْ أَدركوا شيئاً نافعاً.

والمعنى الثاني: بَلْ أَدْرَك بمعنى يُدْرك، أَيْ أَنهم في الآخرة يدرك علمهم وقت القيامة، ويرَوْا العذاب والحقائق التي كذبوا بها، وأَما في الدنيا فلا، وهذا تأْويل ابن عباس[(٢)]،

(١) ذكر في هذه الكلمة تسع قراءات: اثنتان منها سبعيتان، والبواقي شواذ، فالأولى: ﴿ ٱدَّٰرَكَ ﴾، قراءة الجمهور، والثانية: ﴿بلْ أدرك﴾ لابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر، كما في السبعة (ص: ٤٨٥)، والنشر (٢/ ٣٣٩)، والثالثة: (أم تدارك)، كرر نسبتها لأبي، وعزاها له في مختصر الشواذ (ص١١١)، والرابعة (بل ادّرك) لشعبة، وهي من رواية الأعشى عنه كما في السبعة (ص: ٤٨٥)، والخامسة: (بلَ ادّرك) لابني يسار، عزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص٣٦٢)، وابن جني في المحتسب (٢/ ١٤٢)، والسادسة: (أم أدرك) لمجاهد، عزاها له في مختصر الشواذ (ص١١١)، والسابعة: (بلَ ادْرك) لابن عباس نسبها له في الشواذ للكرماني (ص٣٦٢)، والثامنة: (بل آدّارك) لابن عباس، ولعل صوابها (بلى) بياء كما في المحتسب (٢/ ١٤٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٢٧)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٢٠)، والشواذ للكرماني (ص٣٦٢)، والتاسعة: (بلْ آدَّرك) لابن محيصن، نسبها له النحاس في معاني القرآن (٥/ ١٤٦)، ومختصر الشواذ (ص١١١)، والمحتسب (٢/ ١٤٢)، وزاد: الحسن وأبا رجاء وقتادة، ونسبها لابن عباس في البحر المحيط (٨/ ٢٦٢)، وكلام الداني لم أقف عليه.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٨٨)، من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

ونَحَا إِليه الزَّجاج[١]، فقوله: ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ ـ على هذا التأْويل ـ ظرف، وعلى التأْويل الأَول في معنى الباءِ، والعِلْم: قد يتعدى بحرف الجرِّ، تقول: علمي بزيد كذا، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] وَعِلْمِي بأَسـدام الميـاه......[٢] ....

ثم وصفهم عزَّ وجلَّ بأَنهم في شكٍّ منها، ثم أَردفهم بصفة أَبلغ من الشك وهي العمى بالجملة عن أَمر الآخرة.

و﴿عَمُونَ﴾ أَصله عَمِيُون؛ فَعِلون كحَذِرون وغيره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

استبعد الكفار أَن تُبعث الأَجساد والرِّمَمُ [من القبور][٣]، [واستملحوا ذلك][٤]، فذكر ذلك عنهم على جهة الردِّ عليهم.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن كثير: ﴿أَيِذَا﴾ و﴿أَيِنَّا﴾ مهموزاً[٥] غير أَن أَبا عمرو يمُدُّ وابن كثير لَا يَمُدُّ، وقرأَ عاصم وحمزة: ﴿أَءِذَا﴾ و﴿أَءِنَّا﴾ [بهمزتين فيهما، وقرأَ نافع:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٢٧).

(٢) تمامه:

وعلمي بأسدام المياه فلم تزل قلائص تخدىٰ في طريق طلائح

وهو لتميم بن مقبل كما في الكتاب لسيبويه (٣/ ١٣٣)، والحجة لأبي علي (٣/ ٣١٣)، وفي المطبوع: «بأَسوامٍ».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) سقط من المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه وفيض الله.

﴿إِذَا﴾ مكسورة الأَلف ﴿آيِنَّا﴾][1] ممدودة الأَلف، وقرأَ الباقون: ﴿أَءِذَا﴾ ممدودة ﴿إِنَّنَا﴾ بنونين وكسر الأَلف[2].

ثم ذكر الكفارُ أَن هذه المقالة ممَّا وعد بها قبْلُ، [وردوا على جميع الأنبياء وجعلوها][3] من أَساطير الأَولين.

ثم وعظهم تعالى بحال من عُذِّب[4] [من الأمم فأمر نبيه أن يأمرهم بالسير والتطلع على حال مجرمي الأمم][5] وبالحذَر أَن يُصيبهم ما أَصاب أُولئك، وهذا التحذير يقتضيه المعنى.

ثم سلَّى الله تعالى نبيَّه ﷺ عنهم، وهذا بحسب ما كان عنده من الحرص عليهم والاهتمام بأَمرهم.

وقرأَ ابن كثير: ﴿في ضِيق﴾ بكسر الضاد، ورويت عن نافع، وقرأَ الباقون بفتحها[6].

والضِّيقُ والضَّيْق مصدران بمعنى واحد، وكره أَبو عليٍّ أَن يكون «ضَيْق» كهَيْن ولَيْن مسهلة من ضَيِّق، قال: لأَن ذلك يقتضي أَن تقام الصفة مقام الموصوف، ثم ذكر استعجال قريش لأَمر الساعة والعذاب، [بقولهم مَتى هذَا الْوَعْدُ، على معنى التعجيز للواعد به، فأمر تعالى نبيه أن يتوعدهم بأنه عسى أن يأذن الله في أن يقرب منهم بعض ما استعجلوه من الساعة والعذاب][7] / . [٤/ ١٤٨]

(١) سقط من الحمزوية.
(٢) وكلها سبعية، انظر: السبعة (ص: ٤٨٥)، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الرعد، وفي الحمزوية زيادة الكسائي مع حمزة وعاصم.
(٣) في المطبوع بدلا منه: «وقد ورد ذلك على لسان جميع الْأَنبياءِ، وجزموا أَن ذلك».
(٤) في الأصل: «كذب».
(٥) سقط من المطبوع
(٦) وهما سبعيتان: انظر السبعة (ص: ٤٨٥)، والرواية عن نافع هي من طريق خلف عن المسيبي، وليست من طرق التيسير.
(٧) ساقط من المطبوع.

و﴿رَدِفَ﴾ معناه: قَـرُب وأَزِفَ، قاله ابن عباس وغيره[١]، ولكنها عبارة عما يجيءُ بعد الشيءِ قريباً منه، ولكونه بمعنى هذه الأَفعال الواقفة[٢] تعدَّى بحرف وإِلَّا فبابه أَن يتجاوز بنفسه.

وقرأَ الجمهور بكسر الدال، وقرأَ الأَعرج: (رَدَفَ) بفتح الدال[٣].

وقرأَ الجمهور من الناس: ﴿تُكِنُّ﴾ من أَكَنَّ.

وقرأَ ابن محيصن وابن السميفع: (تَـكُنُّ)[٤]، من كَنَّ، وهما بمعنى واحد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

الهاءُ في ﴿غَآئِبَةٍ﴾ للمبالغة، أَي: ما من شيء في غاية الغيب والخفاءِ إِلَّا في كتاب عند الله عزَّ وجلَّ في مكنون علمه، ثم نَبَّه تعالى على أَن هذَا الْقُرْآنَ أخبر بَنِي إِسْرائِيلَ بأَكثر الأَشياءِ التي كان بينهم اختلاف في صفتها، فجاءَت في القرآن على وَجْهها، ثم وصفه تعالى بأَنه هدىً ورحمةٌ للمؤمنين، كما أَنه عمًّى على الكافرين المحتوم عليهم، ومعنى

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٩٢)، من طريق علي بن أبي طلحة وعطية العوفي، كلاهما ـ مفرقين ـ عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) ليست في المطبوع، وفي الحمزوية وفيض الله وأحمد٣ ولالاليه: «الواقعة»، وهي بعكسها، لأن الواقفة هي اللازمة، والواقعة المتعدية.

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٤٣)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٣٨١).

(٤) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (١١١)، والمحتسب (٢/ ١٤٤).

ذلك أَن كفرهم اسَتَتبَّ مع قيام الحجة ووضوح الطريق، فكثر عماهم بهذه الجهة[(١)].

ثم أَخبر أَن ذلك كله بقضاءٍ من الله وحكم قضاه فيهم وبينهم، ثم أَمرهم بالتوكل عليه، وبالثقة بالله، وبأَنه على الحق، أَي: إِنك الجدير بالنُّصرة والظهور، ثم سلَّاه عنهم، وشبههم بالموتى من حيث الفائدة بالقول لهؤلاءِ وهؤلاءِ معدومة، فشبههم مرَّة بالموتى ومرَّة بالصُّمِّ.

قال العلماءُ: الميت من الأَحياءِ هو الذي يلقى الله بكفره.

واحتجت عائشة رضي الله عنها في إِنكارها أَن النبي ﷺ أَسمع موتى بدر بهذه الآية، ونظرت هي في الأَمر بقياس عقلي، ووقفت مع هذه الآية[(٢)].

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أَنه قال: «ما أَنتم بأَسمع منهم»[(٣)]، فيشبه أَن قصة بدر هي خرق عادة لمحمد ﷺ في أَنْ ردَّ الله تعالى إِليهم إِدراكاً سمعوا به مقاله، ولولا إِخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءَه إِياهم على معنى التوبيخ على مَنْ بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاءِ صدور المسلمين منهم.

وقد عورضت هذه الآية بالسلام على القبور[(٤)]، وبما روي في ذلك أَن الأَرواح تكون في شفير القبور في أَوقات[(٥)]، قالوا: فلو لم يَسْمع الميتُ لم يُسَلَّم عليه.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله غير معارض للآية؛ لأَن السلام على القبور إِنما هو عبادة، وعند الله الثواب عليها، وهو تذكير للنفس بحالة الموت وبحالة الموتى في حياتهم،

(١) في المطبوع ولالاليه: «الحجة».

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٠)، من حديث عائشة، رضي الله عنها، به

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٤) من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه (٩٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين.

(٥) لم أقف عليه.

وإِن جوَّزنا مع هذا أَن الأَرواح في وقت على القبور، فإِن سَمِع فليس الروح بميت.

وإِنما المراد بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الأَشخاص الموجودة مفارقة لأَرواحها، وفيها نقول: خرقت العادة لمحمد ﷺ في أَهل القليب، وذلك كنحو قوله ﷺ في الموتى إِذا دخل عليهم الملكان[١]: «إِنهم يسمعون خفق النِّعال»[٢].

وقرأَ ابن كثير: ﴿ولا يَسْمَعُ﴾ بالياءِ من تحت ﴿الصُّمُّ﴾ رفعاً، ومثله في الرُّوم [٥٢][٣]، وقرأَ الباقون: ﴿تُسْمِعُ﴾ بالتَّاءِ ﴿ٱلصُّمَّ﴾ نصباً.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ بالإِضافة.

وقرأَ يحيى بن الحارث، وأَبو حيوة: (بهادٍ العميَ) بتنوين الدال ونصب (الْعُمْيَ)[٤].

وقرأَ حمزة وحده: ﴿وما أنتَ تَهْدِي العمْيَ﴾ بفعل مستقبل، وهي قراءَة طلحة وابن وثَّاب، وابن يَعْمر[٥].

وفي مصحف عبد الله: (وما إن تهدي العمي)[٦].

ومعنى قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إِذا انْتُجِزَ وعْدُ عذابهم الذي تضمنه القولُ الأزلي[٧] من الله تعالى في ذلك ـ أَي حتمه الله عليهم ـ

---

(١) في المطبوع: «المكان».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٧٣)، ومسلم (٢٨٧٠)، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) وهي والتي بعدها سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٩).

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص٣٦٣).

(٥) وهي والأولى سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٩)، والسبعة (ص: ٤٨٦)، والعزو للباقين في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٢٢)، وابن يعمر وابن وثاب كلاهما اسمه يحيى، وطلحة هو ابن مصرف، وفي المطبوع: «طلحة بن وثاب»، على أنهما شخص واحد.

(٦) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٥١)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٠)، وضبطها بالكسر، وفي المطبوع: «أن بالفتح».

(٧) في المطبوع: «الآن»، وفي أحمد٣: «الألى».

وقَضَاؤُه، وهذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ فمعنى الآية: وإذا أَراد الله أَن ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب أَخرج لهم دابة من الأَرض.

ورُوي أَن ذلك حين ينقطع الخير، ولا يُؤمر بمعروف، ولا يُنهى عن منكر، ولا يبقى مُنيب ولا تائب، كما أَوحى الله تعالى إلى نوح أنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

و﴿وَقَعَ﴾: عبارة عن الثُّبوت واللزوم، وفي الحديث: «إِن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أَول الأَشراط ـ ولم يُعيِّن الأُولى ـ وكذلك الدَّجَّال»[١].

قال القاضي أَبو محمد: وظاهر الأَحاديث والروايات أَن الشمس آخرها[٢]؛ لأن التوبة تنقطع معها، وتُعطي الحال أَن الإِيمان لا يبقى إِلَّا في أَفرادٍ، وعليهم تهب الريح التي لا تُبقي إِيماناً، وحينئذ يُنفخ في الصُّور[٣]، ونحن نروي أَن الدابة تَسِمُ قوماً بالإِيمان، ونجد عيسى ابن مريم عليه السلام يعدل بعد قتل[٤] الدَّجَّال، ويؤمنُ الناسُ به.

وهذه الدابة رُوي أَنها تخرج من جبل الصفا بمكة، قاله عبد الله بن عمر[٥].

وقال عبد الله بن عمرٍو نحوه، وقال: لو شئت أَن أَضع قدمي على موضع خروجها لفعلت[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٢) وهو ما جاء عند البخاري في صحيحه (٦٧٠٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) في المطبوع: «وحينئذ ينفد وينفخ».

(٤) من أحمد٣.

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٩٧)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عمر رضي الله عنه به، وإسناده ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٩٨)، من طريق هشام بن حسان، عن قيس بن سعد، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمرو رضي الله عنهما به، وعطاء كثير الإرسال.

ورُوي عن قتادة أَنها تخرج من تِهامة[١].

ورُوي أَنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنُّور نوح عليه السلام.

ورَوى بعضهم عن حذيفة بن اليمان أَنها تخرج ثلاث خرجات[٢].

ورُوي أَنها دابَّة مزغبة[٣] شعراءُ.

ورُوي عن ابن عمر أَنها على خِلْقة الآدميين[٤]، وهي في السحاب، وقوائمها في الأَرض.

ورُوي أَنها جمعت من خَلْق كل حيوان.

ورَوى الثعلبي عن أبي الزبير نحوه[٥].

ورُوي أَنها دابة مبثوث نوعها في الأَرض، فهي تخرج في كل بلد وفي كل قوم[٦]، فقوله على هذا التأْويل: ﴿دَآبَّةً﴾ إِنما هو اسم جنس.

وحكى النقاش عن ابن عباس أَنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التي اقتلعتها العقاب حين أَرادت قريش بناءَ الكعبة[٧].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ من الكلام.

---

(١) تفسير الطبري (**١٩/ ٤٩٩**)، وفي تفسير عبد الرزاق (**٢/ ٤٨٢**)، وتفسير ابن أبي حاتم (**٩/ ٢٩٢٥**)، أنه من روايته عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (**١٩/ ٤٩٧**)، من طريقين جيدين، عن حذيفة بن أسيد، وليس حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٣) في لالاليه: «مرعبة».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) تفسير الثعلبي (**٧/ ٢٢٤**)، وفي لالاليه ونور العثمانية وفيض الله: «وذكر»، وفيها وفي المطبوع وفيض الله: «ابن الزبير»، ولعله خطأ.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم أقف عليه مسنداً.

وفي مصحف أُبيٍّ: (تُنْبِيهم)، وفسَّرها عكرمة بـ«تَسِمُهُم»، قال قتادة: وفي بعض القراءَة: (تُحَدِّثُهم)(١) / . [٤/ ١٤٩]

وقرأَ أَبو زُرْعة بن عمرو بن جرير: (تَـكْلِمُهُم) بكسر اللام من الكَلْمِ وهو الجرح، قال أَبو الفتح: هي قراءَة ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، والجحدري(٢).

وقال ابن عباس: كلا والله تفْعل تُكَلِّمُهُمْ وَتَكْلِمُهُمْ(٣).

ورُوِي في هذا أَنها تمر على الناس فَتَسِم الكافر في جبهته وتزبره وتشتمه وربما حطمته(٤)، تمسح على وجه المؤمن فتبيضه، ويُعرف ـ بعد ذلك ـ الإِيمان والكفر من أثرها(٥).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿إِنَّ الناس﴾ بكسر ﴿إِنَّ﴾.

[وقرأَ حمزة، والكسائي، وعاصم: ﴿أَنَّ﴾ بفتح الأَلف(٦).

وفي قراءَة عبد الله: (تُكَلِّمُهُمْ بِأَنَّ)(٧)، وهذا تصديق للفتح](٨).

وعلى هذه القراءَة يكون قوله: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ إِلى آخر الآية من كلام الدابة، ورُوي

---

(١) وكلاهما شاذة، انظر قراءة أبي في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٠)، والمحتسب (٢/ ١٤٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٢٢)، وكتبت في الأصل: «ابن مسعود»، ثم صححت، وقول قتادة في تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٠).

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ١٤٤)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٩٩)، والشواذ للكرماني (ص٣٦٣)، وفي الأصل: بن جريج.

(٣) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٠٦)، من طريق أبي داود نفيع الأعمى، عن ابن عباس رضي الله عنه به، ونفيع هذا متروك الحديث، واتهمه ابن معين بالكذب، ينظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٩).

(٤) في المطبوع ولالاليه: «خَطَمَته»، بالخاء، وفي الحمزوية: «تسمه»، وفي المطبوع: «وتُرمِّده»، بدل «تزبره».

(٥) في المطبوع: «قِبَلِهَا».

(٦) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٨٧)، والتيسير (ص: ١٦٩).

(٧) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٠)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١).

(٨) جاءت الفقرة في أحمد٣ هكذا: «وفي قراءة الكوفيين مفتوحة وبها قرأ عبد الله وروي عنه تكلمه بأن».

ذلك عن ابن عباس[١]، ويحتمل أن يكون ذلك من كلام الله عزَّ وجلَّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

المعنى: واذكُر يومَ، وهذا تذكير بيوم القيامة.

و﴿نَحْشُرُ﴾: نَجْمع، و﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ يريد: من كل قَرْن من الناس متقدم؛ لأَن كل عصر لم يَخْل من كَفَرَة بالله من لدُن تَفرُّق بني آدم.

و«الفَوْجُ»: الجماعة الكبيرة من الناس، والمعنى: مِمَّن حاله أَنه مكذب بآياتنا.

و﴿يُوزَعُونَ﴾ معناه: يُكَفُّونَ في السَّوْق، أَي: يُحْبس أَوَّلهم على آخرهم، قاله قتادة وغيره[٢]، ومنه وازع الجيش[٣]، وفيه يقول عبد الشارق[٤] بن عبد العزَّى:

[الوافر] فَجـاؤوا عـارضـاً بَـرِداً وحِـينـاً كمِثْـلِ السَّيْلِ تـركب وَازِعينَا[٥]

ثم أخبر تعالى عن توقيفه الكفرة يوم القيامة وسؤالهم على جهة التوبيخ ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ الآية.

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٠٠)، من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنه به.
(٢) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٦٨)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٧٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٠١).
(٣) في المطبوع: «الحبْس».
(٤) في المطبوع: «الشارف»، وفي الحمزوية وأحمد٣ ولالاليه وفيض الله «السارق»: وهو شاعر جهني جاهلي، والشارق الشمس، أو صنم.
(٥) عزاه له في عيار الشعر (ص: ١٠١)، والحماسة بشرح التبريزي (١/ ١٦٩)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص: ٣١٩).

ثم قال: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على معنى استيفاء الحجج، أي إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها.

وقرأ أبو حيوة: (أمَا ذا كنتم تعملون) بتخفيف الميم[١].

ثم أَخبر عن وقوع القول عليهم، أَي نفوذ العذاب وحتم القضاءِ، وأَنهم لا ينطقون بحُجَّة، لأَنها ليست لهم، وهذا في موطن من مواطن القيامة، وفي فريق من الناس؛ لأَن القرآن يقتضي أَنهم يتكلَّمون بِحُجَجٍ في غير هذا الموطن.

ثم ذكر تعالى الآية في اللَّيل وكونه وقت سكون ووداعة لجميع الحيوان، والمهم في ذلك بنو آدم، وكون النهار مبصراً، أَي: ذا إِبصار، وهذا كما تقول: ليلٌ نائمٌ ونهارٌ صائمٌ، ومعنى ذلك: يُنام[٢] فيه ويصام[٣]، فكذلك هذا معناه: يُبصر فيه، فهو لذلك: ذو إِبصار، ثم تجوز بأَن قيل: مُبْصِراً، فهو على النسب كعيشة راضية.

والآيات في ذلك هي للمؤمنين والكافرين، هي آية لجميعهم في نفسها، لكن من حيث الانتفاع بها والنظر النافع إِنما هو للمؤمنين فلذلك خُصُّوا بالذكر.

ثم ذكر تعالى «يوم النَّفخ في الصُّور» وهو القَرْنُ في قول جمهور الأُمة، وهو مقتضى الأَحاديث، وقال مجاهد: هو كهيئة البوق.

وقالت فرقة: الصُّور جمع صورة، كتَمْرَةٍ وتَمْر وجَمْرَةٍ وجَمْر، والأَول أَشهر، وفي الأَحاديث المتداولة أَن إِسرافيل عليه السلام هو صاحب الصُّور، وأَنه قد جثا على ركبته الواحدة وأَقام الأُخرى وأَمال خده والْتَقم القرن ينتظر متى يُؤمر ويُؤذن له بالنَّفخ، وهذه النَّفخة المذكورة في هذه الآية هي نفخة الفزع.

---

(١) وهي شاذة، تابعه في البحر المحيط (٨/ ٢٧٠)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٣٦٣) لأبي البرهسم.

(٢) في نجيبويه: «ليل قائم....، يقام».

(٣) ليست في المطبوع.

[وروى أَبو هريرة: أَن المَلَك له في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع][1]، وهو فزع حياة الدُّنيا وليس بالفزع الأَكبر، ونفخة الصَّعق، ونفخة القيام من القبور[2].

وقالت فرقة: إنما هما نفختان، كأَنهم جعلوا الفزع والصعق في نفخة واحدة، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقالوا: ﴿أُخْرَىٰ﴾ لا تقال إِلَّا في الثانية.

قال القاضي أَبو محمد: والقول الأَول أَصح، و﴿أُخْرَىٰ﴾ تقال في الثالثة، ومنه قول ربيعة بن مكدم[3]:

[الكامل] ولَقَـدْ شَـفَعْتُهُمَا بآخَـرَ ثَالِـثٍ[4] ....

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠]، وأَما قول الشاعر:

[مجزوء الكامل] جَعَلت لَـهَـا عُـودَيْـن مِـنْ نَـشَـمٍ وآخَـرَ مِـنْ ثُـمَـامَـهْ[5]

فهو يحتمل أَن يريد ثانياً أَو ثالثاً فَلَا حُجَّة فيه.

---

(١) سقط من نجيبويه، وسقط «في الصور» من المطبوع.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٨/ ٥٥٨)، من طريق إسماعيل بن رافع، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به، وإسماعيل بن رافع متفق على تضعيفه، ينظر: تهذيب الكمال (٣/ ٨٥)، وفي إسناده كذلك رجلان مبهمان، وورد الإسناد أحياناً بدونهما أو أحدهما.

(٣) في المطبوع: «مقروم»، وهو ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان ابن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم، المشهورين، الأغاني (١٦/ ٦٤)، وأما ابن مقروم فهو شاعر آخر من بني ضبة.

(٤) تمامه: وأبى الفرار عن العداة تكرّمي، عزاه له في أمالي القالي (٢/ ٢٧٢)، والعقد الفريد (٦/ ٣٦)، ولباب الآداب لابن منقذ (١/ ٢١١).

(٥) البيت لعبيد بن الأبرص، كما في الحيوان (٣/ ٩٤)، والمعاني الكبير (١/ ٣٥٩)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٩٨).

وقال تعالى: ﴿فَفَزِعَ﴾ ـ وهو أَمْرٌ لم يقع بعدُ[١] ـ إِشعاراً بصحة وقوعه، وهذا معنى وضع الماضي موضع المستقبل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناءٌ فيمن قضى الله تعالى من ملائكته وأَنبيائه وشهداءِ عبيده أَلَّا ينالهم فزع النَّفخ في الصُّور.

وقال أَبو هريرة: هي في الشهداءِ، وذكر الرُّمَّاني أَنه قول[٢] النبي ﷺ[٣].

وقال مقاتل: هي في جبريل وميكائيل وإِسرافيل وملَك الموت، وإِذا كان الفزع[٤] الأَكبر لا ينالهم فهم حَرِيُّون أَلَّا ينالهم هذا[٥].

قال القاضي أَبو محمد: على أَن هذا في وقت ترقُّب وذلك في وقت أَمْن؛ إِذ هو إِطباق جهنم على أَهلها.

وقرأَ جمهور القُرَّاءِ: ﴿وكلٌّ آتُوهُ﴾ على وزن فاعلوه، وقرأَ حمزة، وحفص عن عاصم: ﴿أَتَوْهُ﴾ على صيغة الفعل الماضي، وهي قراءَة ابن مسعود وأَهل الكوفة[٦].

وقرأَ قتادة: (أَتَاهُ) على الإِفراد إِتباعاً للفظ ﴿وَكُلٌّ﴾، وإِلى هذه القراءَة أَشار الزَّجَّاج ولم يذكرها[٧].

---

(١) سقطت من نجيبويه ولالاليه ونور العثمانية، وفي المطبوع: «يُعَدُّ»، وفيه: «وقوله» بدل «وقال».

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) ضعيف، رُوِي من طريق أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وموقوفاً، أما المرفوع، فهو جزء من الحديث المذكور آنفاً، وأما الموقوف، فأخرجه الطبري (١٩/ ٥٠٤)، من طريق العوام، عمن حدثه عن أبي هريرة، به، وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه.

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٨).

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٩).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٣٠)، وهي شاذة انظر عزوها لقتادة في المحتسب (٢/ ١٤٥).

و«الدَّاخِرُ»: المتذلِّل الخاضع، قال ابن زيد[١]، وابن عباس: الدَّاخر: الصاغر[٢].

وقرأ الحسن: (دَخِرِينَ) بغير أَلف[٣].

وتظاهرت الروايات بأَن الاستثناءَ في هذه الآية إِنما أُريد به الشهداءُ؛ لأَنهم أَحياءٌ عند ربهم يرزقون، وهم أَهل للفزع لأَنهم بشر لكنهم فُضِّلوا بالأَمن في ذلك اليوم/ . [٤/ ١٥٠]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣﴾.

هذا وصف حال الأَشياءِ يوم القيامة عقب النَّفخ في الصُّور، والرؤْية هي بالعين، وهذه الحال للجبال في أَول الأَمر تسير وتموج، وأَمر الله تعالى ينسفها ويفتها[٤] خلال ذلك فتصير كالعهن، ثم تصير في آخر الأَمر هباءً منبثاً[٥].

و«الجمود»: التضام[٦] والتلزز في الجوهر.

قال ابن عباس: ﴿جَامِدَةٗ﴾: قائمة[٧]، ونظيره قول الشاعر:

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٣٣). وفي لالاليه: «أبو زيد».
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٠٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.
(٣) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص١١٢)، والشواذ للكرماني (ص٣٦٤).
(٤) في المطبوع: «بنسفها ونفشها»، وفي نجيبويه: «وبثها»، وفي الحمزوية: «وتفننها».
(٥) في المطبوع: «منثوراً».
(٦) في المطبوع: «التَّصامُّ»، وفي الحمزوية ونجيبويه: «النظام»، والتلزز ليست في المطبوع.
(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٠٥) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ وُقُوفٌ لِحَاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ[١] [الطويل]

و﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر معرف، والعامل فيه فعلٌ مضمر من لفظه، وقيل: هو نصبٌ على الإغراءِ، بمعنى: انظروا صُنْعَ اللَّهِ.

و«الإِتْقَانُ»: الإِحسان في المعمولات، وأَن تكون حساناً وثيقة القوة.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ بالياءِ.

وقرأَ الباقون: ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالتاءِ على الخطاب[٢].

و«الْحَسَنَة»: الإِيمان، وقال الحسن، وابن عباس[٣]، والنَّخَعي، وقتادة: هي لاَ إِلهَ إِلَّا الله[٤].

ورُوي عن علي بن الحسين أنه قال: كنت في بعض خلواتي، فرفعت صوتي بـ «لَا إِلهَ إِلَّا الله»، فسمعت قائلاً يقول: إِنها الكلمة التي قال الله فيها: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[٥].

وقوله: ﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يحتمل أَن يكون للتفضيل، ويكون في قوله: ﴿مِّنْهَا﴾ حذف مضاف تقديره: خيرٌ من قدْرها أَو استحقاقها، بمعنى أَن الله تعالى تفضَّل عليه بفوق ما تَسْتَحق حسنَتُه، وقال ابن زيد: يعطى بالواحدة عشرة[٦].

---

(١) البيت للنابغة الجعدي، كما في تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٦)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٢)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٣٨٧).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٨٧)، والتيسير (ص: ١٦٩)، إلا أن ابن ذكوان ليس من طرقه، وفي المطبوع: «أبو جعفر»، بدل «ابن كثير»، وهو خطأ لأن أبا جعفر قرأ بالتاء، كما في النشر (٢/ ٣٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٠٧)، من طريق عبد الحميد الحماني، عن النضر بن عربي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وإسناده لين.

(٤) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٨)، وتفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٧٣)، و«الحسن» زيادة من المطبوع ليست في النسخ الخطية.

(٥) الهداية لمكي (٨/ ٥٤٧٨).

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٩).

والداعيةُ إِلى هذا التقدير: أَن الحسنة لا يُتصور بينها وبين الثواب تفضيل، ويحتمل أَن يكون ﴿خَيْرٌ﴾ ليس للتفضيل، بل اسمٌ للثواب والنعمة، ويكون قوله: ﴿مِّنْهَا﴾ لابتداءِ الغاية، أَي: هذا الخير[١] الذي يكون له هو من حَسَنَته وبِسَبَبِهَا، هذا قول الحسن، وابن جريج.

وقال عكرمة: ليس شيءٌ خيراً من لَا إِلهَ إِلَّا الله، وإِنما له الخير منها[٢].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿من فَزَعِ يَوْمئذٍ﴾ بالإِضافة، ثم اختلفوا في فتح الميم وكسرها من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، فقرأَ أَكثرهم بفتح الميم على بناءِ الظرف لما أُضيف إِلى غير ممكن، وقرأَ إِسماعيل بن جعفر عن نافع بكسر الميم على إِعمال الإِضافة؛ وذلك أَن الظروف إِذا أُضيفت إِلى غير ممكن جاز بناؤُها وإِعمال الإِضافة فيها.

ومن ذلك قول الشاعر:

[الطويل] عَلَى حينَ عاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّـيْبُ وَازِعُ[٣]

فإِنه يُروى: على حينَ بفتح النون، وعَلَى حِينِ بكسرها.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ بالتنوين وترك الإِضافة[٤]، ولا يجوز ـ مع هذه القراءَة ـ إِلَّا فتح الميم من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

و(السَّيِّـئَةُ): التي في هذه الآية هي الكفر والمعاصي مِمَّن حتم الله تبارك وتعالى عليه من أَهل المشيئة بدخول النَّار.

و(كُبَّتْ) معناه: تُلَّتْ في النَّار، وجاءَ هذا كبّاً من حيث خَلْقُها في الدنيا يعطي ارتفاعها، وإِذا كُبَّت الوجوه فسائر البدن أَدخلُ في النار؛ إِذ الوجه موضع الشرف والحواسِّ.

---

(١) في المطبوع: «الجزاءُ».

(٢) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٩/ ٥٠٩).

(٣) البيت للنابغة الذبياني كما تقدم في تفسير الآية (١١٩) من سورة المائدة.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٠)، وانظر رواية إسماعيل عن نافع في السبعة (ص: ٤٨٧).

وقوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ بمعنى: فقال لهم ذلك، وهذا على جهة التوبيخ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ بمعنى: قل يا محمد لقومك: إِنَّمَا أُمِرْتُ، والْبَلْدَةُ المشار إِليها مكَّةُ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾، وقرأَ ابن عباس، وابن مسعود: (التي حَرمها)[1].

وأَضافَ ـ في هذه الآية ـ التحريم إِلى الله تعالى من حيث ذلك بقضائه وسابق علمه، وأَضاف النبي ﷺ ذلك إِلى إِبراهيم في قوله: «إِن إِبراهيم حَرَّم مكَّة وإِنِّي حرَّمت المدينة»[2]، من حيث كان ظاهر ذلك بدعائه ورغبته وتبليغه لأُمته، فليس بين الآية والحديث تعارض.

وفي قوله: ﴿حَرَّمَهَا﴾ تعديد للنعمة على قريش في رفع الله تعالى عن بلدهم الغارات والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب.

وقوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ معناه: بالملك والعبودية.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟﴾ عطفاً على قوله: ﴿أَنْ أَكُونَ﴾.

وقرأَ ابن مسعود: (وأَنِ اتلُ القرآنَ)[3]، بمعنى: وأَن قيل لي: اتْلُ القرآن، واتْلُ معناه: تابع بقراءَتك بين آياته واسْرُدْه، وتلاوة القرآن سبب الاهتداءِ إِلى [كل خير][4].

وقوله: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ معناه: من تكسَّب الهُدى والإِيمان ونظر نظراً ينجيه فلنفسه سعيُه.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لابن عباس في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٣١)، وابن مسعود في مختصر الشواذ (ص١١٢)، والكل في الكرماني (ص٣٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٦٠)، من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) وهي شاذة، انظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٣٨٩)، ونقلها في مختصر الشواذ عنه وعن أبي (ص١١٢).

(٤) في الأصل وفيض الله ونور العثمانية: «خير كثير».

قال القاضي أَبو محمد: فِنِسْبَة الهدى والضلال إِلى البشر من هذه الأُمة إِنما هي بالتَّـكَسُّب والحرص، والحال التي عليها يقع الثواب والعقاب، والكلُّ أَيضاً من الله تعالى بالاختراع.

وقوله: ﴿سَيُرِيكُمْ﴾ توعُّد بعذاب الدنيا كبدر والفتح ونحوه، وبعذاب الآخرة.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿عما يَعمَلُون﴾ بالياءِ، وقرأَ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاءِ من فوق[١] على مخاطبتهم.

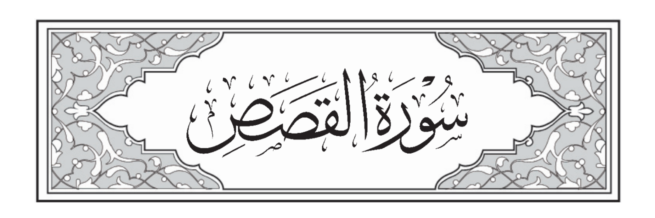
كَمُلَ تفسير سورة النَّمل والحمد لله ربِّ العالمين[٢].

* * *

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٨٨).

(٢) زاد في الحمزوية: «بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وكرمه والحمد لله رب العالمين»، وفي لالاليه: «بمنه ولطفه».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[٤/ ١٥١] / تفسير سورة القصص

هذه السُّورة مكِّيَّة إِلَّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] نزلت هذه بالجحفة في وقت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، قاله ابن سلام وغيره[١].

وقال مقاتل: فيها من المدنيِّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [٥٢ - ٥٥][٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

تقدم القول في الحروف التي في أَوائل السُّور بما أَغنى عن الإِعادة، فمن قال: إن هذه الحروف من أَسماءِ الله تعالى قال: إِن الطَّاءَ من الطَّوْل الذي لله تعالى، والسِّين من السلام، والميم من المنعم، أَو من الرحيم، ونحو هذا.

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٦١٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٦)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٦٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٤).

وقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ﴾ يتقدر موضعها بحسب كل قول من الأَقوال في الحروف، فمن جعل ﴿طسٓمٓ﴾ مثالاً لحروف المعجم جاءَت الإِشارة بـ ﴿تِلۡكَ﴾ إِلى حروف المعجم، ومن قطعها قال: ﴿تِلۡكَ﴾ في موضع هذه، وساغ هذا من حيث لم تكن حاضرة عتيدة؛ بل هي أَقوال ينقضي[١] بعضها شيئاً فشيئاً، فسائغٌ أَن يقال في الإِشارة إِليها: ﴿تِلۡكَ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: والأَصل أَن «تِلْكَ» إِشارة إِلى ما غاب، و«هذه» إِشارة إِلى ما حضر، وقد تتداخل متى كان في الغيبة حصولٌ وثقةٌ به يقوم مقام الحضور، ومتى كان في الحضور بُعْدٌ مَا يقوم مقام الغيبة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧] لما كان موسى لا يرى ربَّه تعالى، فهو وعصاه في منزل غيب، فساغ ذلك، ومن النقيض قول المؤلف لكتاب ونحوه: هذا كتاب، وما جرى هذا المجرى فتتبعه.

ويشبه في آيتنا هذه أَن تكون ﴿تِلۡكَ﴾ بمنزلة: هذه آيات الكتاب المبين، ويشبه أَن تكون متمكنة من حيث الآيات كلها وقت هذه المخاطبة لم تكن عتيدة.

و﴿نَتۡلُواْ﴾ معناه: نَقُصُّ ونتابع القصص.

وخصَّ تعالى في قوله: ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ من حيث إنهم هم المنتفعون بذلك دون غيرهم، [فخصوا تشريفاً][٢].

و﴿عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: مِن عُلُوِّ الطُّغْيان والتغلب.

وقوله: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد أَرَض مصر وموضع مُلْكه، ومتى جاءَت الأَرْض هكذا عامةً فإِنَّما يُراد بها الأَرض التي تشبه قصة المسوق؛ لأَن الأشياء[٣] التي تعم الأَرَض كلَّها قليلة، والأَكثر ما ذكرناه.

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «تقتضي».

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «الْأَنباء».

و«الشِّيَعُ»: الفِرَقُ، وكان هذا الفعل[(١)] من فرعون بأَن جعل القبط ملوكاً، مستخدِمين[(٢)]، وجعل بني إِسرائيل عبيداً مستخدَمين، وهم كانوا الطائفة المُسْتَضعَفَة.

و﴿يُذَبِّحُ﴾: مضعف للمبالغة والعبارةِ عن تكرار الفعل.

قال قتادة: كان هذا الفعل من فرعون لأَنه قال له كهنته وعلماؤُه: إِن غلاماً لبني إِسرائيل يفسد مُلْكك[(٣)]، وقال السدي: رأَى في ذلك رؤْيا فأَخذ بني إِسرائيل بِذَبْح الأَطفال سنين، فرأَى أَنه يقطع نسلهم، فعاد يذبح عاماً ويستحيي عاماً، فوُلد هارون في عام الاستحياءِ، وولد موسى في عام الذَّبح[(٤)].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يُذَبِّحُ﴾ بضم الياءِ وكسر الباءِ [على التكثير.

وقرأَ أَبو حيوة، وابن محيصن بفتح الياءِ والباءِ] وسكون الذال[(٥)].

قال وهب بن منبه: بلغني أَن فرعون ذبح في هذه المحاولة سبعين أَلفاً من الأَطفال.

وقال النقاش: جميع ما قتل ستة عشر طفلاً[(٦)].

قال القاضي أَبو محمد: طمع بجهله أَن يرُدَّ القدر، وأَين هذا المنـزع من قول النبي ﷺ [لعمر: «إِن يَكُنْه] فلن تقدر عليه»[(٧)]، يعني ابن صياد، وباقي الآية بَيِّن.

---

(١) في المطبوع: «القول».

(٢) سقط من المطبوع، وكذا «عبيداً» في الجملة التي بعيدها.

(٣) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٧٩)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٠).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٥١٦).

(٥) وهي شاذة انظر: الشواذ للكرماني (ص ٣٦٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٣٤)، وما بين المعكوفتين ساقط من الحمزوية.

(٦) استغربه الكرماني في غرائب التفسير (٢/ ٨٦٣)، ولم أقف على قول وهب بن منبه.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٨٩)، ومسلم (٢٩٣٠)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً، وسقط أوله من الأصل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝٦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾.

المعنى: يستضعف فرعونُ، ونحن نريد أن نُنْعم ونُعظم المنَّة على أولئك المستضعفين، والأَئمة: ولاة الأُمور، قال قتادة ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ يريد: أَرض مصر والشام[١].

وقرأَ الأَعمش: (وَلِنُمَكِّنَ) بلام[٢].

وقرأَ الجمهور: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾ بضم النون وكسر الراءِ وفتح الياءِ ونصب ﴿فِرْعَوْنَ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن مسعود: ﴿وَيَرَى﴾ بالياءِ وفتح الرَّاءِ وسكون الياءِ على الفعل الماضي، وإِسناد الفعل إِلى فرعون ومَنْ بعده[٣].

[والمعنى: ويقع فرعون وقومه وجنوده فيما خافوه وحَذِروه من جهة بني إِسرائيل وظهورهم][٤].

و«هامانُ» هو وزير فرعون وأَكبر رجاله، وذُكر لِمَحَلِّه من الكفر ولنباهته في قومه، فله في هذا الموضع صغار ولعنة لا شرف.

وهذا الوحيُ إِلى أُمِّ موسى قالت فرقة: كان قولاً في منامها، وقال قتادة: كان إِلهاماً[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٥١٨)، وفي الأصل ولالاليه ونور العثمانية: «قاله قتاده».

(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص٣٦٤).

(٣) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٠)، وابن مسعود ساقط من الأصل.

(٤) سقط من لالاليه.

(٥) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٧٩)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٨٧)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥١٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤١).

وقالت فرقة: كان بِمَلَك تَمَثَّل لها، وأَجمع الكل على أَنها لم تكن نبيَّة، وإِنما إِرسال المَلَك لها على نحو تكليم المَلَك للأَقرع والأَبرص في الحديث المشهور[١]، وغير ذلك مما رُوي من تكليم الملائكة للناس من غير نُبُوَّة.

وجملة أَمْر أُمِّ موسى أَنها علمت أَن الذي وقع في نفسها هو من عند الله ووعْد منه؛ يقتضي ذلك قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص: ١٣]، وهذا معنى قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: بالوعْد.

وقال السدي وغيره: أُمرت أَن ترضعه عقب الولادة، وأَن تصنع به ما في الآية؛ / [٤/ ١٥٢] لأَن الخوف كان عقب الولادة، وقال ابن جريج: أُمِرَت برضاعه أَربعة أَشهر في بستان، فإِذا خافت أَن يصيح ـ لأَن لبنها لا يكفيه ـ صنعت به هذا[٢].

قال القاضي أَبو محمد: والأَول أَظهر، إِلَّا أَنَّ الآخر يعضده أَمران: أَحدهما قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ و«إِذَا» ظرف لما يُستقبل من الزمان، والآخر لأَنه لم يقبل المراضع، والطفلُ إِثر ولادته لا يفعل[٣] ذلك، اللهم إِلاَّ أَن يكون هذا منه بأَن الله تعالى حرَّمَها عليه وجعله يأْباها بخلاف سائر الأَطفال.

وقرأَ عمرو بن عبد الواحد[٤]: (أَنِ ارضِعِيهِ) بكسر النون [وذلك على حذف

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (٢٩٦٤)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٢) ينظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٠).

(٣) في الأصل: «يعقل».

(٤) في فيض الله: «أبو عمر»، وفي نجيبويه: «بن عبد الرحمن»، وهو عمر بن عبد الواحد بن قيس أبو حفص السلمي الدمشقي، روى عن يحيى الذماري وتلا عليه كتاب الله، وقرأ عليه هشام بن عمار، وثقه العجلي وغيره توفي سنة (٢٠٠هـ)، تاريخ الإسلام (١٣/ ٣١٨).

الهمزة][١] عبطا لا تخفيفاً، والتخفيف القياسي[٢] فتح النون، قاله ابن جِنِّي[٣].

ونسب المهدوي هذه القراءَة إِلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[٤].

و﴿ٱلْيَمِّ﴾: جمهور الماءِ ومعظمه، والمراد نِيل مصر.

ورُوي في قصص هذه الآية أَن أُمَّ موسى ـ واسمها يوحانة ـ أَخذته ولفَّته في ثيابه، وجعلت له تابوتاً صغيراً، وشدته[٥] عليه بقفل وعلَّقت عليه مفتاحه وأَسلمته ثقة بالله وانتظاراً لوعده، فلما غاب عنها عاودها بثها[٦]، وأسفت[٧] عليه، وأَقنطها الشيطان، فاهتمت به وكادت تفتضح، وجعلت الأُخت تقُصُّه، أَي: تطلب أَثره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾.

«الالْتِقَاطُ»: اللقاءُ عن غير قصد ورؤية[٨]، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] وَمَنْهَلٍ وَرَدْتُهُ الْتِقَاطا ... لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدْتُهُ فُرَّاطا

---

(١) سقط من المطبوع، وفيه: «اعتباطاً»، بدل «عبطاً».

(٢) في المطبوع: «الفاشي».

(٣) المحتسب (٢/ ١٤٧)، وهي شاذة، انظرها فيه وفي الشواذ للكرماني (ص٣٦٥).

(٤) التحصيل للمهدوي (٥/ ١٤٣)، وكأن المؤلف خشي أن يكون وقع له لبس، وقد نسبها في البحر المحيط (٨/ ٢٨٧) لهما.

(٥) في الأصل ونور العثمانية وفيض الله: «وسدته».

(٦) في المطبوع: «خوفها».

(٧) في المطبوع: «وانشغلت».

(٨) سقط من المطبوع.

[إلا الحمـام القمـر والغطاطا فـهـن يلغطـن بـه إلغـاطـا[١]

ومنه اللقطة][٢].

و﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾: أَهْلُه وجملته[٣].

ويروى أَن آسية امرأَة فرعون رأَت التَّابوت يعوم في اليَمِّ فأَمرت بِسَوقه وفَتْحِهِ، فرأَت فيه صبيّاً صغيراً فرحمته وأَحبته.

وقال السدي: إِن جواريها كان لهن في القصر على النيل فُرْضة[٤]، يدخل الماءُ فيها إِلى القصر حتى يَنَلْنَه في المرافق والمنافع، فبينا هُنَّ يغسلن في تلك الفُرْضة إِذ جاءَ التابوت فحملنه إِلى مولاتهن.

وقال ابن إِسحاق: رآه فرعون يعوم فأَمر بسوقه، وآسيةُ جالسةٌ معه، فكان ما تقدم[٥].

وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ هي لام العاقبة، لا أَن القصد بالالتقاط كان لأَن يكون عدوّاً.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَحَزَنًا﴾ بفتح الحاءِ والزاي، وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: ﴿وَحُزْناً﴾ بضم الحاءِ وسكون الزَّاي[٦].

و«الخَاطِئُ»: مُتَعَمِّدُ الخطأِ، و«المُخْطِئُ»: الذي لا يَتَعَمَّدُهُ.

---

(١) البيتان لِنِقادة الأَسَدِيِّ، كما في لسان العرب (٧/ ٣٦٧)، وتاج العروس (٢٠/ ٧٤)، وفي لالاليه: «يلقطن إلقاطا».

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) الفُرْضة من النهر: مشرب الماءِ منه، ومن البحر: محط السفن.

(٥) انظر قولي السدي وابن إسحاق في تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٢)، بالمعنى.

(٦) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٩٢)، وانظر الباقين في البحر المحيط (٨/ ٢٨٧).

واختلف المتأولون في الوقت الذي قالت فيه امرأةُ فرعون: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾: فقالت فرقة: كان ذلك عند التقاط التابوت لمَّا أَشعرت فرعون به؛ إذ[١] سبق إلى وَهْمه أَنه من بني إِسرائيل، وأَن ذلك قُصِدَ بِهِ التَّخَلُّص من الذَّبْح، فقال: عليَّ بالذَّبَّاحين، فقالت امرأَته ما ذُكر، فقال فرعون: أَمَّا لي فَلَا، قال النبي ﷺ: «لو قال نعم لآمن بموسَى ولكان قُـرَّة عين له»[٢].

وقال السدي: بل رَبَّتْهُ حتى درج، فرأَى فرعون فيه شهامة، وظنَّه من بني إِسرائيل، وأَخذه في يده، فمدَّ موسى عليه السلام يده ونتف لحية فرعون، فهَمَّ حينئذ بذبحه، وحينئذ خاطبته بهذا، واختبرته له في الجمرة والياقوتة فاحترق لسانه[٣]، [وعلق العقدة][٤].

وقوله: ﴿لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي بأَنه الذي يَفْسُد المُلْكُ على يديه، قاله قتادة وغيره[٥].

وقرأَ ابن مسعود: (لا تقتلوه قُرَّة عَيْن لي وَلَكَ)[٦]، قدَّم وأَخَّر.

وقوله: ﴿وَأَصۡبَحَ﴾ عبارة عن دوام الحال واستقرارها، وهي كظَلَّ.

ومنه قول أَبي سفيان للعباس يوم الفتح: لقد أَصبح مُلْكُ ابن أَخيك اليوم[٧] عظيماً[٨].

---

(١) من المطبوع.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٦١/ ٢٠-٢٢)، من طريق مقاتل، وجويبر، كلاهما عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، وهذا إسناد ضعيف جداً، مقاتل هو ابن سليمان، كذبوه، وجويبر هو الأزدي، ضعيف جداً، ينظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٣٤، ٥/ ١٦٧)، ورواه الطبري (١٩/ ٥٢٤)، من طريق محمد بن قيس، عن رسول الله ﷺ، مرفوعاً به، وهذا إسناد معضل.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٣٠٠).

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٨٠)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٨٧)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٢٦).

(٦) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ١٥٩)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٣٩٥).

(٧) سقط من المطبوع.

(٨) إسناده جيد، أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٠)، من طريق محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد =

يريد: استقرت حاله عظيماً.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فَرِغًا﴾ من الفراغ، واخْتُلف في معنى ذلك، فقال ابن عباس: فارغاً من كل شيءٍ إِلَّا من ذِكر موسى[١]، وقال مالك: هو ذهاب العقل[٢].

قال القاضي أَبو محمد: كقوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

وقالت فرقة: فارغاً من الصبر.

وقال ابن زيد: فارغاً من وعْد الله تعالى ووحْيه إِليها[٣]، أَي: تناسَتْه بالهَمِّ، وفَتَر أَثَرُه في نفسها، وقال لها إِبليس: فررت به من قتْل لك فيه أَجْر، وقَتلْته بيدك.

وقال أَبو عُبَيْدَة: فارغاً من الحزن[٤]؛ إِذْ لم يغرق.

وقرأَ فَضَالة بن عبد الله ـ ويقال: ابن عُبَيْد[٥] ـ والحسن: (فَزِعاً) من الفزع بالفاءِ والزاي[٦].

= ابن مسلم الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٢٧)، من طريقي سفيان الثوري، وجابر بن نوح، كلاهما عن الأعمش، عن مجاهد، وحسان بن أبي الأشرس، كلاهما عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد لا بأس به.

(٢) انظره في الهداية لمكي (٨/ ٥٤٩٥)، والبيان والتحصيل (١٧/ ٤٨٣).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٨).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٩٨).

(٥) أما الأول: فهو فضالة بن عبد الله الليثي، ويقال الزهراني، له صحبة ورواية، وحديثه في البصريين لم يروه غير داود بن أبي هند، وفي إسناد حديثه اختلاف، الإصابة (٥/ ٢٨٦)، وأما الثاني: فهو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، أبو محمد، أسلم قديماً، وشهد أحداً فما بعدها، وشهد فتح مصر والشام قبلها، وولي الغزو، وولاه معاوية قضاء دمشق وتوفي في خلافته، الإصابة (٥/ ٢٨٣).

(٦) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٤٧)، وفيه: «ابن عبد الله»، ومختصر الشواذ (ص١١٣)، وفيه: «ابن عبيد»، وكلاهما زاد آخرين.

وقرأ ابن عباس: (قَرِعاً) بالقاف والرَّاءِ، من القارعة، وهي الهَمُّ العظيم، وقرأ بعض الصحابة رضي الله عنهم: (فِرْغاً) بالفاءِ المكسورة والراءِ الساكنة والغين المنقوطة[١]، ومعناها: ذاهباً هدراً تالفاً من الهمِّ والحزن، ومنه قول طلحة الأَسديِّ [في حبالٍ أخيه][٢]:

[الطويل]

فَإِنْ يَكُ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ نُفُوسُهُمْ فَلَنْ يَذْهَبُوا فِرْغاً بِقَتْلِ حِبَالِ[٣]

أَي: هدراً تالفاً لا يتبع[٤].

وقرأ الخليل بن أَحمد: (فُرُغاً) بضم الفاءِ والرَّاءِ[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي أَمْر ابنها، ورُوي أَن رسول الله ﷺ قال: «كادت أُمُّ موسى أَن تقول: وا ابناه، وتخرج صائحة على وجهها»[٦].

و«الرَّبْط على القلب»: تأْنيسُه وتقويته، ومنه قولهم للشجاع والصابر في المضائق:

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ١٤٨)، نقل الأولى عن ابن عباس، والثانية عن قطرب عن بعض الصحابة.

(٢) سقط من المطبوع ونجيبويه، وفي لالاليه: «حال أخيه»، وحبال هذا لم أجد له ترجمة، وفي المزهر للسيوطي (٢/ ١٦٨) أنه أخوه ويسميان بالطُّلَيحتين، وفي الروض الأنف (٥/ ١٠١) أنه ابن أخيه فهو حبال بن مسلمة بن خويلد، وفي تاريخ الطبري (٣/ ١٨٦) قصة قدومه على النبي ﷺ من عند عمه طليحة، وأما في الإصابة (٢/ ١٤٠) فقد ترجم له في القسم الثالث على أنه ابن طليحة، وأنه كان موجوداً لما ادّعى أبوه النُّبوة، وهذا أيضاً ظاهر مجمع الأمثال (٢/ ٢٢١)، وأورد فيه مثلاً قالته بنو أسد لما رأوا صنيع طليحة وطلبه بثأر ابنه.

(٣) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (١/ ٦٣٧)، الصحاح للجوهري (٤/ ١٦٦٥).

(٤) في المطبوع: ينفع.

(٥) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٨/ ٢٨٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٣٦٤) له ولأبي حيوة غير مضبوطة.

(٦) أخرج الطبري (١٩/ ٥٢٩) من طريق: سفيان، عن الأعمش، عن حسان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أن تقول: يا ابناه، وحسان هو ابن أبي الأشرس، وثقه النسائي وابن حبان.

رابط الجأش، قال قتادة: ربط على قلبها بالإِيمان[١].

وقوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي المصدقين بوعد الله، وبما أُوحي إِلَيْها بِهِ.

ثم قالت / لأُخت موسى طمعاً منها وطَلَباً له: ﴿قُصِّيهِ﴾، والقَصُّ: طلب الأَثر، [٤/ ١٥٣] فيُروى أَن أُخته خَرجت في سِكَك المدينة تبحث مختفية، فرأَته عند قوم من حاشية امرأة فرعون يطلبون له امرأَة تُرضعه حين لم يقبل المراضع.

و﴿عَن جُنُبٍ﴾ أَي: عن ناحية من غير قصْد ولا قُرْب يشعر لها به، يقال: [فيه جنب، و][٢] عن جنابة ومن جَنَاب، ومن جناب قول الشاعر[٣]:

لَقَدْ ذَكَّرَتْني عَنْ جَنَابٍ حمَامَةٌ بِعُسْفَانَ أَهْلِي فالفُؤَادُ حزينُ[٤] [الطويل]

ومن الجنابة قول الأَعشى:

أَتَيْتُ حُرَيْثاً زائِراً عَنْ جَنَابَةٍ فكان حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِدَا[٥] [الطويل]

قال القاضي أَبو محمد: وكان معنى هذه الأَلفاظ: عن مكان جُنُب، أَو عن بُعْد، ومعنى الآية: عن بُعْد، لم تَدْنُ منه فيشعر بها، وأَنشد أَبو عبيدة لعلقمة بن عبدة:

فَلَا تَحْرِمَنِّي نائِلاً عَنْ جَنَابَةٍ فَإِنِّي امرؤٌ وسْطَ الْقِبَابِ غَرِيبُ[٦] [الطويل]

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٨٠)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٨٧)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٣٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٧).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) في لالاليه: «جنب يجنب جنابة»، ونور العثمانية: «جنب وجناب وجنابة وجناب ومنه قول الشاعر»، وفي فيض الله: «وجناب وجنابة».

(٤) نسبه ياقوت في معجم البلدان (٤/ ١٢٢) لأعرابي لم يسمه.

(٥) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٢٦)، وتفسير الطبري (٨/ ٣٣٩)، والكامل للمبرد (٣/ ١٢)، والحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٥٩).

(٦) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٢٦)، والمفضليات (ص: ٣٩٤)، والكامل للمبرد (٣/ ١٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥٠).

وقرأ قتادة: (عن جَنْب) بفتح الجيم وسكون النون، وهي قراءة الحسن، والأعرج.

وقرأ: (عن جانِب) النعمانُ بن سالم[١].

وقرأ الجمهور: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ بضم الجيم والنون[٢].

وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ معناه: [لا يشعرون][٣] أَنها أُخته، وهذا من جملة لطائف الله تعالى له ولأُمِّه حسب الوعد الذي أُوحي إِليها، ويقال: بصرتُ بالشيءِ وأَبْصرتُ بمعنى واحد متقارب، قال المهدوي: وقيل: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ معناه: عن شوق، وهي لغة لِجذام، يقولون: جنبت إِلى لقائك، أَي اشتقت إِليه[٤].

وقال قتادة: معنى ﴿عَن جُنُبٍ﴾ أَنها تنظر إِليه كأَنها لا تريده[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا﴾ يقتضي أَن الله تعالى خَصَّه من الامتناع من ثدي النساءِ

---

(١) هو النعمان بن سالم الطائفي روى عن ابن عمر، وعنه: داود بن أبي هند، وشعبة، وثقه النسائي تاريخ الإسلام (٧/ ٤٩١).

(٢) واللتان قبلها شاذتان، عزا الأولى للثلاثة في المحتسب (٢/ ١٤٩)، والثانية فيه وفي تفسير الثعلبي (٧/ ٢٣٨)، ومختصر الشواذ (١١٣).

(٣) من المطبوع.

(٤) التحصيل للمهدوي (٥/ ١٣٥)، وفي تفسير الماوردي (٤/ ٢٣٩): «حكاه أبوعمرو بن العلاء».

(٥) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٩)، وتفسير الثعلبي القرآن (٧/ ٢٣٨)، وفي المطبوع: «تريده»، دون «لا».

بما يشذُّ به عن عرف الأَطفال، وهو تحريم تبغيض[١].

و﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾: جمع مُرْضع، واستعمل دون هاءِ التأْنيث لأَنه لا يلتبس بالرجال.

وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ معناه من أَول أَمره، و﴿قَبْلُ﴾ مبني، والضمير في ﴿فَقَالَتْ﴾ لأُخت موسى، قال النقاش: اسمها مريم[٢].

و﴿يَكْفُلُونَهُۥ﴾ معناه: يُحسنون تربيته وإِرضاعه. وعلم القوم أَن مُكَلِّمتهم من بني إِسرائيل، وكان ذلك عرف بني إِسرائيل، أَن يكونوا مراضع وخدمة.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَاصِحُونَ﴾ يحتمل أَن الضمير يعود على الطفل، [ويحتمل أن يعود على الملك الذي كان الطفل في ظاهر أمره من جملته، وقال ابن جريج: إن القوم تأولوا أنها أعادت الضمير على الطفل][٣] فقالوا لها: إِنك قد عرفتِهِ فأَخبرينا من هو؟ فقالت: ما أردت إِلَّا أَنهم ناصحون للملِك[٤]، فتخلصت منهم بهذا التأْويل.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يعود الضمير على الطفل ولكن يكون النصح له بسبب الملك وحرصاً على التَّزلُّف إِليه والقُرب منه، وفي الكلام هنا حذف يقتضيه الظاهر، وهو أَنها حملتهم إِلى أُمِّ موسى وكلموها في ذلك، فَدَرَّت عليه وَقَبِلَها، وحظيت بذلك، وأُحسن إِليها وإِلى أَهل بيتها، وقرَّت عينها، أَي سُرَّت بذلك.

وروي أَن فرعون قال لها: ما سبب قبول هذا الطفل؟ قالت له: إِنِّي طيبة الرائحة طيبة اللبن، ودمع الفرح بارد، وعين المهموم[٥] حرى سخنة، فمن هذا المعنى قيل: قَرَّت العين وسخنت.

---

(١) في الأصل: «تنقيص».

(٢) مثله في تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٣/ ٨٠٢)، بلا نسبة.

(٣) سقط من المطبوع، وسقط الاحتمال الأول من لالاليه.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٥٣٤).

(٥) في الأصل: «ودموع الهم».

وقرأ يعقوب: (نُقِرَّ) بنون مضمومة وكسر القاف[١].

ووَعْدُ اللَّهِ تعالى المشار إليه هو الذي أَوحاه إِليها أَوَّلاً، إِمَّا بِمَلَك وإما بمنامة[٢]، وإِمَّا بإِلهام حسب اختلاف المفسرين في ذلك، والقول بالإِلهام يضعف أَن يقال فيه: وعْد، وقوله تعالى: ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ يريد القبط.

و«الأَشُدُّ»: جمع شدة، [كنعمة وأنعم، هذا قول سيبويه[٣]، وقال غيره: الأشد جمع شد، وقالت فرقة: الأشد اسم مفرد وليس بجمع.

واختلف في قدر الأشد][٤] من السِّنين:

فقالت فرقة: بلوغ الحُلُم، وهي نحو مدة خمسة عشر عاماً، وقالت فرقة: ثمانية عشر عاماً، وقال السدي: عشرون، وقالت فرقة: خمسة وعشرون، وقالت فرقة: ثلاثون[٥].

وقال مجاهد وابن عباس: ثلاثة وثلاثون[٦]، وقالت فرقة عظيمة: ستة وثلاثون، وقال مجاهد وقتادة: الاستواءُ: أَربعون سنة، وقال مكي: وقيل هو ستون سنة[٧]، وهذا ضعيف.

و«الأَشُدّ»: شِدَّة الْبَدَن واستحكام أَسْره وقوته.

﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ معناه: تكامل عقله وحزمه، وذلك ـ عند الجمهور ـ مع الأَربعين.

---

(١) وهي شاذة، لم أجدها لغير المؤلف، والمعروف عن يعقوب قراءة الجماعة.

(٢) في المطبوع: «تمثُّله».

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٨٢).

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الماوردي (٤/ ٢٤٠)، لكنه نسب هو وتفسير البغوي (٢/ ١٧١) للسدي الأخير.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٣٥)، من طريق ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٧) لفظه في الهداية لمكي (٨/ ٥٥٠١): «وقيل: الاستواء: ستون سنة»، وقد تقدم أكثر هذه الأقوال في سورة الأنعام.

و«الحُكْمُ»: الحِكْمَة، و«العِلْمُ»: المعرفةُ بشرع إبراهيم عليه السلام، وهي مقدمة لنبوته ﷺ.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فقال السدي: كان موسى في وقت هذه القصة على رسم التعلُّق بفرعون، وكان يركب مراكبه[١] حتى أنه كان يدعى موسى بن فرعون، قالوا: فركب فرعون يوماً وسار إلى مدينة من مدائن مصر يقال لها منف، ثم علم موسى بركوب فرعون فركب بعده ولحق بتلك المدينة في وقت القائلة، وهو حين الغفلة، قاله ابن عباس[٢]، وقال أيضاً: هو ما بين العشاءِ والعَتَمة[٣].

وقال ابن إسحاق: بل المدينةُ مصرُ نفسها[٤].

وكان موسى في هذا الوقت قد بَدَت منه مجاهرة[٥] لفرعون وقومه بما يكرهون، فكان مختفياً بنفسه متخوفاً منهم، فدخل متنكراً حذراً[٦] / مغتفلًا للناس، وقال ابن زيد: بل كان فرعون قد نابذه وأخرجه من المدينة وغاب عنها سنين فنسي[٧] أَمره، وجاءَ هو، والناس على غفلة بنسيانهم لأَمره وبُعْد عَهْدهم به[٨]، وقيل: كان يوم عيد. [٤/ ١٥٤]

وقوله تعالى: ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾ في موضع الحال، أَي: مُقْتَتِلين.

---

(١) في المطبوع: «مواكبه».

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم (١٦٧٥٥) من طريق ابن جريج، عن محمد بن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عنه.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم (١٦٧٥٨)، كلاهما من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيهما ضعف.

(٤) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٦٠)، وفي تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٣)، بمعناه.

(٥) في المطبوع ولالاليه: «مجاهدة».

(٦) سقطت من المطبوع وأحمد٣.

(٧) في المطبوع: «ففشا».

(٨) تفسير الطبري (١٩/ ٥٣٧)، بمعناه.

و﴿شِيعَتِهِۦ﴾: بنو إسرائيل، ﴿عَدُوِّهِۦ﴾: القبط.

وذكر الأَخفش سعيدُ [بنُ مسعدةَ أَنها][1]: (فاسْتَعَانَه) بالعين غير معجمة[2]، وهي تصحيف لا قراءَة.

وذكر الثعلبي أَن الذي من شيعته هو السَّامِري، وأَن الآخر طباخ فرعون[3].

وقوله: ﴿هَٰذَا﴾، و﴿هَٰذَا﴾ حكاية حال قد كانت حاضرة، ولذلك عبَّر بـ﴿هَٰذَا﴾ عن غائب ماض.

و«الوَكْزُ»: الضرب باليد مجموعاً كعقد ثلاث وسبعين.

وقرأَ ابن مسعود: (فَلَكَزَه)، والمعنى واحد إِلَّا أَن اللَّكْز في اللِّحى، والوَكْز على القلب، وحكى الثعلبي أَن في مصحف ابن مسعود: (فَنَكَزَه)[4]، والمعنى واحد.

و(قضى عليه) معناه: قَتَلَه مجهزاً[5].

وكان موسى عليه السلام لم يُرد قتل القبطي لكن وافقت وكزتُه الأَجل وكان عنها موته، فندم، ورأَى أَن ذلك من نزغ الشيطان في يده، وأَن الغضب الذي اقترنت به تلك الوكزة كان من الشيطان ومن هَمْزه، ونصَّ هو عليه السلام على ذلك، وبهذا الوجه جعله من عمله، وكان فضل قوة موسى ربما[6] أَفرط في وقت غضبه بأَكثر مما يقصد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

---

(١) من المطبوع، وفي فيض الله: «الأخفش عن سعيد».

(٢) وهي شاذة، عزاها له ولسيبويه في الشواذ للكرماني (ص: ٣٦٦)، وفي إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٣٥) للحسن.

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٤٠).

(٤) وهما شاذتان، انظر عزو الأولى في تفسير الزمخشري (٣/ ٣٩٨)، والثانية في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٤١).

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) كتبت في المطبوع: «بما».

ثـم إِن ندامة موسـى حملتـه على الخضوع لربـه تعالى، والاسـتغفار عن ذنب [بـاء به عنـده تعالى][١]، فغفـر الله له خطأَه ذلك، قـال قتادة: عـرف ـ والله ـ المخرج فاستغفر[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ولـم يزل عليه السلام يَعْتدُّ[٣] ذلك على نفسه مع علمه بأَنه قد غُفِر له، حتى أَنه في القيامة يقول: وقتلتُ نفساً لم أُومر بقتلها حسب ما صحَّ في حديث الشفاعة[٤].

ثم قال عليه السلام لربه معاهداً: رَبِّ بنعمتك عليَّ وبسبب إِحسانك وغفرانك فأَنا ملتزم أَلَّا أَكون مُعيناً للمجرمين، هذا أَحسن ما تُؤُوِّل.

وقال الطبري: إِنه قَسَم، أَقْسَم بنعمة الله تعالى عنده[٥]، ويضعفه صورة جواب القسم؛ فإِنه غير متمكن في قوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾؛ لأَن القسم لا يتلقى بـ«لَنْ»، والفاءُ تمنع أَن تُنَـزَّل «لَنْ» منزلة «لا» أَو «ما» فتأَمَّله.

واحتج الطبري بأَن في قراءَة عبد الله: (فَلا تَجْعَلني ظَهِيراً)[٦].

قال القاضي أَبو محمد: واحتجَّ أَهل العلم والفضل بهذه الآية في[٧] خدمة أَهل

---

(١) سقط من المطبوع، وفيه: «عن ذنبه».

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥٥).

(٣) في المطبوع ولالاليه ونجيبويه: «يعيد».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (٣٢٧)، كلاهما من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعاً به.

(٥) لفظه في التفسير الطبري (١٩/ ٥٤١): «قال موسى رب بإنعامك علي بعفوك عن قتل هذه النفس... كأنه أقسم بذلك».

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٢)، وهي شاذة، وعزاها له أيضاً في معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٦٧).

(٧) في المطبوع زيادة: «مَنْع»، قال في الحاشية: هذه الكلمة سقطت من الأصل، والمعنى بدونها قد يفهم بما يمكن أن يكون ضِدّاً للمقصود.

الجوْر ومعونتهم[(١)] في شيءٍ من أَمرهم، ورأَوا أَنها تتناول ذلك، نصَّ عليه عطاءُ بن أَبي رباح وغيره[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ﴾ عبارة عن كونه دائم الخوف في كل أَوقاته، كما تقول: أَصبح زيد عالماً.

و﴿يَتَرَقَّبُ﴾ معناه: عليه رقبة من فعله في القتل، فهو متحسّس.

قال ابن عباس: فَمَرَّ وهو بحالة الترقُّب وإِذا ذلك الإِسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأَمس يقاتل آخر من القبط[(٣)].

وكان قتلُ القبطي قد خفي عن الناس واكتُتم، فلما رأَى الإِسرائيليُّ موسى استصرخه، بمعنى صاح به مستغيثاً، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] كُنَّا إِذا مَا أَتَانَا صارِخٌ فَزِعٌ كان الصّراخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابيب[(٤)]

فلما رأَى موسى قتاله لذلك الآخر؛ أَعظم ذلك، وقال له معاتباً ومُؤَنِّباً: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، وكانت إِرادة موسى ـ مع ذلك ـ أَن ينصر[(٥)] الإسرائيلي، فلما دنا منهما وجس[(٦)] الإِسرائيلي وفزع منه، وظنَّ أَنه ربما ضربه، وفزع من قوته التي رأَى بالَأمس، [فناداه بالفضيحة][(٧)] وشهر[(٨)] أَمر المقتول.

---

(١) في لالاليه: «معرفتهم».

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٦٠)، وغيره ليست في المطبوع.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٤٣)، من طريق أصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٤) البيت لسَلامة بن جَنْدل، كما تقدم في تفسير الآية **٢٤** من سورة إبراهيم.

(٥) في نجيبويه: «ينصرف».

(٦) في الأصل: «خشي».

(٧) سقط من المطبوع.

(٨) في المطبوع: «وشهد».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾.

قرأَ جمهور الناس: ﴿يَبْطِشَ﴾ بكسر الطاءِ.

وقرأَ الحسن، وأَبو جعفر: ﴿يَبْطُشَ﴾ بضم الطاء[1]، وهما لغتان.

فقال الإِسرائيلي لموسى معنى الآية بلسانه، وفر منه فشهر أَمر القتيل، والجبابرة شأْنهم قتل الناس بغير حق؛ فلذلك جعله الإِسرائيلي كذلك ونفى عنه الإِصلاح.

قال الشعبي: من قتل رجلين فهو جبار[2].

ولما اشتهر أنَّ موسى قتل القتيل، وكان قول الإِسرائيلي يغلب على النفوس تصديقه على موسى مع ما كان لموسى من المقدمات [أتى رأي فرعون وملئه على قتل موسى وذبحه، وغلب على نفس فرعون][3] أَنه المشار إِليه بفساد المملكة، فأَنفذ فرعون إِليه من يطلبه من جنده ويأْتي به للقتل، فخرج على الطريق الأَعظم.

وأَخذ رجل ـ يقال: إِنه مؤمن آل فرعون، ويقال: إِنه غيره ـ في بُنَيَّات الطريق قصداً إِلى موضع موسى فبلغه قولهم وقال له: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ الآية.

و﴿يَسْعَىٰ﴾ معناه: يُسرع في مشيه، قاله الزجاج وغيره[4]، وهو دون الجري.

---

(١) عشرية لأبي جعفر في النشر (٢/ ٢٧٤)، وللحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٩٤)، وفي المطبوع: «بضم التاءِ»، وهو سبق قلم.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٥)، في نجيبويه: «الشافعي»، وفي المطبوع بعد هذا زيادة: «قال الشعبي»، وليست في النسخ الخطية.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) لفظه في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٨): «يعدو».

وقال ابن جريج: معناه: يعمل وليس بالشَّدِّ(١).

قال القاضي أَبو محمد: وهذه نزعة مالك رحمه الله في سَعي الجمعة، والأَول عندي أَظهر في هذه الآية(٢).

و﴿يَأْتَمِرُونَ﴾: وزنه يفْتَعِلُونَ، ويَفْتَعِلُونَ يأْتي كثيراً بمعنى يَتَفَاعَلُون، ومنه ازْدَوج بمعنى تَزَاوج، وذهب ابن قتيبة إِلى أَنه بمعنى: يأْمر بعضُهم بعضاً، قال: لو كان ذلك لكان: يتآمرون(٣).

[٤/ ١٥٥] قال القاضي أَبو محمد: وذهب عنه أَنَّ / يَفْتَعل بمعنى يَتفَاعَل، وفي القرآن: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦]، وقد قال النَّمِر بن تَوْلَب:

[المتقارب]
أَرَى النَّـاسَ قَـدْ أَحْدَثُـوا شِـيمَةً ... وفـي كُـلِّ حـادِثَـةٍ يُـؤْتَـمَـرْ(٤)

وأَنشد الطبري:

[مجزوء الكامل]
مـا تَـأْتَـمِـرْ فِـيـنَـا فَـأَمْــ ... ـرُكَ فـي يَمِينِـكَ أَوْ شِـمالِكْ(٥)

ومنه قول ربيعة بن جشم(٦):

[المتقارب]
أَحَـارِ بْـنَ كَعْـبٍ كَأَنِّـي خَمِـرْ ... ويَعْـدُو على الْمَـرْءِ مـا يَأْتَمِرْ(٧)

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٣٨)، وفي المطبوع: «وقال الزجاج»، وفيه: «يعجل»، بدل «يعمل».
(٢) موطأ مالك (٢/ ١٤٨).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٣١)، وفيه: «أي يهمون بك» بدل «يأمر بعضهم بعضاً».
(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٠٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٤٨)، وغريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٦٠٥).
(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٧)، بلا نسبة.
(٦) في المطبوع: «جثم»، وفي مجاز القرآن أنه نمري.
(٧) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٠٠)، وغريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٦٠٤) وفي تفسير الماوردي (٤/ ٢٤٤)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٨٢)، وخزانة الأدب (١/ ٣٧٤) عن الشيباني والمفضل أنه لامرئ القيس. وفي تهذيب اللغة (١٥/ ٢١١) أنه للنمر بن تولب.

فخرج موسى عليه السلام وأَفلت من القوم فلم يجده أحد منهم، وخرج بحكم فزعه ومبادرته[١] إِلى الطريق المؤدية إِلى مدين، وهي مدينة قوم شعيب عليه السلام، وكان موسى لا يعرف ذلك الطريق، ولم يصحب أَحداً، فركب مجهلتها واثقاً بالله تعالى ومتوكلاً عليه.

قال السدي ومقاتل: فَرُوي أَن الله تعالى بعث إِليه جبريل ـ وقيل: مَلَكاً غيره ـ فسَدَّده إِلى طريق مدين وأَعطاه عصاً ـ يقال هي كانت عصاه[٢]، ورُوي أَن عصاه إِنما أَخذها لرعي الغنم في مدين، وهو أَصحُّ وأَكثر، وبين مدين ومصر مسيرة[٣] ثمانية أَيام، قاله ابن جُبَيْر والناس[٤]، وكان مُلْك مدين لغير فرعون.

وحكى الطبري عن ابن جُرَيْج، أَو ابن أَبي نَجِيْح ـ شَكَّ الطبريُّ ـ أَنه قال: إِن الذي أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ هو الإِسرائيليُّ، فنَهَاهُ موسى عن ذلك بعد أَن قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، ففزع الإِسرائيليُّ عند ذلك من موسى وخاطبه بالفضح[٥]، وكان موسى من الندامة والتَّوبة في حد[٦] لا يُتَصور معه أَن يريد البطش بهذا الفرعوني الآخر[٧].

وروى ابن جريج أَن اسم الرجل الساعي من أَقصى المدينة شمعون، وقال ابن إِسحاق: سمعان[٨].

قال القاضي أَبو محمد: والتَّـثَـبُّت في هذا ونحوه بعيد.

---

(١) ليست في المطبوع، وكذا لفظة: «المؤدية».

(٢) انظر قول مقاتل في تفسيره (٣/ ٣٤٠)، وسماه جبريل، وقول السدي في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٠).

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦١) عنه عن ابن عباس.

(٥) في المطبوع: «بالفصيح».

(٦) في المطبوع والتركية ونور العثمانية: «حين»، وفي نجيبويه: «خبر».

(٧) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٤)، وفيه ذكر الشك.

(٨) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٧).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

ولمَّا خرج موسى عليه السلام فارّاً بنفسه منفرداً حافياً لا شيءَ معه؛ رأى حاله وعدم معرفته بالطريق، وخُلُوَّه من زادٍ وغيره فاستند إِلى الله تعالى وقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وهذه الأَقوال منه تقتضي أَنه كان عارفاً بالله تعالى، عالماً بالحكمة والعلم الذي آتاه الله تعالى.

و﴿تَوَجَّهَ﴾: ردَّ وجهه إِليها.

و﴿تِلْقَآءَ﴾ معناه: إِلى ناحية، أَي إِلى الجهة التي يلقى فيها الشيءَ المذكور.

و﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ معناه: وسطه وقويمه[١].

وفي هذا الوقت بعث الله تعالى الملَك المُسَدِّد حسب ما ذكرناه قَبْلُ.

وقال مجاهد: أراد بـ ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريقَ مدين، وقال الحسن: أَراد سبيل الهدى[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا أَبرع[٣]، ونظيره قول الصِّديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «هو الذي يهديني السبيل» الحديث[٤].

فمشى عليه السلام حتى ورد مَدْيَنَ، أَيْ: بَلَغَهَا، وَوُرُودُه الماءَ معناه: بلوغه؛ لا أنه[٥]

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦١)، والأول في تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٠).

(٣) تحتمل في الأصل وفيض الله: «أبدع».

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٩٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٥) في المطبوع بدل: لا أنه: «لأنه»، وهو مفسد للمعنى.

دخل فيه، ولفظة الوُرود قد تكون بمعنى الدخول في المورود[1]، وقد تكون بمعنى الإِطلال عليه والبلوغ إِليه وإِن لم يدخل فيه، فوُرود موسى هذا الماءَ كان بالوصول إِليه، وهذه الوجوه في اللفظة تتأول[2] في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

و﴿مَدْيَنَ﴾: لا ينصرف؛ إِذ هي بلدة معروفة.

و«الأُمَّةُ»: الجمع الكثير.

و﴿يَسْقُونَ﴾ معناه: ماشِيَتَهُمْ.

و﴿مِن دُونِهِمُ﴾ معناه: ناحية إِلى الجهة التي جاءَ منها، فوصل إِلى المْرأَتين قبل وصوله إِلى الأُمة، وهكذا هما من دونهم بالإِضافة إِليه.

و﴿تَذُودَانِ﴾ معناه: تَمْنَعان وتَحْبِسان، ومنه قوله ﷺ: «فليذادن[3] رجالٌ عن حوضي» الحديث[4]، وشاهد الشعر في ذلك كثير.

وفي بعض المصاحف: (امْرَأَتَيْنِ حابِسَتَيْنِ تَذُودان) [5].

واختُلف في المذود[6]، فقال ابن عباس وغيره: تذودان غنمهما عن الماءِ خوفاً من السُّقَاةِ الأَقوياءِ[7]، وقال قتادة: تذودان الناس عن غنمهما[8]، فلما رأَى موسى عليه السلام

(١) في المطبوع: «الشيء».
(٢) في المطبوع: «تتناول قوله».
(٣) في المطبوع: «أَلاَ لَيُذَادَنَّ»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «فلا يذادن».
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٢٣٨)، ومسلم (٢٤٩)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.
(٥) وهي شاذة، عزاها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٥) لابن مسعود بلفظ: (وَدُونَهُمُ امْرَأَتانِ حَابِسَتَانِ).
(٦) في المطبوع ونجيبويه: «الذَّوْد».
(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٢)، وابن أبي حاتم (١٧٥٧٢)، كلاهما من طريق يزيد بن هارون، عن أصبغ بن يزيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به وهو حديث الفتون.
(٨) تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٤٣).

انتزاح[١] المرأَتين قال: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾؟ أَي: ما أَمركما وشأْنكما؟ وكأَن استعمال السؤال بالخطب إِنما هو في مصاب أَو مضطهد أَو من يشفق عليه أَو يأْتي بمنكر من الأَمر، فكأَنه بالجملة في شرٍّ، فأَخبرتاه بخبرهما، وأَن أَباهما شيخ كبير، فالمعنى أَنه لا يستطيع لضعفه أَن يباشر أَمْر غنمه، وأَنهما لضعفهما وقلَّة طاقتهما لا تقدران على مزاحمة الأَقوياءِ، وأَن عادتهما التأَنِّي حتى يُصدر [الرعاءُ ـ أَي][٢] الناسُ ـ عن الماءِ ويخلو، وحينئذ تَرِدان.

وقالت فرقة: كانت الآبار مكشوفة، وكان زَحْمُ الناس يمنعهما، فلما أَن أَراد موسى أَن يسقي لهما؛ زَحَمَ الناسَ وغلبهم على الماءِ حتى سقى، فعن هذا الغلب الذي كان منه، وصَفَتْهُ إِحداهما بالقوة.

وقالت فرقة: بل كانت آبارهم على أَفواهها حجارة كبار، وكان ورد المرأَتين يتبع ما في صهاريج الشرب من الفضلات التي تبقى للسقاة، وأَن موسى عليه السلام عمد إِلى بئر كانت مُغطَّاة والناس يسقون من غيرها، وكان حَجَرُها لا يرفعه إِلا سبعة، قاله ابن زيد، وقال ابن جريج: عشرة[٣]، وقال ابن عباس: ثلاثون[٤]، وقال الزَّجَّاج: أَربعون[٥].

فرفعه موسى وسقى للمرأَتين، فعن رفع الصخرة، وصَفَته بالقوة.

وقيل: إِن بئرهم كانت واحدة، وأَنه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة؛ إِذ كانت عادة المرأَتين شرب الفضلات.

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) من المطبوع.

(٣) انظر القولين في الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٦٩)، والثاني نقله الطبري (١٩/ ٥٥٥) عن شريح، ورواه تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٤) والنحاس في معاني القرآن (٥/ ١٧٤)، عن عمر ابن الخطاب، وفي الأصل في الثاني: «ابن زيد».

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٦٢-٥٦٣)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٥) لفظه في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤١) بعد أن ذكر القول بالعشرة: وقد قيل: إنه كان لا يقله أقل من أرْبعين نَفْساً.

وقرأ الجمهور: ﴿نَسۡقِي﴾ بفتح النون، وقرأ طلحة: (نُسقي) بضمها[١].

وقرأ أبو عمرو، وابن عامر: ﴿حتى يَصْدُر﴾ بفتح الياء وضم الدال، وهي قراءَة الحسن، وأَبي جعفر، وقتادة.

وقرأ الباقون: ﴿يُصۡدِرَ﴾ بضم الياءِ وكسر الدال على حذف المفعول، تقديره: مواشيهم، وحذف المفعول كثير في القرآن والكلام، / وهي قراءَة الأَعرج، وطلحة، والأَعمش، وابن أَبي إسحاق، وعيسى[٢]. [٤/ ١٥٦]

و﴿ٱلرِّعَآءُ﴾ جمع راعٍ.

وتولَّى موسى عليه السلام إِلى ظِلِّ سَمُرة، قاله ابن مسعود[٣].

وتعرض لسؤال ما يَطْعَمُه بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾، ولم يصرح بسؤال، هكذا رَوَى سائر المفسرين أَنه طلب في هذا الكلام ما يأْكله.

قال ابن عباس: وكان قد بلغ به الجوع، واخْضَرَّ لونه من أَكل البقل، وضعف حتى لصق بطنه بظهره ورؤيت خضرة البقل في بطنه، وإِنه لأَكرم الخلق يومئذ على الله[٤].

ويُروى أَنه لم يصل إِلى مدين حتى سقط باطن قدمه، وفي هذا معتبر وحاكم بِهَوَان الدُّنيا على الله تعالى.

---

(١) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٣٦٦).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١١٣) وقراءة أبي جعفر في تحبير التيسير (ص: ٤٩٧)، والباقين في البحر المحيط (٨/ ٢٩٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٦)، من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم (١٦٨٠٩)، كلاهما من طريق حكام ـ هو ابن سلم ـ، عن عنبسة ـ هو ابن سعيد الرازي ـ، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، قال الإمام أحمد: حكام كان يحدث عن عنبسة أحاديث غرائب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

في هذا الموضع اختصارٌ يدل عليه الظاهر، قدَّره ابن إسحاق: فذهبَتَا إلى أَبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاءَ في السقي، فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما، فأَمر الكبرى من بنتيه ـ وقيل الصغرى ـ أَن تدعوه له، فجاءَت على ما في هذه الآية[1]، وروي أَن اسم إِحداهما «ليا» والأُخرى «شرفا».

وروي أَن اسم زوجة نبي الله موسى منهما: «صفورة»، وقيل: اسمها «صوريا»[2].

وقال وهب بن منبه: زوَّجه الكبرى[3]، ورُوي عن النبي ﷺ أَنه زوَّجه الصغرى، ذكره الثعلبي ومكي من طريق أَبي ذر[4].

وقال النقاش: ويقال: كانتا توأَمتين وَوُلدت الأُولى قبل الأُخرى بنصف نهار[5].

وقوله: ﴿تَمۡشِي﴾ حال من ﴿إِحۡدَىٰهُمَا﴾، وقوله: ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ أَيْ خَفِرة

---

(١) انظر رواية ابن إسحاق للقصة في تفسير الطبري (١٩/ ٥٦٠).

(٢) انظر هذا الخلاف في أسمائهما في الهداية لمكي (٨/ ٥٥٢١)، وغيره.

(٣) عزاه في زاد المسير (٦/ ٢١٦) لمقاتل.

(٤) ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٢١)، من طريق عوبد بن أبي عمران، عن أبيه، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً به، قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن أبي عمران إلا ابنه عوبد، ولا يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد، وعوبد هذا متفق على تركه، انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٣٠٤)، وانظر الهداية لمكي (٨/ ٥٥١٥)، ولم أجده في تفسير الثعلبي المتوفر.

(٥) انظر مثل هذا في تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٩٣)، وتفسير البحر المحيط (٨/ ٢٩٨).

قد سترت وجهها بكم درعها، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١]، وقال عمرو بن ميمون: لم تكن سَلْفَعاً من النساءِ، ولَّاجَةً خرَّاجَةً[٢].

واختلف الناسُ في الرجل الداعي لموسى عليه السلام، من هو؟

فقال الجمهور: هو شعيب عليه السلام، وهما ابنتاه.

وقال الحسن: هو ابن أَخي شعيب واسمه ثروان، وقال أبو عبيدة: يثرون، وقيل: هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب[٣].

وقيل: إِن المرأَتين إِنما كان مرسلهما عمهما، وهو كان صاحب الغنم، وهو المزَوِّج، لكن عبّر عن العم بالأَب في جميع الأَمر إِذ هو بمثابته.

وروي أَن موسى عليه السلام لمَّا جاءَته بالرسالة أَجاب، فقام يتبعها إِلى أَبيها، فهبت ريح ضمَّت قميصها إِلى بدنها فوصفت عجيزتها، فتحرَّج موسى عليه السلام من النظر إليها، فقال لها: ارجعي خلفي وأَرشديني الطريق، ففهمت عنه [فذلك سبب وصفها له][٤] بالأَمانة، قاله ابن عباس[٥].

فوصل موسى إِلى داعيه، فقصَّ عليه أَمْره من أَوله إِلى آخره، فآنسه بقوله: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وكانت مَدْيَن خارجة عن مملكة فرعون، فلما فرغ كلامهما قالت الابنة التي ذهبت عنه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ الآية، فلما وصفته بالقوة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٢)، من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه به.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٥)، وتفسير الطبري (١٩/ ٥٥٩)، والسلفع: الجريئة على الرجال.

(٣) انظر قول أبي عبيدة في تفسير الطبري (١٩/ ٥٦١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٦)، وفيهما عن الحسن أنه سيد الماء وفي المطبوع: «ابن أَبي عبيدة»، وفي لالاليه: «أبو عبيد»، وفي الأصل: «بسبب» مع الإشارة للنسخة الأخرى في الهامش.

(٤) في المطبوع: «ذلك فوصفته».

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٦٢)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

والأَمانة قال لها أَبوها: ومن أَين عرفت هذا منه؟ فقالت: أَما قُوَّته ففي رفع الصخرة، وأَما أَمانته ففي تحرُّجه عَنِ النَّظر إِلَيَّ وقت هبوب الرياح، قاله ابن عباس، وقتادة وابن زيد وغيرهم(١).

فقال له عند ذلك الأَب: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ﴾ الآية، قال ابن عباس: فزوَّجه التي دعته(٢).

و«تَأْجُر» معناه: تثيب، وقال مكي: في هذه الآية خصائص في النكاح، منها أَنه لم يُعَيِّن الزوجة، ولا حدَّ أَول الأَمد، وجعل المهر إِجارة، ودخل ولم يَنْقُدْ شَيئاً(٣).

قال القاضي أَبو محمد: أَمَّا التعيين فيشبه أَنه كان في ثاني حال المراوضة، وإِنما عرض الأَمر مجملاً، وعيَّن بعد ذلك، وأَمَّا ذِكْرُ أَول المدة فليس في الآية ما يقتضي إِسقاطه؛ بل هو مسكوت عنه؛ فإِما رسماه وإِلَّا فهو من وقت العقد.

وأَما النكاح بالإِجارة فظاهر من الآية، وهو أَمر قد قرَّره شرعنا، وجرى به في حديث الذي لم يكن عنده إِلَّا شيءٌ من القرآن(٤).

وذهب بعض العلماءِ إِلى أَن ذلك خاصٌّ، وبعضهم إِلى أَنه منسوخ، ولم يجوِّز مالك رحمه الله النكاح بالإِجارة، وجوَّزها ابن حبيب وغيره، إِذا كانت الأُجرة تصل إِلى الزوجة(٥).

قيل: ومن لفظ شعيب عليه السلام حَسُن في لفظ العقود في النكاح: أَنْكَحَه

---

(١) انظر قولهما في تفسير الطبري (١٩/ ٥٦٤)، وأثر ابن عباس تقدم، وفي المطبوع بدل قتادة: «وقاله»، ولعله تحريف.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٦٦)، من طريق السدي، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهو منقطع.

(٣) الهداية لمكي (٨/ ٥٥٢٢)، وهو منقول بالمعنى.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠٢٩) (٥٨٧١) ومواضع أخرى ومسلم (١٤٢٥).

(٥) انظر قول مالك في جامع الأمهات (ص: ٢٧٧) ومع قول ابن حبيب في الاستذكار (٥/ ٤١٦).

إِيَّاها، أَكثر من أَنْكَحَهَا إِيَّاهُ، وهذا مُعْترض، وجعل شعيب الثمانية الأَعوام شرطاً، ووكل العامين إِلى المروءَة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

لمَّا فرغ كلام شعيب قرره[1] موسى عليه السلام، وكرَّر معناه على جهة التوثق في أَن الشرط إِنما وقع في ثماني حجج.

و﴿أَيَّمَا﴾ استفهامٌ نُصب بـ﴿قَضَيْتُ﴾، / و(مَا) صلة للتأْكيد. [٤/ ١٥٧]

[وقرأ الحسن: (أيْما) بسكون الياء، وقرأ ابن مسعود: (أي الأجلين ما قضيت)][2].

وقرأَ الجمهور: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ بضم العين، وقرأَ أَبو حيوة: (فلا عِدوان) بكسر العين[3].

والمعنى: لا تَبِعة عليَّ من قولٍ ولا فعلٍ.

و«الوَكيلُ»: الشاهد القائم بالأُمور.

قال ابن زيد: ولمَّا كمل هذا النكاح بينهما أَمر شعيب موسى أَن يسير إِلى بيت له

(١) كتبت في المطبوع: «كرره».
(٢) ساقط من المطبوع، وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ١٥٠)، والشواذ للكرماني (ص٣٦٧)، والثانية في مختصر الشواذ (ص١١٣)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٤٠٦)، وفي لالاليه: «أي الأجلين قضيت».
(٣) وهي شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٦١٤).

فيه عِصِيٌّ، وفيه هذه العَصَا، فرُوي أَن العَصَا وثبت إِلى موسى فأَخذها، وكانت عَصَا آدم، وكانت من عير[(١)] ورقة الريحان، فروي أَن شعيباً أَمره بردِّها ففعل وذهب يأْخذ غيرها فوثبت إِليه، وفعل ذلك ثالثة، فلما رأَى شعيب ذلك علم أَنه مرشح للنبوة فتركها له.

وقيل: إِنما تركها له لأَنه أَمر موسى بتركها فأَبَى موسى من ذلك، فقال له شعيب: نمدُّ إِليها جميعاً فمن طاوعت له فهي له، فمدَّ إِليها شعيب فثقلت، ومدَّ موسى فخفَّت ووثبت إِليه، فعلما أَن هذا من الترشيح.

وقال عكرمة: إِن عصا موسى إِنما دفعها إِليه جبريل عليه السلام ليلاً عند توجُّهه إِلى مدين[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾؛ قال سعيد بن جبير: سأَلني رجل من النصارى: أَي الأَجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أَدري حتى أَقدم على حبر[(٣)] العرب، أَعني ابن عباس، فقدمتُ عليه فسأَلته، فقال: قضى أَكملهما وأَوفاهما، إِن رسول الله إِذا قال وفَّى، فعدت فأَعلمتُ النصراني، فقال: صدق والله هذا العالِمُ[(٤)].

وروي عن ابن عباس أَن النبي ﷺ سأَل في ذلك جبريل عليه السلام، فأَخبره أَنه قضى عشر سنين[(٥)]، وحكى الطبري عن مجاهد أَنه قضى عشراً وعشراً بعدها[(٦)].

---

(١) كتبت في أكثر النسخ: «غير»، وأشار في هامش أحمد٣ إلى أن في نسخة: «من عين»، وقد تقدم التعليق عليها في تفسير سورة الشعراء.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٥٦٨)، وفي المطبوع: «رفعها»، بدل: «دفعها».

(٣) في المطبوع ولالاليه: «خير».

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٥٦٩)، من طريق ابن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنه به، حكيم بن جبير، متروك الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٧/ ١٦٥).

(٥) منكر، أخرجه الحميدي في مسنده (٥٣٥)، ومن طريقه ابن أبي حاتم (١٦٨٦٥)، من طريق إبراهيم ابن يحيى بن أبي يعقوب، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً به، وليس فيه ذكر العشر سنين، وهذا إسناد ضعيف جداً، إبراهيم بن أبي يحيى، ذكره الذهبي في الميزان (١/ ٧٣-٧٤)، وقال: عن الحكم بن أبان بخبر منكر، والرجل منكر، ثم ذكر حديثه هذا. ورواه ابن أبي حاتم (١٦٨٦٦)، من طريق يوسف بن سرج، عن النبي ﷺ، مرسلاً.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٥٧٠).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف.

وفي قصص هذه الآية: أَن موسى عليه السلام لما قضى الأَجل أَراد أَن يسير بأَهله إِلى مصر بلده[١] وقومه، وقد كان لا محالة أَحَسَّ بالترشيح للنبوة، فسار[٢] وكان رجلًا غيوراً لا يصحب الرِّفاق، فلما جاء في بعض طريقه في ليلة مظلمة، مردة حرة[٣] قال النقاش: كانت ليلة جمعة، ففقدوا النار، وأَصْلَدَ الزِّناد، وضلُّوا الطريق، واشتد عليهم الخَصَر[٤].

فبينا هو كذلك إِذ رأَى ناراً، وكان ذلك نوراً من نور[٥] الله تعالى قد التبس بشجرة.

قال وهب: كانت عُلَّيقاً، وقال قتادة: كانت عَوْسَجاً[٦]، وقيل: زَعْروراً.

وقيل: سمُرة، قاله ابن مسعود[٧].

و﴿ ءَانَسَ ﴾ معناه: أَحسَّ، والإِحساس هاهنا بالبصر، ومن هذه اللفظة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]، ومنها قول حسَّان:

انْظُـرْ خَلِيلِـي ببـابِ جِلَّـق هَـلْ   تُؤْنِسُ دونَ البَلْقَاءِ مِنْ أَحَدِ[٨]   [المنسرح]

وكان هذا الأَمر كله في جانب الطور، وهو جبل معروف بالشام، و«الطُّور»: كلُّ جبل، وخصَّصه قوم بأَنه الذي لا ينبت.

فلما رأَى موسى النار سُرَّ، فقال لأَهله: أَقيموا فقد رأَيت ناراً، آتيكم منها بخبر[٩]

---

(١) ليست في المطبوع.
(٢) ليست في المطبوع.
(٣) ليستا في المطبوع.
(٤) الخَصرُ: شدة البَرْد، أو ألم البَرْد في الأطراف.
(٥) من المطبوع ولالاليه.
(٦) انظر قول وهب (٧/ ٢٤٨)، وقول قتادة في تفسير الطبري (١٩/ ٥٧٣).
(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٦)، من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه به.
(٨) تقدم في تفسير الآية (٢٧) من سورة النور.
(٩) في المطبوع بدل هذه الآية: «فلما قضى موسى الأجل»، ولعله خطأ.

عن الطريق، أَين هو، ﴿أَوۡ جَذۡوَةٍ﴾ وهي: القطعة من النار في قطعة عُودٍ كبيرة لا لهب لَهَا، إِنما هي جمرة، ومن ذلك قول الشاعر:

[البسيط] باتَـتْ حواطِـبُ لَيْلَـى يَلْتَمِسْـنَ لَهَـا جَـزْلَ الجِـذَا غَيْـرَ خَـوَّارٍ وَلَا دَعِرِ[١]

قال القاضي أَبو محمد: وأَحسب أَن أصل الجذوة أُصول الشجر، وأَهل البوادي أَبداً يوقدونها، فتلك هي الجذوة في الحقيقة، ومنه قول السُّلَمي[٢] يصف الصَّلى:

[الطويل] حمـا حُـبُّ هـذا النَّـارِ حُـبَّ خَليلتي وحُـبَّ الْغَوَانـي فَهـو دُونَ الحَبائِـبِ
وبُدِّلْـتُ بعـد الْبَـانِ والمِسْـكِ شِـقْوَةً دُخانَ الْجِذَا في رأْسِ أَشْمَطَ شاحِبِ[٣]

وقرأَ الجمهور: ﴿جِذْوَةٍ﴾ بكسر الجيم.

وقرأَ حمزة، والأَعمش: ﴿جُذْوَةٍ﴾ بضمها.

وقرأَ عاصم: ﴿جَذۡوَةٍ﴾ بفتحها[٤]، وهي لغات.

و«الصَّلَى»: حرُّ النار.

و﴿تَصۡطَلُونَ﴾: تَفْتَعِلُونَ، أُبدلت التَّاءُ طاءً.

فلما أَتى موسى ذلك الضوءَ الذي ـ رآه وهو في تلك الليلة ابن أَربعين سنة ـ نُـبِّئَ ﷺ.

فرُوي أَنه كان يمشي إِلى ذلك النور فكان يبعد منه، تمشي به الشجرة وهي خضراءُ غَضَّةٌ حتَّى نودي.

---

(١) البيت لتميم بن مقبل، كما في مجاز القرآن (٢/ ١٠٣)، والكامل للمبرد (٢/ ١١٤)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٢٠).

(٢) هو أشجع بن عمرو من ولد الشريد بن مطرود السلمي يكنى أبا الوليد، قال الشعر فأجاد وعد في الفحول وافتخرت به قيس، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه فأعجب به، ووصله إلى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضاً، الأغاني (١٨/ ٢١٩).

(٣) انظر عزوه له في البحر المحيط (٨/ ٢٨٤)، والدر المصون (٨/ ٦٦٨).

(٤) فهي ثلاث قراءات سبعية، انظر التيسير (ص: ١٧١).

و«الشَّاطئُ والشَّطُّ»: ضفة الوادي.

وقوله: ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ يحتمل أَن يكون من اليُمْن صفةً للوادي أَو الشاطئ، ويحتمل أَن يكون معادلاً لليسار، فذلك لا يوصف به الشاطئ إِلَّا بالإِضافة إِلى موسى في استقباله مهبط الوادي، أَو بعكس ذلك، وكل هذا قد قيل.

و«بَرَكَةُ البُقْعة» هي ما خُصَّتْ به من آيات الله تعالى وأَنواره وتكليمه لموسى عليه السلام.

والناسُ على ضمِّ الباءِ من (بُقْعَة)، وقرأَ بفتحها الأَشهب العقيلي[١].

قال أَبو زيد: سمعت من العرب: هذه بَقعة طيبة بفتح الباءِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ يقتضي أَن موسى عليه السلام سمع ما سمع من جهة الشجرة، وسمع وأَدرك غير مكيف ولا محدد.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ﴾؛ يحتمل أَن تكون ﴿أَن﴾ مفسِّرة، ويحتمل أَن تكون في موضع نصب بإِسقاط حرف الجرِّ.

وقرأَت فرقة: (أني أنا الله) بفتح الهمزة[٣] من ﴿إِنِّيٓ﴾.

ثم أَمره تعالى بإِلقاء العصا فأَلقاها فانقلبت حيَّةً عظيمة، ولها اضطراب الجانِّ، [وهي صغير الحيَّات، فجمعت هول الثعبان ونشاط الجانِّ][٤]، هذا قول بعضهم.

وقالت فرقة: بل الجانُّ يعُمُّ الصغير والكبير، وإِنما شبه بالجان جملة العصا

---

(١) مختصر الشواذ (ص١١٤)، والشواذ للكرماني (ص ٣٦٧)، وفي لالاليه ونور العثمانية وفيض الله: «أبو الأشهب»، دون ذكر العقيلي.

(٢) إصلاح المنطق (ص: ٩٠).

(٣) في نجيبويه ونور العثمانية: بفتح «إني»، وفي التركية: «بفتح الياء»، وهي شاذة، لم أقف عليها لغير المؤلف.

(٤) سقط من الأصل.

لاضطرابها فقط، وولَّى موسى عليه السلام مدبراً فزِعاً منها.

و(لم يعقِّب) معناه: لم يرجع على عقبه من تولِّيه، فقال الله تعالى له: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ﴾، [فأقبل وقد أمن بتأمين][1] الله تعالى إِيَّاه.

ثمَّ أَمره بأَن يدخل يده في جيبه، وهو فتح الجبَّة من حيث يخرج رأْس الإِنسان، ورُوي أَن كمَّ الجبَّة كان في غاية الضِّيق فلم يكن له حيث[2] يدخل يده فيه إِلاَّ في جيبه.

واسْلُكْ معناه: أَدْخِل، ومنه قول الشاعر:

[البسيط] حَتَّى سَلَكْنَ الشَّوى منهُنَّ في مَسَكٍ ... مِـنْ نَسْـلِ جَوَّابَةِ الآفـاقِ مِهْدَاجِ[3]

[٤/ ١٥٨] وقوله تعالى: ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾؛ أَيْ: مِن غير برص ولا مثلة[4]، / ورُوي أَن يده كانت تُضِيءُ كأَنها قطعة شمس.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾؛ ذهب مجاهد، وابن زيد [إلى أن ذلك حقيقة[5]، أمره بضم عضده وذراعه وهو الجناح إلى جنبه ليخف بذلك فزعه، ومن شأن الإنسان إذا فعل ذلك في أوقات فزعه أن يقوى قلبه.

وذهبت فرقة][6] إِلى أَن ذلك على المجاز والاستعارة، وأَنه أَمره بالعزم على ما أُمِرَ به، وأَنه كما تقول العرب: اشدد حَيازِيمك، واربط جأْشك؛ أَي: شمِّر في أَمرك،

---

(١) في المطبوع: «وهذا من تأْمين».

(٢) في المطبوع والحمزوية وفيض الله: «جيب».

(٣) البيت لأبي وجْزَةَ السَّعْدِيِّ، كما تقدم في تفسير الآية (١٢) من سورة الحجر، والشَّوَى: قوائم الحُمُر الوحشية، والمَسَك هنا: الماءُ الذي سارت فيه الأُتُنُ ووضعت قوائمها فيه فصار حولها كالمَسَك وهو السِّوار، وقوله: جوابة الآفاق: يريد الرِّيح، والمهداج: التي لها صوت وحنين.

(٤) في المطبوع ولالاليه: «مرض ولا مثله»، وفي نجيبويه: «مرض ولا مثلة».

(٥) تفسير مجاهد (ص: ٥٢٨)، ونقله عنهما تفسير الطبري (١٩/ ٥٧٥)، بمعناه.

(٦) ساقط من المطبوع.

ودع الرهب، وذلك لمَّا كثُر تخوفه وفزعه في غير ما موطن، قاله أَبو علي[١].

وقوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ﴾ قال مجاهد، والسدي: «هي إِشارة إِلى العصا واليد»[٢].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والناس: ﴿الرَّهَب﴾ بفتح الراءِ والهاءِ.

وقرأَ عاصم، وقتادة: ﴿ٱلرَّهْبِ﴾ بسكون الهاءِ.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وعاصم أَيضاً: ﴿الرُّهْب﴾ [بضم الراءِ وسكون الهاءِ.

وقرأ الجحدري: (الرُّهُب)][٣] بضم الراء والهاء.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿فَذَانِّكَ﴾ بشد النون، وقرأَ الباقون: ﴿فَذَٰنِكَ﴾ بتخفيف النون.

وقرأَ شبل عن ابن كثير: (فَذَانِيكَ) بياءٍ بعد النون المخففة، أَبدل إِحدى النونين ياءً كراهة التضعيف، وقرأَ ابن مسعود: (فَذَانِّيكَ) بالياءِ أَيضاً مع شد النون، وهي لغة هذيل، وحكى المهدوي أَن لغتهم تخفيف النون[٤].

و﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾: حُجَّتان ومُعْجِزتَانِ.

وباقي الآية بَيِّن.

---

(١) انظر كلامه على الآية في الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٤١٥).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٥٢٩)، تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٧٦).

(٣) ساقط من المطبوع، والقراءات الثلاث الأولى سبعية، والأولى عن عاصم لحفص والأخرى لشعبة انظر: السبعة (ص: ٤٩٣)، والتيسير (ص: ١٧١)، والرابعة شاذة، انظر عزوها للجحدري في الشواذ للكرماني (ص٣٦٧).

(٤) القراءتان بلا ياء سبعيتان، كما في التيسير (ص: ١٧١)، وانظر رواية شبل في السبعة (ص: ٤٩٣)، وقراءة ابن مسعود في البحر المحيط (٨/ ٣٠٤)، وقول المهدوي في التحصيل (٥/ ١٤٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

كان موسى عليه السلام قد امتُحن بمخاوف فطلب شدَّ العضد بأَخيه هارون؛ لأَنه كان فصيح اللسان سمح الخُلُق.

وقرأَ الجمهور: ﴿رِدْءًا﴾ بالهمز، وقرأَ نافع وحده: ﴿رِداً﴾ بتنوين الدال دون همز، وهي قراءَة أَبي جعفر والمدنيين[(١)]، وذلك على التخفيف من «رِدْءٍ».

و«الرِّدْءُ»: الوزير المعين والذي يستند إِليه في الأَمر، وذهبت فرقة إِلى أَنها من معنى الزِّيادة، كما قال الشاعر:

[الطويل] وأَسْمَرَ خَطِّيّاً كأَنَّ كُعُوبَهُ نَوَى القَسْبِ قَدْ أَرْدَى ذِرَاعاً عَلَى العَشْرِ[(٢)]

وهذا على ترك الهمز، وأَن يكون وزنه فِعْلاً.

---

(١) سقطت من المطبوع، وفيه بتنوين النون، وهو سبق قلم، والقراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧١)، النشر (١/ ٤١٤).

(٢) البيت لحاتم الطائي، كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي (٢/ ٣٧٤)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٦٢)، معجم ديوان الأدب (٤/ ١٠٧)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٢٠٠)، ونسبه في تهذيب اللغة (١٤/ ١١٨) لأوس بن حجر، وفي الوساطة للجرجاني (ص: ٢٤١): ويروى لربيعة بن مرداس، وفي سمط اللآلي (١/ ٦٨٦): الصحيح أنها لعتيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم، وهو المعروف بابن فسوة.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يُصَدِّقْني﴾ بالجزم، وذلك على جواب ﴿فَأَرْسِلْهُ﴾.

وقرأ عاصمٌ وحمزة: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾[١]؛ أَي: مصدقاً، فهو صفة للرِّدْءِ، أَو حالٌ.

و«شَدُّ العَضُد»: استعارةٌ في المعونة والإِنهاض.

وقرأ الحسن بضم العين من (عُضُدَكَ)، وقرأ عيسى بن عمر بفتح العين والضاد[٢].

و«السُّلْطَانُ»: الحُجَّةُ.

وقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يحتمل أَن تتعلق الباءُ بقوله: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا﴾، أَو بـ﴿يَصِلُونَ﴾ وتكون باءَ السَّبَب، ويحتمل أَن تتعلَّق بقوله: ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾؛ أَي: تَغْلبون بآياتنا.

والآياتُ هاهنا معجزاته عليه السلام، ولمَّا كذبوه ورموه بالسِّحر قارب موسى عليه السلام في احتجاجه، وراعَهُ تكذيبهم، فردَّ الأَمر إِلى الله عز وجل، وعوَّل على ما يظهره الله تعالى في شأْنهم، وتوعدهم بنقمة الله تعالى منهم.

وقرأ ابن كثير: ﴿قال موسى﴾ بغير واو، وقرأ غيرُه وجميع السبعة: ﴿وَقَالَ﴾ بواو[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿تَكُونُ لَهُۥ﴾ بالتَّاءِ، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يَكُونُ﴾ بالياءِ[٤] على التذكير؛ إِذ هي بمنزلة العاقب، [فهي كالصوت والصيحة والوعظ والموعظة][٥].

واستمر فرعون على طريق مَخْرَقَته على قومه، وأَمر هامان أَن يطبخ له الآجُرَّ، وأَن يبني له صرحاً؛ أَي: سَطْحاً في أَعلى الهواءِ، وليس الصَّرْح إِلَّا ما له سطْحٌ، ويحتمل

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧١)، وفي المطبوع بدل حمزة: «وحده»، وهو خطأ.

(٢) وهما شاذتان، انظر: الشواذ للكرماني (ص٣٦٨).

(٣) فهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧١).

(٤) فهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٩٤).

(٥) ساقط من المطبوع.

أَن يكون الإِيقاد على الطِّين كَالْبَراني[١]، وتَـرَجَّى بزعمه أَن يطلع في السماءِ، فروي عن السدي أَنه بناه أَعلى ما يمكن، ثم صعد فيه، ورمى بالنبل فردَّها الله تعالى إِليه مخضوبة بالدَّم ليزيدهم عمًى وفتنة[٢]، فقال فرعون حنيئذ: إِنِّي قتلت إِله موسى، ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ يريد في أَن موسى أرسله مرسل[٣]، فالظن على بابه، وهو في معنى إِيجاب الكفر له بمنزلة التصميم على التكذيب.

وقرأَ حمزة، والكسائي، ونافع: ﴿لا يَرْجِعون﴾، وقرأَ الباقون والحسن وخالد[٤]: ﴿لَا يُرۡجَعُونَ﴾ بضم الياءِ وفتح الجيم[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

(نَـبَذْنَاهُم) معناه: طرحناهم، ومنه نبذ النواة، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

نَـظَـرْتُ إِلَـى عُـنْوانِـهِ فَـنَـبَذْتُـهُ ... كَنَـبْـذِكَ نَعْلاً مِنْ نِعَالِـكَ بَالِيَا[٦]

---

(١) البَرَانِيُّ: جمع بَرْنِيَّة، وهي إِناءٌ واسع الفم من خزف أو زجاج ثخين.

(٢) الهداية لمكي (٨/ ٥٥٣٦)، بمعناه.

(٣) في المطبوع: «في أن موسى راسله».

(٤) «وخالد» ليس في المطبوع والتركية، وفي نجيبويه بدلًا منه: «مجاهد».

(٥) فهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٩٤).

(٦) هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي كما في مجاز القرآن (١/ ٤٨)، وتفسير الطبري (٢/ ٤٠١)، والدلائل في غريب الحديث (٢/ ٥٠١)، والزاهر للأنباري (١/ ١٨٣)، وإسفار الفصيح (٢/ ٧٠٠)، والرواية في جميع المصادر: كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا، والقصيدة كافية لا يائية، انظر الأغاني (١٢/ ٣٥٧)، ولم يتبع المصنف على هذا الخطأ إلا صاحب البحر المحيط (٨/ ٣٠٧).

وقوم فرعون ـ وإِن كانوا ساروا إِلى البحر ودخلوه باختيارهم ـ فإِنَّ ما ضمَّهم من القدر السابق السائق[١] هو نبذ الله تعالى إِيَّاهم فيه.

و﴿ٱلۡيَمِّ﴾ هو بحر القُلْزم في قول أَكثر الناس، وقالت فرقة: كان غرقهم في نيل مصر، والأَول أَشهر.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ﴾ [عبارة عن حالهم وأفعالهم / [٤/ ١٥٩] وخاتمتهم؛ أي: هم بذلك كالداعين إلى النار وهم فيه][٢] أَئمة من حيث اشتهروا وبقي [حديثهم فهم][٣] قدوة لكل كافر وعاتٍ إِلى يوم القيامة، و﴿ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾: الذين يَقْبُح كلُّ أَمرهم، قولاً لهم وفِعْلاً بهم، قال ابن عباس: هم الذين قبحوا بسواد الوجوه وزرقة العيون[٤].

و(يَوْمَ) ظرفٌ مقدم.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ إِخبارٌ عن أَنه أَنزل التوراة على موسى بعد إِهلاك فرعون وقومه، وبعد هذه الأُمم التي تقدم ذكرها من عاد وثمود وقرية قوم لوط وغيرها، والقصد بهذا الإِخبار التمثيلُ لقريش بما تقدم في غيرها من الأُمم، وقالت فرقة: إن الآية متضمنة أَن إِنزال التوراة على موسى هو بعد أَن رفع الله تعالى عذاب الأُمم؛ فلم تعذَّب أُمةٌ بعد نزول التوراة، إِلَّا القرية التي مسخت قردة فيما رُوي.

وقوله: ﴿بَصَآئِرَ﴾ نصب على الحال، أَي: طرائق هادية.

---

(١) زيادة من الأصل، وفي المطبوع: زيادة: «وإِغراقهم في البحر» قال في الحاشية: «زيادة عن البحر المحيط».

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) ساقط من المطبوع، وفيه: «وبقوا بدل وبقي».

(٤) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أَي: على ترجي البشر[١]، وما تعطيه تأْميل من تأمل الأمر[٢].

ورُوي عن أَبي سعيد الخدري أَنه قال: ما أَهلَك الله تعالى أُمة بعذاب منذ[٣] أَنزل التوراة إِلى الأَرض غير القرية التي مُسخت قردة[٤]؛ أَي: الذين تعدوا في السبت، وهذا التعذيب من سبب شرع موسى؛ فكأَنه لا ينقص فضيلة التوراة برفع العذاب عن الأَرض.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ (٤٤) وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)﴾.

المعنى: ولم تحضر يا محمد هذه الغيوب التي نخبر بها، ولكنها صارت إِليك بوحينا؛ أَي: فكان الواجب أَنْ يُسارع إِلى الإِيمان بك، ولكن تطاول الأَمر على القرون التي أَنشأْناها زمناً زمناً، فعزبت حلومهم، واستحكمت جهالتهم وضلالتهم.

و﴿قَضَيْنَآ﴾ معناه: أنفذنا وصيرنا[٥].

و﴿ٱلْأَمْرَ﴾؛ يعني: النبوة[٦]، وقالت فرقة: يعني به ما أَعلمه به من أَمر محمد ﷺ.

---

(١) «البشر» ليست في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «وما يعطيه من تأميل وروي»، وفي فيض الله: «تأميل من تأمل البشر وروي... إلخ»، وفي نجيبويه: «تأميل من أمل الأمر».

(٣) في المطبوع: «بعد أَن».

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨٤)، وابن أبي حاتم (١٧٦٨٢)، من طريق عوف بن أبي جميلة، عن أبي نضرة العبدي، عن أبي سعيد الخدري.

(٥) في المطبوع: «وصرفنا»، وفي الأصل: «أبعدنا».

(٦) في المطبوع ولالاليه: «التوراة».

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تأْويل حسن يلْتئم معه ما بعده من قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾.

و«الثَّاوِي»: المقيم.

وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾؛ يريد: وقْتَ إِنزال التوراة إِلى موسى.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾، رُوي عن أَبي هريرة أَنه نودي يومئذ من السماءِ: «يا أُمَّة محمد، استجبت لكم قبل أَن تدعوني، وغفرت لكم قبل أن تسألوني»[١]، فحينئذ [قال موسى عليه السلام: اللهم اجعلني من أمة محمد][٢]، فالمعنى: إِذْ نادينا بأَمرك، وأَخبرنا بنبوتك.

وقوله: ﴿رَّحْمَةً﴾: نصب على المصدر، أَو على المفعول من أَجله.

وقوله: ﴿وَلَٰكِن﴾ [مرتبط بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ﴾؛ أي: ولكن][٣] جعلناك وأَنفذنا أَمرك قديماً رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ، أو يكون المعنى: ولكن أَعلمناك ونبأناك[٤] رحمةً منَّا لك وإِفضالاً.

وقرأَ الناس: ﴿رَّحْمَةً﴾ بالنصب، وقرأَ عيسى: (رَحْمَةٌ) بالرفع[٥].

---

(١) ضعيف، أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٤-٤٢٥)، من طريق حمزة الزيات، عن الأعمش، عن علي بن مدرك، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه به، وحمزة الزيات لا يحتج به في مثل هذا، ولم أجد من تابعه، انظر تهذيب الكمال (٧/ ٣١٤).

(٢) في المطبوع: يسأَل موسى عليه السلام أَن يكون من أُمة محمد ﷺ، والأثر ضعيف، أخرجه قريباً من هذا اللفظ الطبري (١٩/ ٥٨٦)، بنفس رجال الأثر المتقدم آنفاً، وفي متنه زيادة: «قال: وهو قوله: حين قال موسى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾... الآية». وليس فيه: «فحينئذ قال موسى عليه السلام: «اللهم اجعلني من أمة محمد»، كما ذكره المصنف هاهنا.

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) سقطت من المطبوع.

(٥) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٦٨)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١١٤) لأبي حيوة.

ويريد بالقوم الذين لم يأْتِهم نذيرٌ: معاصريه من العرب، وباقي الآية بيِّن.

وقال الطبريُّ: معنى قوله: ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ بأَنْ ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] الآية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾.

«المُصِيبَةُ»: عذاب في الدنيا على كفرهم، وجواب (لَوْلَا) محذوف، [يقتضيه الكلام، تقديره: لعاجلناهم بما يستحقونه، وقال الزجاج][(١)]: تقديره: لما أَرْسلنا الرسل[(٢)].

وقوله: ﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يريد: القرآن ومحمداً ﷺ، والمقالة التي قالتها قريش: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ كانت من تعليم اليهود لهم، قالوا لهم: لِمَ لا يأْتي بآية باهرة كالعصا واليد ونتق الجبل وغير ذلك، فعكس قولُ الله تعالى عليهم قولهم، ووقفهم على أَنهم قد وقع منهم في تلك الآيات ما وقع من هؤلاءِ في هذه، فالضمير في قوله: ﴿يَكْفُرُوا﴾ لليهود.

وقرأَ الجمهور: ﴿ساحران﴾، والمراد بهما موسى وهارون، قاله مجاهد، وقال

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) لفظه في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٧): «أي: لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال الرسل، ومواترة الاحتجاج».

الحسن: موسى وعيسى[١]، وقال ابن عباس: موسى ومحمد ﷺ[٢]، وقال الحسن أَيضاً: عيسى ومحمد عليهما السلام، والأَول أَظهر.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿سِحْرَانِ﴾[٣]، والمراد بهما التوراة والإِنجيل، قاله عكرمة[٤].

وقال ابن عباس: التوراة والفرقان[٥].

وقرأَ ابن مسعود: (سحران اظَّاهرا)، وهي قراءَة طلحة والضحاك[٦].

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يريد بـ ﴿مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ أَمْرَ محمد الذي هو في التوراة، كأَنه يقول: وما يطلبون من أَن يأْتي بمثل ما أُوتي موسى وهم قد كفروا ـ في التكذيب بك ـ بما أُوتيه موسى من الإِخبار بك، [وقالوا: إِنَّا بكلٍّ كافرون][٧].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ يؤيد هذا التأْويل.

و﴿تَظَٰهَرَا﴾ معناه: تعاونا.

---

(١) انظر القولين، وقول الحسن الآتي في تفسير الطبري (١٩/ ٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في الكبير (٥/ ٣١٧)، والطبري (١٩/ ٥٨٨)، وابن أبي حاتم (١٦٩٥٥)، كلهم من طريق شعبة، عن أبي حمزة، عن مسلم بن يسار، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وهذا إسناد حسن، أبو حمزة، ترجم له البخاري في الكبير (٥/ ٣١٧)، وذكر رواية شعبة عنه، وشعبة لا يروي في الغالب إلا عن الثقات.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٢)، والسبعة (ص: ٤٩٥)، و«عاصم» سقط من الأصل.

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٥٩٠)، قال: وكان يقرؤها سحران.

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم (١٦٩٥٩)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه به.

(٦) وهي شاذة، عزاها لهم في مختصر الشواذ (ص١١٤)، ولابن مسعود في الشواذ للكرماني (ص ٣٦٨)، إلا أنه ضبطها بشدتين، و«طلحة» سقط من نور العثمانية.

(٧) ساقط من الأصل وفيض الله.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾... الآية، هذه حجةٌ أَمَرَه الله تعالى أَن يصدع بها؛ أَي: أَنتم أَيها المكذبون بهذه الكتب التي قد / تضمنت الأَمر بالعبادات ومكارم الأَخلاق، ونهت عن الكفر والنقائص، ووعد الله تعالى ـ مع ذلك ـ عليها الثواب الجزيل، إِن كان تكذيبكم لمعنى [وبحال صحة][1] فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يهدي أَكثر من هدى هذه أَتَّبعه معكم. [٤/ ١٦٠]

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ ـ وقد علم أَنهم لا يستجيبون ـ على معنى الإِيضاح لفساد حالهم، وسياق القياس المبين[2]: لأَنهم متبعون لأَهوائهم.

ثم عجب تعالى من ضلال من يتبع هوَاه بغير هداية ولغير مقصد بين[3]، وقرر ذلك على جهة البيان؛ أَي: لا أَحد أَضل منه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)﴾.

«الذين وُصِّل إِليهم القول» قريشٌ، قاله مجاهد وغيره.

وقال أَبو رفاعة القرظي: نزلت في اليهود في عشرة أَنا أَحدهم، ذكره الطبري[4].

وقال الجمهور: معناه: واصلنا لهم في القرآن وتابعناه موصولاً بعضه ببعض في المواعظ والزجر والدعاءِ إِلى الإِسلام، قال الحسن: وفي ذكر الأُمم المُهلَكة، وصلت لهم

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) ساقط من المطبوع، وفي الأصل: «الهين»، وفي لالاليه: «سياق البيان».

(٣) سقطت من التركية، وفي الأصل والحمزوية وفيض الله: «نير».

(٤) انظره مع قول مجاهد ورفاعة في تفسير الطبري (١٩/ ٥٩٤).

قصة بقصة، حسب مرور الأَيام، وذهب مجاهد إِلى أَن معنى ﴿ وَصَّلْنَا ﴾: فَصَّلْنا؛ أَي: جعلناه أَوصالاً من حيث كان أَنواعاً من القول في معانٍ مختلفة[١]، ومعنى اتصال بعضه ببعض: حاصل من جهة أُخرى، لكن إِنما عدد عليهم هاهنا تقسيمه في أَنواع من القول.

وذهب الجمهور إِلى أَن هذا التوصل الذي وصَّل لهم القول معناه: وصل المعاني من الوعظ والزجر، [وذكر الآخرة][٢] وغير ذلك، وذهبت فرقة إِلى أَن الإشارة بتوصيل القول إِنما هي إِلى الأَلفاظ؛ أَي الإِعجاز، فالمعنى: ولقد وصَّلنا لهم قولاً معجزاً دالاًّ على نُبُوَّتك.

قال القاضي أَبو محمد: والمعنى الأَول تقديره: ولقد وصَّلنا لهم قولاً تضمن معاني من تدبرها[٣] اهتدى.

وقرأَ الحسن بن أبي الحسن: (ولقد وَصَلنا) بتخفيف الصاد[٤].

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾؛ [أي: في طمع البشر، وظاهر الأمر عندهم وبحسبهم][٥].

ثم ذكر تعالى القوم الذين آمنوا من أَهل الكتاب مباهياً بهم قريشاً، واخْتُلف إِلى من الإِشارة؟

فقيل: إِلى جماعة من اليهود أَسلمت وكانت تَلْقى من الكفار أَذى.

وقيل: إِلى بَحِيرَى الرَّاهب، وقال الزهري: إِلى النجاشي، وقيل: إِلى سلمان، وابن سلام.

---

(١) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٥٩٣)، وأما قول الحسن فلم أجده.
(٢) في المطبوع: «وفي الأَجر».
(٣) ساقط من المطبوع، وفي التركية: «من يدرها».
(٤) مختصر الشواذ (ص١١٤)، والشواذ للكرماني (ص ٣٦٨).
(٥) في المطبوع: «أَي: يتعظون بالقرآن عن عبادة الأَصنام، أَو يتذكرون محمداً فيؤمنوا به».

وأَسند الطبري عن علي بن أَبي رفاعة قال: خرج عشرة رهط من أَهل الكتاب، فيهم أَبو رفاعة ـ يعني: أَباه ـ فأَسلموا، فأُوذوا، فنزلت فيهم هذه الآية[١].

والضمير في ﴿ قَبْلِهِۦ ﴾ يحتمل أَن يعود على النبي ﷺ، ويحتمل أَن يعود على القرآن، وما بعْدُ يؤيد هذا، وهو قوله: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ يريدون الإِسلام المتحصل لهم من شريعة موسى وعيسى عليهما السلام، وإِيتاءُ[٢] أَجرهم مرتين معناه: على ملَّتين، وبحظوة شريعتين[٣].

وهذا المعنى هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتيهم الله أَجرهم مرتين: رجل من أَهل الكتاب آمن بنبِيِّه وآمن بي، والعبد الناصح في عبادة ربِّه وخدمة سيِّده، ورجل كانت له أَمَةٌ فأَدبها وعلمها ثم أَعتقها وتَزَوَّجها»[٤].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ عام في صبرهم على ملَّتهم، ثم على هذه وعلى الأَذى الذي يلقونه من الكفار وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ معناه: يدفعون، وهذا وصف لمكارم الأَخلاق؛ أَي: يتعاقبون[٥]، ومن قال لهم سوءاً لاَيَنُوهُ وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه، وهذه آية مهادنة، وهي في صدر الإِسلام، وهي مما نسخته آية السيف، وبقي حُكْمها فيما دون الكفر تتعاطاه أُمَّة محمد ﷺ إِلى يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ مدحٌ لهم بالنفقة في الطاعات، وعلى رسم الشرع، وفي ذلك حضٌّ على الصدقات ونحوها.

---

(١) انظره مع قول الزهري في تفسير الطبري (١٠/ ٥٠٨).

(٢) من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «ولإِيمانهم بشريعتين».

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٩٥)، من حديث أَبي موسى الأَشعري رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٥) في المطبوع: «يتعاونون»، وفي نجيبويه: «يتعاينون»، وفي التركية: «يتعامون»، وفي فيض الله ولالاليه: «يتغابنون».

و﴿ٱللَّغْوَ﴾: سَقط[1] القول، [والقول يسقط لوجوه يعز حصرها، فالفحش لغو، والسِّباب لغو][2]، واليمين لَغْوٌ، حسب الخلاف فيهما، وكلام مستمع الخطبة لَغْوٌ، والمراد من هذا ـ في هذه الآية ـ ما كان سَبّاً وأَذًى ونحوه، فأَدب أَهل الإِسلام الإِعراض عنه، والقول ـ على جهة التَّبَـرِّي ـ ﴿لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾.

وقال ابن زيد: اللَّغْو هاهنا ما كان بنو إِسرائيل كتبوه في التوراة مما ليس من عند الله[3].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه المهادنة هي لبني إِسرائيل، الكفار منهم.

و﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ في هذا الموضع ليس المقصود بها التحية، لكنه لفظ التحية قُصد به المُتَارَكَة، وهو لفظ مؤنس مستنْزِل لسامعه؛ إِذْ هو في عرف استعماله تحية.

قال الزجاج: وهذا قبل الأَمر بالقتال[4].

و﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ معناه: لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمسابَّة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

أَجمع جُلُّ المفسرين على أَن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ إِنما نزلت في شأْن أَبي طالب عمِّ رسول الله ﷺ، قال أَبو هريرة، وابن المسيَّب، وغيرهم: إِن النبي

(١) في المطبوع: «لَغْو».
(٢) ساقط من المطبوع.
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٥٩٧).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٤٩).

[٤/ ١٦١] ﷺ دخل عليه وهو يجود بنفسه، فقال / له: «أَيْ عَمِّ، قل: لَا إِلهَ إِلَّا الله كلمةً أَشهد لك بها عند الله»، وكان بحضرته عبد الله بن أبي أُمية[١]، وأَبو جهل بن هشام، فقالا له: أَترغب عن ملَّة عبد المطلب يا أَبا طالب؟ فقال أبو طالب: يا محمد، لو لا أَني أَخاف أَنْ يُعَيَّر بها ولدي من بعدي لأَقررتُ بها عينك، ثم قال أَبو طالب: أَنا على مِلَّةِ عبد المطلب والأَشياخ، فتفجع رسول الله ﷺ وخرج عنه، فمات أَبو طالب على كفره، فنزلت هذه الآية: [﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إِشارة إِلى أَبي طالب][٢]، [قال أبو رَوْق[٣]: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إشارة إلى العباس][٤].

والضمير في قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ لقريش، قال ابن عباس[٥]: والمتكلم بذلك منهم الحارث بن نوفل، وقصد الإِخبار بأَن العرب تنكر عليهم رفض الأَوثان وفراق حكم الجاهلية بتخطُّفهم من أَرضهم.

وقوله: ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ معناه: على زعمك، وحكى الثعلبي عنه أَنه قال: إِنا لنعلم أَن الذي تقول حق، ولكن إِن اتبعناك يتخطفنا العرب[٦]، فقطعهم الله تعالى بالحجة؛ أَي: أَليس كون الحرم لكم مما يَسَّرناه وكففنا عنكم الأَيدي فيه؟ فكيف بكم لو أَسلمتم واتبعتم ديني وشرعي؟

---

(١) في المطبوع وفيض الله ونجيبويه: «ابن أمية»، وهو خطأ.

(٢) من المطبوع، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٧١)، ومسلم (٣٩)، كلاهما من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه مرفوعاً به، ورواه مسلم (٤٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) في الأصل: «أبو رزق»، وأبو روق هو عطية بن الحارث الهمداني من بطن منهم يقال لهم: بنو وثن من أنفسهم، وهو صاحب التفسير، وروى عن الضحاك بن مزاحم وغيره، الطبقات الكبرى (٦/ ٣٤٨).

(٤) ساقط من المطبوع، وربما كان ما قبله بدلًا منه، والله أعلم، وانظر تفسير القرطبي (١٣/ ٢٩٩).

(٥) في المطبوع: «ابن مسعود».

(٦) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٥٥)، وفيه أن القائل: الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف.

وروي عن أَبي عمرو: (نُتَخَطَّفُ) بضم الفاءِ[١].

و«أمْن الحرم»: هو ألَّا يُغْزى ولا يؤذى[٢] فيه أَحد.

وقوله تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أَي: يُجمع ويُجْلَب.

وقرأَ نافع وحده: ﴿تُجْبَى﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأَ الباقون: ﴿يُجْبَىٰٓ﴾[٣]، بالياءِ من تحت، ورويت التاءُ من فوق عن أَبي عمرو، وأَبي جعفر، وشيبة بن نصاح.

وقوله تعالى: ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ يريد مما به صلاح حالهم وقوام أَمرهم، وليس العموم فيه على الإِطلاق.

وقرأَ أَبان بن تغلب: (ثُمُرَاتِ) بضم الثاءِ والميم[٤].

ثم توعَّد تعالى قريشاً بضرب المثل بالقُرى المُهْلَكة؛ أَي: فلا تغتروا بالحرم الآمن والثمرات التي تُجبى؛ فإِن الله تعالى يهلك الكفرة على ما سلف في الأُمم.

و﴿بَطِرَتْ﴾ معناه: سفهت وأَشِرت وطغت، قاله ابن زيد وغيره[٥].

و﴿مَعِيشَتَهَا﴾ نصبٌ على التفسير[٦]، مثل قوله: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال الأَخفش: هو على إِسقاط حرف الجر؛ أَي: بَطِرت في معيشتها[٧].

---

(١) وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦١٤) للمنقري، وكذا في البحر المحيط (٨/ ٣١٥)، إلا أنه كتبت فيه يتخطف بالياء.

(٢) في المطبوع: «يودى».

(٣) فهما سبعيتان، انظر قراءة نافع في التيسير (ص: ١٧٢)، وأبي جعفر في النشر (٢/ ٣٤٢)، وفي المطبوع زيادة: «أَي: يجمع».

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٥٣)، وفي نجيبويه ولالاليه: «بن ثعلب».

(٥) لفظ ابن زيد في تفسير الطبري (١٩/ ٦٠٢): البطر: أَشَرُ أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله.

(٦) في لالاليه: «التمييز»، وهو المقصود به.

(٧) انظر: الهداية لمكي (١/ ٤٥٢).

ثم أَحالهم على الاعتبار في خراب ديار الأُمم المُهْلَكة كحجر ثمود وغيره، وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

إِن كانت الإرادة[١] [بالْقُرى المدن التي في عصر النبي ﷺ فأُم القرى مكة، وإن كانت الإرادة][٢] للقرى بالإِطلاق في كل زمن فأُمُّهَا في هذا الموضع عظيمها وأَفضلها التي هي بمثابة مكة في عصر محمد ﷺ، وإِن كانت مكَّة أُم القرى كلها أَيضاً من حيث هي أَول ما خلق الله من الأَرض، ومن حيث فيها البيت، ومعنى الآية: أَن الله تعالى يقيم الحجة على عباده بالرسل، فلا يعذب إِلَّا بعد نذارة، وبعد أَن يتمادى أَهل القُرى في ظلم وطغيان، و«الظُّلْم» ـ هنا ـ يجمع الكفر والمعاصي والتَّقصير في الجهاد، وبالجملة وضع الباطل موضع الحق.

ثم خاطب تعالى قريشاً محقِّراً لما كانوا يفخرون به من مال وبنين وغير ذلك من قوة لم تكن عند محمد ﷺ ولا عند من آمن به، فأَخبر الله تعالى قريشاً أَن ذلك متاع الدنيا الفاني، وأَن الآخرة وما فيها من النعم التي أعد الله لهؤلاءِ المؤمنين خيرٌ وأَبقى.

ثمَّ وبَّخهم بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَفَلا يعْقِلُونَ﴾ بالياءِ، وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، [وروي عنه بالياء، كذا قال أبو علي في الحجة، وذلك خلاف ما حكى أبو

(١) في المطبوع: «الإبادة».

(٢) ساقط من المطبوع.

حاتم والناس، فإن نافعاً يقرأ بالتاء من فوق][1]، وهي قراءَة الأَعرج، والحسن، وعيسى.

ثم زادهم توبيخاً بقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ الآية.

وقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ آية يعم معناها جميع العالم، لكن اختلف الناسُ فيمن نزلت، فقال مجاهد: الذي وُعد الوعد الحسن هو محمد ﷺ، وضده أَبو جهل.

وقال مجاهد أيضاً: نزلت في حمزة وأَبي جهل، [وقيل: في علي وأبي جهل][2].

وقال قتادة: نزلت عامة في المؤمن والكافر[3]، كما أَنَّ معناها عام.

قال القاضي أَبو محمد: ونزولها عامٌّ بيِّن الاتساق بما قبله من توبيخ قريش.

و﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معناه: في عذاب الله، قاله مجاهد وقتادة[4].

ولفظة «مُحْضَرِينَ» مشيرةٌ إِلى سَوْق بجبر[5].

وقرأَ طلحة: (أَمَنْ وَعَدْنَاهُ) بغير فاءٍ، وقرأَ مسروق: (أَفمن وعدناه نعمة منا فهو لاقيها)[6].

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع، وقد حكى المصنف هنا عن أبي علي الياء للجمهور، والوجهين لأبي عمرو، وهذا سهو منه رحمه الله، فأبو علي في الحجة (٥/ ٤٢٤)، أثبت للجمهور التاء ولأبي عمرو الوجهين وكذا في السبعة (ص: ٤٩٥)، والصواب أن أبا عمرو قرأ بالياء وجهاً واحداً من طرق التيسير (ص: ١٧٢)، وجزم بذلك في النشر (٢/ ٣٤٢) للدوري، قال: وقطع به للسوسي كثير من الأئمة.

(٢) ساقط من المطبوع والتركية ونجيبويه.

(٣) انظره مع قولي مجاهد في تفسير الطبري (١٩/ ٦٠٤)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٨)، ولفظ: «عامة» ليس في المطبوع.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٩).

(٥) في المطبوع: «وجَرٍّ».

(٦) وهما شاذتان، الأولى في الشواذ للكرماني (ص٣٦٩)، والثانية في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٩)، وكتبت في المطبوع: «لاقيه»، بالتذكير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

التقدير: واذكر يومَ، وهذا النداءُ يحتمل أَن يكون بواسطة، ويحتمل أَن يكون بغير ذلك، والضمير المتصل[١] بـ ﴿يُنَادِى﴾ لعبدة الأَصنام، والإِشارة إِلى قريش، [وكفار العرب][٢].

وقوله: ﴿أَيْنَ﴾ على جهة التقريع والتوبيخ، وقوله: ﴿شُرَكَآءِىَ﴾؛ أَي: عَلَى قولكم وزعمكم.

ولما كان هذا السؤال مُسْكِتاً لهم مبهتاً[٣] فكأَنه [لا متعلق لجمهور الكفرة إلا بالمغوين لهم][٤]، والأَعيان والرؤوس منهم، وبالشياطين المُغْوين، فكأَن هذه الصنيفة[٥] المُغْوية إِنما أَتت الكفر على علم بأَن القول عليها متحقق، وكلمة العذاب ماضية، لكنهم طمعوا في التبَـرِّي من كل أُولئك الكفرة الأَتباع فقالوا: ربنا هؤلاءِ أَضللناهم كما ضللنا نحن باجتهاد لنا ولهم، وأَرادوا هم أتباعنا، وأَحبُّوا الكفر كما أَحببناه، / فنحن نتبرَّأُ إِليك منهم، وهم لم يعبدونا إِنما عبدوا غيرنا. [٤/ ١٦٢]

قال القاضي أَبو محمد: فهذا التوقيف يعم جميع الكفرة، والمجيبون هم كل مغو داع إِلى الكفر، من الشياطين الجن[٦]، ومن الإنس الرُّؤساءُ والعرفاءُ والسادة [في الكفر][٧].

---

(١) ساقط من المطبوع.
(٢) ساقط من المطبوع.
(٣) في المطبوع: «مهيناً».
(٤) في المطبوع بدلًا منه: «لا يتعلق بجمهور الكفرة، بل بالمُغْوين لهم»، وفي لالاليه: «بالمقربين».
(٥) في المطبوع: «الفئة»، وفي لالاليه: «الصفة»، وفي نور العثمانية: «الصيغة».
(٦) من المطبوع.
(٧) ساقط من المطبوع.

وقرأ الجمهور: ﴿غَوَيْنَا﴾ بفتح الواو، ويقال: غَوَى الرجل يَغْوِي بكسر الواو.

وروي عن ابن عامر، وعاصم: (غَوِينَا) بكسر الواو[١].

ثم أَخبر تعالى أَنه يقال للكفرة العابدين للأَصنام الذين اعتقدوهم آلهةً: ﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾؛ أَي: الأَصنام التي كنتم تزعمون أَنهم شركاءُ لله، وأَضاف الشركاءَ إِليهم لمَّا كان ذلك الاسم بزعمهم ودعواهم، فهذا القول أَصل من الاختصاص، أَضاف الشركاءَ إِليهم ثم أَخبر أَنهم دعَوْهم، فلم يكن في الجمادات ما يجيب، ورأَى الكفار العذاب.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾، ذهب الزجاج وغيره من المفسرين إِلى أَن جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف تقديره: لما نالهم العذاب، أَو: لما كانوا في الدنيا عابدين للأَصنام[٢]، ففي الكلام ـ على هذا التأْويل ـ تأَسُّف عليهم، وذلك محتمل مع تقديرنا الجواب: لما كانوا عابدين للأَصنام، وفيه مع تقديرنا الجواب: لما نالهم العذاب نعمة منا.

وقالت فرقة: ﴿لَوْ﴾ متعلقة بما قبلها، تقديره: فودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

وهذا النداءُ أَيضاً كالأَول في احتماله الواسطة من الملائكة، وهذا النداءُ أَيضاً للكفار يوقفهم على ما أَجابوا به المرسلين الذين دعوهم إِلى الله تعالى.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾؛ أَي: أَظلمت الأُمور، فلم يجدوا خبراً يخبرون به مما لهم فيه نجاة.

---

(١) وليست من طرق التيسير، عزاها لعبد الحميد بن بكّار عن ابن عامر في جامع البيان (٤/ ١٤٥٤)، ولأبان عاصم في مختصر الشواذ (ص١١٤)، والكامل للهذلي (ص: ٦١٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٥١).

وساق الفعل في صيغة الماضي لِتَحقق وقوعه وأَنه يقين[١]، والماضي من الأفعال مُتَيَـقَّن[٢]؛ فلذلك توضع صيغته بدل المستقبل المُتيَقَّن فيقوى وقوعه وصحته.

وعميت معناه: أَظلمت جهاتُها.

وقرأ الأَعمش: (فَعُمِّيَت) بضم العين وشدِّ الميم[٣].

وروي في بعض الحديث: «كان الله في عماءٍ»[٤]، وذلك قبل أَن يخلق الأَنوار وسائر المخلوقات.

و﴿ٱلْأَنۢبَآءُ﴾: جمع نَبأٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ معناه فيما قال مجاهد وغيره: بالأَرحام والمتات[٥] الذي عُرْفه في الدنيا أَن يُتَسَاءَل به؛ لأنهم قد أَيقنوا أَنهم كلَّهم لا حيلة لهم ولا مكانة، ويحتمل أَن يريد أَنهم لا يتساءَلون عن الأَنباءِ لتيقُّن جميعهم أَنه لا حُجة لهم.

ثم انتزع تعالى من الكفرة من تاب من كفره، وآمن بالله ورسله، وعمل بالتقوى، ورَجَّى عزَّ وجلَّ فيهم أَنهم يفوزون ببغيتهم ويبقون في النعيم الدائم.

وقال كثير من العلماءِ: «عَسَى» من الله واجبة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ظن حسن بالله تعالى يشبه فضله وكرمه، واللازم من

---

(١) سقطت من التركية، وفي المطبوع: «تعيَّن».

(٢) في لالاليه: «متعين».

(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٣٢٠)، وزاد جناح بن حبيش، وأبا زرعة، وعزاها للأخيرين خاصة في مختصر الشواذ (ص١١٤).

(٤) في إسناده جهالة، أخرجه الإمام أحمد (٢٦/ ١٠٨)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجه (١٨٢)، كلهم من طريق يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين، مرفوعاً به، ووكيع هذا أورده الذهبي في الميزان (٤/ ٣٣٥)، وقال: لا يعرف، تفرد عنه يعلى ابن عطاء.

(٥) في المطبوع: «والأنساب»، وفي التركية: «الموات».

«عَسَى» أَنها ترجية لا واجبة، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ الآية، قيل: سببها ما تكلمت به قريش من استغراب أَمر النبي ﷺ، وقول بعضهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] فنزلت هذه الآية بسبب تلك المنازع، ورد الله تعالى عليهم، وأَخبر أَنه يخلق من عباده وسائر مخلوقاته ما يشاءُ، وأَنه يختار لرسالته من يريد ويعلم[١] فيه المصلحة، ثم نفى أَن يكون الاختيار للناس في هذا ونحوه، هذا قول جماعة من المفسرين[٢]، [قالوا: والظاهر][٣] أَن ﴿مَا﴾ نافية؛ أي: ليس لهم الخيرة عن الله تعالى، فتجيءُ الآية كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٣٦].. الآية.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يريد: ويختار الله تعالى الأَديَانَ والشرائع، وليس لهم الخِيَرَةُ في أَن يميلوا إِلى الأَصنام ونحوها في العبادة، ويؤيد هذا التأْويل قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وذهب الطبريُّ إِلى أَن ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ﴾ مفعولة بـ(يختار)، قال: والمعنى أَن الكفار كانوا يختارون من أَموالهم لأَصنامهم أشياء[٤]، فأَخبر الله تعالى أَن الاختيار إِنما هو له وحده، يخلق ويختار من الرُّسل والشرائع ما كان خيرة للناس، لا كما يختارون هم ما ليس إليهم، ويفعلون ما لم يُؤْمروا به.

قال القاضي أَبو محمد: واعتذر الطبريُّ عن الرفع الذي أَجمع عليه القراءُ في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ بأَقوالٍ لا تتحصل[٥]، وقد ردَّ الناسُ عليه في ذلك.

---

(١) في المطبوع: «ويجعل».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٥٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٦٥)، وفيه رد على قول الطبري دون تسميته.

(٣) من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «خيارها».

(٥) انظر كلامه في التفسير (١٩/ ٦٠٨).

وذَكَر عن الفراءِ أَن القاسم بن معن أَنشده بيت عنترة:

[البسيط] أَمِـنْ سُـمَيَّةَ دَمْـعُ الْعَيْـنِ تَذْرِيـفُ لَوْ كَانَ ذَا مِنْكِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ[1]

وقرن الآية بهذا البيت، والرواية في البيت: لَوْ أَنَّ ذَا، ولكن على ما رواه القاسم يَتَّجه في بيت عنترة أَن يكون [الأمر والشأن مضمراً في «كان» وذلك في الآية ضعيف؛ لأن تفسير الأمر والشأن لا يكون بجملة فيها مجرور][2]، وفي هذا كله نظر.

والوقف على ما ذهب إِليه جمهور الناس في قوله تعالى: ﴿وَيَخۡتَارُۗ﴾، وعلى ما ذهب إِليه الطبريُّ لا يوقف على ذلك.

ويتَّجه عندي أَن تكون ﴿مَا﴾ مفعولة إِذا قدرنا ﴿كَانَ﴾ تامة؛ أَي: أَن الله تعالى يختار كل كائن، ولا يكون شيءٌ إِلَّا بإِذنه، وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾: جملة مستأْنفة معناها تعديد النِّعمة عليهم في اختيار الله تعالى لهم لو قبلوا وفهموا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن/ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾. [٤/ ١٦٣]

ذكر تعالى في هذه الآيات أُموراً يشهد عقل كل مفطور بأَن الأَصنام لا شركة لها فيها، فمنها علم ما في النفس وما يهجس بالخواطر.

و﴿تُكِنُّ﴾ معناه: تستر.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٠٨)، وعزاه له أيضاً في المحاسن والأضداد (ص: ٢٦٢)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٥٠٠)، وفي التركية: مذروف.

(٢) في المطبوع بدلًا منه: «في كان ضمير الأَمر والشأْن، فأَما في الآية فلا يكون بجملة فيها محذوف».

وقرأَ ابن محيصن: (تَـكُنُّ) بفتح التاءِ وضم الكاف[1].

وعبَّر عن القلب بالصدر من حيث كان محتوياً عليه، ومعنى الآية: أَن الله تعالى يعلم السِّرَّ والإِعلان.

ثم أَفرد نفسه بالأُلوهية ونفاها عمَّا سواه، وأَخبر أَن الحمد له في الدُّنيا والآخرة؛ إِذ له الصِّفات التي تقتضي ذلك، والحُكْم ـ في هذا الموضع ـ القضاءُ والفصل في الأَمر، ثم أَخبر تعالى بالرَّجعة إِليه والحشر.

ثم أَمر[2] تعالى نبيَّه أَن يوقفهم على أَمر الليل والنهار، وما منح الله تعالى فيهما من المصالح والمرافق، وأَن يوقفهم على إيجاده[3] تعالى بتقليب[4] الليل والنهار، وأَنه لو مدَّ أَحدهما سرمداً لما وجد من يأْتي بالآخر.

و«السَّرْمَد» من الأَشياءِ: الدائم الذي لا ينقطع.

وقرأَت فرقة هي الجمهور: ﴿بِضِيَآءٍ﴾ بالياءِ.

وقرأَ ابن كثير في رواية قنبل: ﴿بِضِئَاءٍ﴾ بهمزتين، وضعَّفه أَبو عليٍّ[5].

ثم ذكر عزَّ وجلَّ انقسام الليل والنهار على السكون وابتغاءِ الفضل بالمشي والتصرف، وهذا هو الغالب في أَمر الليل والنهار، فعدَّد النعمة بالأَغلب، وإِن وُجد من يسكن بالنهار ويبتغي فضل الله بالليل فشاذٌّ نادرٌ لا يُعْتَدُّ به.

---

(١) وهي شاذة عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: **٣٦٣**)، كما تقدم في النمل.

(٢) في المطبوع: «أخبر».

(٣) في المطبوع: «إنعامه»، وفي التركية: «إعادته»، وفي نجيبويه وفيض الله: «اتخاذه»، وفي الحمزوية: «على تقلب الليل».

(٤) في المطبوع: «بتوفيق».

(٥) لفظه في الحجة (**٤/ ٢٥٨**): وهو غلط، وهو غلط منه، فهما سبعيتان، كما مر في (الأنبياء)، وانظر: التيسير (ص: ١٢٠).

وقال بعض الناس: قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ إنما عبَّر به عن الزمان، فكأَنه لم يقصد لتقسيم؛ أَي: في هذا الوقت الذي هو ليلٌ ونهارٌ يقع السكون وابتغاءُ الفضل.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمۡ﴾؛ أَي: على نظر البشر، من يرى هذا التلطُّف والرفق يرى أَن ذلك يستدعي الشكر ولا بُدَّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

التقدير: واذكر يوم يناديهم، وكرر هذا المعنى إِبلاغاً وتحذيراً، وهذا النداءُ عند ظهور كل ما وعد الرحمنُ على أَلْسنة المرسلين من وجوب الرحمة لقوم والعذاب لآخرين، ومن خضوع كل جبار وذلَّة الكل لعزَّة ربِّ العالمين، فيتوجه حينئذ توبيخ الكفار، فيقول الله تعالى لهم: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ على معنى التقريع.

ثم أَخبر تعالى أَنه يُخرج في ذلك اليوم من كل أُمَّة شهيداً يُمَيِّز بينه وبين الناس، وهذا هو النَّزْعُ؛ أَي: يُمَيِّز بين شيئين فينتزع أَحدهما من الآخر، وقال مجاهد: أَراد بالشَّهيد الذي يشهد على أُمَّته[1]، وقال الرماني: وقيل: أَراد عُدولًا من الأُمم وأَخياراً[2].

قال القاضي أَبو محمد: وهم حملة الحجة الذين لا يخلو منهم زمن، والشَّهِيدُ ـ على هذا التأْويل ـ اسم الجنس، وفي هذا الموضع حذف يدل عليه الظاهر، تقديره: يشهد الشهيد على الأُمة بخيرها وشرها، فيحق العذاب على من [شهد عليه بكفر][3].

(١) لفظه في تفسير مجاهد (ص: ٥٣١): يعني: رسولًا، وكذا في تفسير الطبري (١٩/ ٦١٤) عنه، وفيه عن قتادة: يشهد عليها.
(٢) لم أجد من نقله عنه.
(٣) ساقط من المطبوع، وفيه فقط: «كفر».

ويقال لهم ـ عَلَى جهة استبراءِ الحُجَّة والإِعذار في المحاورة[١] ـ: ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾، [على حق بأيديكم][٢] إِن كان لكم، فيسقط حينئذ في أَيديهم، ويعلمون أَن الحق متوجه لله سبحانه عليهم في تعذيبهم، ويَنْتَلِف[٣] لهم ما كانوا بسبيله في الدنيا من كذب مختلق وزور في قولهم: [هذه آلهتنا][٤] للأَصنام، وفي تكذيبهم الرُّسل، وغير ذلك.

ومن هذه الآية انتزع قول القاضي عند إِرادة الحكم: أَبقيت لك حجة؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾.

﴿قَٰرُونَ﴾ اسم أَعْجَمي، فلذلك لم ينصرف، واختلف الناس في قرابة قارون لموسى:

فقال ابن إِسحاق: هو عمُّه.

وقال ابن جريج، وإِبراهيم النَّخَعي: هو ابن عمِّه لحاًّ[٥]، وهذا أَشهر.

وقيل: ابن خالته، فهو بإِجماع رجلٌ من بني إِسرائيل، كان ممن آمن بموسى، وحفظ التوراة، وكان من أَقْرأ الناس لها، وكان عند موسى عليه السلام من عُبَّاد المؤمنين.

ثم إنه لحقه الزهو والإِعجاب، فبغى على قومه بأَنواع من البغي، فمن ذلك كُفْره بموسى واستخفافه به، ومطالبته له [بأَن يجعل له شيئاً][٦]، فيما قال ابن عباس: بأنه

---

(١) في المطبوع: «المحاولة».

(٢) في المطبوع بدلًا منه: «أَي: حجتكم على ما كنتم عليه في الدنيا».

(٣) في المطبوع: «وينكشف».

(٤) في المطبوع: «هذه آلهة»، وتأخرت عن: «للأصنام».

(٥) «لحّاً» سقطت من المطبوع، ومعناها: دِنية؛ أي: ابن عمه مباشرة، وانظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٦١٥).

(٦) من المطبوع.

عمد إِلى امرأَة مُومِسَة ذات جمال، وقال لها: أَنا أُحْسِنُ إِليك، [وأخلطك بأهلي][١] على أَن تجيئي في مَلأٍ من بني إِسرائيل عندي فتقولي: يا قارون اكفني أَمر موسى فإِنه يعترضني في نفسي، فجاءَت المرأَة، فلما وقفت على المَلأِ أَحدث الله تعالى لها توبة، فقالت: يا بني إِسرائيل، إِن قارون قال لي: كذا وكذا، ففضحته في جميع القصة، وبرَّأَ الله تعالى [بقدرته نبيَّه][٢] موسى من مطالبته[٣].

وقيل: بل قالت المرأَة ذلك عن موسى، فلما بلغه الخبر وقف بالمرأَة بمحضر من بني إِسرائيل، فقالت: [يا نبي الله، كذبتُ عليك][٤]، وإِنما دخلني[٥] قارون إِلى هذه المقالة[٦].

وكان من بغيه أَنه زاد في ثيابه شبراً على ثياب الناس، قاله شهر بن حَوشب[٧].

إِلى غير ذلك مما يصدر عمن فسد اعتقاده، وكان من أَعظم الناس مالاً، وسميت أَمواله كنوزاً؛ إِذ كان ممتنعاً من أَداءِ الزكاة، وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام أَول عداوته.

[٤/ ١٦٤] و«المفاتيح»: ظاهرها أَنها التي يفتح بها، ويحتمل أَن يريد بها الخزائن / والأَوعية الكبار، قاله الضحاك[٨]؛ لأَن المفتاح في كلام العرب الخزانة.

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «وأحفظك في أَهلي».

(٢) من المطبوع.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٣١)، من طريق علي بن هاشم، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنه.

(٤) في لالاليه: «يا بني إسرائيل كذبت على نبي الله».

(٥) في المطبوع: «دفعني»، وفي الأصل: «دعاني»، وفي التركية: «وصلني».

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٢٩)، من طريق جابر بن نوح، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عنه.

(٧) تفسير الطبري (١٩/ ٦١٦).

(٨) تفسير الطبري (١٩/ ٦١٦).

قال القاضي أَبو محمد: وأَكثَرَ المفسرون في شأْن قارون، فروي عن خيثمة[١] أَنه قال: نجد في الإِنجيل مكتوباً: إِن مفاتيح قارون كانت من جلود الإِبل، وكان المفتاح من نصف شبر، وكانت وِقْر ستِّين بعيراً أَو بغلاً، لكل مفتاح كنز[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وروي غير هذا مما يقرب منه، وذلك كله ضعيف، والنظر يشهد بفساد هذا، ومن كان الذي يميز بعضها من بعض؟ وما الداعي لهذا وفي الممكن أَن ترجع كلها إِلى ما يحصى ويقدر على حصره[٣] بسهولة؟

وكان يلزم ـ على هذا المعنى ـ أَن تكون (مفاتيح) بياءٍ، وهي قراءَة الأَعمش[٤].

والذي يشبه إِنما هو أَن تكون المفاتيح من الحديد ونحوه، وعلى هذا تنوءُ بالعصبة؛ إِذ كانت كثيرة لكثرة مخازنه [وافتراقها من المواضع][٥]، أَو تكون المفاتحُ الخزائن.

قال أَبو صالح: كانت خزائنه تحمل على أَربعين بغلاً[٦].

وأَما قوله: ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ فمعناه: تنهض بتحامُل واشتداد[٧]، ومن ذلك قول [الشاعر:

ينُـؤْن ولـم يكسِـبْنَ إلا قنَازعـاً ... من الرِّيش تنْوَاءَ النعَاجِ الهزَائِلِ[٨] [الطويل]

---

(١) هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي، أبوه وجده صحابيان، يروي عن: أبيه، وعائشة، وعنه: منصور، والأعمش، وغيرهما، وكان رجلاً صالحاً، كبير القدر، وحديثه في الكتب الستة، وكان سخياً كريماً، تاريخ الإسلام (٦/ ٥٨).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٦١٨).

(٣) في المطبوع: «على حمله».

(٤) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (٨/ ٣٢٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٣٧٠) لأبي البرهسم.

(٥) ساقط من المطبوع.

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٦١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٨).

(٧) سقطت من المطبوع.

(٨) قاله ذُو الرمة كما في الأزمنة والأمكنة (ص: ١٣٦)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٨٣).

ومنه قول][1] الآخر يصف رامياً:

[الرجز] حَتَّى إِذَا مَا اعتدلَتْ مَفَاصِلُهْ وَنَاءَ في شِقِّ الشَّمَالِ كاهِلُهْ[2]

والوجه أن يقال: إن العُصْبَة تنوءُ بالمفاتح المثقِلة لها، وكذلك قال كثير من المتأوِّلين: إن المراد هذا، لكنه قَلْبٌ كما تفعل العرب كثيراً، فمن ذلك قول الشاعر:

[الوافر] فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أُطِيقُ[3]

ومن ذلك قول الآخر:

[الطويل] وَتَرْكَبُ خَيْلاً لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ[4]

وهذا البيت لا حُجَّة فيه؛ إِذْ يتَّجه على وجهه فتأمله، ومن ذلك قول الآخر:

[الكامل] ما كُنْتَ في الْحَرْبِ الْعَوَانِ مُغَمَّراً إِذْ شَبَّ حَرُّ وَقُودِهَا أَجْذَالَهَا[5]

وقال سيبويه والخليل: التقدير: لَتُنِيءُ العُصْبَةَ، فجعل بدل ذلك تعدية الفعل بحرف الجرِّ، كما تقول: ناءَ الحِمْلُ وأَنأْتُه ونؤْتُ به بمعنى: جعلته يَنُوءُ، والعرب تقول: ناءَ الحِمْلُ بالبعير: إذا أَثقلَه.

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) تقدم في تفسير الآية (١٧) من سورة الإسراء، وفي المطبوع: «التأمتْ مَفَاصله».

(٣) البيت لعروة بن الورد كما في نقد الشعر (ص: ٨٧)، وسر الفصاحة (ص: ١١٤)، وعزاه في ضرائر الشعر (ص: ٢٦٨) للعباس بن مرداس، وينسب للحطيئة، وهو في مجاز القرآن (٢/ ٧٩)، وتفسير الطبري (١٩/ ٦١٩)، بلا نسبة.

(٤) البيت لخِدَاش بنُ زهير بن صعصعة، من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية، أَدرك الرسول ﷺ ولم يره، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٤١٦)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ٤٨)، والاختيارين (ص: ٤٣٩)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٥)، والصحاح للجوهري (٢/ ٧٢١)، والموازنة (ص: ٢١٩)، والضياطرة: جمع ضَيْطر، وهم العظماءُ من الرجال.

(٥) البيت للأعشى، كما في تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٠)، ونسبه صاحب الجليس الصالح الكافي (ص: ٧٠٩) لذي الرمة.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يُسنَد ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ إِلى المفاتيح مجازاً؛ لأَنه تنهض بتحامل إِذا فعل ذلك الذي ينهض بها، وهذا مطَّرد في قولهم: ناءَ الحملُ بالبعير، ونحوه، فتأَمله.

واختلف الناسُ في «العُصْبَة»، كم هي؟

فقال ابن عباس: ثلاثة[1]، وقال قتادة: من العشرة إِلى الأَربعين، وقال مجاهد: خمسة عشر[2]، وقيل: أَحد عشر حَمْلًا على إِخوة يوسف، وقيل: أَربعون.

وقرأَ بُدَيْلُ بنُ مَيْسَرة: (لَيَنُوءُ) بالياءِ[3]، ووجَّهها أَبو الفتح على أَنه يقرأُ: ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾ جمعاً.

وذكر أَبو عمرو الداني أَن بُدَيْلَ بنَ مَيْسَرَة قرأَ: (ما إِنَّ مِفْتاحه) على الإِفراد[4].

فيستغنى على هذا عن توجيه أَبي الفتح.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَبَغَىٰ﴾، ونَهَوْهُ عن الفرح المطْغِي الذي هو انْهماكٌ وانحلالُ نفسٍ وأَشَرٌ وإِعجابٌ.

[و«الفرِح»: هو الذي تَخلَّق دائما بالفرح][5].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٦١٨)، من طريق الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، فالضحاك لم يسمع من ابن عباس، انظر جامع التحصيل (٣٠٤).

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٦١٨)، والثاني في تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٩٦)، وتفسير مجاهد (ص: ٥٣١).

(٣) المحتسب (٢/ ١٥٣)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٤٣٠).

(٤) وهما شاذتان، الأولى مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٥٣)، والثانية عن الداني في البحر المحيط (٨/ ٣٢٤)، ومثله في تفسير الزمخشري (٣/ ٤٣٠)، وعزا له القرءاة بالإفراد مع الياء أيضاً الكرماني في الشواذ (ص٣٦٩)، وزاد الضحاك وابن يعمر.

(٥) ساقط من المطبوع.

و﴿لَا يُحِبُّ﴾ ـ في هذا الموضع ـ: صفة فعل؛ لأَنه أَمْرٌ قد وقع، فمحالٌ أَنْ يرجع إِلى الإِرادة، وإِنما هو لا يُظهر عليهم بركته، ولا يهبهم رحمته.

ثم وصَّوه بأَن يطلب بماله رضى الله وآخرته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾، اختلف المتأَولون فيه:

فقال ابن عباس والجمهور: معناه: لا تُضيع عمرك في أَلَّا تعمل عملاً صالحاً في دنياكَ؛ إِذ الآخرة إِنما يَعْمَل لها في الدنيا، فنصيب الإِنسان عمره وعمله الصالح فيها فينبغي أَلَّا تهمله[1].

قال القاضي أَبو محمد: فالكلام كله ـ على هذا التأْويل ـ شدة في الموعظة.

وقال الحسن وقتادة: معناه: ولا تُضيع أَيضاً حظَّك من دنياك في تمتعك بالحلال بطلبك إِياه، ونظرك إِلى عاقبة دنياك[2]، فالكلام ـ على هذا التأْويل ـ فيه بعض الرفق به وإِصلاح الأَمر الذي يشتهيه، وهذا مما يجب استعماله مع الموعظة خشية النَّبْوة من الشدة.

وقال الحسن: معناه: قدم الفضل وأَمسك ما يبلغ به.

وقال مالك: هو الأَكل والشرب بلا سَرف[3].

وحكى الثعلبي أَنه قيل: أَرادوا بنصيبه الكفن[4].

وهذا وعظ متصل، كأَنهم قالوا: لا تَنْس أَنك تترك جميع مَالِكَ إِلَّا نصيبك الذي هو الكفن، ونحو هذا قول الشاعر:

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٢٤)، وابن أبي حاتم (١٧٨٦٢)، كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة ورواه ابن أبي حاتم (١٧٨٦١)، من طريق الأعمش، عن رجل، كلاهما عن ابن عباس، رضي الله عنه به.

(٢) انظر معناه عنهما في تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٥).

(٣) انظر القولين في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١١).

(٤) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٦٢).

نَصيبُـكَ مِمَّـا تَجْمَعُ الدَّهْـرَ كُلَّهُ رِدَاءَانِ تُلْوَى فيهما وَحَنُوطُ[١] [الطويل]

وقوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أَمْر بصلة المساكين وذوي الحاجة.

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾.

[القائل: قارون][٢]، لمَّا وعظه قومه وندبوه إِلى اتقاءِ الله تعالى في المال الذي أَعطاه تفضُّلاً منه عليه؛ أَخذته العزة بالإِثم فأُعجب بنفسه، وقال لهم على جهة الرَّدِّ عليهم والروَغان عما أَلزموه فيه: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.

ولكلامه هذا وجهان يحتملهما، وبكل واحد منهما قالت فرقة من المفسرين:

فقال الجمهور منهم: إِنه ادعى أَن عنده علماً استوجب به أَن يكون صاحب ذلك المال وتلك النعمة، ثم اختلفوا في العلم الذي أَشار إِليه ما هو؟

فقال بعضهم: علم التوراة وحفظها، قالوا: وكانت هذه مغالطة منه ورياءً.

وقال أَبو سليمان الداراني[٣]: أَراد العلم بالتجارات ووجوه تمييز المال، فكأَنه قال: أُوتيته بإِدراكي وبِسَعْيي، وقال ابن المسيَّب: أَراد علم الكيمياءِ[٤].

---

(١) استشهد به تفسير القرطبي (١٣/ ٣١٤)، والبحر المحيط (١٠/ ٤٩٣)، والدر المصون (١١/ ٣٠)، كلهم بلا نسبة.

(٢) ساقط من التركية.

(٣) في فيض الله: «الرازي»، وقد تقدم التعريف بالداراني في آل عمران.

(٤) انظر تفسير الثعلبي (٧/ ٢٦٢).

وقال ابن زيد وغيره: إِنما أَراد: أُوتيته على علم من الله تعالى وتخصيص من لدنه قصدني به، فلا يلزمني فيه شيءٌ مما قلتم(١)، ثم جعل قوله: ﴿عِندِيٓ﴾ كما تقول: في معتقدي وعَلَى ما أَراه / . [٤/ ١٦٥]

قال القاضي أَبو محمد: وعلى كلا الاحتمالين معاً فقد نبَّه القرآن على خطئه في اغتراره، وعارض منْزعه بأَن من معلومات الناس المتحققة عندهم أَن الله تعالى قد أَهلك من الأُمم والقرون والملوك مَنْ هو أَشد من قارون قوة وأَكثر جمعاً، إِمَّا للمال وإما للحاشية والغاشية(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ يرجِّح أَن قارون تشبَّع بعلم نفسه على زعمه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾، قال محمد بن كعب: هو كلام متَّصل بمعنى ما قبله(٣)، والضمير في ﴿ذُنُوبِهِمُ﴾ عائدٌ عَلَى مَنْ أَهلك من القرون؛ أَي: أُهلكوا ولم يُسأَل غيرُهُم بعدهم عن ذنوبهم؛ أَي: كلُّ أَحد إِنما يُسأَل ويعاقب بحسب ما يخصه.

وقالت فرقة: هو إِخبارٌ مستأْنف عن حالهم يوم القيامة، معناه: أَن المجرمين لا يُسْأَلون عن ذنوبهم، [قال قتادة: ذلك لأنهم يدخلون النار بغير حساب، وقال قتادة أيضاً ومجاهد: معناه](٤): أَن الملائكة لا تَسْأَل عن ذنوبهم؛ لأَنهم يعرفونهم بسيماهم من السَّواد والتشويه(٥)، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ﴾ [الرحمن: ٤١].

قال القاضي أَبو محمد: وفي كتاب الله آيات تقتضي(٦) أَن الناسَ يوم القيامة

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٦) بمعناه.
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٧).
(٤) ساقط من المطبوع، ومن التركية ما عدا: «وقال قتادة أيضاً ومجاهد: معناه».
(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٧).
(٦) في المطبوع: «في آيات الله ما يقتضي» إلخ.

يُسْأَلون، كقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وغير ذلك، وفيه آيات تقتضي أنه لا يُسْأَلُ أَحدٌ، كقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، وغير ذلك:

[فقال الناس في هذا: إنها مواطن وطوائف، وذلك من قوله محتمل][(١)].

ويشبه عندي[(٢)] أَن تكون الآيات التي توجب السؤال إِنما يريد بها أَسئلة التوبيخ والتقرير، والتي تنفي السؤال يراد بها أَسئلة الاستفهام والاستخبار[(٣)] على جهة الحاجة إِلى علم ذلك من المسؤولين؛ أَي: أَن ذلك لا يقع؛ لأَن العلم بهم محيط، وسؤال التوبيخ غير مُعْتَدٍّ به.

ثم أَخبر تعالى أَن قارون خرج على قومه وقد أَظهر قدرته من الملابس والمراكب وزينة الدنيا، [قال جابر ومجاهد: خرج في ثياب حمر][(٤)].

وقال ابن زيد: خرج هو وجملته[(٥)] في ثياب مُعَصْفرة.

وقيل: في ثياب الأُرجُوان، وقيل غير هذا[(٦)].

وأَكْثَر المفسرون في تحديد زينة قارون وتعيينها ـ مما لا صحة له ـ فاختصرته.

وباقي الآية في اغترار الجهلة والأَغْمارِ[(٧)] من الناس بَيِّنٌ.

---

(١) ساقط من المطبوع

(٢) في المطبوع: «ويمكن».

(٣) سقطت من المطبوع

(٤) ساقط من التركية.

(٥) في المطبوع: «وحَشَمه».

(٦) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٨)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٩٧)، وغيرهما.

(٧) الأغمار: جمع غَمْر، والرجل الغَمْر هو الذي لم يجرب الأمور، أو الذي أصابته الغَمْرةُ، وهي الضلالة التي تغمر صاحبها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

أَخبر تعالى عن الذين أُوتوا العلم والمعرفة بالله تعالى وبحق طاعته والإِيمان به أَنَّهم زجروا الأَغمار الذين تَمَنَّوْا حالَ قارون، وحملوهم على الطريقة المُثْلَى من أَن النظر والتَّمَنِّي إِنما [ينبغي أن][1] يكون في أُمور الآخرة، وأَن حالة المؤمن العامل الذي ينتظر ثواب الله تعالى خيرٌ من حال كلِّ ذي دنيا.

ثم أَخبر تعالى عن هذه النَّزعة وهذه القوة في الخير في الدِّين أَنَّه لَا يُلَقَّاهَا؛ أَي: لا يُمَكَّن فيها ويُخَوَّلُها إِلَّا الصَّابر على طاعة الله، وعن شهوات نفسه، وهذا هو جماعُ الخير كله، والضمير في ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾: عائد على ما لم يتقدم له ذكر من حيْثُ الكلامُ دالٌّ عليه، فلذلك يجري مجرى: ﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وقال الطبري: الضمير عائد على الكلمة، وهي قوله: ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ أَيْ: لا يُلَقَّى هذه الكلمة إِلَّا الصابرون، وعنهم تصدر[2].

ورُوي في الخسف بقارون وبداره أَن موسى عليه السلام لمَّا أَمَضَّه فعلُ قارون به، وتعدِّيه عليه، ورميه بأَمر المرأَة، وغير ذلك من فعله به، استجار بالله تعالى وبكى وطلب النُّصرة، فأَوحى الله تعالى إِليه: لا تهتم فإِنِّي قد أَمرتُ الأَرض أَن تطيعك في قارون وأَهله وخاصَّته[3] وأَتباعه، فقال موسى للأَرض: خُذيهم، [فأَخذت منهم إِلى

---

(١) ساقط من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٩).

(٣) سقطت من فيض الله، وفي الأصل ولالاليه والحمزوية والتركية: «وحامَّته».

الرُّكب، فاستغاثوا بموسى: يا موسى](١)، فأَخذتهم شيئاً شيئاً، وهم يستغيثونَ به كلَّ مرَّة، وهو يُلجُّ إِلى أَن تَمَّ الخسف بهم، فأَوحى الله تعالى إِليه: يا موسى، استغاثوا بك فلم ترحمهم، لَوْ بِيَ استغاثوا وإِليَّ تابوا لرحمتهم وكشفت ما بهم.

وقال قتادة، ومالك بن دينار: رُوي لنا أَنه يخسف به كل يوم قامة فهو يتجلجل إِلى يوم القيامة(٢).

و«الْفِئَةُ»: الجماعة الناصرة التي يفيءُ إِليها الإِنسان الطالب للنُّصْرة.

وقصة قارون(٣) هي بَعْدَ جوازهم الْيَمَّ؛ لأَن الرُّواة ذكروا أَنه كان ممن حفظ التوراة، وكان يقرؤُها.

ثم أَخبر تعالى عن حال الذين تمنَّوْا مكانه بالأَمس، وندمهم واستشعارهم أَن الحولَ والقوة لله تعالى.

وقوله: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ مذهب سيبويه والخليل أَن «وَيْ»: حرف تنبيه، وهي منفصلة من «كَأَنَّ»، لكن أُضيفت في الكتابة لكثرة الاستعمال، [والمعنى أنهم نبهوا من خاطبوه ثم قالوا بين الأخبار](٤) وعلى جهة التَّعَجُّب والتثبت(٥): كأن الله يبسط الرزق.

وقال أَبو حاتم وجماعة من النحويين: (وَيْكَ) هي: وَيْلَك، حذفت [اللام منها

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) أخرج الطبري (١٩/ ٦٣٢)، وابن أبي حاتم (١٧١٦٠)، كلاهما من طريق قتادة به، معضلًا، وروى الطبري (١٩/ ٦٣٢)، من طريق مالك بن دينار به، معضلاً.

(٣) في الأصل: «ما روي».

(٤) في المطبوع بدله: «والمعنى: أَن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم، أَو نُـبِّـهُوا فقيل لهم: أَما يُشبه أَن يكون هذا عندكم هكذا فقالوا على جهة التعجب... إلخ» قال في الحاشية: غير واضح في الأصل، وفيه تخليط، وقد نقلناه مصوباً عن الكتاب لسيبويه (٢/ ١٥٥).

(٥) في المطبوع: «والتَّندم»، وفيه: «فإِنَّ»، بدل: «كأن».

لكثرة الاستعمال][1]، وجرت في الكلام كذلك، ومنه قول عنترة:

[الكامل] وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قِيلُ الْفَوَارِسِ: وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِمِ[2]

فكأن المعنى: ويْلَكَ، اعلم أنَّ الله، ونحو هذا من الإِضمار للفعل.

وقالت فرقة من النحويِّين: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ بِجُملتها دون تقدير انفصالٍ، كلمةٌ بمنْزلة قولك: أَلم تَـرَ أَنَّ.

قال القاضي أَبو محمد: ويَقْوَى الانفصالُ فيها على ما قاله سيبويه؛ لأَنها تجيءُ مع «أَنَّ» [ومع «أَنْ»][3]، وأَنشد سيبويه:

[الخفيف] وَيْ كَأَنْ منْ يكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ـبَبْ ومَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ[4]

وهذا البيت لزيد بن عمرو بن نُفَيْل.

وقرأَ الأَعمش: (لولا مَنَّ الله) بحذف ﴿أَن﴾، ورُوي عنه: (لولا مَنُّ) برفع النون، وبالإِضافة إِلى (اللَّهِ)[5].

---

(١) ساقط من المطبوع، وفيه فقط: «ولامه»، قال في الحاشية: سقطت كلمة «لامُه» من الأصل، والمعنى يقتضيها.

(٢) البيت من معلقته المعروفة، انظر عزوه له في، جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٧٣)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٢٥٥)، والأغاني (٩/ ٢٥٤).

(٣) ساقط من نجيبويه، وهو في فيض الله ملحق بالهامش.

(٤) البيت لزيد بن عمرو بن نُفَيل، كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ١٥٥)، والأصول في النحو (١/ ٢٥١)، وعيون الأخبار (١/ ٣٤٨)، وأمالي الزجاجي (ص: ٢٣٢)، ونسبه في تاريخ دمشق (٢١/ ٨٩)، والبيان والتبيين (١/ ١٩٨) لابنه سعيد بن زيد، وعزاه في شرح المعلقات التسع (ص: ٢٥٥)، والأغاني (١٧/ ٢٨٣)، لنبيه بن الحجاج السهمي، وانظر خزانة الأدب (٦/ ٤١٥).

(٥) وهما شاذتان، ذكرهما معاً في البحر المحيط (٨/ ٣٢٩)، وضبط الثانية الكرماني في الشواذ (ص٣٧٠)، وفي مختصر الشواذ (ص١١٥)، وتفسير الزمخشري (٣/ ٤٣٥)، قراءة واحدة غير مضبوطة بالشكل.

وقرأَ الجمهور: ﴿لَخُسِفَ﴾ بضم الخاءِ وكسر السين، وقرأَ عاصم بفتح الخاءِ والسين[١].

وقرأَ الأَعمش، وطلحة بن مصرف: (لانْخُسِفَ)[٢]، كأَنه فعل مطاوع[٣] أَراد به / أَن الأَرض كانت تنفعله[٤]. [٤/ ١٦٦]

ورُوي عن الكسائي أَنه كان يقف على (وَيْ)، ويبتدئ (كَأَنَّ)، وروي عنه الوصل كالجماعة، وروي عن أَبي عمرو أَنه كان يقف على (وَيْكَ)، ويبتدئ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾، وعلى هذا المعنى قال الحسن: إِن شئت: (وَيْكَ أَنَّ)، أَوْ (وَيْكَ إِنَّ) بفتح الهمزة وبكسرها، فكذلك في ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾.

هذا إِخبارٌ مستأْنف من الله تعالى لنبيِّهِ محمد ﷺ، يُراد به إِخبار جميع العالم وحَضِّهم على السعي[٦] بحسب ما تضمَّنته الآية، وهذا الحضُّ[٧] يتضمَّن الإِنحاءَ على حال قارون ونُظرائه.

---

(١) وهما سبعيتان، والثانية لحفص خاصة، انظر التيسير (ص: ١٧٢)، والسبعة (ص: ٤٩٥).

(٢) وهي شاذة، عزاها لهما في المحتسب (٢/ ١٥٧)، وزاد ابن مسعود، واقتصر عليه في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١).

(٣) في نجيبويه: «فعل مضارع مطاوع».

(٤) في المطبوع: «منفعلة»، وأشار في هامش الأصل إلى نسخة أخرى: «تبتلعه».

(٥) انظر وقف الكسائي وأبي عمرو في التيسير (ص: ٦١)، ولم أجد للحسن هنا شيئاً.

(٦) في المطبوع: «السَّيْر».

(٧) في الأصل: «الحدُّ»، وفي لالاليه: «الحظ».

والمعنى: أَن الآخرة ليست في شيءٍ من أَمر قارون، إِنما هي لمن صفتُه كذا وكذا، والعُلُوُّ المذموم هو بالظُّلْم والانتحاء[١] والتَّجبُّر، قال النبي ﷺ: «وذلك أَن تُرِيد أَن يكون شِرَاك نعلك أَفضل من شِرَاك نعل أَخيك»[٢].

والفَسَادُ يعم جميع الوجوه من الشَّرِّ، ومما قال العلماءُ: هو أَخْذ المال بغير حق.

وقوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: خبر منفصل جزم[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ﴾ معناه: إِمَّا في الدُّنيا، وإلا ففي الآخرة ولا بُدَّ.

ثم وصف تعالى أَمر جزاءِ الآخرة أَنَّه من عمِلَ صالحاً فَلَهُ خَيْرٌ من القَدْر الذي يقتضي النظرُ أَنه مُوَازٍ لذلك العمل، هذا على أن تُجعل الحسنة في التَّفْضيل، وفي القول حذفُ مضافٍ؛ أَي: مِن ثوابها الموازي لها.

ويحتمل أَن تكون ﴿مَن﴾ لابتداءِ الغاية؛ أَي: له خير بحسب حسنته ومِن أَجلها، وأَخبر تعالى أَن السيئة لا يضاعف جزاؤُها فَضْلاً منه ورحمة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ معناه: أَنْزَلَهُ عليك وأَثبته، والفَرْضُ أَصله عَمَل فَرَضَة[٤] في عودٍ أَو نحوه، فكأَن الأَشياءَ التي تثبت وتمكن وتبقى تشبه ذلك الفرض.

---

(١) في المطبوع: «والعلو مذموم وهو الظلم والتجبر»، وسقطت منه: «الانتحاء»، وفي نجيبويه: «إنحاء».

(٢) موقوف ضعيف، لم أجده مرفوعا، ووقفت عليه موقوفاً على علي رضي الله عنه، أخرجه الطبري (١٩/ ٦٣٨)، قال: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أشعث السمان، عن أبي سلمان الأعرج، عن علي رضي الله عنه، وهذا إسناد ضعيف، ابن وكيع، هو سفيان، ضعيف الحديث، وأما أشعث السمان، فهو متروك الحديث، انظر تهذيب الكمال (٣/ ٢٦١)، وأبو سلمان الأعرج لم أقف عليه، ولعله محرف من أبي سلام، وهو ممطور الأعرج الأسود، فإن يَكُنْه، فإن روايته عن علي لم تثبت، انظر جامع التحصيل (٧٩٧)، والله أعلم.

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) كتبت وضبطت في المطبوع: «عملٌ فرضهُ»، وفي نجيبويه والتركية: «في عمود».

وقال مجاهد: معناه: أَعطاك القرآن[١].

[وقالت فرقة: في هذا القول حذف مضاف، والمعنى: فَرَضَ عليك أَحكام القرآن][٢].

واختلف المتأَولون في معنى قوله: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾:

فقال جمهور المتأَوِّلين: أَراد: إِلى الآخرة؛ أَي: باعثُك بعد الموت، فالآية ـ على هذا ـ مقصدها إِثباتُ الحشر، والإِعلامُ بوقوعه.

وقال ابن عباس[٣]، وأَبو سعيد الخدري وغيرهما: الْمَعَاد: الجنة[٤].

وقال ابن عباس أَيضاً وجماعة: المعادُ: الموتُ[٥].

قال القاضي أَبو محمد: فكأَن الآية ـ على هذا ـ واعظةٌ ومذكرة.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٥٣٢)، وتفسير الطبري (١٩/ ٦٣٨).

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (١٩/ ٦٣٩)، وابن أبي حاتم (١٧٢٠٣)، من طريق خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف، خصيف، هو ابن عبد الرحمن الجزري، ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٨/ ٢٥٧)، ورواه الطبري (١٩/ ٦٣٩)، من طريق الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام راويه، ورواه ابن أبي حاتم (١٧١٩٨)، من طريق المقدسي قال: ثنا رجل ـ سماه ـ عن السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد ضعيف أيضاً لإبهام راويه.

(٤) ضعيف، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٨٠)، من طريق إبراهيم بن حيان، قال: سمعت أبا جعفر قال: دخلت على أبي سعيد الخدري قال: معاده: الجنة، وهذا إسناد ضعيف، إبراهيم بن حيان، قال فيه أبو زرعة: مجهول، انظر الجرح والتعديل (٢/ ٩٤)، ورواه الطبري (١٩/ ٦٣٩)، قال: ثنا ابن وكيع، عن أبيه، عن إبراهيم بن حيان، قال: سمعت أبا جعفر، عن ابن عباس، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنهم، به، وفي سياق السند زيادة ابن عباس، ولعل الاضطراب من إبراهيم بن حيان، أو سفيان بن وكيع.

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٤٠)، وابن أبي حاتم (١٧١٩٩)، كلاهما من طريق سفيان، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وهذا إسناد جيد لو سلم من تدليس الأعمش.

وقال ابن عباس أَيضاً[(١)] ومجاهد: المعادُ: مكة[(٢)].

وهذه الآية نزلت بالجُحْفة، مقدم[(٣)] رسول الله ﷺ في هجرته إِلى المدينة.

قال القاضي أَبو محمد: فالآية ـ على هذا ـ مُعْلِمة بغيب قد ظهر للأُمَّة، ومؤْنسة بفتح.

والمعاد: الموضع الذي يُعاد إِليه، وقد اشتهر به يوم القيامة لأَنه مَعادٌ للكل.

وقوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ الآية، آية متاركة[(٤)] للكفار وتوبيخ.

وأَسند الطبريُّ في تفسير قوله ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ قال: الجنة[(٥)].

وسمَّاها معاداً: إِمَّا من حيث قد دخلها النبي ﷺ في الإِسراءِ[(٦)] وغيره.

وإِمَّا من حيث قد كان فيها آدم عليه السلام؛ فهي معادٌ لذريته.

قال القاضي أَبو محمد: وإِنما قال هذا من حيث تعطي لفظة «المعاد» أَن المخاطب قد كان في حال يعود إِليها، وهذا وإِن كان مما يظهر في اللفظة فيتوجه أَن يُسمى معاداً ما لم يكن المرءُ قط فيه تجوُّزاً[(٧)]؛ ولأَنها أَحوالٌ تابعة للمعاد الذي هو النشور من القبور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٥)، من قول ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٦١٣)، وتفسير الطبري (١٩/ ٦٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٦).

(٣) في المطبوع: «فتقدم».

(٤) في لالاليه: «مشارة».

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٦٤٢).

(٦) في المطبوع زيادة: «والمعراج».

(٧) في المطبوع: «مجوزاً»، وسقطت منه كلمة: «قط».

قال بعض المفسرين: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ﴾... الآية، ابتداءُ كلام مضمنه تعديد[١] النعمة على محمد ﷺ، وأَن الله تعالى رحِمَهُ رحْمَةً لم يحتسبها ولا بلغها أَمَلُه.

وقال بعضهم: بل هو كلام متعلق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أَي: وأَنت بحال من لا يرجو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ عبارة عن تقليده النُّـبُوَّة[٢] وتبليغ القرآن، كما تقول: أَلْقَى فُلانٌ إِلى فلانٍ بالرياسة، ونحو هذا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾: نصب على استثناءٍ منقطع، و«الظَّهِيرُ»: المُعين؛ أَي: اشتد يا محمد في تبليغك، ولا تَلِنْ، وَلَا تفشل، فتكون معونَتُه للكافرين بهذا الوجه؛ أَي: بالفتور عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾؛ أَي: بأَقوالهم وكذبهم وأَذاهم، فلا تلتفت نحوه وامْض لشأْنك.

وقرأَ يعقوب: (ولَا يَصُدُّنْك) بجزم النون[٣].

وقوله: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وجميع الآية يتضمن المهادنة والموادعة، وهذا كله منسوخ بآية السيف.

وسبب هذه الآية ما كانت قريش تدعو رسول الله ﷺ إِليه من تعظيم أَوثانهم، وعند ذلك أَلقى الشيطانُ في أُمنيته أَمْر الغَرانيق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ نَهْي عما هم بسبيله، فهم المراد وإِن عَرِي اللفظ من ذكرهم.

---

(١) في المطبوع: «تقدير».

(٢) في المطبوع: «إِعلان النبوة»، و«النبوة» سقطت من التركية.

(٣) وهي شاذة، عزاها في الشواذ للكرماني (ص: **٣٧٠**) لابن أبي إسحاق، وليست في شيء من طرق النشر، ولا الهذلي.

وقوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ قالت فرقة: هي عبارة عن الذات.

والمعنى: هالك إِلَّا هُو، قاله الطبري وجماعة منهم أَبو المعالي رحمه الله[١].

وقال الزَّجَّاج: إِلَّا إِيَّاه[٢].

وقال سفيان الثوري: المراد: إِلَّا ذا وجهه[٣]؛ أَي: ما عُمل لذاته من طاعة، وتُوُجِّه به نحوه، ومن هذا قول الشاعر:

[البسيط] .... ربَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ والْعَمَلُ[٤]

ومنه قول القائل: أَردتُ بفعلي وجْهَ الله تعالى، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾؛ أَي: فصْل القضاءِ وإِنفاذ القدرة[٥] في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إِخبارٌ بالحَشْرِ والعودة من القبور.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاءِ وفتح الجيم.

وقرأَ عيسى: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التاء[٦] وكسر الجيم، وقرأَ أَبو عمرو بالوجهين[٧].

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٤٣)، وانظر قول أبي المعالي في تفسير القرطبي (١٧/ ١٦٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٥٨).

(٣) في المطبوع: «ما أُدِّي لوجهه»، ولم أقف على نسبة هذا القول له.

(٤) صدره: أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ، وهو بلا نسبة في الكتاب لسيبويه (١/ ٣٧)، والمقتضب (٢/ ٣٢١)، والأصول في النحو (١/ ١٧٨)، وغيرهم، قال في خزانة الأدب (٣/ ١١١)، وهو من الأبيات الخمسين التي لم يُعرف قائلها.

(٥) في المطبوع: «إنفاذه»، وفي نجيبويه: «إبقاء القدرة».

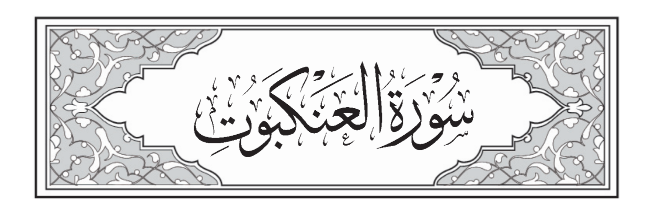
(٦) في المطبوع: «الياءِ».

(٧) الأولى للسبعة، والثانية عشرية ليعقوب على قاعدته كما في النشر (٢/ ٢٠٨)، وأبعد في البحر المحيط (٨/ ٣٣٢) فنسبها لعيسى، وليس هنا لأبي عمرو شيء، والله أعلم.

كمل تفسير سورة القصص، والحمد لله ربِّ العالمين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أَجمعين

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

/ سورة العنكبوت

[٤/ ١٦٧]

هذه السُّورة مكيَّة إِلَّا الصدر منها، العشر الآيات، فإِنها مدنية، نزلت في شأْن من كان من المسلمين بمكة، وفي هذا الفصل اختلاف، وهذا أصح ما قيل فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.

تقدم القول في الحروف المقطَّعة في أَوائل السُّور، وقرأَ ورش: ﴿الٓمَ اَحَسِبَ﴾ بفتح الميم من غير همز بعدها، وذلك على تخفيف الهمزة وإِلْقاءِ حركتها على الميم(١).

وهذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يُؤذونهم، ويُعذبونهم على الإِسلام، فكانت صدورهم تضيق لذلك، وربما اسْتُنْكِر أَن يُمَكِّن الله الكفرة من المؤمنين، قال مجاهد وغيره: فنزلت هذه الآية مُسَلِّية ومعلِّمة أَن هذه هي سيرة الله تعالى في عباده، اختباراً للمؤمنين وفتنة؛ ليعلم الصادق ويرى ثواب الله تعالى له، ويعلم الكاذب ويرى عقابه إِياه(٢).

---

(١) على قاعدته في النقل، انظر: التيسير (ص: ٣٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٢١١)، بتصرف.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه الآية ـ وإِن كانت نزلت بهذا السبب، وفي هذه الجماعة ـ فهي بمعناها باقية في أُمَّة محمد ﷺ، موجودٌ حُكْمها بقية الدهر، وذلك أَن الفتنة من الله تعالى باقية في ثغور المسلمين بالأَسر ونِكاية العدوِّ وغير ذلك، وإِذا اعتبر أَيضاً كلُّ موضع ففيه ذلك بالأَمراض وأَنواع المحن، ولكن التي تُشبه نازلة المؤمنين مع قريش هي ما ذكرناه مع أَمر العدوِّ في كل ثغر.

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير[١]: نزلت هذه الآية في عمَّار بن ياسر ـ إِذ كان يُعذب في الله تعالى ـ ونُظَرائه[٢].

وقال الشعبي: سبب الآية: ما كُلِّفه المؤمنون من الهجرة، فهي الفتنة[٣] التي لم يتركوا دونها؛ لا سيَّما وقد لحقهم بسببها أَن اتبعهم الكفَّار وردُّوهم وقاتلوهم، فقُتل من قُتل، ونجا من نجا.

وقال السدي: نزلت في مسلمين كانوا بمكة وكرهوا الجهاد والقتال حين فرض على النبي ﷺ [في المدينة][٤].

و(حَسِبَ) معناه: ظَنَّ، و﴿أَن﴾ نصب بـ (حَسِبَ)، وهي والجملة التي بعدها تَسُدُّ مسدَّ مفعولَيْ (حَسِبَ)، و﴿أَن﴾ الثانية في موضع نصب على تقدير إِسقاط حرف الخفض، وتقديره: بأَنْ يقولوا، ويحتمل أَن يقدر: لأَنْ يقولوا، والمعنى في الباءِ واللام مختلف، وذلك أَنه في الباءِ كما تقول: تركت زيداً بحاله، وهو في اللام بمعنى: مِنْ أَجْل؛ أَي: حسبوا أَن إِيمانهم علَّـةٌ للترك.

---

(١) في المطبوع: «عبد الله بن عمر رضي الله عنه»، وهو خطأ، وعبد الله هذا تقدم ذكره في تفسير سورة الفاتحة.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٨-٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٢)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٧٠).

(٣) في المطبوع أَمَّا الفتنة فهي الهجرة، وانظر قول الشعبي في تفسير الطبري (١٩/ ٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣١)، بتصرف.

(٤) ليست في المطبوع، وانظر: البحر المحيط (٨/ ٣٣٨).

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: يريد بهم المؤمنين مع الأَنبياءِ في سالف الدهر.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ﴾ بفتح الياءِ واللام الثانية، ومعنى ذلك: ليُظْهرنَّ علمه ويُوجدن ما علمه أَزلاً، وذلك أَن علمه بهذا أَزلاً[(١)] قديم، وإِنما هذه عبارة عن الإيجاد بالحالة التي تضمنها العلم القديم، والصدق والكذب على بابهما؛ أَي: مَنْ صَدَق فعلُه وقولُه ومَن كذَب، ونظير هذا قول زهير:

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يصْطَادُ الرِّجالَ إِذا ... ما كذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا[(٢)] [البسيط]

قال النقاش: وقيل: إِن الإِشارة بـ ﴿صَدَقُواْ﴾ إِلى مِهْجع مولى عمر بن الخطاب؛ لأَنه أَوَّل قتيل قُتل من المؤمنين يوم بدر[(٣)].

وقالت فرقة: إنما هي استعارة وإنما أراد بها الصلابة في الدين أو الاضطراب فيه وفي جهاد العدو ونحو هذا.

وقرأَ علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: (فَلَيُعْلِمَنَّ) بضم الياءِ وكسر اللام الثانية[(٤)].

وهذه القراءَة تحتمل ثلاثة معانٍ:

أَحدها: أَن يُعْلِم في الآخرة هؤلاءِ الصَّادقين والكاذبين بمنازلهم من ثوابه وعقابه، وبأَعمالهم في الدنيا، بمعنى يوقفهم على ما كان منهم.

والثاني: [أَن يكون المفعول الأول محذوفاً تقديره: ليعلمن][(٥)] الناس أو العالم

---

(١) من المطبوع والتركية ونجيبويه، وسقطت «قديم» من هاتين النسختين.

(٢) انظر عزوه له في جمهرة اللغة (٢/ ١١٦٧)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٠١)، والمبهج لابن جني (ص: ٤٩)، وعَثَّر: موضع.

(٣) لم أجده مسنداً، وانظر القصة في تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٧٠).

(٤) الثانية من المطبوع، والقراءة شاذة، انظر عزوها لعلي مع التوجيه في المحتسب (٢/ ١٥٩).

(٥) في المطبوع بدله: «أَن يُعْلِمَ»، وسقط من فيض الله ما بين «الصادقين والكاذبين»، إلى «الصادقين والكاذبين» الثانية.

هؤلاءِ الصادقين والكاذبين؛ أَي: يفضحهم وَيُشَهِّرهم، هؤلاءِ في الخير، وهؤلاءِ في الشَّر، وذلك في الدنيا والآخرة.

والثالث: أَن يكون ذلك من العلامة؛ أَيْ: يضع لكل طائفة عَلَماً تُشهر به، فالآية ـ على هذا ـ ينظر إِليها قولُ النبي ﷺ: «من أَسرَّ سريرة أَلْبسه الله رداءَها»(١).

وعلى كلِّ معنىً مِنْها ففيها وعْدٌ للمؤمنين الصادقين، ووعيدٌ للكافرين.

وقرأَ الزهري الأُولى كقراءَة الجماعة، والثانية كقراءَة علي رضي الله عنه(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾.

﴿أَمْ﴾: معادلة للأَلف في قوله: ﴿حَسِبَ﴾، وكأَنه عزَّ وجلَّ قرَّر الفريقين، قرَّر المؤمنين على ظنهم أَنهم لا يفتنون، وقرر الكافرين الذين يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ بتعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنهم أَنهم يسبقون عقاب الله ويُعجزونه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ـ وإِن كان الكفَّارُ المرادَ الأَول بحسب النازلة التي الكلام فيها ـ فإِن لفظ الآية يعم كل عاصٍ وعامِل سيئة من المسلمين وغيرهم.

---

(١) ساقط، أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٧)، من حديث عثمان مرفوعاً، وفي إسناده سليمان بن أرقم وهو متروك، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٤١٠)، من حديث جندب بن سفيان البجلي، وفي إسناده حامد بن آدم المروزي وهو كذاب، ومحمد بن عبيد الله العرزمي وهو متروك، وقيل: إنه روي عن ابن مسعود من قوله، ولم أقف عليه.

(٢) وفي مختصر الشواذ (ص١١٥)، والشواذ للكرماني (ص٣٧١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٠)، عنه موافقة علي فيهما.

وقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ يجوز أَن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى «الذي»، فهي في موضع رفع، ويجوز أَن تكون في موضع نصب على تقدير: ساءَ حُكْماً يحكمونه[١].

[وقال ابن كيسان: ﴿مَا يَحۡكُمُونَ﴾ في موضع المصدر، كأنه قال: ساءَ حُكمُهُم][٢].

وفي هذه الآية وعيدٌ للكفرة الفاتنين[٣]، وتأْنيس [وعدة بالنصر للمؤمنين / [٤/ ١٦٨] المفتونين المغلوبين، ثم أخبر تعالى عن الحشر والرجوع إلى الله تعالى][٤] في القيامة، وبأَنه آتٍ؛ إِذ قد أَجَّله الله تعالى وأَخبر به.

وفي قوله: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ تثبيتٌ؛ أَي: من كان على هذا الحق فليُوقن بأَنه آتٍ وليتزَيَّدْ[٥] بصيرة.

وقال أَبو عبيدة: يَرْجُو هاهنا بمعنى: يخاف، والصحيح: أَن الرجاءَ هنا على بابه متمكناً[٦].

وقال الزَّجَّاج: المعنى: يرجو لقاءَ ثواب الله[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ معناه: السميع لأَقوال كلِّ فِرْقَة، العليم بالمعتقدات التي لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ إِعلامٌ بأَن كل أَحد مجازى بفعله الحسن، فهو [إذاً له وهو][٨] حظُّه الذي ينبغي أَلاَّ يفرط فيه، فإِن الله غني عن جهاده وعن العالمين بأَسرهم.

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٥٠)، والهداية لمكي أيضاً (٩/ ٥٥٩٩).
(٢) سقط من المطبوع، وانظر البحر المحيط (٨/ ٣٤١).
(٣) ليست في المطبوع.
(٤) سقط من المطبوع وفيه بدلًا منه: «للمؤمنين يظهر في وعده بالنصر»، وفي لالاليه هنا طمس.
(٥) في المطبوع: «وليزدد».
(٦) «متمكناً» ليست في المطبوع، وانظر قول أبي عبيدة في مجاز القرآن له (٢/ ١١٣).
(٧) معاني القرآن وإعرابه له (٤/ ١٦٠).
(٨) ليس في المطبوع.

وهاتان الآيتان [كأَنهما نبذ][(١)] على سواءٍ إِلى الطائفة المرتابة المترددة في فتنة الكفار، التي كانت تنكر أَن ينال الكفارُ المؤمنين بمكروه، وترتاب من أَجل ذلك، فكأَنهم قيل لهم: من كان يؤمن بالبعث فإِن الأَمر حق في نفسه، والله تعالى بالمرصاد؛ أَي: هذه بصيرة لا ينبغي لأحد[(٢)] أَن يعتقدها لوجه أَحد، وكذلك من جاهد فثمرة جهاده له، فلا يَمُنُّ بذلك على أَحد، وهذا كما يقول المناظر عند سَوْق حجته: من أَراد أَن ينظر إِلى الحق فإِن الأَمر كذا وكذا، ونحو هذا فتأَمله.

[وقيل: معنى الآية: ومن جاهد المؤمنين ودفع في صدر الدين فإنما جهاده لنفسه لا لله، فالله غني][(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول ذكره المفسرون، وهو ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، إِخبارٌ عن المؤمنين المهاجرين[(٤)] الذين هم في أَعلى رتبة من البدار إِلى الله تعالى، رفع[(٥)] بهم عزَّ وجلَّ وبحالهم ليُقِيم نفوس المتخلفين عن الهجرة، وهم الذين فتنهم الكفار إِلى الحصول في هذه المرتبة.

و﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكفر وما اشتمل عليه، ويدخل في ذلك المعاصي من المؤمنين مع الأَعمال الصالحات واجتناب الكبائر.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ حذف مضاف تقديره: ثوابَ أَحْسن الذي كانوا يعملون.

---

(١) في فيض الله بدل هذه الكلمة فراغ، وفي المطبوع نقاط، قال في الحاشية: كلمة لم نستطع قراءتها.

(٢) ليسن في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «وقيل معنى الآية: ومن جاهد عدوَّه لنفسه لا يريد وجه الله، فإِنما جهاده لنفسه لا للَّهِ تعالى وليس لله حاجة بجهاده».

(٤) سقطت من فيض الله، وفي المطبوع: «المجاهدين».

(٥) في المطبوع: «أَشاد».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۝١١﴾.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾... الآية؛ رُوي عن قتادة أَنها نزلت في شأن سعد بن أَبي وقاص، وذلك أَنَّه هاجر، فحلفت أُمُّه أَلَّا تَسْتظِل بِظلٍّ حتى يرجع إِليها ويكفر بمحمد ﷺ، فَلَجَّ هو في هجرته، ونزلت الآية[1].

وقيل: بل نزلت في عياش بن أَبي ربيعة، وذلك أَنه اعتراه في دينه نحو من هذا بعد أن خدعه أَبو جهل وردَّه إِلى أُمِّه، الحديث في كتاب السيرة[2].

ولا مِرْية أَنها نزلت فيمن كان من المؤمنين بمكة يشقى بجهاد أَبويه في شأْن الإِسلام والهجرة، فكأَن القصد بهذه الآية النهي عن طاعة الأَبوين في مثل هذا؛ لعظم الأمر، [وكثرة الخطر فيه مع الله تعالى][3].

ثم إنه لما كان برُّ الوالدين وطاعتهما من الأُمور التي قررتها الشريعة وأكدت فيه، وكان من الأَمر[4] القوي عندهم الملتزم؛ قدَّم تعالى على النهي عن طاعتهما [في الشِّرك بالله][5] قولَه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾، على معنى: [إنا لا نُخِل ببر][6] الوالدين، لكنا لا[7] نسلط ذلك على طاعة الله تعالى، لا سيما في معنى الإِيمان والكفر.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٦).

(٢) لم أجده مسنداً.

(٣) ساقط من المطبوع، وفيه: «هذا الأمر العظيم»، وفيه: «ولما»، بدل: «ثم إنه لما».

(٤) من المطبوع.

(٥) من المطبوع، وسقط من نجيبويه ما قبله من قوله: «من الأمر».

(٦) في المطبوع: «إنا لا نحل عقوق».

(٧) في فيض الله لالاليه ونور العثمانية: «لكنا نسلطه»، ليس قبلها نفي.

وقوله: ﴿حُسْنًا﴾ يحتمل أَن ينتصب على المفعول، وفي ذلك تجوُّز، ويسهله كونه عامّاً لمعان، كما تقول: وصيتك خيراً، أو أَوصيتك شرّاً، عبَّر بذلك عن جملة ما قلتَ له، وَيُحَصِّن ذلك دون حرف الجرِّ [كونُ حرف الجرِّ] (١) في قوله: ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾؛ لأَن المعنى: ووصينا الإِنسان بالحسن في فعله مع والديه، ونظير هذا قول الشاعر:

[الرجز]

عَجِبْتُ مِن دَهْمَاءَ إذْ تَشْكُونَا ... وَمِنْ أَبي دَهْمَاءَ إِذْ يُوصِينَا

خَيْراً بِهَا كَأَنَّنَا جَافُونَا (٢) ... .

ويحتمل أَن يكون المفعول الثاني في قوله: ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾، وينتصب ﴿حُسْنًا﴾ بفعل مضمر تقديره: يحسن حسناً، وينتصب انتصاب المصدر.

[والجمهور على ضم الحاء وسكون السين] (٣).

وقرأ عيسى والجحدري: (حَسَناً) بفتحهما، وقال الجحدري: في الإِمام مكتوب: (بِوَالِدَيْهِ إِحْساناً)، قال أَبو حاتم: يعني في الأَحقاف، وقال الثعلبي: في مصحف أُبيٍّ بن كعب: (إِحْسَاناً)، [ووجوه إعرابه كالذي تقدم في قراءة من قرأ: ﴿حُسْنًا﴾] (٤).

وقوله تعالى: ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ وعيد في طاعة الوالدين في معنى (٥) الكفر.

ثم كرَّر تعالى التمثيل بحالة المؤمنين العاملين (٦) ليحرِّك النفوسَ إِلى نيل مراتبهم.

---

(١) ساقط من لالاليه.

(٢) البيت في معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٨)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١١)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٧١)، بدون نسبة.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) سقط من المطبوع، وهما شاذتان، والجحدري زيادة منه، انظر عزو الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١١٥)، والثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧١)، وكلام الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٧١)، وفي المطبوع: «التغلبي»، وتأويل أبي حاتم لم أجده، وفي المطبوع: «كالأحقاف»، يشير إلى الآية رقم (١٥) من سورة الأحقاف، وسيأتي الخلاف فيها في محله.

(٥) في نجيبويه: «غير».

(٦) سقط من المطبوع.

وقوله تعالى: ﴿لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ مبالغة، على معنى: في الذين هم في نهاية الصلاح وأَبْعَدِ غاياتِه، وإذا تحصَّل للمؤمنين هذا الحكم تحصل ثَمَرُه، وجزاؤُه هو الجنة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾... الآية إلى قوله: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾، نزلت في قوم من المسلمين كانوا بمكة مختفين بإسلامهم، قال ابن عباس: فلما خرج كفار قريش إلى بدر أَخرجوا مع أَنفسهم طائفة من هؤلاءِ، فأُصيب بعضهم، فقال المسلمون: كانوا أَصحابنا وأُكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآية [النساء: ٩٧].

قال: فكتب المسلمون لمن بقي بمكة هذه الآية، وأَلَّا عُذْر لهم، فخرجوا فلحقهم المشركون فأَعطوهم الفتنة وردُّوهم إلى مكة، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾... الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا[١] ويئسوا من كل خير، ثم نزلت فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٠]، فكتب المسلمون[٢] إليهم / بذلك، وأَن الله تعالى قد جعل لكم مخرجاً فخرجوا، فلحقهم المشركون فقاتلوهم، فنجا من نجا، وقُتل من قُتل[٣]. [٤/ ١٦٩]

وقال ابن زيد: نزل قوله تعالى: ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية في منافقين كفروا لمَّا أُوذوا[٤].

---

(١) في المطبوع: «فحزنوا».

(٢) من المطبوع.

(٣) أخرج البخاري (٤٣٢٠) (٧٠٨٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه: أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآية. فقط، أما بقية ما ساقه المصنف بعد ذلك فمن قول عكرمة، أخرجه الطبري (٩/ ١٠٦) بإسناد صحيح.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٨).

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: صعب عليه أذى الناس حين صدُّوه، وكان حقُّه ألَّا يلتفت إليه، وأن يصبر عليه في جنب نجاته من عذاب الله، ثم أزال تعالى موضع تعلُّقهم ومغالطتهم إنْ جاءَ نَصر، ثم قرَّرهم على علم الله تعالى بما في صدورهم؛ أيْ: لو كان يقيناً تامّاً وإسلاماً خالصاً لما توقفوا ساعة، ولركبوا كل هول إلى هجرتهم وراءَ نبيِّهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ تفسيره على حدِّ ما تَقَدَّم في نظيره.

وهنا انتهى المدني من هذه السورة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

رُوي أَن قائل هذه المقالة الوليدُ بن المغيرة، وقيل: بل كانت شائعة من كفار قريش، قالوا لأَتباع النبي ﷺ: ادخلوا في أَمرنا، وأَقروا بآلهتنا واعبدوها معنا، ونحن ليقيننا أَنه لا بعث بعد الموت ولا رجوع؛ نضمن لكم حمل[1] خطاياكم، ونحملها عنكم فيما دعوناكم إِليه، إِن كان في ذلك درك كما تزعمون أَنتم[2].

وقولهم: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ إِخبارٌ أَنهم يحملون خطاياهم على جهة التشبيه بالثقل[3]، ولكنهم أَخرجوه في صيغة الأَمر؛ لأَنها أَوجب وأَشدُّ تأَكداً في نفس السامع من

(١) ليست في المطبوع.
(٢) روي عن مجاهد، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥).
(٣) في المطبوع: «بالنقل».

المجازات، وهذا نحو قول الشاعر:

فقُلْتُ ادْعِي وأَدْعُ فَإِنَّ أَنْدَى لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ[١] [الوافر]

ولكونه خبراً حسُن تكذيبهم فيه، فأَخبر الله عزَّ وجلَّ أَن جميع ذلك باطلٌ، وأَنهم لو فعلوه لم يُتَحَمَّل عن أَحد من هؤلاءِ المغتَرِّين بهم شيءٌ من خطاياه التي تختص به.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ بجزم اللام.

وقرأَ عيسى ونوح القارئ: (وَلِنَحْمِلْ) بكسر اللام[٢].

وقرأَ داود بن أَبي هند: (مِنْ خَطَيِهِمْ) بفتح الطَّاءِ وكسر الياءِ.

وحكى عنه أَبو عمرو أَنه قَرأَ: (مِنْ خَطِيئَاتِهِمْ) بكسر الطَّاءِ وهمزة وتاءٍ بعد الأَلف[٣].

وقال مجاهد: الحملُ هنا: من الْحَمَالة، لا من الْحَمْل على الظهر[٤].

ثم أَخبر تعالى عن أُولئك الكفرة أَنهم يحملون أَثقالهم [وأَثقالاً مع أَثقالهم؛ أَي: أَثْقَالاً][٥] من كفرهم الذي يجترحونه[٦] ويتلبَّسون به، وأثقالًا مع أثقالهم؛ يريد: ما

---

(١) عزاه في الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٥) للأعشى، وفي المفصل (ص: ٣٢٧) لربيعة بن جشم، وفي أمالي القالي (٢/ ٩٠) للفرزدق، وفي سمط اللآلي (١/ ٧٢٦) لدثار بن شيبان النمري، وفي مختارات ابن الشجري (٣/ ٦): دثار بن سنان، وانظر: الأغاني (٢/ ١٨٣).

(٢) وهي شاذة، عزاها ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص١١٥) لعيسى والحسن، وزاد الكرماني (ص٣٧١) نوحاً والثقفي.

(٣) وهما شاذتان، ونقل عنه الأولى الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧١)، والثانية ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ١١٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٢١٥)، بتصرف.

(٥) من المطبوع.

(٦) في المطبوع: «يخترعونه».

يلحقهم من [إغوائهم لعامتهم][(١)] وأَتباعهم؛ فإِنه يَلحق بكلِّ داعٍ إِلى ضلالة كِفْلٌ منها حسب الحديث المشهور: «أَيما داعٍ دعا إِلى هُدًى فاتُّبع عليه فله مثل أُجور من اتبعه، لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئاً، وأَيما داعٍ دعا إِلى ضلالة» الحديث[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: [وهي وإن كانت من أثقالهم فلكونها][(٣)] بسبب غيرهم وعن غير كفر تلبسوه، فرَّق بينها وبين أَثقالهم، ولم ينسبها إِلى غيرهم، بل جعلها في رُتْبة أُخرى فقط، فهم فيها إِنما يَزِرُون وِزْر أَنفسهم، وقد يترتب حمل أَثقال الغير بما ورد عن النبي ﷺ: «[أنه يقتص للمظلوم بأن يعطى من حسنات ظالمه][(٤)]، فَإِن لم يبق للظالم حسنة[(٥)]؛ أُخذ من سيئات المظلوم فطُرحت عليه»[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ﴾ على جهة التوبيخ والتَّقريع، لا على جهة الاستفهام والاستعلام[(٧)].

و﴿يَفْتَرُونَ﴾ معناه: يختلقون من الكفر ودعْوى الصاحبة والولد لله تعالى وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾... الآية؛ قصة فيها تسلية لمحمد ﷺ عمَّا تضمنته الآيات قبلها[(٨)] من تعنُّت قومه، وفتنتهم للمؤمنين وغير ذلك، وفيها وعيدٌ لهم بتمثيل أَمرهم بأَمر قوم نوح.

---

(١) في المطبوع بدل الكلمتين: «أَعوانهم».
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به.
(٣) في المطبوع: «وإِنَّما كانت مع أَثقالهم لكونها».
(٤) ساقط من المطبوع.
(٥) ليست في المطبوع.
(٦) أخرجه مسلم (٢٥٨١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، به، وكذلك البخاري مختصراً ـ (٦١٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به، وفي المطبوع: «المظلوم فاطرح فطرح عليه».
(٧) سقطت من الحمزوية والتركية.
(٨) في المطبوع: «فيها».

والواو في قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾: عاطفةٌ جملةَ كلام على جملة كلام، والقَسَم فيها بعيد.

وقوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، ﴿فَلَبِثَ﴾، هذا العطف بالفاءِ يقتضي ظاهِرُه أَنه لبث هذه المدة رسولاً يدعو.

وقد يحتمل أَن تكون المدة المذكورة مدة إِقامته في قومه، من لَدُن مولده إِلى غرق قومه.

وأَما على التأْويل الأَول فاختُلف في سنِّه التي بُعث عندها:

فقيل: أَربعون، وقيل: ثمانون، وقال عون[1] بن أَبي شدَّاد: ثلاث مئة وخمسون[2].

وكذلك[3] يحتمل أَن تكون وفاته عليه السلام عند غرق قومه بعد ذلك بِيَسير.

وقد رُوي أَنه عُمِّر بعد ذلك ثلاث مئة وخمسين عاماً، وأَنه عاش أَلف سنة وست مئة وخمسين سنة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ يقتضي أَنه أَخذ قومه فقط، وقد اختُلف في ذلك:

فقالت فرقة: إِنما غرق في الطوفان طائفة من الأَرض وهي المختصة بقوم نوح.

وقالت فرقة ـ هي الجمهور ـ: إِنما غرقت المعمورة كلها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو ظاهر الأَمر؛ لاتخاذه السفينة، ولبعثه الطيرَ ترتاد زوال الماءِ، ولغير ذلك من الدلائل، وبقي أَن يعترض هذا بأَن يقال: كيف غرق الجميع والرسالة إِلى البعض؟ فالوجه في ذلك أَن يقال: إِن اختصاص نَبيٍّ بأُمَّة ليس هو بأَلَّا يهدي غيرها، ولا يدعوها إِلى توحيد الله تعالى، وإِنما هو بأَلَّا يؤخذ بقتال غيرها،

---

(١) في لالاليه: «علي»، وهو العقيلي، تقدم التعريف به في سورة المائدة.

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢).

(٣) في المطبوع: «ولذلك»، وفي لالاليه: «قولك».

ولا يبث العبادات فيهم، [لكن إذا كانت نبوة قائمة هذه المدة الطويلة والناس حولها يعبدون الأوثان][(١)]، ولم يكن الناس يومئذ كثيرين / بحكم القرب من آدم، فلا محالة أنَّ دعاءَه إِلى توحيد الله تعالى كان قد بلغ الكل، فنالهم الغرق لإِعراضهم وتماديهم. [٤/ ١٧٠]

و﴿ٱلطُّوفَانُ﴾: العظيم الطَّامي، ويقال ذلك لكل طامٍ خرج عن العادة من ماءٍ أَو نارٍ أَو موت، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] أَفْنَاهُمُ طُوفَانُ مَوْتٍ جارفٍ[(٢)] ....

و«طوفان»: وزنه فُعْلان، بناءُ مبالغة من: طاف يطوف إِذا عمَّ من كل جهة، ولكنه كثر استعماله في الماءِ خاصة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ يريد: بالشِّرك.

و(أَصْحاب السَّفِينَةِ) قد تقدم في غير هذه السورة الاختلاف في عددهم، وهم بَنُوه وقوم آمنوا معه.

والضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ يحتمل أَن يعود على السفينة.

[ويحتمل أن يعود على العقوبة، ويحتمل أن يعود على النجاة][(٣)].

و«الآيَةُ» هنا: العِبْرَةُ والعلامة على قدرة الله تعالى في شدَّة بطشه.

قال قتادة: أَبقاها آيةً على الجودي[(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) ساقط من المطبوع.
(٢) استشهد به بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ١١٤)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٠)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٧٩)، وفي الأصل: «فجاءهم».
(٣) سقط من المطبوع.
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٣).

تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

يجوز أَن يكون (إبراهيم) معطوفاً على (نوح)، ويجوز أَن يكون معطوفاً على الضمير في (أَنْجَيْنَاهُ)، ويجوز أَن ينصبه فعل تقديره: واذكر إبراهيم.

وهذه القصة أَيضاً تمثيل لقريش، وكان نُمْروذ وأَهل مدينته عَبَدَة أَصنام، فدعاهم إبراهيم عليه السلام إِلى توحيد الله تعالى وعبادته، ثم قرر لهم ما هم عليه من الضلال.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ تخْلُقون إفكاً ﴾، [وقرأَ ابن الزُّبَيْر، وفضيل: (أَفِكاً)][1] على وزن «فَعِل»، وهو مصدر كالكَذِب والضَّحِك ونحوه.

واختلف في معنى (تخلقون)؛ [فقال ابن عباس][2]: هو نحْت الأَصنام وخلقها[3]، سمَّاها إِفْكاً توسُّعاً من حيث يفترون بها الإفك في أَنها آلهة.

وقال مجاهد: هو اختلاق الكذب في أَمر الأَوثان، وغير ذلك[4].

وقرأَ أَبو عبد الرحمن السُّلَمي، وعَوْن الْعَقِيلي، وقتادة، وابن أَبي ليلى: (وتخَلَّقون إفكاً) بفتح الخاءِ وشدِّ اللام وفتحها[5]، و«الإفْكُ» على هذه القراءَة: الكذبُ.

ثم وقفهم على جهة الاحتجاج عليهم بأَمر تفهمه عامَّتهم وخاصَّتهم، وهو أَمر

---

(١) ساقط من الحمزوية، «والفضيل» سقطت من التركية، وفي الأصل: «وفضل»، وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٦٠).
(٢) في المطبوع بدلًا منه: «فقيل».
(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩)، من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنه، ولم يسمع منه، انظر: جامع التحصيل (٥٢٢).
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٢١٨).
(٥) وهي شاذة، انظر عزوها للسلمي في المحتسب (٢/ ١٦٠)، وزاد زيد بن علي، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ٣٤٧).

الرِّزق، فقرَّر أَن الأَصنام لا ترزق، وأَمَر بابتغاء[(١)] الخير عند الله تعالى، وخصَّص الرزق لمكانته من الخلق، فهو جزء[(٢)] يدل على جنسه كلِّه.

[وقوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾؛ أي: اشكروه][(٣)]، ويقال: شكرْتُ لك، وشكرتُك، بمعنى واحد، ثم أَخبرهم بالمعاد والحشْر إِليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾.

في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾... الآية؛ وعيدٌ؛ أَي: قد كذب غيركم وعُذِّب، وإِنما على الرسول البلاغ، وكلُّ أَحد ـ مع ذلك ـ مأْخوذ بعمله.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وعاصم بخلاف عنه: ﴿أو لم تروا﴾ بالتاءِ.

وقرأَ الباقون: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ بالياءِ، الأُولى على المخاطبة، والثانية على الحكاية عن الغائب[(٤)].

وقرأَ الجمهور: ﴿يُبۡدِئُ﴾، وقرأَ عيسى، وأَبو عمرو بخلاف عنه، والزهري: (يَبْدَا)[(٥)].

---

(١) في المطبوع: «وأمْر بالخير».

(٢) في المطبوع والتركية: «خير»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «جنس».

(٣) من الحمزوية والتركية.

(٤) فهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٩٨)، وجزم في التيسير (ص: ١٧٣) بالتاء لشعبة والياء لحفص.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها للزهري في مختصر الشواذ (ص١١٦)، والمحتسب (٢/ ١٦١)، وضبطها بغير همز، وفي المطبوع: «والزُّبير»، بدل: «الزهري»، وعزاها له في البحر المحيط (٨/ ٣٤٨) ولأبي عمرو، وعزا للزهري (بدا) بصيغة الماضي، وكذا في الشواذ للكرماني (ص٣٧٢) عنه.

وهذه الإِحالات على ما يظهر [مع الأحيان من][1] إِحياء الأَرض والنبات وإِعادته ونحو ذلك مما هو دليل على البعث من القبور والحشر، ويحتمل أَن يريد: أَو لم يروا بالدلائل والنظر كيف يجوز أَن يعيد الله الأَجسام بعد الموت، وهذا تأْويل قتادة[2].

وقال الربيع بن أَنس: المعنى: كيف يبدأُ خلقَ الإِنسان ثم يعيده إِلى أَحوالٍ أُخر حتَّى إِلى التراب[3].

وقال مقاتل: الخلق في هذه الآية الليلُ والنَّهار[4].

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه ـ ويحتمل أن يكون إبراهيم، ويحتمل أَن يكون محمداً إِن كان في قصة إِبراهيم اعتراض بين كلامين ـ بأَن يأْمرهم ـ على جهة الاحتجاج ـ بالسير في الأَرض، والنظر في كل قطر، وفي كل أُمَّة قديماً وحديثاً، فإِن ذلك يُوجد أَلَّا خالق إِلَّا الله تعالى، ولا يبتدئ بالخلق سواه، ثم ساق ـ على جهة الخبر ـ أَن الله تعالى [يعيد ويُنْشِئ نشأَة][5] القيام من القبور.

[وقرأت فرقة: النشاة[6]].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿النَّشَاءَةَ﴾ على وزن «الْفَعَالَة»، وهي قراءَة الأَعرج، وهذا كما تقول: رأْفَةٌ ورَآفَةٌ.

وقرأَ الباقون: ﴿النَّشْأَةَ﴾ على وزن «الفَعْلَة»[7].

---

(١) في المطبوع: «على الإخبار من».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٥)، بتصرف.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٦).

(٤) تفسير البحر المحيط (٧/ ١٣٧).

(٥) في المطبوع: «هو المبتدئُ لنشأَة».

(٦) ساقط من المطبوع، وهي قراءة شاذة بالمد دون همز، ظاهر الكرماني (ص: ٣٧٢) عزوها للزهري وأبي جعفر.

(٧) هاتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٤٩٨)، والأولى ليست في المطبوع، ولعل فيها مع الأخيرة تكراراً، والله أعلم.

وقرأ الزهري: (النَّشَّةَ) بشين مشددة في جميع القرآن(١).

والبعث من القبور يقوم دليل العقل على جوازه، وأخبرت الشرائع بوقوعه ووجوده.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾.

المعنى: يُيَسِّر من يشاءُ لأَعمالِ مَنْ حقَّ عليه العذابُ، ويُيَسِّر من يشاءُ لأَعمالِ مَنْ سبقت له السعادة، فيتعلق الثوابُ والعقاب بالاكتساب المقترن بالاختراع الذي لله تعالى في أَعمال العبد، ثم أَخبر بأَنه إِليه المنقلب، وأَن البَشَر ليس بمعجز ولا مُفْلت في الأَرض ولا في السماءِ، ويحتمل أَن يريد بالسماءِ الهواءَ عُلُوّاً؛ أَي: ليس للإِنسان حيلة صَعَدَ أَوْ نَزَلَ، حكى نحوه الزهراوي(٢).

ويحتمل أَن يريد السماءَ المعروفة(٣)؛ أَي: لستم بمعجزين في الأَرض ولو كنتم في السماءِ، وقال ابن زيد: معناه: ولا مَنْ في السماءِ مُعْجِزٌ إِن عَصَى(٤)، ونظَّره ـ على هذا ـ بقول حسَّان بن ثابت:

[الوافر] أَمَـنْ يَهجُـو رَسُـولَ اللَّـهِ مِنْكُـمْ وَيَـمْـدَحُـهُ وَيَـنْـصُـرُهُ سَــوَاءُ(٥)

[٤/ ١٧١] والتأْويل الأَوسط / أَحسنها، ونحوه قول الأَعشى:

[الطويل] وَلَـوْ كُنْتَ في جُبٍّ ثمانِيـنَ قَامَةً وَرُقِّيـتَ أَسْبَابَ السَّـمَاءِ بِسُـلَّمِ

---

(١) وهي شاذة، عزاها له وللحسن: المهدوي في التحصيل (٥/ ١٨٤).
(٢) لم أقف عليه.
(٣) في الأصل: «المرفوعة».
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٧)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٧٥).
(٥) انظر عزوه له في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٤)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٢)، وفي المطبوع: «فمن».

لَيَعْتورَنْـكَ الْقَـوْلُ حَتَّـى تَهِـرَّهُ وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكَ لَسْتُ بمحْرِمِ[١]

و«الوَلِيُّ»: أَخَصُّ من النصير.

وقرأَ [يحيى بن الحارث وابن القعقاع][٢]: (يَيِسُوا) بغير همز[٣].

قال قتادة: ذمَّ الله تعالى قوماً هانوا عليه فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وما تقدم من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ إِلى هذه الآية يحتمل أَن يكون خطاباً لمحمد ﷺ، ويكون اعتراضاً في قصة إِبراهيم، ويحتمل أَن يكون خطاباً لإِبراهيم ومحاورة لقومه، وعند آخر ذلك ذكر جواب قومه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥﴾.

قرأَ الجمهور: ﴿جَوَابَ﴾ بالنصب.

وقرأَ الحسن: (جَوَابُ) بالرفع، وكذلك قرأ سالم الأَفطس[٥].

---

(١) انظر عزوه له في الجمل في النحو (ص: ٧٤)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٢٨)، ومجاز القرآن (١/ ٣٠٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٦٧)، وفي المطبوع: «ليستدرجنك»، وهي عبارة أكثر المصادر، وفيه: «بملجم»، وهي رواية في بعضها.

(٢) في المطبوع: «يحيى بن القعقاع، وابن الحارث»، وهو خطأ، وابن القعقاع هو يزيد أبو جعفر، أما ابن الحارث فهو يحيى الذماري.

(٣) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ٣٥٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٦٥)، والهداية لمكي (٩/ ٥٦١٦)، وفي المطبوع بدل «قتادة»: «القاضي أبو محمد رحمه الله».

(٥) وهي شاذة، عزاها للحسن الكرماني في الشواذ (ص ٣٧٢)، وزاد ابن أبي إسحاق، وله ولسالم في البحر المحيط (٨/ ٣٥٠).

وأَخبر الله تعالى عنهم أَنهم لمَّا بيَّن إِبراهيم عليه السلام الحُجَجَ، وأَوضح أَمر الدين، رجعوا معه إِلى الغلبة والقهر[١] والغَشْم، وعدلوا عن طريق الاحتجاج حين لم يكن لهم قِبَل به، فتآمروا على قتله وتحريقه بالنَّار، وأَنفذوا أَمر تحريقه حسبما قد اقتص[٢] في غير هذا الموضع، وأَنجاه الله تعالى من نارهم، وجعلها عليه برداً وسلاماً.

قال كعب الأَحبار: لم يحرق بالنار إِلَّا الحَبْل الذي أَوثقوه به[٣]، وجعل ذلك آية وعِبْرة، ودليلاً على وحدانيته لمن شرح صدره ويَسَّره للإِيمان؛ أَي: هذا الصنف ينتفع بالآية، والكفار هي عليهم عمًى وإِن كانت في نفسها آيةً للكل.

ثم ذكر تعالى أَن إِبراهيم عليه السلام قَرَّرهم على أَن اتخاذهم الأَوثان والأَنصاب إِنما كان اتِّباعاً من بعضهم لبعض، وحِفْظاً لمودَّاتهم ومحبَّاتهم الدنياوية، وأَنهم يوم القيامة يجحد بعضهم بعضاً ويتلاعنون؛ لأَن توادَّهم كان على غير تقوى، و﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقرأ عاصم في رواية الأَعشى عن أَبي بكر عنه: (مَوَدَّةٌ) بالرفع (بَيْنَكُمْ) [بالنصب وهي قراءة الحسن وأبي حَيْوة.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي وعاصم في رواية المفضل ﴿مودةُ﴾ بترك التنوين والرفع ﴿بينِكم﴾] بالخفض.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر، وأَبو عمرو في رواية أَبي زيد: ﴿مودةً بينكم﴾ بالتنوين والنَّصْبِ، ونصب ﴿بَيْنَ﴾.

وقرأ حمزة ﴿مَّوَدَّةَ ﴾ بالنصب وترك التنوين والإضافة إلى ﴿بينِ﴾[٤].

---

(١) من الأصل، وسقطت: «الغشم» من المطبوع ونجيبويه.

(٢) في المطبوع: «أُفيض».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٨)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٧٦).

(٤) هذه أربع قراءات: الأولى للأعشى في السبعة (ص: ٤٩٩)، والباقين في الكامل للهذلي (ص: ٦١٥)، وليست من طرق التيسير، وكذا رواية أبي زيد والمفضل، والثلاث البواقي في التيسير =

فأَما قراءَتا رفع ﴿مَوَدَّةَ﴾ فوجهُهما أَن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى «الذي»، وفي قوله: ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ ضمير عائد على «الَّذي»، وهذا الضمير هو مفعول أَول لِـ ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾، و﴿أَوْثَٰنًا﴾ مفعولٌ ثانٍ، و﴿مَوَدَّة﴾ خبر (إِنَّ) في قراءَة من نَوَّنَهَا، وفي قراءَة من لم ينونها.

ويجوز أَن تكون «مَا»: كافَّة، ولا يكون في قوله: ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ ضمير، ويكون قوله: ﴿أَوْثَٰنًا﴾: مفعولاً بقوله: ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ ثُمَّ يقْتصر عليه، ويُقَدَّر الثاني: «آلِهَةً» أَو نحوه، كما يقدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾؛ أَي: (إِلهاً) ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ [الأعارف: ١٥٢]، ويكون قوله: ﴿مَوَدَّةٌ﴾: خبر ابتداءٍ تقديره: «هِيَ مَوَدَّةٌ»، وفي هذه التأْويلات مجازٌ واتساعٌ في تسمية الأَوثان مودة، أَو يكون ذلك على حذف مضاف.

وأَمَّا من نصب ﴿مَوَدَّةَ﴾ فعلى أَن (مَا) كافة، وعلى خُلُوِّ ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ من الضمير، والاقتصار على المفعول الواحد كما تقدم، ويكون نصب «المودَّة» على المفعول من أَجله.

ومن أَضاف [«المودَّة» إِلى «الْبَيْنِ»][1] في القراءَتيْن بالنصب والرفع فقد تجوَّز في ذلك وأَجرى الظرف مجرى الأَسماءِ، ومن نصب ﴿بَيْنَكُمْ﴾ في القراءَتَيْن ـ النصب والرَّفع ـ في ﴿مَوَدَّة﴾ فكذلك يحتمل أَن ينتصب انتصاب الظروف، ويكون معلقاً بـ ﴿مَوَدَّة﴾، وكذلك ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ظرفٌ أَيضاً متعلق بـ ﴿مَوَدَّة﴾، وهو مصدرٌ عمل في ظرفين من حيث افترقا بالمكان والزمان، ولو كانا لواحد منهما لم يجز ذلك، تقول: رأَيت زيداً أَمس في السوق، ولا تقول: رأَيت زيداً أَمس البارحة؛ اللهم[2] إِلاَّ أَن يكون أَحد الظرفين جزءاً للآخر، تقول: رأَيت زيداً أَمْس عشية.

= (ص: ١٧٣) وعزا لحفص مثل قراءة حمزة، وفي المطبوع: «الأعمش»، بدل «الأعشى»، وسقطت منه قراءة حمزة، وكذا ما بين المعكوفتين.

(١) ساقط من التركية.

(٢) ليست في المطبوع.

ويجوز أَن ينتصب ﴿بَيْنَكُمْ﴾ على أَنه صفة «المودَّة»، وهنا محذوف مقدَّر، تقديره: مودَّة ثابتة[١] بينكم، وفي الظرف ضمير عائد على ﴿مَوَدَّةَ﴾، لما حذفت ثابتة استقر الضمير في الظرف نفسه، وقوله: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ظرف في موضع الحال من الضمير الكائن في ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بعد حذف ثابتة، وهذه الحال متعلقة بـ ﴿مَوَدَّةَ﴾، وجاز تعلقها بها وهي قد وصفت؛ لأَن معنى الفعل فيها، وإِن وصفت فلا يمتنع أَن يعمل معنى الفعل إِلَّا في المفعول، فأَمَّا في الظرف وفي الحال فيعمل.

قال مكيٌّ: ويجوز أَن يكون ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ صفة ثابتة[٢] لـ ﴿مَوَدَّةَ﴾، ويكون فيها مقدر مستقرة، وفيها ضمير ثانٍ[٣] عائد إِلى ﴿مَوَدَّةَ﴾، فالتقدير ـ على هذا ـ مودة ثابتة[٤] بينكم مستقرة في الحياة الدنيا[٥].

قال القاضي أَبو محمد: ويصح أَن يكون قوله: ﴿مَوَدَّةَ﴾ في قراءَة من نصب مفعولاً ثانياً بقوله: ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾، ويكون في ذلك اتساعٌ، فتأَمله.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (مَوَدَّةَ بَيْنَهُمْ) بالهاءِ.

وفي مصحف ابن مسعود: (إِنَّما مَوَدَّة بَيْنِكُمْ)[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) في الأصل ولالاليه: «ثانية».
(٢) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية: «ثانية».
(٣) سقطت من نجيبويه ولالاليه ونور العثمانية.
(٤) سقطت من الأصل والمطبوع.
(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٥٥٥).
(٦) وهما شاذتان، الأولى في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٥)، والثانية فيه: (١/ ١٠١)، وفي المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١).

(آمَنَ) معناه: صدَّق، وهو فعل يتعدى بالباءِ وباللام، والقائل: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ هو إِبراهيم عليه السلام، قاله قتادة، والنَّخَعي[1]، / وقالت فرقة: هو لوط عليه السلام. [٤/ ١٧٢]

ومما صحَّ من القصص أَن إِبراهيم ولوطاً هاجرا من قريتهما كوثى، وهي في سواد الكوفة من أَرض بابل إِلى بلاد الشام، وفلسطين وغيرها، قال ابن جريج: هاجرا إِلى حرَّان، ثم أُمرا بعْدُ إِلى الشام.

وفي هذه الهجرة كانت سارة في صحبة إِبراهيم، واعتراها أَمر الملِك.

و«المُهَاجر»: النازع عن الأَمر، وهي في عرف الشرع من ترك وطنه رغبة في رضا الله تعالى، وقد ذهب بهذا الاسم أَصحاب محمد ﷺ قبل الفتح.

وقوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ مع الهجرة إِليه صفتان بليغتان تقتضي استحقاق التوكُّل عليه.

وفي قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ حذف مضاف، كأنه يقول[2]: إِلى رضا رَبِّي، أَو نحو هذا.

وإِسحاق بن إِبراهيم هو الذي بُشِّر به [في شَيَخِه][3]، وبُشِّر بيعقوب من ورائه، وهو ولد إِسحاق.

و«الْكِتَاب»: هو اسم جنس؛ أَي: جعل الله تعالى في ذرية إِبراهيم جميع الكتب المنزَّلة: [التوراة والإِنجيل والزبور والفرقان][4]، وعيسى عليه السلام من ذريَّته.

وقوله: ﴿أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ يريد: في حياته بحيث أَدرك ذلك وسُرَّ به، والأَجر الذي آتاه الله تعالى العافية من النار، ومن الملِك الجائر، والعمل الصالح، والثناءُ الحسن؛ قاله مجاهد[5].

---

(١) انظر قولهما مع قول ابن جريج الآتي في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٦).
(٢) في المطبوع: «تقديره».
(٣) سقط من المطبوع.
(٤) ساقط من التركية.
(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٣)، بتصرف.

وأَنَّ كل أُمَّة تتولَّاه، قاله ابن جريج.

والولد الذي قرَّت به العين بحسب طاعة الله تعالى، قاله الحسن[١].

ثمَّ أَخبر عنه أَنه في الآخرة في عداد الصالحين الذين نالوا رضا الله تعالى، وفازوا برحمته وكرامته العليا.

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾: نصب بفعل مضمر، تقديره: واذكر لوطاً.

و﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: إِتيان الرجال في الأَدبار، وهي معصية ابتدعها قوم لوط.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

تقدم ذكر[٢] القراءَات في ﴿أَئِنَّكُمْ﴾.

واختلف الناسُ في «قَطْع السبيل» المشار إِليه هنا:

فقالت فرقة: كان قطْع الطرق بالسلب فاشياً فيهم.

وقال ابن زيد: كانوا يقطعون الطرق على الناس لطلب الفاحشة، فكانوا يخيفون[٣].

وقالت فرقة: بل أَرَادَ قَطْعَ سبيل النسل في ترك النساءِ وإِتيان الرجال.

وقالت فرقة: أَراد أَنهم بفَتْح الأُحدوثة عنهم يقطعون سبيل الناس عن قصدهم في التجارات وغيرها.

و«النَّادي»: المجلس الذي يجتمع فيه الناسُ، وهو اسم جنس؛ لأَن الأَندية في

---

(١) لم أقف على قولهما.

(٢) في الأصل: «تقدم القول في القرآن».

(٣) في المطبوع: «يحيفون» بالمهملة، وانظر تفسير الطبري (٢٠/ ٢٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٤).

المدن كثيرة، كأَنه قال: وتأْتون في اجتماعكم حيث اجتمعتم.

واختلف الناسُ في ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾:

فقالت فرقة: كانوا يَخْذِفون الناس بالحصباء[(١)]، ويستخفُّون بالغريب والخاطر عليهم، وروته أُم هانئ عن النبي ﷺ[(٢)]، [وكانت خِلقهم مهملة][(٣)]، لا يربطهم دين ولا مروءَة.

وقال مجاهد، ومنصور: كانوا يأْتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضاً[(٤)].

وقال القاسم بن محمد: منكرهم: أَنهم كانوا يتفاعلون في مجالسهم[(٥)]، ذكره الزهراوي.

وقال ابن عباس: كان يتضارطون في مجالسهم[(٦)].

وقال مجاهد أَيضاً: كان من أَمرهم لعب الحمام، وتَطْريف الأَصابع بالحناءِ، والصفير، والحذف، ونبذ الحياءِ في جميع أُمورهم[(٧)].

---

(١) في المطبوع ولالاليه: «بالحصى».

(٢) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٤٤/ ٤٥٩)، والترمذي (٣٤٦٧) من طريق أبي أسامة، عن حاتم ابن أبي صغيرة، عن سماك بن حرب، عن أبي صالح مولى أم هانئ، عن أم هانئ رضي الله عنها، مرفوعاً به، وأبو صالح هو: باذام، ضعيف الحديث، انظر تهذيب الكمال (٤/ ٦).

(٣) في المطبوع بدلًا منه: «وكانوا».

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٨٢).

(٥) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٢٣)، وقول الزهراوي لم أقف عليه.

(٦) ضعيف جداً، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٦/ ١٩٦)، والطبري (٢٠/ ٢٩)، وابن عدي في كامله (٣/ ١٣٨)، كلهم من طريق روح بن غضيف، عن عمرو بن مصعب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، وليس ابن عباس كما ذكر المصنف هاهنا، وهذا إسناد ضعيف جداً، من أجل روح بن غطيف، فهو متروك الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٠)، ولما ترجم له ابن عدي في كامله (٣/ ١٣٨) أورد حديثه هذا في مناكيره.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٥)، وتفسير الماوردي (٤/ ٢٨٢).

وقد توجد هذه الأمور في بعض عُصاة أُمة محمد ﷺ، فالتناهي واجب.

فلما وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبائح رجعوا إِلى التكذيب واللَّجاج، فقالوا: ائتنا بالعذاب، فإِن ذلك لا يكون، ولا تقدر عليه، وهم لم يقولوا هذا إِلَّا وهم مصمِّمون على اعتقاد كذبه، وليس يصح في الفطرة أَن يكون معاندٌ يقول هذا.

[ثم استنصر لوط عليه السلام ربَّه عليهم، فبعث ملائكة لعذابهم ورَجْمهم بالحاصب][(١)].

فجاءُوا إِبراهيم أَولاً مبشرين بإِسحاق، ومبشرين بنُصرة لوط على قومه، وكان لقاؤُهم لإِبراهيم على الصورة التي بينت في غير هذا الموضع، فلفظة (الْبُشْرَى) ـ في هذا الموضع ـ تتضمن أَمر إِسحاق ونصرة لوط، فلما أخبروه بإِهلاك القرية على ظلمهم؛ أَشفق إِبراهيم عليه السلام على لوط عليه السلام، فعارضهم بأمره[(٢)] بحسب ما يأْتي.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

روي عن ابن عباس أَن إِبراهيم عليه السلام لمَّا علِم مِنْ قِبَل الملائكة أَن قرية[(٣)] لوط تعذَّب؛ أَشفق على المؤمنين، فجادل الملائكة، وقال: أَرأَيتم إِن كان فيهم مئة بيت من المؤمنين أَتتركونهم؟ قالوا: ليس فيهم ذلك، فجعل ينحدر حتى انتهى إِلى عشرة

---

(١) ساقط من أصل المطبوع، قال في الحاشية: وقد نقلناها عن القرطبي، مع أنها موجودة في كل النسخ عندنا.

(٢) ليست في المطبوع، وفي نجيبويه: «فقال لهم»، بدل: «فعارضهم».

(٣) في المطبوع: «قوم».

أَبيات، فقالت له الملائكة: ليس فيها عشرة، ولا خمسة، ولا ثلاثة، ولا اثنان، فحينئذ قال إِبراهيم: إِن فيها لوطاً، فراجعوه حينئذ بأَنا نحن أَعلم بمن فيها؛ أَي: لا تخف أَن يقع حَيف على مؤمن[١].

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ بفتح النون الوسطى وشد الجيم، و﴿مُنَجُّوكَ﴾ بفتح النون وشدِّ الجيم / . [٤/ ١٧٣]

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿لَنُنْجِيَنَّه﴾ بسكون النون وتخفيف الجيم، [و﴿ مُنْجُوكَ ﴾ بسكون النون وتخفيف الجيم][٢].

وقرأَ ابن كثير، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ بالتشديد، و﴿مُنْجُوكَ﴾ بالتخفيف[٣].

وقرأَت فرقة: (لَنُنَجِّيَنْه) بسكون النون الأَخيرة من الكلمة، وهذا إِنما يجيءُ على أَنه خفف النون المشددة وهو يريدها[٤].

وامرأَة لوط هذه كانت كافرة، تُعين عليه[٥]، وتنبِّه على أَضيافه.

و«الْغَابر»: الباقي، ومعناه: من الغابرين في العذاب.

وقالت فرقة: ﴿مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾؛ أَي: ممَّن عُمِّر[٦] وبَقِيَ من الناس وعما[٧] في كفره.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣١)، من طريق العوفي عن ابن عباس.
(٢) ساقط من المطبوع ونجيبويه، وفي أحمد٣: «وحمزة والكسائي بالتخفيف، وكذا منجوك».
(٣) وهذه الثلاث سبعية، وحفص مع الأولين، انظر: السبعة (ص: ٥٠٠).
(٤) وهي شاذة، أشار لها بلا نسبة في البحر المحيط (٨/ ٣٥٥).
(٥) «تعين عليه»: ليست في المطبوع.
(٦) في المطبوع والحمزوية: «غَبَر».
(٧) في المطبوع والحمزوية والتركية: «وعَسَى»، وفي نجيبويه: «رغماً»، وفي فيض الله: «وعصا».

والضمير في ﴿بِهِمْ﴾ في الموضعين: عائد على الأَضياف الرُّسل، وذلك [بخوفه من قومه][١] عليهم، فلما أَخبروه بما هم فيه فُرِّج عنه.

وقرأَ عامة القراءِ: ﴿سِىٓءَ﴾ بكسر السين، وقرأَ عيسى وطلحة بضمها[٢].

و«الرِّجْزُ»: العذاب.

وقوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾؛ أَي: عذابهم بسبب فسقهم، وكذلك كل أُمَّةٍ عذَّبها الله فإِنما عذَّبها على الفسوق والمعصية، ولكن بأَن يقترن ذلك بالكفر الذي يوجب عذاب الآخرة.

وقرأَ أَبو حَيْوة، والأَعمش: (يَفْسِقُونَ) بكسر السِّين[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ﴾؛ أَي: من خبرها وما بقي من آثارها، فـ(من) لابتداءِ الغاية، ويصح أَن تكون للتبعيض، على أَن تريد ما ترك من بقايا تلك القرية ومنظرها، والآية موقع العبرة، وعلامة القدرة، ومزدجر النفوس عن الوقوع في سخط الله تعالى.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿مُنزِلُونَ﴾ بتخفيف الزاي.

وقرأَ ابن عامر: ﴿مُنَزِّلُونَ﴾ بشد الزَّاي، وهي قراءَة الحسن وعاصم بخلاف عنهما[٤].

---

(١) في الأصل: «من تخوفه لقومه».

(٢) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٣٥٥)، قال: وهي لغة بني هذيل، وأما قراءة الإشمام فسبعية، ولعلها داخلة في الكسر.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها للأعمش في الكامل للهذلي (ص: ٤٨٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١١)، ولهما في البحر المحيط (٨/ ٣٥٥).

(٤) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٩٠)، وعزاها في السبعة (ص: ٥٠٠): لرواية الكسائي والأعشى عن أبي بكر عن عاصم.

وقرأَ الأَعمش: (إِنَّا مُرْسِلُونَ) بدل ﴿مُنزِلُونَ﴾[١].

وقرأَ ابن محيصن: (رُجْزاً) بضم الراءِ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

نصب ﴿شُعَيْبًا﴾ بفعل مضمر يحسن مع (إلى) تقديره[٣]: وبعثنا أَو أَرسلنا.

فأمرَ شُعيبٌ بعبادة الله تعالى، والإِيمان بالبعث واليوم الآخر، ومع الإِيمان به يصح رجاؤُه.

وذهب أَبو عبيدة إِلى أَن المعنى: وخافوا[٤].

و﴿تَعْثَوْا۟﴾ معناه: تفسدون، يقال: عَثَا يَعْثُو، وعث يعث، وعاثَ يَعيثُ[٥]، وعَثِيَ يَعْثَى: إِذا أَفسد.

و«أَهْلُ مَدْيَن»: قومُ شعيب، وهذا على أَنها اسم البلدة، وقيل: مَدْيَنُ: اسم القبيلة.

وأَصحاب الأَيْكةِ غيرُهم، وقيل: هم بعضهم ومنهم، وذلك لأَن معصيتهم في أَمر الموازين والمكاييل كانت واحدة.

و﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾: مَيْدُ الأَرض بهم، وزلزلتها عليهم، وتداعيها بهم، وذلك نحو من الخسف، ومنه الإِرجاف بالأَخبار.

---

(١) وهي شاذة تخالف المصحف، عزاها له ولابن مسعود الكرماني في الشواذ (ص: **٣٧٢**).

(٢) وهي شاذة، عزاها له الهذلي في الكامل (ص: ٤٨٦)، ولمجاهد، والقورسي عن أبي جعفر، وَحُمَيْد.

(٣) في المطبوع: «يحسن مع التقدير».

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١١٥)، ولفظه: واخشوا اليوم الآخر، وتقدم مثل هذا له مراراً.

(٥) سقطت: «عث يعث» من المطبوع، و«عاث يعيث» من الحمزوية.

و«الجُثُومُ» في هذا الموضع: تشبيه؛ أَي: كان همودُهُم على الأَرض كالجثوم الذي هو للطائر والحيوان، ومنه قول لبيد:

[الكامل] فَغَـدَوْتُ في غَلَـسِ الظَّـلَام وطَيْرُهُ عُصَبٌ علَى خَضِلِ الْعِضَاهِ جُثُومُ[١]

قوله ﴿وَعَادًا﴾: منصوب بفعل مضمر تقديره: واذكر عاداً.

وقيل هو معطوف على الضمير في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾.

وقال الكسائي: هو معطوف على قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣][٢].

وقرأَ: ﴿وَثَمُوداً﴾ عاصم، وأَبو عمرو، وابن وثاب.

وقرأَ: ﴿وَثَمُودَاْ﴾ بغير تنوين أَبو جعفر، وشيبة، والحسن[٣].

وقرأَ يحيى بن وثاب: (وعادٍ وثمودٍ) بالخفض فيهما والتنوين[٤].

ثم دلَّ عزَّ وجلَّ على ما يعطي العبرة من بقايا مساكنهم ورسوم منازلهم ودُثُور[٥] آثارهم.

وقرأَ الأَعمش: (وَقَدْ تبَيَّنَ لَكُمْ مَسَاكِنُهُمْ) دون ﴿مِّن﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ﴾ عطف جملة من الكلام على جملة.

و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: هي طريق الإِيمان بالله تعالى ورسله، ومنهج النجاة من النَّار.

---

(١) البيت في ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص: ١٠٣)، وورد في المخصص (٢/ ١٠٣).

(٢) انظر قوله في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧٤).

(٣) غير متقن، وهما سبعيتان، المنع من الصرف لحفص وحمزة والتنوين للباقين، انظر: التيسير (ص: ١٢٥)، والسبعة (ص: ٣٣٧)، والعزو لأبي جعفر في النشر (٢/ ٢٨٩)، وللحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٤٠)، ولشيبة في الكامل للهذلي (ص: ٥٥٤)، ولابن وثاب كما في تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٠)، وفي إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٧٣) عن الحسن عدم الصرف.

(٤) وهي شاذة، انظرها في الدر المصون (٩/ ٢١)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٣٧٢) للأعمش.

(٥) في المطبوع: «ودُنُوِّ».

(٦) وهي شاذة مخالفة للمصحف، انظرها في الشواذ للكرماني (ص٣٧٢).

وقوله: ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾، قال ابن عباس[(١)]، ومجاهد، والضحاك: معناه: لهم بصيرة في كفرهم، وإِعجابٌ به، وإِصرارٌ عليه، فذمَّهُم بذلك[(٢)].

وقيل: لهم بصيرة في أَن الرسالة والآيات حق، لكنهم كانوا مع ذلك يكفرون عناداً، ويردُّهم الضلال إِلى مجاهله ومتالفه، فيجري هذا مجرى قوله تعالى في غيرهم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

و«تزْيينُ الشيطان»: هو بالوسواس ومناجاة ضمائر الناس، وتَزْيينُ الله تعالى الشيءَ هو بالاختراع، وخَلْقِ محبته والتَّلَـبُّس به في نفس العبد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

نصب «قَارُونَ» إِمَّا[(٣)] بفعل مضمر تقديره: اذكر، وإِمَّا بالعطف على ما تقدم.

وقارون من بني إِسرائيل، وهو الذي تقدمت قصته في الكنوز، وفي البغي على موسى بن عمران عليه السلام، وفرعون مشهور، وهامان وزيره، وهو من القِبْط.

و(البَـيِّـنَات): المعجزات والآيات الواضحة.

و﴿سَـٰبِقِينَ﴾ معناه: مفلتين أَخْذنا وعقابنا، وقيل: معناه: سابقين أَولياءنا، وقيل: معناه: ما كانوا سابقين الأُمم إِلى الكفر؛ أَي: قد كانت تلك عادة الأُمم مع الرُّسل.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (١٧٣٠٧)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥).
(٣) من المطبوع والأصل.

والَّذين أُرْسل عليهم الحاصِبُ؛ قال ابن عباس: هم قوم لوط[١].

قال القاضي أَبو محمد: ويشبه أَن يدخل قوم عادٍ في الحاصب؛ لأَن تلك الريح لا بد أَنَّها كانت تحصبهم بأُمور مؤذية.

و«الْحَاصِبُ»: هو العارض من ريح، أَو سحاب، أَو رمي بشيءٍ، ومنه قول الأَخطل:

[الكامل] تَرْمِي الْعِضَاهَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا ... حَتَّى يَبِيتَ عَلَى العِضَاهِ جُفَالا[٢]

[٤/ ١٧٤] / ومنه قول الفرزدق:

[البسيط] مُسْتَقْبِلِينَ شمالَ الشَّامِ تَضْرِبُهُم ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[٣]

و«الَّذين أَخذتهم الصَّيْحة»: قومُ ثمود، قاله ابن عباس[٤]، وقال قتادة: هم قوم شعيب.

و«الْخَسْفُ» كان بقارون، قاله ابن عباس.

قال القاضي أَبو محمد: ويشبه أَن يكون أَصحاب الرجفة في هذا النوع من العذاب.

و«الْغَرَقُ» كان في قوم نوح، وبه فسَّر ابن عباس، وفي فرعون وحزبه، وبه فسَّر قتادة.

و«ظُلْمهم أَنْفُسَهم»: كان بالكفر ووضع العبادة في غير موضعها.

وقدم المفعول على ﴿يَظْلِمُونَ﴾ للاهتمام، وهذا نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦)، من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنه به، ولم يلقه، انظر: جامع التحصيل (٤٧٢).

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٧/ ٤٩٩).

(٣) انظر عزوه له في الكامل للمبرد (٣/ ٥٤)، والصحاح للجوهري (٥/ ٥٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦)، من طريق ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وانظر فيه قول قتادة، مع ما سيأتي عنهما في قارون وفرعون.

وغيره، وحكى الطبري [عن قتادة][(١)]: أَن رجفة قوم شعيب كانت صيحة أَرجفتهم فهم على هذا مع ثمود.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

شبه تعالى الكفار في عبادتهم الأَصنامَ، وبنائهم جميع أُمورهم على ذلك؛ بالعنكبوت التي تبني وتجتهد، وأَمرها كله ضعيف متى مسَّته أَدنى هابَّة[(٢)] أَو دَهِمته، وكذلك أَمر أُولئك وسعيهم مضمحلٌّ لا قوة له ولا معتمد.

ومن حديث ذكره النقاش: العنكبوت شيطان مسخه الله تعالى فاقتلوه[(٣)].

ورُوي عن عليٍّ رضي الله عنه أَنه قال: طهِّروا بيوتكم من نسج العنكبوت، فإِن تركه يورث الفقر[(٤)].

---

(١) ليس في المطبوع، وانظر قوله في تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦-٣٧).

(٢) في المطبوع: «هامة»، وفي نجيبويه: «دابة».

(٣) باطل مرفوعاً، أخرجه ابن عدي (٦/ ٣١٦) في ترجمة مسلمة بن علي الخشني، حدثنا سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن عبد الله بن عمر، مرفوعاً، وقال ابن عدي: مسلمة كل أحاديثه أو عامتها غير محفوظة، ومما يدل على بطلان هذا الحديث أنه مخالف لما ثبت في الصحيح مرفوعاً: «إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً»، أخرجه مسلم (٢٦٦٣)، وأخرجه أبو داود في مراسيله (٤٧١)، عن محمد بن المصفى، حدثنا بقية، عن الوضين بن عطاء، عن يزيد بن مرثد به مرفوعاً، وأخرج ابن أبي حاتم في التفسير (١٧٣٢٢)، عن هشام بن عمار، ثنا إسماعيل بن عياش، ثنا سليمان بن سليم الكناني؛ يعني: أبا سلمة، عن يحيى بن جابر بن يزيد بن ميسرة، عن ابن عائذ أنه قال: العنكبوت شيطان، وفي الدر المنثور (١١/ ٥٤٨): أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ميسرة قال: العنكبوت شيطان.

(٤) باطل، عزاه في فيض القدير (٤/ ٥١٩) إلى الثعلبي، وقد أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان له =

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؛ أَي: يعلمون أَن هذا مثلهم، وأَن حالهم ونسبتهم من الحقِّ هذه الحالة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾:

قرأَ أَبو عمرو، وسلام: ﴿يعلم مَّا﴾ بالإِدغام، وقرأَ عامة القراءِ بالفكِّ[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ أَبو عمرو، وعاصم بخلاف: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياءِ من تحت على الغيبة[٢].

فأَمَّا موضع ﴿مَا﴾ من الإِعراب، فقيل: معناه أَن الله يعلم الذين يدعون من دونه من جميع الأَشياءِ أَن حالهم هذه، وأَنَّهم أَمْرٌ لا قَدْر له.

وقيل: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ إِخبارٌ تامٌّ، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ متصل به، واعترض بين الكلامين ﴿مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾، وذلك على هذا النحو من النظر.

ويحتمل معنيين: أَحدهما أَن تكون ﴿مَا﴾ نافيةً؛ أَي: لستم تدعون شيئاً له بال ولا قَدْر ولا خلاق[٣] فيصلح أَن يُسَمَّى شيئاً، وفي هذا تعليق ﴿يَعْلَمُ﴾، وفيه نظر.

والثاني أَن تكون ﴿مَا﴾ استفهاماً، كأَنه قرَّر ـ على جهة التوبيخ ـ على هذا المعبود من جميع الأَشياءِ ما هو إِذْ لم يكن الله تعالى؛ أَي: ليس لهم ـ على هذا التقدير ـ مقنع إِليه.

= (٧/ ٢٨٠) قال: أخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن شنبه، قال: حدثنا أبو حامد المستملي، قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني محمد بن سليمان المكي، قال: حدثني عبد الله بن ميمون القداح، قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي يقول: قال علي بن أبي طالب به، والقداح واهٍ بمرة.

(١) وهما سبعيتان، الإدغام لأبي عمرو من رواية السوسي على قاعدته، انظر: التيسير (ص: ٢٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٤)، وعاصم بالياء، والخلاف عنه في السبعة (ص: ٥٠١).

(٣) سقطت من المطبوع، وفي الأصل وفيض الله: «وقدر»، دون «لا»، وسقط من لالاليه من هنا إلى آخر المقطع.

فـ ﴿مِن﴾ على القول الأَول والثالث للتبعيض المجرد، وعلى القول الوسط هي زائدة في الجحد، ومعناها التَّـأْكيد.

وقال أبو علي: ﴿مَا﴾ استفهام نصب بـ ﴿يَدْعُونَ﴾، ولا يجوز نصبها بـ ﴿يَعْلَمُ﴾، والجملة التي هي منها في موضع نصب بـ ﴿يَعْلَمُ﴾[(١)]، والتقدير: إِن الله تعالى يعلم أَوثاناً تدعون من دونه أَو غيرها لا يخفى ذلك عليه.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ إِشارة إِلى هذا المثل ونحوه.

و﴿نَضْرِبُهَا﴾: مأْخوذ من الضَّرْب؛ أَي النوع، كما تقول: هذان من ضَرْبٍ واحد، هذا ضرْبُ هذا؛ أَي: قرينه وشبيهه، فكأَن ضَرْب الْمَثَل هو أَن تجعل للأَمر المُمَثَّل ضريباً.

وباقي الآية بيِّن.

[وقرأت فرقة: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء من تحت، وقرأت فرقة: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاء على المخاطبة][(٢)].

وقال جابر: قال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾: «العاقِلُ من عَقَل عن الله تعالى، وعمل بطاعته، وانتهى عن معصيته»[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

نَبَّه في ذِكْر خلْق السماوات والأَرض على أَمر يُوقع الذِّهن، على صِغَر قدر الأَوثانِ وكُلِّ معبود من دون الله تعالى.

---

(١) الحجة للفارسي (٥/ ٤٣٤).

(٢) سقط من المطبوع، وهو تكرار مع ما سبق قريباً، وسقط معه حديث جابر من نجيبويه، وسقطت الفقرة كلها من لالاليه.

(٣) لم أقف عليه.

وقوله سبحانه: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أَي: بالواجب النَّيِّر، لا للعبث واللعب، بل ليدلَّ على سلطانه، ويثبت شرائعه، ويضع الدلالات لأَهلها، ويعم بالمنافع، إِلى غير ذلك مما لا يُحصى عدّاً.

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالخضوع لأَمره، وتلاوة القرآن الذي أُوحي إِليه، و«إِقامة الصلاة»؛ أَيْ: إِدامتها والقيام بحدودها، ثم أَخبر ـ حُكْماً مِنه ـ أَن الصلاة تنهى عن الفحشاءِ والمنكر.

قال القاضي أَبو محمد: وذلك عندي بأَن المصلِّي إِذا كان على الواجب من الخشوع والإِخبات، وتذكُّر الله تعالى، وتوهُّم الوقوف بين يديه، وأَن قلبه وإِخلاصه مطَّلَع عليه مرقوب، صلحت لذلك نفسه وتذلَّلت، وخامرها ارتقاب الله تعالى، فاطَّرد ذلك في أَقواله وأَفعاله وانتهى عن الفحشاءِ والمنكر، ولا يكادُ يَفْتُر من ذلك حتى تظله صلاة أُخرى يَرْجع بها إِلى أَفضل حالة، فهذا معنى هذا الإِخبار؛ لأَن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أَن تكون.

وقد رُوي عن بعض السَّلف: أَنه كان إِذا قام إِلى الصلاة ارْتَعد واصْفَرَّ لونه، فكُلِّم في ذلك فقال: إِنِّي واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدُّنيا، فكيف مع ملِك الملوك[1].

قال القاضي أَبو محمد: فهذه صلاةٌ تَنْهى ولا بُدَّ عن الفحشاءِ والمنكر، ومن كانت صلاته دائرة حول الإِجْزاءِ، لا خشوع فيها، ولا تذكُّر، ولا فضائل، فتلك تتركُ[2] صاحبَها من منزلته حيث [كان، فإِن][3] كان على طريقِهِ معاصٍ تبعده عن الله[4] تركته الصلاة تمادى على بُعده.

---

(١) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٤٨).

(٢) في المطبوع: «فذلك يترك».

(٣) في الأصل بدلًا منه: «كل ما كان».

(٤) «تبعده عن الله» ليست في لالاليه، و«تركته صلاته» ليست في المطبوع.

وعلى هذا يُخَرَّج الحديث المروي عن ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، والأَعمش، وهو قولهم: من لم تنهه صلاته عن الفحشاءِ والمنكر لم يزْدَدْ من الله إِلَّا بُعْداً، وقد روي أَن الحسن أَرسله عن النبي ﷺ، وذلك غير صحيح السَّند[١]، سمعتُ أَبي رضي الله عنه يقوله[٢].

فإِذا قدرناه، ونظرنا معناه؛ فغير جائز أَن نقول: إِن نفس صلاة العاصي / تبعده [٤/ ١٧٥] من الله تعالى حتَّى كأَنها معصية، وإِنما يتخرج ذلك على أَنها لا تؤثر في تقريبه من الله تعالى، بل تتركه في حاله ومعاصيه من الفحشاءِ والمنكرِ تبعده، فلم تزدهُ الصلاةُ إِلَّا تقرير ذلك البُعْد الذي كان سبيله، فكأَنها بَعَّدَتْهُ حين لم تَكُفَّ بُعْدَهُ عن الله تعالى.

وقيل لابن مسعود: إن فلاناً كثير الصلاة، فقال: إِنها لا تنفع إِلَّا من أَطاعها[٣].

وقرأَ الربيع بن أَنس: إن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر[٤].

وقال ابن عُمر: الصلاة هاهنا القرآن[٥].

وقال حمَّاد بن أَبي سليمان، وابن جريج، والكلبي: إِن الصلاة تنهى ما دمتَ فيها[٦].

---

(١) لا يصح مرفوعاً، وورد مرسلًا وموقوفاً، قال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٢٩٢): أخرجه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح، ورواه الطبراني وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس بإسناد لين، والطبراني من قول ابن مسعود وإسناده صحيح. اهـ، تراجع السلسلة الضعيفة (رقم ٢) وقال: باطل، وروي نحوه عن قتادة والحسن.

(٢) في المطبوع: «يقول».

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤١)، من طريق: العلاء بن المسيب، عن سمرة بن عطية، قال: قيل لابن مسعود... وإسناده لين.

(٤) شاذة، أخرجها عنه عبد بن حميد وابن المنذر كما في تفسير الآلوسي (١٠/ ٣٦٨)، ولعلها من باب التفسير.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤١)، من طريق: أبي الوفاء، عن أبيه، عن ابن عمر، ولم أعرف هذا الإسناد.

(٦) تفسير الماوردي (٤/ ٢٨٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٢).

قال القاضي أَبو محمد: وهذه عُجْمة، وأَين هذا مما رواه أَنس بن مالك؟ قال: كان فَتًى من الأَنصار يصلي مع النبي ﷺ، ولا يدع شيئاً من الفواحش والسرقة إِلَّا ركبه، فقيل ذلك للنبي ﷺ، فقال: «إِنَّ صلاته ستنهاهُ»، فلم يلبث أَن تاب وصلحت حاله، فقال رسول الله ﷺ: «أَلم أَقُلْ لَكُمْ؟»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، قال ابن عباس[٢]، وأَبو الدرداءِ[٣]، وسلمان[٤]، وابن مسعود[٥]، وأَبو قُرة: معناه: ولذِكْرُ الله إِياكم أَكبر من ذكركم إِيَّاه[٦].

وقيل: معناه: ولذكْرُ الله أَكبر مع المداومة من الصلاة[٧] في النهي عن الفحشاءِ والمنكر.

وقال ابن زيد، وقتادة: معناه: لذِكْرُ الله أَكبر من كل شيءٍ[٨].

---

(١) ضعيف، أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٧٤)، من طريق: وكيع عن الأعمش قال: أرى أبا صالح ذكره عن أبي هريرة قالوا: يارسول الله إن فلاناً يصلي من الليل، فإذا أصبح سرق، قال: «ستنهاه ما يقول»، وهذا الشك يوهن الرواية، وأخرج ابن الجعد في مسنده (١/ ٣٠٦)، من طريق: قيس عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رجل للنبي ﷺ، بنحوه، وأبو سفيان لم يسمع من جابر إلا أربعة أحاديث، ليس هذا منها.

(٢) لا بأس به، روي من طرق عدة عن ابن عباس، أخرجها الطبري في التفسير (٢٠/ ٤٣).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: الطبري (٢٠/ ٤٤)، من طريق: عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، قال: سمعت أبا الدرداء به مطولاً، وصالح مستور، والخبر يروى من طريق آخر عن أبي الدرداء مرفوعاً بدون هذه العبارة كما سيأتي.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، من طريق: جابر، عن عامر، عن أبي قرة، عن سلمان به، وجابر هو الجعفي.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، من طريق: زائدة، عن عاصم، عن شقيق، عن عبد الله به، وعاصم هو ابن أبي النجود.

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤).

(٧) في المطبوع: «على الصلاة».

(٨) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٨١).

وقيل لسلمان: أَيُّ الأَعمال أَفضل؟ فقال: أَما تقرأُ القرآن: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾[١].

[ومنه حديث الموطأ عن أبي الدرداء: «ألا أخبركم بخير أعمالكم؟» الحديث[٢].

وقيل: معناه: وَلَذِكْرُ اللَّهِ كبير][٣]، كأَنه يحضُّ عليه في هذين التأْويلين الأَخيرين.

قال القاضي أَبو محمد: وعندي أَن المعنى: ولذِكْرُ الله أَكبر على الإِطلاق؛ أَي: هو الذي ينهى عن الفحشاءِ والمنكر، فالجزءُ الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة؛ لأَن الانتهاءَ لا يكون إِلا من ذاكرٍ اللَّهَ مراقبٍ له، وثواب ذلك الذِّكر أَن يذكره الله تعالى، كما في الحديث: «[مَنْ ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي][٤]، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خير منهم»[٥].

والحركات التي في الصلاة لا تأْثير لها في نَهْي، والذكر النافع هو مع العلم وإِقبال القلب وتفرغه إِلَّا من الله تعالى، وأَمَّا ما لا يتجاوز اللِّسان ففي رتبة أُخرى، وذكْرُ الله تعالى للعبد هو إِفاضة الهدى ونور العلم عليه، وذلك ثمرة لذكر العبد ربَّه، قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وباقي الآية ضربٌ من التَّوعُّد والحث على المراقبة.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، من طريق: عمر بن أبي زائدة، عن العيزار بن حريث، عن رجل، عن سلمان، وفي الإسناد جهالة ذلك الرجل، ثم أخرج عن سفيان بن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، قال: قال رجل لسلمان: أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله، والأعمش مدلس وقد عنعن، وأبو إسحاق كذلك ولم يصرح بالسماع.

(٢) الموطأ رقم (٧١٦) من قول أبي الدرداء بلفظ: ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى. اهـ دون محل الشاهد وهو قوله: ولذِكْرُ الله إِياكم أَكبر من ذكركم إِيَّاه. اهـ، وقد روي عن أبي الدرداء أيضاً مرفوعاً، أخرجه الترمذي (٣٣٧٧).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) من المطبوع.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾.

قرأَ الجمهور: ﴿إِلَّا﴾ على الاستثناءِ، وقرأَ ابن عباس: (أَلَا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام[١].

واختلف المفسرون في المراد بهذه الآية؛ فقال ابن زيد: معناها: لا تجادلوا من آمن بمحمد ﷺ من أَهل الكتاب، فكأَنه قال: أهلَ الكتاب المؤمنين، ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؛ أَي: بالموافقة فيما حدَّثوكم به من أَخبار أَوائلكم، وغير ذلك[٢]، وقوله تعالى ـ على هذا التأْويل ـ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يريد به من بقي على كفره منهم، كمن كفر وغدر من بني قريظة والنضير وغيرهم، فالآية ـ على هذا ـ مُحكمة غير منسوخة.

وقال مجاهد: المراد بأَهل الكتاب اليهود والنصارى والباقون على دينهم، أَمر الله تعالى المؤمنين أَلَّا يجادلوهم إِلَّا بالأَحسن من الدعاءِ إِلى الله تعالى، والتنبيه على آياته؛ [وأن يزال معهم عن طريق][٣] الإِغلاظ والمخاشنة[٤].

وقوله ـ على هذا التأْويل ـ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ معناه: ظَلَموكم، وإِلَّا فَكُلُّهم ظَلَمة على الإِطلاق، فيُرَادُ به مَنْ لم يُؤَدِّ جِزْية، ونَصَب الحرب، ومَن قال وصرَّح بأَنَّ للَّهِ ولداً، أَو لَهُ شريك، أَوْ يَدُهُ مغلولة، فالآية ـ على هذا ـ منسوخة في مهادنة من لم يحارب.

قال قتادة: هي منسوخة بقول الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٣٦٠)، وعزا في المحتسب (١/ ١١٤) مثلها لزيد بن علي، في حرف (البقرة: ١٥٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧).

(٣) في المطبوع بدلًا منه: «رجاءَ إِجابتهم إِلى الإِيمان، لا على طريق».

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦).

(٥) (التَّوبة: ٢٩)، وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٨).

قال القاضي أَبو محمد: والذي يتوجَّه في معنى الآية إِنما يتَّضح في معرفة الحال في وقت نزول الآية، وذلك أَن السُّورة مكِّيَّة من بعد الآيات العشر الأُول، ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض، ولا طلب جزْية ولا غير ذلك، وكانت اليهود بمكَّة وفيما جاورها، فربما وقع بينهم وبين المؤمنين جدالٌ واحتجاجٌ في أَمر الدين وتكذيب، فأَمر الله تعالى المؤمنين أَلَّا يجادلوهم بالمحاجَّة إِلَّا بالحسنى دعاءً إِلى الله تعالى ومُلاينة، ثم استثنى مَن ظلم منهم المؤمنين، إِمَّا بفعل وإِمَّا بقول، وإِمَّا بإِذاية محمد ﷺ، وإِمَّا بإِعلان كفر فاحش، كقول بعضهم: عُزَيْر ابن الله، ونحو هذا، فإِن هذه الصَّنيفة[١] اسْتُثْنِيَ لأَهل الإِسلام معارضتها[٢] [بالتغيير عليها والخروج][٣] معها عن التي هي أَحسن، ثم نُسخ هذا بعْدُ بآية القتال والجزية، وهذا قول قتادة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ الآية؛ قال أَبو هريرة: كان أَهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، فيفسرونها بالعربية للمسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُصدِّقوا أَهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾»[٥].

وروى عبد الله بن مسعود أَن النبي ﷺ قال: «لَا تَسأَلوا أَهل الكتاب عن شيءٍ؛ فإِنهم لن يهدوكم وقد ضَلُّوا، إِمَّا أَن تُكذِّبوا بحق، وإِمَّا أَن تُصَدِّقوا بباطل»[٦].

---

(١) في المطبوع: «الصفة».

(٢) في التركية: «مفاوضتها».

(٣) في المطبوع بدلًا منه: «بالخروج».

(٤) كما تقدم قريباً عن تفسير الطبري (٢٠/ ٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٨٥)، (٧٣٦٢).

(٦) ضعيف، أخرجه الإمام أحمد (٢٢/ ٤٦٨)، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ١٠٢)، وغيرهما، من طريق حماد ابن زيد، عن مجالد، عن عامر الشعبي، عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه مرفوعاً به، ومجالد هو ابن سعيد، وهو ضعيف الحديث، انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٢١٩).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤/ ١٧٦] تقدم القول في الآية التي قبل هذه / ما يتضمَّن نزول شرع وكتاب من الله تعالى على أَنبيائه قبل محمد ﷺ، فحسُن لذلك عطف: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ﴾ على ما في الضمن؛ أَي: وكإِنزالنا على من تقدَّمك كذلك أَنزلنا إِليك الكتاب.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن.

وقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد التوراة والإِنجيل؛ أَيْ: فالذين كانوا في عصر نزول الكتاب وأُوتوه حينئذ يؤمنون به؛ أَي: كانوا مصدقين بهذا الكتاب الذي أَنزلناه إِليك، فالضمير في ﴿بِهِۦ﴾: عائد على القرآن، ثمَّ أَخبر عن معاصري محمد ﷺ أَن منهم أيضا من يؤمن به، ولم يكونوا آمنوا بعد، ففي هذا إِخبارٌ بِغَيْب بيَّنه الوجود بعد ذلك.

ثمَّ أَنْحَى على الجاحدين مِن أُمَّة قد آمن سلفُها في القديم وبعضها في الحديث، وحصل الجاحدون منهم في أَحسن رُتبة من الضلال، ويُشبه أَن يُراد أَيضاً في هذا الإِنحاءِ كفَّار قريش مع كفَّار بني إِسرائيل.

ثمَّ بيَّن تعالى الحُجَّة على المُبْطلين المرتابين، وأَوضح أَنَّ مِمَّا يُقوِّي نزول هذا القرآن من عند الله تعالى أَنَّ محمداً ﷺ جاءَ به في غاية الإِعْجَازِ والطول والتضمُّن للغيوب وغير ذلك، وهو أُمِّيٌّ لا يقرأُ ولا يكتب، ولا يتلو كتاباً، ولا يخُط حرفاً، ولا سبيل له إِلى التَّعلُّم، فإِنه لو كان ممَّن يقرأُ لارتاب المُبطلون، ولكان لهم في ارتيابهم تعلُّق، وأَما ارتيابهم مع وضوح هذه الحُجَّة؛ فظاهرٌ فساده.

قال مجاهد: كان أَهل الكتاب يجدون في كتبهم أَنَّ محمداً ﷺ لا يخط، ولا يقرأُ كتاباً، فنزلت هذه الآية[١].

وذكر النقاش في تفسير هذه الآية عن الشعبي أَنه قال: ما مات النبيُّ ﷺ حتَّى كَتَب[٢].

وأَسند أَيضاً حديثاً لأَبي كَبْشَة السَّلُولي[٣]، مُضَمَّنه: أَنه ﷺ قرأَ صحيفة لِعُيَيْنَة بن حصن، وأَخبر بمعناها[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله ضعيف، وقول الباجِيِّ رحمه الله منه[٥].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ إِضرابٌ عن مُقَدَّر من الكلام يقتضي ما تقدَّم، كأَنه قال: ليس الأَمر كما حسبوا، بل هو.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٥١).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ١٨٦)، قال: وأظن أنه لا يصح عن الشعبي هذا؛ لأنه كان عالماً كبيراً.

(٣) أبو كبشة السلولي الدمشقي شامي ثقة، روى عن عبد الله بن عمرو، وسهل بن الحنظلية، وعنه: حسان ابن عطية، وأبو سلام الأسود، وربيعة بن يزيد، تاريخ الإسلام (٦/ ٢٤٥).

(٤) في ثبوت الخبر بهذا اللفظ نظر، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٥)، من طريق: الوليد بن مسلم، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني ربيعة بن يزيد، حدثني أبو كبشة السلولي أنه سمع ابن الحنظلية الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ يقول، ومن طريق: النفيلي حدثنا مسكين بن بكير، حدثنا محمد بن مهاجر، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي كبشة السلولي، حدثنا سهل بن الحنظلية به بلفظ: أما عيينة فأخذ كتابه فأتى النبي ﷺ فقال: يا محمد ترى أني حامل إلى قومي كتاباً لا أدري ما فيه كصحيفة متلمس، قال: فأخذه النبي ﷺ فنظر فيه فقال: « قد كتب لك بالذي أمرت لك به »، وقد ساق البيهقي الإسنادين وساق متناً واحداً، وفيه محل الشاهد، وأخرج ابن زنجويه في الأموال (٧٩٩) رواية النفيلي أيضاً بنفس اللفظ، وفي آخره زيادة: قال ابن مهاجر: قال ابن حلبس: فنرى أن رسولَ الله ﷺ قد كتب بعد أن أنزل عليه، وليس لابن حلبس وهو يونس بن ميسرة بن حلبس ذكر عندهما، لكن ذكره الحافظ ابن حجر في التلخيص (٣/ ٢٧١)، من طريق: محمد بن المهاجر، عن يونس بن ميسرة، عن أبي كبشة السلولي، عن سهل بن الحنظلية بنفس اللفظ، لكن أخرجه أبو داود في السنن (١٦٣١)، من طريق النفيلي به، وهو الإسناد الثاني عند البيهقي، وليس فيه عبارة: «فنظر فيه».

(٥) أي: قوله: إن النبيّ ﷺ كتب بيده، وأن ذلك لا يعارض كونه أمياً، نقله عنه تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥٢).

وهذا الضمير يحتمل أَن يعود على القرآن.

ويؤيده أَن في قراءَة ابن مسعود: (بَلْ هِيَ آيَاتٌ) [١].

ويحتمل أَن يعود على محمد ﷺ.

ويؤيده أن قتادة[٢] قرأَ: (بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ) على الإِفراد[٣]، وقال: المراد: النبي ﷺ.

ويحتمل أَن يعود على أَمر محمد ﷺ أَنه لم يَتْلُ ولا خَطَّ، وبكلِّ احتمالٍ قالت فرقة، وكون هذا كله آيات ـ أَي: علامات في صدور العلماءِ من المؤمنين بمحمد ﷺ ـ يراد به مع النظر والاعتبار.

و﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ و﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، قيل: يعم لفظهما كلَّ مكذِّب بمحمد ﷺ، ولكن معظم الإِشارة بهما إِلى قريش؛ لأَنهم الأَهم، قاله مجاهد، وقال قتادة: الْمُبْطِلُونَ: اليهود[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

الضمير في ﴿وَقَالُوا۟﴾ لقريش ولبعض اليهود؛ لأَنهم كانوا يُعَلِّمون قريشاً مثل هذه الحُجَّة: لم يَأْتِكُم بمثل ما جاءَ به موسى من العصا وغيرها.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم، وعلي بن نصر عن

(١) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١١)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٨٦).

(٢) في المطبوع: «ويؤيده قراءة من قرأ».

(٣) وبها قرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي، كما سيأتي، انظر: التيسير (ص: ١٧٤).

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٥١).

أَبي عمرو: ﴿آية من ربه﴾، وقرأ نافع، وابن عامر، وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿ ءَايَتٌ ﴾[(١)].

فأَمر الله تعالى نبِيَّه ﷺ أَن يعلِّمهم أَن هذا الأَمر بيد الله عزَّ وجلَّ لا يستنـزله الاقتراح والتمنِّي، وأَنه بُعث نذيراً، ولم يؤمر بغير ذلك.

وفي مصحف أُبي بن كعب: (لو ما يأْتينا بآيات من ربه قل إِنما الآيات)[(٢)].

ثم احتج عليهم في طلبهم آية بأَمر القرآن الذي هو أَعظم الآيات، ومعجزٌ للجن والإِنس، فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾، ثم قرَّر ما فيه من الرحمة والذكرى للمؤمنين، فقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ﴾: جواب لمن قال: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ ﴾.

وحكى الطبري: أَن هذه الآية نزلت بسبب قوم من المؤمنين [كتبوا عن اليهود بطائق][(٣)] أَخبروهم بشيءٍ من التوراة، فكتبوه فأَنكر رسول الله ﷺ ذلك، قال: «كفى بها[(٤)] ضلالة، قوم رغبوا عمَّا أَتاهم به نبيُّهم إلى ما أَتى به غيره»، ونزلت الآية بسببه[(٥)].

قال القاضي أَبو محمد: والتأْويل الأَول أَجرى مع نسق الآيات.

ثمَّ أَمر الله تعالى نبِيَّه ﷺ بالاستناد إِلى أَمر الله تعالى، وأَن يجعله حسبه شهيداً وحاكماً بينه وبينهم بعلمه وتحصيله جميع أُمورهم.

وقوله: ﴿بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ يريد: بالأَصنام والأَوثان وما يتبع أَمرها من المعتقدات.

و(الباطل): هو أَن يُفعل فعل يُراد به أَمر ما، وذلك الأَمر لا يكون عن ذلك الفعل،

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٤)، ورواية علي بن نصر في السبعة (ص: ٥٠١).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ٤٣٥).

(٣) في المطبوع بدلًا منه: «أَتَوْا النبي ﷺ بكُتُب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود الذين».

(٤) في المطبوع: «بهذا»، وفي فيض الله: «بهؤلاء».

(٥) مرسل فيه لين، الطبري (٢٠/ ٥٣)، من طريق: حجاج، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين... وهذا مرسل.

والأَصنام أُريد بأَمرها الأَكملُ والأَنجحُ في زعم عُبَّادها، وليس الأَكمل والأَرجح إِلَّا رفْضُهَا، فهي إِذاً باطلٌ، وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ يريد كُفَّار قريش في قولهم: ائتنا بما تعدنا، وغير ذلك من استدعائهم[١] ـ على جهة التعجيز والتكذيب ـ بعذاب الله تعالى الذي يتوعدهم محمد ﷺ.

ثمَّ أَخبر تعالى أنه يأْتيهم بغتة؛ أَي: فجأَة، وهذا هو عذاب الدنيا، وهو الذي ظهر يوم بدر، وفي السنين السبع، / ثمَّ ذكر تعالى أَن تأَخُّره إِنما هو بحسب الأَجل المقدور السابق، وذكر المفسرون عن الضحاك: أَن الأَجل المسمَّى بهذه الآيات الآجالُ[٢]. [٤/ ١٧٧]

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف يردُّه النظر، والآجال لا محالة أَجلٌ مُسَمًّى، ولكن ليس هذا موضعها.

ثمَّ توعدهم تبارك وتعالى بَعْدُ بعذاب الآخرة في قوله: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، كرَّر فِعْلَهم وقَبَّحه، وأَخبر أَن وراءَهم إِحاطة جهنم بهم.

وقال عكرمة ـ فيما حكى الطبري ـ أَن جهنم هاهنا أَراد بها الْبَحْر[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ﴾: ظرفٌ يعمل فيه قوله: ﴿مُحِيطٌ﴾.

---

(١) في المطبوع: «استعجالهم».
(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٨٦).
(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٥).

و﴿يَغۡشَىٰهُمُ﴾ معناه: يغطِّيهم من كل جهة من جهاتهم.

وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿وَيَقُولُ﴾؛ أي: ويقول الله.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿وَنَقُولُ﴾ بالنون[١]، فإِمَّا أَن تكون نون العظمة، أو نون جماعة[٢] الملائكة.

وقرأ ابن مسعود: (وَيُقَالُ) بياءٍ وأَلِف، وهي قراءَةُ ابن أَبي عبلة[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ﴾ توبيخٌ، ويُشَبَّه مسُّ العذاب بالذَّوق، ومنه قوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، ومنه قول أَبي سفيان: ذُقْ عَقَق[٤]، ونحو هذا كثير.

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ أَي: بما في أَعمالكم من اكتسابكم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩﴾.

هذه الآياتُ نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة، فأَخبرهم تعالى بِسَعَةِ أَرضه، وأَن البقاءَ في بقعة على أَذى الكفار ليس بصواب، بل الصواب أَن تُلْتمس عبادة الله تعالى في أَرضه.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٤).

(٢) في المطبوع: «نون الجماعة، جماعة الملائكة».

(٣) وهي شاذة انظر عزوها لابن مسعود في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٨)، ولهما في البحر المحيط (٨/ ٣٦٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص٣٧٣) للأعمش.

(٤) أخرجه الحربي في غريب الحديث (١/ ٤٤)، من طريق: يوسف بن بهلول، حدثنا ابن إدريس، عن ابن إسحاق: مر أبو سفيان بحمزة فجعل يضرب في شدقه بزج الرمح ويقول: ذق عقق، وهذا معضل جداً.

وقال ابن جبير، وعطاء، ومجاهد: إِن الأَرض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الآية، وتلزم الهجرة عنها إِلى بلدٍ حقٍّ[١]، وقاله مالك[٢].

وقال مُطَرِّف بن الشِّخِّير: قوله: ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ عدةٌ بِسَعة الرزق في جميع الأَرض[٣].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ بفتح الياءِ[٤].

[وقرأ ابن عامر وحده: ﴿إن أرضيَ﴾ بفتح الياء أيضاً].

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي بسكونها، وكذلك قرأَ نافع وعاصم: ﴿أَرۡضِي﴾ ساكنةً[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَإِيَّٰيَ﴾[٦] منصوب بفعل مقدَّر يدلُّ عليه الظاهر، تقديره: فإِيَّايَ اعبدوا فاعبدون، على الاهتمام أَيضاً في التقدير[٧].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ الآية، تحقير لأَمر الدنيا ومخاوفها، كأَن بعض المؤمنين نظر في عاقبة ما يلحقه في خروجه من وطنه أَنه يموت أَو يجوع ونحو هذا، فحقَّر الله تعالى شأْن الدنيا؛ أَي: أَنتم لا محالة ميتون ومحشورون إلينا[٨]، فالبِدار إِلى طاعة الله عزَّ وجلَّ والهجرة إِليه أَوْلى ما يُمتثل.

---

(١) انظر عزوه لهم في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٦)، ولبعضهم في تفسير سفيان الثوري (ص: ٢٣٦)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ١١).

(٢) انظر قول مالك في: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٦١١)، والهداية لمكي (٢/ ١٤٤٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٦).

(٤) وحذفها الباقون في الوصل، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٤)، والسبعة (ص: ٥٠٣).

(٥) وابن كثير وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٧٤)، وسقطت قراءة ابن عامر من المطبوع.

(٦) في لالاليه: «يا عبادي».

(٧) في الأصل: «التقديم».

(٨) سقطت من الأصل، وفي المطبوع: «إِلى الله تبارك وتعالى».

وقرأَ الجمهور: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، ورويت عن عاصم بالياءِ من تحت، وذكرها أَبو حاتم عن أَبي عمرو[١].

وقرأَ أَبو حيوة: (كل نفس ذائقةٌ) بالتنوين (الْمَوْتَ) بالنصب[٢].

ثم وعد المؤمنين[٣] العاملين بسكنى الجنَّة تحريضاً منه تعالى، وذكر الجزاءَ الذي ينالونه.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ بالباءِ [من المباءة][٤]؛ أَي: لَنُنْزِلَنَّهُم ولَنُمَكِّنَنَّهُم ليدوموا فيها، و﴿غُرَفًا﴾ مفعول ثان؛ لأَنه فعل يتعدى إِلى مفعولين.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُمْ﴾، من: أَثوى يُثوي، وهو مُعَدًّى: ثَوَى، بمعنى: أَقام، وهي قراءَة علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، والربيع بن خُثَيْم، وابن وثاب، وطلحة[٥].

[وقرأَها بعضهم: (لَنُثَوِيَنَّهُمْ) بفتح الثاءِ وتشديد الواو مُعَدًّى بالتضعيف][٦] لا بالهمزة.

وقوله: ﴿غُرَفًا﴾: نصب بِإسقاط حرف الجرِّ، والتقدير: في غُرف.

وقرأَ يعقوب: (لَيُبَوِّئَنَّهُم) بالياءِ من تحت[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، والياء رواية شعبة، كما في التيسير (ص: ١٧٤)، والسبعة (ص: ٥٠٢)، ولم أجدها لأبي عمرو.

(٢) وهي شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٥٢٣).

(٣) تكررت في الأصل خطأ.

(٤) سقطت من نجيبويه والمطبوع، ولفظة: «بالباء» زيادة منهما.

(٥) فهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٠٢)، وسقط «الكسائي» من المطبوع، وانظر عزوها لابن مسعود وابن وثاب في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٨)، وللباقين في البحر المحيط (٨/ ٣٦٤).

(٦) ساقط من التركية، وهي شاذة، أشار لها بلا نسبة في الدر المصون (٩/ ٢٥).

(٧) وهي شاذة، وعزاها القرطبي (١٣/ ٣٥٩) أنها من رواية رويس عنه وقراءة الجحدري والسلمي، وكتبت في المطبوع: «النبوينهم»، وهذا يوهم أن المقصود الياء الأخيرة، وذلك خطأ.

وروي عن ابن عامر: (غُرُفاً) بضم الغين والراءِ(١).

ثم وصفهم تعالى بالصبر والتوكُّل، وهاتان جماعُ الخير كلِّه؛ أَي: الصبر على الطاعات، وعن الشهوات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

(كَأَيِّنْ) بمعنى: «كَمْ»، وهذه الآية تحريض على الهجرة؛ لأَن بعض المؤمنين فكَّر في الفقر والجوع الذي يلحقه في الهجرة، وقالوا: غربة في بلد لا دار لنا فيه ولا عقار ولا من يطعم، فمثَّل لهم بأَكثر الدواب التي لا تتقوت(٢) ولا تَدَّخر ولا تَـرَوَّى في رزقها، والمعنى: فهو يرزقكم أَنتم، ففضِّلوا طاعته على كل شيءٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَحْمِلُ﴾ يجوز أَن يريد: من الحَمْل؛ أَي: لا تستقل(٣) ولا تنظر في ادخاره، قاله أَبو مَجْلَز، ومجاهد، وعلي بن الأَقمر(٤).

قال القاضي أَبو محمد: والادخار ليس من خلق الموقنين، وقد قال رسول الله ﷺ

(١) ليست من طرق التيسير، بل هي رواية عبد الحميد بن بكَّار بإسناده عن ابن عامر، ولم يروه غيره، قاله في جامع البيان (٤/ ١٤٦٧).

(٢) في المطبوع: «التي تتقوت»، دون لفظة «لا».

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «تنقل»، وفي لالاليه ونور العثمانية: «ينتقل»، وفي فيض الله: «تنتقل».

(٤) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٨)، وعلي هو ابن الأقمر بن عمرو بن الحارث الهمداني الوادعي، أبو الوازع الكوفي، يروي عن أبي جحيفة، وغيره، وعنه الأعمش، وشعبة، وسفيان، والحسن بن صالح، وشريك، وآخرون، وثقه جماعة، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٢٦).

لابـن عمـر: «كيف بـك إِذا بقيـتَ فـي حُثالة من النـاس يخبئـون رزق سـنة بضعف[١] اليقين»[٢].

ويجوز أَن يريد من الحمالة؛ أَي: لا تتكفَّل برزقها ولا تَـرَوَّى فيه.

ثمَّ خاطب تعالى نبيه ﷺ[٣] في أَمر الكفَّار وإِقامة الحُجَّة عليهم بأَنهم إِن سأَلوا عن الأُمور العظام التي هي دلائل القدرة؛ لم يكن لهم إِلَّا التسليم بأَنها لله تعالى.

و﴿يُؤْفَكُونَ﴾ معناه: يصرفون، ونبَّه تعالى على خلْق السماوات والأَرض وتسخير الكواكب، وذكر عظمها، [فاقتضى ذلك ما دونه][٤].

ونبَّه تعالى على بسط الرِّزق وقَدْره لقوم، وإِنزال المطر من السماءِ، وهذه عِبَـرٌ كثيرة لمن تأَمَّل بالنجاة والمعتقد الأَقوم.

ثمَّ أَمر تعالى / نبيَّه محمداً ﷺ بحمده على جهة التوبيخ لعقولهم، وحَكَم عليهم بأَن أَكثرهم لا يعقلون ولا يتسدد[٥] منهم نظر. [٤/ ١٧٨]

---

(١) في التركية: «لضعف اليقين»، وفي لالاليه ونور العثمانية: «ويضعف اليقين».

(٢) لا يثبت بهذا اللفظ، عزاه في كنز العمال (٧٣٤٠) بهذا اللفظ للبخاري في رواية حماد بن شاكر، عن ابن عمر، ولم أجده بهذا اللفظ في مكان آخر، وقد علق منه البخاري أوله: يا عبد الله بن عمرو، كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس...» الحديث، قال الحافظ في تغليق التعليق (٢/ ٢٤٥): ليس هذا التعليق في روايتنا من طريق أبي ذر وإنما ثبت في بعض الروايات، وقد رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث له، قال: حدثنا عاصم بن علي، ثنا عاصم بن محمد، عن واقد، سمعت أبي يقول: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «كيف بك يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم». اهـ، وقد رواه بنحوه غير واحد من الأئمة، لكن ليس فيه محل الشاهد.

(٣) «نبيه ﷺ» زيادة من المطبوع.

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «يبدو»، وغير واضحة في التركية والحمزوية، وفي لالاليه ونور العثمانية: «ينسد»، وفي فيض الله: «يستد».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

وصف الله تعالى الدُّنيا في هذه الآية بأَنها لهوٌ ولعب؛ أَي: ما كان منها لغير وجه الله تعالى؛ فإِن ما كان لله تعالى فهو من الآخرة، وأَمَّا أُمور الدُّنيا التي هي زائدة على الضروري الذي به قِوام العيش والقوة على الطاعات فإِنما هو لهوٌ ولعب، وتأَمل ذلك في الملابس والمطاعم والمشارب[1] والأَقوات[2] والمكسبات[3] وغير ذلك.

وانظر إِلى حاجة الغني والفقير في الأُمور الضرورية فإِنها واحدة، كالتَّـنَـفُّس في الهواءِ، وسدِّ الجوع، وستر العورة، وتوقِّي الحر والبرد، وهذه كلها عظم أَمر العيش.

والْحَيَوَان والحياةُ بمعنى واحد[4]، وهو عند سيبويه والخليل مصدر، كالهَيَمان ونحوه[5].

والمعنى: لا موت فيها، قاله مجاهد[6]، وهو حسن.

وأَصله: حَيَيان، فأُبدلت إِحداهما واواً لاجتماع المثلين.

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) في نجيبويه: «الأموال»، وفي المطبوع والتركية ونور العثمانية: «الأقوال».

(٣) ليست في المطبوع.

(٤) سقطت لفظة: «واحد» من نجيبويه والتركية.

(٥) انظر قولهما في سر صناعة الإعراب (٢/ ٢٣٨)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٣٩٧)، والبحر المحيط (٨/ ٣٦٦)، وتاج العروس (٣٧/ ٥١٠).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٦٠).

ثم وقفهم تعالى على حالهم في البحر عند الخوف العظيم، فإن كل بشرٍ يَنْسَى كل صنم وغيره، ويتمسَّك بالدعاءِ والرغبة إِلى الله تعالى.

وقوله: ﴿إِذَاهُمْ يُشْرِكُونَ﴾؛ أَي: يرجعون إِلى ذكر أَصنامهم وتعظيمها.

وقوله: ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾: نصب بلام «كيْ».

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ [بكسر اللام.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿وَلْيَتَمَتَّعُوا﴾][1]، بسكون اللام على صيغة الأمر التي هي للوعيد والتهديد[2]، والواو ـ على هذا ـ: عاطفةٌ جملةَ كلام، لا عاطفةٌ فعلاً على فعل.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب: (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[3].

وفي قراءَة ابن مسعود: (فَلَسَوْف تعلمونَ) باللَّام[4].

ثمَّ عدَّد تعالى على كفرة قريش نعمته عليهم في الحرم في أَنه جعله لهم آمناً لا خوف فيه من أَحوال العرب وغاراتهم[5] وسوءِ أَفعالهم، من القتل وأَخذ الأَموال ونحوه، وذلك هو التَّخَطُّف الذي كان الناس بسبيله، ثم قررهم ـ على جهة التوبيخ ـ على إِيمانهم بالباطل وكفرهم بالله ونعمته.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ بالياءِ [من تحت، وكذلك: ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

---

(١) ساقط من الحمزوية ولالاليه ونور العثمانة، وهما سبعيتان، إلا أن قالون أسكن، انظر: التيسير (ص: ١٧٤)، والسبعة (ص: ٥٠٢).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها للسلمي في مختصر الشواذ (ص١١٦)، ولهما في البحر المحيط (٨/ ٣٦٧).

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٨٩).

(٤) وهي شاذة، أشار لها في البحر المحيط (٨/ ٣٦٧)، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٣) عنه: (قل تمتعوا فسوف تعلمون) بالتاء فيهما.

(٥) في المطبوع: «وعاداتهم».

وقرأهما بالتاءِ][1] من فوق الحسنُ، وأبو عبد الرحمن[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

قررهم عزَّ وجلَّ على حال من افترى على الله كذباً أَو كذَّب بآياته، وهذه كانت حالهم، وأَعلمهم أَنه لا أَحد أَظلم منه، وهذا في ضمنه وعيدٌ شديد، ثم بيَّن الوعيد أَيضاً بالتقرير على أَمر جهنم، والمَثْوَى: موضع الإِقامة.

وأَلفاظ هذه الآيات في غاية الاقتضاب والإِيجاز وجَمْع المعاني.

ثم ذكر تعالى حال أَوليائه والمجاهدين فيه، وقرن ذلك بذكر الكفرة الظلمة؛ لِيُبَيِّن تباين الحالين.

وقوله تعالى: ﴿فِينَا﴾ معناه: في مرضاتنا وبُغْية ثوابنا.

قال السدي وغيره: نزلت هذه الآية قبل فرض القتال[3].

قال القاضي أَبو محمد: فهي قبل الجهاد العُرفي، وإِنما هو جهاد عام في دين الله تعالى وطلبِ مرضاته.

وقال الحسن: الآية في العُبَّاد[4].

وقال عياش[5] وإِبراهيم بن أَدهم[6]: هي في الذين يعملون بما يعلمون[7].

---

(١) ساقط من الحمزوية.

(٢) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (٨/ ٣٦٧)، والدر المصون (٩/ ٢٨).

(٣) نقله عنه في تفسير القرطبي (١٣/ ٣٦٤).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ إلا في تفسير القرطبي (١٣/ ٣٦٤)، وسيأتي بمعناه.

(٥) في المطبوع بدلًا منه: «ابن عباس والحسن».

(٦) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور، أبو إسحاق العجلي، وقيل: التميمي البلخي الزاهد، أحد الأعلام، روى عن أبيه، ومنصور، والباقر، والأعمش، وجماعة، وعنه: الثوري وشقيق البلخي، أحد الزهاد، ثقة مأمون، توفي سنة (١٦١هـ)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٤).

(٧) نقله عن ابن أدهم تفسير السمعاني (٤/ ١٩٤) بمعناه، ولم أجد من ذكر لعياش شيئاً هنا.

وقد قال النبي ﷺ: «من عَمِلَ بما عَلِمَ؛ عَلَّمه الله ما لم يَعْلَم»[١].

ونزع بعض العلماءِ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال عُمَر بن عبد العزيز: إنما قصَّر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرُنا في العمل بما علمنا[٢].

وقال أَبو سليمان الداراني: ليس الجهاد في هذه الآية قتالَ العدو فقط، بل هو نصرُ الدين، والرَّدُّ على المبطلين، وقَمْع الظالمين، وعُظْمُه الأَمْر بالمعروف والنَّهْي عن المنكر[٣].

ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله تعالى، وهو الجهاد الأَكبر، [قاله الحسن وغيره[٤].

وفيه حديث عن النبي ﷺ: «رجعتم من الجهاد الأَصغر إلى الجهاد الأَكبر»][٥].

وقال سفيان بن عُيَيْنَة لابن المبارك: إذا رأَيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأَهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٦].

---

(١) موضوع، ذكره أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٥)، بإسناد إلى الإمام أحمد بن حنبل أنه ذكره عن يزيد ابن هارون، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم»، قال أبو نعيم رحمه الله: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم عليه السلام، فوهم بعضُ الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل.اهـ، وسقط الحديث كله من فيض الله، وفي نجيبويه: «أورثه»، بدل: «علمه».

(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ٢٩٠)، والقائل هو عمر جواباً لوضين بن عطاء، وفي المطبوع: «وقال بعض العلماءِ لِعُمَر... إلخ».

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٤)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٢٩٠).

(٤) تفسير السمعاني (٤/ ١٩٤).

(٥) ساقط من لالاليه، وهو ضعيف، أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٣٨٤)، من طريق: أحمد بن عبيد، حدثنا تمتام، حدثنا عيسى بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن يعلى، عن ليث، عن عطاء، عن جابر، وقال: هذا إسناد ضعيف.

(٦) تفسير السمعاني (٤/ ١٩٤).

وقال الضحاك: معنى الآية: [وَالَّذِينَ جاهَدُوا في الهجرة لَنَهْدِيَنَّهُمْ سبيل الثبوت[١] على الإيمان][٢].

و«السَّبيلُ» هاهنا يحتمل أَن يكون طرق الجنَّة ومسالكها.

ويحتمل أَن يكون سبيل الأَعمال المؤدية إِلى الجنة والعقائد النَّـيِّرة.

وقال يوسف بن أَسباط: هي إِصلاح النِّيَّة في الأَعمال، وحبُّ التزَيُّد والتَّفهم[٣].

وهذا هو أَن يُجازى العبد على حُسْنه بازدياد حُسنه، وبعلم يقتدح[٤] من عِلْم متقدم، وهي حالُ من رضي الله عنه، وباقي الآية وعْدٌ.

و(مَعَ): يحتمل أَن تكون هنا اسماً؛ ولذلك دخلت عليها اللام للتأْكيد، ويحتمل أَن تكون حرفاً، ودخلت اللام لما فيها من معنى الاستقرار، كما دخلت في: إِنَّ زيداً لفي الدار.

كمل تفسير سورة العنكبوت، والحمد لله ربِّ العالمين،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله وصحبه أَجمعين.

* * *

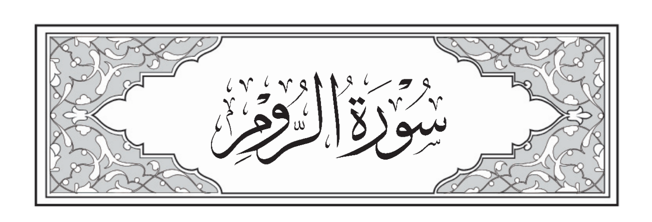
---

(١) في نجيبويه: «الثواب».

(٢) ساقط من الحمزوية، وانظر تفسير الثعلبي (٧/ ٢٩٠).

(٣) تفسير الماوردي (٤/ ٢٩٥).

(٤) في المطبوع: «ويُعَلَّم بجديد»، وفي نجيبويه: «من علم مقترح».



/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٤/ ١٧٩]

تَفسير سُورة الرُّوم

هذه السُّورة مَكِّيَّة، ولا خلاف أَحفظه في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ⑤ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑥﴾.

تقدم القول في الحروف التي في أَوائل السُّور بما فيه كفاية.

وقرأَ الجمهور: ﴿غُلِبَتِ﴾ بضم الغين، وقالوا: معْنى الآية: أَنه طرأَ بمكة أَن الملك كسرى هزم جيش ملك الرُّوم، قال مجاهد: في الجزيرة، وهو موضع بين العراق والشَّام، وقال عكرمة: بأَذرِعات، وهي بين بلاد العرب والشام، وقال مقاتل: بالأُردن وفلسطين[(١)].

فلما طرأَ ذلك سُرَّ الكفَّار، فبشَّر الله تعالى عباده بأَن الرُّوم سيغلِبون في بضع سنين، وتكون الدولة لهم في الحرب.

---

(١) انظر قول عكرمة في تفسير الطبري (٢٠/ ٦٩)، وقوله وقول مقاتل ومجاهد في تفسير الثعلبي (٧/ ٢٩٤).

وقرأَ أَبو سعيد الخدري، وعلي بن أَبي طالب، ومعاوية بن قُرة، وعبد الله بن عمر: (غَلَبَت) بفتح الغين واللام[١]، وتأْويل ذلك أَن الذي طرأَ يوم بدر إِنما كان أَن الرُّوم غَلَبَت، فعزَّ ذلك على الكفَّار من قريش، وسُرَّ المسلمون، فبشَّر الله تعالى عباده بأَنهم سيغلِبون أَيضاً في بضع سنين، ذَكَر هذا التأْويل أَبو حاتم[٢]، والروايةُ الأُولى، والقراءَةُ بضم الغين أَصحُّ.

وأَجمع الناسُ على ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ أَنه بفتح الياءِ، يُراد به الروم.

ورُوي عن ابن عمر أَنه قرأَ أَيضاً: (سَيُغْلَبُونَ) بضم الياءِ[٣]، وفي هذه القراءَة قلب للمعنى الذي تظاهرت به [الأخبار في][٤] الروايات.

و﴿أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ معناه: أَقرب الأَرض، فإِن كانت الوقعة في أَذْرِعات فهي من أَدنى الأَرض بالقياس إِلى مكة، وهي التي ذكرها امرؤُ القيس في قوله:

[الطويل]
تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعاتٍ وأَهْلُهَا ... بِيَثْرِبَ أَدْنَى دارِها نَظَرٌ عَالي[٥]

وإِن كانت الوقعة بالجزيرة فهي أَدنى بالقياس إِلى أَرض كسرى، وإِن كانت بالأُردن فهي أَدنى إِلى أَرض الروم.

قال أَبو حاتم: وقُرِئ: (أداني الأرض)[٦].

---

(١) وهي شاذة، عزاها لأبي سعيد الخدري في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧٨)، ولابن عمر في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٩)، ولعلي وابن قرة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٤)، وفي فيض الله: «ابن أبي قرة».

(٢) نقله القرطبي في تفسيره (١٤/ ٤).

(٣) وهي شاذة، عزاها لعلي ومعاوية في مختصر الشواذ (ص: ١١٧)، ولأبي سعيد الخدري في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٧٨).

(٤) من أحمد٣.

(٥) الكتاب لسيبويه (٣/ ٢٣٣)، والأصول في النحو (٢/ ١٠٦)، والمعاني الكبير (١/ ٤٣٥)، والعمدة لابن رشيق (٢/ ٥٦).

(٦) وهي شاذة، عزاها الثعلبي (٧/ ٢٩٤) لابن جبير وطلحة، ومختصر الشواذ (ص: ١١٧) للكلبي، وفي المطبوع: «أدنى».

وقرأ جمهور الناس: ﴿غَلَبِهِمۡ﴾ بفتح اللام، كما يقال: احْلُبْ حَلَباً لَكَ شَطْرُه[١].

وقرأ ابن عُمر بسكونها، [وهما مصدران بمعنى واحد، و][٢] أُضيف إِلى المفعول[٣].

ورُوي في قصص هذه الآية عن ابن عباس وغيره: أَن الكفار لما فرحوا بمكَّة بِغَلَب الروم؛ بشَّر الله تعالى نبيَّه ﷺ والمؤمنين بأَن الرُّوم سيَغْلِبون في بضع سنين؛ أَي: من الثلاثة إِلى التسعة[٤]، على مشهور قول اللغويين، كأَنه تبضيع العشرة؛ أَي: تقطيعها.

وقال أَبو عبيدة: من الثلاث إِلى الخَمْس[٥]، وقوله مردود.

فلما بشَّرهم بذلك خرج أَبو بكر الصديق إِلى المسجد، فقال لهم: أَسَرَّكُم أَن غُلِبت الرُّوم؟ فإِن نبينا أَخبرنا عن الله تعالى أَنهم سَيَغْلِبون في بضع سنين، فقال له أُبَيُّ ابن خلف وأُمَيَّةُ أَخوه ـ وقيل: أَبو سفيان بن حرب ـ: تعالَ يا أَبا فَصِيلٍ ـ يعرِّضون بكنيته بالبكر ـ فَلْنتناخَبْ ـ أَي: نتراهن ـ في ذلك، فراهنهم أَبو بكر، قال قتادة: وذلك قبل أَن يحرَّم القمار[٦]، وجعل الرهان خمس قلائص، والأَجل ثلاث سنين.

فأَخبر النبيَّ ﷺ بذلك، فقال له: إِن البِضْع إِلى التِّسع، ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الأَجل، ففعل أَبو بكر، فجعلوا القلائص مئة والأَجل تسعة أَعوام، فَغَلَبَت الروم في أَثناءِ الأَجل.

فروي عن أَبي سعيد الخدري أَن إِيقاع الروم بالفرس كان يوم بدر[٧].

---

(١) في فيض الله ولالاليه: «اجلب جلباً»، وهو مثلٌ يضرب في الحثِّ على الطلب، والمساواة في المطلوب.

(٢) في المطبوع: «وهو مصدر».

(٣) وهي شاذة، عزاها له وللأعمش في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٤).

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٦٨)، من عدة طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ١١٩).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٧).

(٧) جاء ذلك في خبر ابن عباس الذي سبقت الإشارة إليه.

وروي أَن ذلك كان يوم الحُدَيْبِيَة، وأَن الخبر بذلك وصل يومَ بيعة الرضوان[١]، رُوي نحوه عن قتادة[٢]، وفي كلا اليومين كان نصر من الله تعالى للمؤمنين.

وذكر الناسُ أَن سبب سرور المسلمين بغَلَبَة الروم وهمِّهم أَن تَغْلِب، وكون المشركين من قريش على ضدِّ ذلك، إِنما هو أَن الروم أَهل كتاب كالمسلمين، والفرس أَهل الأَوثان ونحوه من عبادة النار ككفار قريش والعرب.

قال القاضي أَبو محمد: ويُشبه أَن يعلل[٣] ذلك بما يقتضيه النظر[٤] من محبة أن يغلب العدوُّ الأَصغر؛ لأَنه أَيْسر مؤونة، ومتى غَلَبَ الأَكبر كثر الخوف منه، فتأَمل هذا مع ما كان رسول الله ﷺ ترجَّاه من ظهور دينه وشرْعِ الله الذي بعثه به، وغلبته على الأُمم، وإِرادة كفار مكة أَن يرميه الله تعالى بمَلِك يستأْصله ويُريحهم منه.

و﴿سِنِينَ﴾ يجمع كجمع من يعقل عوضاً عن النقص الذي في واحده؛ لأَن أَصل سنة: سنهة، أَو سنوة، وكُسرت السِّين منه دلالة على أَن جمعه خارج عن قياسه ونمطه.

ثم أَخبر تعالى بانفراده بالقدرة، وأَن ما في العالم من غَلَبَة وغيرها إِنما هو منه وبإِرادته وقدرته، فقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أَي: إِنفاذ الأَحكام، ﴿مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾؛ أَي: من قبل هذه الغلبة [التي بين هؤلاء القوم][٥].

و﴿قَبْلُ﴾ و﴿بَعْدُ﴾: ظرفان بُنِيا على الضَّمِّ؛ لأَنهما تعرَّفا بحذف ما [أُضيفا إِليه][٦]،

---

(١) ضعيف، أخرج ذلك الطبري في خبر طويل من قول عكرمة، لكن إسناده واه، رواه عنه أبو بكر، هو الهذلي، أخباري تالف، متروك.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٧).

(٣) في المطبوع: «يقال»، وهي غير واضحة في لالاليه ونجيبويه.

(٤) في الأصل: «الفطر».

(٥) في المطبوع بدلًا منه: «ومن بعدها».

(٦) في المطبوع: «أُضيف إِليهما».

وصارا مُتَضَمِّنَيْن ما حُذف، فخالفا معرب[١] الأَسماءِ وأَشبها الحروف في التضمين فَبُنِيا، وخُصَّا بالضَّم لشبههما بالمنادى المفرد؛ لأَنه إِذا نُكِّر وأُضيف زال بناؤُه، فكذلك هما، فضُمَّا كما أَنَّ المنادى مبني على الضم، وكذلك قيل في ذلك أَيضاً: إِن الفتح تعذَّر فيهما؛ لأَنه حالهما في إظهار ما أضيفا إليه، وتعذر الكسر؛ لأنه حالهما عند إِضافتهما إِلى المتكلم، وتعذَّر السكون؛ لأَن ما قبل آخرهما ساكن، فلم يبق إِلَّا الضم، فَبُنيا عليه.

ومن العرب [من يقول: مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ، بالخفض والتنوين/ . [٤/ ١٨٠]

قال الفراءُ: ويجوز تركُ التنوين][٢] فيبقى كما هو في الإِضافة وإِن حُذِف المضافُ[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ يحتمل أَن يكون عطفاً على «القَبْل» و«البَعْد»، كأَنه حصر الأَزمنة الثلاثة: الماضي والمستقبل والحال، ثم ابتدأَ الإِخبار بفرح المؤمنين [بالنصر، ويحتمل أَن يكون الكلام قد تمَّ في قوله: ﴿بَعْدُ﴾، ثم استأْنف عطف جملة أَخبر فيها أَنَّ يومَ غَلَبَة الرُّوم للفرس يُفْرِح المؤمنين][٤] بنصر الله، وعلى هذا الاحتمال مشى المفسرون.

و«النصر الذي يفرح به المؤمنون» يحتمل أَن يُشار فيه إِلى نصر الرُّوم على فارس، وهي نُصرة للإِسلام بحكم [السببين الذين قد ذكرتهما][٥]، ويُحتمل أَن يُشار فيه إِلى نصر يخصُّ المؤمنين على عدوهم، وهذا أَيضاً غيبٌ أَخبر به وأَخرجه الوجود إِمَّا بيوم بدر، وإِمَّا ببيعة الرضوان، ويحتمل أَن يُشار به إِلى فرح المسلمين بنصر الله تعالى إِيَّاهم في أَن صدق ما قال نَبِيُّهم عليه السلام في أَن الروم ستغلب فارس، فإِن هذا ضربٌ من النصر عظيم.

---

(١) في المطبوع: «تعريف»، وفي نجيبويه: «تصرف»، وفي الحمزوية ولالاليه ونور الأسماء: «بعرف»، وفي أحمد٣ وفيض الله: «تعرف».

(٢) في أحمد٣ بدلًا منه: «من يخفضهما وينونهما».

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٩).

(٤) ساقط من أحمد٣، وفيه: «فسر المفسرون» بدل «مشى».

(٥) في نجيبويه: «السبيلين»، وفي المطبوع وفيض الله: «السنين التي قد ذكرناها».

وقوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر المؤكد، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يريد الكفار من قريش والعرب؛ أَي: لا يعلمون أَن الأُمور من عِند الله تعالى، وأَن وعده لا يخلف، وأَن ما يورده نبيُّه ـ عليه السلام ـ حقٌّ.

قال القاضي أَبو محمد: هذا الذي ذكرناه هو عُمْدة ما قيل، وقد حكى الطبري وغيره روايات يردُّها النظر [وقول الجمهور][1]، من ذلك أَنَّ بعضهم قال: إِنما نزلت ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بعد غلبة الروم لفارس ووصول الخبر بذلك، فهذا يقتضي أَنَّ الآية مدنية، والسورةُ كلُّها مكيَّة بإِجماع، ونحو هذا من الأَقوال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾.

وصف تعالى الكفرة الذين لا يعلمون أَمر الله تعالى وصِدْقَ وعده بأَنهم إِنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا.

واختلف الناس في معنى ﴿ظَٰهِرًا﴾:

فقالت فرقة: معناه: بَيِّناً؛ أَي ما أَدَّته إِليهم حواسهم، فكأَن علومهم إِنما هي علوم البهائم.

وقال ابن عباس[2]، والحسن، والجمهور: معناه: ما فيه الظهور والعُلُوُّ في الدُّنيا، من إِتقان الصناعات والمباني ومظانِّ كسْب المال والفلاحات ونحو هذا[3].

وقالت فرقة: معناه: ذاهباً زائلاً؛ أَي: يعلمون من أُمور الدنيا التي لا بقاءَ لها ولا

(١) في المطبوع: «أَوَّل قول»، وانظر الروايات المشار لها في تفسير الطبري (٢٠/ ٧٠).

(٢) صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ٧٥)، من طريق: أبي تميلة يحيى بن واضح الأنصاري، قال: ثنا الحسين ابن واقد، قال: ثنا يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، وإسناده مستقيم.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٧٦).

عاقبة، ومثل هذه اللفظة قول الهُذَلِّي:

وَعَـيَّـرَها الْوَاشُـونَ أَنِّـي أُحِبُّـهَا وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عارُهَا[1] [الطويل]

وقال سعيد بن جبير: إِن قوله: ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ إِنما هو إِشارة إِلى ما يُعلم مِنْ قِبَل الكَهنة مما يسترقه الشياطين[2]، وقال الرمَّاني: كل ما يُعلم بأَوائل العقول[3] فهو الظاهر، وما يعلم بدليل العقل فهو الباطن[4].

قال القاضي أَبو محمد: وفيه تقع الغفلة وتقصير الجهال.

ثم وصفهم بالغفلة والإِعراض عن أَمر الآخرة، وكرَّر الضمير تأْكيداً، وغفلة الكافر هي على الكمالِ، والمؤمنُ المنهمك في أُمور الدُّنيا التي هي أَكبر همِّه يأْخذُ من هذه الآية بحظٍّ، [نوَّر الله قلوبنا بهداه][5].

[ثمَّ وقفهم ـ على جهة التوبيخ ـ على أَنهم قد فكروا فلم تنفعهم الفِكْرة والنَّظر؛ إِذ لم يكن على سداد][6].

وقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِم﴾ يحتمل معنيَيْن:

أَحدهما: أَن تكون الفكرة في ذواتهم وحواسهم وخلقهم ليستدلُّوا بذلك على الخالق المخترع، [ثم أَخبر عقب هذا المعنى بأَن الحق هو السبب في خلق السماوات

---

(١) هو أبو ذُؤَيْب الهُذَليُّ، انظر عزوه له في غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٣٨)، والدلائل في غريب الحديث (٣/ ١١٥٣)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٣٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٧٢)، والواشون: جمع واشٍ، وهو الذي يَنِمُّ بالإنسان ويسعى.

(٢) نقله أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٣٧٦).

(٣) في المطبوع: «الرُّؤْية».

(٤) تفسير ابن فورك (١/ ٤١٦) بلا نسبة، ونقله في البحر المحيط (٨/ ٣٧٦).

(٥) ليس في أحمد٣، وفي المطبوع: «وهدى»، بدل: «بهداه».

(٦) ساقط من فيض الله.

والأَرض، فيفهم على طريقة الإيجاز والاختصار مَن فكر في نفسه عِلْم حقيقة هذا الخبر ووقف عليه ببصيرة نفسه.

والمعنى الثاني: أن تكون النفس ظرفاً للفكرة في خلق السماوات والأرض](١)، فيكون قوله: ﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ تأْكيداً لقوله: ﴿يَتَفَكَّرُواْ﴾، كما تقول: أَبْصِر بعينك واسْمَع بأُذنك، فقولك: «بعينك» و«بأُذنك» تأْكيد.

وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أَي: بسبب المنافع التي هي حقٌّ وواجبٌ، يريد: من الدلالةِ عليه، والعبادة له دون فتور، والانتصاب(٢) للعبرة ومنافع الأَرزاق وغير ذلك.

و(أَجَل) عطف على ﴿ٱلْحَقِّ﴾؛ أَي: وبأَجل مُسَمَّى وهو يوم القيامة، ففي الآية إِشارة إِلى البعث والنُّشور وفساد بِنْيَة مرئي(٣) هذا العالم، ثم أَخبر عن كثير من الناس أَنهم كفرة بذلك المعنى، فعبَّر عنه بلقاءِ الله؛ لأَن لقاءَ الله تعالى هو أَعظم الأُمور، وفيه النَّجاةُ أَو الْهَلَكَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

هذا أَيضاً توقيف وتوبيخ على أَنهم ساروا ونظروا، أَي أَن ذلك لم ينفعهم حين(٤) لم يعملوا بحسب العبرة وخوف العاقبة.

قال القاضي أَبو محمد: ولا يتوجَّه للكفرة أَن يُعارض منهم من لم يَسِر فيقول:

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «والثاني أن يكون قوله: ﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ ظرفاً للفكرة في خلق السماوات والأَرض، ثم أخبر عقب هذا المعنى بأَن الحق هو السبب في خلق السماوات والأَرض، فيكون قوله... إلخ».

(٢) في المطبوع: «والانتصار».

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «من في»، وفي الحمزوية وأحمد٣: «من بنى»، وفي فيض الله: «مربي».

(٤) في المطبوع: «حتى».

لم أَسِرْ؛ لأَنَّ كافَّة من سار من الناس قد نقلت معارفهم[١] إِلى من لم يَسِرْ، فاستوت المعرفة وحصل اليقين للكُلِّ وقامت الحُجَّة، وهذا بيِّن.

وقوله تعالى: ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ يريد: بالمباني والحرث والحروب، وسائر الحوادث[٢] التي أَحدثوها هي كلها إِثارة، بعضها حقيقة وبعضها بتجوُّز؛ لِأن إِثارة أَهل الأَرض والحيوان والمتاع إِثارةٌ للأَرض.

وقرأَ أَبو جعفر: (وَآثَارُوا) بمدِّ الهمزة[٣]، قال ابن مجاهد: ليس هذا بشيءٍ.

وقال أَبو الفتح: وجْهُهَا: أَنه أَشْبع فتحة الهمزة فنشأَت أَلف، ونحوه قول ابن هَرْمَة:

فَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى ... ومِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ[٤] [الوافر]

وقال: وهذا من ضرورة الشِّعر لا يجيءُ في القرآن.

وقرأَ أَبو حيْوة: (وَآثَرُوا الأرض) بالمدِّ بغير أَلف بعد الثَّاءِ[٥]، من الأَثَرة، والضمير في: (عَمَروها) / الأَول للماضين، وفي الثاني للحاضرين المعاصرين[٦]، وباقي الآية بيِّن يتضمَّن الوعظ والتخويف من عدل[٧] الله تعالى. [٤/ ١٨١]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

---

(١) من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «المباني».

(٣) وهي شاذة من رواية الواقدي عن سليمان عنه كما في المحتسب (٢/ ١٦٣)، وانظر فيه قول ابن مجاهد مع التوجيه.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٢٣) من سورة آل عمران، وفي نجيبويه: «قول أبي هرمة».

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١١٧).

(٦) في لالاليه: «المعارضين».

(٧) سقطت من المطبوع، وفي نجيبويه: «عند».

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿عَاقِبَةُ﴾ بالرفع على أنها اسم ﴿كَانَ﴾، والخبر يجوز أن يكون ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، ويجوز أن يكون: ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾، وتكون ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ على هذا [مفعولاً بـ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾][(١)]، وإذا كان ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ خبراً؛ فإنَّ ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ مفعولٌ من أَجْله، ولا يصح تعلُّقه بـ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾؛ لأن في ذلك فصلاً بين الصلة والموصول بخبر ﴿كَانَ﴾.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿عَٰقِبَةَ﴾ بالنصب[(٢)] على أنها خبرٌ مقدم، واسم كان أَحَدُ ما تقدم، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدرٌ، كالرُّجْعَى، والفُتْيَا، والشُّورَى[(٣)]، ويجوز أن تكون صفة لمحذوف تقديره: الخلَّة السُّوءَى، [أو الخلال السوأى][(٤)].

قال أبو حاتم: هذه قراءَة العامة بالمدِّ على الواو وفتح الهمزة وياءِ التأْنيث، فبعض القراءِ فخَّم، وبعضهم أَمال[(٥)].

وقرأ الحسن: [(السوَّى) بشد الواو دون همز.

وقرأ الأعمش وابن مسعود:][(٦)] (السُّوءَ) بالتذكير[(٧)].

وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: السُّوءَ والسُّوءَى، اقرأْ بما شئت.

قال ابن عباس: ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾ هنا بمعنى: كفروا، والسُّوءَى: هي النار[(٨)].

---

(١) في أحمد٣ بدلًا منه: «مفعولًا ثانياً».

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٤)، والسبعة (ص: ٥٠٦).

(٣) سقطت من الحمزوية، وفي نجيبويه: «البشرى»، وفي أحمد٣ بدل «الفتيا»: «العتبى».

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) وهما سبعيتان، أمال حمزة والكسائي وقلل أبو عمرو وورش بخلفه، وفخم الباقون على قواعدهم.

(٦) سقط من المطبوع.

(٧) وهما شاذتان، انظرهما مع قول عثمان في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٤).

(٨) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ٧٩)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ يقول: الذين كفروا جزاؤهم العذاب، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٣) لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

والتكذيب بآيات الله تعالى غير الاستهزاءِ بها، فلذلك عدَّد عليهم الفعلين.

ثم أَخبر تعالى إِخباراً مطلقاً لجميع العالم بالحشر والبعث من القبور.

وقرأ طلحة، وابن مسعود: (يُبْدِئُ) بضم الياءِ وكسر الدال[١].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأ أَبو عمرو، وأَبو بكر عن عاصم بالياءِ[٢].

وقوله: (يَوْمَ) منصوب بـ﴿يُبْلِسُ﴾، و«الإِبْلاسُ»: الكونُ في شرٍّ مع اليأْس من الخير في ذلك الشيءِ بِعَيْنه، فإِبلاسُهم هو في عذاب الله تعالى.

وقرأ عامة القراءِ بكسر اللام.

وقرأ أَبو عبد الرحمن، وأَمير المؤمنين علي ابن أَبي طالب رضي الله عنه بفتحها[٣].

وأَبْلس الرَّبْع: إِذا بلي، وكأَنه يئس من العمارة، ومنه قول العَجَّاج:

يا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رسماً مُكْرَسَا قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسَا[٤] [الرجز]

وقرأ عامة القراءِ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم﴾ بالياءِ من تحت.

ورُوي عن نافع: (تَكُنْ) بالتاءِ من فوق[٥].

و«الشركاءُ»: المشار إِليهم هُم الأَصنام؛ أَي: الذين كانوا يجعلونهم شركاءَ الله بزعمهم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا﴾ معناه: يُكَذِّبون عند معاينتهم أَمر الله تعالى وفساد حال الأَصنام، فعبَّر عنه بالماضي لتيَقُّن الأَمْر وصحة وقوعه.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لطلحة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٥)، وابن مسعود تفسير الثعلبي (٧/ ٣٠٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٥)، والسبعة (ص: ٥٠٦).

(٣) ليست في أحمد٣، وهي قراءة شاذة، انظر عزوها لهما في مختصر الشواذ (ص: ١١٧).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٣٤) من سورة البقرة، وفي الحمزوية والمطبوع وأحمد٣: «ربعاً».

(٥) وهي شاذة، عزاها الهذلي في الكامل (ص: ٦١٦) للزعفراني، والمنادري، والأويسي عن نافع، والقورسي، وميمونة، وابن سنان عن أبي جعفر، والإنطاكي عن شيبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ معناه: في المنازل والأَحكام والجزاءِ، قال قتادة: فُرْقةٌ والله لا اجتماع بعدها[(١)].

و﴿يُحْبَرُونَ﴾ معناه: يُنَعَّمون، قاله مجاهد[(٢)].

والحَبْرةُ والحبور: السُّرور والتنعم، وقال يحيى بن أَبي كثير: يُحْبَرُونَ معناه: يسمعون الأَغاني[(٣)]، وهذا نوعٌ من الحَبْرة.

وقال ابن عباس: ﴿يُحْبَرُونَ﴾: يكرمون[(٤)].

وفي المثل: امتلأَت بيوتهم حَبْرة، فهم ينتظرون العِبْرة[(٥)]، ومنه بيت أَبي ذُؤَيب:

[الطويل]

فِـرَاقٌ كَقَيْصِ السِّـنِّ فَالصَّبْـرَ إِنَّهُ ... لِكُـلِّ أُنَـاسٍ عبـرة وحُـبُـورُ[(٦)]

هذا على هذه الرواية، ويُرْوى: عَثْرَةٌ وجُبُورُ، وهي أَكثر.

وذكر تعالى الروضة؛ لأَنها من أَحسن ما يعلم من بقاع الأَرض، وهي حيث يكثر النبت الأَخضر وجل[(٧)]، وما كان منها في المرتفع من الأَرض كان أَحسن، ومنه قول الأَعشى:

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩)، والهداية لمكي (٩/ ٥٦٦٦).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٥٣٨)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩).

(٣) نقله في البحر المحيط (٨/ ٣٨٠)، وفي نجيبويه: «ابن كثير».

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٢)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ١٢٠).

(٦) سقط البيت من لالاليه، وقد تقدم في تفسير الآية (٧٩) من سورة الكهف، وفي الأصل: «كنقص»، وفي المطبوع: «عِزَّةٌ».

(٧) سقطت من المطبوع، وفي نجيبويه: «يجذ»، وفي الحمزوية: «وحر»، وفي لالاليه وفيض الله وأحمد٣: «حيث اكتمل النبت الأخضر وجن».

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ   خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ[١]   [البسيط]

ومنه قول كُثَيِّر:

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى   يَمُجُّ النَّدَى جَثْجَاثُهَا وَعَرَارُهَا[٢]   [الطويل]

قال الأَصمعي: ولا يُقَال: روضة حتَّى يكون فيها ما يشرب منه[٣].

[و﴿مُحۡضَرُونَ﴾ معناه: مجموعون له لا يغيب أحد عنه][٤].

وقوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ خطابٌ للمؤمنين بالأَمر بالعبادة والحضِّ على الصلاة في هذه الأَوقات، كأَنه يقول: [إذ هذه الفرق هكذا][٥] من النِّعَمِ والعذاب فجِدّاً أَيُّها[٦] المؤمن في طريق الفوز برحمة الله.

وقال ابن عباس[٧]، وقتادة، وبعض الفقهاءِ: في هذه الآية تنبيه على أَربع صلوات: المغرب والصبح والعصر والظهر[٨]، قالوا: والعشاءُ الآخرة في آية أُخرى، في (زُلَفاً من اللَّيل) [هود: ١١٤]، وفي ذكر أَوقات العورة[٩].

---

(١) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٢٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٨٢)، وعيون الأخبار (٢/ ١٢١)، والطبري (٥/ ٥٣٥).

(٢) انظر عزوه له في جمهرة اللغة (١/ ١٨٠)، والكامل للمبرد (٣/ ٨٦)، والعقد الفريد (٦/ ٢١٨)، والشعر والشعراء (١/ ٤٩٩).

(٣) لم أجده.

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «أَدَّى هذا التفرق إِلى أَنواع».

(٦) في المطبوع: «فجرى بها».

(٧) إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٤)، من طريق: سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن... وعاصم هو ابن أبي النجود، وهو لين الحديث.

(٨) ممن قال ذلك غير ابن عباس وقتادة ابن زيد، انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٨٤-٨٥).

(٩) وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٍ﴾ الآية، [النور: ٥٨]، انظر تفسير القرطبي (١٤/ ١٤).

وقال ابن عباس أَيضاً وفرقة من الفقهاءِ: في هذه الآية تنبيه على الصلوات الخمس؛ لأَن قوله تعالى: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ يتضمن الصلاتين[١].

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض [بين الكلامين من نوع][٢] تعظيم الله تعالى والحضِّ على عبادته.

وقرأَ عكرمة: (حيناً تمسون وحيناً تصبحون)[٣].

والمعنى: حيناً تمسون فيه، [وحيناً تصبحون فيه][٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

«الحَيُّ والميِّتُ» في هذه الآية: يستعمل حقيقة، ويستعمل مجازاً، فالحقيقة: المنيُّ يخرج منه الإِنسان، والبيضة يخرج منها الطائر، وهذه بعينها ميتة تخرج من حي، وما جرى هذا المجرى، وبهذا المعنى فسَّر ابن عباس[٥] [وابن مسعود][٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٤)، من طريق: ليث، عن الحكم، عن أبي عياض، عن ابن عباس، ولم أعرف أبا عياض.

(٢) في نجيبويه والحمزوية: «الكلام»، وفي المطبوع: «من الكلام بين وقوع».

(٣) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٦٣).

(٤) زيادة من المطبوع، قال في الحاشية: يقتضيها المقام، وقد سقطت من الأصل، وسقطت قراءة عكرمة وما تعلق بها من أحمد٣.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥٥٣)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وفي (٢٠/ ٨٥)، من طريق العوفي عنه.

(٦) ساقط من الأصل، وقد أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٥)، من طريق الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود، ولم يلقه.

وقال الحسن: المعنى: المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن(١).

قال القاضي أَبو محمد: وروي هذا المعنى عن النبي ﷺ، أنه قرأ هذه الآية عندما كلَّمَتْه بالإِسلام / أُم كلثوم بنت عقبة بن أَبي مُعيط(٢). [٤/ ١٨٢]

والمجاز: إِخراج النبات الأَخضر من الأَرض، وإِخراج الطعم(٣) من النبات، وما جرى هذا المجرى، ومثَّل بَعْدُ بإِحياءِ الأَرض بالمطر بعد موتها [بالدثور والعطش](٤)، ثم بعد هذه الأَمثلة القاضية بتجويز بعث الأَجساد عقلاً ساق الخبر بأَن كذلك خروجنا من القبور.

وقرأَت فرقة: (يُخْرَجُونَ) بالياءِ من تحت(٥).

وقرأَ عامة القراءِ: ﴿تُخۡرَجُونَ﴾ بالتاءِ المضمومة.

وقرأَ الحسن، وابن وثاب، والأَعمش، وطلحة بفتح التاءِ وضم الراءِ(٦).

و(من) في قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم ﴾ للتبعيض.

وقال: ﴿خَلَقَكُم﴾ من حيث خلق أَباهم آدم، قاله قتادة(٧).

و﴿تَنتَشِرُونَ﴾ معناه: تتصرفون وتتفرقون في الأغراض(٨) والأسفار ونحوها.

وقوله: ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ يحتمل أَن يريد خلْقَه حواءَ من ضلع آدم، فحمل ذلك

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٦٥٠)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٣٨٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٧).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في أحمد٣: «العظم».

(٤) ساقط من المطبوع.

(٥) وهي شاذة، لم أجد للمصنف فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٦) تابعه في البحر المحيط (٨/ ٣٨١)، مع أنهما سبعيتان، الثانية لحمزة والكسائي، كما في السبعة (ص: ٥٠٦)، والتيسير (ص: ١٧٥).

(٧) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤٧).

(٨) في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية والحمزوية: «الأَعراض».

على جميع النساء[١] من حيث أُمُّهم مخلوقة من نفس آدم؛ أَي: من ذاتِ شخصه.

ويحتمل أَن يُريد: من نوعكم وجنسكم.

و«المودة والرَّحمة»: على بابهما المشهور من التواد والتراحم، هذا هو البليغ.

وقال مجاهد والحسن وعكرمة: عنى بالمودة الجماعَ، وبالرحمة الولدَ[٢].

ثم نبَّه تعالى على خلق السماوات والأَرض، واختلاف اللغات والأَلوان، وهذه: [عظم مواقع العبرة من هذه الآيات.

وقوله: ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ يحتمل أن يريد][٣] البياض والسواد وغيرهما، ويحتمل أَن يريد ضروب بني آدم وأَنواعهم، [نعم وأشخاص الإخوة ونحوهم تختلف بالألوان ونغم الألسنة، وبذلك تصح الشهادات والمداينات وتقع الفروق والتعيين، فهكذا تبين النعمة][٤].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ بكسر اللام[٥].

فالأُولى على أَن هذه الآية هي في نفسها منصوبة لجميع العالم، والثانية على معنى أَن أَهل الانتفاع بالنظر فيها إِنما هم أَهل العلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ

---

(١) في المطبوع: «الناس».

(٢) انظر قول الحسن في تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢/ ٥٢)، ومجاهد في الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/ ٥٦٧٧)، وعكرمة في تفسير الآلوسي (١١/ ٣٢).

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) في المطبوع بدلًا منه: «فتعُم شخوص البشر الذين يختلفون بالأَلوان، وتعم الأَلسنة»، وفي الحمزوية: «تعم»، وليس فيها لفظ: «الإخوة».

(٥) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٥)، والسبعة (ص: ٥٠٦).

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

ذكر تعالى النوم بالليل والنَّهار وعُرْف النوم إنما هو بالليل وحده، ثم ذكر الابتغاءَ من فضله كأَنه فيهما، وإِنما معنى ذلك أَنه عمَّ الليل والنهار فسمَّى الزمان، وقصد من ذلك تعديد آية النوم وتعديد آية ابتغاءِ الفضل، فإِنَّهما آيتان ونعمتان تكونان في ليل ونهار، والفرق يجيز[1] كل واحدة من النعمتين إِلى محلها في الأغلب.

وقال بعض المفسرين: في الكلام تقديم وتأْخير.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف، وإِنما أَراد أَن يُرتِّب النوم للَّيل، والابتغاءَ للنهار، ولفظ الآية لا يُعطي ما أَراد.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيكُمُ﴾: فعلٌ مرتفع لما حذفت «أَنْ» التي لو كانت لنصبته، فلمَّا حلَّ الفعل محلَّ الاسم أُعرب بالرَّفع، ومثله قول طرفة:

أَلَا أَيُّهَـذَا الزَّاجِـرِي أَحْضُـرَ الْوَغـى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي[2] [الطويل]

قال الرماني: وتحتمل الآية أَن يكون التقدير: ومنْ آياته آيَةٌ يريكم البرق، وحذفت «آيَةٌ»؛ لدلالة ﴿مِنۡ﴾ عليها[3]، ومنه قول الشاعر:

وما الدَّهْـرُ إِلَّا تارتـانِ فمِنْهُمـا ... أَموتُ وَأُخْرى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ[4] [الطويل]

التقدير: فمنهما تارة أَموت.

---

(١) في فيض الله: «العرف»، وفي لالاليه: «العرب»، وفي المطبوع: «تحيُّز»، قال في الحاشية: هكذا بالأصل، والمعنى قد يقبلها على قلق في التعبير.

(٢) البيت من معلقته، وصرح بنسبته له في الكتاب لسيبويه (٣/ ٩٩)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٤٤٢)، وإيضاح الشواهد (١/ ٢٨٤).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٨٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٥٣)، بلا نسبة.

(٤) البيت لتميم بن مُقبل كما تقدم في تفسير الآية (٥١) من سورة المائدة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا على أَن ﴿مِنۡ﴾ للتبعيض كسائر هذه الآيات، ويحتمل في هذه وحدها أَن تكون ﴿مِنۡ﴾ لابتداءِ الغاية، فلا يحتاج إلى تقدير «أن»، ولا إِلى تقدير «آية»، وإِنما يكون الفعل مخلصاً للاستقبال.

وقوله: ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾، قال قتادة: خوفاً للمسافر، وطمَعاً للمقيم[١].

قال القاضي أَبو محمد: ولا وجه لهذا التخصيص ونحوه، بل فيه الخوف والطمع لكل بشر، وقال الضحاك: الخوف من صواعقه، والطمع في مطره[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ معناه: تَثْبُت، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾ [البقرة: ٢٠]، وهذا كثير، وقيل: هو فعل مُسْتَقْبل، أَحَلَّه محلَّ الماضي ليعطي فيه معنى الدوام الذي هو في المستقبل.

و«الدَّعْوَةُ من الأَرْضِ» هي البعث يوم القيامة، و﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ حالٌ من المخاطبين، كأَنه قال: خارجين من الأَرض، ويجوز أَن يكون ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ صفة الدعوة.

قال القاضي أَبو محمد: و﴿مِّنَ﴾ عندي هاهنا: هي لانتهاءِ الغاية، كما تقول: دعوتُك من الجبل، إِذا كان المدعُوُّ في الجبل.

والوقف في هذه الآية عند نافع ويعقوب الحضرمي على: ﴿دَعۡوَةٗ﴾، والمعنى: بعد إِذا أَنتم تخرجون من الأَرض، وهذا على أَن ﴿مِّنَ﴾ لابتداءِ الغاية.

[والوقف عند أبي حاتم على قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ على أَن ﴿مِّنَ﴾ لانتهاءِ الغاية][٣].

قال مكي: والأَحسن عند أَهل النظر: أَن الوقف في آخر الآية؛ لأَن مذهب سيبويه والخليل في ﴿إِذَآ﴾ الثانية: أَنها جواب الأُولى، كأَنه قال: ثم إِذا دعاكم خرجتم، وهذا أَسدُّ الأَقوال[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٨).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٧).

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) انظر كلامه في الهداية لمكي (٩/ ٥٦٧٩)، مع النقل عن نافع ويعقوب وأبي حاتم.

وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بفتح التاءِ، وقرأ الباقون: (تُخرَجون) بضم التاءِ[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

اللام في له الأُولى لام الملك، وفي الثانية لام تعدية لـ«قَنَتَ»، و«قَنَتَ»: بمعنى: خضع في طاعته وانقياده، وهذه الآية ظاهرُ لفظها العمومُ في القُنَّت، والعموم في كلِّ من يعقل، وتعميم ذلك في المعنى لا يصح؛ لأَنه خبر ونحن نجد كثيراً من الجن والإِنس لا يَقْنُت في كثير من المعْتَقَد والأَعمال، فلا بُدَّ أَنَّ عموم ظاهر هذه الآية معناه الخصوص.

واختلف المتأَولون في الخصوص أَين هو؟

فقال ابن / عباس وقتادة: هو في القنوت والطاعة[2]، وذلك أَن جميع من يعقل [٤/ ١٨٣] هو قانت لله في معظم الأُمور من الحياة والموت والرزق والقدرة ونحو ذلك، وبعضهم يخل بالعبادة وفي المعتقدات فلا يقنت فيها، فكأَنه قال: كلٌّ له قانتون في معظم الأُمور وفي غالب الشأْن.

---

(١) تابعه في البحر المحيط (٨/ ٣٨٤)، وهو خطأ عجيب منهما، سببه الخطأ في التي قبلها، فقد نص في التيسير (ص: ١٧٥) أن هذا الموضع لا خلاف فيه، ونقل الاتفاق عليه أيضاً إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٨٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٤٤)، بل شاذة، عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٧٥) للزهري وابن أبي ليلى وطلحة، وأشار في النشر (٢/ ٢٦٨) إلى أنها رويت عن أبي السمال، ووردت في بعض طرق عاصم وابن عامر، قال: وعزاها ابن جرير لورش، قال الداني: وذلك منه قلة إمعان وغفلة مع تمكنه ووفورة معرفته.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٠)، من طريق: عطية العوفي عن ابن عباس، و«قتادة»: سقط من المطبوع.

وقال ابن زيد ما معناه: إِن الخصوص هو في الأَعيان المذكورين(١)، كأَنه قال: وله من في السماوات والأَرض من ملَك ومؤمن.

وقوله: ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ معناه: يُنْشئهُ ويخرجه من العدم، وجاءَ الفعل بصيغة الحال لمَّا كان في هذا المعنى ما قد مضى كآدم وسائر القرون، وفيه ما يأْتي في المستقبل، فكانت(٢) صيغة الحال تعطي هذا كله.

و﴿يُعِيدُهُۥ﴾: يبعثه من القبور، ويُنشئُهُ تارةً أُخرى.

واختلف المتأَولون في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾:

فقال ابن عباس(٣)، والربيع بن خُثَيْم: المعنى: وهو هَيِّنٌ، ونظيره قول الشاعر:

[الطويل] لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وَإِنِّي لأَوْجَلُ(٤) ....

بمعنى: لَوَجِلٌ، وقول الآخر:

[الكامل] .... بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ(٥)

[وقولهم في الأَذان: الله أَكبر](٦)، وقول الآخر وهو الشافعي:

[الطويل] .... فَتِلْكَ سَبِيلي لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ(٧)

---

(١) لفظه في تفسير الطبري (٢٠/ ٩١): أي: «مطيع مقر بأن الله ربه وخالقه»، وذكره تفسير الماوردي (٤/ ٣٠٨) عن مجاهد.

(٢) في المطبوع: «فكأَن».

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٢)، من طريق: عطية العوفي عن ابن عباس، وانظر فيه قول الربيع.

(٤) تمامه: على أَيِّنَا تَغْدُو الْمنية أول، وهو لمعن بن أوس المزني، كما في الكامل للمبرد (٢/ ١٥٧)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤٠)، والعقد الفريد (٥/ ١٩٠).

(٥) صدره: إن الذي سمك السماء بنى لنا، وهو للفرزدق، كما في مجاز القرآن (٢/ ١٢١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٢٧)، والعين (١/ ٧٦)، والكامل للمبرد (٢/ ٢٢٧).

(٦) ساقط من الحمزوية.

(٧) جاء عنه حكاية في تهذيب المدونة (١/ ١٩)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٤٩)، =

[يريد: بواحد][1]، واستشهد بهذا البيت أَبو عبيدة[2]، وهذا شاهد كَثير.

وفي مصحف ابن مسعود: (وهو هين عليه)، وفي بعض المصاحف: (وكُلٌّ هَيِّنٌ عَلَيْهِ) [3].

وقال ابن عباس أَيضاً[4]، ومجاهد، وعكرمة: المعنى: وهو أَيسر عليه[5]، وإِن كان الكلُّ من اليُسْر عليه في حيِّز واحد وحالٍ متماثلة، قال: ولكن هذا التفضيل بحسب معتقد البشر، وما يعطيهم النظر في الشاهد[6] من أَن الإِعادة في كثير من الأَشياءِ أَهون علينا من البداءَة؛ للتَّمَرُّن والاستغناءِ عن الرَّوِيَّة التي كانت في البداءَة، وهذان القولان الضمير فيهما عائد على الله تعالى، وقالت فرقة أُخرى: الضمير في ﴿عَلَيۡهِ﴾ عائد على ﴿ٱلۡخَلۡقَ﴾.

قال القاضي أَبو محمد: فهو بمعنى «المخلوق» فقط، وعلى التأْويلين الأَوَّلين يصح أَن يكون «المخلوق»، أَو يكون مصدراً من «خَلَقَ»، فقال الحسن بن أبي الحسن: إِن الإِعادة أَهون على المخلوق من إِنشائه؛ لأَنه في إِنشائه يصير من حالة إِلى حالة[7]، من نطفة إِلى عَلَقة إِلى مضغة ونحو هذا، وفي الإِعادة إِنما يقوم في [حال واحد][8]، فكأَنه قال: وهو أَيْسَر عليه، أَي: أَقصر مدة وأَقلُّ انتقالاً.

= وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٨٧)، والكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ٤٦٠)، وترتيب المدارك لعياض (٣/ ٢٧٠)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥١/ ٤٢٨).

(١) ساقط من الأصل.

(٢) في مجاز القرآن (٢/ ٣٠١)، وعزاه لطرفة، ونسبه الأخفش في الاختيارين (ص: ١٦١) لمالك بن القين الخزرجي.

(٣) وهما شاذتان، انظر تفسير الطبري (٢٠/ ٩٢)، وسقطت قراءة ابن مسعود من المطبوع.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٢)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ٩٢).

(٦) في المطبوع: «المُشاهَد».

(٧) لفظه في تفسير الثعلبي (٧/ ٣٠٠): «وهو هين عليه وما شيء عليه بعزيز».

(٨) في المطبوع بدلًا منه: «مرة واحدة»، وفي الحمزوية: «في خبر واحد»، وفي نجيبويه ولالاليه: «حين واحد».

وقال بعضهم: وهو أَهون على المخلوق أَن يعيد شيئاً بعد إِنشائه؛ أي: فهذا عُرْف المخلوقين، فكيف تنكرون أَنتم الإِعادة في جانب الخالق[١].

قال القاضي أَبو محمد: والأَظهر عندي عَود الضمير على الله تعالى، ويؤيده قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، لما جاءَ بلفظ فيه استعارة واستشهادٌ بالمخلوق على الخالق، وتشبيهٌ بما يعهده الناس من أَنفسهم، خلص جانب العظمة بأَن جَعَلَ له المثل الأَعلى الذي لا يتصل به تَكْيِيفٌ ولا تَمَاثُلٌ مع شيءٍ، والعزَّةُ والحكمةُ صفتان موافقتان لمعنى الآية، فبهما يُعيد ويُنَفِّذ أَمره في عباده كيف شاءَ.

ثم بيَّن تعالى أَمْر الأَصنام وفسادَ مُعْتَقَد من يشركها بالله تعالى بضرب هذا المثل، ومعناه: إِنكم أَيُّهَا الناس إِذا كان لكم عبيدٌ تملكونها؛ فإِنكم لا تشركونهم في أَموالكم، ولا في مهم أُموركم، ولا في شيءٍ على جهة استواءِ المنزلة، وليس من شأْنكم أَن تخافوهم في أَن يرثوا أَموالكم، أَو يقاسموكم إِياها في حياتكم، كما يفعل بعضكم ببعض، فإِذا كان هذا فيكم فكيف تقولون: إِن من عبيده ومُلكه شركاءَ في سلطانه وأُلوهيته، وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجوانبكم؟ هذا تفسير ابن عباس[٢] وجماعة، وجاءَ هذا[٣] المعنى في معرض السؤال والتقرير.

وقرأَ الناس: ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بنصب السِّين.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (أنفسُكم) بضمها[٤].

وقرأَ الجمهور: ﴿نُفَصِّلُ﴾ بالنون حمْلاً على ﴿رَزَقْنَٰكُمْ﴾.

وقرأَ عباسٌ عن أَبي عَمْرٍو: (يُفَصِّلُ) بالياءِ حمْلاً على: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا﴾[٥].

---

(١) في الأصل: «الخلق».

(٢) لم أجده عنهما.

(٣) كتب في أحمد٣ بدله: «ومجاهد»، ولعله سبق قلم، وفي فيض الله ولالاليه: «والجماعة».

(٤) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: **٣٧٥**).

(٥) في أحمد**٣**: عياش، وهي شاذة، عزاها له الهذلي في الكامل (ص: ٦١٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

الإِضراب بـ ﴿بَلِ﴾ هو عمَّا يتضمَّنه معنى الآية المتقدمة، كأَنه يقول: ليس لهم حجة ولا معذرة فيما فعلوا من تَشْريكهم مع الله تعالى، بل اتبعوا أَهواءَهم جهالةً وشهوةً وقصداً لأُمور دنياهم.

ثم قرَّر ـ على جهة التوبيخ لهم ـ على من يهدي إِذا أَضل الله؟ أَيْ: لا هادي لأَهل هذه الحال، ثم أَخبر أَنه لا ناصر لهم.

ثم أَمر تعالى نبيَّه عليه السلام بإِقامة وجهه للدين المستقيم، وهو دين الإِسلام، وإِقامةُ الوجه هو تقويم المعْتَقَد والقوَّةُ على الجدِّ في أَعمال الدين، وذكر الوجه لأَنه جامعٌ حواسَّ الإِنسان وأَشْرَفُه.

و﴿حَنِيفًا﴾: معناه: معتدلاً مقوماً مائلاً عن جميع الأَديان المحرَّفة المنسوخة.

وقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: نصب على المصدر، كقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨].

وقيل: هو نصب بفعل مضمر تقديره: فاتَّبع والْتزم فطرةَ الله تعالى.

واختلف الناس في «الفطرة» هاهنا: فذكر مكي وغيره في ذلك جميع ما يمكن أَن تصرف هذه اللَّفظة عليه(١)، وفي بعض ذلك قلق.

والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللَّفظة أَنها الخِلْقة والهيئة في نفس الطفل التي هي مُعدَّة مُهَيَّأَةٌ لأَن يُمَيِّزَ بها مصنوعات الله تعالى، ويَسْتَدلَّ بها على ربِّه، ويعرفَ

---

(١) انظر كلامه عليها في الهداية لمكي (٩/ ٥٦٨٦).

شرائعه، ويُؤْمنَ به، فكأَنه قال: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على الإِعداد / له فَطَر[١] البشر، لكن تَعْرِضُهم العوارض. [٤/ ١٨٤]

ومنه قول النبي ﷺ: «كُلُّ مولود يولد على الفطرة، فأَبواه يُهَوِّدانه أَو يُنَصِّرانه...» الحديث[٢]، وَذِكْرُ الأَبَوَيْن إِنما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل تأْويلين:

أَحدهما: أَن يريد بها هذه[٣] الفطرة المذكورة؛ أَي: اعْلَم أَن هذه الفطرة لا تبديل لها من جهة الخالق، ولا يجيءُ الأَمر على خلافها بوجه.

والآخر: أَن يكون قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ إِنحاءً على الكفرة، اعترض به أَثناءَ الكلام، كأَنه يقول: أَقِمْ وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا، فإِنَّ هؤلاءِ الكفار قد[٤] خلق الله لهم الكفر، ولا تبديل لخلق الله؛ أَي: أَنهم لا يفلحون.

وقال مجاهد: المعنى: لا تبديل لدين الله، وهو قول ابن جُبَيْر، والضحاك، وابن زيد، والنَّخَعي[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا معناه: لا تبديل للمعتقدات التي هي في الدين الحنيف، فإِن كل شريعة هي عقائدها.

وذهب بعض المفسرين في هذه الآية إِلى تأْويلات:

---

(١) في الأصل: «فطرة».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٢٩٢)، (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في المطبوع: «مدة».

(٤) في المطبوع: «الذين»، بدل: «قد».

(٥) نقله عن الضحاك وغيره مكي في الهداية (٩/ ٥٦٨٨)، وعن الباقين مجاهد وعكرمة وقتادة الطبري في تفسيره (٢٠/ ٩٩).

منها قول عِكْرمة وقد رُوي عن ابن عباس: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ معناه: النهي عن خصاءِ الفحول من الحيوان[١].

ومنها قول بعضهم في الفطرة: إِنها المِلَّة، على أَنه قد قيل في الفطرة: الدين، وتُؤُوِّل قوله: ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ﴾ على الخصوص؛ أَي: المؤمنين.

وقيل: الفطرة هي العهد الذي أَخذه الله تعالى على ذُرِّيَّة آدم حين أَخرجهم نَسَماً من ظهره.

ونحوه حديث معاذ حين مرَّ به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا مُعاذ، ما قوام هذه الأُمَّة؟ قال: الإِخلاص، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والصلاة وهي الدين، والطاعة وهي العصمة، فقال عمر: صدقت[٢].

و﴿ٱلْقَيِّمُ﴾: بناءُ مبالغة من القيام الذي هو بمعنى الاستقامة.

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ﴾ يحتمل أَن يكون حالاً من قوله: ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾، لا سيَّما على رأْي من رأَى أَن ذلك خصوص في المؤمنين.

ويحتمل أَن يكون حالاً من قوله: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾، وجَمَعَه لأَن الخطاب بإِقامة الوجه هي للنبي ﷺ ولأُمَّته، ونظيرها قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

و«الْمُنِيبُ»: الراجع المخلص المائل إِلى جهة ما تودُّه نفسه.

و«الْمُشْرِكُونَ» المشار إِليهم في هذه الآية هم اليهود والنصارى، قاله قتادة.

---

(١) فيه رجل لا يعرف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٩)، من طريق: ابن فضيل، عن مطرف، عن رجل، سأل ابن عباس، وعن عكرمة.

(٢) منقطع، أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٧) من طريق: يحيى بن واضح، قال: ثنا يونس بن أبي صالح بن يزيد بن أبي مريم، قال: مر عمر بمعاذ بن جبل، فقال... ويزيد لم يدركهما، ثم قال الطبري: حدثني يعقوب، قال: ثني ابن علية، قال: ثنا أيوب، عن أبي قلابة أن عمر قال لمعاذ... وأبو قلابة لم يدركهما كذلك.

وقال ابن زيد: هم اليهود[١].

وقالت عائشة وأَبو هريرة: هي في أَهل القبلة[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ولفظة الإِشراك على هذا فيها تجوُّز، فإِنهم صاروا في دينهم فِرَقاً.

و«الشِّيَع»: الفِرَق، واحدها: شِيعَة.

وقوله: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ معناه: أَنهم مفتونون بآرائهم، مُعجبون بضلالهم، وذلك [أَصيل فيهم][٣].

وقرأَت فرقة: ﴿فَارَقُوا دِينَهُمْ﴾ بالألف[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

هذا ابتداءُ إنحاءٍ على عَبَدَة الأَصنام المشركين بالله عز وجل غَيْرَه، بيَّن الله تعالى أَنهم كسائر البشر في أَنَّهم إذا مسَّهم ضرٌّ دعوا الله سبحانه، وتركوا الأَصنام مطروحة، ولهم في ذلك الوقت إنابَةٌ وخضوع، فإِذا أَذاقهم رحمته؛ أَي: باشَرَهُم أَمْرُهُ بها ـ و«الذوق» مستعار ـ إِذا طائفة تشرك به أَصناماً ونحو هذا، و﴿إِذَا﴾ للمفاجأَة، فلذلك صلحت في جواب ﴿إِذَآ﴾ الأُولى، فهي بمنزلة الفاءِ، وهذه الطائفة هي عَبَدَة الأَصنام.

قال القاضي أَبو محمد: ويلحق من هذه الأَلفاظ شيءٌ للمؤمنين إِذا جاءَهم فرج[٥]

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٠).

(٢) لم أجده عنهما.

(٣) في فيض الله ولالاليه: «أضل لهم».

(٤) وهي سبعية، لحمزة والكسائي والباقون بغير ألف مشدداً، انظر التيسير (ص: ١٠٨).

(٥) في المطبوع والحموية ونجيبويه: «فرحٌ».

بعد شِدَّة، فعلَّقوا ذلك بمخلوقين، أَو بحِذْق آرائهم، أَو بغير ذلك؛ لأَن فيه قِلَّة شكر الله تعالى، ويسمى تشريكاً مجازاً.

وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ اللام لام «كَيْ»، وقالت فرقة: هي لام الأَمر على جهة الوعيد [والتهديد، وأَمَّا قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ فأَمر على جهة الوعيد][1]، والتقرير؛ أَي: قل لهم يا محمد: فَتَمَتَّعُوا.

وقرأَ أَبو العالية: (فَيَتَمَتَّعوا) بياءٍ قبل التاءِ[2]، وذلك عطف على ﴿لِيَكْفُرُوا﴾؛ أَي: لتطول أَعمارهم على الكفر.

وفي حرف ابن مسعود: (فَلْيَتَمَتَّعُوا)[3].

ورُوي عن أَبي العالية: (فَيُمَتَّعُوا) بضم الياءِ دون تاءٍ أُولى[4].

وفي مصحف ابن مسعود: (تَمَتَّعُوا)، هكذا قال هارون[5].

وقرأَ عامة الناس: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتَّاءِ على المخاطبة.

وقرأَ أَبو العالية: (يَعْلَمُونَ) بالياءِ على ذكر الغائب[6].

وقوله: ﴿أَمْ﴾ هي بمعنى «بَلْ» وأَلِف الاستفهام، كأَنه أَضرب عن صدر الكلام ورجع إلى هذه الحُجَّة.

و«السُّلْطَانُ» هاهنا: البُرهان، من رسول أَو كتاب ونحوه، والسُّلْطان في كلام العرب جمع سَلِيطٍ، كرغيف ورُغفان، وغَدير وغُدْران، فهو مأْخوذٌ من التَّسَلُّط والتَّغَلُّب،

---

(١) من المطبوع ونجيبويه، وهو في لالاليه وفيض الله ملحق في الهامش، وفي الأصل: «التقدير»، بدل: «التقرير».
(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٥).
(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٥).
(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٦٤).
(٥) وهي شاذة، عزاها له في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١)، بلفظ: (قل تمتعوا).
(٦) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٥).

ولَزِمَ هذا الاسمُ في العرف الرئيسَ؛ لأَنه سليط[١] بوجه الحق، [وهو اسم][٢] جمع من حيث أَنواعُ الغَلَبَة والملك عنده، وقال قوم: هو اسم مفرد وزنه فُعْلان.

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ معناه: أَنَّه يُظهر حجتهم، [ويغلب مذهبهم][٣]، وينطق بشركهم، قاله قتادة[٤]، فيقوم بذلك مقام الكلام[٥]، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ / . [٤/ ١٨٥]

لما ذكر تعالى حال الناس متى تأْتيهم شدة وضرٌّ وَخرجوا[٦] منه إِلى سَعَةٍ، ذَكَرَ في هذه الآية الأَمر أَيضاً من الطرف الآخر بأَن تنال الرحمة ثم تعقب الشِّدَّة، فلهم في الأُولى تضرُّعٌ ثم إِشراكٌ، [وقلة شكر][٧] ولهم في الثانية فرحٌ وبطر ثم قُنوط ويأْس، وكلُّ أَحدٍ يأْخذ من هذا الخُلُق بقسط، فمنهم المُقِلُّ ومنهم المُكْثر، إِلَّا من ربطت الشريعة [جأشه ونهجت السنة سبيله][٨]، وتأَدَّب بأَدب الله تعالى، فصبر عند الضَّرَّاءِ، وشكر[٩] عند السَّرَّاءِ، ولم يبطر عند النعمة، ولم يقنط عند الابتلاءِ.

---

(١) في المطبوع: «تَسَلط»، وفي نجيبويه: «تسليط».

(٢) في الأصل: «ولزم اسمع»، وفي لالاليه وأحمد٣ وفيض الله: «ولزمه اسم».

(٣) ليست في الأصل.

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٢).

(٥) في الحمزوية هنا زيادة: «معناه».

(٦) في الأصل: «ونجوا»، وفي المطبوع: «ولجوا».

(٧) ساقط من المطبوع.

(٨) في المطبوع بدلًا منه: «على قلبه».

(٩) في المطبوع: «سكن».

وقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أَي: أَن الله تعالى يمتحن الأُمم، ويصيب منهم عند فُشُوِّ المعاصي وظهور المناكر، وكذلك فقد يصاب شخص لِسُوءِ أَعماله بشيءٍ وَحْدَه، [ويصاب وحده في الأغلب، بعفو الله][1] عن كثير.

و«القُنُوط»: اليأْسُ.

وقرأَ أَبو عمرو، وجماعة: ﴿يقنِطون﴾ بكسر النون.

وقرأَ نافع، والحسن، وجماعة: ﴿يَقْنَطُونَ﴾ بفتحها[2].

وجواب الشرط في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾، وذلك أَنها للمفاجأَة لا يُبْتَدَأُ بها؛ فهي بمنزلة الفاءِ، [لا يُبْتَدَأُ بها][3] ويجاب بها الشرط، وأَما «إذا» التي للشرط، أَو التي فيها معنى الشرط؛ [فهما يُبْتَدَأُ بهما][4]، [ولا يكون فيها جواب الشرط][5].

ثم ذكر تعالى الأَمر الذي من اعتبره لم ييأَس من روح الله تعالى على حال، وهو أَن الله تعالى يخص من يشاء من عباده ببسط الرزق، [ويقدر على من شاء منهم][6]، فينبغي لكل عبد أَن يكون راجياً ما عند ربِّه، ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ أَمراً تدخل الأُمة فيه، وهذا على جهة النَّدْب إِلى إِيتاءِ ذي القُرْبَى حقَّه من صلة المال وحُسْن المعاشرة ولين القول.

قال الحسن: حقُّه المواساة في اليُسْر [وقول ميسور في العسر][7].

---

(١) سقط من المطبوع، وفيه فقط: «ويعفو الله».
(٢) وهما سبعيتان، والكسائي مع أبي عمرو، والباقون مع نافع، انظر التيسير (ص: ١٣٦).
(٣) سقطت من المطبوع.
(٤) ساقط من الحمزوية، وفي المطبوع: «فيبتدأ بها».
(٥) سقط من المطبوع، وفي أحمد٣: «ولا تكون جواباً للشرط».
(٦) سقط من المطبوع.
(٧) سقط من المطبوع، وهو في تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٣)، بمعناه.

قال القاضي أبو محمد: ومعظم ما قصد أَمر المعونة بالمال، ومنه قول النبي ﷺ: «في المال حق سوى الزكاة»[1]، وكذلك للمسكين وابن السبيل حق، وبين أن حق هذين إنما هو في المال وغير ذلك معهما لا غناء له وكذلك يلزم القريب المعدم الذي يقضي حقه أن يقضي أيضا حق قريبه في جودة العشرة ووَجْه اللَّهِ هنا جهة عبادته ورضاه والْمُفْلِحُونَ الفائزون ببغيتهم البالغون لآمالهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ٤٢﴾.

قرأ الجمهور: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم﴾ بمعنى: أعطيتم.

---

(١) لا يصح مرفوعاً، والصحيح من قول الشعبي وغيره، أخرجه الترمذي (٦٥٩) من طريق: الأسود بن عامر، عن شريك، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس قالت: سألت ـ أو سئل ـ النبيّ ﷺ عن الزكاة فقال: «إن في المال لحقاً سوى الزكاة» ثم تلا هذه الآية التي في (البقرة): ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ الآية، ثم أخرجه من طريق: محمد بن الطفيل، عن شريك، عن أبي حمزة، عن عامر الشعبي، عن فاطمة بنت قيس، عن النبي ﷺ قال: «إن في المال حقاً سوى الزكاة»، قال أبو عيسى: هذا حديث إسناده ليس بذاك وأبو حمزة ميمون الأعور يضعف، وروى بيان وإسماعيل ابن سالم عن الشعبي هذا الحديث قوله وهذا أصح، وروي هذا الكلام هكذا بالإثبات، كرواية الترمذي عن الشعبي وإبراهيم النخعي ومجاهد، كما في مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٨١) وهذا أشبه، وروي كذلك عن ابن عمر كما عند ابن زنجويه في الأموال (٣/ ١٦٢)، والقاسم بن سلام (٢/ ٣٢٩) كذلك، لكن أخرجه ابن ماجه (١٧٨٩) عن علي بن محمد، حدثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس: أنها سمعته؛ تعني: النبي ﷺ يقول: «ليس في المال حق سوى الزكاة»، وهذا مقلوب، ويضرب به المثل في مضطرب المتن، وقال البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٨٤): والذي يرويه أصحابنا في التعاليق: «ليس في المال حق سوى الزكاة»، فلست أحفظ فيه إسناداً، وقد سبق ما عند ابن ماجه.

وقرأ ابن كثير: ﴿وما أتيتم﴾ بغير مدٍّ[١]، بمعنى: ما فعلتم، كما تقول: أَتَيْتُ صواباً وأَتَيْتُ خطأً[٢]، وأَجمعوا على المدِّ في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ﴾، و«الرِّبَا»: الزيادة.

واختلف المتأولون في معنى هذه الآية:

فقال ابن عباس[٣]، [وابن جبير، ومجاهد، وطاووس: هذه آية نزلت في هِبات الثواب[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وما جرى مجراها مما يصنعه الإِنسان ليجازى عليه؛ كالسَّلام وغيره، فهو وإِن كان لا إِثم فيه، فلا أَجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى[٥].

وقال ابن عباس أَيضاً][٦]، وإِبراهيم النَّخَعي: نزلت في قوم يعطون قراباتهم وإِخوانهم على معنى نَفْعهم وتمويلهم، والتَّفَضُّل عليهم، وليزيدوا في أَموالهم على وجه النفع لهم.

وقال الشعبي: معنى الآية أَن ما خدم الإِنسانُ به أَحداً، وخفَّ له لينتفع به في دنياه، فإِن ذلك النفع الذي يجزي به الخدمة لا يَرْبُو عند الله تعالى[٧].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كلُّه قريب وجزءٌ من التأْويل، ويحتمل أَن يكون معنى هذه الآية النهي عن الرِّبا في التجارات، لمَّا حَضَّ عزَّ وجلَّ على نفع ذوي القُرْبَى

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة في القراءات (ص: ٥٠٧)، مع ذكر الاتفاق على الثاني.

(٢) كتبت في الأصل: «غظاً».

(٣) لا يصح عن ابن عباس، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٤)، من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضاً، يعطي الرجل الرجل العطية، يريد أن يعطى أكثر منها. وأظن صواب عبارة المصنف: ثواب الهبات.

(٤) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٥-١٠٤).

(٥) قال في حاشية المطبوع: هكذا في جميع الأصول، وما بين المعكوفتين كله ساقط من الحمزوية.

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٥)، عن ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي حصين، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن حميد ليس بعمدة.

(٧) انظر قوله وقول النخعي في تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٥).

والمساكين وابن السبيل؛ أَعْلَمَ أَن ما فعل المرءُ من رباً ليزداد به مالاً ـ وفِعْله ذلك إِنما هو في أَموال الناس ـ فإِن ذلك لا يربو عند الله تعالى ولا يزكو، بل يتعلق فيه الإِثم ومَحْق البركة، وما أَعطى الإِنسان من زكاة تنميةً لماله وتطهيراً، يريد بذلك وجه الله تعالى، فذلك هو الذي يُجَازى به أَضعافاً مضاعفة على ما شاءَ الله تعالى له.

وقال السُّدي: نزلت هذه الآية في رِبَا ثقيف؛ لأَنهم كانوا يعملون بالربا وتعمله فيهم قريش[(١)].

وقرأَ جمهور القراءِ السبعة: ﴿لِّيَرْبُوَاْ﴾ بالياءِ وإِسناد الفعل إِلى الرِّبَا.

وقرأَ نافع وحده: ﴿لِتُرْبُوا﴾ بضم التاء على وزن تُفعِلوا، والواو ساكنة[(٢)]، بمعنى: يكونوا ذوي زياداتٍ، وهذه قراءَة ابن عباس وأَهل المدينة، والحسن، وقتادة، وأَبي رجاءٍ، والشعبي، قال أَبو حاتم: هي قِراءَتُنا[(٣)].

وقرأَ أَبو مالك: (لِتُرْبُوهَا) بضمير مؤنث[(٤)].

«والمُضْعِف» الذي هو ذو أَضعاف من التراث، كما أَن المؤلف الذي له الأَلْف، وكما تقول: أَخصب إِذا كان ذا خصب، وهذا كثير، ومنه: أَرْبَى المتقدم في قراءَةِ من قرأَ: ﴿لِتُرْبُوا﴾ بضم التاءِ.

ثم كرَّر مخاطبة الكفرة في أَمر أَوثانهم، فذكر أَفعال الله تعالى التي لا شريك له فيها، وهي الخَلْق والرزق والإِماتة والإِحياءُ، ولا يمكن أَن ينكر ذلك عاقل.

ثم وقف الكفار ـ على جهة التقرير والتوبيخ ـ ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾؛ أَي: الذين

---

(١) تابعه في نقله عنه تفسير القرطبي (١٤/ ٣٧)، والبحر المحيط في التفسير (٨/ ٣٩٣)، وقد تقدم في سورة البقرة: أن هذا سبب نزول آية الربا التي فيها، دون عزو للسدي، وهو الذي عليه أكثر المفسرين، والله أعلم.

(٢) «والواو ساكنة»: زيادة من المطبوع، وسقط منه: «على وزن: تفعلوا».

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٠٧)، والتيسير (ص: ١٧٥).

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها تفسير القرطبي (١٤/ ٣٩).

جعلوهم شركاءَ، مَن يفعل[١] مِنْ شيءٍ من ذلك؟ وهذا الترتيب بـ﴿ثُمَّ﴾ هو في الإِيجاد شيئاً بعد شيءٍ، ومن هنا أَدخل الفقهاءُ الولد مع أَبيه في تعقيب الأحباس[٢] إِذا كان اللفظ: ثُمَّ على أَعقابهم، [ثم على أَعقاب أَعقابهم][٣].

ثم نزَّه تعالى نفسه عن / مقالتهم في الإِشراك. [٤/ ١٨٦]

وقرأَ الجمهور: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأَ الأَعمش، وابن وثاب بالتاءِ من فوق[٤].

ثم ذكر تعالى على جهة العبرة ما ظهر من الفساد بسبب المعاصي في قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾، واختلف الناس في معنى ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في هذه الآية:

فقال مجاهد: البَرُّ: البلادُ البعيدة من البحر، والبَحْرُ: السَّواحلُ والمدن التي على ضفة البحر والأَنهار الكبار[٥].

وقال قتادة: البَرُّ: الفيافي ومواضع القبائل والصحارى والعمود، والبحرُ: المدن جمع بَحْرَة[٦].

قال القاضي أَبو محمد: ومنه قول سعد بن عبادة رضي الله عنه للنبي ﷺ في شأْن عبد الله بن أَبي بن سلول: ولَقَدْ أَجمع أَهل هذه البُحَيْرَة على أَن يُتَوِّجُوهُ... الحديث[٧].

---

(١) كتبت في الأصل: «يعقل»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٢) في السليمانية والمطبوع: «الأَجناس»، ولفظة: «تعقيب زيادة منه»، وفي الحمزوية: «تعصيب».

(٣) من المطبوع ونجيبويه والسليمانية وفيض الله، ولمزيد من التوسع انظر: البيان والتحصيل (١٢/ ١٩٨-١٩٩)، ومغني المحتاج للشربيني (٢/ ٣٨٦)، وكشاف القناع للبهوتي (٤/ ٢٧٩).

(٤) أبعد، فهما سبعيتان، والثانية لحمزة والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٢١).

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٨).

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٨)، و«العمود»: من أحمد٣ ونجيبويه.

(٧) إسناده جيد، أخرجه ابن حبان (٦٥٨١)، من طريق: عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ ركب حماراً وعليه إكاف وتحته قطيفة، فركب وأردف أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن معاذ، وفي المطبوع: «ابن أبي سلول».

ومما يؤيد هذا أَن عكرمة قرأَ: (في البَرِّ والبُحُور)، ورويت عن ابن عباس(١).

وقال مجاهد أَيضاً: ظهورُ الفساد في البر [قتل أحد ابني آدم لأخيه](٢)، وفي البحر أَخذ السفن غصْباً(٣).

وقال بعض العُبَّاد: البحرُ: القَلْبُ، والبَرُّ: اللِّسان(٤).

وقال الحسن: البَرُّ والبَحْرُ: هما المعروفان المشهوران في اللغة(٥).

قال القاضي أَبو محمد: وهذا القول صحيح(٦)، وظهور الفساد فيهما هو ارتفاع البركات، ونزول رزايا وحدوث فتن، وتغلُّب عدوٍّ كافر، وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر.

وقال ابن عباس: الفساد في البحر: انقطاع صيده بذنوب بني آدم، وقلَّما توجد أُمَّة فاضلة مطيعة مستقيمة الأَعمال لا يدفع الله عنها هذه(٧)، والأَمر بالعكس في أَمر المعاصي وبطر النعمة، وكذلك كان أَمر البلاد في وقت بعث النبي ﷺ، قد كان الظلم عمَّ الأَرْض برّاً وبحراً، وقد جعل الله تعالى هذه الأَشياءَ ليجازي بها على المعاصي، فيُذيق الناس عاقبة ذنوبهم لعلهم يتوبون ويراجعون بصائرهم في طاعة الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ تقديره: جزاءَ ما كسبت، ويجوز أَن تتعلق الباءُ بـ﴿ظَهَرَ﴾؛ أي: بِكَسْبهم المعاصي في البر والبحر، وهو نفس الفساد الظاهر.

---

(١) وهي شاذة، عزاها لابن عباس في مختصر الشواذ (ص: ١١٧)، ولهما الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٦).

(٢) في المطبوع: «قتال بني آدم لأَخيهم».

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٥٣٩)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٠٩).

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ٣١٨).

(٥) لفظه في تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٨): «أفسدهم الله بذنوبهم، في بحر الأرض وبرها بأعمالهم الخبيثة»، ونقل عنه تفسير الثعلبي (٧/ ٣٠٥): أن البحر القرى على شاطئ البحر.

(٦) في الحمزوية وأحمد٣ ونجيبويه: «القول الصحيح»، وفي فيض الله: «وهذا هو القول الصحيح».

(٧) لم أقف عليه.

والتَّرَجِّي في «لَعَلَّ» هو على معتقداتنا، وبِحَسَب نظرنا في الأُمور.

وقرأت عامة القراءِ والناس: ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ بالياءِ.

وقرأَ قنبل عن ابن كثير، والأَعرج، وأَبو عبد الرحمن السُّلَمي: ﴿لنذيقهم﴾ بالنون[1]، ومعناهما بيِّن.

وقرأَ أَيضاً أَبو عبد الرحمن: (لِتُذِيقَهُم) بالتاءِ من فوق[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

هذا تنبيهٌ لقريش وأَمْرٌ لهم بالاعتبار بمن سلف من الأُمم وبِسُوءِ عواقبهم بكفرهم وإِشراكهم، ثم أَمَر تعالى نَبِيَّه ﷺ بإِقامة وجهه، والمعنى: اجعل قصدكَ ومسعاكَ للدِّين؛ أَي: لطريقه ولأَعماله واعتقاداته.

و﴿ٱلْقَيِّمِ﴾ أَصله: قَيْوِم، اجتمعت الياءُ والواوُ وسبقت الياءُ وهي ساكنة، وأُبْدِلت الواو ياءً وأُدغمت الأُولى في الثانية.

ثم حذَّره تعالى من يوم القيامة تحذيراً يعُمُّ العالم، وإِياهم القصد.

و﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾: معناه: ليس فيه رجوع لعمل ولا رغبة، ولا عنه مدخل[3].

ويحتمل أَن يريد: لا يَرُدُّهُ رادٌّ حتى لا يقع، وهذا ظاهر بحسب اللفظ.

و﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ معناه: يتفرقون بعد جمعهم، وهذا هو التصدع.

ومعنى يتفرَّقون: إِلى الجنة وإِلى النار.

---

(١) وهي سبعية، انظر عزوها لقنبل في التيسير (ص: ١٧٥).

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٢٩٦)، لكن دون نسبة.

(٣) في المطبوع: «مرتحل»، وفي الحمزوية: «مرحل»، وفي السليمانية: «موجل».

ثم قسَّم الفريقين بأَحكام تلحقهم من أَعمالهم في الدنيا، ثم عبَّر عن الكفر بـ(عَلَيْهِ)، وهي تعطي الثِّقَل والمشَقَّة، وعن العمل الصالح باللام التي هي لام الملك.

و﴿يَمْهَدُونَ﴾ معناه: يُوطئون ويُهيئون، وهي استعارة منقولة من الفُرُش ونحوها إِلى الأَحوال والمراتب.

وقال مجاهد: هذا التَّمهيد هو للقبر[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

اللام في ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلقة بـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾، ويجوز أَن تكون متعلقة بمحذوف تقديره: ذلك، أَو: فَعَلَ ذلك ليجزي، وتكون الإِشارة إِلى ما تقرر من قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ﴾، و﴿عَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ليس الحب بمعنى الإِرادة، ولكنه بمعنى: لا يُظْهِر عليهم أَماراتِ رحمته، ولا يرضاه لهم ديناً[2]، ونحو هذا.

ثم ذكر تعالى من آياته أَشياءَ يقضي[3] كل عقل بأَنها لا مشاركة للأَوثان فيها، وهي ما في الريح من المنافع، وذلك أَنها بُشرى[4] بالمطر، ويذيق الله بها المطر[5] ويلقح بها الشجر وغير ذلك، وتجري السفن بها في البحر، ويبتغي الناسُ بها من فضل الله تعالى في التجارات في البحر، وفي ذَرْو الأَطعمة وغير ذلك.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١١٢)، ولفظه في تفسير مجاهد (ص: ٥٤٠): يسوون المضاجع.
(٢) ليست في الأصل، والمثبت من النسخ الأخرى.
(٣) في المطبوع: «تقتضي».
(٤) في أحمد٣: «تسري».
(٥) في المطبوع بدل «المطر»: «الرحمة»؛ يعني: الغيث والخصب.

ثم آنَسَ محمداً ﷺ بأَن ضرب له مثل من أَرسل من الأَنبياءِ، [وتوعد قريشاً بأن ضرب لهم مثل من هلك من الأمم الذين أجرموا وكذبوا الأنبياء][١].

ثم وعد تعالى محمداً ﷺ وأُمَّته النصر؛ إِذْ أَخبر أَنه جعله حقّاً عليه تبارك وتعالى.

و﴿حَقًّا﴾: خبر (كان) قدَّمه اهتماماً؛ لأَنه موضع فائدة الجملة.

وبعض القراءِ في هذه الآية وقف على قوله: ﴿حَقًّا﴾، وجعله من الكلام المتقدم، ثم استأْنف جملة مكونة[٢] من قوله: ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذا قول ضعيف؛ لأَنه لم يدر قدر ما عرضه[٣] في نظم الآية.

/ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾. [٤/ ١٨٧]

«إِثارة السُّحب»: تحريكها من سكون وتَسْيِيرُها، وبَسْطُها في السماءِ هو نشرها في الآفاق.

و«الْكِسَفُ»: القِطَعُ.

وقرأَ جمهور القراءِ: [﴿كِسَفًا﴾ بفتح السِّين.

وقرأَ ابن عامر: ﴿كِسْفاً﴾][٤] بسكون السِّين، وهي قراءَة الحسن، وأَبي جعفر، والأَعرج[٥].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) من المطبوع.

(٣) في الأصل: «عوض له»، وفي فيض الله: «عرض له»، في نجيبويه: «في هذه الآية»، وفي فيض الله: «نظير».

(٤) سقط من أحمد٣، وفي الأصل: «ابن عباس».

(٥) وهما سبعيتان، الثانية لابن عامر بخلاف عن هشام، كما في التيسير (ص: ١٧٥).

وهما بناءَان للجمع، كما يقال: سِدْرَةٌ وسِدْر بسكون الدال، وسِدَر بفتح الدال.

وقال مكي: من أَسكن السِّين فمعناه: يجعل السحاب قطعة واحدة[(١)].

و﴿ٱلْوَدْقَ﴾: الماءُ يمطر، ومنه قول الشاعر:

[المتقارب]

فَـلَا مُـزْنَـةٌ وَدَقَــتْ وَدْقَـهَـا وَلَا أَرْضٌ أَبْـقَـلَ إِبْـقَـالَـهَـا[(٢)]

و﴿خِلَٰلِهِۦ﴾: الفطور الذي بين بعضه وبعض؛ لأَنهُ متخلخل[(٣)] الأَجزاءِ.

وقرأَ الجمهور: ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ بكسر الخاءِ وأَلف بعد اللام، جَمْعُ: خَلَل، كجَبَل وجِبَال.

وقرأَ عليٌّ بن أَبي طالب، وابن عباس، والضحاك، والحسن بخلاف عنه: (مِنْ خِلَلِهِ)[(٤)]، وهو اسم جنس.

والضمير في ﴿خِلَٰلِهِۦ﴾ يحتمل أَن يعود على «السحاب».

ويحتمل أَن يعود على «الكِسْف» في قراءَة من قرأَ بسكون السِّين، وذكَّر الضمير مراعاةً لِلَّفظ لا لمعنى الجمع، كما تقول: هذا تَمْرٌ جَيِّدٌ، و﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يسٓ: ٨٠][(٥)].

ومن قرأَ: ﴿كِسَفًا﴾ بفتح السِّين فلا يعيد الضمير إِلَّا على «السحاب» فقط.

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ تأْكيد أَفاد الإِعلام بسرعة تقلب[(٦)] قلوب البشر من الإِبلاس إِلى الاستبشار، وذلك أَن قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ يحتمل الفسحة في الزمان؛ أَي: من قبل [ذلك؛ أَي: من قبل][(٧)] أَن ينزل بكثير من الأَيام ونحوه، فجاءَ قوله:

---

(١) الهداية لمكي (٦/ ٤٢٨٧).

(٢) البيت لعامر بن جُوَيْنٍ الطَّائي، كما تقدم في تفسير الآية (٤١) من سورة الإسراء.

(٣) في المطبوع والسليمانية: «مُتَحلل»، في الحمزوية: «متخلل».

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٦).

(٥) في حاشية المطبوع: يظهر أن في الكلام نقصاً سقط من النساخ.

(٦) سقطت لفظة: «تقلب» من الحمزوية، وسقطت لفظة: «الإعلام بـ» من الأصل.

(٧) من المطبوع.

﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾ بمعنى أَنَّ ذلك متصل بالمطر، فهو تأْكيدٌ مفيد[١].

وقرأَ يعقوب، وعيسى، وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿يُنْزَلَ﴾ مخففة.

وقرأَت عامة القراءِ بالتثقيل في الزَّاي[٢].

وقرأَ ابن مسعود: (عَلَيْهِمْ لَمُبْلِسِينَ)[٣] بسقوط ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾.

و«الإِبْلَاسُ»: الكَوْنُ في حال سوءٍ مع اليأْسِ مِنْ زوالها.

ثم عجَّبَه بمخاطبة يُرادُ بها جميع الناس من أَثر رحمة الله وهي المطر.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿أَثَرِ﴾ بالإِفراد، وقرأَ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿ءَاثَٰرِ﴾ بالجمع، واختلف عن عاصم[٤].

[وقرأ سلام: (إلى إثر) بكسر الهمزة وسكون الثاء][٥].

وقوله: ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ﴾ يحتمل أَن يكون الضمير الذي في الفعل للأَثر، ويحتمل أَن يكون للَّهِ تعالى، وهذا أَظهر.

وقرأَت فرقة: (كيف تحيى) بالتَّاءِ المفتوحة (الأَرْضُ) بالرفع[٦].

وقرأَ الجحدريُّ، وابن السَّمَيْفَع، وأبو حَيوة: (تُحْيي) بتاءٍ مضمومة على أَن إِسناد الفعل إِلى ضمير الرحمة، (الأرضَ) نصباً[٧].

قال أَبو الفتح: قوله: (كيف تحيى): جملة منصوبة الموضع على الحال حملاً

---

(١) في المطبوع: «مُقَيّد»، وفي الحمزوية: «مؤكد».

(٢) وهما سبعيتان، الأولى لابن كثير وأبي عمرو ويعقوب، والثانية للباقين كما هو المطرد.

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (٧/ ٣٠٦).

(٤) فروى شعبة الأولى وحفص الثانية، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٥).

(٥) سقط من المطبوع، وهي شاذة، لم أجدها له، لكن عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٧) لأبي حيوة والجحدري واليماني.

(٦) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٧) لأبي البرهسم والجحدري وكرداب.

(٧) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٦٥)، مع التوجيه، ولفظة: «الأرض» ليست في المطبوع.

على المعنى، كأَنه قال: محْيِيَةً، وهذه الحياة والموت استعارة في القَحْط والإِعْشَاب.

ثم أَخبر تعالى ـ على جهة القياس والتَّنْبيه عليه ـ بالبعث والنُّشور.

وقوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عُمومٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

ثم أَخبر تعالى عن حال تقلُّب ابن آدم في أَنه بعد الاستبشار بالمطر إِذا بعث الله ريحاً فاصْفَرَّ بها النباتُ؛ ظلُّوا يكفرون قَلَقاً منهم وَقِلَّةَ تَوكُّلٍ وتسليم لله عزَّ وجلَّ.

والضمير في ﴿فَرَأَوْهُ﴾ للنبات كما قُلْنَا، أَو للأَثر وهو حُوَّة النبات الذي أُحييت به الأَرض، وقال قومٌ: هو للسحاب، وقال قوم: هو للرِّيح، وهذا كله ضعيف.

واللام في (لَئِن): مؤذنة بِمَجِيءِ القَسَم، وهو في ﴿لَّظَلُّوا﴾، فاللام لام القَسَم.

وقوله تعالى: (ظَلُّوا): فعل ماض أَنزله منزلة المستقبل واستنابه منابه؛ لأَن الجزاءَ هنا لا يكون إِلَّا بفعل مستقبل، لكن استُعْمل الماضي موضع المستقبل في بعض المواضع توثيقاً لوقوعه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية استعارة للكفار، وقد تقدم القول على مثل هذه الآية في سورة النمل.

وكلُّهم قرأَ: [﴿وَلَا تُسْمِعُ﴾ بتاءٍ مضمومة ونصب ﴿ٱلصُّمَّ﴾.

وقرأَ ابن كثير، وعباسٌ عن أَبي عمرو:][١] ﴿يَسْمَعُ﴾ بياءٍ مفتوحة ﴿الصُّمُّ﴾ رفعاً[٢].

---

(١) ساقط من الأصل، وفي أحمد٣: «عياش».

(٢) وهما سبعيتان، انظر عزو الثانية لابن كثير في التيسير (ص: ١٦٩)، ولرواية عباس في السبعة (ص: ٥٠٨). وفي المطبوع: «تسمع بتاء»، وهو خطأ.

وقرأَ الجمهور: ﴿بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ﴾ بالإِضافة.

وقرأَ يحيى بن الحارث، وأَبو حيوة: (بِهَادٍ) بالتنوين (الْعُمْيَ) نصباً[١].

وقوله: ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ﴾ معناه: إِنْ تُسْمع إِسماعاً ينفع ويُجدي، وأَما سماع الكفرة فغير مُجْدٍ فاستويا.

وقوله تعالى: ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمۡ﴾، لما كانت الهداية تتضمن الصرف عديت بـ﴿عَن﴾ كما تتعدى «صرفت»، ومعنى الآية: ليس في قدرتك يا محمد ولا عليك أَن تهدي.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (من ضلالتهم)[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦﴾.

هذه أَيضاً عِبَرٌ[٣] بيِّنٌ فيها أَن الأَوثان لا مدخل لَها في هذا الأَمر / . [٤/ ١٨٨]

وقرأَ جمهور القراءِ والناس بضم الضاد في ﴿ضُعْف﴾، وقرأَ عاصم، وحمزة بفتحها، وهي قراءَة ابن مسعود وأَبي رجاءٍ، والضَّمُّ أَصوب[٤].

وروي عن ابن عمر أَنه قرأَها على رسول الله ﷺ بالفتح فردَّها عليه بالضم[٥].

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٧).

(٢) وهي شاذة مخالفة للمصحف، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٧)، وعزا له أيضاً: (ضلالاتهم)، بالجمع.

(٣) في المطبوع: «آية».

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٦٩)، والسبعة (ص: ٥٠٨).

(٥) ضعيف. أخرجه أحمد (٩/ ١٨٥)، أبو داود (٣٩٨٠)، والترمذي (٢٩٣٦)، من حديث فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن ابن عمر به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق، وأخرجه أبو داود أيضاً عقبه من طريق عبيد ـ يعني: ابن عقيل ـ عن =

وقال كثير من اللغويين: ضمُّ الضاد[١] في البدن وفَتْحها في العقل[٢].

وروي عن أبي[٣] عبد الرحمن، والجحدري، والضحاك: أَنهم ضموا الضاد في الأوَل والثاني، وفتحوا ﴿ضَعْفًا﴾[٤].

وقرأَ عيسى بن عمر: (من ضُعُف) بضمتين[٥].

وهذه الآية إِنما يراد بها حال الإنسان[٦]:

والضعف الأَول هو كون الإِنسان من ماءٍ مهين، والقوة بعد ذلك الشبيبة وشدة الأسر[٧].

والضعف الثاني الهرم والشيَخ[٨]، هذا قول قتادة وغيره[٩].

ثم أَخبر تعالى عن يوم القيامة أَن المجرمين يُقْسِمون لجاجاً منهم ونشوزاً على ما لا علم لهم به؛ أَنهم ما لبثوا تحت التراب غير ساعة، وهذا اتباع لتخيلهم[١٠] الفاسد، ونظرهم في ذلك الوقت على ما كانوا في الدنيا يبتغون، فيؤفكون عن الحق؛ أَي: يُصرفون.

وقيل: المعنى: ما لبثوا في الدنيا، كأَنهم استقلُّوا لـمَّا عاينوا أَمر الآخرة.

= هارون، عن عبد الله بن جابر، عن عطية عن أبي سعيد به، لكن لم يقع في هذه النصوص بيان للفرق بين القراءتين، وعطية العوفي ضعيف على كل حال.

(١) كتبت في الأصل: «الدال»، وهو خطأ.

(٢) في الحمزوية وأحمد٣: «الفعل».

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) وكلاهما سبعية في المواضع الثلاثة كما تقدم، لكن التلفيق بينهما شاذ.

(٥) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٧) لعيسى الكوفة.

(٦) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية والسليمانية وفيض الله: «الجسم».

(٧) في المطبوع: «الأَمر».

(٨) في المطبوع: «والشُّح».

(٩) تفسير الطبري (٢٠/ ١١٨)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٢٢).

(١٠) كتبت في الأصل: «لتحليهم».

قال القاضي أَبو محمد: وهذا يضعفه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾؛ إِذ لو أَرادوا تقليل الدنيا بالإِضافة إِلى الآخرة لكان منزعاً شديداً، وكان قولهم: ﴿سَاعَةٍ﴾ تجوُّزاً؛ أَي: في القدر والموازنة.

ثم أَخبر تعالى عن الذين أُوتُوا العلم والإِيمان أَنهم يقفون في تلك الحال على الحق، ويعرفون أَنه الوعد المتقرر في الدنيا.

وقال بعض المفسرين: إِنما أَراد: أُوتُوا الإِيمانَ والعِلْمَ، ففي الكلام تقديم وتأْخير.

قال القاضي أَبو محمد: ولا يحتاج إِلى هذا، بل ذكر العلم يتضمن الإِيمان، ولا يصف الله تعالى بِعِلْم مَنْ لم يعلم كلَّ ما يوجب الإِيمان، ثم ذكر الإِيمان بعد ذلك تنبيهاً عليه وتشريفاً لأَمره، كما قال: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، فنبَّه تعالى على مكان الإِيمان وخصه بالذكر تشريفاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

هذا إِخبارٌ عن هول يوم القيامة وشدة أَحواله على الكفرة؛ في أَنهم لا ينفعهم الاعتذار، ولا يُعطون عُتْبى، وهي الرِّضا.

و﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ بمعنى: يعتبون، كما تقول: يملك ويستملك، والباب في «اسْتَفْعَل» أَنه طلب الشيءِ، وليس هذا منه؛ لأَن المعنى كان[1] يفسد إِذا كان المفهوم منه: ولا يطلب منهم عُتْبى.

---

(١) في المطبوع: «لا» بدل: «كان».

وقرأَ عاصم، والأَعمش: ﴿يَنفَعُ﴾ بالياءِ[١]، كما قال تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٧٥]، وحَسُن هذا أَيضاً بالتفرقة التي بين الفعل وما استند إِليه، كما قال الشاعر:

[الطويل]

وهلْ يرجع التَّسْليمَ أَو يَكْشِفُ الْعَمَى ... ثـلاثُ الأَثَافـي والدِّيَـارُ الْبَلَاقِـعُ[٢]

ثم أَخبر تعالى عن قسوة قلوبهم، وعجرفة طباعهم، في أَنه ضرب لهم كلَّ مثل، وبيَّن عليهم بيان الحق، ثمَّ هُمْ مع ذلك عند الآية والمعجزة يكفرون ويُلحفون ويعمهون في كفرهم، ويصفون أَهل الحق بالإبطال[٣].

ثم أَخبر تعالى أَن هذا إِنما هو من طَبْعِه وخَتْمِه على قلوب الجهلة الذين قد حتم[٤] عليهم الكفر في الأَزل.

وذهب أَبو عبيدة إِلى أَنه من قولهم: طَبَعَ السَّيْفُ[٥]؛ أَي: صَدِئ أَشَدَّ صدأ.

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ بالصبر، وقوّى نفسه بتحقيق الوعد، ونهاه عن الاهتزاز لكلامهم، أَو التحرك واضطراب النفس لأَقوالهم؛ إِذْ هم لا يقين لهم ولا بصيرة.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق، ويعقوب: (يَسْتَحِقَّنَّكَ) بحاءٍ غير معجمة وقاف، من الاستحقاق، والجمهور على الخاءِ المعجمة والفاءِ، من الاستخفاف، [إِلَّا أن ابن أبي][٦] إِسحاق ويعقوب سكَّنا النون من ﴿يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾.

---

(١) وكذلك حمزة والكسائي، والباقون بالتاء، وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٠٩)، والتيسير (ص: ١٧٦).

(٢) البيت لذي الرمة كما في المخصص (٥/ ١٩٥)، والفائق في غريب الحديث (١/ ٧٧)، والمفصل في صنعة الإعراب (ص: ١١٤)، وحماسة الخالديين (ص: ٨١)، والعدد في اللغة (ص: ٢٥).

(٣) في المطبوع: «الأباطيل».

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «ختم».

(٥) مجاز القرآن (٢/ ١٢٥).

(٦) من أحمد٣ والحمزوية، وفي الأصل ونجيبويه والسليمانية وفيض الله: «إلا ابن أبي»، وفيه: «عون» بدل: «إسحاق»، وفي المطبوع: «إلا أن أبا»، وسقط «يعقوب» الأول من الأصل، وهما شاذتان، عزا لهما الأولى في المحتسب (٢/ ١٦٦)، ومع الثانية في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٧).

وروي أَن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه كان في صلاة الفجر، فناداه رجل من الخوارج بأَعلى صوته يقرأُ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فَعَلِمَ عَلِيٌّ رضي الله عنه مقصده في هذا، وتعريضه به، فأَجابه وهو في الصلاة بهذه الآية: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[1].

كمل تفسير سورة الرُّوم، والحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

(١) في اتصاله نظر، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٠)، من طريق: وكيع عن سعيد بن جبير، عن علي بن ربيعة، أن رجلا من الخوارج، قرأ... ثم أخرجه من طريق: شريك، عن عثمان بن أبي زرعة، عن علي بن ربيعة قال: نادى رجل من الخوارج علياً... والإسنادان لا بأس بهما، لكن لم يذكر علي ابن ربيعة ما يدل على أنه حضر القصة، ثم من طريق: سعيد، عن قتادة قال: قال رجل من الخوارج خلف علي في صلاة الغداة... وهذا مرسل.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورَة لقمَانَ [على بركة الله عز وجل](١)

هذه السورة مكِّيَّة غير آيتين، قال قتادة: أوَّلُهما: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾... إلى آخر الآيتين(٢)، وقال ابن عباس: ثلاث آيات أولهن: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾(٣)... [إلى آخر الثلاثة](٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾.

تقدم القول في الحروف التي في أوائل السُّور، وفي ترتيب ﴿ تِلْكَ ﴾ مع كل قول منها.

و﴿ الْحَكِيمِ ﴾: يصحُّ أَن يكون من الحكمة، ويصحُّ أَن يكون من الحُكْم.

---

(١) زيادة من الحمزوية ونجيبويه.

(٢) تابعه تفسير القرطبي (١٤/ ٥٠)، والبحر المحيط في التفسير (٨/ ٤٠٨)، ولم أجده لمن سبقه.

(٣) عزاه في الدر المنثور (١١/ ٦١٣) للنحاس في تاريخه، ولم يذكر سنده.

(٤) من فيض الله.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالنصب على الحال من المبهم، ولا يصح أَن يكون من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ لأَنه مضافٌ إِليه.

وقرأَ حمزة، والكسائي: ﴿هدى ورحمةٌ﴾ بالرفع[1] على تقدير: هو هدى، وخصَّصه لِلْمُحْسِنِينَ من حيث لهم نفعه، وهم نظروه بعين الحقيقة، وإِلَّا فهو هدى في نفسه.

[٤/ ١٨٩] / وفي قراءَة ابن مسعود: (هُدًى وَبُشْرى للمؤمنينَ)[2].

ثم وصف تعالى المحسنين بأَنهم الذين عندهم اليقين بالبعث وبكل ما جاءَ به الرسول ﷺ، وعندهم إِقامة الصلاة وإِيتاءُ الزَّكاة.

ومِنْ صِفَتهم ما قال رسول الله ﷺ حين سأَله جبريل عليه السلام عن الإِحسان، فقال: «أَن تعبد الله كأَنك تَرَاه، فإِنْ لم تكن تراه فإِنَّهُ يراك» الحديث[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ رُوي أَنَّها نزلت في قُرَشي اشترى جارية مُغَنِّية لتُغَنِّي بهجاءِ رسول الله ﷺ وسَبِّه، فنزلت الآية في ذلك[4]، [وقيل: إنه ابن خَطَل][5].

ورُوي عن أَبي أُمامة الباهلي أَن النبي ﷺ قال: «شراءُ المُغَنِّيَات وبيعهن حرام»، وقرأَ هذه الآية، وقال: «في هذا المعنى نزلت عليَّ هذه الآية»[6]، وبهذا فسَّر ابن

---

(١) وهما سبعيتان، والثانية لحمزة خاصة، انظر التيسير (ص: ١٧٦)، والسبعة (ص: ٥١٢)، أما الكسائي فبالنصب، وذكره هنا خطأ نبه عليه في حاشية الأصل والحمزوية.

(٢) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢٦)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠)، (٤٧٧٧)، ومسلم (٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٠)، من طريق عطية بن سعد العوفي عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً.

(٥) ليس في المطبوع، وفي الأصل والحمزوية: «أخطل».

(٦) ضعيف، أخرج أحمد (٣٦/ ٦١١)، والترمذي (١٢٨٢)، وغيرهما من طريق: عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد عن القاسم، عن أبي أمامة: عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القينات، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام في مثل هذا أنزلت هذه الآية»... وقال الترمذي: حديث أبي أمامة إنما نعرفه مثل هذا من هذا الوجه وقد تكلم بعض أهل العلم في =

مسعود[١]، وابن عباس[٢]، وجابر بن عبد الله[٣]، ومجاهد[٤].

وقال الحسن: ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: المعازفُ والغناءُ[٥].

وقال بعض الناس: نزلت في النضر بن الحارث؛ لأَنه اشترى كتب رُسْتم واسبندياد[٦]، وكان يخلف رسول الله ﷺ فيحدثهم بتلك الأَباطيل، ويقول: أَنا أَحْسَنُ حديثاً من محمد[٧].

وقال قتادة: الشراءُ في هذه الآية مُستعارٌ، وإِنما نزلت في أَحاديث قريش، وتَلَهِّيهِم بأَمر الإِسلام، وخوضهم في الأَباطيل[٨].

قال القاضي أَبو محمد: فكأَن تَرْك ما يجب فعله، وامتثال هذه المنكرات شراءٌ لها، على حدِّ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦].

= علي بن يزيد وضعفه وهو شامي، وقال الترمذي في موضع آخر (٣١٩٥): هذا حديث غريب إنما يروى من حديث القاسم، عن أبي أمامة، والقاسم ثقة، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث، قال: سمعت محمداً يقول: القاسم ثقة، وعلي بن يزيد يضعف.

(١) في إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٧) من طريق: يزيد بن يونس، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن أبي الصهباء البكري، أنه سمع عبد الله بن مسعود، ثم من طريق: حميد الخراط، عن عمار، عن سعيد بن جبير، عن أبي الصهباء، أنه سأل ابن مسعود، وسقط ذكر ابن مسعود من أحمد٣.

(٢) جيد، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٧-١٢٨)، من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، ومن طريق: الحكم عن مقسم، ومن طريق: عطية العوفي، ومن طريق مجاهد، جميعاً عن ابن عباس.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٨)، من طريق: سفيان، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن جابر.

(٤) انظر نقله عنه في تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٨).

(٥) تفسير السمعاني (٤/ ٢٢٦).

(٦) في المطبوع والحمزوية: «واسفنديار»، وفي نجيبويه: «اسفندياد»، وفي فيض الله: «اسبنداد».

(٧) الهداية لمكي (١٠/ ٥٧٧١)، وتفسير السمعاني (٤/ ٢٢٦).

(٨) تفسير الثعلبي (٧/ ٣١٠)، بمعناه.

وقد قال مُطَرِّف: شراءُ لَهْو الحديث استحبابُه[١].

قال قتادة: ولعلَّه لا[٢] يُنفق فيه مالًا، ولكن سماعه هو شراؤُه[٣].

وقال الضحاك: لهْوُ الحديث الشِّرْكُ[٤].

وقال مجاهد أَيضاً: لهْوُ الْحديث الطبْلُ، وهذا ضربٌ من الغِنَاءِ[٥].

قال القاضي أَبو محمد: والذي يترجَّح أَن الآية نزلت في لهْو حديث منضاف إِلى كُفْر، فلذلك اشتدت[٦] أَلفاظ الآية بقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ وبالتوعد بالعذاب المهين.

وأَما لفظة (الشراءِ) فمحتملة الحقيقة والمجاز على ما بيَّنَّا.

و﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾: كلُّ ما يُلْهي من غِنَاءٍ وخَنا ونحوه، والآية باقية المعنى في أُمَّة محمد ﷺ، ولكن ليس لِيُضِلُّوا عن سبيل الله بكفر، ولا لِيَتَّخذوا الآياتِ هُزواً، ولا عليهم هذا الوعيد، بل ليعطل[٧] عبادة، وبِقَطْعهم زمناً بمكروه، وليكون من جملة العصاة، والنفوس الناقصة تروم تتْميمَ ذلك النقص بالأَحاديث، وقد جعلوا الحديث من القِرَى.

وقيل لبعضهم: أَتَملُّ الحديث؟ فقال: إِنما يُمَلُّ العتيق[٨].

قال القاضي أَبو محمد: القديم المعاد؛ لأَن الجديد من الأَحاديث فيه الطرافة التي تَمْنَع من الملل.

---

(١) الهداية لمكي (٩/ ٥٧١٠).

(٢) «لا»: ليست في أحمد٣، وفيه: «سماعه وشراؤه»، بالعطف.

(٣) انظر القولين في الهداية لمكي (٩/ ٥٧١٠).

(٤) انظر قول الضحاك ومجاهد في تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٩).

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٩)، والهداية لمكي (٩/ ٥٧١٣).

(٦) في أحمد٣: «أسندت».

(٧) «بل»: ليست في الأصل، وفي المطبوع والحمزوية: «بل لِتَعَطُّلِ».

(٨) تفسير ابن فورك (١/ ٤٤٧).

وقرأَ نافع، وعاصم، والحسن وجماعة: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياءِ.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرٍو بفتحها[(١)].

وفي حرف أُبيٍّ: (لِيُضِلَّ الناس عَنْ سبيلِ اللَّهِ)[(٢)].

وقرأَ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب عطفاً على: ﴿لِيُضِلَّ﴾.

وقرأَ الباقون: ﴿ويتَّخِذُهَا﴾ بالرفع[(٣)] عطفاً على ﴿يَشْتَرِى﴾.

والضمير في: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ يحتمل أَن يعود على ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ المذكور أَولاً، ويحتمل أَن يعود على «السَّبيل»، ويحتمل أَن يعود على الأَحاديث؛ لأَن الحديث اسم جِنْسٍ [بمعنى الأَحاديث، وكذلك ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ اسم جِنْسٍ][(٤)]، ولكُلِّ وجهٍ من الحديث وجْهٌ يليق به من السبيل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾.

هذا دليلٌ على كفرِ هذا الذي نزلت فيه هذه الآية التي قبلها.

---

(١) وهما سبعيتان، وحمزة وابن عامر والكسائي مع نافع وعاصم، انظر التيسير (ص: ١٣٤)، ولفظة: «وجماعة» ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، مخالفة للمصحف، ولم أجدها لغير المصنف.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٦)، والسبعة (ص: ٥١٢).

(٤) ساقط من الأصل، وهو في السليمانية ملحق.

و«الْوَقْر في الأُذن»: الثقل الذي يعسر[١] إِدراك المسموعات، وجاءَت البشارة بالعذاب من حيث قُيِّدت ونُصَّ عليها.

ولما ذكر عزَّ وجلَّ حال هؤلاءِ الكفرة، وتوعدهم بالنار على أَفعالهم؛ عقَّب بذكر المؤمنين وما وعدهم به من جنَّات النَّعيم؛ ليبين الفرق.

و(وَعْدَ الله): منصوبٌ على المصدر، و﴿حَقًّا﴾: مصدرٌ مؤكد.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ يحتمل أَن يعود الضمير على «السماءِ»، فيكون المعنى: إِن السماءَ بغير عمَدٍ، وأَنها تُرى كذلك، وهذا قول الحسن والناس[٢].

و﴿تَرَوْنَهَا﴾ على هذا القول: في موضع نصب على الحال، ويحتمل أن يعود الضمير على العَمَد، فيكون ﴿تَرَوْنَهَا﴾: صفةً لِلْعَمَد في موضع خفض، ويكون المعنى: إِن السماءَ لها عَمَدٌ لكن غير مرئية، قاله مجاهد[٣]، ونَحَا إِليه ابن عباس[٤]، والمعنى الأَوَل أَصح، والجمهور عليه، ويجوز أَن تكون ﴿تَرَوْنَهَا﴾: في موضع رفع على القطع، ولَا عَمَدَ ثَمَّ.

و«الرَّوَاسي»: هي الجبال التي [رست؛ أي][٥]: ثبتت في الأَرض، وقوله: ﴿أَن تَمِيدَ﴾ بمعنى: أَلَّا تميد، والمَيَدُ: التَّحرُّك يَمْنةً ويَسْرةً وما قرب من ذلك.

وقوله: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾؛ أَي: من كل نوع، و«الـزَّوْجُ» في اللغة: النَّوْعُ والصنف[٦]، وليس بالذي هو ضد الفرد.

وقوله تعالى: ﴿كَرِيمٍ﴾ يحتمل أَن يريد مدْحته من جهة إِتقان صنعه وظهور

---

(١) في المطبوع: «يُغَيِّـرُ».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (١٦/ ٣٢٣)، من طريق: عمران بن حدير، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٥) ليس في المطبوع.

(٦) في الأصل: «الصفة».

حسن الرُّتبة والتَّحكيم[١] للصنع فيها، فيعُمُّ حينئذ جميع الأَنواع؛ لأَن هذا المعنى في كلها، ويحتمل أَن يريد مدحه بكرم جوهره، وحسن منظره، وما تقتضي له النفوس بأَنه أَفضل من سواهُ حتى يستحق الكرم، فتكون الأَزواج ـ على هذا ـ مخصوصة في نفائس الأَشياءِ ومُستحسَناتها، ولما كان عُظْمُ الموجودات / كذلك خصص الحجة بها. [٤/ ١٩٠]

وقوله: ﴿أَنۢبَتۡنَا﴾ يعم جميع أَنواع الحيوان وأَنواع النبات والمعادن[٢].

ثم وقف تعالى الكفار ـ على جهة التوبيخ وإِظهار الحُجَّة ـ على أَن هذه الأَشياءَ هي مخلوقات الله تعالى، ثم سأَلهم أَن يوجدوه[٣] ما خلق الأَصنامُ والأَوثان وغيرُهم مِمَّن عُبِد؛ أَي: أَنهم لم يخلقوا شيئاً، بل هذا الذي قريشٌ فيه ضلالٌ مبينٌ، فذكَّرهم بالصفة التي تعُمُّ معهم سواهم مِمَّن فعل فعلهم من الأُمم.

وقوله: ﴿مَاذَا﴾ يجوز أَن تكون (ما): استفهاماً في موضع رفع بالابتداءِ، و(ذَا): خبرها بمعنى «الذي»، والعائد محذوف، ويجوز أَن تكون (مَا): مفعولةً بـ (أروني)، و(ذَا): صلة، و(مَا) بمعنى «الذي»، والعائد محذوف، تقديره في الوجْهيْن: خَلَقَه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾.

﴿لُقْمان﴾ رجلٌ حكيمٌ بحكمة الله تعالى، وهي الصواب في المعتقدات، والفقه في الدين والعقل[٤]، واخْتُلف هل هو نبي مع ذلك أَو رجلٌ صالح فقط:

فقال بِنُبوَّته عكرمة والشعبي، وقال بصلاحه فقط مجاهد وغيره[٥].

---

(١) في المطبوع: «تحكم»، وفي السليمانية: «التحكم».

(٢) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «يعم أنواع المعادن والنبات».

(٣) في المطبوع: «يوجدوا».

(٤) في المطبوع: «والعمل»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٥) انظر قول مجاهد وعكرمة في تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٦)، وقول الشعبي في تفسير الماوردي (٤/ ٣٣١).

وقال ابن عمر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لم يكن لقمان نبيّاً، ولكن كان عبداً كثير التفكير، حسَنَ اليقين، أَحبَّ الله فأَحبَّه، فمن[١] عليه بالحكمة، وخيَّره في أَن يجعله خليفة يحكم بالحق، فقال: ربِّ إِن خيَّرتني قبلتُ العافية وتركت البلاءَ، وإِن عزَمْتَ عليَّ فسمعاً وطاعةً؛ فإِنك ستعصمني»[٢].

وكان قاضياً في بني إِسرائيل، نوبيّاً أَسود، مُشَقَّق الرجلين، ذا مَشافر، قاله سعيد ابن المسيب، ومجاهد[٣]، وابن عباس[٤].

وقال له رجلٌ كان قد رعى معه الغنم: ما بلغ بك يا لقمان ما أَرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والصَّمْتُ عما لا يعنيني[٥].

وقال ابن المسيب: كان من سودان مصر، من النُّوبة، وقال خالد بن الربيع: كان نجاراً[٦].

وقيل: كان خيَّاطاً، وقيل: كان راعياً، وحِكَمُ لقمان كثيرة مأْثورة، قيل له: أَيُّ الناس شرٌّ؟ قال: الذي لا يبالي أن رآه الناس مُسِيئاً[٧].

---

(١) في المطبوع والحمزوية والسليمانية وفيض الله: «فمنَّ»، وفي نجيبويه: «أن».

(٢) موضوع، أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، وفيه سعيد بن موسى وأبو أيوب سليمان بن أبي سلمة الخبائري، وقد صرح الذهبي فى الميزان بأنه موضوع، هكذا في تنزيه الشريعة (١/ ٢٧٩)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٨٥)، وفي إسناده نوفل بن سليمان، ضعيف وله بلايا بهذا الإسناد، وعزي أيضاً للديلمي في مسند الفردوس، وفي الأصل: «ابن عباس».

(٣) انظر قولهما بالمعنى في تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٥).

(٤) لا يثبت، أخرج الطبري (٢٠/ ١٣٥)، من طريق: سفيان، عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان لقمان عبداً حبشياً فقط، والكلام الباقي عن الباقين، وأشعث هو ابن سوار، الأكثر على ضعفه.

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٥)، وليس فيه ذكر الأمانة، وهي زيادة من نجيبويه.

(٦) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٥).

(٧) تفسير الثعلبي (٧/ ٣١٨)، وفي المطبوع: «إِذا رآه».

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾[1] يجوز أَن تكون ﴿أَنِ﴾: في موضع نصب على إِسقاط حرف الجرِّ؛ أَي: بأَن اشكر لله، ويجوز أَن تكون مُفَسِّرَة؛ أَي: كانت حكمته دائرة على الشُّكر لله تعالى ومعانيه، وجميعُ العبادات والمعتقدات داخلة في شكر الله تعالى.

ثم أَخبر تعالى أَن الشاكر حظه عائد عليه، وهو المنتفع بذلك، والله تعالى غني عن الشكر، فلا ينفعه شكر العباد، وحميدٌ في نفسه، فلا يضره كفْرُ الكافرين.

و﴿حَمِيدٌ﴾ بمعنى: محمود؛ أَي: هو مستحق الحمد بصفاته وذاته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ يحتمل أَن يكون التقدير: واذكر إِذ قال، واختصر ذلك لدلالة المتقدم عليه، واسم ابنه ثاران[2].

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿يا بُنَيِّ﴾ بالشَّدِّ والكسر في الياءِ، في الثلاثة، على إِدغام إِحدى الياءَيْن في الأُخرى.

وقرأَ حفْص، والمفضل عن عاصم: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بالشَّدِّ والفتح في الثلاثة، على قولك: يا بُنَيًّا، ويا غلامَا.

وقرأَ ابن أَبي بزة عن ابن كثير: ﴿يا بُنَيْ﴾ بسكون الياءِ، و﴿يا بنيِّ إنها﴾ بكسر الياءِ، و﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بفتح الياءِ، وروى عنه قنبل بالسكون في الأُولى والثَّالِثة، وبكسر الوُسْطى[3].

وظاهر قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أَنه من كلام لقمان، ويحتمل أَن يكون خبراً من الله تعالى منقطعاً من كلام لقمان، مُتَّصلاً به في تأْكيد المعنى، ويؤيد

---

(١) من «وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾...» إلى قوله في المقطع الآتي: «قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾»، ساقط من الأصل، وأثبتناه من النسخ الأخرى.

(٢) في المطبوع: «تاران».

(٣) وهما في (لقمان: ١٦، ١٧)، وفي المطبوع بدل «بزة»: «برة»، وفي نجيبويه: «قرة»، والقراءات كلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٥١٢).

هذا الحديث المأْثور: إنه لمَّا نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] أَشفق أَصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أَيُّنا لَمْ يظلم؟ فأَنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فسكن إِشفاقهم[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وإنما يسكن إشفاقهم بأن يكون ذلك خبراً من الله تعالى.

وقد يسكن الإشفاق بأن يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

هاتان الآيتان اعتراض أَثناءَ وصيَّة لقمان، ووجَّه الطبري ذلك بأَنها من معنى كلام لقمان، ومِمَّا قصده[(٢)]، وذلك غير متوجِّه؛ لأن كون الآيتين في شأْن سعد بن أَبي وقاص حسبما ذكره[(٣)] بعد يضعف أَن يكون مما قاله لقمان، وإِنما الذي يشبه أنه اعتراض أَثناءَ الموعظة، وليس ذلك بمُفْسِدٍ الأَول منها ولا الآخر، [بل لما][(٤)] فرغ من هاتين الآيتين؛ عاد إِلى الموعظة على تقدير إِضمار: وقال أَيضاً لقمان، ثم اختصر ذلك لدلالة المتقدم عليه.

وهذه الآية شَرِكَ الله تعالى الأُمَّ والوالد منها في رتبة الوصية بهما، ثم خصَّص الأُمَّ بدرجة ذِكْر الحمل، وبدرجة ذِكْر الرضاع[(٥)]، فتحصَّل للأُم ثلاث مراتب، وللأَب واحدة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٩)، بدون قوله: «فسكن إشفاقهم».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣٩).

(٣) في السليمانية: «أذكره».

(٤) في المطبوع: «ولما».

(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ثم خصص الأم بذكر درجة الحمل، وبذكر الرضاع».

وأَشبه ذلك قول الرسول ﷺ حين قال له رجلٌ: من أَبرُّ؟ قال: «أُمُّك»، قال: ثُمَّ منْ؟ قال: «أُمُّك»، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّك»، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أَباكَ»(١)، فجعل له الربع من المبرَّة كالآية.

و﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ معناه: ضعفاً على ضعف، وقيل: أَشار إِلى مشقَّة الحمل ومشقة الولادة بعده، وقيل: أَشار إِلى ضعف الولد وضعف الأُم معه، ويحتمل أَنه أَشار إِلى تدرُّج حالها في زيادة الضَّعف، كأَنه لم يعيِّن ضعْفين، بل كأَنه قال: حملته أُمه والضعف يتزَيَّد بعد الضعف إِلى أَن ينقضي أمره(٢).

وقرأَ عيسى الثقفي: (وَهَناً عَلَى وَهَنٍ) بفتح الهاءِ، ورويت عن أَبي عمرو(٣).

وهما بمعنى واحد.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾.

وقرأَ الحسن، وأَبو رجاءٍ، والجحدري، ويعقوب: (وَفَصْلُهُ) (٤).

وأَشار بالفِصَال إِلى تحديد مُدَّة الرضاع، فَعبَّر عنه بغايته ونهايته، والناس مجمعون [على العامين](٥) في مدة الرضاع في باب الأَحكام والنفقات(٦).

وأَما في تحريم اللبن فحددت فرقة بالعامَيْن لا زيادة ولا نقص(٧).

---

(١) في المطبوع: «أبوك»، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨)، بنحوه.

(٢) في المطبوع والسليمانية: «أَمدُه».

(٣) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (٢/ ١٦٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٧٨)، لعيسى ولرواية أحمد بن موسى عن أبي عمرو، ورواها ابن مقسم، وأبو معمر عن عبد الوارث وابن موسى عن أبي عمرو، كما في الكامل في للهذلي (ص: ٦١٧).

(٤) وهي شاذة هنا، عزاها لهم في المحتسب (٢/ ١٦٧)، وهي في (الأحقاف) عشرية ليعقوب.

(٥) سقطت من أصول المطبوع، قال في الحاشية: زيادة من القرطبي الذي نقل هذه الفقرة من كلام ابن عطية كاملةً.

(٦) انظر نقل الإجماع الذي حكاه المؤلف في: تفسير القرطبي (١٤/ ٦٤).

(٧) قال بذلك جمهور العلماء؛ منهم أبو يوسف ومحمد بن الحسن، كما في المبسوط للسرخسي (٥/ ١٣٦)، =

وقالت فرقة: العامان وما اتصل بهما من الشهر ونحوه إِذا كان متَّصل الرضاع في حكم واحد يحرم[١].

وقالت فرقة: إِن فُطم الصبي قبل العامين ونزل[٢] اللبن؛ فإِن ما شرب بعد ذلك في الحولين لا يحرم[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ﴾ يحتمل أَن يكون التقدير: بأَن اشكر، ويحتمل أَن تكون مفسرة، [لما قبلها][٤] وقال سفيان بن عُيَيْنة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في دبر الصلوات فقد شكرهما[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ توعُّد أَثناءَ الوصيَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ الآية؛ رُوي أَن هاتين الآيتين نزلتا في شأْن سعد ابن أَبي وقَّاص، وذلك أَن أُمه ـ وهي حَمْنَةُ بنتُ أَبي سفيان بن أُميَّة[٦] [لمّا أسلم][٧] ـ حلفت أَلَّا تأْكل ولا تشرب حتَّى يفارق دينه ويرجع إِلى دين آبائه وقومه، فلجَّ سعد في

= والشافعي كما في الحاوي للماوردي (١١/ ٣٦٧)، وأحمد كما في المغني (٨/ ١٤١)، ومالك والأوزاعي والثوري وإسحاق وأبو ثور كما في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ١٩٨).

(١) قال بذلك مالك، كما في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ١٩٨).

(٢) في فيض الله والسليمانية: «ترك».

(٣) قال بذلك أبو حنيفة، كما في بدائع الصنائع (٤/ ٧٠٦)، وفتح القدير (٣/ ٣٠٨-٣٠٩).

(٤) من أحمد٣.

(٥) تفسير الثعلبي (٧/ ٣١٣).

(٦) الأكثر أنها بنت سفيان، وهو أخو أبي سفيان ابني أمية الأكبر، انظر، الطبقات الكبرى (٣/ ١٣٧)، ونسب قريش (ص: ٢٦٣)، وطبقات خليفة بن خياط (ص: ٤٥)، وأنساب الأشراف (١٠/ ١١)، والإصابة (٣/ ٦٢)، وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ٧٩) أنها بنت طليق بن سفيان، وأخوها حكيم بن طليق، كان من المؤلفة قلوبهم، وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ١٣٠)، وأسد الغابة (٢/ ٤٥٢): وقيل: حمنة بنت أَبِي سفيان.

(٧) من فيض الله، وهي في السليمانية ملحقة في الهامش.

الإِسلام، [وكانت هي إذا أفرط عليها الجوع والعطش شحوا فاها][(١)]، ويروى: شَجَرُوا؛ أَي: فتحوه بعود ونحوه وصبوا ما يرمقها، فلما طال ذلك ورأَت أَن سعداً لا يرجع أَكلت، ففي هذه القصة نزلت الآياتُ، قاله سعد بن أَبي وقَّاص[(٢)] والجماعة من المفسرين.

قال القاضي أَبو محمد: وواطأَت الآية الأُولى الأَمر بِبِرِّ الوالدين وتعظيمه[(٣)]، ثم حَكَمَ بأَنَّ ذلك لا يكون في الكفر والمعاصي، وجُمْلة هذا الباب: أَن طاعة الأَبوين لا تُراعى في ركوب كبيرة، ولا في ترك فريضة على الأَعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات، ويُستحسن في ترك الطاعات الندب، ومنه أَمر الجهاد الكفاية[(٤)]، والإِجابة للأم في الصلاة مع إِمكان الإعادة، على أَن هذا أَقوى من الندب، لكن يُعَلَّل بخوف هلكة عليها ونحوه مما يبيح قطع الصلاة فلا يكون أَقوى من الندب، وخالف الحسن في هذا الفصل[(٥)]، فقال: إِنْ منعته أُمه من شهود العشاءِ الآخرة شفقة فلا يطعها[(٦)].

وقوله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾؛ يعني: الأَبَوَيْن الكافرين؛ أَي: صلهما بالمال، وادْعهما برفق، ومنه قول أَسماءَ بنت أَبي بكر للنبي ﷺ ـ وقد قدمت عليها خالتُها، وقيل: أُمها من الرضاعة ـ فقالت: يا رسول الله، إِن أُمِّي قد قدمت عليَّ وهي راغبة، أَفَأَصِلُها؟ قال: «نعم»[(٧)]، وراغبة، قيل: معناه: عن الإِسلام.

---

(١) في المطبوع: «ويروى أَنها كانت إِذا أَجهدها العطش شَجُّوا فاها».

(٢) في إسناده لين واختلاف، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٨)، وغيره من طريق: سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، وروي عن سماك بن حرب، قال: قال سعد بن مالك.

(٣) في المطبوع: «وحكمه».

(٤) للتوسع في ذلك انظر الفروق للقرافي (١/ ١٤٤-١٤٥، ١٥٠)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٨٧).

(٥) في المطبوع: «التفصيل».

(٦) انظر كلام الحسن وما ذكره المؤلف من جواز أن يقطع الولد الصلاة إذا دعته أمه في تفسير القرطبي (١٤/ ٦٤).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٨٣)، ومسلم (١٠٠٣).

قال القاضي أَبو محمد: والأَظهر عندي: أَنها راغبة في الصلة، وما كانت لِتَقْدَمَ على أَسماءَ لولا حاجتها، ووالدة أَسماءَ هي قُتَيْلَة بنت عبد العُزَّى بن [عبد أَسعد][١]، وأُم عائشة وعبد الرحمن هي أُم رُومان قديمة الإِسلام[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ وصيَّةٌ لجميع العالم، كأَنَّ المأْمور الإِنسان.

و﴿أَنَابَ﴾ معناه: مال ورجع[٣] إِلى الشيءِ، وهذه سبيل الأَنبياءِ والصالحين.

وحكى النَّقَّاش أَن المأْمور سعد، والذي أَناب أَبو بكر، وقال: إِن أَبا بكر لما أَسلم أَتاه سعد، وعبد الرحمن بن عوف، [وعثمان، وطلحة][٤]، وسعيد، والزُّبير، فقالوا: آمنت؟ قال: نعم، فنزلت فيه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩]، فلما سمعها الستَّة آمنوا، فأَنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾... إِلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾[٥].

ثم توعَّد تعالى بالبعث من القبور، والرجوع للجزاءِ، والتوقيف على صغير الأَعمال وكبيرها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ / يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾. [٤/ ١٩١]

المعنى: وقال لقمان: يا بُنَيَّ، وهذا القول من لقمان إِنما قصد به إِعلام ابنه بقدر

---

(١) في أحمد٣: «سعيد»، وفي نجيبويه: «أسعد» دون: «عبد».
(٢) انظر تفصيل أبناء أبي بكر وأمهاتهم في الطبقات الكبرى (٣/ ١٦٩) لابن سعد.
(٣) «مال»: ليست في المطبوع.
(٤) في الحمزوية: «عثمان بن طلحة»، وسقط: «عثمان» من فيض الله.
(٥) (الزُّمَر الآيتان: ١٨، ١٧)، وهذا الأثر لم أقف عليه.

قُدرة الله تعالى، وهذه الغاية التي أَمكنه أَن يفهِّمه؛ لأَن الخَرْدَلَة يقال: إِنَّ الحِسَّ لا يُدْرِك لها ثقلاً؛ إِذ لا ترجح ميزاناً، وقد نطقت هذه الآية بأَن الله تعالى قد أَحاط بها علماً.

وقوله تعالى: ﴿مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ عبارة تصلح للجواهر؛ أَيْ: قدْر حبة، وتصلح للأَعمال؛ أَي: ما زِنَتُه على جهة المماثلة قدر حبَّة، فظاهر الآية أَنه أَراد شيئاً من الأَشياءِ خفيّاً قدر حبة.

ويؤيد ذلك ما روي من أَن ابن لقمان سأَل أَباه عن الحبة تقع في مَقْل[1] البحر، أَيعلمها الله؟ فراجعه لقمان بهذه الآية.

وذكر كثير من المفسرين أَنه أَراد الأَعمال: المعاصي والطَّاعات، ويؤيد ذلك قوله: ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾؛ أَي: لا يفوت، وبهذا المعنى يتحصل في الموعظة ترجية وتخويف منضاف[2] ذلك إِلى تَبْيين قدرة الله تعالى، وفي القول الآخر ليس ترجية ولا تخويف.

ومما يؤيد قول من قال: هي من الجواهر: قراءَة عبد الكريم الجزري[3]: (فَتكِنُّ) بكسر الكاف وشد النون[4]، من الكِنِّ الذي هو الشيءُ المغطَّى.

وقرأَ جمهور النَّاس: ﴿إِن تَكُ﴾ بالتَّاءِ من فوق ﴿مِثۡقَالَ﴾ بالنصب على خبر «كان»، واسمُها مضمر تقديره: مسأَلتُك ـ على ما رُوي ـ أَو: المعصية أَو الطاعة على القول الثاني، [ولهذا المقدر][5]، هو الضمير في: ﴿إِنَّهَآ﴾.

---

(١) في المطبوع والسليمانية: «مثل».

(٢) في المطبوع: «فيضاف»، وفي أحمد٣: «مضاف».

(٣) في أحمد٣: «الحروري»، وهو عبد الكريم بن مالك الجزري أبو سعيد الحراني مولى بني أمية، روى عن ابن المسيب وابن جبير، وعنه الثوري ومالك وابن جريج وابن عيينة، كان ثبتاً، وثقه النسائي ووصفه بالحفظ، مات سنة (١٢٧هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ١٦٧).

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٨) لابن السميفع، وعزا للجزري هو وابن جني في المحتسب (٢/ ١٦٨) تخفيف النون.

(٥) ليس في المطبوع، وفيه: «والضمير في ﴿إِنَّهَآ﴾ ضمير القصة».

وقرأَ نافع وحده بالتاءِ أيضاً، ﴿مِثْقَالُ﴾ بالرفع، على اسم «كان»، وهي التَّامَّة، وأَسند إِلى المثقال فعلاً فيه علامة التأْنيث من حيث انضاف إِلى مؤنث هو منه، وهذا كقول الشاعر:

[الطويل]

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[١]

وهي قراءَة الأَعرج وأَبي جعفر[٢].

وقوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾، قيل: أَراد الصخرة التي عليها الأَرض والحوت والماءُ، وهي على ظهر مَلك، وقيل: هي صخرة في الريح.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا كله ضعيف، لا يُثْبته سند، وإِنما معنى الكلام المبالغة والانتهاءُ في التفهيم؛ أَي: إِنَّ قدرته تنال[٣] ما يكون في تضاعيف صخرة، وما يكون في السماءِ وفي الأَرض.

وقرأَ قتادة: (فَتَكِنْ) بكسر الكاف والتخفيف[٤]: من: وَكَن يَكِنُ، وتقدمت قراءَة عبد الكريم (فَتَكِنُّ).

وقوله: ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾، إِن أَراد بها الجواهر؛ فالمعنى: يأْتِ بها إِن احتيج إِلى ذلك، أو كانت رزقاً ونحو هذا، وإِن أَراد الأَعمال؛ فمعناه: يأْت بذكرها وحفظها، فيجازي عليها بثواب أَو بعقاب.

و﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ صفتان لائقتان بإِظهار غرائب القدرة.

ثم وصَّى ابنه بِعُظْم الطَّاعات، وهي الصلاة والأَمْرُ بالمعروف والنهي عن

---

(١) البيت لذي الرُّمَّة، وقد سبق الاستشهاد به في تفسير الآية (١٣) من سورة البقرة.

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥١٣)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، ولم يختلفوا في ﴿تَكُ﴾ أنها بالتاء.

(٣) في المطبوع: «مثال».

(٤) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١١٨)، وتقدم عزوها لعبد الكريم الجزري.

المنكر، وهذا إِنما يريد به بعد أَن يَمْتَثِل هو في نفسه[١]، ويَزْدَجِرَ عن المنكر، وهنا هي الطَّاعات والفضائل أَجمع.

وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ يقتضي حضّاً على تغيير المنكر وإِن نالك ضرر، فهو إِشعارٌ بأَنَّ المغيِّر يؤْذَى أَحياناً، وهذا القدر هو على جهة الندب والقوة في ذات الله عزَّ وجلَّ، وأَمَّا على اللزوم فَلا[٢].

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [يحتمل أن يريد][٣]: مما عزمه اللهُ وأَمر به، [قاله ابن جريج][٤]، ويحتمل أَن ذلك من مكارم الأَخلاق وعزائِم أَهل الحَزْم السالكين طريقَ النجاة، والأَول أَصوب، وبكليهما قالت طائفة.

وقرأَ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وابن محيصن: ﴿ولا تصَاعِرْ﴾.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، والحسن، ومجاهد، وأَبو جعفر: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾[٥].

وقرأَ الجحدري: (ولا تُصْعِرْ) بسكون الصاد[٦]، والمعنى متقارب.

و«الصَّعَر»: المَيْل، ومنه قول الأَعرابي: وقد أَقام الدهرُ صَعْري بعد أَن أَقمتُ صَعْره[٧].

ومنه قول عمرو بن حُنَيٍّ التَّغْلبي[٨]:

---

(١) في المطبوع: «يقينه».

(٢) للتوسع في درجات تغيير المنكر وأحكامها؛ انظر الإقناع في مسائل الإجماع (٤/ ٢٠٤٩)، والمقدمات لابن رشد (٣/ ٤٢٥).

(٣) في المطبوع بدله: «معناه».

(٤) سقط من المطبوع، وانظر تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٣).

(٥) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥١٣)، والنشر (٢/ ٣٤٦)، وزاد: يعقوب.

(٦) وهي شاذة، عزاها له وللحسن الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٧٨).

(٧) أمالي القالي (١/ ١٤)، والعقد الفريد (٢/ ٣٦٧).

(٨) سقطت من السليمانية، وكتبت في الأصل والحمزوية ونجيبويه: «الثعلبي»، وهو فارس جاهلي.

[الطويل] وكُنَّا إِذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمِ[١]

أَي: فتَقَوَّمْ أَنْتَ، قاله أَبو عبيدة[٢]، وأَنشده الطبري[٣]: (فَتَقَوَّما)[٤]، وهو خطأٌ؛ لأَن قافية الشعر مخفوضة[٥]، وفي بيت آخر:

[الطويل] .... أَقَمْنَا لَهُ مِنْ خَدِّهِ المُتَصَعِّرِ[٦]

فمعنى الآية: ولا تمل خدَّك للناس كبراً عليهم، ونخوة[٧] وإِعجاباً، واحتقاراً

---

(١) انظر عزوه له في معجم الشعراء (ص: ٢٠٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٢٧)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٤٣)، وعلى أنه بالفتح، فينسب للمتلمس، وهو البيت التاسع من قصيدة من نحو عشرين بيتاً في آخر الأصمعيات (ص: ٢٤٦)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤٣٢)، وانظر أيضاً جمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦)، وغريب الحديث للخطابي (١/ ٣٥١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ٣٧٦)، والصحاح للجوهري (١/ ٤٩)، ونسبه في تفسير الماوردي (٤/ ٣٣٩) بالفتح لعمرو بن كلثوم، وجاء صدره في أساس البلاغة (١/ ٢٣٤) لجرير، وعجزه عنده: ضربناه حتى تستقيم الأخادع، ومثله لابن ثابت في الدلائل (٣/ ١٠٠٧)، والموازنة (ص: ٢٧١) والحماسة المغربية (١/ ٦٣٣) منسوباً للفرزدق، وكذا في المحكم (٦/ ٧٤٨)، والمخصص (٤/ ٤٨٢)، إلا أن العجز عنده: ضَرَبْنَاهُ دون الأنثيين على الكرد، وكذا في شرح أدب الكاتب (ص: ٢٤٧)، والمرزباني في الموشح (ص: ١٤٢)، وذكر رواية أخرى في صدره.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٢٧)، إلا أنه كتب في المطبوع: «فتقوما»، بالألف.

(٣) في المطبوع: «أَبو عبيدة».

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٣)، وفي أحمد٣: «بالنصب»، بدل: «فتقوما».

(٥) وقد ورد الشعر في معجم الشعراء للمرزباني (ص: ٢٠٧):

نعاطي الملوك الحق ما قصدوا بنا وليس علينا قتلهم بمحرم

أنفت لهم من عقل عمرو بن مرثد إذا وردوا ماء ورمح ابن هرثم

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوم

قال: يريد: فتقوم أنت، ثم قال: وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التي أولها:

يعيرني أمي رجال ولن ترى أخا كرم إلا بأن يتكرما

(٦) استشهد به بلا نسبة: تفسير القرطبي (١٤/ ٦٩)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٧).

(٧) سقطت من المطبوع.

لهم، وهذا هو تأْويل ابن عباس[١] وجماعة.

ويحتمل أَن يريد أَيضاً الضد؛ أَي: ولَا تصاعر خدك سؤالاً ولا ضراعة بالفقر، والأَول أَظهر؛ بدلالة ذكر الاختيال والفخر بعده.

وقال مجاهد: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾: أَراد به الإِعراض [هجرة بسبب إِحْنة][٢].

و«المَرَحُ»: النَّشاط، و«المَشْيُ مَرَحاً»: هو في غير شغل ولغير حاجة، وأَهل هذا الخُلق ملازمون للفخر والخُيَلَاءِ، فالمَرِح مُخْتال في مشيته.

وقد قال ﷺ: «مَنْ جرَّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إِليه يوم القيامة»[٣]، وقال: «بينما رجل من بني إِسرائيل يجُرُّ ثوبه خُيَلاء خسف الله[٤] به، فهو يتجلجل في الأَرض إِلى يوم القيامة»[٥].

وقال مجاهد: «الفَخور»: هو الذي يعدد ما أُعطي ولا يشكر الله تعالى.

قال[٦] القاضي أبو محمد: وفي اللفظ الفخر بالنسب وغير ذلك.

ولما نهاهُ عن الخُلُق الذميم رسم له الخُلُق الكريم الذي ينبغي أَن يستعمله، من القَصْدِ في المَشْي، وهو أَلَّا يتخرق في إِسراع، ولا يُرائي في إِبطاءٍ وتضاؤُل، وعلى نحو ما قال القائل:

كُلُّنَا يَمْشِي رُوَيْدْ كُلُّنَا يَطْلُبُ صَيْدْ [الرجز]
غَيْرَ عَمْرِو بن عُبَيْدْ[٧] ....

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٤) وغيره، من طريق علي بن أبي طلحة وعطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس.
(٢) في المطبوع: «وهجره بسبب أخيه»، وانظر تفسير مجاهد (ص: ٥٤٢)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٤٤)، واللفظ فيهما: هو الصدود والإعراض بالوجه عن الناس، وفي الطبري (٢٠/ ١٤٥): الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة، فيراه فيعرض عنه.
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، (٥٧٨٣)، (٥٧٨٤)، ومسلم (٢٠٨٥).
(٤) اسم الجلالة من المطبوع.
(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٨٥)، (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).
(٦) اقتصر عليها في المطبوع، وذلك يوهم أن المقول من بقية كلام مجاهد.
(٧) الأبيات مروية عن المنصور في عمرو بن عبيد، انظر العقد الفريد (٣/ ١٠٩).

[٤/ ١٩٢] / وأَلَّا يمشي مختالاً متبختراً، ونحو هذا مما ليس بقصد.

وغَضُّ الصوت أَوْفر للمتكلم، وأَبسط لنفس السامع وفهمه، ثم عارض متمثِّلاً بصوت الحمير على جهة التشبيه؛ أَي: تلك هي التي بعُدت عن الغَضِّ، [فهي أَنكر الأَصوات، فكذلك كل ما بعُد عن الغَضِّ][١] من أَصوات البشر فهو في طريق تلك.

وفي الحديث: «إِذا سمعتم نهيق الحمير فتعوَّذوا بالله من الشيطان؛ فإِنها رأَت شيطاناً»[٢].

وقال سفيان الثوري: صياح كل شيءٍ تسبيح، إِلَّا صياح الحمير[٣].

وقال عطاءٌ: صياح[٤] الحمير دعاءٌ على الظَّلَمة[٥].

وأَنْكَرُ معناه: أَقبح وأَوحش، وأَنْكَرُ عبارة تجمع المذامَّ اللاحقة للصوت الجهير، وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير، على خُلُق الجاهلية، ومنه قول الشاعر [يمدح آخر][٦]:

[المتقارب]

جَهِيرُ الْكَلَام جَهِيرُ العُطَاسِ   جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّغَمْ
ويَعْدُو عَلَى الأَيْنِ عَدْوَ الظَّلِيم   ويَعْلُو الرِّجَالَ بخَلْقٍ عَمَمْ[٧]

فنهى الله تعالى عن هذه الخلق الجاهلية.

---

(١) من المطبوع وفيض الله والسليمانية.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٩)، وغيره.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٠)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٣١٦).

(٤) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه: «نهيق».

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٧٢)، ونقله تفسير الماوردي (٤/ ٣٤١) عن بشر بن الحارث.

(٦) سقط من المطبوع والحمزوية.

(٧) الأبيات لبعض الأعراب في مدح هارون الرشيد، كما في العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ٣٣٥)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٢١)، وأساس البلاغة (١/ ١٥٣)، وسماه الجاحظ في البيان والتبيين (١/ ١٢١) العماني.

وقوله: ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أراد بالصوت اسم الجنس، ولذلك جاءَ مفرداً.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (أنكر الأصوات أصوات الحمير) بالجمع في الثاني دون لام[١].

و«الغَضُّ»: ردُّ طَفَحان الشيءِ، كالنَّظر، وزمام الناقة، والصوت، وغير ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾.

هذه آية تنبيه على الصنعة الدالة على الصانع، وذلك أَن تسخير هذه الأُمور العظام، كالشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والحيوان والنبات؛ إِنما هو لمسخِّرٍ ومالك.

وقرأَ يحيى بن عمارة، وابن عباس: (وَأَصْبَغَ) بالصاد[٢] على بدلها من السين؛ لأن حروف الاستعلاءِ تجتذب السين من سُفلها إِلى عُلوها فتردُّها صاداً.

والجمهور قراءَتهم بالسين.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وحفص عن عاصم، والحسن، والأَعرج، وأبو جعفر، وابن نصاح، وغيرهم: ﴿نِعَمَهُۥ﴾ جمع: نِعْمَةٍ، كسِدْرَةٍ وسِدَر، بفتح الدال[٣].

و«الظاهرة»: هي الصحة وحُسْن الخِلْقَة والمال وغير ذلك، و«الباطنة» المعتقداتُ من الإِيمان ونحوه، والعقلُ.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٨)، وهي فيه بلا لام، لكن لم يصرح بذلك.

(٢) لفظ: «صاداً» ليس في أحمد٣، وهي شاذة، انظر عزوها للأول في المحتسب (٢/ ١٦٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٧٨).

(٣) في هامش السليمانية هنا زيادة: «وقرأ الباقون ﴿نِعَمَهُۥ﴾ على التوحيد»، وهو تكرار لعل ما سيأتي يغني عنه.

قال ابن عباس: الظَّاهرة: الإِسلام وحُسْن الخِلْقَة، والباطنةُ: ما ستر من سيئ العمل[١].

وفي الحديث: قيل لرسول الله ﷺ: قد عرفنا الظَّاهرة، فما الباطنة؟ قال: «سِتْر ما لو رآك الناس عليه لقتلوك»[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ومن الباطنة التنفس والهضم والتغذي وما لا يحُصى كثرة، ومن الظاهرة عمل الجوارح بالطاعة.

قال المحاسبي رحمه الله: الظاهرة: نِعَم الدنيا، والباطنة: نِعم العقبى[٣].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نِعْمَةً﴾ على الإِفراد[٤].

فقال مجاهد: المراد: «لا إِله إِلَّا الله»[٥].

وقال ابن عباس: أَراد الإِسلام[٦].

والظاهر عندي: أَنه اسم جنس، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

ثم عارض بالكفرة مُنَبِّهاً على فساد حالهم، وهم المشار إِليهم بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

---

(١) إسناده جيد، وقد أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠/ ١٤٨)، من طريق حميد الأعرج، عن مجاهد، به مختصراً.

(٢) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه والتركية وفيض الله: «لَمَقَتُوكَ»، ولم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) تفسير الثعلبي (٧/ ٣١٩).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٧)، والنشر (٢/ ٣٤٧).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٠).

(٦) لا بأس به، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٨)، من طريق: حجاج، ثني مستور الهنائي، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، عن ابن عباس.

وقال النقاش: الإِشارة إِلى النضر بن الحارث ونظرائه؛ لأَنهم كانوا ينكرون الله تعالى ويشركون الأَصنام في الأُلوهية، وذلك جدالهم[(١)].

و﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أَي: لم يُعْلمْهم من يُقْبَل قوله، ولا عندهم هُدَى قلْبٍ، ولا نُورُ بصيرة [يُقيمون بها حُجَّة][(٢)]، ولا يتبعون[(٣)] بذلك كتاباً من الله يقر[(٤)] بأَنه وحي، بل ذلك دعوى منهم وتخرُّص، وإِذا دُعوا إِلى اتباع وحي الله رجعوا إِلى التقليد المحض بغير حجة، فسلكوا طريق الآباءِ.

ثم وقف الله تعالى ـ وهم المراد بالتوقيف ـ على اتباعهم دين آبائهم، أَيكون وهو بحال من يصير إِلى عذاب السعير؟ فكأَن القائل منهم يقول: هم يتبعون دين آبائهم ولو كان مصيرهم إِلى السعير، فدخلت أَلف التوقيف على حرف العطف كما كان اتساق الكلام، فتأَمله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾.

لما ذكر الله تعالى حال الكفرة؛ أَعقب ذلك بذكر حال المؤمنين لِيَتَبَيَّنَ الفرقُ، وتتحرَّكَ النُّفوس إِلى طلب الأَفضل.

وقرأَت عامة القراءِ: ﴿يُسْلِمْ﴾ بسكون السين وتخفيف اللام.

---

(١) انظر تفسير الثعلبي (٧/ ٣٢٠)، والهداية لمكي (٩/ ٥٧٣٤).

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) في المطبوع: «يبتغون».

(٤) في المطبوع: «يبشر»، وفي نجيبويه وفيض الله والسليمانية: «ينير».

وقرأَ عبد الله بن مسلم، وأَبو عبد الرحمن: (يُسَلِّمْ) بفتح السِّين وشد اللام[١]، ومعناه: يخلص ويوجه[٢] ويستسلم به.

و«الوَجْهُ» هنا: الجارحة، استُعير للقصد؛ لأَن القاصد للشيءِ فهو مستقبله بوجهه، فاستُعير ذلك للمعاني[٣].

و«المُحْسِن»: هو الذي جمع القول والعمل، وهو الذي شرح رسول الله ﷺ حين سأَله جبريل عليه السلام عن الإحسان[٤].

و«الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى»: هي استعارةٌ للأَمر المنجي الذي لا يخاف عليه استحالة ولا إِخلال، والعُرى: موضع التعليق، فكأَن المؤمن متعلق بأَمر الله تعالى، فشبَّه ذلك بالعُروة.

و﴿ٱلْأُمُورِ﴾: جمع أَمْر، / وليس بالمضاد للنهي. [٤/ ١٩٣]

ثم سلَّى عزَّ وجلَّ نبيَّه عليه السلام عن مَوْجِدَته لكفر قومه وإِعراضهم، فأَمره أَلَّا يحزن لذلك، بل يعمد لما كُلِّفَ من التبليغ ويُرجع الكل إِلى الله تعالى.

وقرأَت فرقة: ﴿يُحْزِنْكَ﴾ من الرباعي، وقرأَت فرقة: ﴿يَحْزُنكَ﴾ من الثلاثي[٥].

وذات الصُّدور ما فيها، والقصد من ذلك: إِلى المعتقدات والآراءِ، ومن ذلك قولهم: الذئب مغبوط بذي بطنه، ومنه قول أَبي بكر الصديق رضي الله عنه: ذو بطن بنت خارجة[٦].

و«المَتَاعُ الْقَلِيلُ»: هو العُمْر في الدنيا.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في مختصر الشواذ (ص: ١١٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٧٨).

(٢) في المطبوع: «وجهه».

(٣) في الأصل: «للمقاصد».

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠) (٤٧٧٧) ومسلم (٨)، وفي المطبوع: «الإِسلام».

(٥) وهما سبعيتان، والأولى لنافع كما تقدم في (آل عمران).

(٦) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (١٤٣٨)، من طريق: ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، وقد تقدم.

و«الْعَذَابُ الْغَلِيظُ» معناه: المغَلَّظ المؤلم.

ثم أَقام عليهم الحُجَّة في أَمر الأَصنام بأَنهم يُقِرُّون بأَن الله تعالى هو خالق المخلوقات، ويدعون[١] مع ذلك إِلهاً غيره، والمعنى: قل الحمد لله على ظهور الحُجَّة عليكم.

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ إِضراب عن مقدر، تقديره: ليست دعواهم بحق، ونحو هذا، وقوله: ﴿أَكۡثَرُهُمۡ﴾ على أَصله؛ لأَن منهم من شذَّ فعَلِم، كزيد بن عمرو ابن نُفيل، وقُس بن ساعدة[٢]، وورقة بن نوفل، ويحتمل أَن تكون الإِشارة أَيضاً إِلى من هو مُعَدٌّ أَن يسلم.

ثم أَخبر على جهة الحكم وفصل القضية بأَن الله عزَّ وجلَّ له ملك السماوات والأَرض وما فيهما؛ أَي: وأَقوال هؤلاءِ لا معنى لها ولا حقيقة.

و﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾[٣]: الذي لا حاجة به في وجوده وكماله إِلى شيءٍ، ولا نقص بجهة من الجهات.

و﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾: المحمود؛ أَي: كذلك هو بذاته وصفاته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٢٧ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾.

رُوي عن ابن عباس أَن سبب هذه الآية: أَن اليهود قالت: يا محمد، كيف عُنينا بهذا القول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٥]، ونحن قد أُوتينا التوراة فيها كلام الله وأَحكامه، وعندك أَنها تِبْيَانُ كل شيءٍ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «التوراة قليل

---

(١) في المطبوع: «يدعو».
(٢) «قس» ليس في المطبوع، وفي الحمزوية: «بشر»، ونسبته من نجيبويه وأحمد٣.
(٣) في المطبوع: «والمعنى».

من كثير»[١]، ونزلت هذه الآية، وهذا هو القول الصحيح، والآية مدنية.

وقال قوم: إِن سبب الآية: أَن قريشاً قالت: سيتم الكلام لمحمد وينحسر، فنزلت هذه الآية.

وقال السُّدي: قالت قريش: ما أَكثر كلام محمد، فنزلت[٢].

قال القاضي أَبو محمد: والغرض منها الإِعلام بكثرة كلمات الله تعالى، وهي في نفسها غير متناهية، وإِنما قرب الأَمر على أَفهام البشر بما يتناهى؛ لأَنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة، وأَيضاً فإِن الآية إِنما تضمنت أَن كلمات الله تعالى لم تكن لتنفد[٣]، وليس تقتضي الآية أَنها تنفد بأَكثر من هذه الأَقلام والبحور.

وقال أبو عليٍّ: المراد بالكلمات ـ والله أعلم ـ: ما في المقدور دون ما خرج منه إِلى الوجود[٤]، وذهبت فرقة إِلى أَن الكلمات هنا إِشارة إِلى المعلومات.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول ينحو إِلى الاعتزال من حيث يرون [في الكلام][٥] أَنه مخلوق، [وهذه الآية بحر نظر][٦]، نوَّر الله تعالى قلوبنا بهداه[٧].

وقرأَ أَبو عمرو وحده من السبعة، وابن أَبي إِسحاق، وعيسى: ﴿وَالْبَحْرَ﴾ بالنصب عطفاً على (مَا) التي هي اسم (أَنّ).

---

(١) في إسناده جهالة، رواه ابن إسحاق، قال: ثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٢)، عن ابن إسحاق، والرجل المكي لا يعرف، ورويت عدة مراسيل في ذات المعنى.

(٢) تابعه تفسير القرطبي (١٤/ ٧٧).

(٣) في المطبوع: «لتنفذ».

(٤) لفظه في الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٥/ ٤٥٨)، المعنى: فكتب ما في تقدير الله لنفد ذلك قبل نفاد المقدور.

(٥) ليس في المطبوع، وزاد في أحمد٣: «وفكرة».

(٦) ليس في المطبوع.

(٧) في الحمزوية: «بهذا».

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾ بالرفع[١] على أنه ابتداءٌ، وخبره في الجملة التي بعده؛ لأَن تقديره: هذه حالُه، كذا قدره سيبويه، وقال بعض النحويين: هو عطف على (أنَّ)؛ لأَنها في موضع رفع بالابتداءِ[٢].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَمُدُّهُۥ﴾، من: مَدَّ.

وقرأَ الحسن ابن أَبي الحسن: (يُمِدُّه) من: أَمَدَّ[٣].

وقالت فرقة: هما بمعنى واحد[٤].

وقالت فرقة: مدَّ الشيءُ بعضه بعضاً، وأَمَدَّ الشيءُ ما ليس منه، فكأَن الأَبْحُر السبعة المتوهَّمة ليست من البحر الموجود.

وقرأَ جعفر بن محمد: (والبحر مِدَادُهُ)، وهو مصدر، وقرأَ ابن مسعود: (وَبَحْرٌ يَمُدُّهُ) [٥].

وقرأَ الحسن: (مَا نفِد كلامُ اللَّهِ) [٦].

ثم ذكر تعالى أَمر الخلْق والبعث أَنه في الجميع وفي شخص واحد بالسواءِ؛ لأَنه كله[٧] بـ «كن» فيكون، قاله مجاهد[٨].

وحكى النَّقَّاش أَن هذه الآية في أُبيٍّ بن خلف، وأَبي الأَسود[٩]، ونبيه ومنبِّه ابني

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٧)، والسبعة (ص: ٥١٣)، وفي الحمزوية: «ابن إسحاق».
(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ٢٨٥).
(٣) وهي شاذة، عزاها له المحتسب (٢/ ١٦٩)، والكرماني في الشواذ (ص: ٣٧٩).
(٤) سقط هذا القول من نجيبويه.
(٥) وهما شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ١٦٩).
(٦) زاد في المطبوع: «تَعَالى»، وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٤٢١).
(٧) في أحمد٣: «كلمه».
(٨) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٣).
(٩) في الحمزوية ونجيبويه: «الأسد»، وفي أحمد٣: «في الجميع وفي شخص واحد، وهو أبي بن خلف، وقيل: أبو الأسود...» إلخ.

الحجاج[١]، وذلك أَنَّهم قالوا: يا محمد، إِنَّا نرى الطفل يُخْلق بتدريج وأَنت تقول: الله يعيدنا دفعة واحدة، فنزلت الآية بسببهم[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾.

هذا تنبيه خُوطب به النبي ﷺ، والمراد به جميع العالم، وهذه عبرة تدل على أَن الخالق المخترع أَن يكون الليل يندرج[٣]، والنهار كذلك، فما قَصُرَ من أَحدهما زاد في الآخر، ثم بالعكس ينقسم الزمان بحكمة بارئ العالم، لا ربَّ غيره.

و﴿يُولِجُ﴾ معناه: يُدخل.

و«الأَجَلُ الْمُسَمَّى»: القيامة التي تنتقض فيها هذه البِنْية، وتُكوَّر الشمس.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ عباس عن أَبي عمرو: (يَعْمَلُونَ) بالياءِ[٤].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾، الإِشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِلى هذه العبرة وما جرى مجراها، ومعنى: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أَي: صفة الأُلوهية له حق، فيحسن في القول تقدير: «ذو»، وكذلك البابُ متى أُخبر بمصدر عن عيْن، فالتقدير: ذو كذا.

و«حَقٌّ» مصدر، ومنه قول الشاعر:

---

(١) في نجيبويه: «وبنيه ومنبه»، وكذا في المطبوع، وفيه: «ابن الحجاج» على الإفراد.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المطبوع والحمزوية: «بتدرج»، وفي نور العثمانية: «بتدريج».

(٤) شاذة، عزاها له في السبعة (ص: ٥١٤)، وزاد في الكامل (ص: ٦١٨): محبوباً، وفي فيض الله: «ابن عباس»، وفي السليمانية: «عياش».

.... فَإِنَّمَا هِـيَ إِقْبَـالٌ وَإِدْبَـــارُ[١] [البسيط]

وهذا كثير، ومتى قلت: كذا وكذا حقٌّ، فإنما معناه: اتِّصافُ كذا بكذا حقٌّ.

وقوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ / مِن دُونِهِ﴾ يصحُّ أَنْ يريد الأَصنام، وتكون ﴿مَا﴾ بمعنى «الذي»، ويكون الإِخبارُ عنها بالباطل على نحو ما قدَّمناه في: ﴿الْحَقُّ﴾، ويصحُّ أَن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، كأَنه قال: وأَنَّ دعاءَكم من دونه آلِهَة الباطل؛ أَي الفعل الذي لا يُؤَدِّي إِلى الغاية المطلوبة به. [٤/ ١٩٤]

وقرأَ الجمهور: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاءِ من فوق، وقرأَ: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياءِ ابنُ وثَّاب، والأَعمش، وأَهل مكة، ورويت عن أَبي عمرو[٢].

وباقي الآية بيِّن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)﴾.

الرُّؤْية في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: رؤْية العين يتركب[٣] عليها النظر والاعتبار، والمخاطَب محمد ﷺ، والمراد النَّاسُ أَجمع.

و﴿الْفُلْكَ﴾: جمعٌ وواحدٌ بلفظ واحد.

وقرأَ موسى بن الزُّبير: (الْفُلُك) بضم اللام[٤].

---

(١) هذا عجز بيت للخنساءِ، صدره: تَرْتَعُ مَا غَفَلَتْ حَتَّى إِذَا ذَكَرَتْ، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٥) من سورة هود.

(٢) تخليط عجيب، وانظر رسالة منهج ابن عطية في القراءات (ص: ٥١٧)، ففيها ما هو أعجب، فالقراءتان سبعيتان، والثانية لأبي عمرو وحمزة والكسائي وحفص، لا خلاف عن أحد منهم فيها، انظر التيسير (ص: ١٥٨)، والسبعة (ص: ٤٤٠)، والنشر (٢/ ٣٢٧).

(٣) في المطبوع: «يترتب».

(٤) وهي شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ١٧٠).

وقوله: ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾[1] يحتمل أَن يريد ما تحمله السفن من الطعام والأَرزاق والتجارات، فالباءُ للإِلْصَاقِ[2].

ويحتمل أَن يريد: بالريح وتسخير الله تعالى البحر ونحو هذا، فالباءُ باءُ السبب.

وقرأَ الجمهور: ﴿بِنِعْمَتِ﴾.

وقرأ الأعرج، ويحيى بن يعمر: (بنعْمات) على الجمع.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (بِنَعِماتِ) بفتح النون وكسر العيْن[3].

وذكر تعالى من صفة المؤمن الصَّبَّار والشَّكور؛ [لأنهما عُظم أخلاقه، والصبر على الطاعات، وعلى النوائب، وعن الشهوات، والشكر][4] على الضَّرَّاءِ والسَّرَّاءِ.

وقال الشعبي: الصَّبْر نصف الإِيمان، والشُّكر نصفه الآخر، واليقين الإِيمان كلُّه[5].

و«غَشِي»: غَطَّى أَو قَارَب، و«الظُّلُ»: السحابُ.

وقرأَ محمد ابن الحنفية: (كالظِّلال)[6].

ومنه قول النابغة الجعدي يصف البحر:

[الوافر] يُمَاشِيهِنَّ أَخْضَرُ ذُو ظِلَالٍ عَلَى حافاتِهِ فِلَقُ الدِّنَانِ[7]

---

(١) في المطبوع: وقوله: «ألم تر».

(٢) في الأصل: «للأرزاق»، وفي نجيبويه ونور العثمانية والسليمانية وفيض الله: «للإلزاق».

(٣) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٩)، وسقطت أولاهما من المطبوع.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥)) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٦)، والهداية لمكي (٩/ ٥٧٣٩).

(٦) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٩).

(٧) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٢٩)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٥٦)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٣٢٢)، وفي الأصل: «على سحاباته».

ووصف تعالى في هذه الآية حالة البشر الذين لا يعتبرون حق العبرة، والمقصد بالآية تَبْيين آية تشهد العقولُ بأَن الأَصنام والأَوثان لا شركة لها فيها ولا مدخل.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾:

قال الحسن: منهم مؤمن يعرف حق الله تعالى في هذه النعم(١).

وقال مجاهد: يريد: منهم مقتصد على كفره؛ أَي: منهم من يسَلِّم لله تعالى ويفهم نحو هذا من القدرة، وإِن ضلَّ في الأَصنام من جهة أَنه يُعَظِّمها بسيرته ونشأته(٢).

و«الْخَتَّارُ»: القبيح الغدْر(٣)، وذلك أَن نِعَم الله تعالى على العباد كأَنها عهودٌ ومِنَنٌ يلزم عنها أَداءُ شكرها، [والعبادة لمُسْدِيها](٤)، فمن كفر بذلك وجحد به فكأَنه خَترَ وخَانَ.

ومن الخَتْر قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

فَـإِنَّـكَ لَـوْ رَأَيْــتَ أَبـا عُمَيْرٍ مَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وخَتْرِ(٥) [الوافر]

وقال الحسن: الخَتَّارُ: هو الغَدَّارُ(٦).

و﴿كَفُورٍ﴾: بناءُ مبالغة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.

---

(١) نقله عنه تفسير الماوردي (٤/ ٣٤٨) بمعناه.

(٢) تابعه في البحر المحيط (٨/ ٤٢٣)، وفي المطبوع: «ولسانه»، وسقط القولان من نور العثمانية.

(٣) في الأصل: «القدر».

(٤) سقط من الأصل، وفي الحمزوية: «لمبتديها».

(٥) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ١٢٩)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٥٧)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٨٥)، وفيه: «خبث»، بدل: «ختر».

(٦) نقله في تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٧)، عنه وعن مجاهد.

﴿يَجۡزِي﴾ معناه: يقضي، والمعنى: لا ينفعه بشيءٍ، ولا يدفع عنه شيئاً.

و﴿هُوَ جَازٍ﴾ جملة في موضع الصفة؛ أَي: ولا يجزي مولودٌ قد كان في الدنيا يجزي.

و﴿ٱلۡغَرُورُ﴾: التَّطميع بما لا يتحصل، والْغَرُورُ: الشيطان، بذلك فسَّر مجاهد والضَّحَّاك[١]، وقال: هو الأَمل والتسويف[٢].

وقرأَ سِمَاكُ بْنُ حَرْب[٣]، وأَبو حيوة: (الغُرُور) بضم الغين[٤].

وقال سعيد بن جُبَيْر: معنى الآية أن تَعْمل المعصية وتَتَمنى المغفرة[٥].

وقرأَ الجمهور: ﴿يَجۡزِي﴾ بفتح الياءِ، من: جَزَى.

وقرأَ عكرمة: (يُجْزَى) بضم الياءِ على ما لم يُسَمَّ فاعله[٦].

وحكى ابن مجاهد قراءَة: (لَا يُجْزِئ) بضم الياءِ والهمز[٧].

وفي رفع ﴿مَوۡلُودٌ﴾ اضطرابٌ من النحاة، قال المهدوي: ولا يكون مبتدأً؛ لأَنه نكرة وما بعده صفة له، فيبقى بغير خبر[٨].

---

(١) انظر قول مجاهد في تفسير مجاهد (ص: ٥٤٣)، ومع قول الضحاك في تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٩).

(٢) العبارة في تفسير ابن جزي (٢/ ١٤٠): وقيل: الأمل والتسويف، وعلى ما هنا يكون الضمير للضحاك خاصة.

(٣) هو سماك بن حرب بن أوس بن خالد أبو المغيرة الذهلي البكري الكوفي، أحد أئمة الحديث، وكان عالماً بالشعر وأيام العرب، فصيحاً، وقال ابن معين: ثقة أسند أحاديث لم يسندها غيره، وضعفه ابن المبارك، توفي سنة (١٢٣هـ)، تاريخ الإسلام (٨/ ١٢٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٠).

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٩).

(٦) وهي شاذة، انظرها في الدر المصون (٩/ ٧٤).

(٧) وهي شاذة عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١١٨) لأبي السمال وآخرين، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٩) لأبان بن تغلب.

(٨) التحصيل للمهدوي (٥/ ٢٤٤).

وقرأ ابن أَبي إِسحاق، وابن أَبي عبلة، ويعقوب: (ولا تغرْنكم) خفيفة النون[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ الآية؛ ذكر النقاش أَن رجلاً سأَل رسول الله ﷺ عن هذه الخمس، ورُوي أَنه سأَل عن بعضها [عن جنين وعما يكسب، ونحو هذا][٢] فنزلت الآية حاصرةً لمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إِلاَّ الله عزَّ وجلَّ، [ذكر ذلك مجاهد][٣]، ولن تجد من المغيبات شيئاً إِلاَّ هذه أَو ما يعيده النظر والتأْويل إِليها[٤].

و﴿عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ مصدرٌ مضاف إِلى مفعول؛ أَي: كلُّ ما شأْنه أَنْ يُعْلَم من أَمر الساعة، ولكن الذي استأْثر الله به هو علم الوقت، وغير ذلك [قد أعلم][٥] ببعض منه.

وكذلك نزول الغيث أَمر قد استأْثر الله عزَّ وجلَّ بتفصيله وعَلِمَ وقته الخاصَّ به.

وأَمْرُ الأَجِنَّة كذلك، وأَفعالُ البشر وجميعُ كسْبهم كذلك، وموضعُ موت كل بشر كذلك الأَصقاع والموضع الخاص بالجسد.

وقرأ ابن أَبي عبلة: (بأَيَّةِ أرض) بفتح الياءِ وزيادة تاءِ تأْنيث[٦].

و﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: صفتان مشابهتان لمعنى الآية.

---

(١) وهي شاذة، عزاها لهم في البحر المحيط (٨/ ٤٢٤)، وليعقوب خاصة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٠)، وليست من طرق النشر.

(٢) ليس في المطبوع، وسقط: «عن جنين» من فيض الله.

(٣) ليس في الأصل، والأثر لم أقف عليه، لكن جاء في تفسير مجاهد (ص: ٥٤٣)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٦٠): جاء رجل من أهل البادية إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد؟ وبلدنا جدبة محل، فأخبرني متى ينزل الغيث، وقد علمت أين ولدت، فأخبرني أين أموت، فأنزل الله هذه الآية، قال مجاهد: وهن مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو.

(٤) سقطت من المطبوع، وفيه: «يفيده النظر».

(٥) في المطبوع: «فذا علم».

(٦) وهي شاذة عزاها له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٨٠).

وقال ابن مسعود: كلُّ شيءٍ أُوتي نَبِيُّكُم إِلَّا مفاتيح الخمس، ثم تلا الآية[١].

وقرأ: ﴿ويُنْزِلُ الغيث﴾ خفيفةً أَهلُ الكوفة، وأَبو عمرٍو، وعيسى.

وقرأ: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتثقيل نافع، وأَبو جعفر، وعاصم، وشيبة[٢].

وذكر أَبو حاتم في ترجيح التثقيل رؤيا[٣].

كمل تفسير سورة لقمان، والحمد لله ربِّ العالمين[٤].

* * *

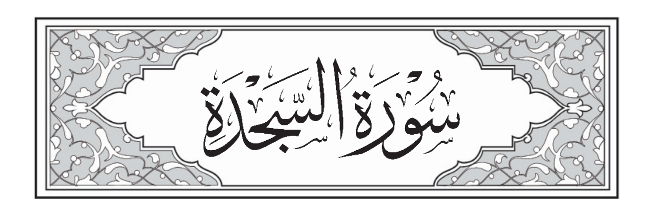
---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٦١)، من طريق: مسعر، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عنه، وعبد الله هذا إلى الضعف أقرب.

(٢) وهما سبعيتان، التخفيف لابن كثير وأبي عمرو على قاعدتهما ووافقهما هنا حمزة والكسائي، والتثقيل للباقين، انظر التيسير (ص: ٧٥).

(٣) في المطبوع: «رأْياً»، ولم أقف على هذه الرؤيا.

(٤) من المطبوع ونجيبويه، وفي الحمزوية: «الحمد لله على ذلك حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

/ تفسير سُورة السَّجدة

[٤/ ١٩٥]

هذه السُّورة مكيَّة غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة، [وهي قوله][(١)]: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ﴾ إلى تمام ثلاث آيات، ويأْتي تفسيرها][(٢)].

وقال جابر بن عبد الله: ما كان رسول الله ﷺ ينام حتى يقرأَ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ «السجدة»، و﴿تَبَٰرَكَ﴾ «الملك»[(٣)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

---

(١) في أحمد٣: «أولهن».

(٢) ساقط من أحمد٣.

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٤٣٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٠٩)، وغيرهما من طريق: ليث ـ وهو ابن أبي سليم ـ عن أبي الزبير، عن جابر به مرفوعاً، ورواه كرواية ليث: المغيرة بن مسلم الخراساني، أخرجه النسائي في الكبرى (١٧٨)، لكن رواه النسائي عقب ذلك من طريق: زهير قال سألت أبا الزبير أسمعت جابراً يذكر أن نبي الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: «ألم تنزيل» و«تبارك» قال: ليس جابر حدثنيه، ولكن حدثني صفوان أو أبو صفوان، وذكر هذا الدارقطني في العلل (١٣/ ٣٤٠)، ثم قال: قول زهير أشبه بالصواب من قول ليث، ومن تابعه. اهـ، وفي فيض الله والسليمانية: «تبارك الذي بيده الملك».

ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿تَنزِيلُ﴾: يصح أَن يرتفع بالابتداءِ، والخبر ﴿لَا رَيْبَ﴾، ويصح أَن يرتفع على أَنه خبر ابتداءٍ، وهو: إِمَّا الحروف[1] المشار إِليها على بعض الأَقوال في أَوائل السُّور، وإِمَّا: ذلك تنزيل، أَو نحو هذا من التقدير بحسب [القول في][2] الحروف.

وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أَي: هو هكذا في نفسه، ولا يراعى ارتياب الكفرة، وقوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ متعلق بـ ﴿تَنزِيلُ﴾، ففي الكلام تقديم وتأْخير.

ويجوز أَن يتعلق بقوله: ﴿لَا رَيْبَ﴾؛ أَي: لا شكَّ فيه من جهة الله تعالى، وإِن وقع شكٌّ للكفرة فذلك لا يُراعى.

و«الرَّيْبُ»: الشَّكُّ، وكذلك هو في كل القرآن إِلَّا قوله: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ إِضرابٌ، وتقديره[3] كأَنه قال: بَل أَيقولون.

و﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلقه، ثم ردَّ تعالى على مقالتهم هذه، وأَخبر أَنه الحق من عند الله تعالى.

واللام في قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾ يجوز أَن تتعلق [بما قبلها، ولا يجوز الوقف على قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

ويجوز أَن يتعلق][4] بفعل مضمر تقديره: أَنزله لِتُنْذر، فيوقف حينئذ على قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾؛ أَي: لم يباشرهم، ولا رأَوْه هم ولا آباؤُهم العرب، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] يَعُمُّ من بُوشر من النُّذر

---

(١) ليست في أحمد٣.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) ساقط من المطبوع.

ومن يُسمع به، فالعرب من الأُمم[١] التي خلَت فيها النُّذُر على هذا الوجه؛ لأَنها علمت بإِبراهيم وبَنِيه ودعوتِهم، وهم ممن لم يأْتهم نذيرٌ مباشر لهم سوى محمد ﷺ.

وقال ابن عباس، ومقاتل: المعنى: لم يأْتِهم نذيرٌ في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ[٢].

وقوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يقضي بأَن يوماً من أَيام الجمعة بقي لم يُخلق فيه شيءٌ، وتظاهرت الأَحاديث الصحاح أَن الخلق ابتدأَ يوم الأَحد، وخلق آدم يوم الجمعة آخر الأَشياءِ، فهذا مستقيم مع هذه الآية، ووقع في كتاب مسلم: أَن الخلق ابتدأَ يوم السبت[٣]، فهذا يخالف الآية، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَن يكون أَراد في الآية جميع الأشياءِ غير آدم عليه السلام، ثم يكون يوم الجمعة هو الذي لم يُخلق فيه شيءٌ مما بين السماءِ والأَرض؛ لأَن آدم لم يكن حينئذ مما بينهما.

وقد تقدم القول في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بما فيه كفاية.

و﴿ثُمَّ﴾ في هذا الموضع لترتيب الجمل، لا[٤] لأَن الاستواءَ كان بعد أَن لم يكن، وهذا على المختار في معنى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾.

ونفْيُ الشفاعة محمولٌ على أَحد وجهين: إِمَّا نفيٌ عن الكَفَرَة، وإِمَّا نَفْي الشفعاءِ من ذاتهم على حدِّ شفاعة الدنيا؛ لأَن شفاعة الآخرة إِنما هي بعد إِذن من الله تعالى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾.

---

(١) في الأصل: «فالعرب من الأمة من العرب».

(٢) تفسير الثعلبي (٧/ ٣٢٦)، وقول ابن عباس لم أجده.

(٣) صحيح مسلم (٢٧٨٩)، من حديث عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة كما تقدم، والأصح أن هذا الحديث موقوف على كعب الأحبار، رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه، وأخطأ في رفعه بعض الرواة، كما أشار إلى ذلك البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤١٣-٤١٤).

(٤) ليست في الأصل وفيض الله.

﴿ٱلْأَمْرَ﴾: اسم جنس لجميع الأُمور، والمعنى: ينفذ الله تعالى قضاءَه لجميع ما يشاؤه، ثُمَّ يَعْرُجُ[(١)] إِلَيْهِ خبر ذلك فِي يَوْمٍ من أيام الدنيا مِقْدارُهُ ـ أن لو سير فيه السير المعروف [في الدنيا][(٢)] من البشر ـ أَلف سنة؛ لأَن ما بين السماءِ والأَرض خمس مئة سنة، هذا أحد الأَقوال، [وهو قول مجاهد، وابن عباس[(٣)]، وقتادة، وعكرمة، والضحاك[(٤)].

وقال مجاهد أَيضاً: إِن][(٥)] المعنى أَن الضمير في ﴿مِقْدَارُهُۥ﴾: عائد على التدبير[(٦)]؛ أَي: كأَن مقدار التدبير المنقضي في يوم القيامة أَلفُ سنة لو دبَّرهُ البشر.

وقال مجاهد أَيضاً: المعنى: أَن الله تعالى يُدَبِّر ويُلقي إِلى الملائكة أُمور أَلف سنة من عَدِّنا، وهو اليوم عنده[(٧)]، فإِذا فرغت أَلْقى إِليهم مثلها[(٨)]، فالمعنى: أَن الأُمور تُنَفَّذ عنده لهذه المدة، ثم تصير إِليه آخراً؛ لأَن عاقبة الأُمور إِليه.

وقيل: المعنى: يُدَبِّر الأَمر من السماءِ إِلى الأَرض في مدَّة الدنيا، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ يوم القيامة و[يوم القيامة][(٩)] مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ من عدنا[(١٠)]، وهو على الكفار قدر خمسين أَلف سنة لِهَوْلِهِ وشُنعته حسب ما في سورة (سَأَلَ سَائِلٌ)، وسنذكر [هناك ما فيه من

---

(١) في المطبوع: «يرجع»، وكذلك في الموضع الآتي قريباً.

(٢) من أحمد٣.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٦٧)، من طريق: أبي الأحوص، عن أبي الحارث، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وأبو الحارث هذا أظنه أبو الحارث التيمي الذي يروي عن أم معبد، وعنه أبو الأحوص، المترجم في الكتب، وهو مستور.

(٤) انظر أقوال الثلاثة مع قول مجاهد السابق في تفسير الطبري (٢٠/ ١٦٧).

(٥) سقط من أحمد٣ وفيها بدلًا منه: «وهو قول مجاهد أن...إلخ».

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ١٦٩).

(٧) في الأصل: «من عده».

(٨) نقله في البحر المحيط (٨/ ٤٣١)، وذكره ابن جزي في التسهيل (٢/ ١٤١) بلا نسبة.

(٩) ساقط من أحمد٣.

(١٠) في الأصل: «عندنا»، والمثبت من النسخ الأخرى.

التأْويل والأَقوال إِن شاءَ الله تعالى][١].

وحكى الطبري في هذه الآية عن بعضهم أنه قال: قوله: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ إِلى آخر الآية متعلق بقوله قبل هذا: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ومُتَّصل به؛ أَي: أَن تلك السِّتَّة كل واحد منها من أَلف سنة[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ ضعيف مُكرهةٌ أَلفاظ هذه الآية عليه، رادَّةٌ له الأَحاديثُ التي بينت[٣] أَيام خلق الله تعالى المخلوقات.

وحَكَى أَيضاً عن ابن زيد عن بعض أَهل العلم أن الضمير في ﴿مِقْدَارُهُ﴾ عائد على العروج[٤].

و«العروج»: الصعود، والمعارج: الأَدراج التي يصعد عليها.

وقالت فرقة: معنى الآية: يُدبِّر أَمر الشمس في أَنها تصعد وتنزل في يوم، وذلك قدر أَلف سنة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا أَيضاً ضعيف، وظاهرٌ عودُ الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ على اسم الله تعالى، كما قال: / ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩]، وكما قال: ﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وهذا كله بريءٌ من التَّحيُّز. [٤/ ١٩٦]

وقيل: إِن الضمير يعود على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأَنها قد تُذَكَّر.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالتاءِ.

وقرأَ الأَعمش، والحسن ـ بخلاف عنه ـ: (يَعُدُّونَ) بالياءِ من تحت[٥].

---

(١) ليس في أحمد٣، بل فيها فقط: «وسنذكره».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٦٨): ونقله عن الضحاك.

(٣) في المطبوع: «تُثْبِت».

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٦٩)، وفي أحمد٣: «وحكى أيضاً ابن زيد»، دون لفظة: «عن».

(٥) عزاها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ١١٨)، وزاد في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٤٩) المطوعي، =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾.

قالت فرقة: أَراد بالغيب الآخرة وبالشهادة الدنيا، وقيل: أَراد بالْغيب ما غاب عن المخلوقين، وبالشهادة ما شُوهد من الأَشياءِ، فكأَنه حصر بهذه الأَلفاظ جميع الأَشياءِ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ بفتح اللام على أنه فعل ماضٍ.

ومعنى ﴿أَحۡسَنَ﴾: أَتْقَنَ وأَحكم، فهو حسنٌ من جهة ما هو لِمَقَاصِدِه التي أُريد لها، ومن هذا المعنى قال ابن عباس وعكرمة: ليست اسْتُ القرد بحسنة، ولكنها متقَنة محكمة[1].

والجملة في ﴿خَلَقَهُۥ﴾ يحتمل أَن تكون في موضع نصب صفة لــ ﴿كُلَّ﴾، أَو في موضع خفض صفة لـ﴿شَيۡءٍ﴾.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿خَلْقَهُ﴾ بسكون اللام[2]، وذلك منصوب على المصدر، والضمير فيه إِمَّا[3] عائد على الله تعالى، وإِمَّا على المفعول، ويصح أَن يكون بدلاً من ﴿كُلَّ﴾، وذهب بعض الناس ـ على هذه القراءَة ـ إِلى أَن ﴿أَحۡسَنَ﴾

= وعزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٠)، وزاد يحيى والرفاعي، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٤٣٢)، السملي وابن وثاب.

(١) نقله عنه القرطبي في التفسير (١٤/ ٩٠)، وانظره من روايته عن ابن عباس في تفسير الطبري (٢٠/ ١٧٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥١٦)، والتيسير (ص: ١٧٧).

(٣) ليست في الأصل.

معناها: أَلْهَمَ، وأَن هذه الآية بمعنى قوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]؛ أَي: أَلهم الرجل إِلى المرأَة، والجَمَل إِلى النَّاقة[١]، وهذا قولٌ فيه بُعْد، ورجَّحه الطبري[٢].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَبَدَأَ﴾.

وقرأَ الزهري: (وبدا خلق الإنسان) بأَلف دون همز، وبنصب القاف[٣].

قال أَبو الفتح: ذلك على البدل لا على التخفيف.

قال القاضي أَبو محمد: كأَنه أَبدل [الياء من «بدى» ألفاً][٤].

و«بَدِي» لغة الأَنصار، قال ابن رواحة:

بـاسْـم الإلـــهِ وبِـــهِ بَـدِيـنَـا وَلَــوْ عَـبَـدْنَـا غَـيْـرَهُ شَـقِـينَا[٥] [الرجز]

و﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾: آدم، عدَّد أَمره على بنيه؛ إِذْ خَلْقُه خلْق لهم؛ من حيث هو مُنْسِلهم.

و«النَّسْل»: ما يكون عن الحيوان من الولد، كأَنه مأَخوذٌ من: نَسَلَ الشيءُ: إِذا خرج من موضعه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، ومنه: نَسَلَ ريشُ الطائر: إِذا تساقط.

و«السُّلَالَةُ» من: سُلَّ يُسلُّ؛ فكأَن الماءَ يُسَلُّ من الإِنسان، ومن ذلك قول الشاعر:

فَجَاءَتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيم غَضَنْفَرا سُلَالَةَ فَرْجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينِ[٦] [الطويل]

---

(١) سقطت «إلى» من أحمد٣ في الجملتين.

(٢) بقوله في التفسير (٢٠/ ١٧٢): لأن ذلك أظهر معانيه.

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه المحتسب (٢/ ١٧٣)، وسقط ذكر أبي الفتح من الأصل، في أحمد٣ بدله: «أبو القاسم».

(٤) في المطبوع: «الأَلف من الهمزة».

(٥) عزاه له في مجاز القرآن (١/ ٢٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠١٩)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٧٩)، والروض الأنف (٦/ ٢٠٢).

(٦) البيت لحسَّان بن ثابت، كما في مجاز القرآن (٢/ ٥٦).

و«المهين»: الضعيف، مهن الإنسان: إذا ضعف وذل.

وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ﴾ عبارة عن إِفَاضة الروح في جسد آدم[١].

والضمير في ﴿رُّوحِهِۦ﴾ لله تعالى، وهي إِضافة مِلْكٍ إلى مَالِكٍ، وخَلْقٍ إِلى خَالق.

ثم أَظهر تعديد النعم عليهم في أَن خصَّهم في قوله: ﴿لَكُمُ﴾ بضمير، [السَّمْع وَالْأَبْصار وَالْأَفْئِدَة وهي لمن تقدم ذكره أيضاً][٢] كما خصَّ آدم بالتَّسوية ونفخ الروح، وهو لجميع ذرِّيته، وهذا كله إيجاز[٣] واقتضاب وتَرْكٌ لما يدل عليه المنطوق به.

ويحتمل أَن يكون ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ في هذه الآية اسم الجنس.

وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف وهو في موضع الحال حين يحذف الموصوف به.

والضمير في ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ للكفار الجاحدين البعثَ من القبور، المستبعدين لذلك دون حجة ولا دليل، وموضع ﴿أَءِذَا﴾ نصب[٤] بما في قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأَن معناه: لنعاد[٥].

واختلف القراءُ في ﴿أَءِذَا﴾[٦]، وقد تقدم [استيعاب ذكره في غير هذا الموضع][٧].

وقرأَ جمهور القُرَّاءِ: ﴿ضَلَلْنَا﴾ بفتح اللام.

وقرأَ ابن عامر، وأَبو رجاءٍ، وطلحة، وابن وثاب: (ضَلِلْنَا) بكسر اللام[٨].

---

(١) في المطبوع: «ابن آدم».

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «تجاوز».

(٤) سقطت من الأصل.

(٥) في أحمد٣: «المعاد».

(٦) كتبت في أحمد٣: «إنذارٍ».

(٧) سقط من أحمد٣.

(٨) عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١١٩) لابن وثاب، ومكي في الهداية (٩/ ٥٧٥٣) لطلحة وأبي رجاء، وليس لابن عامر هنا شيء.

والمعنى: تَلِفْنَا وتقطَّعت أَوْصالُنَا فذهبنا حتى[١] لم نوجد، ومنه قول الأَخطل:

كُنْتَ القَذى في مَوجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلَالا[٢] [الكامل]

ومنه قول النابغة:

فَآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وغُودِرَ بالْجَولَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ[٣] [الطويل]

أَي: مُتْلفوه دفناً، ومنه قول امرئ القيس:

.... تَضِلُّ الْمَدَاري في مُثَنًّى وَمُرْسَلِ[٤] [الطويل]

وقرأَ الحسن البصري: (صَلَلْنَا) بالصاد غير منقوطة وفتح اللام، قال الفراءُ: وتروى عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه[٥]، ومعناه: صِرْنَا من الصَّلَّة، وهي الأَرْض اليابسة الصلبة[٦].

ويجوز أَن يراد به: من التَّغَيُّر، كما يقال: صَلَّ اللَّحْم.

ورويت هذه القراءَة عن ابن عباس، وأَبان بن سعيد بن العاص[٧].

---

(١) في المطبوع: «حيث».

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢/ ٤٩٦)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٩٠).

(٣) يرثي النعمان بن الحارث الغساني، كما في أمالي القالي (١/ ٢٤٧)، وتفسير الطبري (٦/ ٥٠٠)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٤٤)، والمعاني الكبير (٣/ ١٢٠٠)، والحيوان (٣/ ٢٣٦)، وفي نجيبويه: «بالجدثان»، وفي الحمزوية: «بالحرمان»، وفي هامشه: «بالخولان».

(٤) من معلقته، وصدره: غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلا، انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٨)، وأساس البلاغة (١/ ٢٨٥).

(٥) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣١)، وهي شاذة، عزاها لهما كذلك في مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٠).

(٦) ليست في أحمد٣.

(٧) المحتسب (٢/ ١٧٣) إلا أنه جعلها عن الأربعة بكسر اللام وزاد للحسن فتح اللام، وتابعه في البحر المحيط (٨/ ٤٣٤).

وقرأ الحسن أيضاً: (صَلِلْنَا) بالصاد غير منقوطة وكسر اللام[١].

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبو حيوة: (ضُلِّلْنَا)، [بضم الضاد][٢] وكسر اللام وشدِّها[٣].

وقولهم: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: أَئِنَّا لفي هذه الحالة نُعاد ويجدد خلقنا.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ﴾: إضرَابٌ عن معنى استفهامهم، كأنه قال: ليسوا مستفهمين، بل هم كافرون جاحدون بلقاءِ الله تعالى.

ثم أمر تعالى نبيَّه ﷺ أن يخبرهم بجملة الحال غير مفصلة، فبدأ بالإخبار من وقت تفقد روح الإنسان إلى الوقت الذي يعود فيه إلى ربِّه، فجمع الغايتين[٤] الأُولى والآخرة.

و﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾ معناه: يستوفيكم، / ومنه قول الشاعر: [٤/ ١٩٧]

[الرجز] إِنَّ بَني الأَدْرَمِ لَيْسُوا منْ أَحَدْ وَلَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ في الْعَدَدْ[٥]

و﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾: اسمه عزرائيل، وتصرفه كله بأمر الله تعالى وخَلْقِه واختراعِه.

ورُوي في الحديث: أن البهائم كلها يَتَوفَّى الله أَرْواحها دون مَلَك[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٠)، المحتسب (٢/ ١٧٣).

(٢) في المطبوع: «بالصاد غير منقوطة»، وفي أحمد٣: «بالضاد المعجمة مضمومة».

(٣) وهي شاذة، نقلها معجمة عن أبي حيوة في الشواذ للكرماني (ص: ٣٨١)، ومختصر الشواذ (ص: ١١٩)، وأما المهملة فهي أيضا شاذة، نقلها في مختصر الشواذ عن الحسن، دون شد اللام، وعنهما في البحر المحيط (٨/ ٤٣٤) كذلك.

(٤) في المطبوع: «الغائبين»، وهو تحريف.

(٥) البيت لمنظور الزُّبيري كما في تهذيب اللغة (١٥/ ٤١٩)، مجاز القرآن (٢/ ١٣٢)، وفيه بينهما: ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد.

(٦) موضوع، أخرجه العقيلي في الضعفاء (٤/ ٣٢١-٣٢٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٣/ ٣٠٠)، وذكره غير واحد في الموضوعات، راجع موضوعات ابن الجوزي (٣/ ٢٢٢)، ولسان الميزان (٦/ ٢٢٧)، والسلسلة الضعيفة (٦١١٤).

قال القاضي أَبو محمد: كأَنه يعدم حياتها، وكذلك الأَمر في بني آدم؛ إِلَّا أَنه نوع شُرِّف بتصرف مَلَك وملائكة معه في قبض أَرواحهم، وكذلك أَيضاً غلظ العذاب على الكافرين في ذلك.

ورُوي عن مجاهد أَن الدنيا بين يَدَيْ ملَك الموت كالطست بين يدي الإِنسان، يأْخذ من حيث أُمر[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ تعجيب لمحمد ﷺ وأُمَّته من حال الكفرة ومما حلَّ بهم، وجواب «لَوْ» محذوف؛ لأَن حذفه أَهول؛ إِذْ يُتْرك الإِنسان فيه مع أَقصى تخيُّله.

و﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ هم الكافرون؛ بدليل [التوعد بالنار، وبدليل][2] قولهم: ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾؛ أَي: أَنهم كانوا في الدنيا غير موقنين.

و«تَنْكِيسُ الرُّؤُوسِ»: هو من الذل واليأس والهمِّ بحلول العذاب، وتعلُّق نفوسهم بالرجعة إِلى الدنيا، وفي القول محذوف تقديره: يقولون ربَّنا، وقولهم: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾؛ أَي: ما كنا نُخْبَر به في الدنيا فكنا مكذبين به، ثم طلبوا الرجعة حين لا ينفع ذلك.

ثم أَخبر تعالى عن نفسه أَنه لو شاءَ لهدى الناسَ أَجمعين؛ أَي: يلطف بهم لطفاً يؤمنون به ويخترع الإِيمان في قلوبهم؛ هذا مذهب أَهل السُّنَّة.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١٧٥)، بتصرف.

(٢) سقط من المطبوع والأصل ونور العثمانية.

وقال بعض المفسِّرين: لعرض[١] عليهم آية يضطرهم بها إِلى الإِيمان.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول بعض المعتزلة، إِلَّا أَن من أَشرنا إِليه من المفسِّرين لم يَدْرِ قَدْر القول [الذي قالوه ولا قدر][٢] مغزاه ولذلك حكاه، والذي يقود المعتزلة إِلى هذه المقالة أَنهم يَرَوْن أَن من يقدر على اللطف بإِنسان حتى يؤمن ولا يفعل؛ فإِن ذلك ليس من الحكمة ولا من الأَمر المستقيم، والكلام على هذه المسأَلة يطول، [وله تواليفه][٣].

و﴿ٱلْجِنَّةِ﴾: الشياطين.

وقوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾ بمعنى: يقال لهم: ذُوقُوا.

و﴿نَسِيتُمْ﴾ معناه: تركتم، قاله ابن عباس وغيره[٤].

وفي الكلام حذف مضاف تقديره: عمل، أَو عدة ونحوه.

وقوله: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ سَمَّى العقوبة باسم الذنب.

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أَي: بِتَكَسُّبِكُم الآثام.

ثم أَثنى عزَّ وجلَّ على القوم الذين يؤمنون بآياته، ووصفهم بالصفة الحسنى، من سجودهم عند التذكير [وتسبيحِهم وعدم استكبارهم، بخلاف ما يصنع الكفرة من الإِعراض عند التذكير، وقول][٥] الهُجْر، وإِظهار التكبُّر، وهذه السجدة من عزائم السجود في القرآن.

وقال ابن عباس: «السجود» هنا بمعنى الركوع[٦].

---

(١) في الأصل وفيض الله: «تعرض»، وفي السليمانية: «أعرض».

(٢) من أحمد٣، وفي سائر النسخ: «ولا مغزاه».

(٣) ليس في أحمد٣، وانظر قول المعتزلة في الملل والنحل لابن حزم (٤/ ١٤٦)، وشرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ١٦٢-١٦٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٧٧)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) ساقط من أحمد٣، وفيها فقط: «وترك» بدلًا منه.

(٦) لم أجده.

وقد رُوي عن ابن جريج، ومجاهد أَن هذه الآية نزلت بسبب قوم من المنافقين كانوا إِذا أُقيمت الصَّلاة خرجوا من المسجد، فكأَن الركوع يقصد[١] من هذا[٢]، ويلزم على هذا أن تكون الآية مدنية.

وأَيضاً فمن مذهب ابن عباس: أَن القارئ للسجدة يركع[٣]، واستدل بقوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

جَفَا الرَّجلُ الموضع: إِذا تركه، وتجافى الجنْبُ عن مضجعه: إِذا تركه، وجافى الرجل جنبه عن مضجعه، ومنه في الحديث: ويجافي بضبعيه[٤]؛ أَي: يبعدهما عن الأرض وعن يديه[٥]، فقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾؛ أَي: تبتعد وتزول.

ومنه قول عبد الله بن رواحة:

نَبِيٌّ تَجَافَى جَنْبُهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ[٦] [الطويل]

---

(١) في أحمد٣: «يعضد».

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٧٧)، من رواية حجاج عن ابن جريج.

(٣) تبعه القرطبي (١٤/ ٩٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٧٣)، ولم أجده لغيرهم.

(٤) في المطبوع بدل «بضبعيه»: «بعضديه عن جَنْبَيْه»، وفي صحيح البخاري: باب يبدي ضبعيه ويجافي في السجود، ثم أخرج (٣٩٠) حديث عبد الله بن مالك ابن بحينة أن النبي ﷺ كان إذا صلى فرج بين يديه حتى يبدو بياض إبطيه.اهـ.

(٥) «عن الأرض»: ليست في المطبوع، وفيه وفي نجيبويه وأحمد٣ والحمزوية: «عن بدنه»، بدل: «يديه».

(٦) كما في تفسير الطبري (٢٠/ ١٨١)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٦١)، وعزاه السمعاني (٤/ ٢٤٨) لحسان بن ثابت.

ويروى: يَبِيتُ يُجَافي جنبه[١].

قال الزَّجَّاج، والرُّمَّاني: التَّجافي: التَّنَحِّي[٢] إِلى جهة فوق[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول حسن، وكذلك هو في الصفح عن المخطئ في سبٍّ[٤] ونحوه.

و«الْجُنُوبُ»: جمع جَنْب، و﴿ٱلْمَضَاجِعِ﴾: موضع الاضطجاع للنوم.

وقال أَنس بن مالك: أَراد بهذه الآية الصلاة بين المغرب والعشاءِ[٥].

وقال عطاءٌ، وأَبو سلمة: أَراد صلاة العشاءِ الآخرة[٦].

وكانت الجاهلية ينامون من أول المغرب، ومن أي وقت شاء الإنسان، فجاء انتظار وقت العشاء الآخرة غريباً شاقاً.

وقال أنس بن مالك أَيضاً: أَراد انتظار صلاة العشاءِ الآخرة[٧]؛ لأَن رسول الله ﷺ كان يؤخرها إِلى نحو ثلث الليل، وفي ذلك أَحاديث كثيرة[٨].

قال الضحاك: تجافي الجَنْبِ: هو أَن يصلي الرجلُ العشاءَ والصبح في جماعة[٩].

---

(١) وهي رواية الطبري (٢٠/ ١٨١).

(٢) ليست في نجيبويه، وفي الحمزوية: «التجفي».

(٣) نقله عنهما تفسير القرطبي (١٤/ ١٠٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٧).

(٤) في السليمانية: «سبب».

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٧٨) من طريق: ابن أبي عروبة، قال: قال قتادة، قال أنس، وفي بعض الطرق: عن سعيد عن قتادة عن أنس، وفي بعضها: الحارث بن وجيه الراسبي، قال: ثنا مالك بن دينار، عن أنس بن مالك، والحارث ضعيف منكر الحديث.

(٦) انظر قولهما في تفسير الطبري (٢٠/ ١٧٩).

(٧) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٠)، من طريق: سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك، وإسناده صحيح.

(٨) منها ما في صحيح البخاري (٥٤١)، (٧٧١)، ومسلم (٦١٣)، (٦٤٧).

(٩) تفسير الثعلبي (٧/ ٣٣٢)، وزاد المسير (٣/ ٤٤١).

وهذا قولٌ حسن، يسعده[١] لفظ الآية.

وقال الجمهور من / المفسرين: أَراد بهذا التجافي صلاة النوافل بالليل. [٤/ ١٩٨]

قال القاضي أَبو محمد: وعلى هذا التأويل أَكثر الناس، وهو الذي فيه المدح، وفيه حديثٌ عن النبي ﷺ يذكر قيام الليل ثم يستشهد بالآية، ذكره الطبري عن معاذ بن جبل[٢].

ورجح الزجاج هذا القول بأَنهم جُوزوا بإخفاء، فدل ذلك على أَن العمل إخفاء أَيضاً هو قيام الليل[٣].

وقوله: ﴿يَدۡعُونَ﴾ يحتمل أَن يكون في موضع الحال من الموصوفين، أَي: في وقت التجافي، ويحتمل أَن يكون صفة مستأْنفة؛ أَي: تَتَجافى جُنُوبُهُمْ وهم أَيضاً في كل أَحوالهم يدعون في ليلهم ونهارهم.

و«الْخَوْفُ»: من عذاب الله، والطَّمَعُ: في ثواب الله.

و﴿يُنفِقُونَ﴾ قيل: معناه: الزكاة المفروضة، وقيل: النوافل والصدقات غير المفروضة، وهذا القول أَمدح.

---

(١) في الأصل: «يساعده»، وفي المطبوع: «يبعده».

(٢) مرسل، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨١)، من طريق: شعبة، عن الحكم، قال: سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام العبد في جوف الليل» وتلا هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾، وعروة لم يدرك معاذاً، ومن طريق: أبي أسامة، عن سليمان، عن حبيب بن أبي ثابت والحكم، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ، بنحوه، وميمون يرسل كثيراً، ولم يثبت سماعه من معاذ، ومن طريق: حماد بن سلمة، قال: ثنا عاصم بن أبي النجود، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل به مرفوعاً، وعاصم ضعيف، وشهر ـ على ضعفه ـ عن معاذ مرسل.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٠٧) للزجاج، في المطبوع: «إِجفاءٌ»، وكذا في التي قبلها: «بإجفاء».

ثم ذكر تعالى ما وعدهم من النَّعيم مِمَّا لم تعلمه نفْس ولا بَشر ولا مَلَك.

وقرأَ حمزة وحده: ﴿أُخْفِىَ﴾ بسكون الياءِ، كأَنه قال: أُخفِي أَنَا، وهي قراءَة الأَعمش[١].

ورُوي عنه: (ما أَخفيتُ لهم من قُرَّات أَعين)[٢].

وقرأَ عبد الله: (مَا نُخْفِي لهم) بالنون مضمومة[٣].

ورَوى المفضل عن الأَعمش: (مَا يُخْفَى لهم) بالياءِ المضمومة وفتح الفاءِ[٤].

وقرأَ محمد بن كعب: (ما أَخْفَى) بفتح الهمزة[٥]؛ أَي: ما أَخفى الله لهم.

وقرأَ جمهور الناس بفتح الياءِ على بناءِ الفعل للمفعول.

و﴿مَّآ﴾ يحتمل أَن تكون بمعنى الذي، فعلى القراءَة الأُولى فَثَمَّ ضمير محذوف تقديره: أُخفيه، وعلى قراءَة الجمهور فالضمير الذي لم يُسَمَّ فاعله يجري في العودة على «الذي»، ويحتمل أَن تكون استفهاماً، فعلى القراءَة الأُولى فهي في موضع نصبٍ بـ﴿أُخْفِىَ﴾، وعلى القراءَة الثانية هي في موضع رفع بالابتداءِ.

و«قُرَّة الْعَيْن»: ما تلذُّه وتشتهيه، وهي مأْخوذة من القُرِّ، كما أَن سخنة العين مأْخوذة من السَّخَانة، وأَصل هذا ـ فيما يزعمون ـ أَن دمع الفرح بارد، ودمع الحزن سخن.

وفي معنى هذه الآية: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجلَّ: أَعددتُ لعباديَ

---

(١) وهي سبعية، انظر التيسير (ص: ١٧٧)، وانظر عزوها للأعمش في الحجة للفارسي (٥/ ٤٦٣)، والكامل للهذلي (ص: ٦١٨).

(٢) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، وفي نجيبويه: «قرة».

(٣) انظرهما في مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، والهداية لمكي (٩/ ٥٧٦٠).

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها القرطبي (١٤/ ١٠٣)، ونقلها ابن أبي داود في المصاحف عن عبد الله بن مسعود (ص: ١٨٢).

(٥) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٧/ ٣٣٢).

الصالحين مَا لَا عيْنٌ رأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سمعتْ، ولَا خَطر على قلب بشر، واقرؤوا إِن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾»[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: في التوراة مكتوبٌ: «على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عيْنٌ رأَت، ولا أُذن سمعَتْ، ولا خطر على قلب بشر»[٢].

وقرأ ابن مسعود، وأَبو هريرة، وأَبو الدرداءِ: (قُرَّاتِ) على الجمع[٣].

وقوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾؛ أَي: بِتَكَسُّبِهِمْ.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ الآية؛ روى عطاءُ بن يسارٍ أَنها نزلت في علي ابن أَبي طالب رضي الله عنه، والوليد بن عقبة بن أَبي مُعيط، وذلك أَنهما تلاحَيَا[٤]، [فقال له الوليد: أنا أبسط منك لساناً، وأحدُّ سناناً، وأرد للكتيبة][٥]، فقال له عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: اسكت فإِنك فاسق، فنزلت الآية[٦].

وذكر الزجاج، والنحاس، وغيرهما أَنها نزلت في عليٍّ وعقبة ابن أَبي مُعيط[٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، (٤٧٧٩)، (٤٧٨٠)، (٧٤٩٨)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٢-١٨٣)، من طرق صحيحة عن أبي إسحاق السبيعي، عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود، ومن طريق ضعيف عن أبي إسحاق، عن عبيدة بن ربيعة الحارثي، عن عبد الله، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه على الراجح.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لأبي هريرة في تفسير الطبري (٢٠/ ١٨٥)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٢)، ورفعها عنه النحاس في معاني القرآن (٥/ ٣٠٦)، ومكي في الهداية (٩/ ٥٧٦١)، وابن جني في المحتسب (٢/ ١٧٤)، ونسبها للثلاثة ولعون العقيلي.

(٤) في المطبوع: «تلاحنا».

(٥) ساقط من المطبوع.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٧)، من طريق: ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثني ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بالمدينة، في علي بن أبي طالب، والوليد ابن عقبة بن أبي معيط.

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٠٨)، ومثله في تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٩)، وأحكام القرآن =

وعلى هذا يلزم أَن تكون الآية مكِّيَّة؛ لأَن عقبة لم يكن بالمدينة، وإِنما قُتل في طريق مكة منصرف رسول الله ﷺ من بدر، ويعترض القول الآخر بإِطلاق اسم الفِسْق على الوليد، وذلك يحتمل أَن يكون في صدر[1] إِسلام الوليد لشيءٍ كان في نفسه، أَو لما رُوي من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن حتى نزلت فيه: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾[الحجرات: ٦] الآية[2].

ويحتمل أَيضاً أَن تطلق الشريعة ذلك عليه؛ لأَنه كان على طرف مما ينعى[3]، وهو الذي شرب الخمر في خلافة عثمان رضي الله عنه، وصلى الصُّبْحَ بالناس أَربعاً، ثم التفت وقال: أَتريدون أَن أَزيدكم؟[4] ونحوه مما يطول ذكره.

ثم قسَّم الله تعالى المؤمنين والفاسقين الذين فسقهم بالكفر؛ لأَن التكذيب الذي في آخر الآية يقتضي ذلك.

وقرأَ طلحة: (جَنَّةٌ) بالإِفراد[5]، وقرأَ أَبو حيوة: (نُزْلًا) بإِسكان الزاي[6].

= لابن العربي (٣/ ٥٣٥)، وأما النحاس فالذي في إعراب القرآن (٣/ ٢٠٢) له، ومعاني القرآن (٥/ ٣٠٧) له: الوليد بن عقبة، فلينظر.

(١) سقطت من الأصل.

(٢) الأثر ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٨٦)، من طريق: جعفر بن عون، عن موسى ابن عبيدة، عن ثابت مولى أم سلمة، عن أم سلمة قالت: بعث رسول الله ﷺ رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة، فسمع بذلك القوم... وموسى ضعيف باتفاق، وأحاديثه مناكير.

(٣) في نجيبويه: «لا ينبغي»، وفي المطبوع: «ينبغي»، وفي الحمزوية: «يبغي»، وفي السليمانية: «يبقى»، وغير منقوطة في نور العثمانية وأحمد٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٢٣٠)، من طريق: سعيد بن أبي عروبة، عن عبد الله الداناج، عن حضين ابن المنذر بن الحارث بن وعلة، أن الوليد بن عقبة، صلى بالناس الصبح أربعاً، وأخرجه مسلم فى الصحيح من حديث ابن علية، عن سعيد بن أبي عروبة مختصراً.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوه له في مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، والكامل للهذلي (ص: ٦١٨) من رواية السمان عنه.

(٦) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٤٣٨)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٢٣) لابن محيصن ونعيم، وعباس عن أبي عمرو.

والجمهور على ضمها، وسائر باقي[١] الآية بيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ لكفار قريش، أَعلم الله تعالى أَنه يصيبهم[٢] بعذاب دون عذاب الآخرة [لعلهم يتوبون ويتعظون، ولا خلاف أَن العذاب الأَكبر هو عذاب الآخرة][٣].

واختلف المتأَولون في تعْيين العذاب الأَدنى:

فقال إِبراهيم النَّخَعي، ومقاتل: هو السنون التي أَجاعهم الله تعالى فيها[٤].

وقال ابن عباس[٥]، وأُبيُّ بن كعب: هي مصائب الدنيا من الأَمراض ونحوها[٦]، وقاله ابن زيد.

وقال ابن مسعود[٧]، والحسن بن عليٍّ: هو القتل بالسيف كبدر وغيرها[٨].

---

(١) في المطبوع ونور العثمانية وفيض الله: «ما في»، بدل: «باقي»، وسقطت: «سائر» من السليمانية وأحمد٣.
(٢) في المطبوع: «يصبهم»، وفيه: «بكفار»، بالباء.
(٣) ساقط من الأصل، وهو في السليمانية ملحق في الهامش.
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩١).
(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٨-١٨٩)، من طريق: علي بن أبي طلحة وعطية العوفي ـ مفرقين ـ عن ابن عباس.
(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٩)، من طريق: قتادة، عن عزرة [في المطبوع: «عروة» خطأ]، عن الحسن العرني، عن يحيى بن الجزار، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبي بن كعب، وإسناده جيد، وانظر قول ابن زيد في تفسير الطبري (٢٠/ ١٩١)، بلفظ: عذاب الدنيا.
(٧) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٠)، من طريق: سفيان، عن السدي، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، وروي بلا أبي الضحى، وفي السدي كلام، وقد اختلف في إسناده، والسدي لا يروي عن مسروق.
(٨) منقطع: هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٩٠)، من طريق عوف بن أبي جميلة، عمن حدثه، عن الحسن بن علي قال: القتل بالسيف صبراً.

قال القاضي أَبو محمد: فيكون ـ على هذا التأْويل ـ الرَّاجعُ غير الذي يَذُوقُ، بل الذي يبقى بعده، وتختلف رتبتا ضمير الذوق مع ضمير «لعلَّ».

وقال أُبيٌّ بن كعب أَيضاً: هي البطشة واللزام والدخان[١].

وقال ابن عباس أَيضاً: عنى بذلك الحدود[٢].

قال القاضي أَبو محمد: ويتَّجه ـ على هذا التأْويل ـ أَن تكون في فسقة المؤمنين.

وقال مجاهد: عنى بذلك عذاب القبر[٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ على جهة التعجب والتقرير؛ أَي: لا أَحد أَظْلَم ممن هذه صفته، وهي بخلاف ما تقدَّم في صفة المؤمنين من أَنهم إِذا ذُكِّروا بآيات ربهم خرُّوا سُجَّداً.

ثم توعَّد تعالى المجرمين، وهم المتجاسرون على ركوب الكفر والمعاصي بالنقمة[٤].

وظاهر الإِجرام هنا: أَنه الكفر.

وحكى الطبري عن يزيد بن رفيع أَنه قال: إِن قول الله في القرآن: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ إِنما هو في أَهل القَدَر[٥].

قال القاضي أَبو محمد: يريد القائلين بأَن [الأمر أنف، وأن][٦] أَفعال العبد من قبله[٧].

---

(١) هو نفس أثره السابق.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٠)، من طريق: أبي عاصم ـ هو النبيل ـ عن شبيب ـ هو ابن بشر البجلي ـ عن عكرمة، عن ابن عباس، وشبيب لين الحديث، ولم يرو عنه إلا أبو عاصم.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩١).

(٤) في المطبوع: «بالقوة».

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٣).

(٦) ساقط من المطبوع.

(٧) هذا قول جمهور المعتزلة، وانظر الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٣٢)، وما بعدها، والمواقف للإيجي (٣/ ٦٥٨).

قال: ثم قرأ يزيد بن رفيع: / ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٧-٤٩]. [٤/ ١٩٩]

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا المنزع من البعد ما لا خفاءَ به.

وروى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث من فعلهن فقد أَجرم: من عَقَد لواءً في غير حقٍّ، ومن عَقَّ والدَيْه، [ومن نصر ظالماً]»(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

قرأَ الناسُ: ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾ بكسر الميم، وقرأَ الحسن بضمها(٢).

واختلف المتأَولون في الضمير الذي في ﴿لِّقَآئِهِۦ﴾ على من يعود:

فقال أَبو العالية الرياحي، وقتادة: يعود على ﴿مُوسَى﴾(٣).

والمعنى: لا تَكُ في شك من أَنك تَلْقى موسى؛ أَي: في ليلة الإِسراءِ، وهذا قول جماعة من السلف، وقاله المُبَرِّد حين امتحن أَبا إِسحاق الزجاج بهذه المسأَلة(٤).

وقالت فرقة: الضمير عائد على الْكِتَاب؛ أَي: أَنه لقي موسى [حين لقيه موسى عليه السلام، والمصدر في هذا التأْويل](٥) يصح أَن يكون مضافاً إِلى الفاعل، [بمعنى: لقي الكتاب موسى.

(١) في المطبوع: «أو مشى مع ظالم ينصره»، والحديث ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٦١) وغيره، من طريق: إسماعيل بن عياش، عن عبد العزيز بن عبيد الله، عن عبادة بن نسي، عن جنادة بن أبي أمية عن معاذ، وعبد العزيز هذا واه ولم يرو عنه إلا ابن عياش.

(٢) وهي شاذة، انظر: الكامل للهذلي (ص: ٥٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣١٩).

(٣) انظر قول قتادة في تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٣)، وقول أبي العالية في تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٠).

(٤) نقله في البحر المحيط (٨/ ٤٤٠)، ولم أقف على تفصيله.

(٥) ساقط من أحمد٣ والحمزوية.

ويصح أَن يكون مضافاً إِلى المفعول][1]، بمعنى: لقي الكتابَ بالنصب موسى عليه السلام.

وقال الحسن: الضمير عائد على ما يتضمنه القول من الشدة والمِحْنَة التي [لقي موسى وذلك بأن][2] إِخباره بأَنه آتى موسى الكتاب[3]، كأَنه قال: ولقد آتينا موسى هذا العبْءَ الذي أَنت بسبيله، فلا تَمْتَرَ أَنك تلْقى ما لَقي هو من المِحْنَة بالناس، وكأَن الآية تَسْلِيَةٌ لمحمد ﷺ.

وقالت فرقة: معناه: فلا تكن في شكٍّ من لقائه في الآخرة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قولٌ ضعيف.

وقالت فرقة: الضمير عائد على مَلَك الموت الذي تقدم ذكره، وقوله: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ اعتراضٌ بين الكلامين.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أيضاً ضعيف.

و«المِرْيَةُ»: الشَّكُّ.

والضمير في: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُ﴾ يحتمل أن يعود على ﴿مُوسَى﴾، وهو قول قتادة[4].

ويحتمل أَن يعود على ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

و﴿أَئِمَّةً﴾: جمع إِمام، وهو الذي يُقتدى به، وأَصْلُه: خَيْطُ الْبَنَّاءِ.

وجمهور النحويين على (أَيِمَّة) بياءٍ وتخفيف الهمزة، إِلَّا ابن أَبي إِسحاق، فإِنه جوَّز اجتماع الهمزتين، وقرأَ: ﴿أَئِمَّةً﴾[5].

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) ساقط من المطبوع وفيه بدل «منه»: «في».

(٣) نقله الحلبي في الدر المصون (٩/ ٨٩).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٤): بلفظ: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٠٩)، وهي سبعية، وسهلها نافع وابن كثير وأبو عمرو، انظر التيسير (ص: ١١٧).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ بفتح اللام وشدِّ الميم.

وقرأَ حمزة والكسائي: ﴿لِمَا صبروا﴾ بكسر اللام وتخفيف الميم، وهي قراءَة ابن مسعود، وطلحة، والأَعمش[1]، فالأُولى في معنى الظرف، والثانية كأَنه قال: لأجل صبرهم، فـ(ما): مصدرية، وفي القراءَتين معنى المجازاة؛ أَي: جعلهم أَئِمَّةً جزاءً على صبرهم عن الدنيا، وكونهم موقنين بآيات الله تعالى وأوامره[2] وجميع ما تُورده الشريعة.

وقرأَ ابن مسعود: (بما صَبَرُوا)[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الآية حُكْم يعم جميع الخَلْق، وذهب بعض المتأَولين إِلى تخصيص الضمير، وذلك ضعيف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿يَهْدِ﴾ معناه: يُبَيِّن، قاله ابن عباس[4].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَهْدِ﴾ بالياءِ، فالفاعِلُ اللهُ في قول فرقة، والرسولُ في قول فرقة، والمصدرُ في قول فرقة[5]، كأَنه قال: أَو لم يُبَيِّن لهم الهُدى.

وجوَّز الكوفيون أَن يكون الفاعل ﴿كَمْ﴾، ولا يجوز ذلك عند البصريِّين؛ لأَنها في الخبر على حكمها في الاستفهام في أَنها لا يعمل فيها ما قبلها[6].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥١٦)، والتيسير (ص: ١٧٧)، والباقين في البحر المحيط (٨/ ٤٤١).

(٢) سقطت من فيض الله.

(٣) وهي شاذة، تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٤)، والهداية لمكي (٩/ ٥٧٧١)، وكتبت في الأصل: «مما صبروا».

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٥)، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) هذا القول ساقط من الأصل، وسقط هو والذي قبله من الحمزوية.

(٦) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٤٧٤).

وقرأ أبو عبد الرحمن: (نهد لهم) بالنون، وهي قراءَة الحسن وقتادة[١].

فالفاعلُ اللهُ تعالى، و﴿كَمْ﴾ في موضع نصب: فعند الكوفيين بـ﴿يَهْدِ﴾، وعند البصريين بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ على القراءَتين جميعاً.

وقرأ جمهور الناس: ﴿يَمْشُونَ﴾ بفتح الياءِ وتخفيف الشِّين.

وقرأ ابن السمَيفَع اليماني: (يُمَشُّونَ) بضم الياءِ وفتح الميم وشد الشِّين.

وقرأ عيسى بن عمر: (يُمْشُونَ) بضم الياءِ وسكون الميم وشين مضمومة مُخَفَّفَة[٢].

والضمير في ﴿يَمْشُونَ﴾ يحتمل أَن يكون للمُخاطَبين بالتنبيه[٣] المُحْتَجِّ عليهم.

ويحتمل أَن يكون للمُهْلَكِين، فـ﴿يَمْشُونَ﴾: في موضع الحال؛ أَيْ: أُهلكوا وهم ماشون في مساكنهم.

والضمير في ﴿يَسْمَعُونَ﴾ لِلْمَنْهِيِّينَ.

ومعنى هذه الآية: إِقامة الحجة على الكفرة بالأُمم السالفة الذين كفروا فأُهلكوا[٤].

ثم أَقام عزَّ وجلَّ الحُجَّة عليهم في معنى الإِيمان بالقدرة وبالبعث بأن[٥] نبَّههم على إِحْياءِ الأَرض الموات بالماءِ والنبات[٦].

و«السَّوْقُ» هو بالسحاب، [وإن كان سوق بنهر فأصله من السحاب][٧].

---

(١) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٠٤).

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ١٧٥)، ونسبها في مختصر الشواذ (ص: ١١٩) غير مضبوطة لهما معاً ولعلي.

(٣) في المطبوع: «بالبيِّنة».

(٤) سقطت من الأصل.

(٥) في الأصل: «بل»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٦) ليس في المطبوع والسليمانية.

(٧) سقط من المطبوع وأحمد٣.

و﴿ٱلۡجُرُزِ﴾: الأَرْضُ العاطِشَةُ التي قد أَكلت نباتها من العطش والقيظ، ومنه قيل للأَكول: جُروزٌ، قال الشاعر:

خِبٌّ جَرُوزٌ وَإِذَا جَاعَ بَكَى[١] .... [الرجز]

ومَنْ عَبَّر عنها بأَنها الأَرض التي لا تُنْبت؛ فإِنها عبارة غير مُخَلِّصة.

وعمَّ تعالى كلَّ أَرض هي بهذه الصفة؛ لأَن الآيَةَ فيها والعبرةَ بيِّنةٌ.

وقال ابن عباس وغيره أَيضاً: الأَرض الجُرُزُ هي أرْضُ أَبْيَن من اليمن[٢]، وهي أَرض تشرب [بسيول لا بمطر][٣].

وجمهور الناس على ضم الراءِ، قال الزَّجَّاج: وتُقرأُ: (الجُرْز) بسكون الراءِ[٤].

ثم خصَّ الله تعالى الزرع بالذكر تشريفاً له؛ ولأَنه عُظْم ما يقصد بالنبات، وإِلَّا فعرف أَكل الأنعام / إِنما هو من غير الزرع، لكنه أَوقع الزرع موقع النبات [على العموم][٥]، ثم فصل ذلك بأَكل الأَنعام وبني آدم. [٤/ ٢٠٠]

وقرأَ أَبو بكر بن عياش، وأَبو حيوة: (يأْكُلُ) بالياءِ من تحت[٦].

---

(١) البيت للشماخ كما في لسان العرب (١/ ٣٢٢)، وهو في ديوانه (ص: ١٠٧)، وبعده: وَيَأْكُلُ التَّمْر وَلَا يُلْقِي النَّوَى، ويقال: رجلٌ خَبٌّ وخِبٌّ بالفتح والكسر؛ أي: خدَّاعٌ خبيث مُنْكر، والجَرُوز: الذي يأكل ما أمامه ولا يبقي على شيءٍ منه.

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٧)، من طريق: سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، لكن بلفظ: أرض باليمن، والذي قال: أبين هو مجاهد.

(٣) في أحمد٣: «بسيول المطر».

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢١١)، وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٦).

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) وهي شاذة، عزاها في الكامل (ص: ٦١٨) لأبي حيوة عن حمزة، وفي مختصر الشواذ (ص: ١١٩) لبعضهم عن الزيات، في الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٦) عن حمزة وابن مقسم، ولم أقف عليها لشعبة.

[وقرأ ابن مسعود: (تُبْصِرُونَ) بالتاءِ من فوق، وقرأ جمهور الناس: ﴿يُبْصِرُونَ ﴾ بالياءِ][1].

ثم حكى عن الكفرة: أَنهم يستفتحون ويستعجلون فصل القضاءِ بينهم وبين الرسول ﷺ، على معنى الهُزْءِ والتكذيب.

و﴿ٱلْفَتْحُ ﴾: الحُكم، هذا قول جماعة المفسرين، وهو أَقوى الأَقوال.

وقالت فرقة: الإِشارة إِلى فتح مكة.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف، يردُّه الإِخبارُ بأَن الكفرة لا ينفعهم الإِيمان، فلم يبْق أَن يكون الفتح إلا[2] إِمَّا حُكم الآخرة، وهذا قول مجاهد[3]، وإِمَّا فَصْل في الدنيا كبدر ونحوها.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ ﴾ إِشارة إِلى الفتح الأَول حسب محتملاته، فالأَلف واللام في ﴿ٱلْفَتْحُ ﴾ الثاني للعهد.

و﴿يَوْمَ ﴾ ظرف، والعامل فيه ﴿يَنفَعُ ﴾.

و﴿يُنظَرُونَ﴾ معناه: يُؤَخَّرُونَ.

ثم أَمره تعالى بالإِعراض عن الكفار وانتظار[4] الفرج، وهذا مما نسخته آية السيف.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾؛ أَي: العذابَ، بمعنى أَن هذا حكمهم وإِن كانوا لا يشعرون.

---

(١) هكذا في المطبوع والسليمانية، وزادت: «من تحت»، وجاءت العبارة في كافة المخطوطات معكوسة، التاء من فوق للجمهور، والياء من تحت لابن مسعود، وهو خطأ، إلا أن قراءة الجمهور سقطت من نور العثمانية، وقراءة ابن مسعود شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٤٤٢).

(٢) سقطت من المطبوع، وجاءت في الأصل بعد: «يبق» مكررة.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٩).

(٤) في المطبوع: «دون انتظار».

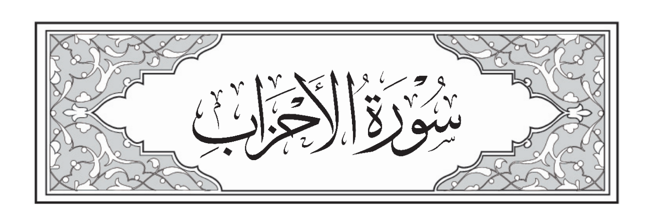
وقرأَ محمد بن السمَيفَع: (مُنْتَظَرُونَ) [بفتح الظاء][1]؛ أَي: لِلْعذاب النازل بهم، والله أَعلم.

كمل تفسير سورة السجدة، والحمد لله رب العالمين[2].

❊ ❊ ❊

(١) ليس في المطبوع، وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ١٧٥)، ومختصر الشواذ (ص: ١١٩).

(٢) في المطبوع: «والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أَجمعين».



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الأحزاب

هذه السورة مدنية بإجماع فيما علمت، وكذلك قال المهدوي وغيره[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾.

قوله: ﴿اتَّقِ﴾ معناه: دُمْ على التقوى، ومتى أُمر أَحد بشيءٍ هو به متلبس فإنما معناه الدَّوام في المستقبل على مثل الحالة الماضية، وحذَّره تعالى من طاعة الكافرين، وهم المُجَلِّحون[٢] بالكفر، والمنافقين وهم المُظهرون للإيمان وهم لا يبطنونه.

وسبب الآية: أَنهم كانوا يلحُّون[٣] على رسول الله ﷺ بالطلبات والإرادات، وربما كان في إرادتهم سعي على الشرع، وهم يدخلونها مدخل النصائح[٤]، فكان

---

(١) نقل هذا الإجماع ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٤٦)، وانظر التحصيل للمهدوي (٥/ ٣١٨).

(٢) جَلَّحَ في الأمر: ركب رأسه فيه وأقدم ومَضَى.

(٣) كذا في المطبوع، وكتبت في الأصل: «يتسخبون»، وفي نجيبويه والحمزوية: «يستحبون»، وفي النسخ الأخرى: «يتسحبون».

(٤) في المطبوع والسليمانية: «المصالح».

رسول الله ﷺ: بخلقه العظيم وحرصه على استئلافهم[١] ربما لاينَهُم[٢] في بعض الأمور، فنزلت الآية بسبب ذلك، تحذيراً له منهم، وتنبيهاً على عداوتهم[٣]، والنوازل في طلباتهم كثيرة محفوظة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ تسليةٌ لمحمد ﷺ؛ أي: لا عليك منهم ولا من إيمانهم، فالله عليمٌ بما ينبغي لك، حكيم في هدي من شاءَ وإضلال من شاءَ.

ثم أَمره تعالى باتباع ما يوحى إليه ـ وهو القرآن الحكيم ـ والاقتصار على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ تَوَعُّدٌ مَّا.

وقرأَ أَبو عمرٍو وحده: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياءِ[٤].

والتوعُّد على هذه القراءَة للكافرين والمنافقين أَبْيَنُ.

وقوله: ﴿كَانَ﴾ في هاتين الآيتين هي التي تقتضي الدوام؛ أَي: كان ويكون، وليست الدالةَ على زمان مخصوص للمضي.

ثم أَمره تعالى بالتوكل على الله في جميع أمره، وأَعلمه أَن ذلك كافٍ مُقْنع.

والباءُ في قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾: زائدة على مذهب سيبويه، وكأَنه قال: وكَفَى اللهُ، وهي عنده نحو قولهم: بحسبك أَن تفعل.

وغَيْرُه يراها غيْرَ زائدة متعلِّقة بـ (كَفَى)، على أنه بمعنى: اكتف[٥] بالله.

و«الْوَكِيلُ»: القائم بالأَمر المغني فيه عن كل شيءٍ.

---

(١) في الحمزوية: «إسلامهم».

(٢) في الأصل: «لا يتهم»، وفي أحمد٣: «لا يتهمهم»، وفي السليمانية: «لم ينههم»، وفي نور العثمانية وفيض الله: «لا ينهر».

(٣) في نجيبويه: «غدراتهم».

(٤) والباقون بالتاء، وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥١٨)، والتيسير (ص: ١٧٧).

(٥) في المطبوع: «أكْتِف».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾.

[اختلف الناس في السبب في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾](١):

فقال ابن عباس: سببها: أَن بعض المنافقين قال: إنَّ محمداً له قلبان؛ لأَنه ربما كان في شيءٍ فنزع في غيره نزعة ثم عاد إلى شأْنه الأَول، فقالوا ذلك عنه، فنفاه الله تعالى عنه(٢).

وقال ابن عباس أَيضاً: بل السبب: أَنه كان في قريش في بني فِهْر رجلٌ فهِم(٣) يدَّعي أَن له قلبين؛ ويقال له: ذو القَلبين(٤) ـ قال الثعلبي: هو أَبو مَعْمَر(٥) ـ وكان يقول: أَنا أَذكى من محمد وأَفهم، فلما وقعت(٦) هزيمة بدر طاش لُبُّه، وحدَّث أَبا سفيان بن حرب بحديث كالمختبل(٧)، فنزلت الآية بسببه ونفياً لدعواه، وقيل: إنه كان ابن خَطَل(٨).

وقال الزهري: جاءَ هذا اللَّفظ على جهة المثل في زيد بن حارثة والتوطئة لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾؛ أَي: كما أنه ليس لأَحد قلبان، كذلك ليس دعِيُّه ابنَه(٩).

---

(١) ليس في نور العثمانية وأحمد٣، وفيهما فقط: «قال ابن عباس».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٠٤)، من طريق: حفص بن نفيل، قال: ثنا زهير بن معاوية، عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه، قال: قلنا لابن عباس... وقابوس ضعيف، لا يحتج به.

(٣) سقطت من الحمزوية، وفي المطبوع: «منهم»، وفي نور العثمانية: «فيهم».

(٤) أخرجه الطبري في نفس الموضع من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ٦)، وسماه جميل بن معمر بن حبيب بن عبد الله الفهري، وفي أحمد٣: «ابن معمر».

(٦) في أحمد٣: «بلغت».

(٧) في المطبوع والحمزوية: «كالمختلِّ».

(٨) لم أجد ما نقله عن الثعلبي مسنداً.

(٩) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٠٥)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٦)، وفي المطبوع: «الزهراوي».

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر من الآية أنها بجملتها نفي لأَشياءَ كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت، وإِعلامٌ بحقيقة الأَمر، فمنها أَن بعض العرب كانت تقول: إِن الإِنسان له قلب يأْمره وقلب ينهاه، وكان تضَادُّ الخواطر يحملها[1] على ذلك.

ومن هذا قول الكميت:

[الطويل] تَذَكَّـر مِـنْ أَنَّـى ومِـنْ أَيْنَ شُـرْبُهُ يُؤامِرُ نَفْسَيْهِ كَذِي الثلَّةِ الأَبِلِ[2]

والناس حتى الآن يقولون إذا وصفوا أَفكارهم في شيءٍ ما: يقول لي أحدُ قلْبَيَّ كذا، ويقول الآخر كذا، وكذلك كانت العرب تعتقد [الزوجة إذا ظُوهر منها بمنزلة الأُم وتراه طلاقاً، وكانت تعتقد][3] / الدَّعيَّ المُتبَنَّى ابناً، فأَعلم الله تعالى أَنه لا أَحد بقلبين. [٤/ ٢٠١]

ويكون في هذا أيضاً طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم؛ أَي: إنما هو قلبٌ واحد، فإِمَّا حَلَّه إيمانٌ وإمَّا كفر؛ لأَن درجة النفاق[4] كأَنَّها متوسطة يؤمن قلبٌ ويكفر الآخر، فنفاها الله تعالى، وبيَّن أَنه قلب واحد.

وعلى هذا النحو يستشهد الإنسان بهذه الآية متى نسي شيئاً أو وَهِمَ، يقول على جهة الاعتذار: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾؛ أَيْ: إذا نسي قلبُه الواحد يُذكِّره الآخر، وكذلك أَعلم أَن الزوجة لا تكون أُمّاً، وأَن الدعيَّ لم يجعله ابناً.

وقرأَ نافع، وابن كثير: ﴿الَّلاءِ﴾ دون ياءٍ.

ورُوي عن أَبي عمرٍو، وابن جُبَيْر: ﴿اللَّايْ﴾ بياءٍ ساكنة بغير هَمْز.

وقرأَ ورشٌ بياءٍ مكسورة من غير هَمْز.

---

(١) في المطبوع: «بجملتها».

(٢) البيت للكميت كما في تفسير الطبري (٤/ ٤١٥)، وقد تقدم في تفسير الآية (٨) من سورة البقرة، وفي المطبوع: «الْهَجْمَة».

(٣) ساقط من الحمزوية.

(٤) في المطبوع: «الكفار».

وقرأَ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، [وابن عامر، وطلحة، والأَعمش؛ بِهَمْزةٍ مكسورة بعدها ياءٌ][(١)].

وقرأَ ابن عامر: ﴿تَظَّاهَرُونَ﴾ بشدِّ الظاءِ وأَلف.

وقرأَ عاصم، والحسن، وأَبو جعفر، وقتادة: ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ بضم التَّاءِ وتخفيف الظاءِ.

وأَنكرها أَبو عمرٍو، وقال: إنما هذا في المُعَاوِنَة.

قال القاضي أبو محمد: وليس بمنكر، ولفظة ظهار تقتضيه.

وقرأَ الكسائي وحمزة وأَبو بكر عن عاصم: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ بفتح التاءِ والظاءِ مخففة وألف[(٢)].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾ بشد الظاءِ والهاءِ دون أَلف[(٣)].

وقرأَ يحيى بن وثاب: (تُظْهِرُونَ) بضم التَّاء وسكون الظاءِ وكسر الهاءِ[(٤)].

وفي مصحف أُبي بن كعب: (تَتَظَهَّرُونَ) بتاءَين[(٥)].

وكانت العرب تُطَلِّق وتقول: أَنْتِ مني كظهر أُمِّي، فنزلت الآية، وأنزل الله تعالى كفارة الظهار، وتفسير الظهار وبيانه أثبتناه في سورة المجادلة.

---

(١) ساقط من الحمزوية، وفي أحمد٣ بدلًا منه: «وقرأ الكوفيون وابن عامر وطلحة والأعمش»، وسقطت رواية ورش من فيض الله، وهذه أربع قراءات سبعية، إلا أن ورش سهل، انظر السبعة (ص: ٥١٨)، والتيسير (ص: ١٧٧)، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ٧).

(٢) زيادة من السليمانية ملحقة في هامشها، وفي المطبوع: «وقرأ عاصم»، بدل: «الكسائي».

(٣) هذه أربع قراءات سبعية، انظر التيسير (ص: ١٧٨)، والسبعة (ص: ٥١٩)، والوجه الثاني لشعبة هو من رواية يحيى الجعفي وأبي عمر عن الكسائي عنه كما في جامع البيان (٤/ ١٤٨٨)، وانظر إنكار أبي عمرو وقراءة الحسن في تفسير الثعلبي (٨/ ٧)، وقراءة قتادة في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٦٥) غير مضبوطة، وأما أبو جعفر فالذي في النشر (٢/ ٣٤٧) أنه كنافع.

(٤) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٥٢)، ونقل عن الرازي عنه تشديد الهاء.

(٥) وهي شاذة، البحر المحيط (٨/ ٤٥٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية، سببُها أمر زيد بن حارثة كانوا يدعونه زيْدَ بنَ محمد، وذلك أنه كان عبداً لخديجة، فوهبته لرسول الله ﷺ، فأقام عنده مُدَّة، ثم جاءَ عمُّه وأبوه يرغبان في فدائه، فقال لهما النبي ﷺ ـ وذلك قبل البعث ـ: خيِّراهُ، فإن اختاركما فهو لكما دون فداءٍ، فخيَّراه فاختار الرِّقَّ مع محمد ﷺ على حُرِّيته وقومِه، فقال محمد ﷺ: «يا معشر قريش، اشهدوا أنه ابْني، يرثني وأَرِثُه»، فرضي بذلك أَبوه وعمُّه وانصرفا[١].

وقوله تعالى: ﴿بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ تأْكيد لبطلان القول؛ [أَي: أَنه لا حقيقة له في الوجود، إنما هو قول فقط، وهذا][٢] كما تقول: أَنَا أَمْشي إليك على قدم، فإنما تؤكد بذلك المبرة[٣]، وهذا كثير.

و﴿يَهْدِى﴾ معناه: يُبيِّن، وهو يتعدى بغير حرف جرٍّ.

وقرأَ قتادة: (يُهَدِّي) بضم الياء وفتح الهاء وشد الدَّال[٤].

و﴿ٱلسَّبِيلَ﴾: هي سبيل الشرع والإِيمان.

وابن كثير، والكسائي، وعاصم في رواية حفص يقفون: ﴿ٱلسَّبِيلَاْ﴾، ويطرحونها في الوصل.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وعاصم بالأَلف وصْلاً ووقْفاً.

[وقرأَ أَبو عمرٍو، وحمزة بغير أَلِفٍ وصْلاً ووقْفاً، وهذا كله في غير هذا الموضع[٥].

---

(١) أما كون زيد بن حارثة كان يدعى زيد بن محمد حتى نزلت هذه الآية، فمتفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥)، وأما بقية السياق فذكر نحوه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٢) عن هشام ابن محمد الكلبي، عن أبيه وعن جميل بن مرثد الطائي وغيرهما.

(٢) ساقط من فيض الله.

(٣) في المطبوع: «المسيرة».

(٤) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٢).

(٥) بل هو في الآية (٦٧) من هذه السورة، وكلها سبعية، انظر السبعة (ص: ٥٢٠)، والتيسير (ص: ١٧٨)، =

واتفقوا هنا خاصَّةً على طرح الأَلف وصْلاً ووقْفاً] لمكان أَلف الوصل التي تلقى اللام[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾.

أَمر الله تعالى في هذه الآية بدعاءِ الأَدعياءِ إلى آبائهم للصُّلْب، فمن جُهل ذلك فيه كان مولًى وأَخاً في الدين، فقال الناس: زيد بن حارثة، وسالم مولى أَبي حذيفة، إلى غير ذلك، وذكر الطبريُّ أَن أَبا بَكْرَةَ قرأَ هذه الآية ثم قال: أَنا ممَّن لا يُعرف أَبوه، وأَنا أَخوكم في الدين ومولاكم، قال الرَّاوي عنه: ولو علم ـ والله ـ أَن أَباه حَمَّارٌ لانتمى إليه[2].

قال القاضي أَبو محمد: ورجال الحديث يقولون في أبي بَكْرَة: نُفَيْع بن الحارث[3].

و﴿أَقْسَطُ﴾ معناه: أَعْدَل.

وقال قتادة: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من ادَّعى إلى غير أبيه متعمداً؛ حرَّم الله عليه الجنَّة»[4].

= والمقصود بعاصم في القراءة الثانية رواية شعبة؛ لتقدم حفص، وفي المطبوع بدله: «جعفر»، وفيه بدل «الكسائي»: «وابن عامر»، وكذا في السليمانية مكرراً، ولعله خطأ.

(١) في السليمانية: «تلي اللام»؛ يعني: أنه لا يمكن مده في الوصل بسبب همز الوصل في ﴿ ٱدْعُوهُمْ ﴾، وما بين المعكوفتين ساقط من الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٠٧)، من طريق: ابن علية، عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قال أبو بكرة، وإسناده لا بأس به.

(٣) انظر مثلاً: الطبقات لخليفة بن خياط (ص: ١٠٦)، والتاريخ الكبير للبخاري (٩/ ٩١)، والكنى والأسماء للإمام مسلم (١/ ١٥٢).

(٤) بل الحديث متفق عليه بنحو هذا اللفظ، ففي البخاري (٤٣٢٦)، (٤٣٢٧)، (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣) =

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية، رفْعٌ للحرج عمَّن وَهِمَ ونَسِيَ وأَخطأَ فجرى لسانه[١] على العادة من نِسْبة زيْد إلى محمد ﷺ، وغير ذلك مما يُشبهه، وأَبقى الجُناح في التعمد مع النهي[٢] المنصوص.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ يريد: لما مَضَى من فِعْلهم في ذلك، ثم هما صِفَتان للَّهِ عزَّ وجلَّ تطَّردان في كل شيءٍ.

وقالت فرقة: خطؤُهم فيما كان سلف من قولهم ذلك.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا ضعيف، ولا يوصف ذلك بالخطأ إلَّا بعد النهي، وإنما الخطأُ هنا بمعنى النسيان، وما كان مُقابل العمد.

وحكى الطبري عن قتادة أنه قال: الخطأُ الذي رفع الله فيه الجناح أن يعتقد في أحد أَنه ابن فلان فينسبه إليه، وهو في الحقيقة ليس بابنه، والعمد هو أن تنسبه إلى فلان وأنت تدري أَنه ابن غيره[٣].

والخطأُ مرفوع عن هذه الأُمة عقابه، وقد قال النبي ﷺ: «وُضِع عن أُمَّتي الخطأُ والنسيان وما أُكْرهوا عليه»[٤].

وقال ﷺ: «ما أَخشى عليكم الخطأَ، وإنما أَخشى عليكم العمد»[٥].

= من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة بلفظ: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم؛ فالجنة عليه حرام».

(١) من المطبوع.

(٢) في المطبوع بدل: «النهي»: «الشرط أو الجزاءِ».

(٣) تفسير الطبري (٢٠/٢٠٦).

(٤) حسن، أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان (٧٢١٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٦)، والطبراني في الكبير (٧٦٥)، وفي الأوسط (٨٢٧٣)، من طرق عن الأوزاعي، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً، وفي لفظ: «إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ»، وعند ابن حبان: عطاء، عن عبيد بن عمير، عن ابن عباس، وفي الباب عن أبي ذر وأبي الدرداء وثوبان وابن عمر وأبي بكرة، رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) ضعيف، أخرجه أحمد في المسند (١٣/ ٤٤٠)، وابن حبان في صحيحه (٣٢٢٢)، من طريق: خالد بن حيان عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة مرفوعاً، وخالد قال أبو بكر =

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية؛ أَزال الله تعالى بها أَحكاماً كانت في صدر الإِسلام، منها أَن النبي ﷺ كان لا يُصلي على ميِّت عليه دَيْن[1]، فذكر الله تعالى أَنه أولى بالمؤمنين من أَنفسهم، فجمع هذا أَن المؤمن يلزم أن يحب النبيَّ ﷺ أَكثر من نفسه، حسب حديث عمر بن الخطاب[2]، ويلزم أن يمتثل أَوامره، أَحبَّت نفسه ذلك أَم كرهته.

قال رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية: «أَنا أولى بالمؤمنين من أَنفسهم، من ترك مالًا فلورثته، ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فعلَيَّ، أَنا وليُّه، اقرءُوا / إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾»[3]. [٤/ ٢٠٢]

وقال بعض العلماءِ العارفين: هو أَوْلى بهم من أَنفسهم؛ لأَن أَنفسهم تدعوهم إلى الهلاك، وهو يدعوهم إلى النجاة[4].

قال القاضي أَبو محمد: ويؤيد هذا قوله ﷺ: «أَنا آخِذٌ بحجزكم عن النار وأَنتم تَقَحَّمون فيها تقحُّم الفَراش»[5].

وشرَّف[6] تعالى أزواج النبي ﷺ بأَن جعلهن أُمَّهات للمؤمنين: في حرمة النكاح وفي المبرَّة، وحجبن رضي الله عنهن بخلاف الأُمَّهات.

= الأثرم، عن أحمد بن حنبل: قدم علينا، لم يكن به بأس، كان يروى عن جعفر غرائب، كتبنا عنه غرائب، ونحوه أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ١٠٩)، من حديث بقية، عن ثابت بن عجلان، عن عطاء، عن عائشة مرفوعاً، وبقية ليس بعمدة وهو مدلس وقد عنعن، وثابت كذلك لا يعتمد عليه، ولفظة: «عليكم» الثانية من المطبوع.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٩)، (٢٢٩٥)، من حديث سلمة بن الأكوع، و(٢٢٩٨)، (٥٣٧١)، ومسلم (١٦١٩)، عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٩٨)، (٢٣٩٩)، (٦٧٦٣)، ومسلم (١٦١٩).

(٤) نقله القرطبي في تفسيره (١٤/ ١٢٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٥٣).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، بنحوه.

(٦) في الأصل: «وبشر».

قال مسروق: قالت امرأة لعائشة رضي الله تعالى عنها: يا أُمَّه، فقالت: لستُ لك بأُمٍّ، إِنما أَنا أُمُّ رجالكم[(١)].

وفي مصحف أُبي بن كعب: (وأَزواجه أُمهاتُهم وهو أَبٌ لهم)[(٢)].

وقرأَ ابن عباس: (مِنْ أَنْفُسهم وهو أَب لهم وأزواجه أُمهاتهم)[(٣)].

وسمع عمر رضي الله عنه هذه القراءة فأَنكرها، فقيل له: إِنها في مصحف أُبَيٍّ، فسأَله فقرَّرها أُبيٌّ وأَغلظ لعمر[(٤)].

وقد قيل في قول لوط عليه السلام: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ [هود: ٧٨] إنما أَراد المؤمنات أَن يزوجوهن[(٥)].

ثم حكم تعالى بأَن أُولي الأَرحام أَحق مما كانت الشريعة قررته من التوارث[(٦)] بأُخوَّة الإِسلام وبالهجرة، فإِنه كان بالمدينة توارثٌ في صدر الإِسلام بهذين الوجهين،

---

(١) في أحمد٣ والسليمانية: «رجالكن»، والأثر صحيح، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٠)، من طريق: أبي عوانة، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٧) من طريق: سفيان، كلاهما عن فراس عن عامر، عن مسروق، عن عائشة به.

(٢) وهي شاذة، انظر تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٠١)، ونقلها مكي في الهداية (٥/ ٣٤٤٣)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٢٣)، عن ابن مسعود، وجاءت في معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٦٨) لهما، وفي معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٥) على الشك بينهما.

(٣) وهي شاذة، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٦٩)، من حديث طلحة عن عطاء عنه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ١٨١)، عن ابن جريج، أخبرني عمرو بن دينار، عن بجالة التميمي قال: وجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مصحفاً في حجر غلام له، وإسناده جيد، وهي في تفسير الثعلبي (٨/ ٨)، إلا أنها فيه كالأولى بتأخير: (وهو أب لهم).

(٥) في أحمد٣: «يتزوجوهن»، وفي السليمانية ونور العثمانية وفيض الله: «أي: تزوجوهن»، وقد تقدم ذلك في محله.

(٦) في الأصل وفيض الله: «الثواب».

اختلف الرواة في صفته، وليس لمعرفته الآن حكم فاختصرته، وردَّ الله تعالى المواريث على الأَنساب الصحيحة.

وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد القرآن، ويحتمل أن يريد اللَّوح المحفوظ.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلِّق بـ﴿أَوْلَىٰ﴾ الثانية، وهذه الأُخوَّة والهجرة التي ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ﴾ يريد الإحسان في الحياة، والصِّلة والوصية عند الموت، قاله قتادة، والحسن، وعطاءٌ، وابن الحنفية[(١)]، وهذا كله جائز أَن يُفعل مع الوَلِي على أَقسامه[(٢)]، والقريب الكافر[(٣)] يوصى له بوصية[(٤)].

واختلف العلماءُ، هل يجعل هو وصيّاً؟ فجوَّز بعض، ومنع بعض، ورد النظر في ذلك إلى السلطان [بعضٌ، منهم][(٥)] مالك بن أنس رضي الله عنه[(٦)].

وذهب[(٧)] مجاهد، وابن زيد، والرمانيُّ، وغيرهم إلى أَن المعنى: إلى أوليائكم من المؤمنين[(٨)].

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٠/ ٢١١).

(٢) في فيض الله: «أنسابه».

(٣) في أحمد٣: «والكافر بالعطف»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

(٤) هذا بإجماع العلماء إذا لم يكن القريب وارثاً بسبب رق أو كفر، انظر الإقناع (٣/ ١٣٨٠).

(٥) ساقط من نور العثمانية وفيض الله.

(٦) انظر البيان والتحصيل (٤/ ٤٨٦)، والذخيرة للقرافي (٧/ ١٥٨)، وقال في المدونة (٤/ ٣٣٤) بعدم جواز ولاية الذمي على المسلم دون قيد، وهو قول الشافعي كما في الحاوي للماوردي (٨/ ٣٣٠)، وأجازها بلا قيد الحنفية، كما في المبسوط للسرخسي (٢٨/ ٣٠)، وأما الكافر غير الذمي فلا تجوز ولايته إجماعاً، كما في الأوسط (٨/ ١٤٧)، والمغني لابن قدامة (٦/ ١٤٣).

(٧) في الأصل: «ومجاهد»، كأنه عطف على ما قبله، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٨) نقله عنهم تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٦)، وذكره ابن فورك في تفسيره (٢/ ٨٤) بلا نسبة.

قال القاضي أبو محمد: ولفظ الآية يعضد هذا المذهب، وتعميم لفظ «الوَليِّ» أَيضاً حسنٌ كما قدَّمناه؛ إذ ولاية النسب لا تدفعه في الكافر، وإنما يدفع أن يلقى إليه بالمودة كولي الإسلام.

[والْكِتاب الذي سطر][1] ذلك فيه يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا.

و﴿مَسۡطُورٗا﴾ من قولك: سَطَرْتُ الْكِتَابَ: إِذا أَثْبته أَسْطَاراً، ومنه قول العَجَّاج:

في الصُّحُف الأُولى الَّتي كانَ سَطَرْ[2]

قال قتادة: وفي بعض القراءَة[3]: (كان ذلك عند الله مكتوباً)[4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾.

(إِذْ): يحتمل أن يكون ظرفاً لتسطير الأَحكام المتقدمة في الكتاب، كأَنه قال: كانت الأَحكام مسطرةً مُلقاةً إلى الأنبياء إذْ أَخذنا عليهم الميثاق في التبليغ والشرائع، فتكون (إذْ) متعلقةً بقوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ [الأحزاب: ٦].

ويحتمل أن يكون في موضع نصب بإضمار فعل تقديره: واذكر إذْ.

وهذا التَأْويل أَبيَنُ من الأَول.

وهذا «الميثاق» المشار إليه؛ قال الزجاج وغيره: إنه الذي أُخذ عليهم وقت

---

(١) في المطبوع بدلًا منه: «والكتابي الذي ينتظر».
(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ٣٨٣)، وتفسير الطبري (١٧/ ٤٧٦).
(٣) في نجيبويه: «المصاحف».
(٤) والعبارة في أحمد٣: «وقرئ مكتوباً»، وهي من غرائب الشيخ رحمه الله، وتبعه القرطبي في التفسير (١٤/ ١٢٦)، وفي معاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٢٦): قال قتادة: أي: مكتوباً لا يرث كافر مسلماً.

استخراج البشر من صُلب آدم كالذَّرِّ[١]، قالوا: وأَخذ الله تعالى حينئذ ميثاق النَّبيِّين بالتبليغ وتصديق بعضهم بعضاً، وبجميع ما تتضمَّنه النبوة، ورُوي نحوه عن أُبَيٍّ بن كعب[٢].

وقالت فرقة: بل أشار إلى أَخذ الميثاق على كل واحد منهم عند بعثه، وعند إِلقاءِ الرسالة إليه وأَوامرها ومعتقداتها.

وذكر الله تعالى ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ جملةً، ثم خصص بالذكر أفذاذاً[٣] منهم تشريفاً وتخصيصاً؛ إذ هؤلاءِ الخمسة ـ صلى الله عليهم وسلم ـ هم أصحاب الكتب والشرائع والحروب الفاصلة على التوحيد وأُلو العزم، ذكره الثعلبي[٤].

وقدَّم ذكر محمد ﷺ على مرتبته[٥] في الزمن تشريفاً خاصاً له أَيضاً.

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «كنت أَوَّل الأَنبياءِ في الخَلْق وآخرهم في البعث»[٦].

وكرَّر «أخذ الميثاق» لمكان الصفة التي وُصف بها.

و﴿غَلِيظًا﴾ إشعارٌ بحرمة هذا الميثاق وقوتها.

واللام في قوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾: متعلقة بـ ﴿أَخَذْنَا﴾.

ويحتمل أَن تكون لام «كيْ»؛ أَي: بعثت الرسل وأَخذت عليهم المواثيق في التبليغ لكي يجعل الله خلقه فرقتين:

فرقة صادقة[٧] يسأَلها عن صدقها، على معنى إقامة الحجة والتقرير، كما قال

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢١٦).

(٢) لم أقف على أثر أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو مروي عن مجاهد، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢١٣).

(٣) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «أَفراداً».

(٤) تفسير الثعلبي (٨/ ١٠).

(٥) في المطبوع: «مزيته».

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢١٣)، عن قتادة قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول... وهذا مرسل، وروي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً، ذكره في الدر المنثور عن جماعة، والأول أشبه، وهذا مع ذلك فيه انقطاع.

(٧) من السليمانية.

لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] فتجيب كأَنها قد صدقت الله في إيمانها في جميع أَفعالها، فَيُثِيبُها على ذلك.

وفرقة كفرت فينالها ما أَعدَّ لها من العذاب الأَليم.

ويحتمل أَن تكون اللام في قوله: ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ لامَ الصَّيرورة؛ أَيْ: أَخذ الميثاق على الأَنبياء ليصير الأَمر إلى كذا، والأَول أَصوب.

والصدق في هذه الآية يحتمل أَن يكون المضاد للكذب في القول.

ويحتمل أَن يكون من صدق الأَفعال واستقامتها، ومنه: عود صدق، وصدقني السيف والمال.

وقال مجاهد: ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في هذه الآية أَراد بهم الرُّسل؛ أَي: يسأَل عن تبليغهم[١].

وقال أَيضاً: أَراد المؤَدِّين المبلغين عن الرسل[٢]، وهذا كله محتمل.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ / نزلت في شأْن غزوة الخندق وما اتصل بها من أَمر بني قريظة. [٤/ ٢٠٣]

وذلك أَن رسول الله ﷺ أَجلى بني النضير من موضعهم [عند المدينة][٣] إلى خيبر، واجتمعت جماعة منهم ومن غيرهم من اليهود وخرجوا إلى مكة مستنهضين قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ، وجَسَّرُوهم على ذلك، وأَزمعت قريش السير إلى المدينة.

ونهض اليهود إلى غطفان [وبني أَسد][٤] ومَنْ أمكنهم[٥] من أَهل نجد وتِهَامة، واستنفروهم [إلى ذلك][٦]، فتحزب الناس وساروا إلى المدينة.

---

(١) بلا نسبة في تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٨)، وتفسير السمعاني (٤/ ٢٦٢)، وتفسير البغوي (٣/ ٦١١).

(٢) بلا نسبة في الوجيز للواحدي (ص: ٨٥٩)، وفي المطبوع: «من الرسل».

(٣) في المطبوع: «عن المدينة».

(٤) في نجيبويه: «بني أمية»، وفي الحمزوية: «والسدوس».

(٥) في المطبوع: «أَمَّلهم».

(٦) في نجيبويه: «إلى المدينة».

واتصل الخبر برسول الله ﷺ، فحفر الخندق حول ديار المدينة وحصَّنه، وكان أَمراً لم تعهده العرب، وإنما كان من أَعمال فارس والروم، وأَشار به سلمان الفارسي، رضي الله عنه.

فورد الأَحزاب؛ قريش وكنانة والأحابيشُ في نحو عشرة آلاف عليهم أَبو سفيان ابن حرب، ووردت غطفان وأهل نجد عليهم عُيَيْنَة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، ووردت بنو عامر وغيرهم عليهم عامر بن الطفيل إلى غير هؤلاء، فحصروا المدينة.

وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة، على ما قال ابن إِسحاق(١).

وقال مالك: كانت سنة أَربع(٢).

وكانت بنو قريظة قد عاهدوا رسول الله ﷺ على الهدنة، وعاقدوه على أَلَّا يلحقه منهم ضرر، فلما تمكن هذا الحصار داخَلَهم(٣) بنو النَّضير، فغدروا رسول ﷺ، ونقضوا عهوده، وصاروا له حزباً مع(٤) الأَحزاب، فضاقت الحال على رسول الله ﷺ والمؤمنين، [ونجم النفاق](٥) وساءت الظنون، ورسول الله ﷺ يبشِّرُ ويعد بالنصر.

وأَلقى الله الرعب في قلوب المشركين، ويئسوا من الظفر بِمَنَعَة الخندق، وبما

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٤).

(٢) البيان والتحصيل (١٧/ ٢٠٥)، عن العتبية، قال: وهو خلاف ما قاله أهل السير، وقد رجحه ابن حزم في جوامع السيرة (ص: ١٤٧) بقوله: والثابت أنها في الرابعة بلا شك، وفي دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٩٥): أنه قول موسى بن عقبة وابن شهاب، ثم قال: ولا اختلاف بينهم في الحقيقة، وذلك لأن رسول الله ﷺ قاتل يوم الخندق بعد أحد بسنتين على رأس أربع سنين ونصف من مقدمه المدينة، فمن قال سنة أربع: أراد بعد أربع سنين، وقبل بلوغ الخمس، ومن قال: سنة خمس أراد بعد الدخول في السنة الخامسة.

(٣) في المطبوع: «واثقهم».

(٤) في المطبوع: «من».

(٥) ساقط من المطبوع، وفيه: «وكثرت» بدل: «ساءت».

رأَوا من جَلَد المؤْمنين، وجاء رجل من قريش اسمه نوفل بن الحارث ـ وقيل غير هذا ـ[١]، فاقتحم الخندق بفرسه فقُتل فيه، فكان ذلك حاجزاً بينهم.

ثم إن الله تعالى بعث الصَّبا لنصرة نبيِّه ﷺ على الكفار، فأصردتهم[٢]، وهجمت[٣] بيوتهم، وأَطفأَت نيرانهم، وقطعت حبالهم، وكفأَت قدورهم، ولم يمكنهم معها قرار.

وبعث الله مع الصَّبا ملائكة تسدد[٤] الريح، وتفعل نحو فعلها، وتلقي الرعب في قلوب الكفرة حتى أزمعوا الرحلة بعد بضع وعشرين ليلة للحَصْر[٥]، فانصرفوا خائبين، فهذه الجنود التي لم تُر.

وقرأَ الحسن: (وَجَنُوداً) بفتح الجيم[٦].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاءِ، فكأَن في الآية مُقابلة لهم؛ أي: أنتم لم تروا جنوده وهو بصير بأَعمالكم، يبين في هذا القدرة والسلطان.

وقرأَ أبو عمرو وحده: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بالياءِ على معنى الوعيد للكفرة، وقرأَ أَبو عمرو أَيضاً بالتاءِ، وهما حسنتان[٧].

ورُوي عن أبي عمرو: (لم يروها) بالياء من تحت[٨].

---

(١) المعروف: أنه نوفل بن عبد الله بن المغيرة، انظر: السير لأبي إسحاق الفزاري (ص: ١١٥)، ومغازي الواقدي (٢/ ٤٧٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٣٧)، والسيرة الحلبية (٢/ ٤٢٣)، وغيرها.

(٢) في المطبوع: «فطردتهم»، وبدلها بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات، وفي تاج العروس (٨/ ٢٧٥): التصريد التفريق والتقطيع.

(٣) في المطبوع: «وهدَّدت».

(٤) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «تُشدِّد»، وفي نجيبويه: «تشرد».

(٥) في أحمد٣: «للحفر».

(٦) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٣٧٧).

(٧) وهما سبيعتان، انظر التيسير (ص: ١٧٧)، والوجه الثاني لأبي عمرو من رواية أبي زيد وعبيد وهارون كما في السبعة (ص: ٥١٩).

(٨) شاذة، نقلها في مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، والكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٣)، عن علي بن نصر عن أبيه عنه، وفي المطبوع: «عمرة».

قال أبو حاتم: قراءة العامة: ﴿لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ بالتاء من فوق، [﴿ يعملون﴾ بالياء من تحت][١].

ورُوي عن الحسن، ونافع، والأعرج: (تِعْمَلُون) بالتاء مكسورة، وهي لغة[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢﴾.

﴿إِذۡ﴾ هذه [بدلٌ من الأُولى][٣] من قوله: ﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾؛ يريد: أَهل نَجْد مع عُيَيْنَة بن حصن، ﴿وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾؛ يريد: مكة وسائر تِهَامة، قاله مجاهد[٤].

[وقيل: ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾؛ أَي: من أَعلى الوادي من قِبَل مشرف غطفان، ﴿وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ من أَسفل الوادي منه قِبَلَ المغرب][٥].

وقيل[: بل (من فوق) و(أسفل) هنا][٦] إِنما يراد به ما يختص ببقعة المدينة؛ أَي: نزلت طائفة في أَعلى المدينة، وطائفة من أَسفلها، وهذه عبارة عن الحصر.

و﴿زَاغَتِ﴾ معناه: مالت عن مواضعها، وذلك فِعل الواله الفَزِع المختبل[٧].

---

(١) سقط من المطبوع، وكلام أبي حاتم في ترونها واضح مما تقدم، وفي ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ بعيد من التحرير كما هو واضح أيضاً مما تقدم.

(٢) وهي شاذة، لم أجدها لهم، لكن تقدمت الإشارة لمثلها، وفي البحر المحيط (٦/ ٢٢٠): وعن أبي عمرو: بكسر التاء على لغة تميم في مضارع علم غير الياء، سقط الأعرج من الأصل، وسقطت وهي لغة منه ومن المطبوع، وسقطت مكسورة من المطبوع، وفيه: «يعملون».

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٨).

(٥) من المطبوع.

(٦) ليس في المطبوع، ويحتمل أن يكون بدلًا مما قبله.

(٧) ليس في المطبوع.

وأَدغم الأعمش: ﴿إذ زَّاغت﴾، وبيَّن الذال الجمهورُ، وكُلٌّ حسن[١].

و(بلغَت القلوبُ الحناجِرَ): عبارة عما يجده الهَلِعُ من ثوران نفسه وتفرقها شعاعاً، ويجد كأَن حشوته[٢] وقلبه يصْعَد علوّاً لينفصل، فليس بُلُوغ القلوب الحناجر حقيقة بالنقلة، بل تشير إلى ذلك وتجيش[٣]، فيستعار لها بلوغ الحناجر.

ورَوى أَبو سعيد الخدري أَن المؤمنين قالوا يوم الخندق: يا رسول الله، بلغت القلوب الحناجر، فهل من شيءٍ نقوله؟ قال: نعم، قولوا: «اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا»، فقالوها فضرب اللهُ وجوه الكفار بالريح فهزمهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾؛ أَي: تكادون تضطربون وتقولون: ما هذا الخُلْفُ للموعد؟ وهذه عبارة عن خواطر خطرت[٥] للمؤمنين لا يمكن للْبَشَرِ دفعها، وأما المنافقون فجَلَّحُوا ونطقوا.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر، وشيبة، والأَعمش، وطلحة: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ بأَلف في الوصل والوقف، وذلك اتباع لخط المصحف، وعلته تعديل رؤوس الآي.

وطَرْد هذه العلَّة أن يلازم الوقف، وقد روي عن أبي عمرو أَنه كان لا يصل، وكان[٦] يوافق خط المصحف وقياس الفواصل.

---

(١) أبعد، فهما سبعيتان، الأولى لأبي عمرو وهشام وخلاد والكسائي، انظر التيسير (ص: **٤٢**).

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) كذا في نجيبويه، «وتجيش» سقطت من المطبوع، وفي الأصل: «وتحبش»، وفي السليمانية: «وتخنس»، وفي الحمزوية وأحمد٣: «ويحسن»، وفي فيض الله وفي نور العثمانية: «بل ينشر إلى ذلك ويحيس».

(٤) إسناده لين، أخرجه أحمد (**١٧ / ٢٧**)، من طريق: الزبير بن عبد الله، حدثني ربيح بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه.

(٥) ليست في المطبوع.

(٦) في أحمد٣: «فكان»، وفي الأصل هنا زيادة: «لا»، وليست في النسخ الأخرى.

وقرأَ أبو عمرو أَيضاً، وحمزة في الوصل والوقف: ﴿الظُّنُونَ﴾ بغير أَلف، وهذا هو الأَصل.

وقرأَ ابن كثير، والكسائي، وعاصم، وأَبو عمرو بالأَلف في الوقف، وبحذفها في الوصل(١).

وعلَّلوا الوقف بتساوي رؤُوس الآي، على نحو فعل العرب في القوافي من الزيادة والنقص.

وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ ظرف زمان، والعامل فيه ﴿ٱبْتُلِىَ﴾.

ومن قال: إن العامل فيه ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ فليس قوله بالقوي؛ لأَن البداءَة ليست متمكنة.

و﴿ٱبْتُلِىَ﴾ معناه: اخْتُبِر وامتحن الصابر منهم من الجازع.

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ معناه: حركوا بعنف.

وقرأَ الجمهور: / ﴿زِلْزَالًا﴾ بكسر الزاي. [٤/ ٢٠٤]

وقرأَها: (زَلْزَالاً) بالفتح: الجحدريُّ، وكذلك (زَلْزَالَهَا) في «إذا زلزلت» [الزلزلة: ١](٢).

[وهذا الفعل هو مضاعف: زل؛ أي: زلزله غيره](٣).

ثم ذكر تعالى قول المنافقين والمرضى القلوب، [ونبه عليهم](٤) على جهة الذَّم لهم.

---

(١) في هذه الكلمات ثلاث قراءات؛ الأولى: بالألف وصلًا ووقفاً لنافع وابن عامر وشعبة، وافقهم أبو جعفر كما في النشر (٢/ ٣٤٧)، والثانية بلا ألف وصلاً ووقفاً لحمزة وأبي عمرو، والثالثة بالألف وقفاً لا وصلاً لابن كثير وحفص والكسائي، انظر التيسير (ص: ١٧٨)، فيستدرك عليه ابن عامر وعدم الدقة في النقل عن عاصم، وانظر الأوجه الأخرى لأبي عمرو في السبعة (ص: ٥١٩).

(٢) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١١٩)، وعزا له الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٣٨٣) الكسر في (زلزلوا).

(٣) ساقط من المطبوع.

(٤) ليس في المطبوع.

ورُوي عن يزيد بن رومان أن معتِّب بن قُشير قال: يعدنا محمد أَن نفتح كنوز كسرى وقيصر ومكة، ونحن الآن لا يقدر أَحدنا أن يذهب إلى الغائط، ما يعدنا إلَّا غروراً؛ أَي: أَمراً يغرُّنا ويوقعنا فيما لا طاقة لنا به، وقال غيره من المنافقين نحو هذا فنزلت الآية فيهم[(١)].

وقولهم: ﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ إنما هو على جهة الهزءِ، كأنهم يقولون: على زعم هذا الذي يدعي أَنه رسول، ويدل على هذا أَن من المحال أن يكون اعتقادهم أَن ذلك الوعد هو من الله ومن رسوله ثم يصفونه بالغرور، بل معناه: على زعم هذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾.

هذه المقالة رُوي أن بني حارثة قالوها[(٢)]، [وبيوتهم بحدود المدينة، وقال مقاتل: بنو سَلِمة[(٣)]، وقيل: القائل لذلك عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول وأَصحابه][(٤)].

---

(١) مرسل، أخرجه الطبري (٢٠/ ٢١٧)، عن ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، وعمن لا أتهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وعن الزهري، وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم، وعن محمد بن كعب القرظي، وعن غيرهم من علمائنا أنه كان من حديث الخندق، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٥)، من طريق: يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثنا يزيد ابن رومان، عن عروة بن الزبير، ويزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، وعثمان بن كعب بن يهوذا، أحد بني قريظة، عن رجال من قومه قال: قال معتب بن قشير... إلخ.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٣) في حاشية المطبوع: «ذكر في بعض النسخ»، وفي تفسير البحر المحيط أنهم بنو مسلمة، والثابت في سيرة ابن هشام أنهم بنو سَلَمَة.

(٤) من المطبوع.

[و﴿يَثْرِبَ﴾: قطر محدودٌ، المدينة في طرف منه][١].

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلمي، وحفص عن عاصم، ومحمد اليماني، والأعرج: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم، والمعنى: [لا موضع إقامة.

وقرأ الباقون: ﴿لا مَقامَ﴾ بفتح الميم بمعنى: [٢] لا موضع قيام، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، وأَبي رجاءٍ، والحسن، وقتادة، والنَّخَعي، وعبد الله بن مسلم، وطلحة[٣]، والمعنى: في حومة[٤] القتال وموضع الممانعة.

﴿فَٱرۡجِعُواْ﴾ معناه: إلى منازلكم وبيوتكم، وكان هذا على جهة التخذيل عن رسول الله ﷺ.

و«الفريق المستأْذن»: روُي أَن أوس بن قَيْظِي، استأْذن في ذلك عن اتفاق من عشيرته، فقال: إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ[٥]؛ أَي: منكشفة للعدو، وقيل: بل أَراد[٦]: خالية للسراق، يقال: اعوَرَّ المنزل إذا انكشف، ومنه قول الشاعر:

له الشَّدَّةُ الأُولى إذا الْقِرْنُ أَعْوَرَا[٧] .... [الطويل]

قال ابن عباس: الفريق بنو حارثة[٨]، وهم كانوا عاهدوا الله إِثر أُحُد لا يُوَلُّون الأَدبار.

---

(١) ليس في المطبوع، وكأن ما قبله بدل منه.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٥٢٠)، وموافقة السلمي في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٢٦)، والباقين في البحر المحيط (٨/ ٤٦٠).

(٤) في المطبوع: «موضع»، وفي السليمانية: «حرمة».

(٥) نفس الخبر السابق الذي خرجناه من الطبري والبيهقي.

(٦) ليست في الأصل، «وبل»: زيادة من الحمزوية.

(٧) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٨٣)، وتهذيب اللغة (٣/ ١١٠)، وفي المطبوع: «لَنَا».

(٨) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٢٦) بسند ضعيف.

وقرأَ ابن عباس، وابن يعمر، وقتادة، وأبو رجاءٍ: (عَوِرَةٌ) بكسر الواو فيهما، وهو اسم فاعل، قال أَبو الفتح: صحة الواو في هذه شاذة؛ لأَنها متحركة قبلها فتحة[١].

وقرأَ الجمهور: ﴿عَوْرَةٌ﴾ ساكنة الواو على أَنه مصدر وُصف به، والبيت المُعْوِرُ هو المنفرد المعرَّض لمن شاءَه بسوءٍ، فأَخبر الله تعالى عن بيوتهم أنها ليست كما ذكروه، وأَن قصدهم الفِرار، وأَن ما أَظهروه من أنهم يريدون حماية بيوتهم وخاصة نفوسهم ليس كذلك، وأَنهم إنما يكرهون نصر رسول الله ﷺ، ويريدون حربه[٢] وأَن يُغلب.

ولو دُخِلت المدينة من أقطارِها، واشتد الخوف الحقيقي، ثم سُئلوا الفتنة والحرب لمحمد ﷺ وأصحابه، لطاروا إليها وأتوها مُجِبِّين[٣] فيها، ولم يتلبثوا في بيوتهم لحفظها إلَّا يسيراً، قيل: قَدْر ما يأْخذون سلاحهم.

وقرأَ الحسن البصري: (ثم سُولو الفتنة) بغير همز، وهي من: سَالَ يَسَالُ، كخاف يخاف، لغة في «سأَل» العين فيها واو، وحكى أَبو زيد: هما يتساولان[٤].

ورُوي عن الحسن: (سُيِلُوا الْفِتْنَةَ)، وقرأَ مجاهد: (سُوئِلُوا) بالمدِّ[٥] والهمز[٦].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿لأَتَوها﴾ قصراً[٧] بمعنى: لجاؤُوها.

وقرأَ عاصم، وأَبو عمرو: ﴿لَآتَوْهَا﴾ بمعنى: لأَعْطَوْهَا من أَنفسهم، وهي قراءَة

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهم وكلام أبي الفتح في المحتسب (٢/ ١٧٦).

(٢) في المطبوع: «خِزْيه».

(٣) في المطبوع: «مجيبين»، مع الإشارة للمثبت، قلت: ولعل الصواب: مخبين، بالخاء، لم تظهر نقطتها في المخطوطات.

(٤) المحتسب (٢/ ١٧٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٦١٢).

(٥) انظر قراءة مجاهد والوجه الأول للحسن في مختصر الشواذ (ص: ١٢٠)، ونقل الكرماني في الشواذ (ص: ٣٨٣) عن الحسن والزهري: (سُيلوا) بتخفيف الهمز، (وسِيلوا) بكسر السين، والأولى في المطبوع ونجيبويه وفيض الله: «سلوا»، ولم أقف على ما يوافقها في شيء من مصادر القراءات.

(٦) زيادة من السليمانية ملحقة في هامشها وعليها علامة تصحيح.

(٧) من السليمانية وكأنها ملحقة.

حمزة، والكسائي[١]، فكأَنها ردٌّ على السؤال ومشبهة له.

قال الشعبي: وقرأَها النبي ﷺ بالمدِّ[٢].

ثم أَخبر عنهم تعالى أَنهم قد كانوا عاهدوا على أَلَّا يفرُّوا، ورُوي عن يزيد بن رومان أن هذه الإشارة إلى بني حارثة[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهم مع بني سَلَمة كانتا الطائفتين اللتين همَّتا بالفشل في يوم أحد، ثم تابا وعاهدا على أَلَّا يقع منهم فرار، فوقع[٤] يوم الخندق من بني حارثة [هذا الاستئذان][٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ تَوَعُّدٌ، والأقطار النواحي واحدها قطر، وقتر، والضمير في بِها يحتمل المدينة ويحتمل الْفِتْنَةَ[٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ في هذه الآية أَن يخَاطبهم بتوبيخ، فأَعلمهم بأَن الفرار لا ينجي من القدر، وأعلمهم أَنهم لا يُمتَّعُون في تلك الأَوطان كثيراً[٧]، بل تنقطع أَعمارهم

(١) انظر السبعة (ص: ٥٢٠)، والمعروف عن ابن عامر في التيسير (ص: ١٧٨) المد، وكذا النشر (٢/ ٣٤٨)، إلا الصوري عن ابن ذكوان فبالقصر.

(٢) لم أقف عليه، ولو ثبت عن الشعبي فهو على كل حال مرسل.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٢٨).

(٤) سقط من أحمد٣، وزاد بعد «يوم الخندق»: «ولم يصدر»، وأشار لها في هامش السليمانية وعليها علامة «نخ».

(٥) ساقط من المطبوع.

(٦) في المطبوع: «البيوت».

(٧) ليست في المطبوع.

في يسير من المدة، والقليل الذي استثناه هي مدة الآجال، قاله الربيع بن خُثَيْم[١]، ثم وقفهم على [عاصمٍ من أمر الله][٢] يستندون إليه، ثم حكم بأَنهم لا يجدون ذلك، ولا وليَّ ولا نصير من الله عزَّ وجلَّ.

وقرأَت فرقة: (يُمَتَّعُونَ) بالياء، [وقرأَت فرقة: ﴿تُمَتَّعُونَ﴾ بالتاء][٣] على المخاطبة[٤].

ثم وبَّخهم بإخباره[٥] أَن الله تعالى يعلم المعوقين، وهم الذين يعوقون الناس عن نُصْرَة الرسول ﷺ، ويمنعونهم بالأَقوال والأفعال من ذلك، ويسعون على الدين[٦]، تقول: عاقني أَمر كذا، وعوَّقني: إذا بالغت وضعفت الفعل.

وأَما القائلون فاختلف الناسُ في حالهم ـ فقال ابن زيد وغيره: أَراد [من كان من][٧] المنافقين، / يقول المنافق لإخوانه في النسب وقرابته: هَلُمَّ إلينا؛ أَي: إلى المنازل والأَكل والشرب وترك القتال. [٤/ ٢٠٥]

ورُوي أَن جماعةً منهم فعلت ذلك.

ورُوي أَن رجلاً من المؤمنين رجع إلى داره فوجد أَخاً له منافقاً، بين يديه رغيف وشواءٌ ونبيذ[٨]، فقال له: أَتجلس يا فلان هكذا ورسول الله ﷺ في القتال؟ فقال له أَخوه: هلُمَّ إلى ما أَنا فيه يا فلانُ، ودعنا من محمد فقد ـ والله ـ هَلَكَ، وماله قِبَلٌ بأَعدائه، فشتمه

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٢٩).
(٢) في فيض الله: «على أن لا عاصم»، وفي السليمانية: «من أمر الله»، وفي الأصل: «يسيرون»، بدل: «يستندون».
(٣) ساقط من الأصل والسليمانية.
(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ١٥١)، وعزا الياء لرواية الساجي عن يعقوب الحضرمي.
(٥) سقطت من الأصل.
(٦) في المطبوع بدلًا منه: «الذين ينصرونه».
(٧) ليس في المطبوع.
(٨) في الأصل: «وتين».

أَخوه وقال: والله لأُعَرِّفن رسول الله ﷺ، فذهب إلى النبي ﷺ فوجد الآية نزلت[١].

وقالت فرقة: بل أَراد من كان من المنافقين يداخل كفار قريش والعرب[٢]، فإنه كان منهم من داخلهم، وقال لهم: هَلُمَّ إلينا؛ أَي: إلى المدينة فإنكم تغلبون محمداً، وتستأصلونه[٣] والإخوان ـ على هذا ـ هم في الكفر والمذهب السُّوءِ.

و﴿هَلُمَّ﴾ [معناه الدعاء إلى الشيء][٤]، ومن العرب من يستعملها على حدٍّ واحد في المذكَّر والمؤنث والمفرد والجمع، وهذا على أَنها اسم فعل، وهذه لغة أَهل الحجاز، ومنهم من يُجريها مجرى الأفعال فيُلحقها الضمائر المختلفة، فيقولون: هَلُمَّ، وهلمي[٥] وَهَلُمُّوا. وأَصل «هَلُمَّ»: هَالْمُمْ، نقلت حركة الميم إلى اللام فاستُغْني عن الأَلف، وأُدغمت الميم في الميم لسكونها فجاءَ «هَلُمَّ»، وهذا مثلُ تعليل: رُدَّ، من: ارْدُدْ.

و﴿ٱلْبَأْسَ﴾: القتال، و﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ معناه: إلَّا إتياناً قليلاً، وقِلَّته يحتمل أَن تكون لِقِصَر مُدَّته وقِلَّة أزمنته، ويحتمل أَن تكون [لخساسته وقلة غنائه][٦]، وأَنه رياءٌ وتلميع لا تحقيق.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿أَشِحَّةً﴾ جمع شحيح، ونصبه على الحال من «القَائِلِينَ»: أو من فعل مضمر دلَّ عليه قوله: ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾، أَوْ من الضمير في ﴿يَأْتُونَ﴾، أو على الذم.

---

(١) هذا أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٣٠)، من قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.
(٢) في الأصل: «من العرب»، والمثبت من النسخ الأخرى.
(٣) ليست في المطبوع.
(٤) في المطبوع بدلًا منه: «بمعنى: أَقْبِل».
(٥) ليست في المطبوع
(٦) في المطبوع بدلًا منه: «لقلَّة عقابه»، وفي السليمانية: «عنائه».

وقد منع بعض النحاة أَن يعمَل في هذه الحال ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ أَو «الْقَائِلِينَ» لمكان التفريق بين الصلة والموصول بقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ وهو غير داخل في الصلة.

وهذا الشُّحُّ: قيل هو بأَنفسهم يشحون على المؤمنين بها، [وقيل: بإخوانهم][(١)]، وقيل: بأَموالهم في النفقات في سبيل الله، وقيل: بالغنيمة عند القَسْم، والصواب تعميم الشُّح، وأَن يكون بكل ما فيه للمؤمنين منفعة.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾، قيل: معناه: فإذا قوي الخوف من العدوِّ، وتُوُقِّع أَن يسْتأْصل جميع أَهل المدينة، لاذ هؤلاءِ المنافقون بك، ينظرون نظر الهَلِعِ المختلط، كنظر الذي يغشى عليه [من الموت][(٢)]، فإذا ذهب ذلك الخوف العظيم [وتنفس المحنق][(٣)] ﴿سَلَقُوكُم﴾؛ أَي: خاطبوكم مخاطبة بليغة، يقال: خطيب سَلاَّقٌ ومِسْلَاقٌ[(٤)]، ومسلق، ولسانٌ أَيضاً كذلك إذا كان فصيحاً مقتدراً.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (صَلَقُوكُمْ) بالصَّاد[(٥)].

ووصف الأَلسنة بالحِدَّة لِقَطْعها المعاني، ونفوذها في الأَقوال.

وقالت فرقة: معنى قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾؛ أَي: إذا كان المؤمنون في قوة وظهور، وخشي هؤلاءِ المنافقون سطوتك يا محمد رأَيتهم يصانعون وينظرون إِليك نظر فازع منك خائف هلع، فإِذا ذهب خوفك عنهم باشتغالك بعدوٍّ ونحوه ـ كما كان مع الأَحزاب ـ سلقوكم حينئذ، واختلف الناس في المعنى الذي فيه يسلقون:

فقال يزيد بن رومان وغيره: ذلك في أذى المؤمنين وسبِّهم وتنقيص الشرع ونحو هذا.

---

(١) ليست في أحمد٣.

(٢) من المطبوع.

(٣) ليس في المطبوع، وفي السليمانية: «المختنق»، وفي فيض الله: «المحتنق».

(٤) سقطت من المطبوع.

(٥) وهي شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٦١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤).

وقال قتادة: ذلك في طلب العطاء من الغنيمة والإِلحاف في المسألة[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان يترتَّبَان مع كل واحد من التأْويلين المتقدمين في الخوف.

وقالت فرقة: السَّلْقُ: هو في مخادعة المؤمنين بما يُرضيهم من القول على جهة المصانعة والمخاتلة.

وقوله: ﴿أَشِحَّةً﴾: حال من الضمير في ﴿سَلَقُوكُم﴾، وقوله: ﴿عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ يَدُلُّ على عموم الشُّحِّ في قوله أَولاً: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾.

وقيل في هذا: معناه: أَشحةً على مال[٢] الغنائم، وهذا على مذهب من قال: إِن الخيرَ في كتاب الله حيث وقع فهو بمعنى المال.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (أَشِحَّةٌ) بالرفع[٣].

ثم أَخبر تعالى عنهم أنهم لم يؤمنوا، ولا كمل تصديقهم، وجمهور المفسرين على أن هذه الإِشارة إلى منافقين لم يكن لهم قط إيمان، ويكون قوله: ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ﴾؛ أَي: أَنها لم تقبل[٤] قط فكانت[٥] كالْمُحْبَطَة.

وحكى الطبري عن ابن زيد عن أَبيه أَنه قال: نزلت في رجل بدريٍّ نافق بعد ذلك، ووقع في هذه المعاني فأَحبط الله عمله في بدر وغيرها[٦].

قال القاضي أبو محمد: وهذا فيه ضعف.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٣٦).

(٢) في السليمانية: «حال».

(٣) وهي شاذة، انظرها في الكامل للهذلي (ص: ٦١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤).

(٤) في المطبوع: «تكمل»، ولفظة: «قط» زيادة من المطبوع والسليمانية وفيض الله.

(٥) في المطبوع: «أَيْ أَنها».

(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٣).

والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ يحتمل أَن تكون إِلى إِحباط عمل هؤلاءِ المنافقين.

ويحتمل أَن تكون إلى جملة حالهم التي وصف من شحهم ونظرهم[١] وغير ذلك من أَعمالهم؛ أَي: أَن أَمرهم يسير لا يبالى به، ولَا له أَثر في دفع خير ولا جلب شر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

الضمير في ﴿يَحْسَبُونَ﴾ للمنافقين، والمعنى: أنهم من الجزع والفزع بحيث رحل الأَحزاب / وهزمهم الله تعالى وهؤلاءِ يظنون أنها من الخدع[٢] وأنهم لم يذهبوا، [٤/ ٢٠٦] بل يريدون الكَرَّة إلى غلب[٣] المدينة، ثم أَخبر تعالى عن معتقد هؤلاءِ المنافقين أَن ودَّهم لو أَتى الأَحزاب وحاصروا المدينة أَن يكونوا هم قد خرجوا إلى البادية في جملة الأعراب، وهم أَهل العمود والرحيل من قُطر إلى قُطر، ومن كان من العرب مقيماً بأَرض مستوطناً فلا يُسمَّونَ أَعراباً، وغرضهم من البداوة أَن يكونوا سالمين من القتال.

وقرأ ابن عباس، وطلحة بن مصرِّف: (لو أنهم بُدًّى في الأعراب) شديدة الدال منونة، وهو جمع بادٍ، كغازٍ وغُزًّى.

وروي عن ابن عباس: [(لو أنهم بدوا)][٤].

---

(١) في أحمد٣: «وبطرهم».

(٢) «أنها من الخدع و»: سقطت من المطبوع.

(٣) سقطت من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «بدا» فعلًا ماضياً، قال في حاشيته: هكذا في الأصول، والقراءتان شاذن، نقل الأولى عن ابن عباس في المحتسب (٢/ ١٧٧)، وضبطها شديدة الدال، منونة، ونقلها عن طلحة في مختصر الشواذ (ص: ١٢٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤)، وضبط قراءة ابن عباس الثانية: (بداء) بالتشديد والمد والهمز، وضبطها في البحر المحيط (٨/ ٤٦٥)، (بدا) فعلاً ماضياً، قال: وفي رواية صاحب الإقليد: (بدي) بوزن عدي، وضبطها الآلوسي (١١/ ١٦٤): (بدوا) فعلاً ماضياً.

وقرأَ أَهل مكة، ونافع، وابن كثير، والحسن: ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾؛ أَي: [من ورد عليهم][(١)] عن أَنبائكم.

وقرأَ أبو عمرو، وعاصم، والأَعمش، [والحسن بخلاف][(٢)]: (يَسَلُونَ) خفيفة[(٣)] بغير همز[(٤)]، نحو قوله تعالى: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١].

وقرأَ الجحدري، وقتادة، والحسن بخلاف عنه: ﴿يَسَّاءَلُونَ﴾؛ أَي: يسأَل بعضهم بعضاً[(٥)].

قال الجحدري في الإِمام: (يَتَسَاءَلُونَ) [(٦)].

ثم سَلَّى الله تعالى نبيَّه[(٧)] عنهم، وحقَّر شأْنهم بأَن أَخبر أَنهم لو حضروا لما أَغنوا ولما قاتلوا إِلَّا قتالاً قليلاً لا نفع له.

قال الثعلبي: هو قليل من حيث هو رياءٌ من غير حسبة ولو كان لله لكان كثيراً[(٨)].

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) كتبت في المطبوع: (يسالون) بالألف، ولفظ: «خفيفة» ليست في المطبوع وفيض الله، وفي الحمزوية: «حقيقة».

(٤) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (٨/ ٤٦٥)، قال: ولا يعرف ذلك عن أبي عمرو وعاصم، وما في حاشية المطبوع لعله تخمين.

(٥) وهي عشرية من رواية رويس عن يعقوب كما في تحبير التيسير (ص: ٥١١)، وعزاها الطبري (٢٠/ ٢٣٥) للجحدري، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٩) للحسن، وانظر الباقين في البحر المحيط (٨/ ٤٦٥).

(٦) لم أقف عليه، وهي شاذة عزاها تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٥)، وفي نجيبويه: «في الأيام»، وفي حاشية المطبوع: لعلها: «وَقَرَأَ الجحدري».

(٧) من المطبوع، وفي نجيبويه: «ثم مثل».

(٨) ولفظه في التفسير (٨/ ٢٢): ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً، وفي المطبوع: «التغلبي».

ثم أخبر تعالى على جهة الموعظة بأَن كل مسلم ومدع في الإِسلام [لقد كان][(١)] يجب أن يقتدي بمحمد ﷺ حين قاتل وصبر وجاد بنفسه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿إِسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة، وقرأَ عاصم وحده: ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الهمزة[(٢)].

وهما لغتان، ومعناه: قدوة، وتأَسَّى الرَّجلُ[(٣)]: إذا اقتدى.

و«رجاءُ الله» تابع للمعرفة به، و«رجاءُ اليوم الآخر» ثمرةُ العمل الصالح.

و«ذِكْرُ الله كثيراً» من خير الأَعمال، فنبَّه عليه.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (يحسبون الأَحزاب [قد ذهبوا، فإِذا وجدوهم لم يذهبوا][(٤)] ودُّوا أَنهم بادون في الأعراب)[(٥)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

وصف الله تعالى فِعْلَ[(٦)] المؤمنين حين رأَوا تجمع الأَحزاب لحربهم، وصبرهم على الشدة[(٧)]، وتصديقَهم وعد الله تعالى على لسان نبيِّه ﷺ.

---

(١) ليس في المطبوع، وفي أحمد٣: «قد»، دون لام.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٧٨)، والسبعة (ص: ٥٢٠).

(٣) ليست في الأصل، وهي في السليمانية ملحقة.

(٤) في الأصل: «لم يذهبوا فإذا وجدوهم قد ذهبوا».

(٥) وهي شاذة مخالفة للمصحف، انظرها في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٤)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٩).

(٦) سقطت من الأصل ونجيبويه، وهي في السليمانية ملحقة، وفي أحمد٣: «وصف تعالى فعلهم».

(٧) في المطبوع: «البلاءِ».

[واختلف في مراد المؤمنين بوعد الله ورسوله لهم][١]:

فقالت فرقة: أَرادوا ما أَعلمهم به رسول الله ﷺ حين أَمرهم بحفر[٢] الخندق، فإِنه أَعلمهم بأَنهم سَيُحْصَرون، وأَمرهم[٣] بالاستعداد لذلك، وبأَنهم[٤] سينتصرون من بعد ذلك، فلما رأَوا الأَحزاب قالوا: ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ، فسَلَّموا لأول الأَمر وانتظروا آخره[٥].

وقالت فرقة: أَرادوا بوعد الله ما نزل في سورة البقرة، من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يكون المؤمنون نظروا في هذه الآية، وفي قول رسول الله ﷺ عند أَمرهم بحفر الخندق، وأَشاروا بالوعد إلى جميع ذلك، وهما مقالتان، إحداهما من الله تعالى، والأُخرى من رسوله ﷺ.

و«زيادة الإِيمان» هنا: هي في أَوصافه لا في ذاته؛ لأَن ثُبوته وإِبعاد الشُّكوك عنه والشُّبَه زيادة في أَوصافه، ويحتمل أَن يزيد إيمانُهم بما وقع، وبما أخبر به رسول الله ﷺ مما لم يقع، فتكون الزيادة[٦] بهذا الوجه فيما يُؤْمَن به لا في نفس الإِيمان.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (وما زادوهم) بواو جمع[٧].

و«التَّسْلِيمُ»: الانقياد لأَمر الله تعالى كيف جاءَ، ومن ذلك ما ذكرناه من أَن

---

(١) في المطبوع: «واختلف المتأَولون مَاذا أَرادوا بوعد الله ورسوله؟».
(٢) في السليمانية وفيض الله: «بفتح».
(٣) في نجيبويه: «أعلمهم».
(٤) في السليمانية وفيض الله: «وأعلمهم بأنهم».
(٥) في المطبوع وفيض الله: «أجره».
(٦) في أحمد٣: «الشهادة».
(٧) وهي شاذة تابعه عليها في البحر المحيط (٨/ ٤٦٧).

المؤمنين قالوا لرسول الله ﷺ عند اشتداد ذلك الخوف: يا رسول الله إِن هذا أَمر عظيم، فهل من شيءٍ نقوله؟ فقال: «قولوا: اللهم آمن روعاتنا واستُر عوراتنا»[١]، فقالها المسلمون في تلك الضِّيقات.

ثم أَثنى الله عزَّ وجلَّ على رجال من المؤمنين عاهدوا الله تعالى على الاستقامة التامة، فوفوا وقضَوْا نَحْبهم؛ أَي: نَذْرَهُم وعهدهم.

و«النَّحْبُ» في كلام العرب: النَّذْرُ والشيءُ الذي يلتزمه الإِنسان ويعتقد الوفاءَ به.

ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... قَضَى نَحْبَهُ في مُلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبَرُ[٢]

المعنى: أَنه التزم الصبر إِلى موت أَو فتْح فمات[٣]، ومن ذلك قول جرير:

[الطويل] بِطَخْفَةَ جالَدْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا عَشِيَّةَ بِسْطَامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ[٤]

أَي: على أَمر عظيم التزم القيام به، كأَنه خطر عظيم، وشبهه.

وقد يُسمَّى الموتُ نحباً، وبه فسَّر ابن عباسٍ هذه الآية[٥].

وقال الحسن: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: مات على ما عهد[٦].

---

(١) في المطبوع: «عيوبنا»، والحديث سبق تخريجه في تفسير الآية رقم (١٠) من سورة الأحزاب.

(٢) صدره: عَشِيَّةَ فَرَّ الحارثيون بَعْدَمَا، وهو لذي الرمة كما في تأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٧)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٣)، والزاهر للأنباري (١/ ٣٥٦)، والمحكم (٤/ ٣٠٩)، والمفصل (ص: ١٣٥)، وهَوْبَر: اسم رجل ويزيد بن هَوْبر، من بني الحارث بن كعب.

(٣) ليست في الأصل.

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ١٣٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٤٨)، وتهذيب اللغة (٥/ ٧٥)، وطَخْفَة: جبل.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٣٩)، من طريق: شريك بن عبد الله، عن سالم ـ هو الأفطس ـ عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وإسناده جيد.

(٦) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٣٤)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٨)، وتفسير ابن فورك (٢/ ١٠٠).

ويقال للَّذي جاهد في أَمر حتى مات: قَضى نَحْبه، ويقال لمن مات: قضى فلانٌ نحْبه، وهذا تجوُّز، كأَن الموتَ أَمرٌ لابد للإنسان أَن يقع به، فسُمِّي نَحْباً لذلك.

فمِمَّن سمَّى المفسرون أَنه أُشير إِليه بهذه الآية: أَنَسُ بن النضر، عَمُّ أَنس بن مالك، وذلك أَنه غاب عن بدر، فساءَه ذلك وقال: لَئِن شهدتُ مع رسول الله ﷺ مشهداً لَيَـرَيَنَّ الله ما أَصنع، فلما كانت أُحد أَبْلى بلاءً حسناً حتَّى قُتل، ووجد فيه نيِّف على ثمانين جرحاً[١].

فقالت فرقة: إِن هذه الإِشارة هي إِلى أَنس بن النَّضْر ونظرائه / ممن استشهد في ذات الله تعالى. [٤/ ٢٠٧]

وقال مقاتل والكلبي: الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه هم أَهلُ العقبة السبعون أَهل البيعة[٢].

وقالت فرقة: الموصوفون بقضاءِ النَّحْب هم جماعة من أَصحاب رسول الله ﷺ، وفوا بعهود الإسلام على التمام، فالشُّهداءُ منهم، والعشَرَةُ الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة منهم، إلى من حصل في هذه المرتبة مِمَّن لم يُنَصَّ عليه.

ويُصحح هذه المقالة ما روي أن رسول الله ﷺ كان على المنبر، فقال له أَعرابي: يا رسول الله، من الذي قضى نحبه؟ فسكت عنه النبي ﷺ ساعة، ثم دخل طلحة بن عبيد الله على باب المسجد، وعليه ثوبان أَخضران، فقال رسول الله ﷺ: «أَين السائل؟» فقال: هأَنذا يا رسول الله، قال: «هذا ممن قضى نَحْبه»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥).

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٠).

(٣) غريب اختلف في إسناده وصلًا وإرسالًا، أخرجه الترمذي (٣٢٠٣)، عن أبي كريب، عن يونس بن بكير، عن طلحة بن يحيى، عن موسى وعيسى ابني طلحة، عن أبيهما طلحة بنحوه، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يونس بن بكير، وقال في (٣٧٤٢): هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي كريب، عن يونس بن بكير، وقد رواه غير واحد من كبار أهل الحديث عن أبي كريب هذا الحديث، وسمعت محمد بن إسماعيل يحدث بهذا عن أبي =

قال القاضي أبو محمد: فهذا أدل[١] دليل على أَن النَّحْب ليس من شروطه الموت.

وقال معاوية بن أَبي سفيان: إِني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «طلحة ممن قضى نَحْبه»[٢].

وروت هذا المعنى عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[٤]؛ يريد: ومنهم من ينتظر الحصول على أعلى مراتب الإِيمان والصلاح، وهو بسبيل ذلك، وما بدَّلوا ولا غيَّروا، ثم أَكَّد بالمصدر.

= كريب، ووضعه في كتاب الفوائد. اهـ، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣٩٩)، عن عبدالله ابن إدريس عن طلحة بن يحيى، عن عمه عيسى بن طلحة أن أعرابياً، ثم عن الحسن بن علي، ثنا سليمان بن أيوب بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، حدثني أبي، عن جدي سليمان، عن موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة، وذكر الطبري في تهذيب الآثار (١/ ٣٣٤) علل هذا الخبر عند أهل الحديث، فقال: إحداها: أنه خبر لا يعرف له مخرج عن طلحة، عن رسول الله ﷺ إلا من هذا الوجه، والخبر إذا انفرد به عندهم منفرد، وجب التثبت فيه، والثانية: أنه من رواية طلحة بن يحيى، وطلحة بن يحيى ـ عندهم ـ ممن لا يثبت بنقله في الدين حجة، والثالثة: أنه خبر قد حدث به عن موسى بن طلحة، غير طلحة بن يحيى، فقال فيه: عنه عن معاوية عن رسول الله ﷺ، وقد حدث هذا الحديث عن إسحاق بن يحيى غير عبد الحميد الحماني، فوافق في روايته عنه، طلحة بن يحيى، فقال فيه: عن موسى بن طلحة، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ، والرابعة: أنه قد حدث به عن طلحة بن يحيى، غير يونس بن بكير فقال فيه: عنه، عن عيسى بن طلحة، أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فأرسله عن عيسى، ولم يرفعه إلى طلحة، ولم يذكر فيه موسى بن طلحة.اهـ.

(١) ليست في المطبوع، وفي أحمد٣: «من أدل دليل».

(٢) وقد سبقت الإشارة لهذه الرواية في نفس الحديث السابق، وهي رواية غير محفوظة، أتى بها إسحاق بن يحيى الطلحي، وهو ضعيف جداً، واختلف مع ذلك عليه فيه.

(٣) ضعيف، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٠)، من طريق: إسحاق بن يحيى بن طلحة أيضاً، وصحح إسناده الحاكم فقال الذهبي: إسحاق بن يحيى بن طلحة متروك قاله أحمد.اهـ.

(٤) جاء في نسخة أحمد٣ هنا: «كمل الجزء الخامس، ولله الحمد والمنة، في يوم الأربعاء، ثالث شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة، على يد العبد المستغفر لله من ذنبه محمد بن أحمد غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين».

وقرأ ابن عباس على منبر البصرة: (ومنهم مَنْ بَدَّلَ تَبديلاً)، [رواه عنه أَبو نصرة[1].

وروى عنه عمرو بن دينار: (ومِنْهُم من يَنْتَظر وآخرون بَدَّلوا تبديلاً)][2].

واللام في قوله تعالى: ﴿لِّيَجۡزِيَ﴾ لام الصيرورة والعاقبة، ويحتمل أَن تكون لام كي، وتعذيب المنافقين ثمرة إِدامتهم الإِقامة على النفاق إلى موتهم، والتوبة موازية لتلك الإِدامة، وثمرة التوبة تركهم دون عذاب، فهما درجتان: إِدامة على نفاق، أَو توبة منه، وعنهما ثمرتان: تعذيب أَو رحمة، فَذَكَر الله تعالى ـ على جهة الإِيجاز ـ واحدةً من هاتين، وواحدة من هاتين، ودلَّ ما ذكر على ما ترك ذكره.

ويَدُلُّك على أَن معنى قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ﴾[3]: ليديم على النفاق قولُه: ﴿إِن شَآءَ﴾ معادلته بالتوبة [وبحرف ﴿أَوۡ﴾][4]، ولا يُجَوِّز أَحدٌ أَنَّ ﴿إِن شَآءَ﴾ يصحُّ في تعذيب منافق على نفاقه، بل قد حتم الله على نفسه بتعذيبه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ۝٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ۝٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ۝٢٧﴾.

عدَّدَ الله تعالى في هذه الآية نعمه على المؤمنين في هزم الأحزاب، وأن الله

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤)، وروى ابن حبان في الصحيح (١١/ ٩٢)، عن حماد قال: قرأت في مصحف أبي... إلخ، وفي تفسير القرطبي (١٤/ ١٦٠): قال أبو بكر الأنباري: وهذا الحديث عند أهل العلم مردود؛ لخلافه الإجماع.

(٢) ساقط من نور العثمانية، وهي شاذة، وهي من غرائب الشيخ، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، وكتبت في المطبوع: «ومنهم من ينتظر».

(٣) كتبت في المطبوع: «ليعذب».

(٤) ساقط من الأصل، وفيه: «معادلة».

تعالى ردَّهم بغيظهم لَمْ يَشْفوا منه شيئاً، ولا نالوا مُراداً، وكفى الله كلَّ مؤمن[١] كان مع رسول الله ﷺ أَن يُقاتل الأَحزاب.

ورُوي أَن المراد بالمؤمنين هنا عليُّ بن أَبي طالب، وقوم معه عبئوا[٢] للقتال وبرزوا[٣] ودعَوْا إليه، [وقتل علي][٤] رجلًا من المشركين اسمه عمرو بن عَبْد وُدٍّ[٥]، فكفاهم الله مداومة ذلك وعودته[٦] بأَنْ هزم الأَحزاب بالريح والملائكة، وصنع ذلك بقوته وعزته.

قال أَبو سعيد الخُدْري: حُبسنا يوم الخندق فلم نُصَلِّ الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاءَ، حتى كان بعد هوي من اللَّيل كفينا، وأَنزل الله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾، وأَمر رسول الله ﷺ بلالاً فأَقام، وصلى الظهر فأَحسنها، ثم كذلك [حتى صلّى][٧] كل صلاة بإقامة إقامة[٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم ﴾؛ يريد بني قريظة بإِجماعٍ من المفسرين، قال الرماني: وقال الحسن: الذين أُنزلوا من صياصيهم بنو النضير، وقال الناس: هم بنو قريظة[٩]، وذلك أَنهم لما غدروا برسول الله ﷺ وظاهروا الأحزاب عليه أَراد الله النقمة منهم، فلما ذهب الأَحزاب جاءَ جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وقت

---

(١) اسم الجلالة من المطبوع، وفي نجبيويه: «على كل مؤمن».

(٢) في الأصل ونجيبويه والسليمانية ونور العثمانية: «عنوا»، وفي أحمد٣: «عبوا»، وفي فيض الله: «عينوا».

(٣) في نجيبويه: «نذروا».

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «وقيل: عنى».

(٥) ورد هذا من طرق أشهرها وأمثلها ما سبق تخريجه في الآية (١٠) في قصة غزوة الخندق حسبما ساقها ابن إسحاق في السيرة.

(٦) في المطبوع وأحمد٣ والحمزوية: «ودعوتَه».

(٧) من السليمانية، وسقطت منها: «إقامة»، وفي أحمد٣: «حتى كل صلاة».

(٨) صحيح، أخرجه أحمد (١٧/ ٢٩٣)، والدارمي (١٥٢٤)، وابن خزيمة (٩٩٦) (١٧٠٣)، وغيرهم من طريق: ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه.

(٩) انظر القولين في تفسير ابن فورك (٢/ ١٠٣).

الظهر، فقال: يا محمد، إِن الله يأْمرك بالخروج إلى بني قريظة، فنادى رسول الله ﷺ في الناس، وقال لهم: «لا يُصَلِّيَنَّ أَحدٌ العصر إِلَّا في بني قريظة»، فخرج الناس إليها، ووصلها قوم من الصحابة بعد العشاءِ وهم لم يُصلوا العصر وقوفاً مع لفظ النبي ﷺ، فلم يخطِّئهم رسول الله ﷺ في ذلك، وصلى قومٌ في الطريق، ورأَوا أن قول النبي ﷺ إِنما خرج مخرج التأْكيد، فلم يخطئهم أَيضاً[١].

وحاصر رسول الله ﷺ بني قُرَيْظَةَ خمساً وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حكم سعد ابن معاذ الأَوْسي، وكان بينهم وبين الأَوس حِلْف، فَرَجَوْا حُنَوَّه عليهم، فحكم فيهم سعْدٌ بأَن تقتل المقاتلة، وتُسبى الذرية والعيال والأَموال، وأَن تكون الأَرض والثمار للمهاجرين دون الأَنصار، فقالت له الأَنصار في ذلك، فقال: أَردتُ أَن تكون لهم أَموال كما لكم أَموالٌ، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك[٢] من فوق سبعة أَرْقِعة»، فأَمر رسول الله ﷺ برجالهم فأُخرجوا أَرسالاً، وضرب أَعناقهم، وهم من الثمان مئة إلى التسع مئة، وسيق فيهم حُيَيُّ بن أَخطب النضري، وهو الذي كان أَدخلهم في الغدر برسول الله ﷺ[٣].

فلما ذهب الأَحزاب دخل عندهم، [وفاء لهم][٤]، فأَخذه الحَصْر حتى نزل فيمن نزل على حُكْم سعدٍ، فلما قُرِّب[٥] وعليه حُلَّتان فُقَّاحِيَّتَانِ[٦]، ويداه مجموعتان

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٩٤٦) (٤١١٩)، ومسلم (٢٥).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «المليك».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٩)، دون قوله: «من فوق سبعة أَرقعة»، أما بهذا اللفظ فرواه ابن إسحاق من مرسل علقمة بن وقاص، أخرجه عنه ابن زنجويه في الأموال (٤٢١) وغيره.

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) في الأصل: «نزل»، والمثبت من النسخ الأخرى.

(٦) الحُلَّة الفُقَّاحِيَّةُ: هي التي لونها بلون الورد حين يبدأ في التَّفَتُّح.

[٤/ ٢٠٨] إلى عنقه وأَبصر رسول الله ﷺ / فقال له: والله يا محمد، ما لُمْتُ نفسي في عداوتك،؛ ولقد اجتهدت ولكن من يَخْذل الله يُخذل[١]، ثم قال: أَيُّها الناس، إِنه لا بأْس، أمر الله وقَدَرُه ومَلْحَمَةٌ كُتبت على بني إِسرائيل، ثم تقدم فضربت عنقه، وفيه يقول جَبَل بن جَوَّال الثعلبي[٢]:

[الطويل]
لَعَمْرك ما لَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ... ولكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ الله يُخْذَلِ
لَجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا ... وقَلْقَلَ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقَلْقِلِ[٣]

وقوله: ﴿ظَاهَرُوهُم﴾ معناه: عاونوهم.

وقرأ عبد الله بن مسعود: «الَّذِينَ آزَرُوهُمْ»[٤]، وهي بمعنى: ظاهروهم.

و«الصَّياصِي»: الحصون، وإحداها: صِيصَة، وهي كل ما يُتَمَنع به، ومنه يقال لقرون البقر: الصَّيَاصِي، والصَّيَاصِي أَيضاً: شوكُ الحاكة، وتُتَّخَذ من حديد، ومنه قول دُرَيْد بن الصِّمَّة:

[الطويل]
.... كَوَقْعِ الصَّيَاصي في النَّسيجِ الْمُمَدَّدِ[٥]

و«الفريقُ المقتول»: الرِّجال المقاتلة، و«الفريقُ المأْسورُ»: العيالُ والذرية.

---

(١) هو ضمن حديث غزوة الخندق الذي سبق حسبما ساقها ابن إسحاق في السيرة.

(٢) هو جبل بن جوال بن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن ابن ثعلبة بن سعد بن ذبيان، الشاعر الذبياني، ثم الثعلبي، كان يهودياً فأسلم، قال الدارقطني، وأبو نصر: له صحبة، أسد الغابة (١/ ٥٠٨)، وفي المطبوع: «التَّغْلبيُّ».

(٣) انظر عزو البيتين له في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٤٨)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٤١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٢٨)، في السليمانية: «لعمري»، وفيها وفي فيض الله: «لأجهد».

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٤٠).

(٥) صدره: نَظَرْتُ إِلَيْهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُهُ، عزاه له في العين (٧/ ١٧٦)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٥٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٨٦).

وقرأَ الجمهور: ﴿وَتَأۡسِرُونَ﴾ بكسر السين، وقرأَها أَبو حيوة: (وَتَأْسُرُونَ) بضم السِّين[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثَكُمۡ﴾ استعارة، من حيث حصل ذلك لهم بعد موت الآخرين من قبلهم[٢].

وقوله: ﴿وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ﴾؛ يريد: بها البلاد التي فتحت [على المسلمين][٣] بعْدُ كالعراق والشام واليمن ومكة، فوعَدَ الله بها عند فتح حصون بني قُرَيْظَة، وأَخبر أَنه قد قضى بذلك، قاله عكرمة[٤].

وذكر الطبري عن فِرَقٍ أَنهم خصصوا ذلك:

فقال الحسن بن أبي الحسن: أَراد الروم وفارس، وقال قتادة: كنا نتحدث أَنها مكة.

وقال يزيد بن رومان، ومقاتل، وابن زيد: هي خَيْبر، وقالت فرقة: اليمن[٥].

قال القاضي أَبو محمد: ولا وجه لتخصيص شيءٍ من ذلك دون شيءٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾﴾.

اختلف الناسُ في سببها:

فقال قتادة: سببها غَيْرة غارتها عائشة[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٢٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٣٨٤).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «وقتلهم».

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣١)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٩٣)، وتفسير السمعاني (٤/ ٢٧٤).

(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٥٢) من قول قتادة، وفي الأصل: «فقالت فرقة».

وقال ابن زيد: وقع بين أَزواجه تغاير ونحوه مما شقي[(١)] هو به ﷺ، فنزلت الآية بسبب ذلك، ويسر[(٢)] الله أَن يصرف إِرادته في أن يؤوي إِليه من يشاءُ[(٣)].

وقال أَبو الزُّبَيْر: نزل ذلك بسبب أَن رسول الله ﷺ سأَله أَزواجه النفقة، وتَشَطَّطْن في تكليفه منها فوق وُسْعه[(٤)].

وقالت فرقة: بل سبب ذلك: أَنهن طلبن منه ثياباً وملابس، وقالت واحدة: لو كُنَّا عند غير رسول الله ﷺ لكنا لنا حُلي ومتاع.

وقال بعض الناس: هذه الآية أُمر رسول الله ﷺ بتلاوتها عليهن، وتَخييرهن بين الدنيا والآخرة وأَمر الطلاق مُرْجأٌ[(٥)]، فلو اخترن أنفسهن نظر هو كيف يسرحهن، وليس فيها تَخْييرهن في الطلاق؛ لأَن التخيير يتضمن ثلاث تطليقات، وهو قد قال: ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾، وليس مع بَتِّ الطلاق سراحٌ جميلٌ[(٦)].

وقالت فرقة: بل هي آية تَخْيير، [واخْتَرْنه ﷺ، ولم][(٧)] يعد ذلك طلاقاً، وهو قول عائشة أَيضاً[(٨)].

---

(١) سقطت من فيض الله، وفي السليمانية: «سيئ»، ولفظة: «ونحوه» سقطت من الأصل.

(٢) في المطبوع: «وبشره».

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٥٢)، وهو من قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٥١)، بإسناد صحيح عن أبي الزبير به مرسلًا، وفي نجيبويه وفيض الله: «ابن الزبير».

(٥) في فيض الله: «مؤخر».

(٦) هذا قول ابن عبد الحكم المالكي كما في الهداية لمكي (٩/ ٥٨٢٦)، وقد رد عليه ابن العربي في أحكام القرآن له (٣/ ٥٦١).

(٧) في الحمزوية: «ولو اخترنه لم».

(٨) أخرج مسلم (١٤٧٥): أن عائشة، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: «إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك»، قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله عز وجل قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا =

واختلف الناس في التَّخْيير إذا اختارت المرأَة نفسها:

فقال مالك: هي طالقٌ ثلاثاً، ولا مناكرة للزوج، بخلاف التمليك[١].

وقال غيره: هي طلقة بائنة[٢].

وقال بعض الصحابة: إِذا خيَّر الرجل امرأَته فاختارت فهي طلقة[٣]، وهذا مخالف جداً.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أَي: إِنْ كانت عظم همتكن ومطلبكن الدنيا[٤]؛ أَي: التَّعَمُّق فيها والنَّيْل من نعيمها.

و«زينةُ الدنيا»: المالُ والبنون.

و(تَعَالَيْنَ): دعاءٌ.

و﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ معناه: أُعطيكن المتاع الذي ندب الله إليه في قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وأَكثر الناس على أَنها من [المندوب إليه][٥]، وقالت فرقة: هي واجبةٌ[٦].

= وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]»، قالت: فقلت: في أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت.

(١) انظر قول مالك في: الاستذكار (٦/ ٧٣).

(٢) ممن قال بهذا القول علي رضي الله عنه كما في الأوسط (٩/ ٢١٥)، وأبو حنيفة وأصحابه، كما في المبسوط للسرخسي (٦/ ٢٤٨).

(٣) روي هذا القول عن علي وزيد بن ثابت كما في الأوسط (٩/ ٢١٣).

(٤) ليست في المطبوع وأحمد٣.

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «المندوبات»، وهذا قول مالك كما في الاستذكار (٦/ ١٢١)، وفيه في بعض المذاهب الأخرى تفصيل.

(٦) وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وأبي العالية وأبي قلابة، كما في الاستذكار (٦/ ١٢٠).

و«السَّرَاحُ الجَميلُ»: يحتمل أَن يكون ما دون بَتِّ الطلاق، ويحتمل أَن يكون في بقاءِ جميل[(١)] المعتقد وحُسْن العشرة وجميل الثناءِ وإِن كان الطلاق باتّاً.

و﴿أَعَدَّ﴾ معناه: يَسَّر وهيأ[(٢)].

و«المُحْسِنَاتُ»: الطائعات لله والرسول.

قال القاضي أبو محمد: وأزواج الرسول ﷺ اللائي نزلت الآية فيهن تِسْعٌ:

خمْسٌ من قُريش: عائشة بنت أَبي بكر رضي الله عنه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأُمُّ حبيبة بنت أَبي سفيان، وسودةُ بنت زمعةَ، وأُمُّ سَلَمَة بنت أَبي أميَّة.

وأَربعٌ غير قرشيَّات: ميمونةُ بنت الحارث الهلالية، وصفيةُ بنت حُيَيٍّ بن أَخطب الخَيْبَرِيَّة، وزينب بنت جحش الأَسدية، وجُوَيْرِيةُ بنت الحارث المصطلقيَّة، [رضي الله عن أَزواج رسول الله أجمعين][(٣)].

قال القاضي أبو محمد: [وفي الحديث][(٤)]: أَن رسول الله ﷺ لما خرج من إِيلائه الشهر، ونزلت عليه هذه الآية، بدأ بعائشة فقال: «إِنِّي ذاكرٌ لكِ أَمراً، ولا عليك أَلَّا تعجلي حتى تسْتَأْمري أَبويك»، ثم تلا عليها الآية، فقالت له: وفي أي هذا أَستأْمر أَبَوَيَّ؟ فإِني أُريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: وقد علم أَن أَبويَّ لا يأْمراني بفراقه، ثم تتابع أَزواج النبي ﷺ على مثل قول عائشة، رضي الله عنها، فاخترن الله ورسوله، رضي الله عنهن[(٥)].

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) في المطبوع وفيض الله والسليمانية: «وسَنَّى».

(٣) من المطبوع.

(٤) ساقط من فيض الله.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، (٤٧٨٥)، ومسلم (١٤٧٥).